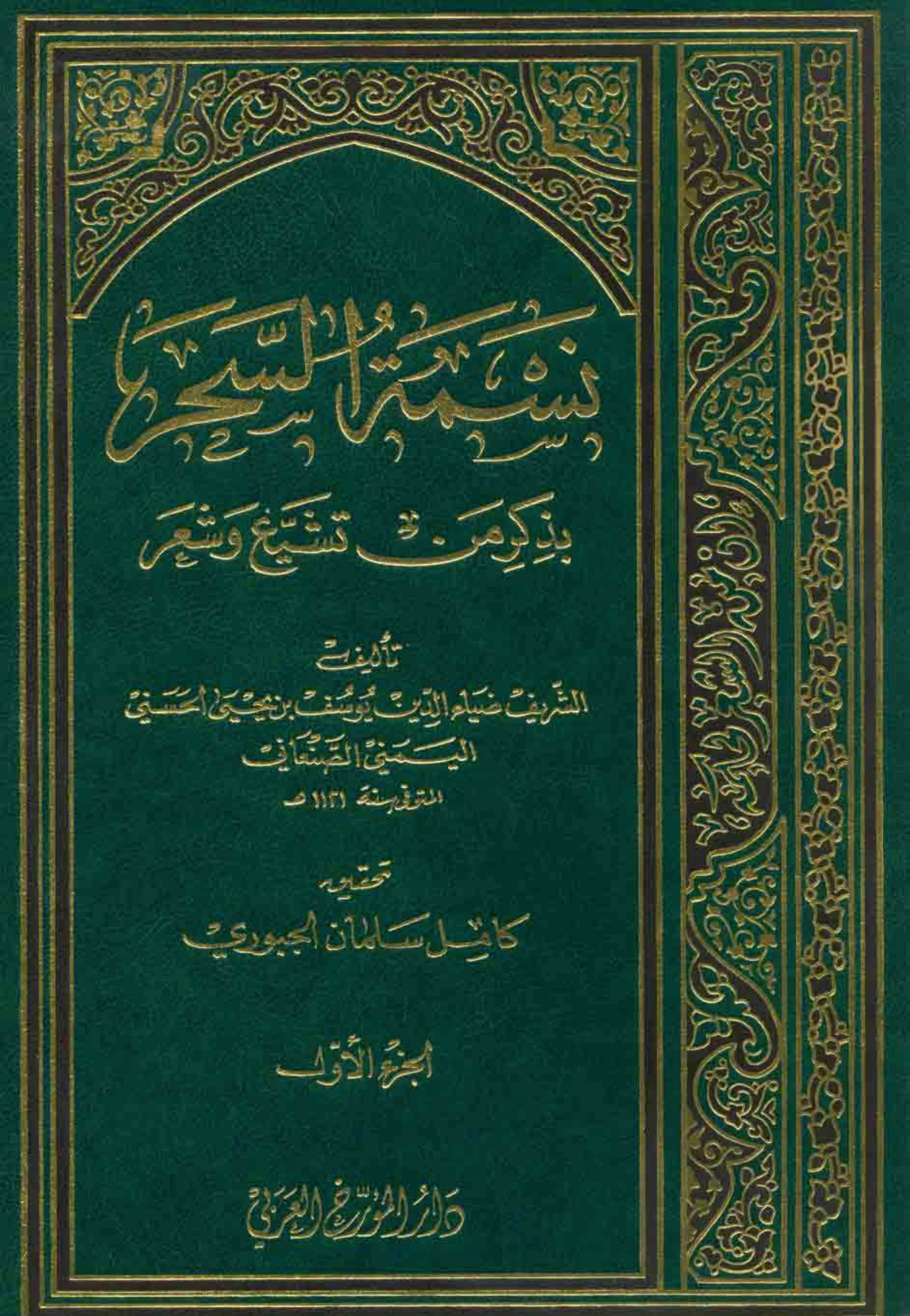
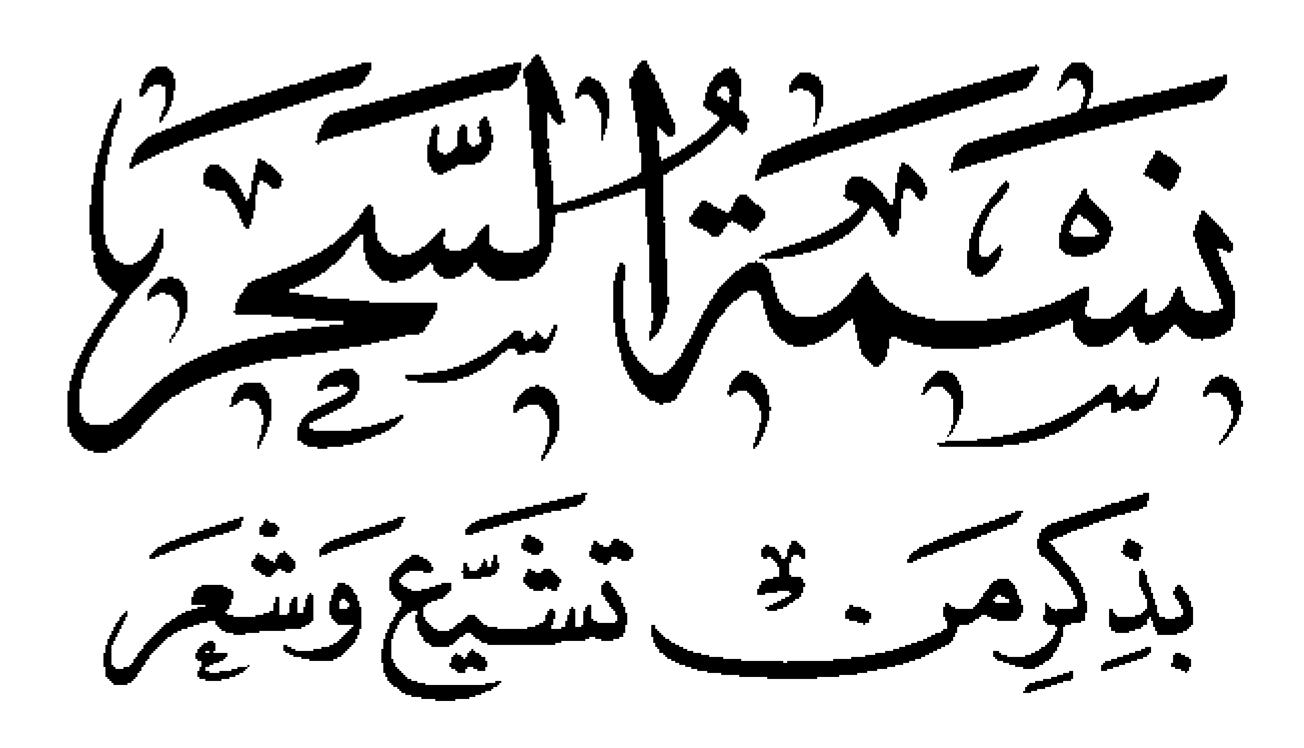

نسمة السحر
بذكر من تشيع وشعر
تأليف
الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني
اليمني الصنعاني
المتوفى سنة ١١٢١ هـ
تحقيق
كامل سلمان الجبوري
الجزء الأول
دار المؤرخ العربي

نسمة السحر

بذكر من تشيّع وشعر



تأليف

الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني

اليمني الصنعاني

المتوفى سنة ١١٢١ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

الجزء الأول

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٨٢٠٨٤٣
هاتف خليوي: ٣/٨٩٠٨٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحسني الصنعاني وكتابه نسمة السحر

- أسرته الكريمة.
- نسبه الشريف.
- ولادته ونشأته.
- أساتذته.
- مؤلفاته.
- أقوال العلماء فيه.
- شعره.
- نثره.
- وفاته.
- مصادر ترجمته.
- كتابه «نسمة السحر».
- مصادر المؤلف في جمع مادة الكتاب.
- تقاريظ الكتاب.
- النسخ المخطوطة من نسمة السحر.
- النسخ المعتمدة في تحقيق المجلد الأول.
- صور الصفحات الأولى والأخيرة من مخطوطات الكتاب المعتمدة.
- منهجي في التحقيق.
- شكر وتقدير.

الحسني الصنعاني

أسرته الكريمة:

ينتمي إلى أسرة كريمة شريفة، تنتسب إلى أكرم البيوت وأشرفها، لها باع طويل في العلم والأدب، إضافة إلى تولّي الرعيل الأول منهم الإمامة والرئاسة والإمارة والقضاء في اليمن، وهي زيدية المعتقد، سوى المؤلف نفسه، فهو إمامي إثنا عشري[1].

وممن برز منهم في العصور المتأخرة مضافاً إلى المؤلف نفسه:

١ ـ والده السيد يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد.

ترجم له ولده (المؤلف) برقم ١٨٨.

٢ ـ أخوه السيد زيد بن يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد.

ترجم له أخوه (المؤلف) برقم ٧٤.

٣ ـ ولده السيد إسحاق بن يوسف بن يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد.

ترجمه والده (المؤلف)، ضمن ترجمة: (علي بن محمد التهامي) برقم ١١٣.

نسبه الشريف:

هو السيد العلامة البليغ، الشاعر الناثر، ضياء الدين، أبو إسحاق، يوسف

---

(١) البدر الطالع ٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

ابن يحيى بن أبي علي الحسين بن الإمام المؤيد بالله أبي الحسين محمد بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد ابن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه ابن الحسن الرضي المثنى بن الإمام الحسن المجتبى بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه السيدة الشريفة، نفيسة بنت علي بن المؤيد بن القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد الحسنية، المتوفاة يوم الخميس ١٠ جمادى الأولى سنة ١٠٧٨هـ، وكانت من فضليات نساء زمانها عقلاً وديناً وكرماً، ووالدها والي صنعاء، وكان عادلاً كريماً.

ولادته ونشأته:

ولد بمدينة صنعاء باليمن في جمادى الأولى سنة ١٠٧٨هـ ونشأ فيها، وحقّق علوم العربية والأصولين والمنطق، وشارك في الطب، وتضلع في الأدب، ونثر ونظم فأجاد.

وحجَّ وأقام بمكة نحو سنتين، وامتدح الأشراف، وأفاد مالاً.

وكاتب السيد صدر الدين علي بن أحمد بن معصوم الحسيني المدني الشيرازي، ثم لقيه بمكة المشرفة في سنة ١١١٤هـ.

وقد أشار إلى مكانته العلمية في أرجوزة له منها قوله:

وإنني لأحفظ القرآنا ... غيباً يهزُّ لفظه الصفوانا
وأحفظ النحو وعلم الصرفِ ... حفظاً له يمشي النحاة خلفي
والشعر والبيان والمعاني ... والمنطق المذكور في اليونانِ
ثم البديع والحديث واللغه ... والطب والتاريخ عمن بلغه
وأعلم الجدال والتفسيرا ... فاسأل به عن فطنتي خبيرا
وأحفظ الأخبار والأنسابا ... والفقه والأصول والحسابا
ولي من الشعر الغريب الممتنع ... ما لو زهير ذاقه إثري تبع
من كل غرّا حلوة النظامِ ... ما صاغها قبلي أبو تمامِ

وإن أردت النثر فالبلابلُ تشدو به إذ تورق الخمائلُ
والفاضل المصري عنه قاصرُ ومنتقى مروان فيه حائرُ
هذا وما خُيِّرت من عرفاني أكثر مما قصه لساني[1]

أساتذته:

تتلمذ على جماعة من العلماء والأدباء، أبرزهم:

١ ـ أبوه المولى السيد يحيى بن الحسين بن المؤيد المتوفى بشهارة في صفر سنة ١٠٩٠[2].

٢ ـ أخوه الفاضل السيد زيد بن يحيى بن الحسين[3].

٣ ـ الزاهد الصوفي الحافظ السيد الحسن بن الحسين بن الإمام القاسم[4].

٤ ـ السيد بدر الدين، محمد بن الحسين بن الحسن بن القاسم[5].

وقد ذكر في ترجمة الحكيم محمد صالح الجيلاني[6] الإمامي نزيل اليمن إن (السيد محمد) ممن أخذ الطب عنه وأخذت أنا من السيد محمد.

٥ ـ القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن عبد الحق اليمني[7].

وغيرهم.

مؤلفاته:

١ ـ نسمة السحر ـ هذا الكتاب ـ وقد أفردنا له باباً سياتي الحديث عنه.

٢ ـ طلوع الضياء: ديوان شعر أخيه زيد بن يحيى بن الحسين، جمعة المترجم.

٣ ـ أرجوزة في سيرته.

---

(١) نشر العرف ٢/ ٩٥٥ ـ ٩٥٦.

(٢) ترجمه المؤلف في النسمة برقم ١٨٨.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

(٥) ترجمه أيضاً برقم ١٥٣.

(٦) ترجمه أيضاً برقم ١٥٧.

(٧) ترجمه أيضاً برقم ٢٣.

أقوال العلماء فيه:

- قال القاضي أحمد بن محمد الحيمي في ترجمته له بـ(طيب السمر):

«أتم الله عليه ما كان آملاً، وعلمه من تأويل الأحاديث ما عدّ به كاملاً، فهو من منهل العلم قد عب، وفي رياض الفصاحة يرتع ويلعب، إلا أن زمانه ولع له بالعناد، وأنزل كتائب حربه بكل ناد، فألقى من الهم في غيابات جبه، وكاد يهلك لولا أن رأى برهان ربه، الخ»[1].

- وقال السيد إبراهيم بن زيد بن جحاف في ترجمته له بـ(زهر الكمائم):

«لبس برد المجد واشتمل عليه، وروى حديث المكارم فاتصل به وإليه، المشهور بالفضائل، والذي زان الله بوجوده صدور المحافل، وظهرت معجزاته في المشارق والمغارب، وأقرت له بالسبق الأشراف والأعاجم والأعارب، أريحي كريم الطباع. له في النظم والنثر أطول باع»[2].

- وقال العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني في ترجمته له بـ(البدر الطالع):

«مال إلى الأدب، ونظم الشعر، وصنف نسمة السحر، في ذكر من تشيع وشعر، ذكر فيه جماعة من الشعراء المتقدمين المشهورين، ومن أهل عصره ومن يقرب من أهل عصره، وهو كتاب حسن لولا ما شابه من التسخط على أهل عصره، ورميهم بكل عيب، والتنويه بذكر العبيديين وغيرهم من الرافضة، وانتقاص الأئمة وأكابر السادة الذين هم عنصره وأهل بيته وذوو قرابته، وهو إمامي المعتقد، ولم يكن في أهل بيته من هو كذلك فإن والده كان زيدياً وكذلك سائر قرابته، وبالجملة فكتابه المذكور من أحسن الكتب المصنفة في الأدب وأنفسها، الخ»[3].

- وقال السيد إبراهيم الحوثي في ترجمته له بـ(نفحات العنبر):

«العالم الشاعر الأديب المؤرخ، حقق في علوم العربية والأصولين والمنطق

---

(١) نشر العرف ٢/٩٥٦ ـ ٩٥٧.

(٢) نشر العرف ٢/٩٥٦ ـ ٩٥٧.

(٣) البدر الطالع ٢/٣٧٢ ـ ٣٧٣.

وشارك في الطب وتضلع من الأدب، ونثر ونظم فأجاد، وأدركته حرفة الأدب، وقصد المهدي صاحب المواهب، وصادف وفد العجم في الأبهة العظيمة على صاحب المواهب، فخالطهم صاحب الترجمة، وأنسوا به كلية الأنس، لما رأوا من أدبه ونقادته ومشاركته في العلوم العقلية والطبية وموافقته لهم في الاعتقاد، فمنع عن مخالطتهم، وأمر بالرحيل من المواهب إلى صنعاء، وكان له ولد يسمى إسحاق وكان شديد الحب له فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفي الولد، فاشتدت أحزانه وتضاعفت أشجانه وكره المقام بصنعاء، وقد نظم أرجوزة في سنة ١١١٥ تدل على أحواله، وكان العامل على صنعاء من جهة صاحب المواهب في ذلك الأوان السيد شرف الدين القاسم المنجم وهو مشهور بالظلم، وصادف مع ذلك الأزمة الشديدة، وبلغ قيمة القدح الحنطة بصنعاء سبعة ريالات ولا يتحصل إلا بمشقة عظيمة، ولم تطل أيام الأزمة بل بقيت نحو أربعة أشهر. وقد استعمل في أرجوزته بعض ألفاظ ساقطة ومستهلها:

يلومني في قلقي صديقي ... لجهله حالي على التحقيقِ
يقول ما تنفك ذا هموم ... تحاول الرحلة نحو الروم
وكل ما نرضاه لا ترضاهُ ... فما الذي من دوننا تهواهُ
وإنما الدنيا بلاغ زائلُ ... وكل هم عندها فراحلُ
وإنما تغر بعض الناسِ ... فلا يرى الحية في الديماسِ
وكثر النصح بمثل هذا ... حتى أملّ نصحه وآذى
قلت له يا صاحب الفضولِ ... ارجع إلى الواجب والمعقولِ
واعلم بأني قد بلوت دهري ... فلن أراه عالماً بقدري
وإنما يعرف فضل الفاضلِ ... ويجعل العالم فوق الجاهلِ
إلا الذي سمت به الأعراقُ ... ولم يدنس أمه السحاقُ
كخالد وجعفر ويحيى ... والفضل من زيّن عيش الدنيا
أيجهل الدهر اللئيم الغادرُ ... مناقبي وهي المثال السائرُ

ثم ساق ما أثبتناه بأول هذه الترجمة من أبيات هذه الأرجوزة ثم قال:

لا سيما وليس حولي حرُّ ... ينصرني إذا غزاني الدهرُ
وإنما في بلدي قرودُ ... بهم علينا تشْمت اليهودُ
ولن أحب يا حبيبي صَنعا ... فأهلها بي قد أساءوا صُنعا

لم ينزلوني منزلي المعروفا
مدينة قليلة الخيراتِ
أسعارها غالية عزيزه
تراهم في سوقها أفواجا
والماء فيها شاسع المنالِ
لا دُجن يرى بها ولا نهر
وربما يرى بها الشعيرُ
ولا شعوب شاقني ولا نقم
ولا سناع السوء والمحاقره
ومذبح الشوم ولا عطان
وحدة وماؤها خُميسُ
ومن يرى غبرة دار سالم
ودار سلم عندها والجرداً
وبيت بوس ثم بيت حنبص
وقد ذكرت الآن حاقر أمه
كأنه أير الحمار القائمُ
وإن نظرت في الجبال ضينا
موليةً بالإليتين نحوها
وصرف بدمِه ما أحرى
وإن ترجْ سفح صنعا للعلف
التبن في العزة مثل الكيميا
فمن يُمَّون فرساً أو عيرا
وإن يكن في ملك شخص بقره
إن أبصرت في دهرها قوس قزح
تحسبه وسط السماء قضبا
صاحبها يعدها خزانه
لأن ما يجمع من أشياها

وقد رجحت فيهم ألوَفا
وأهلها بالجهل كالأمواتِ
والحبة الحمرا بها إبريزه
كأنهم لحبها دجاجا
ينال بالحبال والرجالِ
ولا كمام للربى ولا ثمر
يأكله سكانها الحميرُ
أدخلت.....[1] حرم
وزبطان فهو منها فاقره
منازل يأوى به الشيطان
وهو الذي في مذهبي خسيسُ
ولم يذم عد في البهائم
جردها رب السماء جرداً
أهل الوجوه الموحشات الرخص
وما عليّ واجباً من شتمه
وحوله أكامه البهائمُ
حسبته ما بيننا مأبونا
لأير جربان القويم دلها
كأحدب غار العمان بحرا
أشبهت من يبغى اللآلى بالصدف
يناله من حاز علم السيميا
يقصيهما ثم يسير سيرا
لبطنها من التراب قرقره
كادت تطير نحوها من الفرح
لكنها لا تستطيع الوثبا
وأستها في البيت جُبَّخانه
تجعله المرأة في خباها

(١) بياض في نشر العرف.

تعده لخبزها وقيدا ... من بعد ما تعصده عصيدا
وإن غدت واردة للماءِ ... خافت عليها سارق الخراءِ
هذا الذي جرى بها هو العجبْ ... وإنما يظلمها سوق الحطبْ
فإنه من عزة كالمندلِ ... بالشقري النذل أو من حنظلِ
وإن قصدت اللحم في باب اليمنْ ... وجدت ذا القرنين عزَّى ذا يزنْ
في حلقه حويدر والراعي ... كاتبه والشور ذو الكلاعِ
فقرنه يباع بالدينارِ ... وظلفه بدرهم للشاري
والجمل الذابح فيه مفتري ... يجعله عند السما للمشتري
فلا ينال لحمة صغيره ... حتى ببذل الدرة الكبيره
يَهم من حسرته الذي أتى ... يأكل ما قد يراه ميتا
أُف لهذي البلدة المشومه ... فإنها منتنة كالشومه
قد لعبت بأهلها السوداء ... ولا بها بيضا ولا صفراء
وجوههم من جهدها مغبره ... وفي القلوب كلها كالجمره
في كل يوم غارة للدوله ... عليهم وعسكر وصوله
يحكم في أعيانها شاويشُ ... مثل الحمار أكله حشيشُ
وإن أتاه أمرد بِقَفَحته ... حكّمه في ماله وعيشته
وإن أتاه أشيب أو أشمطُ ... يصفعه بنعله ويربطُ[1]

شعره:

وقد جمعت منه مما أورده بين ثنايا كتابه (نسمة السحر) وما أورده له صاحب (نشر العرف) في ترجمته له، ومنه:

- قال يرثي أخاه زيد بن يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٤ عن عمر لا يتجاوز الثلاثين سنة، بقصيدة أوّلها:

بَعدَ الأحبة ما في العيش من أربِ ... ولّى التجلّد والتسليم للنوبِ
كيف الأمان وذي الدنيا تخاتلنا ... وليس منها سوى التمويه والكذبِ

---

(١) نشر العرف ٢/٩٥٧ ـ ٩٦٠.

وهي طويلة، ومنها:

إني أهيم بسلوى ثم يزعجني … ذكرى لزيد خليل المجد والأدبِ
هوى الشقيق الذي ودَّعته فغدت … تنهلّ كالورد أجفاني بمنسكبِ
خلّ فقدت به ما ليس واجدهُ … من الفضيلة في الأعجام والعربِ[1]

ورثاه أيضاً بقصيدة أخرى:

سقى ثراك غزير الدمع لا المطرِ … يا وارد الخلد والأحشاء في السَّعرِ
راحوا بنعشك والأملاك تحمله … لو كوشفوا لرأوا جبريل بالبصرِ
وقطَّعت عقدها الجوزاء من أسفٍ … وعزَّت الشهب أفق المجد في القمرِ
رحلت عنا على كرهٍ وليس لنا … رجا الأياب كما يرجى أخو السَّفرِ
أبكيتنا بدموع كالعقيق جرت … أو كالذي نظمت عيناك من دررِ
لهفي لأحجار لحد فوقك انتظمت … من بعد نظمك سلك الزهر والزهر
دجى سروري وقد ودعتني عجلاً … وداع مرتحل ما لذَّ بالعمر
يا زيد بعدك وجه الأنس منكسف … وكيف يسفر وجه عن هلال عري
تنشي رثاءك أشعاري ولؤلؤها … مما بفضلك قد قلَّدته فكري
بلغت غاية ما تعلو الكرام به … فَخَصَّصَتْ عمرك الأيام بالقصرِ
حلَّيت جيد الليالي بالنظام جلاً … هذا وخدّك لم يلتف بالشعر
أنت الفقيد الذي أنست محاسنه … ما خلد الأذكيا في سالف العُصُرِ
وكنت حجة أهل البيت قاطبة … فكيف أمسيت فيهم غير منتظر
أبكي عليك وقلبي يلتظي حزناً … أجارك منه من بجري ومن شرري
يا سفح صنعا تعزَّى عن سناك فقد … دعاه بالرغم منّا داعي القدر
يا جربة الروض طيبي بالربيع ثرى … فقد تزينت بعد الجدب بالنهر
لا تطلبي الغيم سقياً قد كفاك هميّ … دمعي عن البحر والفيّاضة الغدر
ما بعد فقدك في صنعاء من إربٍ … لذي الحجى ولا في ربعها النضر
كانت بك الجنة الخضراء مثمرة … ومذ ثوى نهرها أقوت من الشجر
قد كنت ماء حياة النازلين بها … وليها قعدتها جيرة الخضر[2]

(١) نشر العرف ١/٧٠٧.
(٢) كذا في الأصل.

عليك فلتبك عين المجد ما بقيت وتلطم الخد كف العلم والنظر
تقصفت بعدك السمر اللدان وما أرضى المجالد حدّ الصارم الذكر
وأي عين عليه غير باكية وأي لب عليه غير منفطرِ
لكنه الدهر لا يُبقي على أحد وإنما ـ شنا من جملة الغررِ
لم ينج منه الذي ما بات يرقبه وليس يسلم منه صاحب الحذرِ[1]

ـ قال يرثي ولده إسحاق[2]، وكان شديد الحب له، فلم يلبث إلاّ يسيرا حتى توفي، فاشتدت أحزانه وتضاعفت أشجانه، بقصيدة مطلعها:

ضاقت علي رحيبة الأوطارِ ومضى اصطبار حشاشتي ووقاري
لما ارتحلت إلى البلا قسراً وما قد كنت تدري شدّة الأقسار

منها:

والله ما أبكي لحزني والجوى وحرارتي وشواظ قلبي الواري
إلا لسقمك والذي قاسيته تلقاي من ضيق وحرّ أوارِ
عشر وخمس ذوّبتك كأنها نار تُذّوب منك صفو نضارِ
حتى اغتديت وكنت بدراً كاملاً مثل الهلال عشيّة الإفطارِ
بأبي أنينك ذاك ملء مسامعي وتململ اليمنى وذات يسارِ
وشكاك لي بضعيف صوتك علة وإجابتي بالمدمع المدرارِ
ألبست ثوب الدّا وكنت مؤملاً لبس القباء مرَّصع الأزرارِ
وقصفت غصناً حين أورق وابتدت تفتر منه مباسم الأنوارِ
وسقيت سمَّ الحادثات ولم يَفِد إطفاؤه بمدامعي الأنهارِ
عللٌ قَوين على ضعيف باهت وعقرنه وهَرَبْنَ بالعقّارِ
خفقان قلب والتهاب جوانح منعاه طيب الليل والأبكارِ
يا وحشتي لنحيل جسم ذابلٍ أودت به الأخطار كالخطّارِ
وجميل وجه كان جنَّة خاطري وفقدته فعرفت طعم النارِ
لم يبق منه السقمُ غير بقيَّة لولا الأنين خفَتْ على الزوّارِ
ودعوت لي قبل الوداع وليتها قُبلت لك الدعوات في الأسحارِ

(١) المقطوعة في ترجمة زيد برقم ٧٤، وبعضها في نشر العرف ١/٧٠٧.
(٢) ذكره المؤلف ضمن الترجمة رقم ١١٣.

لـيـلات أدعـو الله فـي سـتـر الـدجـى ... بـبـقـاك وهـو غـنـاي يـا ديـنـاري
وتـؤمـن الـدمـعـات وهـي سـواقـط ... دررٌ عـلـى خَـدّي وسـمـط دراري
والله مـا خـيـري وقـد فـارقـتـنـي ... إلّا لـحـوقـك نـحـو تـلـك الـدارِ
لا قُدِّس الـعـمـر الـذي هـو واصـلـي ... من بـعـد مـا حـجـبـوك بـالأحـجـارِ
وعـلـى لـذيـذ الـعـيـش إذ ودعـتـنـي ... منـي سـلام الـمـوجـع الـمـنـهـارِ
قد كنت لي الذخر النفيس فقدته ... في فاقتي العظمى وفي إقتاري
مـالـي دعـوتـك فـي الـظـلام مـردداً ... إسحاق فاستعجمت عن أخباري
مـالـي حـسـبـتـك بـارداً من بـعـد ما ... أمسيت من حُمَّاك في إسعارِ
ما بال نرجس مقلتيك مُغَمَّضاً ... هـذا أوان تَـفَـتُّـح الأزهـارِ
أشرِبتَ كاس الموت قبلي راضياً ... أم ذقـتـه بـالـعـنـف والإجـبـارِ
عكس القضا ظَنّي وكنتُ مؤملاً ... أن ليس غيرك لي يكون مواري
مـالـي نـبـذتـك بـالـعـزاء ولـم يـكـن ... نـبـذ الـعـزيـز صـنـائـع الأحـرارِ
لـو أنـنـي مُكِّـنـت كـان بـمـهـجـتـي ... مـثـواك لـم أنـبـذك كـالـغـدَّارِ
من لي برؤيا ما نقلت إليه من ... أنـس تـسـرُّ بـه وحـسـن جـوارِ
هل تمرح الأطفال حولك مثلما ... قـد كـنـت لا تـنـفـك إلـف صـغـارِ
مـن وارثـي إذ ذقـت مـا أُسـقـيـتـه ... ومـن الـذي تـحـيـى بـه أشـعـاري
وبـقـايَ بـعـدك مـثـل مـوتـي قـبـلـه ... أقـبِـح بـعـيـش الـحـزن والأكـدارِ
كـنـت الـحـيـاة فـمـذ تَـوَّلـت غَـصَّـةً ... مـاذا الـذي أبـغـيـه فـي الآثـارِ
ركـنـاي ثُـلّا، عـمَّـك الـمـاضـي وقـد ... اتـبـعـتـه كـتـتـابـع الأقـمـارِ
أمـا الـسـلـوُّ فـلـسـت مـن أصـحـابـه ... ولحاقك المرجوّ من الجبّارِ[1]

- وله قصيدة كتبها إلى السيد إبراهيم بن زيد بن جحاف بعد إطلاعه على ديوان شعره الموسوم (العارض الوكّاف) فقال:

أقـسـمـت أنـك بـالـصـبـابـة أعـلـمُ ... فـعـلام تـبـخـل بـالـوصـال وتـظـلـمُ
يـا قـامـة الـرمـح الـتـي هـي فـتـنـة ... يـا مـقـلـة الـسـيـف الـذي هـو أصـرمُ
رفـقـا بـصـبٍّ صَـبَّ فـيـك مـدامـعـاً ... فـي لـون خـدِّك عـنـمـهـا لا يـنـجـمُ
أربـيـع كـل الـنـاظـريـن مـلاحـة ... مـا وصـل عـاشـقـك الـكـظـيـم مـحـرمُ

(١) نشر العرف ٢/ ٩٦١ - ٩٦٣، ترجمه المؤلف برقم ١١٣.

خاطرت فيك بمهجتي وأظنها   إن لم تجد بوصالها لا تسلم
زر في الظلام ولا تخف من حاسد   وعنيت شعرك فهو ليل أسحم
إن كنت تنكر ما فعلت فإنني   أنكرت لكن مدمعي يتكلم
وحياة وجهك وهو روض زاهر   ينمو بدمعي فوقه وهو الدمُ
ما مرَّ في أملي السلوّ وإنما   للعاذلين مكائد لا تفهم
ومعلم لي بالسلوّ عدمته   هل فاز بالعقل الرصين معلم
ويقول لي ما فزت منه بلفظة   جهلا وقلبي بالغرام مكلم
أو كان للعشاق سهم في الهوى   فأنا الذي لي من رناه أسهم
يا خدّه ورضابه إن طبتما   يوماً فإنكما الصفاء وزمزم
ولقد بليت بما لك هو بالهوى   لحشاشتي إن لم يرقّ متمم
الشمس طلعته وفوق لحاظه   قوس وعاذله المثقل مرزم
ومولَّع بالروض يسكن ظلَّه   والحور في ظل الجنان تُخيّم
باكرته في شهر نيسان به   والرعد كالشادي الجهير يزمزم
والماء يصفو والطيور بعودها   تشدو فما إسحاق إذ يترنم
وكأنما جسم السما في غيمها   والبرق ثوب بالنضار مرقم
وترى النسيم العنبري في ضعفه   ينشي النفوس إذا غدا يتنسم
والغصن مرتعش وأحسب أنه   ظن المثناه بها صوارم تحسم
والراح والندمان حفوا حولها   فكأنها شمسٌ حوتها أنجم
ما ذاقها الساقي الظريف بإصبع   إلاّ غدت بعقيقها تتختم
وإذا علا فيها الحباب فحبذا   خدٌّ يقبله هنالك مبسم
أو مبسم المحبوب أسفر بعد ما   قد كان قبل بوردهِ يتلثم
لله عيشي والزمان مساعد   والدهر يحجم إن رآني أقدم
والعاذلون يقود لي ساعيهم   والدهر يمضي ما أريد ويبرم
وصبابتي مثل النسيم لطافةً   أو نظم إبراهيم وهو الأقدم
بحر يرينا جوهراً من لفظه   والبحر يلفظ بالجمان وينعم
بفصاحةِ سحبان فيها باقلٌ   خطباً ونظم ما ادعاه مسلم
أصلى حواسده لظى من فضله   عجباً وما نار الخليل تؤلم
حقاً لقد حسد الأواخر من مضى   وتحسروا لو أدركوا وتجرموا
ولقد حلى جيد الزمان بماجدٍ   (لجواهر الإحسان) فيه ينظم

(والعارض الوكَّاف) من أوصافه ... وكتابه عنه لذاك يترجم
وصف حكى البستان إلا أنه ... في كل فصل زهره لا يعدم
متأخر التاريخ إلا أنه ... كمحمد في فضله متقدم
سجع المطوق ليس يطرب عنده ... وابن السنا من نوره يتظلَّمُ
يا نجل زيد زادك الرحمن من ... هذي الفضائل ما يجل ويعظم
حركت فكرتي التي قد شابهت ... دهري جموداً فاغتدت تتضرم
لما رأيتك قد نظمت بدائعاً ... علمتني الأدب الذي لا يعلم
هزتني العروى[1] لما عودته ... فيما مضى والعود أحمد يزعم
فنظمت سهلاً واطرحت معانياً ... خوف التكلف بعضها لا يفهم
والشعر أبيض كله لكنه ... درر إذا ما تنتقده وسمسم
أو كالبروق تضيء في جنح الدجى ... ولبعضها ماء وبعض معدم
عرف المعاني من تكامل فضله ... والجاهلون عن المعاني قد عموا
فرأيت حزماً أن أصون عقودها ... والسيف في الغمد الحصين يكرم
حتى سمعت بأن ما حاولته ... من كل فضل في يمينك مبرم
والكون معمور وللرحمن في ... هذي الخليقة حجة لا تكتم

إلى أن قال:

إن كنت قدَّمت الخليل لفضله ... علماً فإبراهيم فيه معلِّمُ
قدمته وهو النسيب على الورى ... وعلى الحقيقة فالنسيب مقدم
واسلم ودم واعذر محباً جهده ... ما قد تراه ووُدُّهُ لك أعظم[2]

ـ وقال مجيباً السيد جمال الدين هاشم بن يحيى الحسني الصنعاني على قصيدة بعثها إليه المذكور في سنة ١١١١هـ مبادياً من الطويل، والقافية من المتواتر:

إذا لم يفضْ في حبّه نهر أجفاني ... فما أكثر الدعوى لديَّ وأجفاني
غزال يحاكي خصره وجفونه ... نحولي وسقمي واصطباري وكتماني
تعشقته بدراً ومرّ بي الدجىٰ ... وبدري وبدر الأفق في الحسن سيّانِ

---

(١) كذا في نشر العرف.

(٢) نشر العرف ١/٢٦ ـ ٢٨.

وبايننـي الواشي عليه وواصلت ... دموعي وكان الخير في رأي إنساني
ولم يحل إلّا مبسماً مثل عقده ... يفصّل من دمعي عليه بمرجانِ
وشمس محيا خصّها الله بالبها ... وفاض وحسن الشمس يأتي بميزانِ
ومالي أنصار على عاذلي به ... وقد جئته من وجه بدر بحسّانِ
تصدى لألحاظٍ سحرن جنانه ... ولولا العيون النجل ما كان عنّاني
وحيّا الحيَا أيّامنا أيمن الحمى ... لو ان المنى يثني لنا عيشنا الهاني
ليالي فودي أسود مثل حالنا ... بطلعة واشٍ بالحبايب غيرانِ
عسى نسمة جادت بها راحة الصّبا ... ففاض بها دمعي يخبّر عن شاني
ستهدي إلى من بان طيّ ضمائري ... وتأتي بمثل المسك نشراً عن البانِ
فقدماً سعت ما بين لُبْنى وقيسها ... وأهدت إلى ميّ أحاديث غيلانِ
ولله أيّاماً قصفنا بظلّها ... ورحنا وبتنا بين قصفٍ وأغصانِ
محت رقبة الأيام تبييض لهونا ... وكان لها في عهدنا عين نعسانِ
ولم يبق إلّا مدمعي مثل خمرنا ... وإلّا حنيني في الدياجي كألحانِ
أعاتب قلبي كيف ما فاض بعده ... على أنه قد سال في مدمعي القاني
ولا أرتضي غير الهوى لي مذهباً ... وإن كنت من تبريحه بين نيراني
ولي من زفيري خير خِلٌ منادم ... ومن أدمعي في وجنتي خير جيرانِ
ودون الكثيب الفرد فرد محاسنٍ ... حلى فحَمَوْا منه الجمال بمرّانِ
رأوا خدّه التفّاح والغصن قدّه ... فخافوا على روض البها خلسة الجاني
رقبتَ له الجوزاء ليلاً أرى به ... سقامي ولا يرجى لإصباحه الواني
وشبّهت فيه النجم نوراً ورفعة ... بنظم الكريم الهاشمي خير عدنانِ

ومنها:

أديب على العاصي تباعد شأوه ... وأربى بحسن النظم فاستغرب الداني
إذا كان للعليا حبيباً فبيتهُ ... يسير مسير الشمس في كل ديوانِ
هو الشمس إشراقاً وما أنا قائل ... وكيوان نحس حاز رفعة كيوانِ
وما مثله قُسّ وكيف وكفّه ... وفكرته للتبر والدرّ سحبانِ[1]

---

(١) من ترجمة المؤلف برقم ١٨٤، وبعضها في نشر العرف ٢/ ٧٩١ ـ ٧٩٢.

نثره:

عاش المترجم له في عصر كان كتابه يتهالكون على اصطياد السجعة حتى ولو ضحّوا بالمعنى من أجلها، ولو نظرنا إليه من هذه الزاوية لوجدناه في الطليعة من بين كتاب تلك الفترة. فقد صدّر كل ترجمة من تراجم كتابه بمقطع من السجع يثني فيه ويمتدح صاحب الترجمة، وقد يضع بين ثنايا الترجمة شيئاً من رسائله ومقاماته، ولا حاجة إلى تقديم نموذج منه هنا، لأنه ميسور في ثنايا هذا الكتاب.

وفاته:

توفي بصنعاء في ربيع الأول سنة ١١٢١هـ. ودفن بالمقبرة التي هي في جنوبي صنعاء، قريب من تربة وهب بن منبه، بالمقبرة الجديدة، وهو أول من دفن فيها، عن ثلاث وأربعين سنة من مولده، رحمه الله تعالى.

مصادر ترجمته:

الأدب اليمني ـ عصر خروج الأتراك ١٨٩.

الأعلام ـ ارجوزة ـ خ

أعلام العرب ط٢/ ٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤.

أعلام المؤلفين الزيدية ـ ج ـ لعبد السلام عباس الوجيه.

أعيان الشيعة ٥٢/ ٩٦.

إيضاح المكنون ٢/ ٦٤٥.

البدر الطالع ٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٥.

تأريخ الأدب العربي، لبروكلمان ٢/ ٤٥٣، (ذ) ٢/ ٥٥٢.

الجواهر المضيئة ـ خ ١١١.

ديوان الهبل/ أعلام الديوان ٥٩٤، ٥٩٥، ٦٠٨.

زهر الكمائم ـ خ ـ.

طبق الحلوى / هـ ٣٢.

طيب السمر ـ خ ـ.

مصفى المقال ٥٠٧.

منية الراغبين ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث ٤٥ ـ ٤٦.

مؤلفات الزيدية ٣/ ١٠٢، ٤/ ٢٤٩.

نشر العرف ٢/ ٩٥٥ ـ ٩٥٩.

نفحات العنبر ـ خ ـ.

هدية العارفين ٢/ ٥٦٨.

ترجمة كتبها الشيخ آغا بزرك الطهراني بمنتصف شوال ١٣٣٥هـ، في آخر نسمة السحر ج٢.

ترجمة كتبها القاضي محمد بن محمد بن يحيى زبارة بمحرم ١٣٥١هـ، في آخر نسمة السحر ج١.

نسمة السحر

كتاب (نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر) معروف في الأوساط الأدبية، وقد تردد ذكره كمصدر أدبيٍ مهم لا يستغنى عنه.

وبالرغم من أن عنوان الكتاب يبيّن بوضوح مضامينه وموضوعه، فالمؤلف التزم ترجمة كل من كان شاعراً شيعياً بالفكرة والمعتقد، واقتصر فيه على من كان منهم في الفرق الشيعية الثلاث: الإمامية، والزيدية، والإسماعيلية، وعرض فيه بعض أخبارهم ونماذج من شعرهم، ووشّاه بما عرف عنه من القدرة على الاستطرادات الأدبية الرائعة، والاستدراكات العلمية المفيدة، وذكر الحوادث التأريخية، والمواعظ والنكات والطرائف، وأورد الكثير من الشواهد المختارة نظماً ونثراً، ما يشرح الخواطر، ويبهج النفوس، ويوسّع المدارك، فهو بحق دائرة معارف يحتاجه الطالب، ولا يستغني عنه العالم، كما ترجم لغيرهم عند ورود ذكره ضمناً، وبالإضافة إلى ذلك فقد ترجم لجماعة كبيرة من علماء عصره وأدبائه الذين عاصرهم والتقى بهم، وأورد لبعضهم نماذج جيّدة من الشعر، وقد راجع بعضهم بشعره، وهو في أثناء ذلك يورد الشواهد الشعرية الرائقة، والحكايات الطريفة المسليّة، والنقد المؤيد بالحقائق العلمية.

إنتهى من تأليفه ـ كما ذكر ـ سنة ١١١١هـ، ثم ضمَّ إليه ملحقاته إلى حين وفاته.

وإن لم يكن الحسني الصنعاني هو الوحيد الذي سلك هذا المسار، فقد سبقه جماعة من المؤلفين في وضع تراجم للشعراء الشيعة، وهم كثيرون، ومنهم

المرزباني في (أخبار شعراء الشيعة)[1]، وابن أبي طيء الذي وضع رسالة في «أخبار شعراء الشيعة»[2]. فللكتاب أهمية خاصة، وبالغة جداً، يدلّنا على ذلك كثرة الناقلين عنه والمعتمدين عليه، أو المشيرين إليه من الباحثين كما تقدم، وليس بعيداً أن يكون هذا الأثر مصدراً لكل من كتب عن شعراء الشيعة.

فمن الذين اعتمدوا عليه:

١ ـ السيد عباس الموسوي المكي (ت حدود ١١٨٠هـ)، في كتابه «نزهة الجليس» في الشعراء الذين ترجم لهم.

٢ ـ الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ) في «كشكوله».

٣ ـ القاضي الشيخ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع».

٤ ـ السيد محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣هـ) في كتابه «روضات الجنات» بمواضع كثيرة.

٥ ـ السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ) «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص١٨٦ وما بعدها.

٦ ـ السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ) في كتابه «أعيان الشيعة».

٧ ـ القاضي محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني الصنعاني (ت ١٣٨١هـ) في مؤلفاته «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» وغيره.

٨ ـ الشيخ أغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) في نقولاته وتراجمه (انظر الذريعة ٩/ قسم الدواوين وغيره».

٩ ـ الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٧٠هـ) في كتابيه (شهداء الفضيلة) و(الغدير المجلد ٤، ١١) وغيرهما.

١٠ ـ الأستاذ علي الخاقاني (ت ١٣٩٨هـ) في كتابيه «شعراء الحلة» و«شعراء الغري».

---

(١) حققه وعلق عليه الشيخ محمد هادي الأميني وطبع في النجف ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٢) الذريعة ٨/ قسم الرسائل.

١١ ـ الأستاذ محمد جميل شلش، في رسالته للماجستير (الحماسة في شعر الشريف الرضي) ص١٢، ٨٧، ٩١ ـ ٩٢ في ثقافة الشريف ومؤلفاته ومذهبه.

١٢ ـ الدكتور محسن غياض، في رسالته للماجستير «التشيع وأثره في شعر العصر العباسي الأول».

ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب باعتباره مصدراً مهماً يمكن أن يضاف إلى تلكم المصادر العربية الشعرية الكثيرة الباحثة في تراجم الشعراء، المشهورة.

مصادر المؤلف في جمع مادة كتابه:

لقد أفاد الصنعاني من المصادر المتقدمة عليه والمتضمنة لأخبار الشعراء وغيرها، والتي حصل عليها ـ وقد رتبتها حسب سني وفيات مؤلفيها ـ ومنها:

١ ـ طبقات الشعراء: لأبي عبد الله محمد بن سلام الجُمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ.

٢ ـ كتاب الحماسة: لأبي تمّام، حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣٢هـ.

٣ ـ الشعر والشعراء.

٤ ـ عيون الأخبار: وكلاهما لابن قتيبة، أبي محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري، ت ٢٧٦هـ.

٥ ـ طبقات الشعراء: لابن المعتّز، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي، ت ٢٩٦هـ.

٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: لأبي الحسن، علي بن الحسين المسعودي، ت ٣٤٦هـ.

٧ ـ الأمالي: لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، ت ٣٥٦هـ.

٨ ـ الأغاني.

٩ ـ مقاتل الطالبيين: وكلاهما لأبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني، ت ٣٥٦هـ.

١٠ ـ الموشّح: لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ت ٣٧٨ أو ٣٨٤هـ.

١١ ـ عيون أخبار الرضا: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (الصدوق) ت ٣٨١هـ.

١٢ ـ الفرج بعد الشدّة: للقاضي المحسن بن علي التنوخي، ت ٣٨٤هـ.

١٣ ـ الأوائل.

١٤ ـ جمهرة الأمثال: وكلاهما لأبي هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت بعد ٣٩٥هـ.

١٥ ـ مثالب الوزيرين: لأبي حيّان، علي بن محمد التوحيدي، ت نحو ٤٠٠هـ.

١٦ ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي، أبي الحسن، محمد بن الحسين الموسوي العلوي البغدادي ت ٤٠٦هـ.

١٧ ـ سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين، المعروف بـ(اليميني): لأبي النصر، محمد بن عبد الجبار العتبي، ت ٤٢٧هـ.

١٨ ـ يتيمة الدهر: لأبي منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي، ت ٤٢٩هـ.

١٩ ـ شرح قصيدة السيد الحميري المذهبة.

٢٠ ـ غرر الفوائد ودرر القلائد «أمالي المرتضى»: وكلاهما للشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي العلوي البغدادي، ت ٤٣٦هـ.

٢١ ـ سقط الزند: لأبي العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرّي، ت ٤٤٩هـ.

٢٢ ـ تأريخ بغداد: للخطيب أبي بكر بن علي بن ثابت البغدادي، ت ٤٦٣هـ.

٢٣ ـ الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن القشيري، ت ٤٦٥هـ.

٢٤ ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر: لعلي بن الحسن الباخرزي، ت ٤٦٧هـ.

٢٥ ـ المحاسن والمساوىء: لإبراهيم بن محمد البيهقي، من علماء القرن الخامس الهجري.

٢٦ ـ الحلل في شرح أبيات الجمل، طبع باسم «الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل»: لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، ت ٥٢١هـ.

٢٧ ـ قلائد العقيان في محاسن الأعيان: للفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان، ت ٥٢٨هـ.

٢٨ ـ الكشاف: لأبي القاسم، جار الله، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت ٥٣٨هـ.

٢٩ ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لعلي بن بسّام الأندلسي، ت ٥٤٢هـ.

٣٠ ـ النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: لعمارة بن أبي الحسن علي الحكمي اليمني، ت ٥٦٩هـ.

٣١ ـ خريدة القصر وجريدة العصر.

٣٢ ـ السيل والذيل «وهو ذيل خريدة القصر»: وكلاهما لعماد الدين، محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني ت ٥٩٧هـ.

٣٣ ـ شذور العقود في تأريخ العهود: لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ت ٥٩٧هـ.

٣٤ ـ أطواق الحمامة، في شرح قصيدة ابن عبدون البسّامة: لعبد الملك بن عبد الله بن بدرون المغربي، ت بعد ٦٠٨هـ.

٣٥ ـ شرح نهج البلاغة.

٣٦ ـ القصائد السبع العلويات: وكلاهما لابن أبي الحديد، عز الدين، أبي حامد المدائني، ت ٦٥٦هـ.

٣٧ ـ الأنباء في تأريخ الأطباء، طبع باسم «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»: لأحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، ت ٦٦٨هـ.

٣٨ ـ وفيات الأعيان: لشمس الدين، أبي العباس، أحمد بن محمد بن خلكان، ت ٦٨١هـ.

٣٩ ـ سير النبلاء: للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ.

٤٠ ـ مفتاح دار السعادة: لابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، ت ٧٥١هـ.

٤١ ـ شرح الجهورية.

٤٢ ـ الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم، وقد طبع باسم «الغيث المسجم في شرح...».

٤٣ ـ الوافي بالوفيات: جميعها. لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، ت ٧٦٤هـ.

٤٤ ـ ديوان *ابن نباتة المصري*.

٤٥ ـ سرح العيون في شرح رسالة *ابن زيدون*: كلاهما لجمال الدين، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن نباتة المصري، ت ٧٦٨هـ.

٤٦ ـ حياة الحيوان الكبرى: لكمال الدين الدميري، ت ٨٠٨هـ.

٤٧ ـ كنز العرفان في فقه القرآن: للمقداد السيوري الحلي، ت ٨٢٦هـ.

٤٨ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: لجمال الدين، أحمد بن علي الحسني المعروف بابن عنبة، ت ٨٢٨هـ.

٤٩ ـ شرح *البديعية*.

٥٠ ـ كشف اللثام عن التورية والاستخدام.

٥١ ـ خزانة الأدب: جميعها، لتقي الدين، أبي بكر علي بن محمد بن حجة الحموي، ت ٨٣٧هـ.

٥٢ ـ الخطط المقريزية المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: لأحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، ت ٨٤٥هـ.

٥٣ ـ الفصول المهمة في فضائل الاثنى عشر الأئمة: لعلي بن محمد بن أحمد المكي، ابن الصباغ المالكي، ت ٨٥٥هـ.

٥٤ ـ معجم ابن فهد: لعمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير القرشي الهاشمي المكي، ت ٨٨٥هـ.

٥٥ ـ تذكرة أولي الألباب: لداود بن عمر الأنطاكي، ت ١٠٠٨هـ.

٥٦ ـ الكشكول: لبهاء الدين، محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، ت ١٠٣١هـ.

٥٧ ـ ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، ت ١٠٦٩هـ.

٥٨ ـ قلائد الجواهر من شعر الحسن بن علي بن جابر، وهو (ديوان الهبل)، ت ١٠٧٩هـ.

٥٩ ـ سمط اللآل في شعراء الآل: لأبي الحسن إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم الحسني الطالبي، ت ١٠٨٠هـ.

٦٠ ـ أنوار الربيع في شرح أنواع البديع.

٦١ ـ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: كلاهما، للسيد علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين الحسيني المدني، ابن معصوم، ت ١١٢٠هـ.

تقاريظ الكتاب:

وقد قرظ الكتاب وأثنى عليه عدد كبير من العلماء والأدباء، ومنهم:

- السيد جمال الدين، هاشم بن يحيى الحسني الصنعاني المعروف بالشامي، نثراً ونظماً. وقد أوردهما المؤلف في ترجمته.
- السيد الإمام المنصور بالله، أبو محمد، يوسف بن المتوكل على الله أبي علي، إسماعيل بن الإمام المنصور القاسم، وقد كتبه بخطّه على نسخة الكتاب، كما ذكر في ترجمته.
- القاضي جمال الدين علي بن صالح بن أبي الرجال، وقد كتبه بخطه على نسخة المؤلف الثانية، وهو مؤرخ في ذي الحجة سنة ١١١٩هـ.
- القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي الشبامي ـ انظر التقريظ ضمن ترجمته برقم ٢١ ـ .

إضافة إلى العدد الآخر مِمَّنْ قرظوه ضمن ترجمتهم للمؤلف، أو عند ذكر مصنفات كتب الأدب. . .

النسخ المخطوطة من نسمة السحر:

ونظراً لأهمية الكتاب، فقد زخرت مكتبات العالم بنسخ عديدة منه في خزائنها، رغم قصر الفترة الزمنية من تأليفه حتى يومنا هذا. ومن خلال تتبعي لخزائن المخطوطات وفهارسها، فقد عرضت للقارىء الكريم تواجد بعض نسخه ومواصفاتها بما تيسّر لديَّ من المراجع وهي:

١ ـ نسخة المؤلف، وتقع في جزأين، كتبها المؤلف بخطه، ثم صارت للقاضي أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق.

٢ ـ نسخة المؤلف الثانية، وتقع في جزأين، استنسخها ـ لحساب المؤلف ـ جماعة من الورَّاقين عن النسخة السابقة، وتوارثتها عائلة المؤلف، وسيأتي الحديث عنها لكونها نسخة الأصل في تحقيقنا.

٣ ـ الجزء الأول، بخط يمني واضح، كتبه إسماعيل بن الحسين بن يحيى بن أحمد الحمزي الكوكباني نقلاً عن نسخة المؤلف، سنة ١١١٤هـ.

يقع في ٤٠٥ صفحة، ومسطرته ٢٨ سطر ١١ × ١٩ سم.

(الآصفية بحيدر آباد في الهند برقم ٤٣ تراجم).

منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الفلم ٣١٥٤[1].

٤ ـ نسخة كاملة في مجلد واحد، بخط أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن صالح المعروف بأبي الرجال، كتبها سنة ١١٢١هـ.

تقع في ٣٣٨ ورقة ومسطرتها ٣٠ سطراً.

(توبنجن بألمانيا برقم ٧٤٢٣ ـ ١٣١)[2].

٥ ـ الجزء الأول، بخط نسخي جيد مشكل، كتب يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول سنة ١١٦٣هـ.

يقع في ٢٥٣ ورقة، ومسطرته ١٩ سطراً ٣٢ × ٢٢ سم.

(المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، برقم تاريخ ٢٠٠)[3].

---

(١) فهرست المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية ـ قسم التاريخ ج٢/ ق٣/ ٢٢٠.

(٢) ن.م.

(٣) فهرست مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ٧٠٤.

٦ ـ الجزء الثاني، نسخة كتبها حسين إسحاق، يوم الأربعاء ٢٧ شهر شعبان سنة ١١٧٠هـ. وهي بخط جميل، تقع في ٤١٨ صفحة من القطع الكبير.

من مخطوطات مكتبة السيد عبد الحسين آل طعمة في كربلاء[١].

٧ ـ الجزء الأول، بخط يمني جيّد، سنة ١١٧٧هـ، كتبه القاسم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن أمير المؤمنين.

يقع في ٢٥٢ ورقة، ومسطرته ٢٤ سطراً ١٥ × ٢١ سم.

(خدابخش بتنه الهند برقم ٢٤٧٧).

منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الفلم ٣٠٨٩[٢].

٨ ـ الجزء الأول، بخط نسخي جيد حديث، في يوم الخميس ١٩ جمادى الأولى سنة ١١٩١هـ.

يقع في ٢٧٠ ورقة، ومسطرته ٢٤ سطر ٣٥ × ٢٢ سم.

(المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، برقم تاريخ ١٩٩)[٣].

٩ ـ نسخة بخط نسخي نفيس، كتبت سنة ١١٩٦هـ، قوبلت ونقلت عن نسخة منسوخة بخط المؤلف، بتاريخ شهر صفر ١١٩٧هـ. والمقابلة بخط علي محمد الأمير وتوقيعه.

(المكتبة الغربية بالجامع بصنعاء، برقم تاريخ ١٩٨)[٤].

١٠ ـ الجزء الثاني، مكتوب بخط يمني من القرن الثاني عشر، يقع في ٥٦٠ صفحة، ومسطرته ٢٥ سطراً ١١ × ١٩ سم.

(الآصفية بحيدر آباد في الهند، برقم ٤٤ تراجم).

منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الفلم ٣١٥٤[٥].

---

(١) مخطوطات كربلاء ٨٦.

(٢) فهرست المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية ـ قسم التاريخ ق٣/ ج٢/ ٢٢٠.

(٣) فهرست مخطوطات المكتبة الغربية ٧٠٤.

(٤) ن. م.

(٥) فهرست المخطوطات المصورة ن. ص.

١١ ـ الجزء الثاني، بقلم يمني معتاد، مكتوب في القرن الثاني عشر، يقع في ٢٧٥ ورقة، ومسطرته ٢٥ سطراً ١٥ × ٢١ سم.

(خدابخش بتنه الهند برقم ٢٤٧٨).

منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الفلم ٣٠٨٩[١].

١٢ ـ الجزء الثاني، نسخة منه تقع بـ ٤٨١ صفحة كتبت سنة ١١٨٩هـ محفوظة بمكتبة السيد يحيى بن محمد بن عباس الوجيه باليمن.

١٣ ـ الجزء الثاني، بقلم نسخي متوسط، كتبت في يوم السبت ١٣ شهر محرم ١٢١٥هـ.

يقع في ١٥٨ ورقة، ومسطرته ٢٨ سطراً ٢٣ × ١٦ سم.

(المكتبة الغربية، برقم ٢٠١)[٢].

١٤ ـ الجزء الثاني، بخط الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى آل كاشف الغطاء، بتاريخ ٧ محرم ١٣٢٤هـ.

(مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف، برقم ٧٦).

منه نسخة مصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة، برقم مصورات [٣].

١٥ ـ الجزء الثاني، كتب في ٦ جمادى الثانية ١٣٢٤هـ/ تموز ١٩٠٦.

(جامعة كامبردج ـ مكتبة برلين، برقم ٧٤٢٣)[٤].

١٦ ـ الجزء الأول، بخط محمد بن أحمد بن عبدان الثور. كتب في يوم الخميس ٧ شهر محرم سنة ١٣٥١هـ. مسطرته ١٨ × ٢٥ سم.

---

(١) فهرست المخطوطات المصورة ن.ص.

(٢) فهرست مخطوطات المكتبة الغربية ٧٠٤.

(٣) شعراء الحلة ط٢/ ٢هـ/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠، فهرست المخطوطات المصورة في مكتبة الإمام الحكيم بالنجف.

(٤) فهرست مكتبة برلين، المجلد ٦/٥٠٢ ـ ٥٠٣، بروكلمان ٢/٤٠٣، المخطوطات الشيعية في مجموعة ادوارد براون، مجلة الموسم الهولندية.

(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٧/٢٣٨.

(٦) فهرست المخطوطات المصورة في معهد المخطوطات العربية، قسم التاريخ، ج٢/ ق١/ ٢٧٨، ٢/٣٢، ٣/٣٢١.

(دار الكتب المصرية، برقم ٨٣١٨ أدب، ٥٢٧ق)[١].

منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية، رقم الفلم ٢١٠[٢].

نسخة أخرى منه مصورة في مكتبة الإمام الحكيم بالنجف برقم مصورات)[٣].

نسخة أخرى منه في مكتبة آل كاشف الغطاء بالنجف برقم ٨٩[٤].

١٧ ـ نسخة كاملة، بخط محمد بن أحمد الثور سنة ١٣٥٢هـ، تقع في ٥٦٢ صفحة قياس ٢٤ × ١٨ سم.

من مخطوطات مصلحة الآثار العامة المخزونة في جامع السيدة أروى بنت أحمد بصنعاء، وهي من مخطوطات عائلة آل حميد الدين[٥].

١٨ ـ الجزء الأول، كتبه عبد الله بن محمد حسين التبريزي في النجف على حساب السيد محسن الأمين العاملي في شهر جمادى الثاني سنة ١٣٥٣هـ.

نسخة مصورة منه في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف برقم ٢١٤٩/٨.

منقولة على نسخة دار الكتب المصرية المذكورة بتسلسل ١٥.

١٩ ـ الجزء الثاني، كتبه عبد الله بن محمد حسين التبريزي في النجف على حساب السيد محسن الأمين العاملي، في شهر جمادى الثاني سنة ١٣٥٣هـ.

نسخة مصورة منه في مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف، برقم ٢١٥٠/٢.

منقولة على نسخة الشيخ علي بن محمد رضا كاشف الغطاء، المذكورة بتسلسل ١٣.

---

(١) فهرست المخطوطات المصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف.

(٢) شعراء الحلة ط٢/ ٢/هـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(٣) نفائس خطية من اليمن، بقلم حميد مجيد هدو، مجلة المورد البغدادية مج١ لسنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ع٣ و٤/ ٢٠١، مخطوطات عربية من صنعاء، للكاتب نفسه، مجلة المورد البغدادية مج٣ لسنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ع٢/ ٢٨٠.

٢٠ ـ الجزء الثاني، كتبه عبدالرزاق فليح البغدادي، على حساب عباس العزاوي المحامي، في آذار ١٩٣٨م. يقع في ١٣٣٤ صفحة بقطع الوزيري.
منقولة على نسخة السيد عبد الحسين آل طعمة، المذكورة بتسلسل ٦.
محفوظة في دار الآثار للمخطوطات ببغداد برقم ١١٥١٧.

٢١ ـ نسخة كاملة، كتبها الشيخ محمد السماوي.
كانت من مخطوطات مكتبة الشيخ محمد رضا فرج الله بالنجف الأشرف[١]، وقد استفاد منها الأستاذ محمد جميل شلش في مصادر دراسته برسالته (الحماسة في شعر الشريف الرضي)[٢].
ثم بيعت مكتبة الشيخ فرج الله بعد وفاة ابنه الشيخ جعفر، ولست أدري أين استقرت هذه النسخة؟

٢٢ ـ نسخة خزانة الدكتور حسين علي محفوظ في الكاظمية.
ذكرها عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين ١٣/ ٣٤٣[٣].
كما صنع الشيخ أغابزرك الطهراني فهرساً للنسمة أسماه: «نزهة البصر في فهرس نسمة السحر» وعدّد فيه المترجمين في الجزء الأول ١١٢، وفي الثاني ٨٥ والمجموع ١٩٧ رجلاً[٤].

---

(١) شعراء الحلة ط٢/ ٢/ هـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٢) الحماسة في شعر الشريف الرضي.
(٣) سألت فضيلة الأستاذ الدكتور محفوظ عن هذه النسخة، فذكر أن ما عنده هو فهرست وملاحظات نقلها عن النسمة، حسب حاجته، وليس نسخة كما ذكر.
(٤) الذريعة ٨/ قسم الرجال.
والواقع أن المترجمين في الجزء الأول ٨٦، وفي الثاني ١١٢، والمجموع ١٩٨ رجلاً.
اعتمدت في كتابة هذه المقدمة على المصادر التالية، إضافة إلى قائمة مصادر ترجمة المؤلف المذكورة في نهاية ترجمته:
الذريعة ٢٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥، فهرست المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية ـ قسم التاريخ ـ إعداد عبد البديع وفؤاد سيد، فهرست مكتبة برلين المجلد ٦، المخطوطات الشيعية في مجموعة ادوارد براون، مع الموسم الهولندية، فهرست مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء اعداد أحمد محمد عيسوي ومحمد سعيد المليح ط القاهرة ـ مصر ١٩٧٨، شعراء الحلة ط٢/ ٢/هـ ٤٤٩ ـ ٤٥٠، مع مخطوطة نسمة السحر للصنعاني بقلم طه هاشم محمد، مجلة البلاغ الكاظمية السنة ٥/ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ع٩/ ٥٧ ـ ٦٠، الآثار المخطوطة في النجف بقلم علي الخاقاني. مجلة الأقلام البغدادية، السنة ١/ع ٤.

وهناك «مختصر نسمة السحر» ورد في كتاب مراجع تاريخ اليمن.

النسخ المعتمدة في تحقيق المجلد الأول:

اعتمدت في عملي بتحقيق المجلد الأول على ثلاث نسخ هي:

١ ـ نسخة المؤلف الثانية والتي ورد وصفها بتسلسل ٢.

وعليها تملك المؤلف، ثم تملك إسماعيل بن صالح بن عبد الله بالشراء، ثم المحسن بن الحسين في رمضان ١١٣٣، ثم بيعها من قبل زكية بنت المحسن بن الحسين بن أمير المؤمنين على إسماعيل بن صالح بن عبد الله ثانية في رمضان ١١٤٩، ثم تملك الصادق بن أمير المؤمنين المهدي سنة ١١٩٢هـ.

وفي بداية النسخة تقريظ للقاضي جمال الدين علي بن صالح بن أبي الرجال مؤرخ في ذي الحجة سنة ١١١٩هـ.

النسخة محفوظة في المكتبة الوطنية باستانبول، رقمها ٢٣٩٣.

منها نسخة مصورة يحتفظ بها سماحة العلامة المحقق السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان في النجف الأشرف، تفضل مشكوراً بإعارتنا إياها فكانت الأساس في عملنا، وقد أشرت إليها بنسخة الأصل، ورمزت لها بحرف ـ أ ـ.

٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية، المذكورة في نسخ النسمة بتسلسل ١٥، وقد تفضل مشكوراً السيد جواد الحكيم مدير مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف بتقديم نسخة مصورة، جعلتها مرادفاً للنسخة السابقة.

وقد رمزت لها بحرف ـ ب ـ.

٣ ـ نسخة السيد محسن الأمين العاملي ـ المذكورة في نسخ النسمة بتسلسل ١٧.

وقد تفضل مشكوراً الأستاذ علي جهاد الحساني مدير مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف بتصوير نسخة منها.

وقد رمزت لها بحرف ـ ج ـ.

جزاهم الله خير الجزاء.

النسخ المعتمدة في تحقيق المجلد الثاني:

اعتمدت في عملي بتحقيق المجلد الثاني على ثلاث نسخ هي:

١ ـ نسخة المؤلف الثانية والتي ورد وصفها بتسلسل ٢.

وعليها عبارة: «في ملك مؤلفه الفقير إلى كرم الله يوسف بن يحيى، استنسخه بخط جماعة من الوراقين من نسخته الأصل التي صارت للقاضي العالم أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق رحمه الله تعالى».

وفي آخر هذا المجلد قصيدة للعلامة الوجيه عبدالرحمن بن يحيى...

النسخة محفوظة في المكتبة الوطنية باستانبول، رقمها ٢٣٩٣.

منه نسخة مصورة يحتفظ بها سماحة العلامة الثبت السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان في النجف الأشرف، تفضل مشكوراً بإعارتنا إياها، فكانت الأساس في عملنا، وقد أشرت إليها بنسخة الأصل، ورمزت لها بحرف ـ أ ـ.

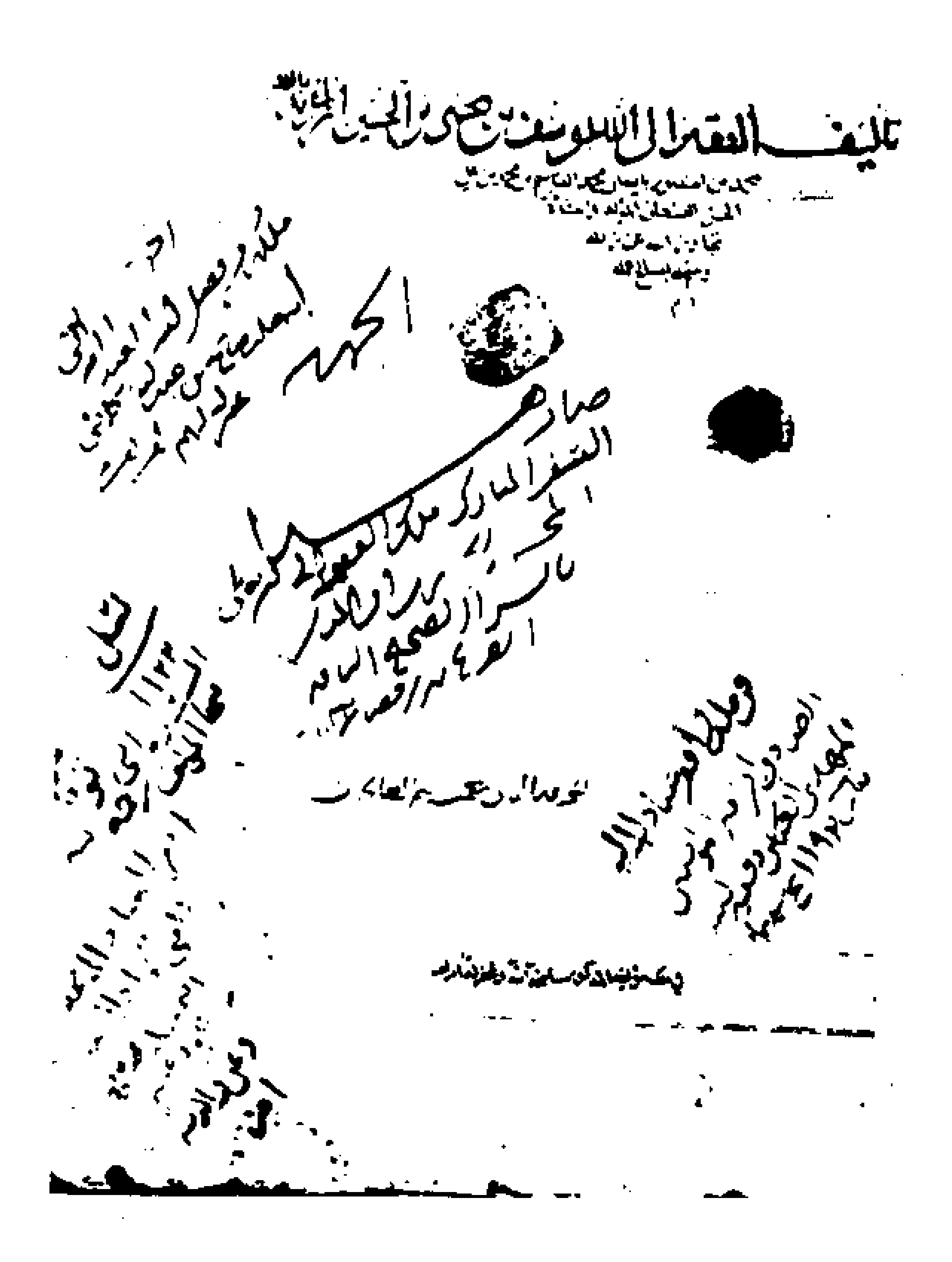
٢ ـ نسخة الشيخ علي آل كاشف الغطاء ـ صاحب الحصون ـ المذكورة بتسلسل ١٣ في نسخ النسمة.

وقد تفضل السيد جواد الحكيم مدير مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف بتقديم نسخة مصورة، جعلتها مرادفاً للنسخة السابقة.

وقد رمزت لها بحرف ـ ب ـ.

٣ ـ نسخة دار الآثار للمخطوطات ببغداد وهي نسخة المحامي عباس العزاوي المذكورة بتسلسل ١٩ في نسخ النسمة.

وقد رمزت لها بحرف ـ ج ـ.



المجلد الأول/ صفحة العنوان من نسخة الأصل ـ ١ ـ

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم

المجلد الأول/ الصفحة الأولى من نسخة الأصل ـ أ ـ.

انتهى الجزء الأول من نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر

المجلد الأول/ الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل ـ أ ـ.

كتاب نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر

تأليف الشيخ الأديب الفاضل الكامل [illegible]

ضياء الآل [illegible] يوسف بن يحيى بن الحسين

[illegible] المؤيد بالله [illegible] ابن الإمام المنصور بالله [illegible]

[illegible] الحسني الصنعاني [illegible]

المتوفى بصنعاء سنة [illegible]

إحدى وعشرين ومائة وألف

رحمه الله [illegible]

آمين

بعناية [illegible] السيد [illegible] العلامة [illegible] الكمال

محمد بن محمد بن يحيى زبارة حفظه الله [illegible]

سنة 1351

المجلد الأول/ صفحة العنوان من نسخة دار الكتب المصرية ـ ب ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن يا كريم نحمد الله

الذي [illegible] بالادب من اتباع [illegible] المنطق وجعل لهم عصابته

قافية لحبيبه الذي ختمه بالسحر او التقصير [illegible] عن مرفوع [illegible] معترف من

بحر فضله المديد البسيط معترف [illegible] بالتقصير والله على [illegible]

[illegible] المنسجمة والسلام المطابق [illegible] اصدق قائل واصدق ناطق ابي القاسم

المبعوث الى الامة القائل ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة وآله الذين

انتظم بهم [illegible] بيت [illegible] اقرب وحالت [illegible] النسيم [illegible]

ما انتشى البان [illegible] السحر [illegible] الاغصان [illegible]

[illegible] الاعواد [illegible]

[illegible] الله [illegible] العربية [illegible] وجاريت بالفصحة

السليمة [illegible] بالادب [illegible]

بالسحر [illegible] القلوب [illegible] البياض

في [illegible] منهما [illegible]

[illegible] من الربيع والزهر [illegible] من [illegible]

وللحلي [illegible] عقود [illegible]

وما خلق [illegible] العاذل [illegible] وطرق [illegible] عندها

[illegible] بالسماء والطارق [illegible] كتب الفضلاء السلف الاعيان

التي [illegible]

على [illegible] ان [illegible] الانسان وان

[illegible] حديث [illegible] وان اولئك [illegible]

[illegible] الرجال بلسان [illegible] ونسبوا [illegible]

[illegible] جماعة [illegible]

[illegible] البيان [illegible]

[illegible] الادب [illegible]

[illegible] عالم [illegible] من تقدم [illegible]

في العصر [illegible] من [illegible]

المجلد الأول/ الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب المصرية ـ ب ـ.

الاحنف بن قيس التميمي

(٥٣٥)

وتوفي بالكوفة وهو مع مصعب بن الزبير سنة سبع او ثمان وستين
من الهجرة رحمه الله تعالى وقيل انه مضى [illegible] وحكى ابن يونس في تاريخ مصر
المختص بالغرباء ان عتبة بن ابي معيط قال كنت ممن نزل في قبر الاحنف
فلما سويته رايته قد فسح له مد بصري وكان رستاق بضم الراء المهملة
والتاء المثناة والالف والراء والسين المهملة الى [illegible] المثناة الفوقية بعد الالف
ثم نون اقليم متسع من [illegible]
بلاد [illegible] حسبنا الله تعالى نستغفره ونتوب اليه مما طغى
به القلم انه هو التواب الرحيم لا اله الا هو واليه المصير انتهى
الجزء الاول [illegible]
منها [illegible] بخط جامعه
العبد الفقير يوسف بن يحيى بن الحسين
ابن المؤيد بالله محمد ابن المنصور بالله
غفر الله له ولوالديه [illegible]
والحق الفراغ من [illegible]
[illegible]
[illegible] الله
[illegible]

[illegible]
[illegible]
على [illegible]
بعنايته [illegible]

اعذر [illegible] ، [illegible] ،
واعلم بان الخط [illegible] ، [illegible] ،
فاذا ابان عن المعاني لم يكن ، [illegible] الا زيادة شرطه ،

المجلد الأول/ الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية ـ ب ـ.

نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر

للسيد يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد
بالله محمد بن القاسم بن محمد الحسني
اليماني الصنعاني المتوفى
سنة ١١٢١ هجرية

استنسخه لنفسه العبد الفقير إلى عفو ربه
الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم
الأمين الحسيني العاملي
الشقرائي نزيل دمشق
الشام عفى الله
عنه

المجلد الأول/ صفحة العنوان من نسخة الأمين -ج-.

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن بالكرم

الحمد لله الذي أشعر شيعة نبيه الأدب من كتابه المطلوب وجعلهم عصابة ناصرة
لحبيبه الذي خصه بالشعراء والقصص في سفر من قوم جد معترف من عجز فضله المديد
البسيط معترف بالجلة بالضمير بأنه على كل شيء محيط والصلاة المنتهية والسلام الأطيب
على أنصح قائل وأصدق ناطق أبي القاسم المبعوث إلى الأمة القائل إن من البيان لسحرا
وإن من الشعر لحكمة وآله الذين انتظم بهم وبه بيت المجد فأقوى وما كنت غلا منهم النسيم
وأعلامهم رضوى ما انتشى البان من نسمة السحر تأود وما رقى خطيب الأغصان فنصح
أوراقه وحرك الأعواد قال مؤلفه يوسف بن يحيى الحسيني بن المؤيد عفى الله عنه إني لم
أزل منذ رفعت التمائم وعافت التمائم وجاريت بالفكرة السليمة عليلات النسائم ذا
ولع بالأدب ولا ولع النسيم بأنه الحرها وكلف بالشعر العجيب كالقلوب كالمهيار طبعا فأبرحت
راقعا من سواده على البياض في الحدق ملقا منه بأصواه الأمن ذهب العقد وارق
أجد في كل فصل منه ما هو أفضل من الربيع وأكرم من جعفر وأشهى من الحديث الفواح
إلى القلوب وأسحر بالحلي بفكري سكر المكر وعلق وأنفق لي منه ديباج زينة تحدث
وما علق لا رفت التاريخ ملازمة العاذل للعاشق وطرف فكري منه ماسما فيه ذا
فعوذته بالسماء والطارق ورأيت كتب الفضلاء السالفة لأعيانه التي عدموها لنا بما
يروج نظيرا على صفحات الزمان وعلت بأثره مناقبه على مر ... ان من درر أخبار من قبله
أعمارا إلى عمر وإن الإنسان وإن تقدم حديث والدهر وإن نطلبه نفسنا من ... خبث
وإن أولئك النبلاء تمرضوا للتمييز رجال لسان القلم وحصوا بارتفاع همم كل ...
إليهم من البيان ما رأيت إلى علم ... نوع في خلدك أن أجمع جماعة تقدموا في هذه الصناعة وتفرقت
أعصارهم ... لأدب ديناهم مع الجماعة وخصصت في ... أهل كل تشيع بولاية الوصي عام قد

فيه

المجلد الأول/ الصفحة الأولى من نسخة الأمين - ج -.

فيها سويته رائق تدفع له مديحه وطهمارستان بفتح الطاء المهملة والهاء
المعجمة والألف والراء والسين المهملة الساكنة والنون والتاء المثناة الفوقية بعدها ألف
ثم نون الميم مفتوح من وراء نهر جيحون ما بينه وبين الصغد ويرحل بلاد
أعيا لمله وحسبنا الله تعالى ونستغفره ونتوب إليه عما خفي به القلم إنه هو
التواب الرحيم لا إله إلا هو وإليه المصير انتهى الجزء الأول من نسمة السحر
بذكر من تشيع وشعر قال في الأم المنقول منها هذا قال في الأم ومن أثناء
حرف الجيم إلى هنا بخط جامعه العبد الفقير يوسف بن يحيى بن الحسين ابن المؤيد
بالله محمد بن المنصور بالله غفر الله له ولوالديه ولمن سامحه وأقول وكان الفراغ من
زبر هذا آخر نهار الخميس ٧ شهر محرم الحرام سنة ... بقلم العبد الفقير
إلى مولاه الغني محمد بن أحمد بن عبد الله الشور غفر الله لهم ...
الحجة بالله تعالى في ظل مولانا ... أمير المؤمنين المتوكل على الله
رب العالمين يحيى بن محمد حميد الدين حفظه الله تعالى وبالله
وعمره ...
الإسلام ...
تعالى ...

أعذر أخاك على هنات الخط ... إن كان مقترنا بجودة ضبطه

واعلم بأن الخط ليس يراد من ... تحريره إلا تبين ضبطه

فإذا أبان عن المعاني لم يكن ... تحسينه إلا زيادة شرطه

كتبه ابن محمد حسن عبد الله ... في الحري

... سنة

١٣٤٣

المجلد الأول/ الصفحة الأخيرة من نسخة الأمين - ج -.

الثاني من نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر

تأليف الفقير إلى الله يوسف بن يحيى بن الحسين

بن المؤيد بن أمير المؤمنين القاسم

الحسني عفا الله

عن ذنوبه بكرمه

[illegible]

[illegible]

المجلد الثاني/ صفحة العنوان من نسخة الأصل ـ أ ـ.

المجلد الثاني/ الصفحة الأولى من نسخة الأصل ـ ١ ـ.

المجلد الثاني/ الصفحة الأخيرة من نسخة الأصل ـ أ ـ.

المجلد الثاني/ صفحة العنوان من نسخة كاشف الغطاء ـ ب ـ.

المجلد الثاني/ الصفحة الأولى من نسخة كاشف الغطاء ـ ب ـ.

كالذي جعل عليه واستغفر الله العظيم من الرياء والسمعة

و[illegible] الابتهج الملك السلطان [illegible] المغفرة و[illegible]

ما نسخه في ثالث عشر رمضان سنة أحد عشر ومائتين وألف

وكان استنساخه على يد الحقير الفقير المعترف بالذنب

والمقصر علي بن محمد الرضا بن موسى بن جعفر بن خضر

النجفي الغروي في ظهر يوم السبت سابع شهر محرم الحرام من

سنة الألف والثلاثمائة وأربع والعشرين من هجرة

سيد المرسلين عليه صلوات الله والملائكة أجمعين

في النجف [illegible] استغفر الله لي ولوالديه ولكافة المؤمنين

المجلد الثاني/ الصفحة الأخيرة من نسخة كاشف الغطاء ـ ب ـ.

الجزء الثاني من نسمة السحر
في ذكر من تشيع وشعر
تأليف السيد البليغ الناظم الناثر
الحاوي لرتب العلا والمفاخر
ضياء الدين يوسف بن يحيى
ابن الحسين بن المؤيد بالله
ابن الامام المنصور بالله
القسم بن محمد بن علي
عادت بركاته
آمين

أمر بجمعه مولانا امير المؤمنين الحامي حمى الدين
المقتفي آثار سلفه الصالحين الناشئ
في طاعة رضا رب العالمين المهدي
لدين الله العباس بن امير المؤمنين
المنصور بالله خلد الله ملكه
وجدد سعده آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

المجلد الثاني / صفحة العنوان من نسخة العزاوي - ج -.

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الطاء المهملة

الملك الصَالح أبو الغارات طلائع بن رُزّيك

طلائع بن رُزّيك

ويلقب ايضا فارس المسلمين نصير الدين. فاضل اجتمعت فيه متفرقات المحاسن. فكأن ينظم اللؤلؤ في أجياد ظبا المعاني نظمه المرّان، في أسود الجواش بهمة لا يطيقها المريخ وان علا، وفضل يقصر مقول سحبان وان غلا، وجود يكسو خدّه الغمام حمرة. ويجعل الحياء ابنة اذا أرسل العبرة، وعلم موشع بالادب. توشيع العقود بالذهب، وكان فاضلاً عالماً حسن السياسة، جواداً شجاعاً شاعراً مجيداً. وله كل معنى بديع وله ديوان شعر. وقال احمد بن علي المقريزي في أخباره

مجلد الثاني/ الصفحة الأولى من نسخة العزاوي - ج -.

للنفس اسكني من غيرهم فاولئك الملاء ١٠

فدع كل صوت بعد صوتي فانني *

* انا الصائح المحكي والاخر الصدى

هذا فهم عرفت . فاما من عن غباوة عنه

صدفت . فغوق كل ذي علم عليم . واستغفر الله

العظيم من الزيادة ، والنقصان

وكتب ما لا يحبه الملك السلطان

انه ولي المغفرة . وكان الفراغ منه

في ثالث عشر رجب

سنة ١١١١

وافق الفراغ من ذلك نهار الاربعا لعله

٢٧ من شهر شعبان ١١٧٠

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وسلم تسليما

كتبه الفقير الى رحمة ربه . حسين بن اسحق

غفر الله له آمين

استكتبه نعيم الفضل عباس زاده الخطاط وانا المهتدي عباس

العزاوي وقابلته في آذار ١٩٢٨

المجلد الثاني/ الصفحة الأخيرة من نسخة العزاوي ـ ج ـ.

منهجي في التحقيق:

١ ـ صححت الأخطاء التي وقفت عليها مهما كان منشؤها، وأشرت إلى ذلك في الهامش.

٢ ـ حفاظاً على الأمانة العلمية فقد أبقيت النص كاملاً دون حذف حرف واحد، بما في ذلك من المجون والأدب المكشوف، فلم أشأ أن أحذف شيئاً منه كما يفعل بعض المحققين والناشرين، تحرجاً منهم وتأثماً وحرصاً على مكارم الأخلاق، هكذا هو ظنهم. إني لم أؤلف وإنما حققت نصّاً كتبه صاحبه في زمن كان فيه الناس أشدّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه، فلم يكن من حقي أن أتصرف في كتب الناس، فيجيئوا يوم الحساب يتعلقون بمن ظلمهمْ يجادلونه عن أنفسهم، والله يعلم بما في الضمائر.

٣ ـ قابلت النصوص مع أُصولها على قدر المتيسّر، وأقصد بالأُصول المصادر التي اقتبس المؤلف منها تلك النصوص وأشرت إلى مواضعها، ولم أشِر إلى كل الاختلافات بين النصوص، لأن المؤلف تصرّف واقتبس واختصر مع محافظته على المعنى، أما إذا كان ما في الكتاب يخلُّ بالمعنى من جراء تصحيف أو تحريف فقد أثبت مكانه الصحيح وأشرت إلى ذلك في الهامش أيضاً، وما أضفت إليه وضعته بين معقوفين.

٤ ـ بالرغم من أن نسخة الأصل جيّدة الخط، واضحة الكتابة، فإن بعض الكلمات فيها كانت مطموسة وأخرى غير واضحة، اهتديت إلى قراءتها بواسطة مقابلتي للنسختين ب، ج، ومع هذا فإن ناسخي ب وج لم يهتديا

لقراءة بعضها فرسموها كما هي، وأنا الآخر أبقيتها كما هي وأشرت إليها بالهامش بعبارة «كذا في الأصل».

٥ ـ قمت في بداية العمل بتفسير كل لفظة يفتقر إلى معرفتها المبتدئون، ثم عدلت عن ذلك واقتصرت على تفسير الألفاظ التي ربما وقف عندها الكثير من القرّاء.

٦ ـ ترجمت في بداية الأمر كل عَلَم من أعلام الكتاب، وعرّفت كل كتاب، وكل موضع ورد ذكره في الكتاب، ولما رأيت أن التراجم والتعريفات والشروح قد أثقلت الكتاب وطغت عليه طغياناً بحيث أفقدته مزيّته فقد ألغيتها واكتفيت بوضع قائمة بمصادر ترجمة كل شاعر ممن ترجمهم المؤلف، وترجمت مختصراً لكل شخص استشهد المؤلف بشيء من شعره، وذكرت معظم المصادر التي ترجمت لذلك الشخص. كما عرّفت ببعض الشخصيات التي وردت اسماؤها ضمن الحوادث والأخبار التأريخية أو المجالس الأدبية بما تيسر لي عنها، معوّلاً في الأعم على كتاب الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لكحالة، وهوامش كتاب أنوار الربيع لابن معصوم، لأن في هذه الكتب تراجم مختصرة تفي بالغرض، وفي عقب كل ترجمة قائمة بالمصادر التي ترجمت لذلك العلم.

٧ ـ عند تعذّر معرفة الشاعر أما لورود لقبه فقط، أو كنيته لوحدها، أو بسبب تصحيف اسمه، أو لقلة المصادر المتوفرة لدي، توقفت عن ترجمته ريثما أعثر عليها، ولئلا يكون ذلك التنقيب والتباطؤ في العمل عقبة في توقف إنجاز الكتاب وتهيئته للطبع، وأرجأت بعض التراجم لإثباتها ـ عند العثور عليها ـ في الطبعة الأخرى إن شاء الله.

٨ ـ قمت بتحريك بعض المقطوعات الشعرية، وذكرت وزنها الشعري بما تيسّر لي وجعلته بين معقوفين.

٩ ـ استعملت في الهوامش الرموز التالية، إضافة إلى رموز النسخ التي ذكرتها عند موضوع (النسخ المعتمدة في التحقيق):

خ: مخطوط.

مج: المجلد.

ط: الطبعة، محل الطبع.
ع: العدد.
ص: الصفحة.
د ت: بدون تاريخ.

شكر وتقدير:

لا يسعني إلاّ أن أسجّل شكري وامتناني لجميع من ساهم وأعان على تحصيل أصول الكتاب وتصوير مخطوطاته وتقديم مراجع تحقيقه، وأخصّ منهم بالذكر:

- سيدي العلامة المحقق الثبت، حجة الإسلام السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان ـ النجف الأشرف.
- الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي ـ مدير دار الآثار للمخطوطات ـ بغداد.
- الأستاذ علي جهاد الحساني ـ مدير مكتبه الإمام أمير المؤمنينعليه‌السلام العامة ـ النجف الأشرف.
- السيد جواد الحكيم ـ مدير مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف.
- العلامة الجليل، حجة الإسلام الشيخ باقر شريف القرشي مؤسس مكتبة الإمام الحسنعليه‌السلام العامة في النجف الأشرف.

ولكافة العاملين في هذه المؤسسات الكريمة.

سائلاً العلي القدير لهم ولي ولسائر العاملين في حقل إحياء التراث والمعرفة، كل توفيق وعون وتسديد.

وختاماً؛

سيدي القاريء الكريم

بالوقت الذي أعترف فيه بقصوري عن أن أقدم لك عملاً متكاملاً، فهذا «نسمة السحر» بين يديك، يسعدني ـ وأيم الحق ـ إني بذلت في سبيل إخراجه بهذا الشكل وعلى هذه الصورة جهداً مضنياً لا يقدره إلاّ من مارس أمثال هذه الأعمال، ورحم الله القائل:

«لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده».

وكل الذي أطمعني فيه من كرمك، أن لا تحرمني من دعواتك إلى الله سبحانه وتعالى بأن يعينني على تحقيق بعض المراجع المخطوطة من تراثنا، وأن يرزقني وإيّاك حسن العاقبة في الدارين، ويجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم.

كما أرجو منك ـ يا سيدي ـ التجاوز عما تلمسه من هفوات، وأخالها قليلة بالنسبة لجسامة العمل، وحسبي إني كنت مخلصاً في عملي.

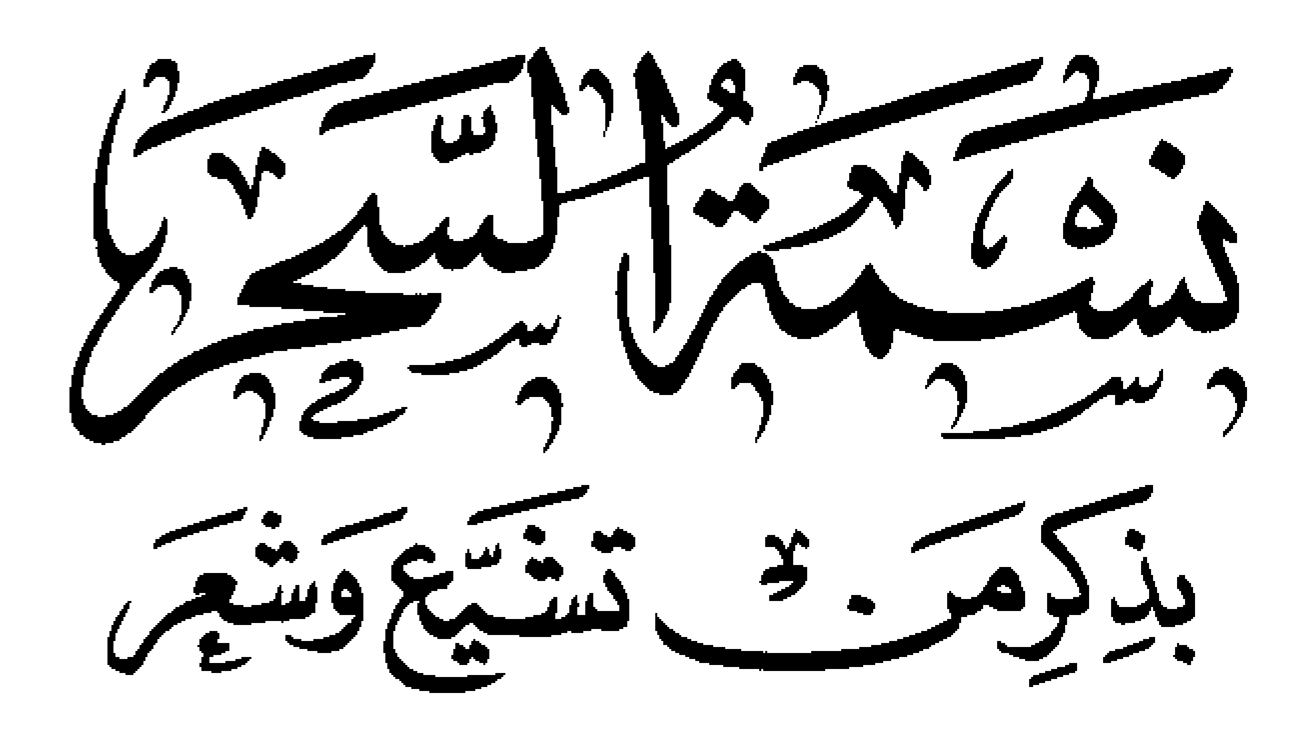
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل. .

العراق ـ الكوفة **كامل سلمان الجبوري**

في يوم الخميس ١٧ ربيع الأول ١٤١٩هـ

١١ حزيران ١٩٩٨م



وهو الجزء الأول

تاليف
الفقير إلى الله
يوسف بن يحيى بن الحسين المؤيد بالله
محمد بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن
محمد بن علي الحسني الصنعاني المولد
والنشأة

تجاوز الله عن زلله، وختم له بصالح عمله
في مُلك مؤلفه المذكور سامحه الله وغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الذي أشعر شيعة الحق بالأدب من أتّباع كتابه المنظوم، وجعلهم عصابة قافية لحبيبه الذي خصّه بالشعراء والقصص في سفر مرقوم، حمد مغترف من بحر فضله المديد البسيط، معترف بإحاطته بالضمير، والله على كل شيء محيط، والصلاة المنسجمة والسلام المطابق على أفصح قائل، وأصدق ناطق، أبي القاسم المبعوث إلى الأمة القائل: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»[1] وآله الذين انتظم بهم وبه بيت المجد فما أقوى، وحاكت خلائقهم النسيم، وأحلامهم رضوى، وما انتشى البان من نسمة السحر فماد، وما رقى خطيب الأغصان، فتصفح أوراقه وحرّك الأعواد.

قال مؤلفه، يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد عفى الله عنه: إني لم أزل منذ رزقت العزيمة وفارقت التمائم، وجاريت بالفكرة السليمة عليلات النسائم، ذا ولع بالأدب ولا ولع النسيم ببانة الجرعا، وكلف بالشعر المحبّب إلى القلوب كالدينار طبعاً، ولا برحت راتعاً من سواده على البياض في الحدق،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي، وتخريجه، وحلال الشعر وحرامه، والروايات التي ساقها في ذلك عن رسول الله ﷺ.

أيضاً انظر: زهر الآداب ١/ ٨، المزهر للسيوطي ٢/ ٢٩١، تاج العروس/ مادة (حكم).

مؤلفاً منه بما هو أحلى من ذهب الخدود وأرّق، أجد في كل فصل منه ما هو أفضل من الربيع وأكرم من جعفر، وأشهى من العيون الفواتر إلى القلوب وأسحر، ولما حلى بفكري سكّره المكرّر وعلق، وانفتح لي منه ديباج زينة تجدد وما خلق، لازمت التأريخ ملازمة العاذل للعاشق، وطرق فكري منه ما سما قدراً، فعوّذته بالسماء والطارق، ورأيت كتب الفضلاء السلف الأعيان، التي أودعوها نظاراً ما برح نظيراً على صرف الزمان، وعلمت بما مرّ لي منها فحَلا عليَّ مرّه إن من درى أخبار من قبله أضاف أعماراً إلى عمره، وإن الإنسان وإن تقدم حديث، والدهر وإن خلته نقياً مسافراً ببنيه حثيث، وإن أولئك النبلاء قد رفعوا لنا ميزان الرجال بلسان القلم، ونصبوا بارتفاع هممهم لكل مضاف إليهم من البيان ناراً على علم، فوقع في خلدي أن أجمع جماعة، تقدموا في هذه الصناعة، وتفرقت[1] أعصارهم فجمعهم الأدب، و«يد الله مع الجماعة»، وخصصت بالجمع السالم، كل متشيّع بولاية الوصي عالم، وذكرت فيه من تقدم بالفضل في العصر الأخير، ومن وقفت على عصره من نظمه عتقت فهي القديم القصير، ولم أذكر غير المشاهير، إذ لا يدخل بين الصقور العصافير، متمسكاً فيه بطيب الانصاف، رافضاً للتحامل والإعتساف، أنظر إلى ما يقول لا من يقول، مقتدياً بقول إمامي وصي الرسول: «والناس من آدم وهو من الصلصال»، والعصامي[2] لا العظامي عند الفعال.

ولا أفرد بذكر غير من هو على الشرط المقدّم، وقد أذكر تبعاً من السنيّة من صلى في حلبة القريض حتى لان له طرفه وسلم، ليجري في بحر الشيعة على الشريعة[3]، وجمعت فيه خلقاً كثيراً، ليكون لي وللأولياء روضة وغديرا، واقتصرت في الأغلب علىٰ من نظم العقود الشعرية من هذه العصابة الأدبية، إذ حصر أدباء الأولياء يُعجز كل حاصر، وكل شاعر أديب وليس كل

---

(١) في هامش الأصل بجنبها عبارة: «تأخرت».

(٢) في هامش الأصل: «ذكر الإمام أبو القاسم الزمخشري، أن الحجاج سأل رجلاً: أعصامي أنت أم عظامي؟ قال: كلاهما، أراد بالعصامي من سودته نفسه وفعاله، إشارة إلى قول عصام الباهلي للنعمان بن المنذر:

نفس عصام سوّدت عصاما وعلّمته الكرّ والأقداما

والعظامي من يفتخر بمن صار عظاماً من آبائه».

(٣) في هامش الأصل: «الشريعة: الطريق إلى النهر».

أديب شاعر، فجاء كما قلت فيه:

حوى درراً لو قلّد الأفق مثلها ... لأطفى من الشمس المنيرة عينها
إذا نظرته الخود قالت سطوره ... بني الفهم أين الفرق بيني وبينها
أليس سوادي والبياض تقارنا ... فأبطلن من سحر العقول جفونها
ولي بالمعاني ما يشابه خدّها ... ولست ملولاً للمحبين دونها
ويحملني الملك المتوّج دائماً ... إذا حملت كفّاه حيناً يمينها

ولم أحبس عنان أدهم القلم عن فائدة استطراد به لها فعل الكميت، ونادرة لا يكون لها غير القلب بيت، يرتاح لها القاري، ويحمد بها صباحه الساري «فلّذات الهوى في التنقل»، والتزام جادّة الجدّ فيه مما يثقل، فقام لنديمه مقام الراح على الأقاح، أو على الوجوه الصِباح وقت الإصطباح، وذكرت فيه النسبة إلى البلدان والعشائر، وميّزت بين الإقليم الأول والثاني إلى السابع تمييز فهم شاعر، إلاّ ما شذَّ عني نسبه أو نسبته وهو القليل، ناقلاً ذلك عن الفضلاء أهل التحصيل، فصار كما قلت:

كتاب إذا ما الشمس أكسف وجهها ... أغار محيّاها من الحسن مقياسا
ولو لمح الروض النضير جماله ... لما وصف المنثور والورد والآسا
ويسكر قاريه فيحسب ذاهلاً ... بأن رقيم الطرس يضمر شمّاسا
وإن شئت ربّ الملك أولاك قيصراً ... وإن شئت ربّ الحرب أولاك حباسا
وكم ملك سامي المحل يريكه ... نديماً وما يرضىٰ الكواكب جلاسا
وذي أدب لو تجحد الشمس فضله ... لأضحى لها وهي المنيرة طمّاسا
يحلي السها حلي الغزالة مدحه ... ويضحي لقرص الشمس بالذم بسّاسا
كتاب يعيد المرء بالأنس مسفراً ... إذا ما تلاه باسر الوجه عبّاسا

وأردت مع التبرك بذكر شيعة ذلك الإمام الآخذ بحكمة الحكيم السهروردي[1] في قوله:

---

(١) عمر بن محمد بن عبد الله بن عموية. أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي: فقيه شافعي. مفسر. واعظ من كبار الصوفية. مولده في «سهرورد» سنة ٥٣٩هـ ووفاته ببغداد سنة ٦٣٢هـ كان شيخ الشيوخ ببغداد. وأوفده الخليفة إلى عدة جهات رسولاً. وأقعد في آخر عمره، فكان يحمل إلى الجامع في محفة. له كتب، منها «عوارف المعارف ـ ط».

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبّه بالكرام فلاح

والشعر مباح، لأن النبيﷺ والأئمة المعصومين والسلف الصالح كلهم سمعوه وأقرّوه وأجازوا عليه، وقد أعطى رسول اللهﷺ كعباً[1] البردة، وحقن دمه بعد إباحته لأجل اللاّمية بل العينية، ولله درَّ بعض المصريين حيث قال:

لقد قال كعب في النبي قصيدة وقلنا عسىٰ في مدحه نتشاركُ
فإن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مباركُ

وسُمِعَ من العباس رحمه الله أبياته القافية، وكان يجيز بالكثير الطيّب مع فوز مادحه بالجنة كرماً وجوداً، وأما لئام وقتنا مع أن مادحهم في النار لكذبه ثم لا يعطونه أجرة الخط، ولا كفّارة الكذب، وأجاز الرضاؑ دعبلاً[2] وإبراهيم الصولي[3] وغيرهما كما سيأتي، وكل ذلك دليل إباحته، وكان لأمير المؤمنين

= ترجمته في:
وفيات الأعيان ١/٢٩٨، ٣٦٧ والتكملة لوفيات النقلة ـ خ الجزء التاسع والأربعون، والحوادث الجامعة ٧٤ والشذرات ٥: ١٥٣ والبداية والنهاية ١٣: ١٣٨ و١٤٣ وطبقات الشافعية ٥: ١٤٣ والكتبخانة ٧: ٣٧٠ وBrock. S. 1: 788 وOriens Vol. 6 N1، الأعلام ط٤/ ٥/ ٦٢.

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له «ديوان شعر ـ ط» كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبيّﷺ وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه «كعب» مستأمناً، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها:

«بانت سعاد فقلبي اليوم متبول»

فعفا عنه النبيّﷺ وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر وللإمام أبي سعيد السكري «شرح ديوان كعب بن زهير ـ ط» ولفؤاد البستاني «كعب بن زهير ـ ط»، توفي سنة ٢٤ وقيل ٢٦هـ.

ترجمته في:
خزانة الأدب للبغدادي ٤: ١١ و١٢ وفيه أن البردة النبوية بيعت في أيام المنصور الخليفة العباسي بأربعين ألف درهم، وبقيت في خزائن بني العباس إلى أن وصل المغول، والشعر والشعراء ٦١ وابن سلام ٢٠ وابن هشام ٣: ٣٢ وعيون الأثر ٢: ٢٠٨ والمشرق ١٤: ٤٧٠ وجمهرة أشعار العرب ١٤٨ وسمط اللآلي ٤٢١ وانظر: Brock. 1: 32 (38), S. 1: 68، الأعلام ط٤/ ٥/ ٢٢٦.
معجم الشعراء/ ٢٣٠، الأغاني ١٧/ ٨٧ ـ ٩٧، عيون الأثر ٢/٢٠٨، تاريخ آداب اللغة لزيدان ١/١٨٣، أعيان الشيعة ٤٣/١٤٦، أنوار الربيع ٢/هـ ٧٧.

(٢) انظر ترجمته تحت رقم (٧٢).

(٣) انظر ترجمته تحت رقم (١).

علي عليه السلام شعراء، منهم: أبو الأسود[1] والنجاشي[2].

وهو عند العرب غاية الفخر، ومنتهى الفضيلة، وكانوا يلقون كسرى بالسيوف كما في ذي قار ولا يلقون الشعراء إلاّ بالخضوع التام، وكانوا به يَرفعون وبه يَضعون.

قال القاضي الرشيد في الرسالة الحقيبية: إنما وضع باهلة عند العرب هجاء من هجاهم، ورفع بني غني وهو أخو باهلة من مدحه.

وعند اليونانيين من الفلاسفة: أنه قضايا تتأثر به النفس انقباضاً عند قبحه، وانبساطاً عند حسنه، ولا يشترط فيما شمله جدّهم الوزن، وإنما الشرط التخييل وتحسين الصوت مما يزيده.

والرجز، قيل: إنه من الشعر، وقيل: لا، لأن النبي ﷺ ارتجز بيتين يوم الخندق ولا يجوز أن يكون شاعراً، للآية[3].

والموشّح شيء اخترعه المغاربة ولا تعرفه العرب، ثم تبعهم أهل مصر والشام والجزيرة والعراق واليمن، إلاّ أن ما نظمه المغاربة غير ملحون بل رقيق الحواشي، وغيرهم وضع شيئاً اشترط فيه اللحن وهو حلو يشوق ويروق، ومنه الرباعيات والموّال وغير ذلك، وملاك الأمر لمن أراد التأليف تقديم حسن النيّة حتى لا يؤاخذ بقوله، ولا يراعى فيه هوى مخلوق بما يسخط الخالق، كمن لا يبالي إن ألّف لملك بما قال، فإنه يخلد قوله إن حقاً وإن كذباً، وقد ذكر أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الصوفي في الرسالة[4]: إن الجاحظ رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:

فلا تكتب بكفّك غير شيء ... يسرّك في القيامة أن تراه

وليس لملك ولا رئيس يحب تخليد الذكر والشهرة شيء أنفس ولا أبقى من الشعر، وبهذا كانت العرب تنافس فيه، واعتبر حال سيف الدولة فإنه كان بيده بعض مملكة الشام فصار بعد فنائه كأنّه حيّ خالد يعرفه العامي والسوقي، كيف

---

(١) انظر ترجمته تحت رقم (٩١).

(٢) انظر ترجمته تحت رقم (١٣٦).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين﴾ سورة يس: الآية ٦٩.

(٤) الرسالة القشيرية ٢/ ٧٢١.

غيرهما!، ثم إن من ملك أكثر المعمور ولم يُعْنَ بالشعر ولا قرب أهله كتيمورلنك وغيره من ملوك الترك، لمَّا ماتوا ماتت أخبارهم عن العالم، ولله البقاء.

وذكرت فيه من فرق الشيعة ثلاثاً: الإثنا عشرية، والإسماعيلية، والزيدية، ورجلاً أو رجلين من الكيسانية، ولم أدّع الحصر للشعراء منهم، ولا للشعر، بل أذكر ما وقفت عليه مما رقَّ وراق مع اختصار في غالبه، ومن أخبارهم ما يستملح، وبعض وفيات من مات منهم، والتزمت في كل ترجمة استعمال فقرات من السجع على سبيل التقريظ من ضوع الفكرة، وأرجو أن يكون خيراً لي في الأولى والأخرى، ببركة من ألّفته في محبته، ورتبته على حروف المعجم اقتداء بأفاضل أئمة اللغة والتأريخ، وسمّيته:

نسمة السحر
بذكر من تَشَيَّعَ وَشَعَرْ[1]

(١) في هذا الموضع من مقدمة الكتاب:
وردت التسمية: «.. في ذكر من تشيّع وشعر..» وما اثبتناه من الصفحة الأولى من الكتاب.

حرف الهمزة

[١]

أبو العباس، إبراهيم بن العباس بن صول بن بُشتكين الصولي البغدادي المولد والدار، مولى المهلب، الكاتب، الشاعر، المشهور(*).

فاضل سُخّرت له القوافي، وهو إبراهيم تسخير الرخاء لسليمان، فتلّعبَ بالمعاني الحسان تلعب الصبا بالأفنان، فاق بسحر نظامه القائلين، ولا غرو فهو من الكرام الكاتبين، وله ديوان شعر[١] وديوان رسائل، وكان كاتباً في أيام المأمون وأيام المعتصم والواثق والمتوكّل.

(*) ترجمته وأخباره في: معجم الأدباء ١/ ١٦٤، تاريخ بغداد ٦/ ١١٧، الأغاني ١٠/ ٤٢ ـ ٨٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٤ ـ ٤٧، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٤، شذرات الذهب ٢/ ١٠٢، مروج الذهب ٢/ ٢٩٩ ـ ٣٠١، سلم الوصول ٢١، الوزراء والكتاب، الأوراق، الأنساب للسمعاني، عيون أخبار الرضا ٢/ ١٤٢، معالم العلماء، الوافي بالوفيات ٥/ ٤١، الفهرست لابن النديم ١٨٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٣١٥، أمراء البيان ٢٤٤ ـ ٢٧٧، الغرر والدرر ١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٨، الكنى والألقاب ٢/ ٣٩٧، الطليعة للسماوي ـ خ ـ ترجمة رقم ٤، شعراء بغداد ١/ ٢٩ ـ ٤٣، أعيان الشيعة ٥/ ٢٧٧ ـ ٣٠٤، ٦/ ١٦ ـ ١٨، تأريخ شعراء سامراء ٨ ـ ١٤، إعتاب الكتاب ١٤٦.

(١) له ديوان شعر، تأليف أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس، بروايته ورواية أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، يقع في ٣٨ ورقة، نسخته محفوظة في دار الآثار ببغداد برقم ١٣٥٤. ونشر له العلامة الميمني ديواناً في الطرائف الأدبية ١٢٦ ـ ١٩٤.

وكان شيعياً يستعمل التقيّة في أيام المتوكل ويُعَدّ من شعراء أبي الحسن الرضا عليه السلام وله فيه أمداح أشهرها حين عهد له المأمون بالخلافة، وله قصيدة رثى فيها أبا عبد الله الحسين عليه السلام وأنشدها بين يدي الرضا عليه السلام، ولم يذكر الأصفهاني إلاّ مطلعها وهو:

أزالت عَزاءَ القلب بعد التجلُّدِ مصارعُ أبناء النبيّ محمدِ

فأجازه عنها الرضا عليه السلام بعشرة آلاف درهم مما ضربت باسمه[(١)].

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي[(٢)]، المحدث الشيعي في عيون أخبار الرضا التي صنفها للصاحب: حدثنا الحسين بن إبراهيم الباقطاني[(٣)] قال: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فنسخ له شعره في الرضا عليه السلام وقت منصرفه عن خراسان، وفيه شيء بخطه، فكانت النسخة عنده إلى أن ولي إبراهيم ديوان الضياع للمتوكل، وكان قد تباعد ما بينه وبين إبراهيم فعزله إبراهيم عن ضياع كانت بيده، وطالبه بمال وشدّد عليه، فدعا إسحاق بعض من يثق به وقال له: إمضِ إلى إبراهيم فأعلمه أن شعره في الرضا كله عندي بخطه وغير خطه، فإن لم يترك المطالبة عني لأوصلنه إلى المتوكل، فعاد الرجل إلى إبراهيم برسالته، فضاقت به الدنيا حتى أسقط عنه المطالبة، وأحرق إسحاق كل ما عنده من شعر بعد أن حلف كل منهما لصاحبه.

---

(١) الأغاني ١٠/٦٣، انظر عيون أخبار الرضا ٢/١٤٢.

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بابويه القمي، ويعرف بالشيخ الصدوق: محدث إمامي كبير، لم ير في القميين مثله، ولد سنة ٣٠٦هـ، ونزل بالري وارتفع شأنه في خراسان، وتوفي سنة ٣٨١هـ ودفن في الري. له نحو ثلاثمائة مصنف، منها «الاعتقادات ـ ط» و«من لا يحضره الفقيه ـ ط» وغيرهما.

ترجمته في:

روضات الجنات ٥٥٧ ـ ٥٦٠ والنجاشي ٢٧٦ وفهرست الطوسي ١٥٦ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٤ والذريعة ٢: ٢٢٦ و٣١٥ ثم ٧: ١٦٢ ومعجم المطبوعات ٤٣ وBrock. S. 1: 321 ودار الكتب ٥: ٢٧٥، الأعلام ط٤/ ٦/ ٢٧٤.

(٣) الباقطان: قرية بالعراق، والنسبة إليها باقطاني، وثم أيضاً قرية يقال لها باقطينا، والنسبة إليها باقطيني.

قال الباقطاني: فحدثني علي بن يحيى المنجم[1] قال: قال لي أبي، أنا كنت السفير بينهما حتى أخذت الشعر وأحرقه إبراهيم بحضرتي[2].

قال: وحدثني أحمد بن ملحان قال: كان لإبراهيم إبنان اسمهما الحسن والحسين يكنيان بأبي محمد وأبي عبد الله، فلما ولي المتوكل أسمى الأكبر إسحاقاً وكنّاه أبا محمد، وسمّى الآخر عبّاساً وكنّاه أبا الفضل، فزعاً[3].

قال أبو بكر الصولي، وهو من رهط إبراهيم: حدثني أحمد بن إسماعيل الخصيب قال: ما شرب إبراهيم بن العباس ولا موسى بن عبد الملك الأصبهاني الكاتب[4] ـ الآتي ذكره ـ النبيذ قط حتى ولي المتوكل فشرباه، فكانا يتعمدان أن يجمعا القينات والمخنثين ويشربان بين أيديهم كل يوم ثلاثاء ليشيع الخبر بشربهما[5].

وله أخبار كثيرة في توقيه، ليس هذا موضع ذكرها.

حدثني أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال: لما ولي الرضا العهد، خرج إليه إبراهيم بن العباس ودعبل[6] وأخوه رزين وكانوا لا يفترقون، فقطعت عليهم الطريق، فالتجوا إلى أن ركبوا إلى بعض المنازل حَميراً كانت تحمل الشوك، فقال إبراهيم:

---

(١) علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم: نديم المتوكل العباسي. خص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد. يفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم، ويجلس بين أيدي أسرّتهم. وكان راوية للأشعار والأخبار، شاعراً محسناً ولد سنة ٢٠١هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٧٥هـ. ورثاه عبد الله بن المعتز، له كتب، منها «أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي» و«كتاب الشعراء القدماء الإسلاميين». وكان أبوه «يحيى» فارسي الأصل، أسلم على يد المأمون.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/٣٧٣ ـ ٣٧٤ والمرزباني ٢٨٦، وسمط اللآلي ٥٢٥ وفيه من أمالي القالي: علي بن يحيى أدرك المأمون، ورثاه.

الأعلام ط٤/ ٥/ ٣١.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢/١٤٨ ـ ١٤٩، الغرر والدرر ١/ ٤٨٥.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢/١٤٩.

(٤) ترجمه المؤلف برقم (١٧٦).

(٥) عيون أخبار الرضا ٢/١٤٩.

(٦) ترجمه المؤلف برقم (٧٠).

أُعِيدَتْ بعد حَمْلِ الشَّوْ ... كِ حمالاً من الخزفِ
نَشاوَى لا من الخَمرِ ... بل من شِدَّةِ الضَّعْفِ

ثم قال لرزين: أجِزْ أنت!

فقال:

فلو كنتم على ذاك ... تصيرون إلى النّصْفِ
تَساوتْ حالُكم فيه ... ولم تَبْقَوا على الخَسْفِ

ثم قال لدعبل: أجِزْ قولنا!

فقال:

إذا فات الذي فات ... فكونوا من ذوي الظَّرْفِ
وخُفُّوا انتصف اليوم ... فإني بائعٌ خُفِّي[1]

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني: إن صولاً جد إبراهيم كان ملكاً من ملوك الترك بناحية جرجان[2] ففتح يزيد بن المهلب[3] مدينته وأسلم على

---

(١) الأغاني: ١٠/٥٩ ـ ٦٠.

(٢) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدّها من هذه وبعض يعدها من هذه، قيل: إن أول من أحدث بنائها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق كثير من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين، ولها تأريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمي، قيل هي قطعتان: إحداهما المدينة الأخرى بكرآباذ وبينهما نهر كبير يجري يحتمل أن تجري فيه السفن. «معجم البلدان ٢/١١٩».

(٣) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد سنة ٥٣هـ، ولي خراسان بعد وفاة أبيه (سنة ٨٣هـ) فمكث نحواً من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان بحرب بينه وبين أمير العراقين مسلمة بن عبد الملك في مكان يسمى (العقر) بين واسط وبغداد، سنة ١٠٢هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٦/٢٧٨ ـ ٣٠٩، وخزانة البغدادي ١: ١٠٥، والتنبيه والإشراف ٢٧٧، ورغبة الآمل ٤: ١٨٩، والجهشياري: انظر فهرسته، ومعجم ما استعجم ٩٥٠، واليعقوبي ٣: ٥٢، وابن خلدون ٣: ٦٤، ٦٩، ٧٦، وابن الأثير ٥: ٢٩، والطبري ٨: ١٥١، يقول المشرف: وفي الطبري ٦: ٣٥٤ ـ ٥، ٣٩٣: ولي خراسان سنة ٨٢ وعزل سنة ٨٥، وهبة الأيام للبديعي ٢٥٣ ـ ٢٦٧ وانظر ترجمة «الهديل بن زفر» المتقدمة في ٩: ٧٢، وفي أعمار الأعيان ـ خ، يزيد، وزياد، ومدرك بنو المهلب ابن أبي صفرة ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في سنة واحدة، وكلهم =

يده منهم موالي يزيد، وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها[1].

وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فكانا من الكُتّاب، وكان عبد الله أسَنّهما وأشدَّهما، وإبراهيم آدبهما وأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ويختاره ويسقط أوّله، ثم يسقط الوسط، ويسقط ما سبق إليه فلا يدع من القصيدة إلاّ اليسير وربما لم يَدَع إلاّ بيتاً أو بيتين، وكان إبراهيم وأخوه من صنايع ذي الرئاستين، وتَنَقّل إبراهيم في الأعمال إلى أن مات بسرّ من رأى[2].

وكان دعبل يقول: لو تكسّب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء[3].

وأخبر أبو بكر الصولي قال: انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكل فقال لنا: أنا والله مسرور بشيء، فقلت له: وما ذاك أعزّك الله؟ قال: كان أحمد بن المدبّر، رفع إلى أمير المؤمنين إن بعض عماله اقتطع مالاً وكان صادقاً فيما قال، وما كنت قد رأيت الهلال على وجه أمير المؤمنين إلاّ تلك الساعة، فدعوت له وضحك، فقال لي: إن أحمد بن المدبّر قد رفع على عاملك أنه اقتطع من المال كذا وكذا، فعلمت أنه صادق وضاقت عليَّ الحجة، وخفت أن أُحقق قوله ذلك إن اعترفت ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليَّ الغرم فعدلت عن إقامة الحجة إلى تدبير الحيلة، فقلت:

ردَّ قولي وصدَّق الأقوالا	وأطاع الوُشاةَ والعُذَّالَا
أَتُراه يكون شهرَ صدودٍ	وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فتهلل وقال: لا يكون والله كذلك، فبحياتي يا إبراهيم زد فيهما بيتين حتى يغنّى فيهما، فقلت: نعم يا سيدي، على أن يطالب صاحبي بقول أحمد، فقال

= عاش ثماني وأربعين سنة «وفي أنباء نجباء الأبناء ١٢٤ ما موجزه: «أراد المهلب أن يمتحن فطنة ولده يزيد في حال غلوميته، فقال له: يا بني ما أشد البلاء؟ قال: يا أبة معاداة العقلاء، ومسألة البخلاء، وتأمر اللوماء على الكرماء، فسر المهلب، وقال: إن بقر ت يا بني لترمين الغرض الأقصى» والأعلام ط٤/ ٨/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

(١) الأغاني ١٠/٥٢.

(٢) ن.م. ١٠/ ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) ن.م. ١٠/ ٥٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٦.

للوزير: تقبل في المال قول صاحبه، فسررت للظفر واغتممت لبطلان المال وذهابه بهذه الحيلة، ولعله قد جمع في زمن طويل وبعد تعب شديد[1].

❀ ❀ ❀

قلت: وهذا من سحر الشعر وفيه تورية من الحيلة بالشعر ما حكى محمد ابن السائب الشاعر الأنطاكي قال: كنت مع جماعة من الشعراء قصدوا إسحاق بن أيوب التغلبي أمير الموصل والجزيرة مادحين له ومؤملين فضله، فلم يعطنا شيئاً وطال مقامنا لديه، وكان يعشق بدعة جارية عريب المأمونية، فقلت: والله لأخدعنه، وتوصّلت حتى وقفت بين يديه فقلت:

تدرون ما قالت لأترابها ... في السرّ منّا بدعة العالمِ

قال: فأقبل عليّ وهشّ إليّ وقال: ويلك ما قالت:

فقلت:

بالله إن صغتنّ لي خاتماً ... فأنقشنَ إسحاق على الخاتمِ

فارتاح وطرب واهتزَّ وتهلل، وقال: مليح والله ما قالت، ثم أمر بمائة دينار وحملني على فرس رابع بمركب ثقيل، والبسني خلعة سنية، وقال: هذا لك في كل سنة، ولم يعط أحداً من الشعراء غيري.

وكان إسحاق قد أسر صبياً من أبناء بطارقة الروم بديع الجمال فأهداه إلى بدعة فكان يحمل عودها ويحضر معها فقال فيه بعض شعراء وقته:

عجب الناس من رقاعة إسحا ... ق وفعل أتاه غير جميلِ
حيث أهدى إلى الغزالة ظبياً ... ذا قوام لدن وخدّ أسيلِ
أتراه يعفّ عنها إذا ما ... [قَدْ] خلوا للعناق والتقبيلِ
فكأني بذيل بدعة قد صا ... ر لصيقاً للقرطق المحلولِ
قلت لا تنكروا فإن له عذ ... راً صحيح القياس غير عليلِ
بعدت دارها وقام عليه ... فاشتهى أن ينالها برسولِ

❀ ❀ ❀

---

(١) الأغاني ١٠/٧١.

ومن شعر إبراهيم وهو معنى غريب:

إنّ امرءاً ضنَّ بمعروفه ... عنّي لمبذولٌ له عذري
ما أنا بالراغب في عُرفه ... إن كان لا يرغب في شكري[1]

وقال لأبي جعفر محمد بن عبدالملك الزيّات وزير الإمام الواثق وكان يعادي إبراهيم:

أبا جعفرٍ خَف خَفْضةً بعد رِفْعةٍ ... وَقَصِّر قليلاً من مَدَى غُلَوائكا
لأن كان هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَه ... فإن رجائي في غدٍ كرجائكا[2]

وله وهو من الحكم:

خَلِّ النِّفاق لأهله ... وعليك فالتمِسَ الطَّريقا
واذهب بنفسك لا ترى ... إلاّ عدوّاً أو صديقا[3]

وقوله:

أميل مع الذِّمام على ابن أميّ ... وآخذُ للصديق من الشقيقِ
أُفرِّق بين معروفي وبيني ... وأجمع بين مالي والحقوقِ
فإِن أَلْفَيْتَنِي حُرّاً مُطاعاً ... فإنك واجِدِي عبدَ الصديقِ[4]

وقد أجاد ما شاء، وفيه من صناعة البديع المقابلة.

وكتب إلى الزيّات يعاتبه:

وكنتَ أخي بإخاء الزما ... نِ فلما نَبا صرتَ حَرْباً عَوَانَا
وكنتُ أَذمُّ إليك الزما ... نَ فأصبحتُ فيك أَذُمُّ الزمانا
وكنتُ أعدُّك للنائبا ... ت فأصبحتُ أطلب منك الأمانا[5]

---

(١) الأغاني ١٠/ ٥٤.
(٢) ن.م. ١٠/ ٥٥.
(٣) ن.م. ١٠/ ٥٦، ٧٠ ـ ٧١.
(٤) ن.م. ١٠/ ٥٧.
(٥) ن.م. ١٠/ ٦٩، وفيات الأعيان ١/ ٤٦، ديوان الصولي ١٦٦.

وله في الفضل بن سهل[1]:

أسدٌ ضارٍ إذا هيَّجتَه ... وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَدَرا
يعرِف الأبعدَ أن أثْرَى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا[2]

وهذان البيتان يطرب [لهما] الجماد، ولم أسمع في الشعر بأمدح منهما ولا أجزل في حسن الصناعة في المقابلة بين ثلاثة، لأن لا يعرف في قوة الجهل.

وله يهنيء ذا الرئاستين الحسن بن سهل[3] بصهره المأمون:

هَنَتْكَ أكرومةٌ حللت نعمتها ... سرَّت وليَّك واجتثَّتْ أعاديكا
ما كان يحيى بها إلاّ الإمامُ وما ... كانت إذا قُرنت بالخلق تعدوكا[4]

وقال صاحب الأغاني: إن إبراهيم صنع ثلاثة أبيات ونحلها النابغة، فلم يشك من سمعها إنها للنابغة إلاّ إن كان من روى جميع شعره، حتى أخبرهم إنها له وهي:

---

(١) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره. اتصل به في صباه وأسلم على يده (سنة ١٩٠هـ) وكان مجوسياً. وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) مولده في سرخس (بخراسان) سنة ١٥٤هـ ووفاته فيها سنة ٢٠٢هـ. قتله جماعة بينما كان في الحمام، قيل: إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره. وكان حازماً عاقلاً فصيحاً، من الأكفاء. أخباره كثيرة.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ١: ٤١٣، والوزراء والكتاب: انظر فهرسته. والمرزباني ٣١٣، والكامل لابن الأثير ٦: ٨٥ و١١٨، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٣٩ واللباب ١: ٤٤٥، وفيه التنبيه إلى أن السمعاني، في الأنساب، تكلم عن الحسن بن سهل وهو يعني أخاه الفضل.
الأعلام ط/ ٤/ ٥/ ١٤٩.

(٢) الأغاني ١٠/ ٧٩.

(٣) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد: وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره ولد سنة ١٦٦هـ. اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات، والكرم. وهو والد بوران (زوجة المأمون) وكان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه، وللشعراء فيه أماديح. أصيب بمرض السوداء سنة ٢٠٣هـ، فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته (سنة ٢١٠هـ) وتوفي في سرخس (من بلاد خراسان) سنة ٢٣٦هـ.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ١: ١٤١، وغربال الزمان ـ خ ـ وتاريخ بغداد ٧: ٣١٩ وابن الوردي ١: ٢١٧، الأعلام ط٤/ ٢/ ١٩٢.

(٤) الأغاني ١٠/ ٨٠.

لنا إبلٌ كُومٌ يَضِيق بها الفَضا ... ويَفترُّ عنها أرضُها وسماؤُها[1]
فمن دونها أن تُستباح دماؤُنا ... ومن دوننا أن تُستباح دماؤها
حِمى وقِرىً فالموتُ دون لقائِها ... وأهونُ شيءٍ يوم حَقَّ فناؤُها[2]

قلت: ولا يشتبه شعر شاعر بشعر النابغة إلاّ وهو في طبقته.

وقال أبو الفرج: لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات[3] عن إبراهيم، تحاماه الناس، وكان الحارث بن بسخير[4] صديقه فهجره أيضاً فكتب إليه:

تَغَيَّر لي فيمن تغيَّر حارثُ ... وكم من أخ قد غيَّرته الحوادثُ
أحارث أن شوركتُ فيك فطالما ... غَنِينا وما بيني وبينك ثالثُ[5]

وقال: لما أتاه خبر موت ابن الزيّات في تنور العذاب:

لمّا أتاني خَبَرُ الزيّاتِ ... وإنّه قد صار في الأمواتِ
أيقنتُ أن موته حياتي[6]

وشعره كثير بديع، وقد ذكرت منه ما لو تلاه لأفاق به الصريع.

وروى أبو الفرج في الأغاني: إن المتوكل بعث إلى إبراهيم يأمره أن يصف له

---

(١) الكوم: الأبل الضخمة العظيمة السنام، الواحدة أكوم، والأنثى كوماء.

(٢) الأغاني ١٠/ ٧٣.

(٣) هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، المعروف بابن الزيات. كان أبوه من تجار الكرخ ببغداد. وكان هو أديباً عالماً بالنحو وشاعراً مجيداً. استوزر للمعتصم والواثق، ولما تولى المتوكل وكان حاقداً عليه لم يتعجل قتله، بل استوزره مدة. وبعد أن صفى أمواله عذبه أربعين يوماً في التنور الذي كان ابن الزيات يعذب فيه المصادرين، حتى مات، وهو تنور من حديد في داخله مسامير محددة قائمة مثل رؤوس المسال، فإذا انقلب الداخل فيه أو تحرك من حرارة العقوبة، تدخل المسامير في جسمه. كانت وفاته سنة ٢٣٣هـ من آثاره: ديوان رسائل وديوان شعر.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٤/ ١٨٢، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٢، وشذرات الذهب ٢/ ٧٨، الكنى والألقاب ١/ ٢٩٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٧١، الأغاني ٢٣/ ٥١ ـ ٨٠، معجم الشعراء ٣٦٥، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٤) هكذا ورد في الأصل، وفي الأغاني ١٠/ ٥٥: «بُشْخُنَّر».

(٥) الأغاني ١٠/ ٥٥.

(٦) ن.م.

القدور الإبراهمية، وهو كان أبدع صنعها على عادته في الإبداع، وقدرته على الإختراع، فكتب له صفتها وكتب له في ذكر الأباريز وزن دَانَق ونسي أي شيء هو، فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى صاحب المصلى: أحلف بحياتي أن تقول له ما آمرك به، ففعل فقال: ارجع إليه وقل له: وزنُ دانق من أي شيء؟ أمن بظر أمك[١]، قال علي: فدخلت إليه، فقلت: أتيتك في رسالة عزيز عليَّ أن أؤديها، قال: هاتها، فأدّيتها، فقال: ارجع إليه فقل له: يا سيدي إن علي ابن يحيى صديقي وأخي، فإن رأيت أن تجعل الدانق من بظر أمي وأمه تفضلت بذلك، فقلت: قبّحك الله وأنا أيش ذنبي، قال: أديت الرسالة وهذا جوابها، فوصلت إلى المتوكل، فلما رآني قال: إيه ما جئت به؟ قلت: قبّح الله ما جئت به، وأخبرته بالجواب فضحك حتى فحص برجليه وجعل يشرب عليه بقيّة يومه، فإذا لقيته قال: يا علي وزن دانق من أي شيء، فأقول: لعنة الله على إبراهيم[٢].

وقال أبو الفرج: أخبر من رأى إبراهيم وقد لبس سواده يقول لغلامه هات ذاك السيف الذي ما ضرّ الله به أحداً غيري[٣]. وهذا دليل لطفه ودماثة أخلاقه.

❀ ❀ ❀

والعرس الذي هنّأ به إبراهيم ذا الرئاستين الحسن بن سهل لما زوّج ابنته خديجة الملقبة بوران بالمأمون وبنى بها المأمون في شهر رمضان بفم الصلح[٤]، وهو عرس لم يعمل مثله ملك في الإسلام، صار تأريخاً، وأوقد لما جلبت عليه من جملة الشموع شمعة عنبر وزنها أربعون منّاً بالبغدادي في تور ذهب، فامتلأ المجلس بدخانها حتى ضجَّ الخليفة وقال: هذا سرف، وكان الفراش من ذهب منسوج له بريق من الشموع فكأنه برق تلألأ، ونثرت جدّتها أُم الحسن عليها مائة حبّة درّ من الكبار النفيسة، وكان ممن حضر بنات الخلفاء كعليّة بنت المهدي[٥]،

---

(١) أمن بظر أمك: سبّ كان يجري على ألسنة العرب في القديم.

(٢) الأغاني ١٠/٦٥ ـ ٦٦.

(٣) ن.م. ١٠/٦٧.

(٤) فم الصلح: هو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جبُل عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون ببوران، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وغيره، وهو الآن خراب إلاّ قليلاً. «معجم البلدان ٤/٢٧٦».

(٥) عُلية بنت المهدي بن المنصور، من بني العباس: أخت هارون الرشيد. أديبة شاعرة، تحسن =

وحمدونة بنت الرشيد، وعدّة منهن فيهن زبيدة، وألبستها زبيدة البدلة الجوهر التي وهبها لها الرشيد ولم تمد واحدة منهن يدها إلى النثار، فقال المأمون: شرفن أبا محمد وأكرمنها فأخذت كل واحدة منهن حبّة وبقي سائره يلوح على الحصير الذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هاني كأنه شاهد هذا حيث يقول في الحباب:

كأن كبرى وصغرى من فواقعها ... حصباء درّ على أرض من الذهب[1]

ثم جمعه كله بيده ووضعه في حجرها وقال لها: سليني حوائجك، فصمتت، فقالت لها جدّتها: كلمي سيّدك، فسألته أن يرضى عن إبراهيم بن المهدي[2]، فقال: قد فعلت، وسألته أن يأذن لزبيدة بالحج، فأذن لها.

وقيل: إن المأمون لما دخل بها أرادها، فقالت: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا

= صناعة الغناء. من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة. كان أخوها إبراهيم بن المهدي يأخذ الغناء عنها. وكان في جبهتها اتساع يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجوهر، لتستر جبينها، وهي أول من اتخذها. وكانت مشغولة باللهو والطرب، وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأبى ذلك وتوفيه حقه. تزوجها موسى بن عيسى العباسي. وقد لا يكون من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي. لها «ديوان شعر» وفي شعرها إبداع وصنعة. مولدها سنة ١٦٠هـ ووفاتها سنة ٢١٠هـ ببغداد.

ترجمتها في:

الأغاني ١٠: ٢٠١، وفوات الوفيات ٢/١٩٧، والنجوم الزاهرة ٢: ١٩١، والدر المنثور ٣٤٩، وشذرات ١: ٣١١، ووقعت وفاتها في البصائر والذخائر (ص٧٤): سنة ٢٢٠هـ، خلافاً للمصادر الأخرى. وأشعار أولاد الخلفاء ٥٥ ـ ٨٣ وفيه طائفة من شعرها. وفي كتاب «تراجم إسلامية» ص٢٢ أن قصة «غرام العباسة وجعفر» كانت مستقى لبعض كتاب الخيال الغربيين، فنشرت عنها عدة قصص، منها ما نشره «لاهارب» Laharpe بالفرنسية، وفون هامار Von Hammer بالألمانية. وانظر أعلام النساء ١٠٦٧ ـ ١٠٧٤ ويلاحظ ما أورد ياقوت ٣: ٢٠٠. الأعلام ط٤/ ٥/ ٣٥.

(١) ديوان أبي نؤاس.

(٢) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، ويقال له ابن شكلة: الأمير، أخو هارون الرشيد. في ترجمته طول وفي أخباره كثرة. ولد سنة ١٦٢هـ في بغداد ونشأ فيها، وولاه الرشيد إمرة دمشق، ثم عزله عنها بعد سنتين، ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه، وبايعه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون، فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلماً، فسجنه ستة أشهر، ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر، فعفا عنه. وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يوماً (٢٠٢ ـ ٢٠٤هـ) وتغلب على الكوفة والسواد، والمأمون =

﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1]، فعرف إنها حاضت، ولما أصبح دخل عليها أحمد بن يوسف الكاتب فقال: هنأ الله أمير المؤمنين بما أخذ من الأمير باليمن والبركة، وشدة الحركة، والظفر في المعركة، فأنشده المأمون:

فارسٌ ماضٍ بحَرْبتهِ ... عارفٌ بالطعن في الظُّلَمِ

رامَ أن يُدْمي فريستَهُ ... فاتَّقَتْه من دمٍ بدمِ

فعرض له أحسن ما يكون من التعريض.

ورأيت في تأريخ القاضي الأديب الفاضل أحمد بن خلكان: أن أبا إسحاق إبراهيم [بن محمد][2] بن عرفة المنبوز بنفطويه[3] النحوي الأديب، قال: كنت عند

= بخراسان. وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة ٢١٠هـ. وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة. وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً، ولا أجود شعراً. وكان سخي الكف. حاذقاً بصنعة الغناء. وأمه جارية سوداء اسمها «شكلة» نسبه إليها خصومه. مات في سر من رأى سنة ٢٢٤هـ. وصلى عليه المعتصم.

ترجمته في:

ابن خلكان ١/ ٣٩، والأغاني ١٠/ ١٢١ ـ ١٨٤ و٩٤، ولسان الميزان ١: ٩٨، وتاريخ بغداد ٦: ١٤٢، وأشعار أولاد الخلفاء ١٧ ـ ٤٩ وفيه طائفة كبيرة من شعره، الأعلام ط٤/ ١/ ٥٩ ـ ٦٠.

(١) سورة النحل: الآية ١.

(٢) ما بين المعقوفين من الوفيات.

(٣) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله المعروف بِنِفْطَوَيْهِ، من أحفاد المهلب ابن أبي صفرة: إمام في النحو. وكان فقيهاً، رأساً في مذهب داود، مسنداً في الحديث ثقة، جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، مع المروءة والفتوة والظرف. ولد بواسط (بين البصرة والكوفة) سنة ٢٤٤هـ ومات ببغداد سنة ٣٢٣هـ وكان على جلالة قدره تغلب عليه سذاجة الملبس، فلا يعني بإصلاح نفسه. وكان دميم الخلقة، يؤيد مذهب «سيبويه» في النحو فلقبوه «نفطويه» ونظم الشعر ولم يكن بشاعر، وإنما كان من تمام أدب الأديب في عصره أن يقول الشعر. له عدة كتب، منها «كتاب التاريخ» و«غريب القرآن» و«كتاب الوزراء» و«أمثال القرآن» ولا نعلم عن أحدها خبراً.

ترجمته في:

الفهرست لابن النديم. ومعجم الأدباء ١/ ٢٥٤ ـ ٢٧٢. ووفيات الأعيان ١/ ٤٧ ـ ٤٩، ونزهة الألبا ٣٢٦، ولسان الميزان ١: ١٠٩، وفيه «نفطويه على وزن سيبويه» وتاريخ بغداد ٦: ١٥٩ وإنباه الرواة ١: ١٧٦ وجاء اسمه في مخطوطة «الألقاب» لابن الفرضي: «محمد بن إبراهيم» خلافاً لسائر المصادر؟، الأعلام ط٤/ ١/ ٦١.

الوزير القاسم بن عبيد الله بن وهب وزير الإمام المقتدر مع جماعة من الأعيان، فجاء إليه غلام أسرَّ إليه شيئاً، فتهلل وجهه وقام مسرعاً إلى دار الحرم، فلبث قليلاً ثم عاد إلينا منكسراً، فلما قعد سألناه، فقال: إن فلانة المغنية كانت تتردد إلينا ولها جارية من جواريها أعجبتني فسألتها أن تبيعها مني بما احتكمت، فلم تفعل، فألححت فلم تجب، فجاء الغلام الذي رأيتم الساعة وأخبرني إنها أهدتها إلي فأخذني السرور، ولم أملك نفسي، ونهضت مبادراً لافتضاضها فإذا بها قد حاضت ساعة دخولها، فأصابني غمّ شديد على ما فاتني منها، فأنشدته ارتجالاً:

«فارس ماضٍ بحربته... الخ».

فانجلى همّه وأمر لي بجائزة.

قلت: يمكن أن نفطويه أنشد بيتي المأمون لتشابه الواقعتين، لأن الرواة أطبقوا أنهما للمأمون.

وكان الحسن بن سهل ينفق مدة إقامة المأمون عنده بفم الصلح أربعين يوماً على ستة وثلاثين ألف صلاح، فما الظن بغيرهم من الرؤساء والجند والرعية، ونادى برئت الذمة ممن أوقد ناراً في مضربه لطبيخ، وقام بالجميع من ماله، ولما عزَّ الحطب أمرهم بغمس الحصير في حياض الزيت وإيقاده.

وأقول:

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا

وعتبه المأمون في كثرة الإنفاق، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قد رفع قدرك فوق كل أحد فأردت أن يكون نكاحك بقدر رفعتك، وليس ما أنفقته من مال سهل، إنما جميع ذلك مما أنعمت به من مالك.

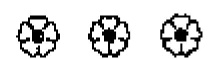
قال الثعالبي وغيره: ونثر الحسن رقاعاً باسم ضياع له وعقار وبساتين على الكتّاب والحاشية والعامة، فكل من أصاب رقعة منها أشهد له بما فيها وسجّل له، وبلغت نفقة الحسن في أربعين يوماً عشرة آلاف ألف دينار، فلما ارتحل المأمون أمر له بعشرة آلاف ألف دينار وأقطعه الصلح وصوغ له خراج مصر.

وقال روح بن مقاتل: لما أعرس المأمون ببوران كتبت إليه حظيته عُرَيب[1] المغنية الأديبة تهنئه بقولها:

أنعم تخطتك عيون الردى	بزف بوران مدى الدهر
بيضة خدر لم يزل نجمها	بنجم مأمون الورى يجري
حتى استقر الملك في حجرها	بورك في ذلك من حجر
يا سيدي لا تنس عهدي وما	أطلب شيئاً غير ما تدري

فوقّعت بوران على الرقعة فقالت: قد عرفت ما تريد، ثم قالت: يا أمير المؤمنين أنعم بالإذن في زفّها إليك فهو والله مكافأتها على شعرها، فقال: ذلك إليك فزّفت عُرَيب إليه، فسرّ المأمون بما اجتمع له من الألف بين حظيته وزوجته.

وسأذكر شيئاً من نبأ عُرَيب فيما يأتي إن شاء الله تعالى.



وأما ذو الرئاستين أبو محمد الحسن بن سَهْل، وأخوه الفضل فكانا من الكرم والفضل وبسطة اليد في الدنيا والحظ عند الخليفة والشجاعة والأدب والعلم، خاصة علم النجوم فأن الفضل كان إماماً مبرزاً فيه، واستوزر المأمون الفضل وهو يومئذ أمير بخراسان قبل أن يلي الخلافة، ثم مدة فتنة الأمين وبعدها قتله.

ثم استوزر الحسن بعد قتل الفضل، وكان الحسن شديد الشفقة على الفضل، فلما قتل الفضل أصابه بسبب تكاثف الحزن سودا حتى قيّد بسببها،

---

(١) وهي عريب المأمونية، شاعرة مغنية، أديبة من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود، قيل: هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي، نشأت في قصور الخلفاء من بني العباس، وأعجب بها المأمون، فقرّبها حتى نسبت إليه، وقيل: سرقت لما نكب البرامكة وهي صغيرة فاشتراها الأمين ثم إشتراها المأمون، كانت تلعب الشطرنج، . يقال: أنها صنعت ألف صوت في الغناء، ماتت بسامراء سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م، لغنائها «ديوان» مفرد.
ترجمتها في:
الأغاني ط الثقافة ٥٨/٢١، ابن الأثير/ حوادث سنة ٢٧٧، الدر المنثور ٣٣١، نزهة الجليس ١/ ٣٠٠، المستطرف من أخبار الجواري ٣٧، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

وكان الفضل متشيّعاً وهو الذي حَسّن للمأمون عقد العهد للرضا عليه السلام ثم عظم حاله حتى ضايق المأمون في جارية أراد شراءها فقتله غيلة وهو بالحمام بمدينة سرخس يوم الخميس ثاني شعبان سنة اثنتين وقيل ثلاث ومائتين رحمه الله تعالى، ثم أظهر الحزن وقتل قتلته.

ومما يؤثر من إصابته في النجوم أنه عقد لواء لذي اليمينين طاهر بن الحسين[1] لما وجّهه المأمون لقتال أخيه الأمين وهو يومئذ بمدينة مرو، وقال: عقدت لك لواء لا ينحل خمساً وستين سنة، فخرج طاهر في أربعة آلاف فارس فلقيه علي بن عيسى بن ماهان في مائة ألف فارس أو يزيدون بالسيوف المحلّاة والعدة المذهبة حتى أن الأرض لتشرق بهم، فقتله طاهر وفض جيشه النهام واستباحه، ولم يبرح طاهر وبنوه في ولايات وسعادة حتى نجم الصفار فأزال ملكهم من ساذباج نيسابور، وقبض على أولاد أولاده يوم الأحد الثاني من شهر شوال سنة تسع وخمسين ومائتين، وهي آخر تلك المدة التي حَدَّدها الفضل.

والعجب الأخير من إصاباته أن المأمون طالب والدته بما خلّف فأحضرت إليه صندوقاً من جملة المخلَّف مختوماً، وإذا داخله صندوق صغير، ففتحه فإذا فيه درج من حرير وداخله رقعة مكتوب عليها بخطّه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا

---

(١) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيّب، وأبو طلحة: من كبار الوزراء والقواد، أدباً وحكمة وشجاعة. وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي. ولد في بوشنج (من أعمال خراسان) سنة ١٥٩هـ وسكن بغداد، فاتصل بالمأمون في صباه، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد. ولما مات الرشيد وولي الأمين، كان المأمون في مرو، فانتدب طاهراً للزحف إلى بغداد، فهاجمها وظفر بالأمين وقتله (سنة ١٩٨هـ) وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد، ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب، في السنة نفسها (١٩٨) وخراسان (سنة ٢٠٥هـ) وكان في نفس المأمون شيء عليه، لقتله أخاه «الأمين» بغير مشورته. ولعله شعر بذلك. فلما استقر في خراسان، قطع خطبة المأمون، يوم جمعة، فقتله أحد غلمانه في تلك الليلة، بمرو، وقيل: مات مسموماً سنة ٢٠٧ هـ. ولقب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله، فقدّه نصفين، أو لأنه ولي العراق وخراسان، لقبه بذلك المأمون. وكان أعور. له «وصية ـ خ» لأحد أبنائه، في دار الكتب.

ترجمته في:

وفيات الأعيان: ٢/٥١٧ ـ ٥٢٣ والشعور بالعور ـ خ، وغربال الزمان ـ خ. والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٠ وابن الأثير ٦ : ١٢٩ والطبري ١٠ : ٢٦٥ وشذرات ٢ : ١٦ وما قبلها. وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣ والديارات ٩١ ـ ٩٥ والنجوم الزاهرة: ١٤٩ ـ ١٥٢ و١٥٥ و١٦٠ و١٧٨ و١٨٣ ودار الكتب ٣ : ٤٣٥، الاعلام ط ٤/٣/٢٢١.

ما قضاه الفضل بن سهل على نفسه، قضى أنه يعيش ثمانيَ وأربعين سنة، ثم يقتل بين ماء ونار، وكان عمره ما ذكره[1].

❁ ❁ ❁

وسَرَخْسْ: بفتح المهملة والراء وإسكان الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة أيضاً، مدينة مشهورة من إقليم خراسان.

ومرو: مشهورة منه أيضاً، وهما مروان: أحدهما مرو الروذ أضيفت إلى نهر بشطّها، والأخرى وهي العظمى مرو الشاهجان، وهي إحدى قواعد المملكة، فإنها متسّعة.

والصَلْح: بفتح الصاد المهملة وإسكان اللام وبعدها حاء مهملة، نهر كبير بناحية بغداد وعليه قرى عامرة كثيرة وضياع.

وخُراسان: من الأِقليم الخامس.

❁ ❁ ❁

وذكر الأصبهاني: إن إبراهيم الصولي توفى بسرّ من رأى في نصف شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى[2].

[٢]

أبو الحسن، إبراهيم بن أحمد اليافعي، الشيخ الشاعر المشهور الصنعاني المولد والدار والوفاة[*].

فاضل تخال الشفاه شعره حباباً فترشفه رشفا، وتحسبه العيون الرياض فلا ترفع عنه طرفا، لا تسجع الورقا بدون نسيبه، ولا يترنم الوامق بسواه في مجلس حبيبه، أحلى من الحور في عيون الغيد، ومن الوتر في كف ساجع غرّيد، طالما بذلت الملوك عينها لجوهره، وسمح السامع لأسود طرسه بأبيضه وأحمره.

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٤٢.

(٢) الأغاني ١٠/٥٤، وفيات الأعيان ١/٤٦، ٤٧.

(*) ترجمته في: البدر الطالع ١/٧ ـ ٨، نفحات العنبر، نشر العرف ١/٥ ـ ١١.

وأصله من يافع، وولد ونشأ بصنعاء، فكان على منهج أهلها الزيدية في المذهب، لا في الشعر، فإنه أصبح لموطاه مالكاً، وكان له دكان يحظى به العمائم والأردية أحياناً، ويجتمع إليه بها من له شغف بشعره، وفي مذهبي الكلامي أنه لا يجوز أن يقدم عليه شاعر في وقته جزالة ورقّة ومتانة وحسن سبك، (للناس فيما يعشقون مذاهب)، وكان إنشاده مطرباً، ولا غرو فهو إبراهيم، ولا يملّ جليسه حديثه، فهو عقله المستوقن، كما أن شعره نزهة المطمئن، وكان فيه تصوّفٌ وميلٌ إلى فيض الصوفية، ويحفظ ديوان الشيخ سراج الدين عمر بن الفارض[١].

واليافعي صوفي لا سيما روض رياحين الأدب مع لطف طبع، وقناعة على الفاقة التي أصابته لما كسد شعره بكساد شعار الدولة، ولم يبق للفضل رسم، ولا للشعر اسم، ولو أردت الكلية لقلت ولا لكل العلوم سهم، وكانت عينه بالماضين قريرة، فبلي بالأصمّين الكبر وبخلهم، كما بلي بقتل الشيخ وفقد الجراب أبو هريرة[٢]، ولزم بيته وهجره بصنعاء، وأصبح لا يجد مع اللئام بعد الكرام صنعاء، وقد جاوز الثمانين وبلغها، ونثل كفانة فكره واستفرغها، وإذا اضطر إلى مدح أحد من الخلق غير بعض مخالص عتيقه ومدحه على حرف وما بقي له إلا الجوهر المنضود، وأين أين المشتري، وأصبح وهو متنبيء الشعر شقياً بكل تنبال اليد بحتري[٣]، وودّ لو كان كسالف وقته المذهب خطا أو أنه أدرك كما أمّل من المتأخرين بالمعينين خطا، ودام كذلك بصنعاء حتى أدركه الأجل بها يوم السبت

---

(١) هو أبو حفص عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والنشأة، المعروف بابن الفارض. ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ. كان شاعراً صوفياً زاهداً، يأوي إلى المساجد المهجورة، وقوراً إذا مشى أزدحم عليه الناس لالتماس البركة، وإذا حضر مجلساً استولى على أهله السكون. جاور مكة المكرمة خمسة عشر عاماً للعبادة، ثم رجع إلى مصر.

له ديوان شعر كله رائق لطيف. توفي بالقاهرة سنة ٦٣٢هـ ودفن في سفح جبل المقطم.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٤ ـ ٤٥٦، والكنى والألقاب ١/ ٣٦٩، والسمو الروحي في الأدب الصوفي / ٣٦١، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠، أنوار الربيع ١/ هـ ٤٦.

(٢) في هامش الأصل: «كان لأبي هريرة جراب فيه تمر، زعم أنه أعطاه إياه رسول ﷺ، وأمره أن يأكل منه ولا . . . . . فما زال يأكل منه حتى قتل عثمان فأنشد:

للناس هم... اليوم عثمان — نفد الجراب وقتل الشيخ عثمان

ذكره الثعالبي.

(٣) في هامش الأصل: «البحتري: القصير».

الثالث والعشرين من شهر رجب سنة عشر ومائة وألف.

أنشدني لنفسه يمدح السيد الملك أبا يحيى محمد بن الحسن بن المنصور بالله ويلقب بالهادي وامرأته، فكتب لي منها ما بقي بخطّه سنة ثمان ومائة وألف وهو:

هذا العذيب بدا فقل بشراكا ... والزم إخائي لا عدمت أخاكا
واسمع حمامات الحمَى إذ نُحْنَ من ... شجوي ونَحْنُ بربعه نتشاكا
باتت تقول مدامعي لسجوعها ... لي دونك الفضل الجزيل بذاكا
أمساك مثل مسَاي أجرى عَنْدَماً ... لا أستطيع لبثّه إمساكا
أجرى دماً لدُمَى نصبن لمهجتي ... يوم الوداع من الرنا إشراكا
يا صاحبي قد صاح لي داعي الهوى ... فدع العتاب وما إليه دعاكا
ألم الفراق ألم بي وبمهجتي ... فعسَى ترق لما أقُولُ عساكا
بالله إن جزت العقيق وسفحه ... فأقم هُنناك به النزول هناكا
وأقل بظلّ الضال فيه مُسلماً ... عنّا وشرّف بالتحية فاكا
هل أنت يا وادي العقيق كما مضى ... زاهٍ ومن ثمر الجنان جناكا
لا زلت بالأحباب معموراً ومغمو ... راً غننا وعداك مكر عُداكا
والاك من نوّ الربيع وليّه ... ونعيم وسميّ الحيا حياكا
وسقى رباك رباب غيث مسرّة ... ينمو ويملأ بالغنا مَغناكا
وإذا الربيع جفاك ربع أحبتِي ... محلاً فمن مقلي الغزار سقَاكا
والذاريات دماً وهن مدامعي ... والعاديات بنا وهنّ وماكا
ما أقْلَعَتْ تلك الربوع ولم تغظ ... إلاّ قلوب عواذل تشناكا
ولكم أبيْتُ مُسَاهداً وَمُشَاهداً ... للنجم أرقب مِن سماك سماكا
أوَ كلٌّ إبراهيم يرقب كوكباً ... مَهْما بدَا ويُسَامر الأفلاكا
كلفٌ بريمك مُذْ عرفت مُكلفاً ... لا أستطيع عن الغرام فكاكا
يا ريم وادي المنحنى كم قائل ... لي في غرامك ما نهَاك نُهاكا
مَالي وَللعذال فيك عدمتهم ... مالي وروحي يا حبيب فداكا
قد عَنّفوا من لو قُطعت فؤاده ... وقليتَه ما أمّ نهج سِوَاكا
من غَير ما جرم فتكتَ بصارمٍ ... من لحظك الفتاك مَنْ أفتاكا

وَطَحَنْتَ حَبَّاتَ القُلوبِ تَعَمُّداً بِرحَى الهوى وأذقتها بُرحَاكا
لَمْ أجن من خدّيك وَرْداً ناضراً فلما جنيتَ وَمَا رشفت لماكا
لاَ وَالذي من مقلتيك برىٰ لنا نَبْلاً لكي نبلى بها وَبَرَاكا
مَا كنتُ أحْسبُ أن حبك مُتلِفي أبداً ولا أنَّ الهوان هَواكا
لم ترع لي عهداً ولا وداً ولا إلاًّ ولم يسلك قاتلي إلآكا
لولاك والبيت العذول وَإنهُ أغْدَا العدى يا مُنيتي لولاكا
أو سُنة سِنة الكرى منفيَّة عن عين مَنْ ينوي يُقبل فاكا
أرضيتَ تمرضنا وأنتَ طبيبنا بالبعد ما أرضاك في مرضاكا
أنتَ الطبيب فلا تزدني بعد ذا بُعداً فدائي ذا جُعلتُ فداكا
واخش الذي كيوان مع مريخهِ صارا لِنَعْلي أخمصيه شراكا
عز الهدى الهادي الذي بحُسَامهِ أضحى لكل مُعَاندٍ فتاكا
ملكٌ ترىَ من صفحه وصفاحه ويمينهِ الإنجاء والإهلاكا
لو شاء أن الشاء مع ريم الفَلَا تمسي وتصبح لا ترى إنهاكا
حبر إذا استمليته مسترشداً علماً تفرد في الملا أملاكا
ملك له تعنو الملوك مهابة وبسرّه تستنزل الأملاكا
بالمسلمين أبرَّ من آبائهم فإذا سمعت به أتيت أباكا[1]

وهي طويلة إلاّ أن الشيخ إبراهيم أنسيها وأذهله عنها من صرف الزمان ما أذهل عبيد بن الأبرص[2]. يوم بؤس النعمان. ودفن ذهبه النفيس لما وقع من الجهل بالأدب ما وقع من الطوفان، وصار هو وشعره في مصرنا الهرمين، والدهر أبو الهول في رفضه للحسنين.

وأما ما تضمّنته من الجناس الممتنع السهل، فهو شاهد له بالفضل،

---

(١) نشر العرف ١/ ٨ ـ ٩.

(٢) عبيد بن الأبرص بن عوف (وقيل عون) الأسدي من مضر، شاعر جاهلي فحل. شهد مقتل حجر ابن الحارث الكندي أبي امرىء القيس عندما ثار عليه بنو أسد، ثم عمر كثيراً إلى أن قتله النعمان ابن ماء السماء في أيام بؤسه، وذلك حوالي سنة ٥٥٠م وقيل ٥٥٥م.
ترجمته في: الشعر والشعراء / ١٨٧، الاغاني ٢٣/ ٨٥ ـ ١٠١، جمهرة أشعار العرب / ١٧٣، تاريخ آداب اللغة لزيدان ١/ ١٣٠، شرح القصائد العشر للتبريزي / ٥٣٥، مختارات ابن الشجري ٢/ ٣٣، شعراء النصرانية قبل الإسلام/ ٥٩٦، أنوار الربيع ٢/ هـ ٦٦.

ولحاسده بالجهل، وبالجملة فهو حامل لواء الشعر باليمن، ومن جحد اقسم حاكم الذوق أنه يمين.

وحدثني أيضاً بالخضراء سنة سبع [ومائة وألف] قال: وفدت أنا والأديب أحمد بن محمد الينبعي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ إلى السيد الأمير علي ابن المتوكل وهو بناحية اليمن الأسفل فامتدحناه بقصيدتين، فاستحسن القصد، وأكرم الوفد، وأثنى على الشعر، ووعد بالبرّ، ولكن لم تنتج جائزة ذلك المنطق المشروح بالتهذيب، ولا كانت في السرعة كذهن الأديب، فكتبت إليه أعاتبه:

جَمالَ الهُدى إنّا نظمنا قَصائداً ... حكمتَ لنا فيها وَأنت المقلّدُ
وعندك للنقدين ذهنٌ ورَاحةٌ ... فذَا ناقد شعراً وَهَاتيك تنقدُ
وهل نحنُ إلاّ عصبةٌ أدبيّةٌ ... نقيم الثنا فيمن نشاء ونقعدُ
ولو هَجَت البدر المنير لأوضحتْ ... به وَضَحاً وهو الرفيع المسوّدُ
فإياك والشبح المطاع فإنهُ ... لشر أبِ منه الهجا يتولدُ[2]

وقلت أنا: وبيت التقليد يدلُّ على إجتهاده في فن الأدب دلالة الشرار على اللهب، وليس هذا الشعر بعتاب، بل زأر ليث كاسر الأنياب.

وجاء لي في أبيات:

سامحْتُهُ لما بليت بحبّه ... ورأيته بمدامعي متقلدا

وفي قول اليافعي: «ولو هجت البدر المنير» إشارة إلى قول ابن الرومي[3]: [من الخفيف]

رُبَّ عِرْضٍ مُبَرَّء عن خناءِ ... دَنَّست فيه حادثات الهجاءِ
لو أراد الأديبُ أن يهجُوَ البد ... رَ رماهُ بالخُطَّةِ الشَّنعاءِ
قال: يا بدرُ، أنت تَغدِرُ بالساري، وتُغري بزَوْرة الحسناءِ
نَمَشٌ في بياض وجهك يَحْكي ... كلفاً فوق وَجْنَةٍ بَرْصاءِ
يَعتريكَ المَحاق في كل شهرٍ ... فترى كالقُلامة الحَجْناءِ
لا لأجلِ المديح بل خيفةَ الهجـ ... ـو أخَذْنا جوائزَ الأمراءِ[4]

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٦.
(٢) نشر العرف ١/٧.
(٣) علي بن العباس بن جريج، ترجمه المؤلف برقم ١٠٥.
(٤) كاملة في ديوان ابن الرومي ١/١٣٥.

وقال ابن الرومي أيضاً في معنى تقبيح الحسن بواسطة سحر الشعر:

في زخرف القول تزيينٌ لصاحبه والحق قد يعتريه بعض تغييرِ
تقول: هذا مجاج النحل تمدحه وإن تعجب قلت[1]: ذا قيء الزنابيرِ
مدح وذم وما جاوزت حدَّهما سحر البيان يُري الظلماء كالنورِ

وفي شعر ابن الرومي معنى قول الفلاسفة الذي قدّمناه في الشعر، لأنهم رسموه بالقضايا المتخيّلة التي تنفعل بها النفس قبضاً وبسطاً، فإذا قيل: العسل مجاج النحل انبسطت ونشطت له، وإن قيل: هو قيء الزنابير انقبضت وكرهته. إلاّ أنه لا يعجبني ذم البدر المنير، وأي شيء أحسن منه، وبه يشبّه وجه الحبيب، ولا ذمّ الورد النفيس الذي هو سلطان النور وبه يشبّه الخدّ.

وبالغ ابن سناء الملك المصري[2] فذمّ الشمس وقال فيها من أبيات:

يا بصقة المشرق وقت الضحى وسلحة المغرب وقت الأصيل

وسيأتي تمامها، وقوله:

(والاك من نوء الربيع)

ولية النوء: النجم الذي يكون مع طلوعه المطر والغيم كالسماك والأسد والشعراء، وقيل هو عبارة عن طلوع كوكب من المشرق وغروب آخر من المغرب فهو أخصّ من القول الأول، والولي مطر الربيع لأنه يلي الوسمي وهو فعيل بمعنى فاعل لأنه يلي مطر الشتاء.

ومما أستحسنه من شعري في معنى ذكر الولي قولي:

الروض أشرق حين جاد غضونه دمع الغمامة بعد عام محملِ

---

(١) «قلت» زيادة في الأصل.

(٢) القاضي السعيد هبة الله بن جعفر بن المعتمد سناء الملك محمد السعدي، المعروف بابن سناء الملك، ولد سنة ٥٥٠هـ كان كثير التنعم وافر الثروة، إشتهر في النظم والنثر الجيدين وسنه دون العشرين. جرت بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات كثيرة. توفي بالقاهرة سنة ٦٠٨هـ. من آثاره: روح الحيوان، وفصوص الفصول، وديوان رسائل، وديوان شعر مطبوع.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٦/ ٦١ ـ ٦٦، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٦٥، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٤، وهدية العارفين ٢/ ٥٠٦، أنوار الربيع ١/ هـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

قـد كـاد يـتـلـف بـالـظـمـا لـكـنـه نـال الـشـفـا لـمـا تـبـرّك بـالـولـي

وللشيخ إبراهيم اليافعي والشيخ الأديب إبراهيم بن صالح الهندي[1] في القاضي أبي الفرج البصري الشاعر، وكان مضحكاً بالدعوى العريضة مع ركّة شعره، فذم اليمن ومدح بشعره امرأة، وبلغها أنه دخل إلى ذي جبلة وعليه عباءة مرجوخة خضراء، وهناك جاموس توهّم أن العباءة قتّ أو حشيش فنطح القاضي، أنشد لي الشيخ إبراهيم برداع سنة ست ومائة وألف قال: لما بلغتنا قصّته قلت أنا والشيخ إبراهيم فيها هذه الأبيات وكتبناها إليه، فكل صدورها للهندي، وأعجازها - بفتح الهمزة وكسرها - لي:

قـلـقـل ركـابـك واتـرك الـتـعـريـسـا حـتـى تـجـوز الـمـربـع الـمـأنـوسـا
وانـزل بـجـبـلـة حـبـذا مـن بـلـدةٍ تـحـكـي بـبـهـجـة حـسـنـهـا الـفـردوسـا
حـفـت بـهـا الأنـهـار حـتـى شـمـرت سـاقـا فـحـاكـت فـي الـبـهـا بـلـقـيـسـا
وبـهـا سـلـيـمـان وخـاتـم مـلـكـه سـيـف يـفـيـض بـه طـلـى ورؤوسـا
قـد أمـن الـغـزلان فـي فـلـواتـهـا حـتـى لـقـد سـكـن الـغـزال الـخـيـسـا
ومـن الـعـجـائـب والـعـجـائـب جـمـة والـدهـر مـثـخـن جـرحـه لا يـوسـا
أن الـفـتـى الـقـاضـي أبـا فـرج غـدا فـي دهـره لا يـأمـن الـجـامـوسـا
جـامـوس حـرثٍ قـد نـحـاه بـكـلـكـل كـالـطـور دك ومـا أتـاه مـوسـى
يـا قـاضـي الأدبـاء بـل يَـا فـاضـلاً فـي الـمـكـرمـات وفـي الـفـخـار رئـيـسَـا
صـبـراً لـحـادثـةٍ أتـت مـن أقـرن أصـبـحـت فـيـهـا مـعـلـفـاً ونـسـيـسـا
فـالـمـرء قـد يـزهـو بـرونـق لـبـسـه فـدع الـتـلـبـس واتـرك الـتـلـبـيـسـا[2]

---

(١) إبراهيم بن صالح الهندي المهتدي اليمني الصنعاني الحنفي، من شعراء اليمن البارزين في عصره، له «ديوان شعر» في مجلد ضخم، رآه الشوكاني، و «براهين الإحتجاج» مفاخرة بين القوس والبندق. أصله من الهند، ولد ونشأ بصنعاء ومات بروضة حاتم من أعمالها سنة ١١٠١هـ، قدم أبوه إلى اليمن وأسلم في صنعاء، ولإبراهيم مدائح في معاصريه من أئمة اليمن، وأقصاه المهدي صاحب المواهب، فانطقع إلى العبادة.

ترجمته في: البدر الطالع ١/ ١٦، هدية العارفين ١/ ٣٤ وفيه: توفي سنة ١٠٩٩، نفحات العنبر، مرآة الحرمين، سلافة العصر ٤٧٧ - ٤٨٧، نشر العرف ١/ ٢٩ - ٤٠.

(٢) نشر العرف ١/ ٩ - ١٠.

والنكتة في موسى، وأقرن، ومقلبا، وبسيسا لا تخفى، وتشبيه الحسن ببلقيس جاء في شعر أبي سعيد وأبي عثمان الخالديين[1] الشاعرين المشهورين، قالا في قصيدة يتشكران فيها حسن صنيع سيف الدولة وقد بعث لهما وصيفة ووصيفاً مع كل واحد منهما، كان فيها ثياب وكيس دنانير وبدرة، فقالا من قصيدة:

لم يعد شكرك في البرية مطلقاً	إلاّ ومالك في النوال حبيسُ
خوّلتنا مما أجادت حوكة	مضر وذادت حسنه تنليسُ
وحبوتنا بدراً وشمساً أشرقت	بهما لدنيا الظلمة الحنديسُ
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف	وغزالة هي بهجة بلقيسُ
هذا ولم تقنع بذاك وهذه	حتى بعثت المال وهو نفيسُ
أتت الوصيفة وَهي تحمل بدرة	وأتى على ظهر الوصيف الكيسُ
فغدا لنا من فضلك المطعو	م والمشروب والمنكوح والملبوسُ

فقال لهما سيف الدولة أحسنتما إلاّ في لفظة المنكوح، فليست مما يخاطب بها الملوك، وعُدَّ هنا من جيّد انتقاد سيف الدولة.

وأنشدني السيد الأديب بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الحسيني المؤيدي من حفظه للشيخ أبي الحسن اليافعي من جملة قصيدة طويلة يمدح بها أبا يحيى محمد بن الحسن الممدوح سابقاً بالكافيّة:

---

(١) هما الأخوان أبو بكر محمد ـ وهو الأكبر ـ وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم بن سعيد بن وعلة، من بني عبد القيس، وقد نسبا إلى الخالدية وهي قرية من قرى الموصل، وقيل إلى أحد أجدادهما وإسمه خالد. كلاهما شاعر مجيد، وأديب بارع، وكاتب بليغ، وكلاهما من خواص سيف الدولة الحمداني، وكانا معاً مسؤولين عن خزانة كتبه. وكانا ينظمان الشعر ويصنفان الكتب مشتركين، ولا ينفردان إلا نادراً. فمن آثارهما المشتركة: التحف والهدايا، والاشباه والنظائر، والمختار من شعر بشار، وأخبار أبي تمام ومحاسن شعره، وأخبار شعر البحتري، وأخبار شعر ابن الرومي، وأخبار شعر مسلم بن الوليد، وديوان شعرهما. توفي أبو عثمان سعيد سنة ٣٧١هـ وتوفي أبو بكر محمد سنة ٣٨٠ تقريباً. وهناك إختلافات كثيرة سنذكرها عند ذكر المصادر.

ترجمهما في: أعيان الشيعة ٩٩/٣٥ و١٠٧/٤٧ وفيه: توفي محمد سنة ٣٨٦، وفوات الوفيات ٣٤٦/١ وفيه: توفي سعيد في حدود الأربعمائة ومعجم الأدباء ٢٠٨/١١ وفيه (سعد بن هاشم)، ويتيمة الدهر ١٨٣/٢، وفهرست ابن النديم /٢٤٦، والذريعة ٢٨٣/٩ وفيه: توفي سعيد بعد أخيه محمد، واللباب ٣٣٩/١، مقدمة كتاب التحف والهدايا بقلم سامي الدهان، وفيه توفي سعيد بعد محمد، أنوار الربيع ٣/ هـ ٢٢٢.

أعيدوا على سمعي الحديث وكرروا | قديم اللقا والوقت كالعيش أخضرُ
حديث به هام الفؤاد صبابة | وفي الحب مَا يسبي القلوب ويسحرُ
حَديث المصلّى والمحصب من مُنىً | منازل بالتقوىَ تُشاد وتعمرُ
منازل هام الصب حباً بذكرها | ولم يسبه ظبيٌ منِ الغيد أحورُ
أهيم بذكر المنحنى وسويلع | وأنشق أنفاس الصباحين تعبرُ
وما همتُ في قدّ وجيد ومقلةٍ | ولا راقني ثغر شنيبٌ معطّرُ
ولعتُ بها ما عشتُ لست بقائل | مقالة ملاّل ثناهُ التضجرُ
قفي وانظري يا اسم هل تعرفينهُ | أهذا المُعَيْدِيُّ الذي كان يُذكرُ
لئن كان إياهُ لقد حال بعدنا | عن العهد والإنسان قد يتغيرُ
أميل إلى ذكر الغَضا ثم أنثني | ونيرانه في مهجتي تتسعرُ
وأصبو إلى وادي العقيق وسفحهُ | على وجنتي مِن مقلتي يتحُدرُ
مهابط وحي الله مطلع نوره | ففي سوحها الآيات تتلى وتُنشرُ
منازل ساداتي الذين همُ همُ | علي ونسبطاه شبير وشبرُ
بهم عصمتي مهما دعيت لموقف | مهول به كل الخلائق تذعرُ
وقد نصب الميزان أكبر شاهد | لإمضاء أمر الله والله أكبرُ
وأنّى فرار لي وقد وهن القوى | وقد ضمّني في مهمه البعث محشرُ[1]

وفيها رقّة وطريقة ظريفة في الغزل، إلاّ أن الاستخدام في بيت الغضا أخذه من قول البحتري:

فسقا الغضا والساكنيه وإن هم | شبّوه بين جوانحي وضلوعي[2]

وإنّما مدَّ الغضا للضرورة والاستخدام في بيت السفح، أخذه من قول الشيخ جمال الدين بن نباتة[3]:

---

(١) نشر العرف ١/٧.

(٢) ديوان البحتري.

(٣) هو أبو بكر جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن المعروف بابن نباته المصري. ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦هـ ونشأ بها. رحل إلى دمشق سنة ٧١٦ وتردد على حلب وحماة، ومدح الرؤساء. كان من الشعراء الكتاب البارزين في عصره. توفي في البيمارستان المنصوري بالقاهرة في سنة ٧٦٨هـ. من آثاره: سوق الرقيق، ومطلع الفوائد في الأدب، وسجع المطوق في التراجم، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، والرسالة الشهابية في الصناعة الطبيّة والنخلة الأنسية في الرحلة القدسية.

إذا لم تغض مني العيون فلا رأت[1] منازله بالقرب تزهو وتزهر
وإن لم تواصل غادة السفح مقلتي فلا غادها عيش بمغناه أخضر[2]

والذي أظن أن الشيخ إبراهيم أراد معارضتها على وزنها ورويّها، ولا بأس بذكر بعضها فإنّها غرّة في جبين القصائد وأوّلها:

صحا القلب لولا نسمةٌ تتخطّر ولمعةُ برق بالغضا تتسعّر
وذكر جبين البابلية إذ بدا هلال الدجى والشيء بالشيء يذكر
سقى الله أكناف الغضا سائل الحيا وإن كنت أسقى أدمعاً تتحدر
وعيشاً نضا عنه الزمانُ بياضه وخلّفه في الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاكَ العيش مع من أحبه ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغير
وكان الصبى ليلاً وكنت كحالم فيا أسفي والشيبُ كالصبح يسفر
يعللني تحت العمامة كتمه فيعتاد قلبي حسرة حين أحسر
وينكرني ليلي وما خلت أنه إذا وضع المرءُ العمامةَ ينكر
وغيداء أما جفنها فمؤنث كليلٌ وأما لحظها فمذكّر
يروقُك جمعُ الحسن في لحظاتها على أنه بالجفنِ جمعٌ مكسَّر
يشفّ وراءَ المشرفيَّةِ خدها كما شفَّ من دون الزجاجة مسكر
خليليّ كم روضٍ نزلت فناءه وفيه ربيعٌ للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرةٌ به وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
إلى أعينِ بالماء نضَّاخة الصفا إذا سدَّ منها منخرٌ جاش منخرُ
نداماي من خودٍ وراحٍ وقينة ثلاث شخوصٍ كاعبات ومعصر

وما أحسن قوله منها:

إذا جرَّدت من بردها فهي عبلةٌ وإن جرَّدت ألحاظها فهيَ عنتر[3]

= ترجمته في: البدر الطالع ٢/٢٥٢، والنجوم الزاهرة ١١/٩٥، وهدية العارفين ٢/١٦٤، والكنى والألقاب ١/٤٢٩، أنوار الربيع ١/ هـ ٤٥.

(١) في هامش الأصل وديوان ابن نباته: «إذا لم تغض عيني العقيق فلا رأت».

(٢) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ١٨٠. وفيه: «فلا عادها عيش...».

(٣) كاملة في ديوان ابن نباته المصري. ١٨٠ ـ ١٨٣.

لأن عنترة العبسي[1] كان يشبب بعبلة في كثير من شعره ومنه:

يا دار عبلة من مشارق مأسل درس الطلول وعهدها لم يمحلِ
واستبدلت عفر الظباء كأنما أبعادها في الصيف حب الفلفلِ

فقد راعى الجمال النظير، وجاء في كلها بما يترك المحلق مقصّرٌ وهو حسير.

ومما يدلّ على أن اليافعي عارضها، إن الجمال استعمل فيها التضمين من قول كثيّر[2]:

«ومن ذا الذي يا عزّ لا يتغيّر»

والتلميح إلى قول الحماسي:

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تَعرفوني[3]

---

(١) هو أبو المغلس، عنترة بن شداد العبسي، من أهل نجد، وأمه اسمها زبيبة، ومنها لحقه السواد. كان من فرسان العرب وأجوادهم المشهورين من شعراء الطبقة الأولى، ومن أصحاب المعلقات. أما قصته المشهورة، فقد ثبت لدى المحققين أنها موضوعة، وفي من وضعها أقوال كثيرة، ولكنها تعتبر من بدائع آداب العرب. قتل عنترة في بداية القرن السابع للميلاد، على اثر غارته على بني نبهان، حيث تصدى له رجل يدعى الأسد الرهيص فرماه وأرداه قتيلا.
ترجمته في: الأغاني ٨/ ٢٤٤، شرح شواهد المغنى / ٤٨١، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١/ ١٢٧، الشعر والشعراء/ ١٧١، شرح القصائد السبع الطوال/ ٢٩٣، مقدمة ديوان عنترة طبع دار صادر ببيروت، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٦٧.

(٢) كثيّر بن عبد الرحمن، ترجمه المؤلف برقم ١٣٧.

(٣) البيت لسحيم بن وثيلة بن أعيقر الرياحي، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة، وفي الإسلام ستين سنة، وهو صاحب القصة المشهورة في المعاقرة، وملخصها: أصابت بني تميم مجاعة في خلافة أمير المؤمنين عليﷺ فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق، ناقة وصنع منها طعاماً وفرقه على بيوت الحي، وأرسل منه جفنة إلى سحيم، فغضب وردها. وعقر سحيم ناقة، فعقر غالب أخرى، وتفاخرا في النحر حتى نحر غالب مائة، وقصر سحيم. فلما ورد الكوفة وبخه قومه، فاعتذر بغيبة أبله عنه، ولما جاءت نحر مائة مرة واحدة (وقيل ثلثمائة) على كناسة الكوفة. فمنع أمير المؤمنينﷺ من أكلها وقال (إنها مما أهلّ لغير الله) فبقيت لحومها على الكناسة فأكلها الكلاب والعقبان.
ترجمته في:
أمالي القالي ٣/ ٥٢، الأصمعيات/ ١٧، معجم الديوان ٣/ ٤٣٠ مادة (صؤر)، أنوار الربيع ٦/ هـ ٧٥.

فلمّح إليه بقوله:

وتنكرني ليلاً وما خلت أنه إذا وضع المرء العمامة يُنكر

والتضمين أيضاً من قول الشنفرى بن مالك أحد لصوص العرب[1] يصف المفازة بالعجز من هنا وهي:

وكم مثلها فارقتها وهي تصفرُ

والآخر:

إذا سدّ منها منخر جاش منخرُ

والتضمين أيضاً من قول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[2]:

وكان مِجَنّيْ دون من كنت أتّقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

ورفع كاعبان بإضمار مبتدأ ويسمى التضمين بدون البيت إبداعاً.

ولما عرض يزيد بن معاوية الجيش الذي بعثه إلى الحرّة وقتال ابن الزبير، مرّ به رجل من أهل الشام ومعه ترس خلق، فقال: يا أخا الشام مجن ابن أبي

---

(١) هو عمرو بن مالك الأزدي، المعروف بالشنفرى، شاعر جاهلي. كان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو صاحب لأمية العرب المشهورة، ومطلعها:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

وقد شرحها الزمخشري، ولها شرح منسوب إلى المبرد ويقال أنه لأحد تلامذة ثعلب. قتل الشنفرى سنة ٧٠ قبل الهجرة، قتله بنو سلامان.

ترجمته في: الأغاني ٢١/ ١٨٥، سمط اللآلي/ ٤١٤، مختارات ابن الشجري القسم الأول/ ١٨، المفضليات تحقيق لايل/ ١٩٤، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١/ ١٦١، أنوار الربيع ١/ هـ ٢٠٩.

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو ابن أخ أبي جهل بن هشام لأمه. ولد سنة ٢٣هـ. كان من أبرز شعراء عصره. كان ماجناً خليعاً يتعرض للنساء في موسم الحج ويشبب بهن، فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى جزيرة دهلك في بحر اليمن، وهي ذات مناخ حار جداً، ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها، فمات هو ومن كان معه، وذلك سنة ٩٣هـ.

ترجمته في: الأغاني ١/ ٧٠، الشعر والشعراء/ ٤٥٧، وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٦، الموشح/ ٣١٥، تاريخ آداب اللغة لزيدان ١/ ٣٢٤، مقدمة شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة لمحمد محي الدين عبد الحميد، أنوار الربيع ٢/ هـ ٩٣.

ربيعة كان أحسن من مجنك، يشير إلى هذا البيت.

وقصيدة الشيخ جمال الدين يحتمل مجلداً كبيراً لشرح ما فيها من البديع الذي يشرح الصدر، وهو جمال الدين.

استعمل اليافعي التضمين أيضاً من قول ابن أبي ربيعة في قوله:

«قفي فانظري يا اسم هل تعرفينه» البيت وما بعده

وقد نبّه عليهما كما هو الشرط وترك الجمال التنبيه لشهرة الشعر.

ولليافعي أيضاً في السراجي الشاعر، وكان له مهراً أعطاه جندياً اسمه محمود بن فتح يروّضه له فهرب عليه به، وكان السراجي يولع بنتف لحيته:

إن السراجيَّ الذي لم يزل	يعبثُ بالشَعْرِ وبالشِعْرِ
ينتف ما لاح له منهما	حتى دُمي من حيث لا يدري
وفاته المهر الحصان الذي	ما مثله في الخيل من مُهرِ
وصار محمود له راكباً	من غير لا عقد ولا مَهْرِ
وطالما قد كان مجرى به	واليوم أضحى بعده يجري

وكان السراجي شريفاً، ينتسب إلى الإمام السراجي، وكان يغير على أشعارهم.

ولإغارة عتيبة بن الحارث بن شهاب[1] مع البكور في مغيرة الأعراب، وقد يكتب القصيدة إذا سمعها ثم يذهب ينشدها له، وأما شعره فكالنسيم في العلة،

---

(١) عتيبة بن الحارث بن شهاب التميمي: فارس تميم في الجاهلية. كان يلقب «سم الفرسان» و «صياد الفوارس» ويضرب المثل به في الفروسية. قال ابن أبي الحديد: كانوا يعدون أبطال الجاهلية ثلاثة: عامر بن الطفيل، وبسطام بن قيس، وعتيبة بن الحارث، وقال أبو هلال العسكري: كانوا يقولون: لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة، لثقافته.

قتله ذؤاب بن ربيعة (بالتصغير) بن عبيد.

ترجمته في:

جمهرة الأمثال ٢: ١١١، وجمهرة الأنساب/ ١٨٤، وشرح نهج البلاغة ٣: ٢٧٩، ووقع فيه اسمه «عتبة» من خطأ النسخ أو الطبع. ورغبة الآمل ٢: ١٥٥ ثم ٦: ٩٢، الإعلام ط ٤/ ٤/ ٢٠١.

وكالعيون لكن في السقم، وكالغصون لكن في العصف، وكعينه وإنها عورا.

وآخر ما فارقت عليه الشيخ إبراهيم، أنه حضر ختان أحمد بن إسماعيل بن أمير المؤمنين المهدي بالقصر، وقد احتفلوا به وحضر معه الفقيه صلاح الأحمري الشاعر[1]، فأنشد الأحمري أبياتاً منها تهنئةً، وأنشد الشيخ إبراهيم وسيلة لبعض الزمزميين شعراء مكة، أولها:

مـا أرسـل الـرحـمـن أو يـرسـل	مـن رحـمـة تـصـعـد أو تـنـزلُ
إلاّ وطـه الـمـصـطـفـى عـبـده	نـبـيّـه مـخـتـاره الـمـرسـلُ

فلما أكملها، توهّم القيّم بالسماط إنها تهنئة له، فأسخن عين الاثنين بجائزة، وبزعمه أرك من فهمه.

قلت: لله درّه لقد عامل القوم بما عرفه من أفهامهم، وإنّما تكون آفة الشعر والشاعر بسوء فهم السامع، فإن العمدة اليوم برغم ابن الرشيق ليس إلاّ زخرفة ورقّة بالشعر، وكتبها بالقلم الغليظ وحجبها، وإن كان المتشاعر يقدر على كتب اسم الرئيس بالذهب، وأنّى له به فحينئذ يكون الفصيح المجيد، وإن كان ناقلاً ذاوياً برغم الشيخ المجيد، ولو وجد من يعقل أو ينصف لكان من سلف من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية أفضل ممن بُلينا بهم علماً وفهماً وأدباً وفضلاً، وأين لنا مثل المأمون وأدبه وحلمه وكماله، وجود الرشيد وأدبه وشجاعته، أو شجاعة المعتصم وفهمه، بل ولو قلت بنو أميّة ما خلوا عن كمال العقول، وتمييز الدرّ من البعر، ما كذبني منصف، فدع عنك الإصغاء إلى دأبهم في الكمال الدنيوي، ولا يخفى على من له فكرة أن الحاجة إلى السلطان إنما هي لنظم أمور الدنيا، لأن الآخرة لا تحتاج إلاّ إلى ملك الملوك سبحانه وتعالى، ولهذا قام البرهان العقلي والنقلي أن خلافة النبوة مفتقرة إلى العصمة لطفاً من الله بعباده، لينتظم أحوال معايشهم، ولئلا يكون على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزاً حكيماً، ولله فينا إرادة وهو بالغها، وحسبنا الله.

وكان اليافعي آخر أمره يبيع بنات فكرته لأنها رقيقة من جماعة حمقاء بالنزر، وقد انتفع قديماً بمهرها، وقنع بعد الزهرة بالبزر، وكنت أودّ لو قرّظت

---

(١) ترجمته في نشر العرف ١/٧٩٧ ـ ٨٠٠.

هذه الخريدة بشذرات من لآلئه ليروق جيدها لعاشقه، ويعذب حاليه، إلآ أنه بسبب هذه المحنة عدم جوهر هذا النظام، وكثر الحلف فيه عند أهل الكلام، فكنت فيه كحاطب ليل ما بين ذي النابين وذات الذيل، آخذ ما وجدت، ولا أبالي بما كتبت، وقد فقد مختاره كما فقد المختار، ومحت سورة الليل آية النهار.

وشعره يدخل في مجلدات لو لم تختلسه العقول المحمقات. وسألت عن شعره ولده الحسن وهو فلاَّح، فلم آنس منه فيها فلاح[1].

❁ ❁ ❁

واليافعي: نسبة إلى يافع، قبيلة كبيرة من حمير كانوا باليمن رعية، ثم استحالوا ملوكاً تخضع لهم الملوك تقيّة:

أسماء مملكة في غير موضعها ... كالهرّ يحكي انتفاخاً صورة الأسد

[٣]

الإمام أبو الحسن، إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الحجازي، أحد أئمة الزيدية(*).

فاضل لم يرض بسوى الماضيين السيف والعزم، أظهرت فتكاته المحققة ولادة الأنبياء، وإبراهيم من أولي العزم، يفتخر من فعله جدّه بالحسن، ويرى المكارم في إراقة أبحر الدم لا قعبان من لبن، ويطرب بوقع الصارم البتّاء لأنه إبراهيم طرّاب إسحاق بالأوتار، وله شعر أقل من أمثاله من الكرام وكز من الورد الشهي في العام.

أورد له أبو الفرج في مقاتل الطالبيين يخاطب زوجته البكرية[2]:

ألم تعلمي يا بنت بكر تشوقي ... إليك وأنت الشخص ينعم صاحبه

وعلقت ما لو نيط بالصخر من جوًى ... لهدّ من الصخر المنيف جوانبه

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: «فلاحا».

(*) ولد سنة ٩٧هـ.

ترجمته في: مقاتل الطالبيين ٣١٥ ـ ٣٨٦، الكامل لابن الأثير ٥/٢٠٨، تاريخ الطبري ٩/٢٤٣، دول الإسلام للذهبي ١/٧٤، الإعلام ط ٤/١/٤٩.

(٢) وهي: بحيرة بنت زياد الشيبانية.

رأت رجلاً بين الركاب ضجيعُه سلاحٌ ويَعبُوبٌ فباتت تُجانِبُه[1]
تصد وتستحيي وتعلم أنّه كريمٌ فتدنو نحوه وتُلاعبه
فسلَّأنا عنها ولم نَقْلِ قربها ولم تَقْلنا خطب شديد تراكبه
عجاريف فيها عن هوى النفس زاجرٌ إذا اشتبكت أنيابه ومخالبه[2]

لو كان قائل هذه الأبيات غير الإمام أبي الحسن وكانت الكاف في كريم للتشبيه لحسن موقعها، وكانت الحجة في الدنوّ والملاعبة لها واضحة.

وأحسن ما سمعت في سبك هذا المعنى قول الأديب جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري في استهلال قصيدة:

صيّرني في كلّ وادٍ أهيم مَنْ خَطَّ قلبي عنه هاءً وميم
مُبَخَّل يشبه ريم الفلا واطُولَ شجوي من بَخيل كريم[3]

وإنّما أخذه من قول علاء الدين الوداعي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[4] ـ وكان متسلّطاً عليه:

ما كنت أوّل سائل[5] محروم من باخل بادي النضار كريم

وأخذ المعنى الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي[6] في المجون يخاطب واسعة وتخاطبه:

قالت وقد أدخلت أيري جاهداً كالخيط وسط البير إذ تلقيه

---

(١) اليعبوب: الفرس السريع الطويل (القاموس).
(٢) مقاتل الطالبيين/٣١٦.
(٣) كاملة في ديوان ابن نباته المصري/٤٣٦.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٢٣.
(٥) في هامش الأصل: «عاشق».
(٦) هو صلاح الدين خليل بن الأمير أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي. ولد سنة ٦٩٦ وقيل ٦٩٧هـ. كان أديباً كاتباً شاعراً. له مصنفات كثيرة، يقال أنها بلغت (٢٠٠) مجلداً، منها: الغيث المسجم في شرح لأمية العجم، ونصرة الثائر على المثل السائر، ونكت الهميان في نكت العميان، والشعور بالعور، وأهمها الوافي بالوفيات في نحو خمسين مجلداً، لا تزال بعض أجزائه مفقودة. توفي بدمشق سنة ٧٦٤هـ.
ترجمته في: تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ١٧٤، البدر الطالع ١/ ٢٣٤ النجوم الزاهرة ١١/ ١٩، شذرات الذهب ٦/ ٢٠٠، حديقة الأفراح/ ٨٥، أنوار الربيع ١/ هـ ١٢٦.

قد عشت[١] في كسٍّ كبير قلت ما كذبت لأن الكاف للتشبيه

وأخذت أنا هذا المعنيّ حيث وجدت السعة فقلت من قصيدة:

ودون الرمل من غربيّ حزوى نخيل وهو في غيد كريم

ونسب السيد الأمير أبو الحسن إسماعيل بن محمد[٢] في سمط اللآل هذه الأبيات للإمام إبراهيم بن عبد الله يرثي بها أخاه محمداً:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب الوترا

وإنا أناس لا تفيض دموعنا على هالك منّا وإن قصم الظهرا

ولست كمن يحكي أخاه بعبرة يعصّرها من جفن مقلته عصرا

ولكننا نشفي الفؤاد بغارة ونلهب في قطري كتائبها جمرا

وقد وهم في نسبتها إليه، وإنّما هي لدريد بن الصمّة[٣] يرثي بها أخاه عبد الله، أو لعمرو بن معدي كرب فارس اليمانية[٤] كما ذكر أبو

---

(١) في هامش الأصل: «قد غصت».

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

(٣) هو دريد بن الصمة، واسم الصمة معاوية بن الحارث بن بكر ابن هوازن. تغزل بالخنساء وخطبها فامتنعت، فتهاجيا، شاعر فحل من شعراء الجاهلية. ابتلي بالبرص والعمى، أدرك الإسلام وهو طاعن في السن ولكنه لم يسلم. أخرجه قومه (هوازن) معهم لقتال المسلمين يوم حنين فقتل كافراً في تلك الوقعة سنة (٨) هـ وعمره على ما يقال قد قارب المائتي سنة.

ترجمته في: الأغاني ١٠/ ٧ ـ ٤٩، المعمرون والوصايا/ ٢٧، المحبر/ ٢٩٨ و٢٩٩، شرح شواهد المغني/ ٩٣٩، الشعر والشعراء/ ٦٣٥، أنوار الربيع ٣/ هـ ٣٢٥.

(٤) هو أبو ثور عمرو بن معدي كرب الزبيدي بن عبد الله بن عمرو بن عاصم. فارس اليمن المشهور. قدم المدينة في السنة التاسعة للهجرة، فأسلم واستعدى النبيﷺ على قاتل أبيه، فأخبره بأن الإسلام هدر ترات الجاهلية، فغضب ورجع إلى اليمن مرتداً، وأخذ يغير على القبائل. فأرسل النبيﷺ علياً بسرية إلى زبيد، وأرسل خالد بن الوليد بسرية أخرى إلى جعفي وأمر إذا التقيا فعلي هو الأمير. والتقى أبو الحسن بابن معدي كرب فصاح به صيحة انخلع لها قلبه، وولى هارباً، وترك وراءه أخاه وابن أخيه قتيلين وخلف ولده أسرىٰ وزوجته سبية ورجع أمير المؤمنين إلى المدينة وخلف على زبيد خالد بن سعيد وكان على مقدمة جيشه، فعاد عمرو إلى ابن سعيد معلناً توبته ورجوعه إلى حضيرة الإسلام، فوهب ابن سعيد له زوجته وولده. اشترك المترجم له في حرب القادسية وأبلى فيها البلاء الحسن حتى قتل وعمره أكثر من مئة سنة. وقيل إنه مات سنة ٢١هـ بعد أن شهد وقعة نهاوند.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٥٢٥، الشعر والشعراء/ ٢٨٩، معاهد التنصيص ١/ ٢٢١، الأغاني ١٥/ ٢٠٠ ـ ٢٣٥، الاستيعاب/ ١٢٠١، أعيان الشيعة/ ٣/ القسم الأول/ ٢٧٦، إرشاد المفيد/ ٨٤، سرح العيون/ ٤٣٦، أنوار الربيع ٢/ هـ ٨٢.

تمام[1] في الحماسة. ولم يكن في بني هاشم ذلك الزمان من له مثل هذا الشعر والطبع يفرّق بين الأولى وهذه.

وأما قريش فقد كان فيهم مثل عمر بن أبي ربيعة وهو شاعر مقدّم، وقيل أن العرب سلمت لقريش السبق إلى كل فضل إلاّ الشعر حتى نشأ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد[2] المخزوميان، فسلمت لهم الشعر أيضاً.

وقال القاضي العلامة أبو محمد أحمد بن ناصر بن عبد الحق ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[3] ـ: إن الوهم لم ينشأ من إسماعيل، إنما تبع أبا الفرج وغيره.

ونسب أبو الفرج إلى الإمام إبراهيم أيضاً أبياتاً بائية فيها تعسّف، وقال أبو زيد إنها لغالب الهمداني، وقال ابن المدائني وحرمي بن العلاء، إنها لإبراهيم ومنها:

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. ولد سنة ١٩٢ (وقيل غير ذلك). نشأ بمصر ثم انتقل إلى العراق. كان أديباً منشياً، له ديوان الحماسة، ومختار شعر القبائل، وفحول الشعراء، وديوان شعره. كان ظريفاً حسن الأخلاق كريم النفس، متوقد الذهن، قيل إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب. بلغ في الشعر غاية الكمال، فنظم في كل ضرب، ولكنه بلغ في الرثاء درجة لم يبلغها شاعر قبله ولا بعده، توفي بالموصل سنة ٢٣٢هـ (وقيل غير ذلك). أفرد العلامة السيد محسن العاملي الجزء التاسع عشر من موسوعته ـ أعيان الشيعة ـ وهو مجلد ضخم، لترجمة أبي تمام.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١١ ـ ٢٦، والكنى والألقاب ١/ ٢٨، وأخبار أبي تمام للصولي، والموازنة بين أبي تمام والبحتري، وأمراء الشعر العربي في العصر العباسي/ ١٨٣ ـ ٢٣٤، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٧٧ ـ ٧٩، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي من قريش: شاعر غزل، من أهل مكة نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة. وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها. وله معها أخبار كثيرة. وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان، فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة، وتوفي بها نحو سنة ٨٠هـ. جمع الدكتور يحيى الجبوري ما وجد من شعره في كتاب «شعر الحارث بن خالد المخزومي ـ ط».

ترجمته في:

الأغاني ٣٠٨ ـ ٣٣٩، وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٣٧ وخزانة البغدادي ١: ٢١٧ ومجلة الأديب: يناير ١٩٧٣، الإعلام ط ٤/ ٢/ ١٥٤.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

ما ذكرك الدِّمنة القفار وأهـ ـل الدار ما نحُّوك أو قرّبوا
إلاّ سفاها وقد تفزعك الشـ ـيب بلون كأنّه العطبُ
ومرَّ خمسون من سنيّك كما عدَّ لَكَ الحاسبون إذ حسبوا
فَعُد ذكر الشباب ليس له ولا إليك الشباب ينقلب

وترك إيراد مثل هذا أولى سيّما مع الخلاف في قائلها.

وخرج إبراهيم رضي الله عنه على أبي جعفر المنصور في شهر رمضان، وقتل في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة بالبصرة، وجهه أخوه من الحجاز، وقيل أنه قتل في ذي الحجة أيضاً، وعلى القول الأول تكون خلافته أربعة أشهر، وكان قتله بباخمرا من سواد البصرة[1]، وأخذ رأسه الأقطع مولى عيسى بن موسى الذي ولآه المنصور حربه وحرب أخيه الإمام محمد ولم يصدقه عيسى حتى حلف بالطلاق أنه رأسه، ونادى منادي أبي جعفر: هذا رأس الفاسق بن الفاسق.

وقال أبو الفرج: حدّث عيسى بن روضة[2] قال: لما جيء برأس إبراهيم فوضع بين يدي أبي جعفر بكى حتى رأيت دموعه فوق خدي إبراهيم، ثم قال: أما والله إني كنت لهذا كارهاً ولكن ابتليت بك وابتليت بي[3].

وروي أيضاً: عن علي بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي عن أبيه الحسن بن زيد قال: كنت عند المنصور حين جيء برأس إبراهيم فأتي به في ترس حتى وضع بين يديه، فلما رأيته بردت من أسفل بطني، فجعلت أداري ذلك خشية أن يفطن بي، فالتفت إلي وقال: يا أبا محمد أهو هو؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولوددت أن الله فاء به إلى طاعتك وإنك لم تكن نزّلته هذه المنزلة، فقال: وأنا وإلاّ فأُمُّ موسى بالطلاق - وكانت غاية أيمانه - لوددت إن الله فاء به إلى طاعتي ولم أكن نزلت منه هذه المنزلة، ولكنه أراد أن ينزلنا بها فكانت أنفسنا أعزّ علينا من نفسه.

قلت: عمل المنصور بقول القائل:

---

(١) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط، وهو إلى الكوفة أقرب، به قبر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ابن الحسن، قتله بها أصحاب المنصور «مراصد الاطلاع ١/١٤٨».
(٢) في المقاتل: «رؤبة».
(٣) مقاتل الطالبيين ٣٥٢، أنظر: ابن الأثير ٥/٣٣٠، الطبري ٩/٢٦٠.

ونبكي - حين نقتلكم - عليكم   ونقتلكم كأنّا لا نبالي

وكان سبب خروجه[1]: أن أباه لما مات ببغداد في حبس المنصور، هو وعدّة من الحسنيين ظلماً لهم، وكانوا خير أهل وقتهم، وبعضهم اغتيل في السجن كما قيل، ثار الإمام محمد بن عبد الله رضي الله عنه بالمدينة مُنكراً جور المنصور، وكان شيعته يسمّونه المهدي المنتظر، وبايعه أهلها وكثير ممّن سواهم حتى قيل إنه بايعه حميد بن قحطبة أحد شيعة العباسية الخراسانية سرّاً، وبعث أخاه إبراهيم إلى البصرة فأسرع إليه النسّاك والمعتزلة والفقهاء كبشير الرحّال والإمام أبي حنيفة[2]، فملكها ومعها الأهواز وعظم أمره على المنصور حتى انحدر من دار السلام إلى الكوفة ليأمن غائلة أهلها، ووجّه محمد أخاه إدريس إلى مصر فلم يثبت له فيها أمر، فسار إلى المغرب فملكها وتوارثها بنوه إلى أيام دعوة الفاطميين بالمغرب، ثم لم يلبث الإمام محمد أن قتل بأحجار الزيت قرب المدينة النبوية، وجاء خبره إلى إبراهيم وهو يخطب الناس على منبر البصرة، فاستعبر ونعاه إلى الناس، ودعاهم إلى بيعته فبايعوه وبعث عمّاله ودعاته إلى

---

(١) في هامش الأصل: «مخرجه».

(٢) النعمان بن ثابت: التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. قيل: أصله من أبناء فارس ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ ونشأ بها. وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء. وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء، فامتنع ورعاً. وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات، له «مسند - ط» في الحديث، جمعه تلاميذه، و «المخارج - خ» في الفقه، صغير، رواه عنه تلميذه أبو يوسف، وغيرهما، توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ وأخباره كثيرة.

ترجمته في:

تاريخ بغداد ١٣: ٣٢٣ - ٤٢٣، وفيات الأعيان ٥/٤٠٥ - ٤١٥، والنجوم الزاهرة ٢: ١٢، والبداية والنهاية ١٠: ١٠٧، والجواهر المضية ١/٢٦، ونزهة الجليس للموسوي ٢: ١٧٦ وBrock.S.I:284 وذيل المذيل ١٠٢وتاريخ الخميس ٢: ٣٢٦، والذريعة ١: ٣١٦ والانتقاء لابن عبد البر ١٢٢ - ١٧١ وبرنامج المكتبة العبدلية ١٩٣ والآصفية ٣: ٢٥٦. ومفتاح السعادة ٢: ٦٣ - ٨٣ ومطالع البدور، وهادي المسترشدين إلى اتصال المسندين ٣٤٦ راجع المصادر المذكورة في آخر الترجمة، ولا سيما كتاب أبي زهرة. وجوينبول Th.W.Juynboll في دائرة المعارف الإسلامية ١: ٣٣٠ - ٣٣٢ ومرآة الجنان ١: ٣٠٩ - ٣١٢ وHuart 2,34 وأنظر مفتاح الكنوز ٢: ٣٦٢، ٣٧٧، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٨٢، الإعلام ط ٤/٨/٣٦.

النواحي، وجاءت كتب أهل الشام والجزيرة يلتمسون رسوله ليبايعوا له، ولكن المنصور عاجله، والقضاء لا يرد.

وقيل: ورد نعي الإمام محمد على أخيه الإمام إبراهيم رضي الله عنه يوم عيد الفطر فنعاه وبكى وأنشد يقول:

أبا المنازل يا عين الفوارس مَنْ ... يُفجعْ بمثلك في الدنيا فقد فُجِعا

الله يعلم إني لو خشيتهم ... وأوجس القلب من خوف لهم فَزَعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهم ... حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

وكان يقول: ما أتى عليَّ يوم بعد قتل أخي إلا استطلته حبّاً للّحاق به، وأشبه متمم بن نويرة[1] بعد مالك[2] إلاّ أنه زاد عليه بأن طلب بدمه حتى مات تحت ظل السيوف، ولو هجم الكوفة لقام معه من أهلها مائة ألف سيف، إلاّ أنه

---

(١) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو نهشل: شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه. إشتهر في الجاهلية والإسلام. وكان قصيراً أعور. أشهر شعره رثاؤه لأخيه «مالك» ومنه قوله:

«وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر، حتى قيل: لن يتصدعا»

وندمانا جذيمة هما: (مالك وعقيل). وسكن متمم المدينة، في أيام عمر، وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه.

ترجمته في:

شرح المفضليات للأنباري ٦٣ و٥٢٦ والإصابة: ت ٧٧١٩ والجواليقي ٣٧٥ ومنتخبات من شمس العلوم لنشوان الحميري ١٠٢ وفيه: «يعني بندماني جذيمة: الفرقدين، وذلك أن جذيمة الأبرش، الملك الأزدي، كان إذا شرب كفأ لهما كأسين، فلا يزال كذلك حتى يغورا، ولم ينادم غيرهما تعظماً عن منادمة الناس». وشواهد المغني ١٩٢ والأغاني ١٥/ ٢٨٩ ـ ٣١٢ وما بعدها. وجمهرة أشعار العرب ١٤١ والمرزباني ٤٦٦ وسمط اللآلي ٨٧ والتبريزي ٢: ١٤٨ ـ ١٥١ والجمحي ١٦٩ و١٧٤ وخزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٣٦ ـ ٢٣٨ قلت: ضبطه الفيروز أبادي في مادة «تم» بفتح الميم الوسطى المشددة «كمعظم» ثم جعله في مادة «نور» بالشكل، مكسور الميم، وفي ديوان ابن حيوس ٢: ٥٩٩ قوله:

فجيعة بين، مثل صرعة «مالك» ... ويقبح بي ألا أكون «متمما»

وأنظر رغبة الآمل ٣: ٩٧ ثم ٨: ٢٢٣ و٢٣١ ـ ٢٣٤. الإعلام ط ٤/ ٥/ ٢٧٤.

(٢) مالك بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، أبو حنظلة: فارس شاعر، من أرداف الملوك في الجاهلية. يقال له «فارس ذي الخمار» وذو الخمار فرسه، وفي أمثالهم «فتى ولا كمالك» وكانت فيه خيلاء، وله لمة كبيرة. أدرك الإسلام وأسلم وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه (بني يربوع) ولما صارت الخلافة إلى أبي بكر إضطرب مالك في أموال الصدقات وفرّقها. =

خاف من هجومه أن يستباح من لا ذنب له من النساء والصبيان، فقيل له تخرج على المنصور وتخاف من ذلك.

والظاهر أنه كان لا يجيز قتل الترس الذي تبيحه الزيدية.

وكان المنصور يقول: لا أنام ولا أغيّر لباسي حتى أرى رأس إبراهيم عندي، أو يُرى رأسي عنده.

وكان عامّة جيشه في النواحي، فالتزم بعدها أن لا يفارق بابه ثلاثون ألف فارس.

وكان إبراهيم مع الزهد والعلم أيّداً. أمسك مرّة بذنب ناقة شرود فمرّت تهوى به فما فارقها حتى قطع ذنبها من أصله وجاء به في يده.

ومن عدله أنه أرسل بعد بيعته إلى إبراهيم بن عبد الحميد بن لاحق فقال: بلغني أن عندك أموالاً للظلمة يعني المورياني وزير المنصور قال: ما لهم عندي مال، قال: الله، قال: الله، فتركه، وقال: إن ظهرت عليَّ مال عندك لأدعونّك كذّاباً.

وقال محمد بن عيسى الأسواري: صلّيت يوماً إلى جنب بشير الرحّال وكان شيخاً عظيم الرأس واللحية ملقياً رأسه بين كتفيه، فمكث طويلاً ساكتاً، ثم رفع رأسه وقال: عليك أيها المنبر لعنة الله وعلى من حولك، فوالله لولاهم ما نفذت لله معصية، وأقسم بالله لو يعطيني هؤلاء الإثنان حقاً لي لأقمت كل امرىء منكم على حقّه وصدقه قائلاً للحق أو تاركاً له، وأقسم بالله لئن بقيت لأجهدّن جهدي في ذلك أو يريحني الله من هذه الوجوه المشوّهة في الإسلام، المستنكرة، قال:

= فتوجه إليه خالد بن الوليد وقبض عليه في البطاح، وأمر ضرار ابن الأزور الأسدي، فقتله.

ترجمته في:

فوات ٢: ٢٩٥ والإصابة: ت ٧٦٩٨ والنقائض ٢٢ و٢٤٧ و٢٥٨ و٢٩٨ والمرزباني ٣٦٠ وغربال الزمان ـ خ. والشعر والشعراء ١١٩ والمحبر ١٢٦ وسرح العيون لابن نباته ٤٤ والجمحي ١٧٠ ورغبة الآمل ١: ٥٨ ثم ٨: ٢٣١ ـ ٢٣٥ وفي القاموس: الردف، جليس الملك عن يمينه، يشرب بعده، ويخلفه إذا غزا. وفي خزانة الأدب للبغدادي ١: ٢٣٦ تفصيل السبب الذي قتل من أجله مالك بن نويرة، وما دار بينه وبين خالد قبل ذلك، الإعلام ط ٦٢٧/٥/٤.

فوالله لخفنا أن لا نفترق حتى توضع في أعناقنا الحبال، ثم تعقب ذلك خروجه مع الإمام إبراهيم.

وروى أبو الفرج عن مسعود الرحّال قال: شهدت باخَمْرَىٰ وإني لأنظر إلى إبراهيم وهو في فسطاطه وبين يديه علم مذهّب مركوز، فسمعته يقول: أين أبو حمزة؟ فأقبل شيخ كبير على فرس، فلما دنا عرفت وجهه وإذا هو شيخ كان يعمل القَلَانِسَ بالكوفة على باب دار ابن مسعود فقال له: هذا العلم تقف به في الميسرة، فالتقى الصفّان، وقتل إبراهيم، وانهزم أصحابه، وإنه لواقف مكانه، فقيل له: ألا ترى صاحبك قد قُتل وقد تفرّق الناس؟ قال: إنه قال لا تبرح. فقاتل على عَقرَبِهِ، ثم راجلاً، حتى قتل[1].

وقال سفيان الثوري: لما قتل إبراهيم ما أظن الصلاة تقبل، إلاّ أن الصلاة خير من تركها.

وروى أبو الفرج: عن أبي نعيم قال: سمعت زُفر بن الهذيل يقول: كان أبو حنيفة يجهد[2] في أمر إبراهيم مجهداً شديداً فنهيته[3]، فلما كان بعد ذلك كتب المنصور إلى عيسى بن موسى وهو بالبصرة يأمره بحمله إلى بغداد فرأيته وهو راكب حماراً وقد كاد وجهه أن يسودّ، فقدم به بغداد فسقي شربة مات منها سنة خمسين ومائة، وعمره سبعون سنة.

ولم ينفرد الأصبهاني بهذه الرواية بل رواها صاحب «شقائق النعمان في مناقب النعمان» من متأخري الحنفية.

وأما رأس الإمام إبراهيم فلم يذكر الأصبهاني مصيره.

❁ ❁ ❁

وذكر الشيخ الفاضل أحمد بن علي بن تقي الدين المقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: إن رأس أبي الحسن إبراهيم بن عبد الله في مسجد خارج القاهرة المعزية يعرف أولاً بمسجد بترنم بالحُمَيرة، وبالتبر،

---

(١) مقاتل الطالبيين ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٢) في المقاتل: «يجهر جهراً».

(٣) مقاتل الطالبيين ٣٦١.

وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ، وموضعه قريب من المطرية.

وقال القضاعي: مسجد تبر بني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، أنفذه المنصور فسرقه أهل مصر ودفنوه هناك، وذلك سنة خمس وأربعين ومائة.

وقال الكندي في كتاب أمراء مصر: ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة لينصبوه في المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره وكان تبر أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور، فلما قدم القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله ثار تبر الإخشيدي في جماعة من الكافورية والإخشيدية فهزمه القائد إلى أسفل أرض مصر، ثم بعث القائد يستعطفه فلم يجبه، وأقام على الخلاف فسيّر إليه عسكراً فحاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار إلى ناحية مدينة صور التي كانت على الساحل فقبض عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن إلى صفر سنة ستين ومائتين، فطولب بالمال وضرب بالسياط، ومضت أمواله وحبس عدّة من أصحابه بالمطبق في القيود إلى ربيع الآخر فجرُحَ نفسه ومرض أياماً ومات فسلخ بعد موته وصلب عند كرسي الجبل.

وقال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر المصري: إن جلده حشّي تبناً، فلذا سمّت العامة مسجده مسجد التبن[1].

❁ ❁ ❁

والزيدية فرق ينتسبون إلى الإمام أبي الحسين زيد بن زين العابدين عليه السلام وكان أوائلهم لا يخالفونه في الصلاح والقول بوجوب قتال الجبابرة، ويشترطون في الإمامة ثلاثة عشر شرطاً، إذا حازها وجبت بيعته وطاعته، ثم إن المتأخرين منهم اكتفوا في الإمام بشرطين هما الذكورة وأنه فاطمي.

❁ ❁ ❁

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٣٣٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٨.

وأما المنصور فاسمه أبو جعفر عبد الله الطويل بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[1]، ساعده القدر فملك من حدود الصين إلى بحر المغرب المحيط طولاً وعرضاً، حيث انتهت دعوة الإسلام إلاّ الأندلس فكانت للمرواني الداخل وأولاده. وكان جباراً بخيلاً شجاعاً، عهد له السفاح بالخلافة، وقتل أبا مسلم الخراساني[2] صاحب الدعوة، وبنى بغداد، وقتل جماعة من الحسنيين، وأوقع

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس: أول خلفاء الدولة العباسية وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. ويقال له «المرتضى» و «القائم». ولد سنة ١٠٤هـ بالشراة (بين الشام والمدينة) ونشأ بها، وتوفي شاباً بالأنبار سنة ١٥١هـ، ومما كتب في سيرته «أخبار السفاح» للمدائني، و «أخبار أبي العباس» للخزاز.

ترجمته في:

ابن الأثير ٥: ١٥٢ والطبري ٩: ١٥٤ واليعقوبي ٣: ٨٦ وابن خلدون ٣: ١٨٠ وما قبلها. وتاريخ الخميس ٢: ٣٢٤ وفيه: «كان أبيض طوالا أقنى أجعد الشعر حسن اللحية» وأرخ ولادته سنة ١٠٨هـ. والبدء والتاريخ ٦: ٨٨ وما قبلها. والنبراس ١٩ ـ ٢٣ وفيه: «لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء المبطلين!» والمسعودي ٢: ١٦٥ ـ ١٨٠ وتاريخ بغداد ١٠: ٤٦ وفوات الوفيات ١: ٢٣٢ وفيه «ولد بالحميمة» وهي من الشراة. وفي المحبر ٣٣ و٣٤ «كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأربعة أيام، منها ثمانية أشهر كان يقاتل فيها مروان بن محمد». الإعلام ط ٤/ ١١٦/٤.

(٢) عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد في ماه البصرة (مما يلي أصبهان) سنة ١٠٠هـ عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي، فربياه إلى أن شبّ، فاتصل بإبراهيم بن الإمام محمد (من بني العباس) فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية، فأقام فيها واستمال أهلها. ووثب على ابن الكرماني (والي نيسابور) فقتله واستولى على نيسابور، وسُلم عليه بامرتها، فخطب باسم السفاح العباسي (عبد الله بن محمد) ثم سيَّر جيشاً لمقاتلة مروان بن محمد (آخر ملوك بني أمية) فقابله بالزاب (بين الموصل وإربل) وانهزمت جنود مروان إلى الشام، وفرّ مروان إلى مصر، فقتل في بوصير، وزالت الدولة الأموية الأولى (سنة ١٣٢ هـ) وصفا الجو للسفاح إلى أن مات، وخلفه أخوه المنصور، فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة، فقتله برومة المدائن سنة ١٣٧هـ. عاش أبو مسلم سبعاً وثلاثين سنة بلغ بها منزلة عظماء العالم، وكان فصيحاً بالعربية والفارسية، مقداماً، داهية حازماً، راوية للشعر، يقوله؛ قصير القامة، أسمر اللون، رقيق البشرة حلو المنظر، طويل الظهر قصير الساق، لم يُر ضاحكاً ولا عبوساً، تأتيه الفتوح فلا يُعرف بشره في وجهه، ويُنكب فلا يرى مكتئباً، خافض الصوت في حديثه، قاسي القلب: سوطه سيفه. وللمرزباني محمد بن عمران المتوفي سنة ٣٧٨ كتاب «أخبار أبي مسلم» في نحو مئة ورقة.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١٤٥/٣ ـ ١٥٥ وابن الأثير ٥: ١٧٥ والطبري ٩: ١٥٩ والروض المعطار ـ خ، والبدء والتاريخ ٦: ٧٨ ـ ٩٥ وميزان الاعتدال ٢: ١١٧ ولسان الميزان ٣: ٤٣٦ وتاريخ بغداد =

العداوة بين بني هاشم وبين قيس واليمن، وجميع الخلفاء من ولده، وكان عالماً قد سمع الحديث، وسُمِعَ من الصادق عليه السلام[1]: أنه سيملك هو وولده حتى يزيل ملكهم الأتراك، وإنه سيتلاعب بها بنوه، فكانت نفسه قويّة لا يبالي بمن خرج عليه ولا بمن قتل.

وروي عن الباقر عليه السلام[2]، وذكر بعض السادة أنه روىٰ في فضائل علي عليه السلام

= ١٠: ٢٠٧ والذريعة ١: ٣١٨ وفي المعارف لابن قتيبة ١٨٥ «اختلفوا في اسمه اختلافاً كثيراً» وفي أنساب الأشراف ـ خ. الجزء الرابع، ص٦٣١ قال له رؤبة بن العجاج: إني أرى لساناً عضباً وكلاماً فصيحاً فأين نشأت أيها الأمير؟ قال: بالكوفة والشام. قال: رؤبة بلغني أنك لا ترحم؟ قال: كذبوا، إني لأرحم. قال: فما هذا القتل؟ فقال أبو مسلم: إنما أقتل من يريد قتلي: الإعلام ط ٤/٣/٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(١) جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق، له «رسائل» مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها. مولده بالمدينة سنة ٨٠هـ ووفاته فيها سنة ١٤٨هـ.

ترجمته في:

نزهة الجليس للموسوي ٢: ٣٥ ووفيات الأعيان ١/٣٢٧ ـ والجمع ٧٠ واليعقوبي ٣: ١١٥ وصفة الصفوة ٢: ٩٤ وحلة الأولياء ٣: ١٩٢، الإعلام ط ٤/٢/١٢٦.

(٢) أبو جعفر الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولد بالمدينة المنورة سنة ٥٧ وقيل ٥٩، وتوفي بها سنة ١١٤هـ ودفن بالبقيع. كان منصرفاً لتدريس علوم الدين والآثار والسنة والقرآن وفنون الأداب، أخذ عنه بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، روى جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: يا جابر إنك ستعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرأه عني السلام.. وللجلودي (عبد العزيز بن يحيى) المتوفي سنة ٣٠٢ كتاب «أخبار أبي جعفر الباقر».

ترجمته في:

تذكرة ١: ١١٧ وتهذيب ٩: ٣٥٠ واليعقوبي ٣: ٦٠ وصفة الصفوة ٢: ٦٠ وذيل المذيل ٩٦ وحلية ٣: ١٨٠ والذريعة ١: ٣١٥ وأنظر منهاج السنة ٢: ١١٤ و١٢٣ وقيل: وفاته سنة ١١٧ أو ١١٨، الإعلام ط ٤/٧/٢٧٠ ـ ٢٧١. الإرشاد للمفيد/ ٢٤٥ و٢٥٣، أعيان الشيعة ٤ ـ القسم الثاني/٣، عمدة الطالب/ ١٦٠، وفيات الأعيان ٣/ ٣١٤، نزهة الجليس ٢/ ٣٦، كشف الغمة للأربلي ٢/ ٣٢٨، أنوار الربيع ٦/هـ ٣٠٠.

حديثاً طويلاً أيام جولانه في البلاد خوفاً من بني أُمية، ثم صار ناصبياً وقد ضربه بعض آل المهلب بالسياط في البصرة بسبب أنه ضمن بعض الأعمال بمال أنكِر عليه.

وذكر بعض العلماء: إن حفص بن عنتر كتب إلى المنصور يخبره أنه وجد على جدار ببلاد الهند مكتوباً: يقول علي بن محمد بن الحسن بن الحسين[1] بن علي بن أبي طالب عليه السلام أتيت إلى هذا الموضع بعد أن مشيت حتى انتعلت الدم، وقد قلت [من الطويل]:

عَسى مَنْهلٌ يصفُو فيروي ظمْأةً ... أطالَ صداها المنهلُ المتكدرُ
عسى بالجنوبِ العادياتِ ستكْتَسِي ... وبالمستذلِّ المُستِضام سَيُنصرُ
عسى جابرُ العَظْم الكسيرِ بلطفِهِ ... سيرتاحُ للعظم الكسيرِ فيجبرُ
عسى صوراً أمسى لها الجور واقياً ... سيتبعها عدلَ يحيى فينشرُ
عسى اللّهُ لا تيأسْ من اللّهِ إنَّهُ ... يسيرٌ عليه ما يعزُّ ويُعْسُرُ[2]

فكتب إليه المنصور: قرأت كتابك والشعر، وأنا وعلي وأهله كما قال الشاعر:

نحاول إذلال العزيز لأنه ... بدانا بظلم واستمرت مرايره

وإن بلغك لعلي خبر فاعطه الأمان وأحسن إليه.

وله شعر رثى فيه عمرو بن عبيد الخارجي، وله في آخر وصيته إلى المهدي:

المرء يأمل أن يعيـ ... ـش وطول عيش قد يضرّه
تفنى بشاشته ويبـ ... ـقى بعد حلو العيش مرّه
وتخونه الأيام حتـ ... ـى لا يرى شيئاً يسرّه
كم شامت بي أن هلكـ ... ـت وقائل لله درّه

ومن خبره الظريف: أنه وجّه قائداً اسمه سليمان بن ربيعة الباهلي إلى

---

(1) تكملة النسب: الحسين الأصغر ـ هذا ـ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنظر: سر السلسلة العلوية/ ٧٥.

(2) أمالي المفيد ١٨٤ للإمام علي، الفرج بعد الشدّة ١/ ٢١٧ بلا عزو، نثر النظم ٧٠ ـ ٧١ بلا عزو، أنوار العقول قطعة رقم ١٥٥ للإمام علي.

الموصل وبعث معه ألف فارس من العجم الخراسانية، وقال له: قد بعثت معك ألف شيطان لتذلّ بهم الخلق، فعاثوا في الموصل وأفسدوا، فكتب إليه المنصور: أكفرت بالنعمة يا سليمان؟، فأجابه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾[1].

وقال الأصبهاني في أخبار نصنص[2] المغنية الحجازية: وقال فيها عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير[3] يخاطب بعض إخوانه بالسماع منها قبل أن يخرج [من السريع]:

أخارجٌ أنتَ أبا جَعفرِ	من قبلِ أن تَسمع من نَصْنَصا[4]
هيهاتَ أن تَسمع منها إذا	جاوَزَتِ العِيسُ بك الأعوصا[5]
فجد عليها مجلسي لذة	ومجلساً من قبل أن تشخصا[6]
أُقسِمُ بالله يميناً ومَنْ	يقسمُ بالله فقد أخْلَصا[7]
لو أنّها تدعُو إلى بَيْعة	بايَعْتُها ثمَّ شققْتُ العصا[8]

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠٢.

(٢) في الأغاني: «بَصْبَصْ»، وأخبارها فيه ١٥/٢٦ - ٣٥.

(٣) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله ابن الزبير، أبو بكر، القرشي الأسدي: أمير، من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة، ولد بالمدينة سنة ١١١هـ وولي اليمامة في أيام المهدي العباسي، ثم الهادي. واعتزل ببغداد، فألزمه الرشيد بولاية المدينة وعمره نحو ٧٠ سنة، فقبلها بشروط. ثم أضيف إليها نيابة اليمن. توفي بالرقة سنة ١٨٤هـ، وهو في صحبة الرشيد. ترجمته في:
البداية والنهاية ١٠: ١٨٥ وتاريخ بغداد ١٠: ١٧٣ وفيه شعر له وسمط اللآلي ٥٧٠ وفيه: كان خصومه يلقبونه بعائد الكلب، لقوله:
«مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم. ويمرض كلبكم فأعود!»
وفي مجالس ثعلب ١: ٨١ أبيات من شعره، الإعلام ط ٤/٤/١٣٨.

(٤) أيضاً في الأغاني: «بصبصا».

(٥) الأعوص: موضع قرب المدينة، وقيل: وادٍ في ديار باهلة لبني حصن منهم، أنظر معجم البلدان ١/٢٢٣.

(٦) تَشْخَصْ: تذهب من بلد إلى بلد.

(٧) في هامش الأصل: «يحلف بالله».

(٨) شق العصا: كناية عن الخلاف.

فبلغ شعره أبا جعفر فاستدعاه واستنشده، ثم قال: إنّكم والله يا آل الزبير لطالما استهوتكم النساء حتى شققتم معهن العصا قديماً[1]، يعرّض له بالزبير وعائشة.

ثم قال المنصور: لكن الذي يعجبني أن يحدوني الحادي بقول طريفٍ العنبري[2] [من الكامل]:

إنّي وإن كان ابن عمّي كاشحاً[3] لَمُزاحِمٌ من خَلفِهِ وورائِهِ

الأبيات المشهورة في الحماسة[4].

فهو أشبه بالمروة والأدب، فدعا له الربيع حادياً، كان إذا حدا وقفت الإبل لطيب نغمته، وتعطش أياماً ثم يدلى لها الماء فيحدو فتمسك عن شرب الماء، فحدا له ليلة اجمع فاشتد طرب المنصور وقد لاح الصباح فقال: يا ربيع إعطه درهماً، فقال الحادي: يا أمير المؤمنين، حدوت لهشام بن عبد الملك صوتاً فأمر لي بعشرين ألف درهم، وقد حدوت لك ليلتي كلها فتجيزني بدرهم؟ فقال: الله أكبر ذكرت ما كان ينبغي أن تكتمه، ذكرت رجلاً ظالماً طالما أخذ مال الله من غير حلّه، ووضعه في غير حقّه، يا ربيع دونك الرجل حتى يؤدي ما أعطاه هشام، فبكى الحادي وقال: قد ذهب ذلك كله، وأكلته السنون والعيال، ولم يزل يشفع له من حضر حتى أعفاه، وشرط أن يحدو به ذاهباً وراجعاً ولا يأخذ منه شيئاً[5].

---

(١) الأغاني ١٥/٢٧ ـ ٢٨.

(٢) طريف بن تميم العنبري، أبو عمرو: شاعر مقل، من فرسان بني تميم، في الجاهلية، قتله أحد بني شيبان.
ترجمته في:
سمط اللآلي ٢٥٠ ـ ٢٥١ الإعلام ط ٤/٣/٢٢٦.

(٣) الكاشح: مظمر العداوة.
المقطوعة كاملة في الأغاني ١٥/٢٩.

(٤) الحماسة لأبي تمام ٥٥١ ـ ٥٥٢ مع اختلاف قليل في اللفظ، وفيه أنها للهذيل بن مشجعة البولاني.

(٥) الأغاني ١٥/٢٩ ـ ٣٠

ولما دخل المنصور الشام قال: احمدوا الله يا أهل الشام، فينا رفع الله عنكم الطاعون، فقال رجل: ما كان الله ليجمعكم والطاعون علينا، فضرب عنقه.

وتوفي ببير ميمون في سنة ثمان وخمسين ومائة قرب الحرم محرماً بعلّة الإسهال، وحمل فدفن بالحرم.

وذكر أبو القاسم القشيري[1]: إن المنصور حجَّ تلك السنة وكان عزمه أن يقتل سفيان الثوري[2] بمكة، فلما قرب منها تعلّق سفيان بأستار الكعبة، وقال: برئت منك إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخلها[3].

---

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري، من بني قشير بن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين. ولد سنة ٣٧٦هـ وكانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٦٥هـ. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه، ويكرمه، من كتبه «التيسير في التفسير ـ خ» ويقال له «التفسير الكبير» و «لطائف الإشارات ـ ط» ثلاثة أجزاء منه، في التفسير أيضاً، و «الرسالة القشيرية ـ ط».

ترجمته في:

طبقات السبكي ٣: ٢٤٣ ـ ٢٤٨ والوفيات ١: ٢٠٥ ـ ٢٠٨ وتاريخ بغداد ١١: ٨٣ ومفتاح السعادة ١: ٤٣٨ ثم ٢: ١٨٦ ومجلة الكتاب ٣: ١٨٥ وتبيين كذب المفتري ٢٧١ و Brock: I: 556، S. I: 770 وأنظر فهرسته، وكشف الظنون ٥٢٠ و١٥٥١ والتيمورية ١: ٢٣٠ وتذكرة النوادر ٢٤ وأنظر كتابخانه دانشكاه تهران: جلد أول، ص١٨٥، الإعلام ط ٤/ ٤/ ٥٧.

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو عبد الله: كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى والحديث، ولد سنة ٩٧هـ ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى، وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤هـ) فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها سنة ١٦١هـ مستخفياً. له من الكتب «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير» كلاهما في الحديث، وكتاب في «الفرائض» وكان آية في الحفظ. من كلامه: ما حفظت شيئاً فنسيته. ولابن الجوزي كتاب في مناقبه.

ترجمته في:

دول الإسلام ١: ٨٤ وابن النديم ١: ٢٢٥ وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٦ ـ ٣٩١ والجواهر المضية ١: ٢٥٠ وطبقات ابن سعد ٦: ٢٥٧ والمعارف ٢١٧ وحلية الأولياء ٦: ٣٥٦ ثم ٧: ٣ وتهذيب التهذيب ٤: ١١١ ـ ١١٥ وذيل المذيل ١٠٥ وتاريخ بغداد ٩: ١٥١ وصيد الخاطر ١٧٥، الإعلام ط ٤/ ٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) الرسالة القشيرية.

أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن سلمة بن هَرْمة، الشاعر، أحد شعراء الأغاني المختارة، الحجازي، نسبه هكذا الإمام أبو يوسف يعقوب بن السكيت، وقيل: هو إبراهيم بن سلمة بن عامر بن الهذيان بن الربيع بن عامر بن صبح بن عدي بن قيس بن الحارث بن فهر

وقيس بن الحارث هو الحلج، وهو مستلحق في بني الحارث بن كعب(*).

فاضل إذا هزَّ مثقف شعره وسطا، أنشا منه في الصدور والسطور أمة وسطا، شعره كوكب شارق، فهو أشهر من رنّات معبد ونغمات مخارق، كثير الفنون في المجون، فكأنه ضمن سلوة المحزون، وإن شاور القوافي وجدّ ساعده بما حاول الجدّ، ومن شعره الذي هو أحد الأصوات المختارة لغناء الرشيد والواثق [من الطويل]:

أفاطمَ إنّ النأيَ يسلي ذوي الهَوَى ... ونأيُكِ عنّي زاد قلبي بكم وَجْدَا

أرى حَرَجاً ما نِلتُ من وُدّ غيركم ... ونافلةُ ما نلتُ من ودكم رُشْدا

وما نلتقي من بعدِ نأيٍ وفُرْقةٍ ... وشَحْط نوى إلاّ وجدتُ له بَرْدا

على كَبِدٍ قد كاد يبْدي بها الهوى ... نُدوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا

لو أن لي حكماً لما جعلت هذا الشعر مما يستحسن حتى يبلغ من قدره أن يختار غناء لخليفة الدنيا، وقد قال فيه إنه لا يلتقيها إلاّ وجد لها بردا، فلولا أنه قال في الثاني: على كبد لكان ليس إلاّ برداً وسلاماً على إبراهيم.

ويجب الاحتراز في الشعر وترك ما يوهم غير الصواب، كما قال النابغة:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

(*) له ديوان شعر حققه محمد جبار المعيبد، وطبع في النجف ١٩٦٩، وآخر بتحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ط بدمشق ١٩٦٩.

ترجمته في: الأغاني ٤/٣٥٩ ـ ٣٨٩، الشعر والشعراء ٦٣٩، خزانة الأدب ١/٢٠٣، طبقات الشعراء ٢٠، مروج الذهب ٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦، تهذيب ابن عساكر ٢/٢٣٤، النجوم الزاهرة ٢/٨٤، البداية والنهاية ١٠/١٦٩، تاريخ بغداد ٦/١٢٧، الذريعة ١/٣١٤، الإعلام ط ٤/١/٥٠.

لما استشعر أن تواتر المطر والديم مما يخرّب الديار، ودعا لها بالغيث السالم من العبث.

وما أحسن قول القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ في الغيث الذي انسجم:

مُذ تَراءى الأحماض في الغيث قومٌ أو سعُوه لذاك لَعناً وسبّا
قُلتُ هذا مِصداق ما ذكروه: أن لِلْغيث باغِضاً ومحبّا![2]

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز[3] وقد هدم المطر داره [من المتقارب]:

ألا مَنْ لِنفسِ وأشجانَها ودارٍ تَداعَى بِحيطانِها
أُسوِّدُ وجهِي بِتَبيِيضِها وأهدِمُ كسبِي بِعُمرانِها[4]

وقال أيضاً وفيه تسخط [من الطويل]:

رَوِينا فما نَزدادُ يا رَبِّ من حَياً وأنتَ على ما في النفوس شهيدُ
سقوفُ بيوتِي صِرْنَ أرضاً أدوسُها وحِيطانُ دارِي رُكَّعٌ وسجُودُ[5]

والاحتراز الذي ذكرته هو غير الاحتراس المذكور في البديع، إلاّ أنهما متقاربان في المعنى، وبيت النابغة فيه الاحتراس، ويسمى التتميم، ومن أحسن استعماله قول جمال الدين بن نباتة:

نفس عن الحب ما أعفت ولا غفلت بأي ذنب وقاك الله قد قتلت

فوّقى الله هذا الشعر عين الحسود.

وقيل: إن ابن عتيق سمع كثيّراً ينشد أبياته التي منها:

فأخلفن ميعادي وخُنَّ أمانتي وليس لمن خان الأمانة دين

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.
(٢) ديوان الهبل ٤٩٦.
(٣) ترجمه المؤلف ضمن ترجمة الحارث بن سعيد، أبو فراس الحمداني برقم ٤٤.
(٤) ديوان ابن المعتز ٢/ ٦٤٧ ـ ٦٤٨.
(٥) ديوان ابن المعتز ٢/ ٥٦٠.

فقال له: سخنت عينك أعلى الدين اتبعتهن، أشعر والله منك واغزل وأعرف بالغزل ابن قيس الرقيّات[1] حيث يقول [من المديد]:

حبّ هذا الدَّلُّ والغُنُجُ ... وَالَّتي في طَرْفِهَا دَعَجُ[2]

والتي إنْ أوْعَدَتْ كَذَبَتْ ... وَالَّتي في وَعْدِهَا خُلُجُ

وَتَرَى في البَيْتِ صورَتَها ... مثلَ عافى البِيعةِ السُّرُجُ

خَبِّروني هَلْ عَلَى رَجُلٍ ... عَاشِقٍ في قُبْلَةٍ حَرَجُ[3]

فوقف كثيِّر واستحلاه واهتز وقال: لا، إن شاء الله تعالى، قبل.

وأنشد بشار[4] قول الشاعر:

---

(١) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤيّ: شاعر قريش في العصر الأموي، كان مقيماً في المدينة. وقد ينزل الرقة، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة، وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمّنه، فأقام إلى أن توفي نحو سنة ٨٥هـ، أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. وأخباره كثيرة معجبة، وقيل اسمه عبد الله. والصواب التصغير. له «ديوان شعر ـ ط».

ترجمته في:

الأغاني ٥/ ٨٠ ـ ١١٠، والموشح ١٨٦ وسمط اللآلي ٢٩٤ والجمحي ٥٣٠ ـ ٥٣٤ وشرح الشواهد ٤٧ والشعر والشعراء ٢١٢ ومعجم المطبوعات ٢٢٠ وخزانة البغدادي ٣: ٢٦٥ ـ ٢٦٩ والتاج ١٠: ١٥٥ وفيه تخطئة الجوهري في تسميته «عبد الله»، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١٩٦.

(٢) الدعج: سواد العين مع سعتها.

(٣) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ١٦٣.

(٤) هو أبو معاذ بشار بن برد العقيلي بالولاء، ولد أعمى، كان ضخم الجسم، مجدر الوجه، أشعر الشعراء المحدثين، وآخر من يحتج بأقوالهم في اللغة، نشأ بالبصرة، ثم قدم بغداد ومدح المهدي ابن المنصور. اتهم بهجاء المهدي فرمي بالزندقة، وعندما فتشت كتبه لم يعثر فيها على شيء مما رمي به، وأمر المهدي بضربه سبعين سوطاً، وهو شيخ كبير قد نيف على تسعين سنة، فمات من ذلك سنة ١٦٧ وقيل ١٦٨هـ. قال صاحب الذريعة: ويظهر من كتبه أنه كان شديد الحفظ لقرابة رسول الله ﷺ فضلاً عن أبنائه.

ترجمته في: خزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٢٠٨، والذريعة ٩/ ١٣٧، وطبقات الشعراء / ٢١ وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٦٣، والأغاني ٣/ ١٢٧ ـ ٢٤٧، والشعر والشعراء/ ٦٤٣، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٦.

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا لمسوها بالأكف تلين

فقال: والله لقد أساء حيث جعلها عصا، ولو زعم أنها مخ[1] بعد ما ذكر العصا ألا قال كما قلت:

وحوراء المدامع من معدٍّ كأنَّ حديثها قطع الجمانِ
إذا قامت لحاجتها تثنّت كأن عظامها من خيزرانِ

قلت: ولا يخلو بشّار عند ذكر العظام من مناقشة.

ومن الغزل الحرّ والشعر السحر قول المهاجر بن خالد بن الوليد:

إذا حجبت لم يكفك البدر وجهها وتكفيك فقد البدر أن حجب البدرُ
وحسبك من خمرٍ يفوتك ريقها ووالله ما من ريقها حسبك الخمرُ

ومن الاحتراس الملوكي ما ذكر أن الرشيد أخذ طبقاً من خيزران وقال لولده المأمون: ما هذا يا عبد الله، قال: عروق الرماح يا أمير المؤمنين، ولم يقل خيزران، لأن أم الرشيد أمة اسمها خيزران، فتأدّب معه، فضّمه الرشيد وقال: لحى الله من لامني.

وقال أبو الفرج: أنشد ابن هرمة المنصور شعراً له فيه، فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم، فقال: لا تقع هذه مني، قال: ويحك إنّها كثيرة، فقال: فإنّها تكون سبب قتلي، قال: وكيف؟ قال: لا أزال أشرب منها فأُحَدّ حتى اتلف، فإن أردت أن تهنيني فامج لي الشراب فإني به مغرم، قال: ويحك إنه حدّ من حدود الله، قال: فاحْتَل لي، فكتب إلى والي المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة سوط واضرب ابن هرمة ثمانين، فجعل العباس إذا مرّ به سكران يقول: من يشتري ثمانين بمائة[2].

وقيل إن أبا محمد الحسن بن زيد بن الحسن لما تولّى المدينة لأبي جعفر، دخل عليه ابن هرمة فقال له: إني لست كمن باع لك دينه، ورجا شعرك، فقد رزقني الله بولادة نبيهﷺ الممادح، وجنبني المقابح، وإن من حقه أن لا أغضي

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) الأغاني ٤/٣٦٨ ـ ٣٦٩.

له على تقصير في حق، وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكراناً لأضربنّك حدّ الخمر ولأزيدنّ لموضع حرمتك بي، فليكن تركك لها لله تُعن عليها، ولا تدعها للناس، فتوكّل إليهم، فنهض ابن هرمة وهو يقول:

نهاني ابن الرسول عن المدام ... وأدّبني بآداب الكرام
وقال لي: اصطبر عنها ودعها ... لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبّري عنها وحبي ... لها حب تمكّن في عظامي
أرى طيب الحلال عليَّ خبثاً ... وطيب العيش في حب الحرام[1]

قلت: ذكر الحكاية صاحب الجليس الممتع، وأنا أقول: إن الحسن لا يجسر أن يعرض بذم المنصور وهو عامله، ثم إن المنصور سخط على أبي محمد الحسن وسجنه ببغداد حتى توفي في السجن، وكان شيخاً جليلاً يوالي المنصور، ولما تولّى الخلافة المهدي ردَّ لأولاد الحسن ضياعهم وأموالهم التي كان المنصور أخذها، والحسن هو والد السيدة نفيسة[2]، الجليلة الصالحة، صاحبة المشهد المشهور بمصر.

وقال النقيب الشريف النسّابة شرف الدين أبو علي محمد بن أسعد الجوّاني

---

(١) ديوان ابن هرمة.

(٢) نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر، تقية صالحة، عالمة بالتفسير والحديث، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ، ونشأت في المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق. وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها سنة ٢٠٨هـ. حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن. وسمع عليها الإمام الشافعي، ولما مات أدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه، وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها، وهي أمية، ولكنها سمعت كثيراً من الحديث. وللمصريين فيها اعتقاد عظيم. قال الذهبي: ولي أبوها إمرة المدينة للمنصور، ثم حبسه دهراً. ودخلت هي مصر مع زوجها.
ترجمتها في:
فوات الوفيات ٢: ٦٠٧ ووفيات الأعيان ٥: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، الخطط المقريزية ٣/ ٣٤١ وخطط مبارك ٥: ١٣٥ وغربال الزمان ـ خ. والدر المنثور ٥٢١ والمناوي ٢٧١ وفي أنس الزائرين ـ خ. قال القضاعي: «حفرت السيدة قبرها بيدها في البيت الذي هي به الآن، لم يختلف فيه أحد من أهل التاريخ المشهورين، وقول من قال إنها بالمراغة، جهل منه، وإنما الذي بذلك المكان السيدة نفيسة عمة السيدة المذكورة أخت أبيها الحسن، فإنها دخلت مصر قبلها وماتت ودفنت بهذا المكان من المراغة بالقرب من باب القرافة مما يلي جامع ابن طولون»، والعبر للذهبي ١: ٣٥٥، الاعلام ط ٤/ ٨/ ٤٤.

الحسيني المالكي[1] في كتاب الزورة الأنيسة[2] بفضل مشهد السيدة نفيسة: كان الحسن والد السيدة نفيسة فاضلاً أديباً عالماً، وأمّه أم ولد، توفي أبوه وهو غلام، وترك عليه [ديناً]، أربعة آلاف دينار فحَلف ولده الحسن أن لا يظل رأسه سقف إلاّ سقف مسجد رسول الله ﷺ، أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه فوفّاه وقضاه[3].

ومن كرمه أنه أتي بشاب شارب متأدب أيام عمله بالمدينة، فقال: يا ابن رسول الله لا أعود، وقد قال رسول الله ﷺ أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، وأنا ابن أبي أمامة سهل بن حنيف، وقد كان أبي مع أبيك كما علمت، قال: صدقت فهل أنت عائد؟، قال: لا والله، فأقاله، وأمر له بخمسين ديناراً، وقال له: تزوّج بها وَعُدْ إليّ فتاب الشاب وأجرى له الحسن النفقة[4].

قال: ودخلت السيدة نفيسة مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام، وكان صالحاً من أهل الفضل والدين، عالماً، أخذ عنه الحديث وتلقب بالمؤتمن.

وأما نفيسة فكانت من الصلاح والزهد على الحدّ الذي لا مزيد عليه، فيقال: إنّها حجّت ثلاثين حجّة، وكانت كثيرة البكاء، تديم قيام الليل وصيام النهار، فقيل لها: ألا ترفقي بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة كؤود لا يقطعها إلاّ الفائزون؟، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره، ولا تأكل في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً، وتوفّيت في شهر رمضان

---

(١) محمد بن أسعد بن علي بن معمّر بن عمر بن علي بن أبي هاشم الحسين النسّابة بن أبي العباس أحمد القاضي بن أبي الحسن علي المحدث بن أبي علي إبراهيم بن محمد المحدث بن الحسن بن محمد الجواني بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو علي، المعروف بابن الجواني النسّابة المصري، كان عالماً فاضلاً نسّابة، ولي القضاء بمصر، وولي نقابة الأشراف بها، وكان عارفاً بالعربية، ولد في ٣ جمادى الآخر سنة ٥٢٥هـ وتوفي سنة ٥٨٨هـ. وله عدّة مصنفات.

ترجمته في:

خريدة القصر قسم مصر ١/ ١١٧، لسان الميزان ٥/ ٧٤، فوات الوفيات، الخطط المقريزية ٣/ ٣٤١، المصفىٰ في مصنفي علم الرجال ٣٩٣، معجم المؤلف ٩/ ٤٩، منية الراغبين ٣٠٠ ـ ٣٠٥.

(٢) في الخطط المقريزية: «الروضة الأنيسة».

(٣) الخطط المقريزية ٣/ ٣٤٢.

(٤) ن.م.

سنة ثمان ومائتين ودفنت بخط درب السباع حيث المشهد اليوم، وأراد زوجها أن ينقلها إلى المدينة، فالتمس المصريون أن يتركها ببلدهم لأجل البركة، ويقال إنها حفرت قبرها ودرست[1] فيه تسعين ومائة ختمة، وإنها لما احتضرت خرجت من الدنيا وقد انتهت إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ﴾ ففاضت نفسها رحمها الله تعالى[2] ونفعنا ببركتها، آمين.

ومن كراماتها، ذكر المقريزي: إنها لما نزلت مصر مع زوجها نزلت بالممصوصة[3]، وكان بجوارها دار فيها قوم من أهل الذمّة، ولهم ابنة مقعدة لم تمشِ قط، فلما كان في بعض الأيام ذهب أهلها في بعض حاجاتهم وتركوا المقعدة عند السيدة نفيسة، فتوضأت وصبّت من فضل وُضُوئها على المقعدة، وسمّت الله، فقامت تمشي على قدميها، ليس لها بأس البتّة، فلما قدم أهلها وعاينوها تمشي أتوا إلى باب السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشي إبنتهم كان ببركة دعائها، وأسلموا بأجمعهم على يديها، واشتهر ذلك بمصر، وعرف أنه ببركتها[4].

وتوقّف النيل بمصر عن الزيادة في زمنها فحضر الناس وشكوا إليها ما حصل من توقّف النيل فدفعت قناعها إليهم وقالت: إلقوه في النيل، فألقوه فزاد حتى بلغ الله به المنافع[5].

وأُسِرَ ابنٌ لامرأة ذميّة ببلاد الروم فأتت إلى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء، فدعت الله أن يرد ابنها عليها، فلما كان الليل لم تشعر الذميّة إلاّ بإبنها وقد هجم عليها دارها فسألته عن خبره، فقال: ياأماه لم أشعر إلاّ ويَدٌ قد وقعت على القيد الذي كان في رجلي وقائل يقول: أطلقوه قد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن، فوالذي يحلف به يا أُماه لقد كسر قيدي، وما شعرت بنفسي إلاّ وأنا واقف على باب هذه الدار، فلما أصبحت الذّميّة أتت إلى باب السيدة نفيسة وقصّت عليها الخبر وأسلمت هي وابنها، وحَسُن إسلامها[6].

---

(١) في هامش الأصل: «قرأت».

(٢) سورة الأنعام: آية ١٢.

(٣) في الخطط: «المنصوصة».

(٤) الخطط المقريزية ٣/ ٣٤٣.

(٥) ن.م ٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٦) ن.م.

وأول من بنى على قبر السيّدة نفيسة، عبد الله بن السري بن الحكم أمير مصر من قبل المأمون[١].

قال المقريزي: ومكتوب على اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان مصفحاً بالحديد، وبعد البسملة ما نصّه: نصر من الله وفتح قريب، لعبد الله ووليّه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائِهِ الأكرمين، أمر بعمارة هذا الباب، السيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، جلال الإسلام، شرف الأنام، ناصر الدين، خليل أمير المؤمنين، زاد الله في علائه، وأمتع أمير المؤمنين بطول بقائه، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة[٢].

قلت: وأمير الجيوش المذكور وهو بدر الجمّال، الذي جدّد دولة المستنصر بعد خرابها بالقحط، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى.

قال المقريزي: فالقبّة التي على الضريح جدّدها الخليفة الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وأمر بعمل الرخام الذي في المحراب[٣].

❀ ❀ ❀

وهنا تعلّق بعض الكلام ببعضه، فلنعد إلى ذكر ابن هرمة.

قال الأصبهاني: كان ابن هرمة يوماً قاعداً مع محمد بن عبد العزيز الزهري فمرّت بهما إبل لمحمد بنْ عمران تحمل علفاً، فقال الزهري لابن هرمة: ألا تستعلف محمد بن عمران وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه، فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولاً إلى ابن عمران يسأله علفاً، فردّ عليه الإبل بما عليها، وقال: إذا احتجت إلى غيرها زدناك، فأقبل ابن هرمة على الزهري وقال: إغسلها عني فإنه إن علم إني استعلفته ولا دابة عندي وقعت منه في سوءة، قال: بماذا؟ قال: تعطيني حمارك، قال: هو لك بسرجه ولجامه، فقال ابن هرمة: ومن حفر حفرة سوء وقع فيها.

---

(١) ن.م ٣/ ٣٤٤.

(٢) ن.م.

(٣) الخطط المقريزية ٣/ ٣٤٤.

وله في السري بن عبد الله، وكان والي اليمامة:

أفي طَلَلٍ قَفْرٍ تَحَمَّلَ آهِلُهْ وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ[1]

ومنها:

فقُلْ للسَّرِيّ الواصلِ البَرَّذي النَّدَىٰ مديحاً إذا ما بُثَّ صُدِّق قائلُه

جوادٌ على العِلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدَى كما اهتَزَّ عَضْبٌ أخلصتهُ صَيَاقِلُهْ[2]

وقد عَلِم المعروفُ أنَّك خِدْنُه ويَعلَمُ هذا الجوعُ أنَّك قاتِلُه[3]

وكان ابن هرمة متشيعاً، وله:

ومهما أُلاَمُ على حُبِّهِ فإنِّي أُحِبُّ بني فاطمهْ

بني بنت من جَاءَ بالمكرما ت وبالدِّين والسُّنَّةِ القائمه[4]

قال أبو الفرج: فسأله رجل بعد ذلك: من قائل هذين البيتين؟ قال: من عضَّ بظر أمه، فقال له ابنه: ألست قائلها؟ قال: بلى، قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: أليس المرء يعض بظر أمه خير من أن يأخذه ابن قحطبة[5].

ولابن هرمة قصيدة نحو أربعين بيتاً جميعها مهملة الحروف، وأنا أذكر بعضها وإن كانت هرمة التكلّف وأوّلها:

أَرَسْمُ سَوْدَةَ أمسى دارسٌ الطَّلَلِ مُعَطَّلاً رَدَّه الأحوالُ كالحُلَلِ

لمّا رأى أهلَها سَدّوا مَطالِعَها رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ[6]

وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له ولو دعاك طَوالَ الدّهرِ للرِّحَلِ

ما وصل سوداء إلاّ وصل صارمه أحلَّها الدهر داراً مأكل الوعلِ

---

(١) هامله: فيضه، يقال: هملت العين: سالت وفاضت.

(٢) العضب: السيف ـ الصياقل: جمع صيقل وهو من كانت صناعته صقل السيوف.

(٣) الأغاني ٤/ ٣٧٨.

(٤) الأغاني ٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٥) الأغاني ١/ ٣٨١.

(٦) المهل: المعدن المذاب، كالفضة والحديد والنحاس والذهب، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً﴾.

وعـاد أمـواهُـهـا سُـدْمـاً وَرَدَّ لـهـا سَهْمٌ دعا أهلَها لِلصُّرْم والعِلَلِ[1]

صَدُّوا وسدّوا وساء المرءَ صَدُّهُمُ وحلك الوِرْدِ رَدْهاً حَوْمَةَ العَلَلِ

وحـاولـوا رَدَّ أمـرٍ لا مَـرَدَّ لـه والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُل

ومنها:

أحَلَّكَ اللّهُ أعْلى كلِّ مكْرُمةٍ واللّهُ أعطاك أعلَى صالِح العَمَلِ[2]

سهلٌ مواردُهُ سَمْحٌ مَوَاعِدُه مُسَوّدٌ لِكِرَامٍ سادةٍ حُمُلِ[3]

وفيها تكلّف، والتزام هذه الطريقة نوع من البديع.

وسها الأصبهاني رحمه الله عن التاء في صارمة وهي معجمة، وقد استعمله الصاحب والصفي الحلي، وقبله أبو محمد الحريري في النثر والنظم، ولكن الإجادة والإنسجام إنما هي فيما التزمه الشيخ أبو العلاء الآتي ذكره قريباً إن شاء الله تعالى[4].

قال: وحدث عمرو بن أبي أيوب الليثي قال: شرب ابن هرمة يوماً عندنا فسكر ونام، فلما حضرت الصلاة تحرّك أو حرّكته فقال لي وهو يتوضأ: ما كان من حديثكم اليوم؟ قلت: يزعمون أن الوليد قُتل، فرفع إلي رأسه وقال:

وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوَى فشدَّ يزيدُ بن الوليد نِظَامها

خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ رمى عن قناة الدِّين حتى أقامها

ثم قال لي: إيّاك أن تذكر من هذا شيئاً، فإني لا أدري ما يكون[5].

قلت: فكان ذلك، فتولّى يزيد بن الوليد الناقص[6].

---

(١) سدم الماء سِدماً: تغير لطول عهده.

(٢) الأغاني ٤/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

(٣) الحمل: جمع حمول وهو كثير الإحتمال مع شدة المصائب.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

(٥) الأغاني ٤/ ٣٨٨.

(٦) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. مولده سنة ٨٦هـ ووفاته سنة ١٢٦هـ في دمشق، ثار على ابن عمه «الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك» لسوء سيرته، فبويع بالمزة، واستولى على دمشق، وكان الوليد بتدمر، فأرسل إليه يزيد من قاتله في نواحيها. وقتل الوليد، فتم ليزيد أمر الخلافة (في مستهل رجب ١٢٦) ومات في =

قال: ومرّ ابن هرمة يوماً على جيرانه وهو ميت سكراً، فحملوه حتى أدخلوه منزله، فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه، فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ زمان، أما سمعتم قولي:

أسأَلُ اللَّهَ سكرةً قبل موتي ... وصياح الصِّبيان يا سكرانُ

فخرجوا وقد يئسوا من فلاحه[1].

وحدّث الزبير بن بكّار قال: أنشدني عمّي لابن هرمة:

ما أظن الزمان يا أم عمروٍ ... تاركاً إن هلكت من يبكيني

قال: فكان والله كذلك، ولقد أخبرني من رأى جنازته وما يحملها إلاّ أربعة نفر، حتى دفن بالبقيع، سامحه الله[2].

وكانت ولادته سنة تسعين. وأنشد المنصور سنةَ أربعين ومائة:

إن الغواني قد أعرضن لما ... رمى هدف الخمسين ميلادي

ثم عمّر بعد ذلك مدة طويلة[3].

وليس شعره بالجيّد، وإنما قلّدنا أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي[4]

= ذي الحجة (بالطاعون، وقيل: مسموماً)، وكان يقال له: «الناقص» لأن سلفه «الوليد بن يزيد» كان قد زاد في أعطيات الجند، فلما ولي يزيد نقص الزيادة. وكان أسمر، نحيفاً، مربوعاً، خفيف العارضين، فصيحاً، شديد العجب، ويقال: إن مروان الجعدي، لما ولي، نبش قبره، وصلبه!

ترجمته في:

اليعقوبي ٣: ٧٤ وابن خلدون ٣: ١٠٦ والبداية والنهاية ١٠: ١١ وابن الأثير ٥: ١١٥ والطبري: حوادث سنة ١٢٦ والخميس ٢: ٣٢١، ٣٢٢ والحور العين، لنشوان ١٩٤ وعنوان المعارف، للصاحب ١٩ والنجوم الزاهرة ١: ١٢٦ ـ ٣٠٠ وبلغة الظرفاء ٢٧، ٢٨ وتاريخ الإسلام، للذهبي ٥: ١٨٨ وأنظر الوزراء والكتاب ٦٩ ـ ٧٠ ومختصر تاريخ العرب، لسيد أمير علي ١٤٣، الإعلام ط ٤/٨/١٩٠ ـ ١٩١.

(١) الأغاني ٤/٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٢) الأغاني ٤/٣٨٩.

(٣) في هامش الأصل: «موت ابن هرمة سنة خمسين ومائة».

(٤) هو أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. ولد ببغداد سنة ١٥٠هـ. كان أحد العلماء باللغة وأخبار الشعراء وأيام الناس والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام وقرض الشعر، ولكنه اشتهر بالغناء والموسيقى. استطاع بأدبه وظرفه وعلمه أن ينادم الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم =

وإسماعيل بن جامع[1] في اختيارهما أبياته في أغاني الخلفاء، وإسحاق كامل في العلم والأدب، وما ذكرته هو ما اخترته من شعره بحسب الطاقة.

❀ ❀ ❀

وفِهْر المذكور في نسبه هو بكسر الفاء وإسكان الهاء وبعدها راء: اسم مرتجل لقريش. وقيل إن قريشاً هو النضر بن كنانة.

واليمامة: صقع مشهور بين البحرين من بلاد العرب. واسم قصبته حوءٌ، وبه كانت الزرقاء، وهو والبحرين وجنوب أرض مصر من الإقليم الثاني، وشمال مصر من الثالث، والله أعلم.

[٥]

أبو القاسم، وأبو بكر، أحمد بن محمد الجزري الرّقي المعروف بالصنوبري(*)، الشاعر المشهور، صاحب الروضيّات الأنيقة، والتشابيه التي هي النسيم حقيقة.

فاضل لو تجسّد شعره لكان عيوناً في روضياته، ولغنّت حمامات همزاته

= والواثق. فارسي الأصل تميمي بالولاء. له مؤلفات كثيرة جلها في الموسيقى والغناء وأخبار الشعراء والمغنين والندماء. توفي ببغداد سنة ٢٣٥هـ. وقد عمي قبل وفاته بسنتين:
ترجمته في:
أنباه الرواة ١/ ٢١٥، والأغاني ٥/ ٢٧٨ ـ ٤٤٩، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، وفهرست ابن النديم/ ٢٠٧، أنوار الربيع ١/هـ ٧٦.

(١) إسماعيل بن جامع السهمي القرشي، أبو القاسم، ويعرف أيضاً بابن أبي وداعة: من أكابر المغنين الملحنين، كان من أحفظ الناس للقرآن، متعبداً، كثير الصلاة، يعتّم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، في زي أهل الحجاز. ولد بمكة وضاق به العيش، فانتقل بعياله إلى المدينة واحترف الغناء فذاعت شهرته، فرحل إلى بغداد. فاتصل بالخليفة هارون الرشيد. فحظي عنده، وكان من أقران إبراهيم الموصلي إلا أن هذا يزيد عليه الضرب بالعود، توفي سنة ١٩٢هـ،
ترجمته في:
الأغاني ٦/ ٣٠٤ ـ ٣٥٦ والبداية والنهاية ١٠: ٢٠٧، الاعلام ط ١/١/٤/ ٣١١.

(*) جمع الصولي ديوانه في نحو ٢٠٠ ورقة، وجمع الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب سمّاه «الروضيات» طبع بحلب وفي كتاب «الديارات» للشابشتي زيادات على ما في الروضيات، ثم نشر الدكتور إحسان عباس مخطوطة يظهر أنها الجزء الثاني من الديوان وأضاف إليها ما تفرق من شعره في مجلد سمّاه «ديوان الصنوبري» طبع ببيروت سنة ١٩٧٠م. =

على الغصون من الدانه[1] تخجل نفحة النسيم فلا تنساب في السحر بين الخمر إلاّ عليله، إذا نظم الكواكب كان النسيم حاديه، والبرق دليله، وكأنما شذراته الجزرية بابلية، يعم ترقيصها الأعطاف فلا تختص بالشاذلية، فالمنثور يومي إليه بأنمله الخضيبة، والورد يمسح خدَّه القاني باكياً بالطلّ على أيام أوصافه الخصيبة، يودّ لو نصره بشوكته، وفداه بكل إنكيس الشعر وحيّاه بجمرته، والنرجس يكثر إلى أشعاره التحديق، وهذه الثلاثة هي: الجنس والفصل والخاصة لِشعره عند التحقيق.

وقال الثعالبي: تشبيهات ابن المعتزّ، وأوصاف كشاجم، وروضيّات الصنوبري، متى اجتمعت اجتمع الظرف والطرب، وسمع السامع من الإحسان بالعجب، وله ديوان لا يوجد في بيت من بيوته قصور، وما لأحد عليه قدرة ولو نظم الثغور، وقد وقفت عليه بعد الاشتياق وخلت لي منه ثمرات الأوراق ونقلت من روضياته، وتنزهت في جنانه، فمنها:

يا ريمُ قُومي الآن ويحكِ فانظري ... ما للرُّبى قَدْ أظهرتْ إعجابَها
كانت محاسنُ وجهها محجوبةً ... فاليوم قَدْ كشف الربيعُ حجابَها
وردٌ بَدا يحكي الخدودَ ونرجسٌ ... يحكي العيونَ إذا رَأت أحبابها
ونباتُ باقلاءٍ يشبهُ نوره ... بُلْقَ الحمام مُقيمةً أذنابَها
وكأنَّ زَخرفة الربيع إذا بدا ... ريشُ الطواوسِ إذ تديرُ رقابَها
والسرْو تَحسبهُ العيونُ غوانياً ... قد شمَّرَتْ عن سوقِها أثوابَها
وكأنَّ إحداهنَّ من نفح الصَّبا ... خودٌ تلاعبُ موهِناً أترابها
لو كنتُ أملكُ للرياضِ صيانةً ... يَوْماً لما وطىء اللّئامُ تُرابها[2]

= ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٦١، أعلام النبلاء ٤/ ٢٣، البداية والنهاية ١١/ ١١٩ وسمّاه: محمد ابن أحمد بن محمد بن مراد، وفيه: وفاته في حدود سنة ٣٠٠هـ، الديارات ١٤٠ ـ ١٤٤، الطليعة/ ترجمة رقم ١٨، اللباب ٢/ ٦١، أعيان الشيعة ٩/ ٣٥٦، الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣، الفهرست للنديم، الأنساب للسمعاني، أدب الطف ٢/ ١٩ ـ ٣٣، مجلة المجمع العلمي العربي ٨/ ٤٨٤، الاعلام ط ٤/ ١/ ٢٠٧، أنوار الربيع ٥/ هـ ٢٢٣، الغدير ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٧٦.

(١) كذا في الأصل.

(٢) الروضيات ٢٠ ـ ٢١، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٨٠، فوات الوفيات ١/ ١١١

وما أحسن قوله من قصيدة مدح بها أبا القاسم عمرو بن عبيد الله بن غياث:

قدم الصيف والشتاء تولّى ... وتولّت مقدمات الشتاءِ
ويك باقي آلآك ما الرّقة البيـ ... ضاء عندي الرّقة السوداءِ
اكتساء من النبات ولطف ... غير لطف النبات والاكتساءِ
وأرى العمر[1] عامراً لرباه ... بعد ما كان عافياً بعفاءِ
في ملاء من الرياض قد هطل ... حسن الرياض حسن الملاءِ
وحليّ سوى الحلي وأشيا ... ء من النبت ذاك في الأشياءِ
ذهب حيث ما ذهبنا ودر ... حيث دِرْنا وفضة في الفضاءِ
وفرقد مثل الفرقد ولكن ... ليس ذا في البها ولا في البهاءِ
وكأنَّ البهار يصفرّ في الروضِ دنانير سكة صفراءِ
طاب هذا الهوى وإزداد حتى ... ليس يزداد طيب هذا الهواءِ

وله في تفضيل غلام نحيف:

أحب رشاقة الرشأ النحيفِ ... ولن يهوى اللطيف سوى اللطيفِ
قليل المسك أسرع من كثير ... من الطيب انقياداً في الأنوفِ
أينكر أن فضل الوشي إلاَّ ... لأن الوشي من نسج ضعيف
ووصفهم لقدّ الغصن ممّا ... يدل على السمين من القصيفِ
وهل تجد الهلال يخاف يوماً ... كخوف البدر من قبح الخسوفِ
إليك فعظم جرم العودجات ... فضيلته من الوتر الرهيفِ
إذا كان الأليف كذا رشيقاً ... مليحاً كان ريحان الأليفِ
ينوب عن النديم وإن أردنا ... وصيفاً قام ناب عن الوصيفِ
وما إرب الخفيف الروح إلاّ ... خفيف الروح ذو جسم نحيفِ
يميلها العناق إذا استكانا ... كما مال النزيف على النزيفِ

النزيف: العطشان.

ومن شعره المختار الذي نقلت من ديوانه:

---

(١) العمر: اسم مكان.

إن هي تاهت فمثلها تاها ... لم يجرِ خَلْقٌ في الحسن مجراها

للغصنِ علاليها وقامتُها ... وللرشا جيدُها وعيناها

فُضِّضَ، بالياسمينِ عارضها ... ذُهِّبَ بالجلَّنار خَدّاها

تلك الثنايا من عقدها نُظمَتْ ... أم نُظِمَ العقدُ منْ ثناياها

وغارت القمص حين أسفلها ... يمسّ ما لا يمسّ أعلاها

جاعلةٌ ريقَها مُدامتنا ... إذا سقتنا وكأسنا فاها

لَئِن كفاني التفاحَ وجنتُها ... لقد كفاني الأترجَّ ثدياها

تملكني بالهوى وأملكها ... فها أنا عبدها ومولاها[1]

ومن شعره أيضاً وفيه انسجام:

شربنا في بكاذينِ ... على تلك الميادينِ

على ضحك الهزارات ... على نوح الشفانينِ

على صوت الرواشين ... وترجيع الوراشينِ

لدى ألوان أزهار ... لوّنت الطف تلوينِ

كأذناب الطواويس ... كأطواق الجمازينِ

كأعناق الدراريج ... كأحداق الكرادين

شربنا فتعال انظر ... إلى شرب البتاتينِ

إلى شرب العفاريت ... إلى شرب الشياطين

فطوراً بالهواوين ... وطوراً بالأجاجين

فلما أن مشى السكر ... بنا مشي الفرازين

ومنها:

وملنا فتلوينا ... تلويّ الثعابين

ورقص يخطف الأبصا ... ر بتحريك وتسكين

كأنا نوطىء الأقدام ... أطراف السكاكين

كأنّا إن تخلّقنا ... أُناس من زراقين

ورحنا في خلوقين ... من الخلوق والطين

فقل في وقعة تربي ... على وقعة صفين

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ٣٨١.

تـفـرّغـنـا لـتـفـريـغ الـجـيـوب والـهـمـايـيـن
عـلـى ذا تـاج ورد وعـلـى ذا تـاج نـسـريـن
وسـاقـيـنـا إذا اسـتـسـقـاه دهـقـان الـدهـاقـيـن
فـتًـى لا بـل فـتـاة تـخـلـط الـشـدّة بـالـلـيـن
لـهـا عـزّ الـسـلاطـيـن ولـي ذلّ الـمـسـاكـيـن
فـيـا مـن هـو بـسـتـانـي ويـسـتـان الـبـسـاتـيـن
ويـا مـن هـو ريـحـانـي وريـحـان الـريـاحـيـن
ويـا عـنـبـرة الـهـنـد ويـا مـشـكـة داريـن
ويـا بـهـجـة نـيـسـان ويـا رقّـة نـسـريـن

وكان الصنوبري من كبار الشيعة، ويدل شعره أنه كان زيدياً.

وله يرثي الحسين عليه السلام:

ما في المنازل حاجة نقضيها إلا السلام وأدمع نذريها
وتفجع للعين فيها حيث لا عيش أوازيه بعيشي فيها
أبكي المنازل وهي لا تدري الذي بعث البكاء لكنتُ أستبكيها
بالله يا دمع السحائب سقّها ولئن بخلت فأدمعي تسقيها
يا مغرياً نفسي بوصف غريرة أغريت عاصية على مغريها
لا خير في وصف النساء فاعفني عما تكلفنيه من وصفيها
يا رب قافية خَلى امضاؤها لم يحل ممضاها إلى ممضيها
لا تطمعن النفس في إعطائها شيئاً فتطلب فوق ما تعطيها
حبّ النبي محمد ووصيه مع حب فاطمة وحب بنيها
أهل الكساء الخمسة الغرر التي يبني العلا بعلاهم بانيها
كم نعمة أوليت يا مولاهم في حبهم فالحمد للموليها
إن السفاه بترك مدحي فيهم فيحق لي أن لا أكون سفيها
هم صفوة الكرم الذي أصفيتهم ودّي وأصفيت الذي يصفيها
أرجو شفاعتهم وتلك شفاعة يلتذُّ برد رجائها راجيها
صلُّوا على بنت النبي محمد بعد الصلاة على النبيّ أبيها
وابكوا دِماء لو تشاهد سفكها في كربلاء لما ونت تبكيها
يا هولها بين العمائم واللهى تجري وأسياف العدى تجريها

تلك الدماء لو أنها توقى إذا كانت دماء العالمين تقيها

لو أنَّ منها قطرة تفدى إذاً كنا بنا وبغيرنا نفديها

إن الذين بغوا إراقتها بغوا ميشومة العقبى على باغيها

قتل ابن من أوصى إليه خير من أوصى الوصايا قط أو يوصيها

رفع النبي يمينه بيمينه ليرى ارتفاع يمينه رائيها

في موضع أضحى عليه منبهاً فيه وفيه يبدىء التشبيها

آخاه في خمٍّ ونوَّه باسمه لم يأل في خير به تنويها

هو قال (اقضاكم) علي إنه أمضى قضيته التي يمضيها

هو لي كهارون لموسى حبذا تشبيه هارون به تشبيها

يوماه يوم للعدى يرويهم جوداً ويوم للقنا يرويها

يسع الأنام مثوبة وعقوبة كلتاهما تمضي لما يمضيها

بيد لتشييد المعالي شطرها ولهدم أعمار العدى باقيها

ومضاء صبر ما رأى راءٍ له فيما رآه من الصدور شبيها

لو تاه فيه قوم موسى مرة أجْرى وأنسى قوم موسى التيها

عوجا بدار الطف بالدار التي ورث الهدى أهلوه عن أهليها

نبكي قبوراً إن بكينا غيرها بعض البكاء فإنما نعنيها

نفدت حياتي في شجى وكآبة لله مكتئب الحياة شجيها

بأبي عفت منكم معالم أوجه أضحى بها وجه الفخار وجيها

مالي علمت سوى الصلاة عليكم آل النبي هدية أهديها

وأساً عليّ فإن أفأتُ بمقلتي يحدي سوابق دمعها حاديها

سقياً لها فئة وددت بأنني معها فسقّاني الردى ساقيها

تلك التي لا أرض تحمل مثلها لا مثل حاضرها ولا باديها

قلبي يتيه على القلوب بحبها وكذا لساني ليس يملك تيها

وأنا المدلّه بالمراثي كلما زادت أزيد بقولها تدليها

يرثي نفوساً لو تطيق إبانة لرثت له من طول ما يرثيها[1]

وله عدة قصائد في رثاء الحسين عليه السلام تركتها اختصاراً على العادة.

---

(١) أدب الطف ٢/ ٢١ ـ ٢٣، الدر النظيم في الأئمة اللهاميم ـ خ ـ، الغدير ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

ومن شعره:

مالي وللحمل للسكاكين ... ذكرى إذا ما ذكرت تعنيني
بأي ضرب من الفتوّة لا ... أخلع روح الذي يفاتيني
وبك يدي خنجري فتعرف لي ... خلفاً أو أخيه أو يواخيني
ما أنا إلاّ من الحديد فمن ... أين تقول الحديد يؤذيني
أما الشياطين فهي ترهبني ... لأنني آفة الشياطين
قم هات لي شاطراً يقاومني ... أو ادن لي شاطراً يدانيني
إليك عنّي فلو نفخت فتًى ... بمصر طيّرته إلى الصين
إن الفتى الزانكي يعرفني ... عند المناداة من يناديني
لو رام إبليس أن يبادرني ... بالرمح والسيف والطبرزينِ
ما قلت قول الهلوع من عجل ... هات سناني وهات سكّيني
لو صوّر الموت مات من فزعي ... وكنت آتيه قبل يأتيني
فخذ معي في المجون واللعب يا ... من ليس في حالة يساويني
وكل ضرب من العبارة لا ... يلحقني فيه من يجاريني
ما لي لا أخلع العذار وأجـ ... ـري مع اللهو في الميادينِ
إن غلامي الذي كلفت به ... أطيعه في الهوى فيعصيني
يميل تحت الردا من قصف ... كالغصن في رقّة وفي لينِ
ذو نخوة برحت بعاشقه ... أشدّ من نخوة السلاطينِ
فما انتظاري بقطع تكّته ... إن لم يكن حلّها يواتيني
ويلي من كسر حاجبيه ومن ... تفتير عينيه كلما حينِ
ما الموت إلاّ في وردتين على ... خدّيه قد حُفَّتا بنسرين
كم لائم لامني فقلت له: ... حسبك إن الملام يغريني
تحسبني قد جننت وحدي لا ... كم لي شبيه من المجانين

ومحاسن الصنوبري وشعره كثير، وهو مجيد محسن وصّاف كثير الملح، سائر الذكر، تورد روضياته في كل كتاب أدبي لطيف، وقد أوردت هنا ما هو منية المتمنّي، وطرب الذكي، ومدام الخليع، وسلوة المؤمن المتأسي بأكارم الطيبين،

من أهل البيت الطاهرين[1].

❀ ❀ ❀

ونسبته إلى الصنوبر: ثمر شجر من خوّاص الشام والجزيرة، مزاجها حار في الثانية، رطب في الأولى، يولد دماً صالحاً، وينفع السوداوي والبلغمي بالحرارة، وينفع الصدر المبرود، ويزيد في الماء والشهوة الجماعية، وله صمغ مزاجه كمزاج التمر أو هو يابس وهو الساست ومنفعته مشهورة في كتب اليونان.

والرقّي، بفتح الراء وتشديد القاف ثم ياء النسبة نسبة إلى الرّقة، مدينة مشهورة بشط الفرات، واسمها الرائقة، وعرفت بالرقة الجديدة، عمّرها هارون الرشيد. وأما الأولى فهي الرقّة القديمة، ويطلق الاثنتين الرقّتان، وهما من الجزيرة الفراتية. وهي بيضاء التربة، جيّدة الماء والهواء، وكان الرشيد كثيراً ما يصيّف بها لطيبها، ومن مدن الجزيرة نصيبين والرها وحرّان، وبها هيكل الصائبة وإليه يحجّون، ورأس العين وسروج وغير ذلك وهي من الإقليم الرابع. وحسبنا الله تعالى.

[٦]

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني، بديع الزمان، وفرد الأوان، الشاعر المشهور، صاحب المقامات[*].

فاضل يجب الحج إلى مقاماته بشرع الأدب، والسعي إلى طواف بيتٍ له نَظَمَ وكَتَبْ، ورمى كل شيطان حسد صفاء قريحته بالجمار، والوقوف على جبل علمه الذي أظهر لركبان الفضائل الشعار، وتعويذ نظمه كلما زمزم به الحادي والشادي، بالحجر الأسود والحجر من أعين الأعادي.

وكان أبو الفضل شاعراً مجيداً، وناثراً فريداً، وله الرسائل المدوّنة

---

(١) في هامش نسخة ج: «موت الصنوبري سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ٣٣٤هـ».

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٤/٢٥٦ ـ ٣٠١، معجم الأدباء ٢/١٦١ ـ ٢٠٢، وفيات الأعيان ١/١٢٧ ـ ١٢٩، معاهد التنصيص ٣/١١٣، النويري ٣/١١٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣/٤٧١، أعيان الشيعة ٨/٣٠٦ ـ ٣٥٥، الكنى والألقاب ٢/٦٧، الوافي بالوفيات ط المستشرقين ٦/٣٥٥ ـ ٣٥٨، الذريعة ٩/١٣١، أمل الآمل ٢/١٣ ـ ١٤، الطليعة/ ترجمة رقم ١١، الإعلام ط ٤/١/١١٥ ـ ١١٦، أنوار الربيع ١/هـ ١٤١، الأنساب للسمعاني، زهر الآداب، أدب الطف ٢/١٩٩.

والأشعار السائرة، وله المقامات المشهورة، وهو فاتح بابها، ويكفي أن أبا محمد الحريري الإمام الفاضل اقتدى به في مقاماته وأشار إلى ذلك في فاتحة الكتاب، وتمثَّل بقول الشاعر:

فلو قيل مبكاها بكيت صبابة | بسُعْدَىٰ شفيت النفس قبل التندمِ
ولكن بكت قبلي فهيّج لي البكا | بكاها فقلت: الفضل للمتقدمِ

وإنما الفضل للمتقدم وهو أبوه، وكان من خاصّة الصاحب كافي الكفاة[1]، وكان يعظّمه ويعرف قدره، وله معه ما جرايات لطيفة.

فمن رسائله: «حَضْرَتُهُ التي هي كعْبة المحتاج، لا كعْبة الحاج، ومَشْعَرُ الكِرام لا مَشْعَرُ الحَرام، ومَغْنَىٰ الضيف لا منى الخيف، وقبلة الصّلات لا قبلة الصلاة»[2]، وفيها من التوجيه ومراعات النظير ما لا نظير له»[3].

ومن رسائله: «الماء إذا طال مُكثُه ظهر خُبثُه، وإذا سكن مَتْنُه تحرك نَتْنُه، وكذا الضيف يَسْمُج لقاؤه إذا طال ثَواؤه، ويَثْقُل ظلُّه إذا انتهى محلُّه»[4].

وله من رسالة يعزّي بها: «خطبٌ قد عظم حتى هان، ومَسٌّ قد خَشُنَ حتى لان، والدنيا قد تنكّرت حتى صار الموت أهون خطوبها، وجَنَتْ حتى صار العظيم أصغر ذنوبها، فانظر يمنة هل ترى إلاّ محنة، ثم انظر يسرة هل ترى إلاّ حسرة».

وفي جميع هذا النثر من الصناعة ما لا مزيد عليه[5].

وكان بينه وبين أبي بكر الخوارزمي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[6] ـ منافسة وشحناء وسباب.

ومن شعره المختار لي وقت تأليف الكتاب ما رأيته في كتاب الهنا تأليف

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٩.
(٢) يتيمة الدهر ٤/٢٥٩، وفيات الأعيان ١/١٢٨.
(٣) يتيمة الدهر ٤/٢٦٤، وفيات الأعيان ١/١٢٨.
(٤) ن.م.
(٥) يتيمة الدهر ٤/٢٦٠، وفيات الأعيان ١/١٣٨.
(٦) ترجمه المؤلف برقم ١٥٨.

الكاتب الأديب أبي نصر العتبي قال: وقال البديع أحمد بن الحسين الهمداني يمدح أمير الأمراء، الملقب بالمؤيد من السماء، أبا علي بن أبي الحسين بن شمنجور أمير خراسان من قبل الرضي الساماني صاحب ما وراء النهر وخراسان [من البسيط]:

علي أن لا أريح العيس والقتبا وألبس البيد والظلماء واليلبا
وأترك الخود مسعولاً مقبّلها وأهجر الكأس يغدو شربها طربا
حسبي الفلا مجلسا والبوم مطربة والسير يسكرني من مَسِّه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفاً إذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من أجفانها دررا دوني وتنظم من أسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا يزال لها برق يشوقك لا هوناً ولا كثبا
يا مشرعاً للمنى عذباً موارده بيناه مُبتسم الأرجاء إذ نضبا
طلعت لي قمراً سعداً منازله حتى إذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما دجت درجت وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا
أستودع الله عيناً تنتحي دفعا حتى يؤوب وقلباً يرتمي شهبا
وضاعناً أخذت منه النوى وطراً من قبل يقضي الهوى من حكمه إربا
عَضَىٰ عليك قناع الصبر إن لنا إليك أوبة مشتاق ومنقلبا
أبى المقام بدار الذل بي كرم وهمة تصل التخويد والخببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة دون الأمير وفوق المشتري طنبا
يا سيد الأمرا أفخر فما ملك إلا تمناك مولى واشتهاك أبا
إذا دعتك المعالي عرف هامتها لم ترض كسرى ولا من دونه ذنبا
يا ابن الذين اعدوا المال من ملك يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا
ما الليث مختطماً والسيل مرتطماً، والبحر ملتطماً، والليل مقتربا
أمضى شبا منك أدهى منك صاعقة أجدى يميناً وأدنى منك مطلّبا
وكاد يحكيكَ صَوْبُ المُزْنِ مُنسكبا لَوْ كان طَلْقَ المحيّا يُمْطرُ الذَّهَبا
والدهر لو لم يَخُنْ، والشمس لو نَطَقَتْ والليث لو لم يُصَدْ والبحر لو عَذُبا
يا من يراه ملوك الأرض فوقهم كما يرون على أبراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول أصدقه ولا تهابنَّ في أمثالي العربا

فما السموأل عهداً والخليل قِرىً ... ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
من الأمير بمعشار إذا اقتسموا ... مآثر الجدّ فيما أسلفوا حقبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشرني ... والمازني ولا القيسي منذ نبا
هذا لركبته، أو ذا لرهبته، ... أو ذا لرغبته، أو ذا إذا طربا[1]

قلت: أبدع البديع.

وقد طرب ابن خلكان بقوله: «وكاد يحكيك صوب المزن منسكبا» وما بعده، فذكرهما في تأريخه[2].

ومن شعر البديع يمتدح السلطان محمود بن سبكتكين التركي[3] المتغلب على ممالك آل سامان [من الهزج]

تعالى الله ما شاء ... وزاد الله إيماني

---

(١) بعضها في اليتيمة ٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٢٨.

(٣) محمود بن سُبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة أبو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور. وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها ولادته سنة ٣٦١هـ ووفاته سنة ٤٢١هـ، مات أبوه سبكتكين (صاحب غزنة، ناصر الدولة، أمير غزاة الهند، أبو منصور) سنة ٣٨٧هـ، وخلّف ثلاثة أولاد، هم: محمود وإسماعيل ونصر. وجرت بينهم حروب، ظفر بها «محمود» واستولى على الإمارة سنة ٣٨٩ وأرسل إليه القادر بالله العباسي خلعة السلطنة، فقصد بلاد خراسان فاستلب مُلكها من أيدي السامانية، وصمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر. وجعل دأبه غزو الهند مرة في كل عام، فافتتح بلاداً شاسعة، واستمر إلى أن أصيب بمرض عاناه مدة سنتين، لم يضطجع فيهما على فراش بل كان يتكيء جالساً، حتى مات وهو كذلك. وقبره في غزنة. وسيرته مدوّنة. وهو تركي الأصل، مستعرب، كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء، ويناظرهم. وكان من أعيان الفقهاء، فصيحاً بليغاً، استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة، نسبت إليه، منها كتاب «التفريد» في فقه الحنفية، نحو ستين ألف مسألة، وخطبٌ ورسائل، وشعر. وله صنف «العتبي» تاريخه الذي سماه «اليميني ـ ط».

ترجمته في:

ابن الأثير ٩: ١٣٩ وما قبلها وابن خلكان ٢: ٨٤ وفيه: وفاته سنة إحدى وقيل اثنتين وعشرين وأربعمائة. قلت: عرفه ابن الجوزي في «كتاب أعمار الأعيان ـ خ» بأمير خراسان، وقال: «توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة» وابن خلدون ٤: ٣٦٣ والجواهر المضية ٢: ١٥٨ والبداية والنهاية ٢: ٢٧، الاعلام ط ٤/ ٧/ ١٧١.

أأفريدون في التاج … أم الإسكندر الثاني
أم الرجعة قد عادت … إلينا بسليمانِ
أظلت شمس محمود … على أنجم سامانِ
وأمسى آل بهرام … عبيداً لابن خاقانِ
إذا ما ركب الفيل … لحرب أو لميدانِ
رأت عيناك سلطاناً … على منكب شيطانِ
أمن واسطة الهند … إلى ساحة جرجانِ
ومن قاصية السند … إلى أقصى خراسانِ
على مقتبل العمر … وفي مفتتح الشانِ
فيوماً رسل الشاه … ويوماً رسل الخانِ
فما يغرب بالمغرب … عن طاعتك اثنانِ
لك السرج إذا شحت … على كاهل كيوانِ
أيا والي بغداد … ويا صاحب غمدانِ
تأمل مأتي فيل … على سبعة أركانِ
يقلبن أساطين … ويلعبن بشعبانِ
عليهن تجافيف … تشهرن بألوانِ
ويأجوج ومأجوج … من الجند يموجانِ[1]

إنما قال: «ويا صاحب غمدان تفاؤلاً بملك اليمن، وإلاّ فهو لم يملكه قط ولا حطب له فيه، وإنما ملك ما كان بيد بني سامان وهي غزنة وناحيتها، واتخذها دار مملكته وكذلك والده الأمير سبكتكين أحد الأمراء السامانية، وملك خراسان كله وسجستان وأكثر السند مما يلي خراسان، وبلغ في غزو الهند إلى حيث لم يبلغه راية في الإسلام قبله، وكسر صنمهم المعروف بـ(بند سومنات) ويزعمون أنه يُعبد منذ ثلاثين ألف سنة ويحجّون إليه.

والسند: اسم للصنم معرّب، ووجد عنده من أموال أوقافه من الجواهر والنفائس والجواري الحسان الراقصات الموقوفات لخدمته، ما لا يخطر ببال، ووجد فيه خلقاً من غلمان البراهمة أمثال اللآليء جمالاً برسم خدمته بالرقص

(١) بعضها في اليتيمة ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

الهندي المعجب، وبلغت أوقافه من خيار بلاد الهند عشرة آلاف قرية بحيث امتلأت خزانته مالاً وجواهراً ومسكاً وكافوراً من سائر بلاد الهند، فغنمها وكسر ذلك الصنم، ووجد في أذنه ثلاثين ألف حلقة ذهب تزعم الهند أن كل حلقة تعلق عليه بعد عبادة ألف سنة لأنّهم ينكرون أن يكون عمر الدنيا كله سبعة آلاف سنة كما عليه أهل الإسلام.

وقد ذكر الشيخ داود بن عمر الأنطاكي الحكيم(١) في تذكرته في باب جغرافيا: ومعناه بالعربية علم الأقاليم، إن بعد كل ست وثلاثين ألف سنة وهو دور زحل الأكبر تنقلب الدنيا فيعود البر بحراً والسهل جبلاً وبالعكس(٢)، وهو من قبيل اعتقاد الهند وفلاسفتهم ومنجميهم، وهو أيضاً قول قدماء منجمي اليونان وفلاسفتهم الحكماء كبطليموس وآرسطو معلم الإسكندر وبقراط الطبيب وجالينوس الطبيب المشا وملك محمود خوارزم أيضاً، ولم يسمع أنه ملك بغداد فإنها كانت تلك الأيام بأيدي بني بويه والخطبة لسلاطينهم وللإمام العباسي، وتسلّط محمود على ملك خراسان تسلطاً عجيباً، فطوى ممالكهم.

ومن جملة ملوكه الذين تسلّط عليهم ملك غَرشَستان، بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء وفتح الشين المعجمة وإسكان المهملة وفتح التاء المثناة الفوقية، وبعد الألف نون، وهي ولاية من خراسان مجاورة لمملكة طوس، حصينة بالجبال الشامخة والعقاب التي تنحسر دونها العقاب، فكان ملكها عزيزاً بها، وكان له ولد شاب فغلب بشبابه وطاعة الجند له على أبيه واستولى على ملكه،

---

(١) داود بن عمر الأنطاكي: عالم بالطب والأدب. كان ضريراً، انتهت إليه رياسة الأطباء في زمانه. ولد في أنطاكية، وحفظ القرآن، وقرأ المنطق والرياضيات وشيئاً من الطبيعيات، ودرس اللغة اليونانية فأحكمها. وهاجر إلى القاهرة، فأقام مدة اشتهر بها، ورحل إلى مكة فأقام سنة توفي في آخرها ١٠٠٨هـ. كان قوي البديهة يسأل عن الشيء من الفنون فيملي على السائل الكراسة والكراستين، من تصانيفه «تذكرة أولي الألباب ـ ط» في الطب والحكمة، ثلاثة مجلدات، يعرف بتذكرة داود، و «تزيين الأسواق ـ ط» في الأدب، وله «النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة ـ ط» وغيرها وله شعر.

ترجمته في:

خلاصة الأثر ٢: ١٤٠ ـ ١٤٩ ونظم الدرر ـ خ. وفي كشف الظنون ٣٨٦ وفاته سنة ١٠٠٥ وفي هامش شذرات الذهب ٨: ٤١٥ «وفاته سنة ١٠١١ تحقيقاً»؟. الاعلام ط ٤/ ٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٢) تذكرة أولي الألباب ٢/ ٨٤.

وكان شجاعاً أديباً، فلما تسلّط محمود على ملوك الإقليم كتب إليه أنه يقيم له الخطبة في مملكته فأبت عليه سؤرة الشباب وعزّة الملك، وأجاب أقبح جواب، فجهّز إليه محمود الجيوش العظيمة من الفراغنة[1] والهنود والخراسانية فحاربوه فظهرت شهامته وقتل منهم الكثير في تلك العقاب، ثم حصروه أخيراً في حصنه السامي واستولى الحصار على ذخيرته بعد فناء رجاله وأسروه، وأرسل محمود غلاماً يثق به ليسيّر غرشستان إليه، فلما وصل الغلام إلى الملك لم يحترمه كما ينبغي، فحقد عليه، واتفق أن الغلام كانت له زوجة بغزنة فأحب أن يكتب إليها ويبشرها بسلامته ولم يجد كاتباً في الحال إلاّ الملك الأسير، فناوله القلم والقرطاس وأمره أن يكتب البشارة، فأخذ القرطاس اضطراراً وكتب ما صورته:

أيتها القحبة الرحبة، أما بعد، فأنه ما خفي عليَّ من أفعالك القبيحة وإدخالك الرجال إلى فراشي، وشرب المسكرات معهم بالعشي والصباح شي، وساعة أرد عليك ترين ما أصنع بك وأدّق يديك مع رجليك، وأعصر صلبك مع ساقيك، وأقسم بالله لأجعلنك نكالاً لذوات الحجال، ولأنزلن بك وبأمّك وأبيك أنواع النكال، وأمثال هذا التهديد، ثم طوى الكتاب وختمه، وناوله الغلام فطيّر به بعض ثقاته إلى غزنة، ولم يعلم أنه حمل صحيفة المتلمس.

فلما وصل الكتاب إلى تلك المسكينة قامتَ قيامتها، وطار عقلها، وارتفع صياحها، ولم تشك في نزول البلاء، وإن بعض أعدائها وشى عليها، ولم تجد هي وأمها وأبوها أنفع لهم من الاستتار والإختفاء، فاختفوا في بيوت بعض أهل المدينة.

وأما الغلام الأبله فإنه وافى بملك غرشستان إلى حضرة السلطان محمود نيسابور وكان مقيماً بها، فلما دخل عليه وبخّه على العصيان وترك طاعته كسائر ملوك خراسان، ثم أمر أن يُجرَّد من ثيابه ويُضْرَب تأديباً على سوء أدبه في كتابه، ففعل به ذلك وأخذ جميع ماله وحبسه، فهان عليه بعد زوال الملك وعزّة التيجان ما سلبه من الجواهر النفيسة والديباج والعقيان، ولم يطلب مما أخذ عليه في تلك الحال إلاّ غلاماً له قد فضح بقدّه وجيده الغصن والغزال وكان يحبه، وما الملك عنده إلاّ قربه، فأرجع له وسكن بقربه الولد.

---

(١) في هامش الأصل: «الأفاغنة».

وسافر الغلام الذي جاء بالملك إلى غزنة مشتاقاً، ليستبدل بالعناء الذي قاساه عناقاً، فلما قرع بابه جاوبه الصدى، وكان لها أنيساً، فقلع الباب فإذا داره أفرغ من فؤاد أم موسى، فسأل الجيران فأخبروه بصورة كتابه الذي أفزع الغزلان، فلطم وجهه الصبيح، ودعا بالويل بلفظ صريح، ونثر على رأسه التراب، وما زال في أرجاء المدينة أي جواب، فدل عليها بمال جزيل، وما وطيت داره إلا بسجل عليه من القاضي وكفيل، وبلغت قصته أستاذه محمود فضحك وعجب، وقال: هذا لمن استكتب شاه غرشستان محمود.

قلت: ذكر معنى هذه القصة أبو النضر الكاتب، ولما وقفت عليها في سيرة محمود علقت بذهني فكتبتها هنا بالمعنى لظرافتها ولتعلّقها بذكر محمود الملقب يمين الدولة، وأمين الملّة، لقّبه الإمام القادر بالله العباسي[(١)]، وجر ذكره شعر البديع.

ومن شعر بديع الزمان المذكور:

قيل لي: لم جلست في طرف القو	م وأنت البديع ربّ القوافي
قلت: إن الطراز أحسن شيء	في المناديل وهو في الأطراف
وكفاني من المفاخر أنّي	نازل في منازل الأشراف

أشار إلى أن الأطراف منازل الأشراف، ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[(٢)].

---

(١) أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله: الخليفة العباسي، أمير المؤمنين، ولد سنة ٣٣٦هـ وولي الخلافة سنة ٣٨١هـ وطالت أيامه. كان حازماً مطاعاً، حليماً كريماً، هابه من كانت لهم السيطرة على الدولة من الترك والديلم، فأطاعوه، وأحبه الناس فصفا له الملك. جدد ناموس الخلافة ـ كما يقول ابن الأثير ـ ودامت له ٤١ سنة ونعته ابن دحية بالإمام الزاهد العابد، وقال: في أيامه ظهرت العرب، وقام الإسلام، وملكت الجزيرة والشام، وفتحت السند والهند، وهو آخر خليفة من بني العباس تولى الأحكام بنفسه، وكان يجلس في كل يوم اثنين وخميس مجلساً عاماً للناس. وكان أبيض كث اللحية طويلها كبيرها. يخضب بالسواد. وهو من علماء الخلفاء، صنف كتاباً في «الأصول». وكان كثيراً ما يلبس لباس العامة ويخرج يتجول في بغداد متفقداً أمور أهلها. وتوفي بها سنة ٤٢٢هـ.

ترجمته في:

ابن الأثير ٩: ٢٨ و١٤٣ وتاريخ الخميس ٢: ٣٥٥ وتاريخ بغداد ٤: ٣٧ والنبراس لابن دحية ١٢٧، الاعلام ط ٤/١/ ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) سورة القصص: آية ٢٠.

ورأيت في بعض الكتب: أن أبا الحسين بن فارس[1] صاحب «المجملُ في اللغة» شكا إلى البديع فساد الزمان، فكتب الجواب: وأنا أقول: «مَتَى كَانَ صَالِحاً؟ أَفِي دَوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَقَدْ رَأَيْنَا آخِرَهَا، وَسَمِعْنَا بِأَوَّلِهَا، أَمْ فِي الدَّوْلَةِ الْمَرْوَانِيَّةِ، وَفِي أَخْبَارِهَا: [من السريع]

مَا يَكْسَعِ الْقَوْلَ بِأَغْيَارِهَا ‏ ‏ ‏ ‏ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ

أَمْ في السِّنِينَ الْحَرْبِيَّةِ؟ [من مجزوء الكامل]:

وَالسَّيْفُ يُغْمَدُ فِي الطُّلَى[2] ‏ ‏ ‏ ‏ وَالرُّمْحُ يُرْكَزُ فِي الْكُلَى[3]

والغريان وكَرْبَلَا ‏ ‏ ‏ ‏ ومِنيّة حَجْرٍ في الفَلَا

أم في الهاشمية والعشرة براس، من بني فراس، أو العثمانية والنفير في الحجاز، والبعوث على الأعجاز، أم في الأمارة العدوية وصاحبها يقول، وهل بعد الركوب إلَّا النُّزُولُ؟ أم في الخلافة التَّيْمِيَّةِ، وهو يَقُولُ طُوبَى لِمَنْ مَاتَ فِي نَأْنَاةِ الْإِسْلَامِ، أَمْ في أَعَلَا عَهْدِ الرِّسَالَةِ ويوم الفتح قِيلَ اسْكُتِي يا فلانمة فَقَدْ

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين ولد سنة ٣٢٩هـ، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة ٣٩٥هـ، وإليها نسبته. من تصانيفه «مقاييس اللغة ـ ط» ستة أجزاء، و «المجمل ـ خ» طبع منه جزء صغير، و «الصاحبي ـ ط» في علم العربية وغيرها، وله شعر حسن.

ترجمته في: يتيمة الدهر ٣: ٢١٤، فهرست الشيخ الطوسي: ٩٩/٣٦، معالم العلماء: ٩٩/٢١، معجم الأدباء ٤: ٨٠، التدوين في أخبار قزوين ٢: ٢١٥، الكامل في التاريخ ٨: ٧١١، إنباه الرواة ١: ١٢٧، وفيات الأعيان ١: ١١٨ ـ ١٢٠، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ٤٣/٦٥، رجال ابن داود: ١١٠/٤٢، البداية والنهاية ١١: ٣٣٥، مرآة الجنان ٢: ٤٤٢، بغية الوعاة ١: ٦٨٠/٣٥٢، طبقات المفسرين ١: ٥٤/٦، شذرات الذهب ٣: ١٣٢، أعيان الشيعة ٣: ٦٠، روضات الجنّات ١: ٦٧/٢٣٢، وعن سير أعلام النبلاء ١٧: ٦٥/١٠٣، دمية القصر ٣/ ١٤٧٩، ترتيب المدارك ٤/ ٦١٠، نزهة الألباء: ٣٢٠، المنتظم ٧/ ١٠٣، وفيات سنة ٣٦٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٤٢، تأريخ الإسلام ٤/ ٩٧، تلخيص ابن مكتوم ـ ورقة: ١٥ و١٦، عيون التواريخ ١٢/ لوحة ٢٥٨، الوافي بالوفيات: ٧/ ٢٧٨، الديباج المذهب: ١/ ١٦٣، الفلاكة والمفلوكون: ١٠٨ ـ ١١٠، طبقات ابن قاضي شهبة ١/ ٢٣٠، النجوم الزاهرة: ٤/ ٢١٢، مفتاح السعادة ١/ ٩٦، سلم الوصول: ١١٢، الاعلام ط ٤/ ١/ ١٩٣.

(٢) الطلى: الرقاب.

(٣) الكلى: جمع كلية.

ذَهَبَتِ الأَمَانَةُ، أَمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَلِبيدٌ يَقُولُ [من الكامل]:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ[1] وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ[2] كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

أَمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَخُو عَادٍ يَقُولُ [من الطويل]:

بِلَادٌ بِهَا كُنَّا ونحن من أهلها إِذَا النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

أَمْ قَبْلَ ذَلِكَ وَقَدْ يروى عن آدمَ عليه السلام [من الوافر]:

تَغَيَّرَتِ البِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجْهُ الأَرْضِ مُسْوَدٌّ قَبِيحُ

أَمْ قَبْلَ ذَلِكَ، وقد قالت الْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾[3].

ما فسد الزمان، وإنما اطرد القياس، وما أظلمت الأيام، وإنّما امتد الاظلام، وهل يفسد الشيء بعد الإصلاح، ويمسي المرء إلاّ عند الإصباح؟»[4].

قلت: معنى قول البديع في رسالته هذه مأخوذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الذامّ للدنيا المغتر بغرورها تذمّها وأنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك[5]... وهي خطبة طويلة.

وما أحسن قول الشاعر أيام وقوع الفتنة بين أبناء الصحابة من بني أمية وبني الزبير على طلب الملك:

وذمّوا لنا الدنيا وقد ذهبوا بها فما تركوا فيها سياغاً لشاربِ

وقال في أمالي السمّان، وعن موسى بن عمران، وكان أحد العلماء قال: قدم إعرابي المدينة، فصلّى الجمعة، فسمع الخطبة فأعجبه ما سمع، فلما صلى الإمام وانصرف إلى منزله دخل الإعرابي عليه مع من دخل فأتي بالطعام فرأى من أنواع الطعام ما لم يشبه ما تكلم به، وأنشأ يقول:

(١) كنف الرجل ظله وحمايته تقول أنا في كنف فلان تريد موضع رعايته.

(٢) الخلف بالسكون ـ الأعقاب المفسدون قال تعالى «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات».

(٣) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٤) يتيمة الدهر ٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، معجم الأدباء ٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، رسائل بديع الزمان ١٨٠ ـ ١٨١.

(٥) نهج البلاغة قصار الحكم ـ رقم ١٣١.

لقد راعني من أهل يثرب أنهم — يهمهم تقويمنا وهم عضلُ
وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها — أفاويق حتى ما يدرّ لها ثعلُ
إذا ركبوا الأعواد قالوا فأحسنوا — ولكن حسن القول يفسده الفعلُ

الثُعل، بضم الثاء المثلثة وإسكان العين المهملة: خلف صغير من أخلاف الناقة في ضرع الشاة. قال الجوهري: وإنما ذكر الشاعر الثعل في البيت للمبالغة في الإرتضاع. والثعل لايدر، والعضل، بالعين والضاد المهملة: جمع أعضل، وهو العوج الساق.

وكان الحجّاج يخطب الخطب الفصيحة التي تتضمن الوعظ والأمر بالزهد، ثم يفعل العظائم من إتلاف النفوس ونهب الأموال والتغيّرات شأن الموجودات الماديّة، وفي كل زمان حسن وقبيح:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها[1] — لكل زمان دولة ورجال

❀ ❀ ❀

قيل: لم تَصْفُ الدُنيا وتَرُوق وتزهُو وتخصُب في الإسلام كمثل أيام هارون الرشيد وزادها جمالاً وجود البرامكة فكانت الدنيا بهم كالعروس المحلوه، ولذا قال في رثائهم الشاعر:

يا بني برمك واهاً لكم — ولأيّامكم المقتبله
كانت الدنيا عروساً بكم — فهي اليوم ثكول أرمله

وفي رسالة البديع ما يحتاج إلى إيضاح.

أما قوله: «ومنيّة حُجر في الفلا» وهو حجر بن عدي الكندي[2] الصحابي

---

(١) في هامش الأصل: هذا صدر بيت المتنبي، وعجزه: «مصائب قوم عند قوم فوائد».

(٢) حجر بن عدي بن جبلة الكندي، ويسمى حجر الخير: صحابي شجاع، من المقدمين. وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية. ثم كان من أصحاب علي وشهد معه وقعتي الجمل وصفين، وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبي سفيان والياً عليها فدعا به زياد، فجاءه، فحذره زياد من الخروج على بني أمية، فما لبث أن عرفت عنه الدعوة إلى مناوأتهم والاشتغال في السر بالقيام عليهم، فجيء به إلى دمشق فأمر معاوية بقتله فقتل في مرج عذراء (من قرى دمشق) سنة ٥١هـ مع أصحاب له، وخبره طويل.
ترجمته في:
الكامل لابن الأثير ٣: ١٨٧ والطبري ٦: ١٤١ وذخيرة الدارين ٢٤ وطبقات ابن سعد ٦: ١٥١. الإعلام ط ٤/ ٢/ ١٦٩.

الزاهد قتله معاوية ظلماً وعدواناً، وسبب قتله أن أمير المؤمنين أبا محمد الحسن ابن علي عليه السلام اضطر إلى مهادنة معاوية لسبب خذلان أصحابه له، وولى معاوية، زياد بن سميّة الجبار، الكوفة بعد موت المغيرة بن شعبة، فصعد زياد المنبر يوماً فشتم علياً عليه السلام ونال منه بأمر معاوية، وكان مما اشترط الحسن السبط عليه السلام أن لا يذكر أبوه إلاّ بخير، ولا يتعرّض لشيعته بسوء، فلما سمع حُجرُ سبَّ ولي الله ورسوله ثار من بين الصفوف بالمسجد الجامع فردّ عليه وذكر علياً بما هو أهله، ونال من زياد ومعاوية بما هما حقيقان به، فأمر به زياد فحبس وكتب بخبره إلى معاوية، فعاد جوابه: أن أبعث حجراً الترابي وأصحابه إليَّ مقيدين على أقتاب بغير أرحال، فحملهم زياد مقيّدين، فلما بلغوا مرج عذراء من ناحية دمشق، قدم حجر إلى قبر قد احتفر له فضربت عنقه وأعناق أصحابه وهم ستة أو سبعة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وكان حُجر من خيار الصحابة ومن خوّاص أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وساء قتله كل مسلم حتى عائشة على كراهتها لعلي عليه السلام.

قال البديع: «أم في الدولة الهاشمية والعشرة براس من بني فراس»: أكثرت التأمل في معناه بعد القطع، أنه أراد بالدولة الهاشمية دولة الإمام المولّى بوحي الله يوم الغدير، أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأشار البديع إلى ما روى الشريف الفاضل الأديب أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب الحسين بن أحمد الموسوي النقيب البغدادي في نهج البلاغة: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال في بعض خطبة يخاطب أصحابه جند الكوفة ويوبّخهم: «وددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدراهم، الواحد من أصحابه بعشرة منكم»[1]، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين مثلنا ومثلك ومثل معاوية وأصحابه كمثل قول الشاعر:

جُنّنا بليلى وهي جُنَّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقيل أنشده بدل الأول:

علقتها غرضاً وعلّقت رجلاً غيري وعلّق أخرى ذلك الرجل

(١) نهج البلاغة/ الخطبة ٩٧.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام أبدى من عناء من عدم طاعتهم له حتى دعا عليهم فسلّط الله عليهم الجبابرة كزياد والحجّاج.

وأما قوله: «من بني فراس» فالظاهر أنه أراد من بني تغلب بن وائل، القبيلة المشهورة بالشام والجزيرة من ربيعة، وإنّما أضافهم إلى فراس لاشتهار ملوكهم في زمنه الذين منهم أبو الفراس الحمداني وسيف الدولة الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى[1]، وكان من تغلب جماعة في جند الشام أيام الملك الحروب.

وذكر ابن عبد ربه في العقد عند ذكر فرسان العرب: ربيعة بن مكدم وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، وكان يعفر على قبره بالجاهلية ولم يفعل ذلك بقبر غيره، وكان بنو فراس أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدّ بعشرة من غيرهم، وإيّاهم يعني علي عليه السلام بقوله لأهل الكوفة: «من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أبدلكم الله بي من هو شرّ مني، وأبدلني بكم من هو خير منكم، وددت أن لي بجمعكم وأنتم مائة ألف، ثلثمائة من بني فراس من غنم» وهذا واضح، ثم تمثّل أمير المؤمنين عليه السلام:

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم[2]

قال الرضي: الأرمية: جمع رمي، وهي المسحاب، والحميم: هنا، سحاب الصيف، وهو الشبه لإرادة البديع.

ومما ينبغي إيضاحه من الرسالة قوله: «أم يوم الفتح» وقد قيل: اسكتي يا فلانة فقد ذهبت الأمانة، والقائل ذلك أبو بكر، ذكر صاحب الخميس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة وقف بمرّ الظهران، وإذٍ بقرب مكة، وقد أمر القبائل من العرب فدخلت براياتها أمامه، فقال أبو قحافة والد أبي بكر وهو شيخ كبير قد كُفّ بصره لابنه له من أصغر ولده: أي بنيّه شرفي على أبي قبيس، فأشرفت به عليه، فقال: أي بنيّه ماذا ترين، قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنيّه ذلك

(١) ترجم المؤلف لأبي فراس برقم ٤٤، ولسيف الدولة برقم ١١٤.

(٢) العقد الفريد، أنظر: نهج البلاغة خطبة رقم ٢٥ مع اختلاف قليل بالنّص.

الوازع، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذا دفعت الخيل فاسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طوق من ورق فتلقاها رجل فاقتطعه من عنقها، فلما دخل النبيﷺ أتاه أبو بكر بأبيه يقوده ورأسه مثل الثغامة بياضاً، فقال النبيﷺ: غيّروا هذا، ثم قال: هلّا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا الذي آتيه، قال أبو بكر: هذا أحقّ أن يأتي إليك، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره وقال: إسلم، فأسلم، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوق أُختي فلم يجبه أحد، فقال: أي أخّيه احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة اليوم في الناس قليل.

قلت: يجيء هذا على قول من قال أن مكة فتحت صلحاً، وإلاّ فالطوق غنيمة لأنها دار حرب.

وعلى ذكر قول لبيد[1]، فما أصدق قول السرّاج الورّاق[2] وأطرفه:

زعموا لبيداً قال في شعر له ... وبقيت في خلف كجلد الأجربِ
ثم انتهى ذاك البلاء فبعدنا ... بلغ الجذام وعصرنا عصرٌ وبيّ

---

(١) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري، شاعر نجدي مخضرم فحل ومن أصحاب المعلقات السبع، كان فارساً جواداً شريفاً في قومه، أدرك الإسلام، وقدم على النبيﷺ مع وفد بني كلاب، فأسلم وعاد إلى قومه، ثم هاجر إلى الكوفة، وترك الشعر بعد إسلامه، توفي سنة ٤١هـ وعمره ١٤٠ سنة وقيل ١٤٥ وقيل أكثر من ذلك، له ديوان شعر بشرح الطوسي حققه وقدم له إحسان عباس ط الكويت.

ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢، الاستيعاب/ ١٣٣٥، الأغاني ١٥/ ٣٥٠ ـ ٣٦٩، شرح شواهد المغني/ ١٥٢، الشعر والشعراء ١٩٤، سمط اللآلي/ ١٣، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/ ١٨٥، مقدمة الديوان لإحسان عباس، أنوار الربيع ٢/ هـ ٧٦.

(٢) هو أبو حفص سراج الدين الوراق، واسمه عمر بن محمد بن الحسن. ولد سنة ٦١٥هـ. كان كاتباً شاعراً مكثراً. عمل كاتباً للأمير يوسف ابن سبا سالار والي مصر، توفي بالقاهرة سنة ٦٩٥هـ. من آثاره ديوان شعره في سبعة أجزاء كبار، ونظم كتاب درة الغواص للحريري.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢١٣ وفيه أنه توفي سنة ٦٩٥ وقد قارب التسعين أو جاوزها بقليل، والنجوم الزاهرة ٨/ ٨٣، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ١٣١، وشذرات الذهب ٥/ ٤٣١، وهدية العارفين ١/ ٧٨٧، أنوار الربيع ١/ هـ ٣١٦.

وكان البديع متشيّعاً على مذهب الصاحب بن عبّاد[1]، وله في هذا الباب:

يقولون لي ما تحبّ الوصي ... فقلت الثرى بفم الكاذبِ
أحبُّ النبي وآل النبي ... واختصّ آل أبي طالبِ

والهَمذاني، بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون: نسبة إلى مدينة مشهورة بعراق العجم شديدة البرد في الشتاء والثلوج، ولد البديع بها، وله فيها:

هَمَذانُ لي بلد أقول بِفَضْلِهِ ... لكنَّهُ من أقْبَحِ البُلْدانِ
صِبيانُه في القُبْح مثلُ شيوخِهِ ... وشيوخُه في الجهل كالصِّبْيانِ[2]

وذكر الثعالبي في أوصاف همذان لغير أبي الفضل:

إذا همذان اعتادها القرّ وانقضى ... برغمك أيلول وأنت مقيمُ
فعينك عمشاء وأنفك سائل ... ووجهك مسودّ البياض بهيمُ
وأنت أسير البرد تمشي تعلّة ... على السيف تحبو مرّة وتقومُ
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنّة ... ولكنها عند الشتاء جحيمُ

وسكن أبو الفضل هراة، وتوفي بها يوم الجمعة الحادي عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة.

وجمع رسائله أبو سعد[3] الحاكم المعتزلي، وذكر في آخرها: «سمعت الثقات يحكون أنه مات من السكتة، وعجّل دفنه، فأفاق في قبره، وسمع صوته في الليل وأنينه، فلما أصبحوا نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر»، رحمه الله تعالى[4].

والسُكتة، بضم السين عند الأطباء، وكان القياس كسرها، لأنها نوع من

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٩.
(٢) وفيات الأعيان ١/١٢٨.
(٣) في الوفيات: «أبو سعيد».
(٤) وفيات الأعيان ١/١٢٩.

السكوت، وسببها أما كثرة البلغم حتى يملأ تجاويف الدماغ فتنعكس الغريزية إلى داخل فيشبه العليل النائم، أو لكثرة الدم ينعم الروح، ويعالج الأول بالحار اليابس في آخر الثالثة إلى أول الرابعة كالخردل ضماداً على الرأس بعد علقه، والتعطيس بمثل الكندس ونحوه، وأشياء[1] الطبيعة، والثاني بالفصد واستعمال المبردات كالكزبرة والرجله والقرع ونحوه، وأنا أزيد لم يرجى[2].

❀ ❀ ❀

وغَزنَة، بفتح المعجمة وإسكان الزاي وفتح النون ثم هاء: مدينة عظيمة فيما وراء نهر جيحون متاخمة للهند، وهي في النصف الشرقي من الإقليم الرابع، والله أعلم، وكفى به.

[٧]

أبو حامد، أحمد بن محمد الأنطاكي، الشاعر المشهور والمنبوز بأبي الرَّقَعْمَقْ، صاحب الهزليات الغريبة، والشوارد الربيبة(*).

فاضل يروق وينسجم فيريك الروض والماء، وتجلو عقوده الجوهرية، فما الشادن إلاّ لمى معانيه أدّق من خصر المحبوب، ولولا محبّة خلودها غنينا بها عن المدام المشروب، فهو لا ينفّك يدير للسامع خمراً، ويسمعه وتراً، ولست بخرّاص في روضه، ومستمع وترا، وكان يتشبّه بأبي عبد الله بن حجّاج ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء[3].

وقال الثعالبي في يتيمة الدهر: هو «نادرة الزمان، ومن جملة الإحسان، وممن تصرّف بالشعر في أنواع الجدّ والهزل وأحرز قصب السبق، وهو أحد

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٣١ ـ ١٣٢، يتيمة الدهر ١/ ٣١٠ ـ ٢٢٤، تاريخ مصر لعز الملك المختار المسبحي، الوافي بالوفيات ـ طبعة المستشرقين ٨/ ١٤٣ ـ ١٤٤، شذرات الذهب ٣/ ١٥٥، العبر للذهبي ٣/ ٧٠، معاهد التنصيص ٢/ ٢٥٣، حسن المحاضرة ١/ ٣٢٣، الاعلام ط ٤/ ١/ ٢١٠، أعيان الشيعة ٢٢/٥٥ ـ ٢٥، الغدير ٤/ ١١١ ـ ١١٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

الشعراء المجيدين والمدّاح المحسنين، وهو بالشام كابن حجّاج بالعراق»[1].

فمن غرر محاسنه قوله يمدح الوزير أبا الفرج يعقوب بن كِلّس[2] وزير العزيز بالله بن المعزّ لدين الله صاحب مصر والشام والمغرب والحجاز [من الخفيف]:

قد سَمِعنا مقالَهُ واعتذارَهْ وأقلناهُ ذنبه وعِثارهْ
والمعاني لمن عَنَيتُ، ولكن بِكِ عَرَّضتُ فاسمعي يا جارهْ
من مناي بأنه أبَدَ الدهـ ـر تراه مُحَلِّلاً أزرارَه
عالم أنه عَذابٌ من ا لله مُتاحٌ لأعينِ النظّاره
هتك الله سترَهُ فلكم هَتـ ـك مِنْ ذي تَسَتُّرٍ أستاره
سَحَرَتني ألحاظُهُ وكذا كـ ـلُّ مليح الحاظُهُ سَحّارَه
ما على مؤثرِ التباعُدِ والإعـ ـراضِ لوْ آثرَ الرِّضى والزِّيارَه
وعلى أنني وإن كان قَدْ عَذَّبَ بالهَجْرِ مؤثر إيثارَهْ
لم أزل لا عَدِمتُه من حبيبٍ أشتهي قُربَه وآبى نِفارَه

ومنها:

لَم يَدَعْ للعزيز في سائر الأر ض عَدُوّاً إلا وأخمَدَ نارَهْ
كلَّ يَوْمٍ له على نُوَبِ الدَّهْـ ـرِ وكَرِّ الخطوب بالبَذْل غارَه
ذو يَدٍ صانها عن البُخلِ جودٌ وهي في حَوْمَةِ الوَغى كَرَّاره
هي فَلَّتْ عن العزيز عِداهُ بالعطايا وكَثَّرَتْ أنصاره
هكذا كلُّ أفضلٍ يَدُهُ تُضـ ـحي وتُمسي نَفّاعة ضَرَّارَه
لم يَدَعْ للذكا وللذهن شيئاً في ضَمير الغُيوب إلا استناره
وإذا ما رأيتَهُ مُطْرِقاً يُعـ ـمل فيما يُريده أفكاره
فاستَجِرْهُ فليس يأمَنُ إلاّ مَنْ تَفَيّا ظِلالَه واستجاره
لا ولا مُوضِعاً من الأرض إلاَّ كان بالرأي مُدرِكاً أقطاره
زادَهُ الله بَسْطَةً وكَفاهُ خَوْفه من زمانه وأجاره[3]

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢١٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٩٥.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٣١٠ ـ ٣١١، وفيات الأعيان ١/ ١٣١ ـ ١٣٢، الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٨/ ١٤٣ ـ ١٤٤، أعيان الشيعة ٥٥/ ٢٣ ـ ٢٤، الغدير ٤/ ١١٥/ ١١٦.

وله يمدح بعض الأمراء ويستعمل طريقه في المجون [من البسيط]:

كل بشعري مفتون ومشغوف ... وَجَيِّد الشعر منعوت وموصوفُ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به ... ومن يقوم بأمر فيه تكليفُ
لأنتفن سبالي طاعة لهم ... والذقن إن دام ذا الإعراض منتوفُ
أمسي وأصبح مجفوّاً ومطّرحاً ... هذا ورأسي وما والاه مكشوفُ
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا ... رزقي فذال أصم السمع مكفوفُ
من تلك أقفية القوم الكشاخية الـ ... ـفدم الذين لهم منها مخاديفُ
مفوقات بتنفيش وأطبعها ... لا شك ما فيه تنفيش وتفويفُ
معطوفة وبنفسي يا ابن أم قفا ... على الأخادع مثنيٌّ ومعطوفُ
كم قائل ويداه في أطايبه ... وطيب الشيء مجني ومقطوفُ
هذا الذي من رآه دون ملمسه ... لم يأكل اللحم إلا وهو معلوفُ
ولم يمد إلى رأس على طرب ... يديه إلا وفي اليمنى تطاريفُ
فإن يكن ذا فلا غرو ولا عجب ... فلليالي وللأيام تصريفُ
بينا ترى الثوب منشوراً لِلابِسِهِ ... حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفُ
فكم ألام؟ وكم ألحى؟ وهل حمقي ... إلا نتيجة رأس فيه تخفيفُ؟
ألفيته[1] حسب مالي من محبته ... دون البرية والمحبوب مألوفُ
إلف المكارم والجدوى فتى أسد ... محمد خير من ناداه ملهوفُ
حرٌّ إذا ذكر الأحرار مشتمل ... على السماح ببذل العرف معروفُ
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا ... تصرفت ببني الدنيا تصاريفُ
ندب نماه كرام سادة نجب ... شمُّ الأنوف بها ليل غطاريفُ
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ... ولا يحيط بها وصف وتكييفُ[2]

وله من أخرى في تلك الطريق [من مجزوء الكامل]:

لو برجلي ما برأسي ... لم أبُتْ إلا بنجدِ
خفة ليست لغيري ... لا أراني الله فقدي
ومحال أن يرى مثـ ... ـلي أو يبصر بعدي
غير أني قيل عني ... إنني مغرىً بدعدِ

(١) في هامش الأصل: «ألفته».
(٢) اليتيمة ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

وبليلى وبسلمى وبسعدى وبهندِ
ثم لا أملك شيئاً غير سنور وجلدِ
وحماقات وعمري إن لي رأساً بزندِ
أصبر الأرؤس في صفع بلا جَرٍّ وَعَدٍّ[1]

وله في هذا المسلك [من مخلع البسيط]:

عاذل كم فيه تعذليني وكم إلى كم تؤنبيني
لو بك ما بي من التصابي لكنت لا شك تعذريني
إن الذي قد أذاب جسمي بالثغر والجيد والجفونِ
بدر تمام على قضيب ركب في لينة ولينِ
ما شئت من نرجس جني غُصْن وورد وياسمينِ
عيناه تسطو على فؤادي والموتِ من سطوة الجفونِ
وَأطيب العيش كان عندي أيام بالفسق قلدوني
وكنت طباً به بصيرا وأقود الناس في سكونِ
فكم غزال أخذت قهرا وكم مليح حوت يميني
والناس يسعون نحو داري من كل أرض ويقصدوني
فذا يوافي بثوب خزٍّ وذا يوافي بثوب بوني
وكان خلقي لهم رضياً أصفعهم ثم يصفعوني
قد أجمع الناس أن حمقي أحسن من عفّتي وديني
قد عشت دهراً أعول عقلي والناس إذ ذاك يبعدوني
فمذ تحامقت قد كساني حمقي وقد عالني جنوني
ومن بلائي أبو عمير معرض بي إلى المنونِ
منتصب ما ينام وقتاً وليس هذا من الرنينِ
من كان ذا زوجة فإني لشقوتي زوجتي يميني
عميرة قد جلدت حتى خشيت والله [أن] يجلدوني
فراقبوا الله في أموري وخلصوني وزوجوني[2]

---

(١) اليتيمة ١/ ٣٢٠.

(٢) اليتيمة ١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

قلت: هذه الأبيات مع تضمنّها المجون الذي يقوم مقام جوارش العنبر في تفريح القلب، فيها أيضاً من الحكمة وهي قوله:

قد عشت دهراً أعول عقلي والناس إذ ذاك يبعدونني

والذي بعده، والذي تقول العامّة: «من تجانن قضى حاجته»، ولا سيما وقتنا وبلدنا، فالعيش فيه بالجنون أنفع من الكيمياء، والعقل أشرف ما حلي به الإنسان، ولكنه حجاب عن الشهوات الطيبة التي تذم لمشاركة الحيوان غير الناطق للإنسان فيها ولا بد منها إلاّ لقليل من الناس منحوا الصبر عنها.

ورأى الحسن البصري[1] رجلاً عليه ثياب حسنة وله بزّة جميلة فسأل عنه فقيل أنه يضرّط للملوك فيضحكهم فيجيزونه، فقال: ما دخل أحد للدنيا من بابها وأخذها بما يشبهها إلاّ هذي.

وحدّث مدرك بن محمد الشيباني قال: حدثني أبو العنبس الصيمري قال: قلت لأبي العِبَر العباسي الأحمق: ويلك أي شيء يحملك على هذا السخف الذي ملأت به الأرض، وأنت أديب مليح الشعر؟ فقال لي: يا كشحان تريد أن أكسد أنا، وتنفق أنت، أنت أيضاً شاعر فَهِمٌ متكلّم قد تركت العلم وصنفت في الرقاعة نيفاً على ثلاثين كتاباً، أحبّ أن تخبرني لو نفق العقل أكنت تقدَّم على البحتري وقد قال في الخليفة بالأمس:

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف: وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعواناً يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في «فضائل مكة ـ خ» بالأزهرية. توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ. ولإحسان عباس كتاب «الحسن البصري ـ ط».

ترجمته في:

تهذيب التهذيب، وميزان الاعتدال ١/ ٢٥٤، وحلية الأولياء ٢/ ١٣١، وذيل المذيل ٩٣، وأمالي المرتضى ١/ ١٠٦، والأزهرية ٣/ ٧٢٥، الإعلام ط ٤/ ٢/ ٢٢٦.

عـــن أي ثـــغـــر تـــبـــتـــســـمْ ... وبـــأي طـــرف تـــحـــتـــكـــمْ

ولما خرجت أنت عليه وقلت:

فـــي أي ســـلـــح تـــرتـــطـــمْ ... وبـــأي كـــفّ تـــلـــتـــقـــمْ

أدخـــلـــت رأســـك فـــي الـــحـــرمْ ... وعـــلـــمـــت أنـــك تـــنـــهـــزمْ

أُعطيت الجائزة وحُرم، وقُرِّبت وبَعُدْ، في حر امّك وحر أم كل عاقل معك، فتركته وانصرفت[1].

❀ ❀ ❀

واسم أبي العِبَر: محمد بن أحمد ويلقب بحمدون الحامض بن عبد الله بن عبد الصمد[2].

قال الأصبهاني: كان أول أمره صالحاً ذا مروءة ثم ترك ذلك وتحامق، وكان ناصبياً، وبذلك نفق عند المتوكل[3].

وكان أبوه شيخاً صالحاً، وكان لا يكلمه، فسئل عن سبب ذلك فقال: إجتاز بي وأنا في جماعة وبيده سمكة، فقلت له: أيش تعمل بها؟ قال: أنيكها، فحلفت أن لا أكلمّه أبداً[4].

---

(١) الأغاني ٢٣/٢٠٥ ـ ٢١٣.

(٢) أبو العبر واسمه محمد بن أحمد (وقيل أحمد بن محمد) بن عبد الله الهاشمي العباسي، قيل إنه رأى الحماقة والهزل أنفق على أهل عصره سرح في ميادين الحماقة والرقاعة، وأصبح يكسب بذلك أضعاف ما يكسبه الشعراء بالجد. أخباره في الهزل والمجون والرقاعة كثيرة، وله في الجد شعر جيد. قال أبو الفرج في أغانيه: كان أبو العبر شديد البغض لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وله في العلويين هجاء قبيح، وكان سبب موته أن بعض الكوفيين سمعه يقول في علي عليه السلام قولاً قبيحاً استحل به دمه فقتله. سنة ٢٥٠هـ. له من المصنفات: جامع الحماقات وحاوي الرقاعات، والمنادمة وأخلاق الخلفاء، وكتاب نوادره وأماليه.

ترجمته في: الأغاني ٢٣/٢٠٥ ـ ٢١٣، فهرست ابن النديم/٢٢٣، تاريخ بغداد ٥/٤٠، فوات الوفيات ٢/٣٥٤، طبقات ابن المعتز/٣٤٢، معجم الأدباء ١٧/١٢٢، أنوار الربيع ٢/هـ ٢٠٢.

(٣) الأغاني ٢٣/٢٠٥.

(٤) الأغاني ٢٣/٢٠٨.

وكان المتوكل يأمر أن يرمى به إلى دجلة في المنجنيق، فإذا صار في الهواء صاح: الطريق الطريق، فإذا صار في الماء أمر الصيّاد فيخرجه بالشبكة كما يخرج السمك، وفي ذلك يقول:

ويـــأمـــر بـــي الـــمـــلـــك فـــيـــطـــرحـــنـــي فـــي الـــبـــرك
ويـــصـــطـــادنـــي بـــالـــشـــبـــك كـــأنـــي مـــن الـــســـمـــك
ويـــضـــحـــك كـــك كـــك [كـــكـــك كـككـك كـك كـككـك كـك كـككـك][1]

وقال أبو العيناء: أنشدت أبو العبر قول المأمون:

مـــا الـــحـــبُّ إلاّ قُـــبـــلَـــة وغـــمـــزُ كـــفّ وعَـــضُـــدْ[2]
أو كـــتُـــبٌ فـــيـــهـــا رُقَـــىً أنـــفـــذُ مـــن نَـــفْـــث الـــعُـــقَـــدْ[3]
مـــن لـــم يـــكـــن ذا حُـــبَّـــهُ فـــإنـــمـــا يـــبـــغـــي الـــوَلَـــدْ
مـــا الـــحـــبُّ إلاّ هـــكـــذا مـــن نَـــكـــحَ الـــحـــبُّ فَـــسَـــدْ

فقال لي: كذب المأمون وأكل من خَراي رِطلين وَرْبعاً بالميزان، فقد أخطأ وأساء، ألا قال كما قلت:

وبـــاضَ الـــحـــبُّ فـــي قـــلْـــبـــي فـــيـــا ويـــلـــي إذا فَـــرَّخْ
ومـــا يـــنـــفـــعُـــنـــي الـــحـــبُّ إذا لـــم أكـــنـــس الـــبـــرْبَـــخْ[4]
وإن لـــم يـــطـــرح الأصـــلَـــعُ خُـــرجـــيـــه عَـــلَـــى الـــمَـــطْـــبَـــخْ

ثم قال لي: كيف ترى؟ قلت: عجباً من العَجب، قال: ظننت أنك تقول: لا، فأبلَّ يدي ثم ارفعها، ثم سكت، فبادرتُ وانصرفتُ خوفاً من شرّه[5].

وكانت كنيته أبا العباس، فصيّرها أبا العبر، ثم كان يزيد فيها كل سنة حرفاً حتى مات، وهي أبو العبر طرد طنك طباری بك نك يك[6].

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٢١٠ وما بين المعقوفين أكملناه منه.
(٢) العضد: ما بين المرفق إلى الكتف.
(٣) الرقى: جمع رقية وهي العوذة التي يُرقى بها المريض ونحوه، ويقال لما يؤثّر: رقية.
(٤) البربخ: منفذ الماء ومجراه، أو البالوعة من الخزف وغيرها، وجمعها: برابخ.
(٥) الأغاني ٢٣/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
(٦) الأغاني ٢٣/ ٢٠٨.

قلت: يحسن أن تكون هذه للعقرب رقية.

وقيل لأبي العبر: ما هذه المُحالات التي تتكلم بها أي شيء أصلها؟ قال: أجلس على الجسر ومعي دواة ودَرْج[١] فاكتب كل شيء أسمعه من كلام الذاهب والجائي والملّاح والمكاري حتى أملأ الدَّرج من وجهين ثم أقطعه عَرضاً وألصقه مخالفاً، فيجيء منه كلام ليس في الدنيا أحمق منه[٢].

ورؤي واقفاً على بعض آكام سرّ من رأى وبيده اليسرى قوس، وعلى يده اليمنى باشق، وعلى رأسه قطعة لحم في حبل مشدود بأنشوطة وهو عريان وفي أيره شعر مفتول خيطاً وقد شدّ فيه شصاً[٣] وألقاه في الماء للسمك وعلى شفته دوشاب قد لطخها به، فقيل له: أيش هذا؟ فقال: أصطاد بجميع جوارحي، إذا مرَّ بي طائر رميته عن القوس، وإذا سقط قريباً مني أرسلت عليه الباشق، واللحم على رأسي تجيء الحداة[٤] لأخذه فتقع في الوهق[٥]، والدوشاب أصطاد به الذباب وأجعله في الشص للسمك[٦].

وقدم أبو العبر بغداد في أيام المستعين، وجلس للناس وتحامق، فبعث إليه إسحاق بن إبراهيم المصعبي وحبسه، فصاح في الحبس، معي نصيحة، فأخرج وحمل إلى إسحاق فقال: هات نصيحتك، قال: وتؤمّنني؟ قال: نعم، قال: الكشكية أصلحك الله لا تصلح إلاّ بالكَشْك، فضحك إسحاق وقال: هو فيما أرى مجنون، وقال له: لا إلاّ أنا أمتخط حوت[٧] ففهم ما قاله وتبسّم وقال: أظن أني فيك مأثوم[٨]؟ قال: لا ولكنك فيَّ ماء بصل، فقال: اطلقوه واخرجوه من بغداد[٩].

---

(١) الأغاني ٢٣/٢٠٩.
(٢) الأغاني ٢٣/٢٠٩.
(٣) الشص: حديدة معقوفة يصاد بها السمك.
(٤) الحداة: وهو طائر من الجوارح ينقض على الجرذان والدواجن والأطعمة ونحوها.
(٥) الوهق: حبل يرمى به في أنشوطة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان.
(٦) الأغاني ٢٣/٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٧) امتخط: مج، وحوت: نون: فتصبح مجنون.
(٨) مأثوم= ماء+ ثوم= ماء+ بصل.
(٩) الأغاني ٢٣/٢١٠ ـ ٢١١.

وكان يقول: إذا حدّثك إنسان بما لا تشتهي فاشتغل عنه بنتف إبطك حتى يكون هو في عمل وأنت في عمل[1].

وله أشعار مليحة في الجدّ.

❁ ❁ ❁

وغالب شعر أبي الرقعمق في مدح المعزّي الذي عمرّ القاهرة.

وقال الأمير عز الملك المختار المسبّحي، في تأريخ مصر: توفي أبو الرقعمق سنة تسع وتسعين وثلثمائة لثمان بقين من رمضان، وقيل في ربيع الآخر، رحمه الله تعالى.

❁ ❁ ❁

وأنطاكية: مدينة مشهورة بالشام وراء حلب مما يلي دروب الروم، وأول ملوك الروم القياصرة صيّرها دار الملك، وهي في الإقليم الرابع، وبها قبر حبيب النجّار المذكور في سورة يّس، ومنها تجلب المجمودة الجيدة، ويلوح من كلام المسبحي، إن الرقعمق مات بمصر.

والدوشاب: عسل التمر، وهو حار يابس، في آخر الثانية، ينفع المرطوب خاصّة في الشتاء، ويهيّج الرقاع، ويحرق الدم لا سيما الصفراوي، ويفسد اللّثة مطلقاً، وربما ولّد له عللاً صعبة.

وقول أبي الرقعمق في القصيدة التي مدح فيها الوزير أبا الفرج:

بِكِ عَرَّضْتُ فاسمعي يا جاره والمعاني لمن عَنَيتُ ولكن

وهو مثل مشهور حرّفه لضرورة الشعر، وأصله: «إياكِ أعني فاسمعي يا جاره» وهو لسيّار بن مالك الفزاري قاله لأخت حارثة بن لام الطائي وكان مرّ بها في مسيره إلى النعمان، فنظر إلى بعض محاسنها فهوى بها واستحيى أن يخبرها، فهل يشبب بامرأة غيرها، فلما طال عليه ذلك ضاق ذرعاً مما يجده ووقف بها وقال:

---

(١) الأغاني ٢٣/ ٢١٢.

كانت لنا من غطفان جاره　　جلالة ضغانة سيّاره
كأنها من هيئة وشاره　　والحلي حلي التبر والحجاره
مدفع ميثاء إلى قراره　　إياك أعني فاسمعي يا جاره

وقيل بل قال:

يا أُخت خير البدو والحضاره　　كيف ترين في فتى فزاره
أصبح يهوى حرّة معطاره　　صفر الوشاح تملأ الازاره
إيّاك أعني فاسمعي يا جاره

وذلك بمسمع منها، فخاشنته في القول، ثم استحيت من تسرّعها إلى أذاه، فلما تقدّم من عند النعمان أرسلت إليه أن يخطبها ففعل فتزوّجها.

قلت: أحسن بشّار[1] في قوله:

قل لمن شئت إنني بك مغرى　　ثم دعه بروضه إبليس[2]

وسيأتي كيفية دخول القائد جوهر إلى مصر إن شاء الله تعالى.

[٨]

أبو العباس، أحمد بن محمد الدارمي المِصّيصيُّ المعروف بالنامي[3]، الشاعر المشهور[*].

أحد خواص شعراء الأمير سيف الدولة ونظير المتنبي، عنده في المنزلة السامية، فاضل شعره كالشعراء وروض نام لا ينفك يطلع زهراً، يبكي بنسيبه نائحة العرب حسداً ولا يترك لِلَبيد من حسنّاته سبراً ولا لبداً، كم قص للشعراء

(١) مرت ترجمته في هامش سابق.
(٢) بعده في هامش الأصل:
«عسر النسا إلى مياسره　　والصعب يمكن بعدما جمحا»
(٣) في هامش الأصل: «الشامي».
(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ٢٢٥ - ٢٣٢، وفيات الأعيان ١/ ٦٦ - ٦٧، الوافي بالوفيات ط المستشرقين ٨/ ٩٦ - ٩٩، الكنى والألقاب ٣/ ٢٠٤، تأريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٢٩٨، شذرات الذهب ٢/ ١٥٣، أعيان الشيعة ٩/ ٢٧٢ والاعلام ط ٤/ ١/ ٢١٠ - ٢١١.

من آيات شعره أحسن القصص، وترك من درّاج والببغاء بالحيرة في القفص، يرى ممدوحه أن شعره لمملكته الحامي، وإذا روى شعر شاعر لم يخشَ ذاك على النامي.

قال أبو منصور عبد الملك الثعالبي في يتيمة الدهر: كان النامي من خواص سيف الدولة، وكان لديه نظير المتنبي في الرتبة والمنزلة، وكان فاضلاً عارفاً باللغة[١].

وذكره ابن خلكان وقال: له أمالي أملاها بحلب روىٰ فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش[٢] وابن دُرُسْتُوَيْهِ[٣] وأبي عبد الله الكرماني[٤] وأبي بكر

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٢٥.

(٢) علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر: نحوي، من العلماء. من أهل بغداد. أقام بمصر سنة ٢٨٧ ـ ٣٠٠هـ. وخرج إلى حلب، ثم عاد إلى بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٥هـ، وهو ابن ٨٠ سنة. له تصانيف، منها «شرح سيبويه» و «الأنواء» و «المهذب». وكان ابن الرومي مكثراً من هجوه.
ترجمته في:
بغية الوعاة ٣٣٨ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠١ ـ ٣٠٣، وطبقات النحويين ـ خ. وإنباه الرواة ٢: ٢٧٦ وأنظر Brock. S. I: 189 وفيه اسم جده «المفضل» وهو في سائر المصادر «الفضل» وقيل: وفاته سنة ٣١٦، يقول المشرف: والذي عن كنيته في شذرات الذهب والمنتظم وابن خلكان أنها «أبو الحسن»، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٩١.

(٣) عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد: من علماء اللغة، فارسي الأصل، لد سنة ٢٥٨هـ . وتوفي ببغداد سنة ٣٤٧هـ. له تصانيف كثيرة، منها «تصحيح الفصيح ـ خ» يعرف بـ: «شرح فصيح ثعلب»، منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة (رقم ٧٨) كما في مذكرات الميمني. وكتاب «الكتاب ـ ط» و «الإرشاد» في النحو و «معاني الشعر» و «أخبار النحويين» و «نقض كتاب العين» و «شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال مؤلفاً على حروف المعجم ـ خ» في المجموع «١٠٠ أوقاف، بخزانة الرباط».
ترجمته في:
بغية الوعاة ٢٧٩ وابن النديم ١: ٦٣ والوفيات ٣/ ٤٤ ـ ٤٥، وتاريخ بغداد ٩: ٤٢٨ ونزهة الألبا ٣٥٦ Brock. I: 114, S.I:174 وطبقات النحويين ـ خ. وهو مشكول فيه بالقلم بفتحتين على الدال والراء؛ وجعلها ابن خلكان رواية ثانية في ضبط اسمه. وأنظر معجم المطبوعات ١٠١. الاعلام ط ٤/ ٤/ ٧٦هـ.

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى، أبو عبد الله، الكرماني الوراق: عالم باللغة والنحو. كان يورق بالأجرة. قرأ على ثعلب. من كتبه «الموجز» في النحو، و «الجامع» في اللغة، ذكر فيه ما أغفله الخليل في العين. وكانت بينه وبين ابن دريد مناقضة، توفي سنة ٣٢٩هـ.
ترجمته في:
بغية الوعاة ٦٠ والوافي بالوفيات ٣: ٣٢٩ ومعجم الأدباء ٧: ١٩، الاعلام ط ٤/ ٦/ ٢٢٤.

الصنوبري[1]، وإبراهيم بن عبد الرحمن العروضي ومحمد المصيصي، وروى عنه أبو القاسم الحلبي المعروف بابن أبي أمامة[2] وأخوه أبو الحسين أحمد وأبو الفرج البَبَّغا[3] الشاعر المشهور، وأبو الخطَّاب بن عون[4] الحريري، والقاضي أبو الطاهر صالح بن جعفر[5] الهاشمي[6].

ومن فرائد سلوكه من قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة أبا الحسن بن حمدان[7] [من الطويل]:

أميرَ العُلى إنَّ العَوالي كواسبٌ ... علاءَكَ في الدنيا وفي جَنَّة الخُلدِ
يَمُر عَليكَ العام، سَيْفُكَ في الطُّلى ... وطَرْفُك ما بَينَ الشكيمة واللِّبْدِ
وَيَمْضي عليك الدَّهرُ، فعلك للعلى ... وقولك للتَقوَى، وكفك للرِّفْدِ[8]

قلت: إذا أعطيت هذا الشعر حقّه من التأمل علمت أن لو أعطاه سيف الدولة شطر ملكه لم يوفّه.

---

(١) في وفيات الأعيان: «الصولي».
(٢) في الوفيات: «أسامة».
(٣) أبو الفرج الببغاء واسمه عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي من أهل نصيبين. كان كاتباً مترسلاً، وشاعراً مطبوعاً، له مراسلات كثيرة مع أبي إسحاق الصابي، وقد أجاد في كل فنون الشعر. كان من شعراء سيف الدولة الحمداني، وبعد وفاته أخذ يتردد عل بغداد والموصل، توفي سنة ٣٩٨، له ديوان شعر.
ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ٢٥٢، الكنى والألقاب ٢/ ٥٧، هدية العارفين ١/ ٦٣٣، تاريخ بغداد ١١/ ١١، النجوم الزاهرة ٤/ ٢١٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٢، هدية وفيات الأعيان ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٢، شذرات الذهب ٣/ ١٥٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٩٨، أنوار الربيع ٣/ هـ ٢٥٣.
(٤) في الأصل: «ابن عوف» وما أثبتنا من الوفيات.
(٥) صالح بن جعفر بن عبد الوهاب بن أحمد الصالحي الحلبي الهاشمي، أبو طاهر: قاضي حلب. يرفع نسبه إلى عبد الله بن عبّاس. سمع الحديث بدمشق وتوفي بحلب سنة ٣٩٧هـ، له كتاب «الحنين إلى الأوطان».
ترجمته في:
زبدة الحلب ١: ١٩٦ وتهذيب ابن عساكر ٦: ٣٦٧، الاعلام ط ٤/ ٣/ ١٩٠.
(٦) وفيات الأعيان ١/ ١٢٦.
(٧) ترجمه المؤلف برقم ١١٤.
(٨) يتيمة الدهر ١/ ٢٢٥، وفيات الأعيان ١/ ١٢٦، كاملة في شعر النامي ٤٦ ـ ٥١.

وأورد له من أول القصيدة [من الوافر]:

أحـقّـاً أن قـاتـلـتـي زَرُودُ ... وأن عُـهُـودهـا تـلـكَ الـعُـهُـودُ
وَقَـفـتُ وقـد فَـقَـدْتُ الـصَّـبرَ حتى ... تـبـيـن مـوقـفـي أنـي الـفَـقِـيـد
وَشَـكَّـتْ فـيَّ عـذّالـي فـقـالـوا ... لـرَسـم الـدار أيـكـمـا الـعـمـيـد[1]

وكان له مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد.

ومن حسن شعره الرقيق يمدح أمير المعالي على الحقيقة سيف الدولة [من البسيط]:

الـمـامـة بـمـغـانـي دارهـم لـمـمُ ... إذ لا امـامـة مـن دار لـهـا أمـمُ
بـأي حـكـم لأيـام الـفـراق غـدت ... بـنـاعـب كـاعـب والـبـيـن يـحـتـكـمُ
عقلت عيسي كأني كنت حاسدها ... بـدار سـلـمـى وتـرب الـدار مستـلـم[2]
كـأن قـلـبـي مـعـان لـلـنـوى جـزعـاً ... مـن قـلـب قـرن عـلـيّ وهـو مـنـهـزمُ
نـاط الـحـمـائـل فـي لـيـث وفـي قـمـر ... وفـي الـحـمـائـل قد نيطت به الـهـمـمُ
كـأنـه أجـل، أو طـرفـه وجـل ... أو سـيـفـه قـدر فـي الـروح يـحـتـكـمُ
يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله ... والخيل تشرب من أشداقها اللجمُ
إذا ملائكة النصر اختلطن بها ... تـشـابـه الـعـالـم الـنـوريّ والـنـسـمُ
لم ترع يا علم المجد الثغور لنا ... إلا وسـبـح إجـلالاً لـك الـعـلـمُ
لا يـكـتـم الـنـصـر يـوم أنـت شـاهـده ... والـيـوم مـن نـقـعـه قـد كـاد يـنـكـتـمُ
الـنـصـر أسـرجـهـا والـعـزم ألـجـمـهـا ... والحزم أمسك بالإسراج لا الحزمُ
قـال الـنـهـار لـهـا والـشـمـس مـغـمـدة ... ولـلـمـنـايـا شـمـوس غـمـدهـا الـقـمـمُ
هـذا عـجـاج فـأيـن الأفـق وهـو قـنـىً ... وتـلـك خـيـل فـأيـن الأرض وهـي دمُ
بحد سيفك سيف الدولة انحطمت ... قـواعـد الـشـرك والأرواح تـنـحـطـمُ
يـحـدث الـذئـبَ ذئـبٌ وهـو مـبـتـهـج ... ويـخـبـر الـنـسـرَ نـسـرٌ وهـو مـبـتـسـمُ
قـد أرضـعـتـك ثـديُ الـحـرب درتـهـا ... ورمـحـك ابـن رضـاع لـيـس يـنـفـطـمُ
ألـسـت مـن مـعـشـر قـامـت مـدائـحـهـم ... عـلـى الـقـنـىٰ وهـي بـالأرواح تـنـتـظـمُ

(١) يتيمة الدهر ١/٢٢٦، وفيات ١/١٢٦، شذرات الذهب ٣/١٥٤، أنوار الربيع ٥/١٢٥، نزهة الجليس ٢/١٤٦، أعيان الشيعة ٩/مج ١٠/٤١٢ ـ ٤١٣. كاملة في شعر النامي ٥٤ ـ ٥٦.

(٢) اليتيمة ١/٢٢٦، أعيان الشيعة ج ٩/مج ١٠/٤١٣ ـ ٤١٤، شعر النامي ٧٢ ـ ٧٨.

من آل حمدان حيث الملك مقتبل والمال مقتسم والحمد مغتنمُ
قوم إذا حكموا يوماً لأنفسهم جار السماح عليهم في الذي حكموا
أبو علاً أم ندىً؟ أدعوك أم بهما؟ فأنت ذا والحيا والصارم الخذمُ
إن تلحق الرأي تلحقه بغايته كذا الجواد من الاعجال ينخذمُ
وإن تأنيت حزماً لم تفتك عدىً إن الأسود تمطى ثم تعتزمُ
إن لم أقم أمماً بالمدح من فكري فشك فيك يقيني أيها الأممُ
إذا طلبتك لم ألحقك في أمد ما حيلتي قد تناهى دونك الكلمُ
وما عَليَّ إذا ما كنت ناظمها فعطلت كل ما قالوا وما نظمُوا

ما أمتن هذا النظام الذي يستفز سحره الاعلام، وهو أول من خاطب الممدوح بأبيه العلا، والمرهبي - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] - يتبعه في استعمالها.

ولأبي العباس النامي [من الوافر]:

أتاني في قميص كالمريب عَدُوٌّ لي يُلَقَّبُ بالحبيبِ
وقد عَبِثَ الشرابُ بِمُقْلَتَيْهِ فَصَيَّرَ خَدَّهُ كَسَنَا اللهيبِ
فقُلتُ له: بما اسْتَحْسَنْتَ هذا؟ لَقَدْ أقبلْتَ في زيٍّ عجيبِ
أحُمْرَةُ وَجْنَتَيْكَ كَسَتْكَ هذا؟ أم أنْتَ صَبَغْتَهُ بدَمِ القُلوبِ؟
فقالَ: الرَّاحُ أهْدَىٰ لي قميصاً قَرِيبَ اللّونِ من شَفَقِ المَغيبِ
فثَوْبِيَ والمُدامُ ولَوْنُ خَدِّي قَريبٌ من قريبٍ من قريبِ[2]

وهذا نوع من اللّف والنشر طلاوة وحلاوة.

وأنشدني المولى الأخ ضياء الدين زيد بن يحيى[3] بلَّ الله بسارية الرضوان مضجعه، لنفسه فيه:

بروحي من تعاتبني فأبكي فتبسم حين تنظر ما حوالي
ثناياها ومنطقها ودمعي لآلٍ في لآلٍ في لآلِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.

(٢) معجم الأدباء ٣/ ٢٠٠، وفيات الأعيان ١/ ١٢٧، ألف ليلة وليلة/الليلة ٦٠١، تأريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٢٥٦، أعيان الشيعة ج ٩/مج ١٠/ ٤١٧ - ٤١٨، شعر النامي ٤٠ - ٤٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

قال ابن خلكان: وحكى أبو الخطّاب بن عَوْن الحريري الشاعر المشهور، أنه دخل على أبي العباس النامي قال: فوجدته جالساً ورأسه كالثَّغامة بياضاً، وفيه شعرة سوداء واحدة، فقلت له: يا سيدي في رأسك شعرة سوداء!، فقال: نعم، هي بقيّة شبابي، وأنا أفرح بها، ولي فيها شعر، فقلت أنشدني، فأنشدني [من المنسرح]:

رأيت في الرأس شَعْرَةً بَقِيَتْ — سوداء تَهْوَى العيونُ رُؤيتَها

فقلت للبيض إذ تُرَوِّعُها: — بالله! إلاَّ رحمتِ غُرْبَتَها

فقَلَّ لبثُ السوداء في بَلَدٍ — تكونُ فيه البيضاء ضَرَّتها[1]

ثم قال: يا أبا الخطاب بيضاء واحدة تروّع ألف سوداء، فكيف بسوداء بين ألف بيضاء[2]. وما أحسن قول جمال الدين بن نباتة المصري[3]:

تَبَسُّم الشيب بذَقْنِ الفتى — يوجب مسح الدّمع من جفنه

حسب الفتى بعد الصبا ذلّة — أن يضحك الشيب على ذقنه[4]

وقول صاحبنا الأديب أبي الوفا شعبان بن سليم الصنعاني[5]:

ومُذ قيل كافور شيبي بدا — على لحيتي قلت: يا حسرتي

أأرجو حياة شبابي به — وعادته صحبة الميتِ

والشيب يكره لأنه نذير الفناء وصبّاح المنايا ومنها عداوة النساء له، وكان سبب بغضهن له خفيّاً حتى أوضحه أبو عبد الله بن حجّاج البغدادي[6] فقال:

ما أكره النساء للشيب إلاّ — أنه مؤذن بموت الذكورِ

وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدي[7] في الغيث:

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٢٢، شذرات الذهب ٣/ ١٥٤، الكنى والألقاب ٣/ ١٩٧، أعيان الشيعة ج ٩/مج ١٠/ ٤١٧، شعر النامي ٤٣.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ١٢٦.

(٣) مرّت ترجمته في هامش سابق.

(٤) ديوان ابن نباته المصري ٥٣٥.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٦) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

(٧) مرّت ترجمته في هامش سابق.

وخود دعتني إلى وصلها وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي ما ينطلي فقالت بلى ينطلي بالذهب[1]

قال: وكان في المجلس بعض ظرفاء الأدباء، فقال: لو حكمت فيه لقلت:

وخود دعتني إلى وصلها وعصر الشبيبة مني بَرا
فقلت: مشيبي ما ينطلي فقالت: بلى ينطلي بالخَرا

ومعنى قوله: ينطلي بالذهب، إن الذهب يغطي مساوىء شيبك، والطلا: الخضاب بالحنّاء والكتم، وهو مستحب عند الشيعة لروايات متظافرة عن الأئمة أنهم خضبوا وأمروا به، وأما رسول الله ﷺ فإنه مات ولحيته سوداء، إلاّ شعرات بيضاء فيها، وهو دليل اعتدال مزاجه وكماله في كل جسماني ونفساني لأن الأطباء ذكروا له سببين: طبيعياً وغير طبيعي، والطبيعي ما ظهر بعد أربعين سنة، وغيره ما كان قبل ذلك أو بعده، وأكثر ظهوره قبل وقته لرطب الدماغ، ويسرع في البلغمي والدموي ويبطيء في السوداوي جداً ليبس أخلاطه ودماغه، وفي الصفراوي كذلك.

وقال جالينوس: سبب الطبيعي منه تكرح الغذاء الصائر شَعراً.

وقال أرسطو: هو استحالة الغذاء إلى لون البلغم، هذا في الطبيعي. وغيره بسبب أما إفراط اليبس فيبيّض كما يبيّض الزرع بعد خضرته لقوّة العطش، وهكذا يكون عقيب الأمراض الحادّة المحرقة المجفّفة، أو إفراط الرطوبة، وأدويته كثيرة.

وذكر الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في الرسالة: أن بعض مشايخ الصوفية قال: كنت سائحاً فانتهيت إلى بعض مدن خراسان فاتفق أني كنت أمشي يوماً فلقيت شابّة بديعة الجمال فأعجبني جمالها وقلت إن كانت فارغة تزوجتها، فقلت لها: يا أمة الله ألك زوج، فقالت: كأنك خاطب؟ قلت: نعم، قالت: فإن فيَّ عيباً إن رضيته تزوّجتك، قلت: وما ذاك؟ قالت: إن في رأسي شعرات بيضاء، فلما سمعت ذلك ولّيت عنها وسرت غير كثير، فنادتني: قف، فتوقّفت، فقالت: يا هذا إني لم أستكمل خمس عشرة سنة من عمري، وإن

---

(١) الغيث المسجم ١/١٨.

رأسي لكالعنقود الأسود، ولكني أردت أن أعلمك أني أكره ما كرهت منّي وهو الشعرات البيض التي في رأسك.

قال الشيخ: فكانت حسرة في قلبي[1].

وقال أبو محمد بن السيد البطليوسي الأديب النحوي الأندلسي[2] في كتاب «الحلل [في] شرح أبيات الجمل»: كتب رجل أفوه قبيح البخر إلى شابّة ظريفة أديبة يخطبها، فكتبت إليه:

إتــــقِ الله فــــــي دمـــــــي يـــا مــلــيــح الــمــبــســم[3]

وذكر الثعالبي: إن السري الرّفاء ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[4] ـ هجا النامي المذكور بأبيات أحببت إيرادها لجودة معانيها وإن كانا نجمين يبعد شأوهما ولم تزل المنافسة بين الأفاضل وهي [من الوافر]:

أرىٰ الـجـزارَ هـيَّـجَـنِـي وَوَلَّـىٰ وَكَاشَفَنِي وأَسْرَعَ فـي انكِشَافِي
ورقَّـعَ شِعْـرَه بِـعُـيـونِ شِعْـرِي فَشَابَ الشَّهْدَ بالسُّم الذُّعَافِ
لَقَدْ شَقِيَتْ بِمِدْيتِك الأضاحِي كَما شَقِيتْ بِغَارتِكَ القَوافِي[5]
تَـوعَّـرَ نَـهْـجُـهـا بِـكَ وهـوَ سَـهْـلٌ وكُدِّرَ وِرْدُها بِكَ وهوَ صَافِي
فَتَكْتَ بِها مُشَقَّقَةَ النَّواحِي عَلىٰ فِكَرٍ أشَدَّ مِنَ الثِّقَافِ
لَها أَرَجُ السَّوالِفِ حِينَ تُجْلَى عَلىٰ الأسْمَاعِ أوْ أَرَجُ السُّلافِ

---

(١) الرسالة القشيرية.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (بكسر السين) البطليوسي النحوي.. كان من الفقهاء والقراء ومن علماء الأدب المشهود لهم بالتقدم. تصدى للتدريس فاجتمع إليه الناس يقرأون عليه، ويقتبسون منه، وكان حسن التعليم جيد التلقين. ولد بمدينة بطليوس سنة ٤٤٤هـ وتوفي ببلنسية سنة ٥١٢هـ. من آثاره كتاب المثلث، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب، وشرح سقط الزند لأبي العلاء، وشرح الموطأ للإمام مالك، وله نظم جيد.
ترجمته في: قلائد العقيان/٢٠٢، غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤٤٩، وفيات الأعيان ٣/ ٩٦ ـ ٩٨، هدية العارفين ١/ ٤٥٤، الصلة لابن بشكوال/ ٢٨٢، روضات الجنات/ ٤٣١، إنباه الرواة ٢/ ١٤١، بغية الملتمس/ ٣٢٤، شذرات الذهب ٤/ ٦٤، بغية الوعاة ٢/ ٥٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨، الكنى والألقاب ١/ ٣١٢، أنوار الربيع ٦/هـ ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) لم أعثر عليه في «كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل».

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٨١.

(٥) المدية: السكين، الأضاحي: جمع أضحية ما يذبح في عيد الأضحى.

جَمعْنَ الحُسْنَيَيْنِ فَمنْ رِياحٍ ... مُعَنْبَرةٍ وأرواحٍ خِفَافِ
وما عَدِمَتْ مُغيراً مِنْكَ يَرْمي ... رَقيقَ طِباعِها بِطباعِ جَافِي
مَعَانٍ تُستَعارُ مِنَ الدَّياجي ... وألفاظٌ تُقَدُّ مِنَ الأثافي[1]
كأنَّكَ قاطِفٌ مِنها ثِمَارا ... سَبَقْتَ إليهِ إبَّانَ القِطَافِ
وَشَرُّ الشِّعْرِ ما أدَّاهُ فِكْرٌ ... تَعثَّرَ بَيْنَ كَدٍّ واعتِسَافِ[2]
سأشْفِي الشِّعْرَ مِنْكَ بِنَظْمِ شِعْرٍ ... تَبيتُ لَهُ على مِثْلِ الأشَافِي[3]
وأبعُدُ بالمَودَّةِ عَنْكَ جُهْدِي ... فَقِفْ لي بالمَودَّةِ خَلْفَ قَافِي[4]

ما أحسن قوله: «فقف لي بالمودّة خلف قاف» واستعمال الجناس المطلق في شعر السري كثير، وهو دالّ على تمكنه، وما زال السري يدعي إغارة الشعراء على معاني أشعاره[5] كالخالديين، فإنه عبث بهما.

وذكر ابن خلكان: إن النامي توفي بمدينة حلب سنة تسع وتسعين، وقيل سنة تسعين، أو إحدى وتسعين وثلثمائة[6]، رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

والدارمي، بالمهملة والألف والراء المكسورة والميم: نسبة إلى بني دارم، بطن كبير من تميم، منهم الفرزدق الشاعر وغيره.

والمصيصي، بكسر الميم والصاد المهملة المشدّدة وإسكان الياء وكسر الصاد المهملة الثانية: نسبة إلى مدينة مجاورة لبلاد الروم تلك الأيام، بناها صالح بن علي العباسي عمّ المنصور على نهر جيحون والفرات، وحسبنا الله تعالى.

---

(١) الاثافي: جمع أثفية وهي حجارة توضع تحت القدر.
(٢) الاعتساف: الأخذ على غير الطريق.
(٣) الاشافي: جمع أشفى وهو المثقب يخرز به النعال.
(٤) القافي: الذي يقفو الأثر وراء الشخص، يتيمة الدهر ٢/١٤٨ ـ ١٤٩، كاملة في ديوان السري الرفّاء ٢/٤١٩ ـ ٤٢١.
(٥) في هامش الأصل: «شعره».
(٦) الوفيات ١/١٢٧.

[٩]

أبو القاسم، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الشريف الطباطبائي بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام الحسني الرسّي المصري، النقيب الأديب الشاعر المشهور(*).

فاضل يسيل شعره رقّة وانسجاماً، ويرتشف الوارد بيوته المنظومة من عصيرها مداماً، ينوب مناب الأغاني في المعاني، وتغني سلافته عن سوالف الغواني، سماعه رحيق، يطفي الحريق، ولطفه نسيم، يصبي النديم.

قال ابن خلكان: وشعره في الزهد والغزل وغيره، وكان نقيب الطالبيين بمصر أيام الخلفاء الفاطميين، وكان من أكابر رؤسائها، واشتهاره يغني عن تقريضي له هنا، فما خلا شعره عن غالب الكتب الأدبية.

وذكره الثعالبي في اليتيمة وأورد له المقطوع المشهور وهو [من الطويل]:

خليليَّ، إني للثريّا لحَاسدٌ ... وإني على رَيْبِ الزمانِ لمَاجِدُ!

أيُجمع منها شملُها وَهْيَ سِتَّةٌ ... وأفقِدُ مَنْ أحبَبْتَه وهْوَ واحدُ؟(1)

وأورد له أيضاً [من البسيط]:

قالتْ: لطيف خيال زارني ومضى ... باللهِ صِفْهُ ولا تَنْقُصْ ولا تزِدِ

فقال: أبصرتهُ لو مات من ظَمأٍ ... وقلتِ قف عن ورود الماء لم يردِ

قالت: صدقت الوفا في الحب عادتهُ ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي(2)

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ٤١٢ ـ ٤١٣، وفيات الأعيان ١/ ١٢٩ ـ ١٣١، تاريخ مصر للمختار المسبحي، المغرب/ قسم مصر ٢٠٢، الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٧/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، الكنى والألقاب ٢/ ٤٠٦.

(1) يتيمة الدهر ١/ ٤١٣، الوفيات ١/ ١٢٩، أنوار الربيع ٤/ ١٥٥، الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٧/ ٣٦٤.

(2) اليتيمة ١/ ٤١٣ له، الوفيات ١/ ١٢٩ ـ ١٣٠ له، يتيمة الدهر ١/ ٩٢ وقد نسبها إلى ذو القرنين بن حمدان أنظر ترجمته برقم ٧١، أنوار الربيع ٤/ ١٥٥، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٦٥.

وكان قد نسب هذه القطعة لأبي المطاع ذي القرنين الحمداني، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1].

ومن شعره في طول الليل وهو معنى غريب:

كأن نجوم الليل سارت نهارها فوافت عشاء وهي أنضا أسفارِ
وقد خيّمت كي تستريح ركابها فلا فلك جار ولا كوكبٌ ساري[2]

وما أحسن قول ابن الساعاتي[3]:

لما رأيت النجم ساهٍ طرفه والأفق قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافراً أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وأخذ معناه الشيخ إبراهيم الهندي[4]، وينسب أيضاً لحيدر آغا[5]، فقال في صباح مطير:

لا تحسب الشمس في ذا اليوم طالعة ولا تسل أين وارت وجهها الحسنا
بالأمس قد غربت صفرا وأحسبها ماتت وهذي السما تبكي لها حزنا

وقول العباس بن الأحنف الحنفي[6] في طول الليل من أبيات أيضاً:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧١، كما نسبت إلى يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية.

(٢) الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٧/ ٣٦٥.

(٣) هو أبو الحسن بهاء الدين علي بن رستم الخراساني، المعروف بابن الساعاتي. ولد بدمشق حوالي سنة ٥٥٣هـ، وكان من أبرز شعراء عصره ذا نفوذ واسع وجاه عريض، ميالاً إلى وصف الطبيعة، مولعاً بالغزل. توفي سنة ٦٠٤هـ بالقاهرة. له ديوان شعر بجزأين فيه مدائح ومراث لأهل البيت ﷺ.
ترجمته في: أعيان الشيعة ٤١/ ٢٥٤، وطبقات الأطباء/ ٦٦١ وفيه اسمه علي بن محمد بن علي بن رستم، وشذرات الذهب ٥/ ١٣، وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦، ومقدمة ديوانه بقلم أنيس المقدسي، أنوار الربيع ١/هـ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٤) مرت ترجمته في هامش سابق.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ٦٦.

(٦) هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود من بني حنيفة. نشأ في بغداد. كان من شعراء الغزل الظرفاء الاعفاء. مات سنة ١٨٨ وقيل ١٩٢هـ وقيل غير ذلك. له ديوان شعر.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢٠ ـ ٢٧، والشعر والشعراء/ ٧٠٧، والأغاني ٨/ ٣٥٣ ـ ٣٧٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٢٧، والموشح/ ٤٤٥، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٢٧، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٠، أنوار الربيع ١/هـ ١٩٧.

أوَما رأيت الصبح سدّ طريقه ... وبنات نعش في السماء رواكدُ
والنجم في أُفق السماء كأنه ... أعمى تحيّر ما لديه قائدُ
ناديت من أهواه زدني راحما ... فإلى متى أنا ساهر يا راقدُ

فكل من ادعى للكواعب علّة فأصله قول العباس.

وقال غيره:

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كالملح بالبصرِ
فاليوم ليلي مذ غابوا فديتهمُ ... ليل الضرير فصبحي غير منتظرِ

وقال خالد الكاتب البغدادي[1] وأناف على الجميع:

رقدت ولم ترث للساهر ... وليل المحبّ بلا آخرِ
ولم تدر بعد ذهاب الرقاد ... ما صنع الدمع بالناظرِ

وقال النابغة الذبياني[2] في مطلع قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر[3]:

---

(١) خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم، المعروف بالكاتب: شاعر غزل، من الكتّاب. أصله من خراسان، ومولده بها عاش وتوفي سنة ٢٦٢هـ في بغداد. كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي. وكان يهاجي أبا تمام. وغلبت عليه السوداء. وعاش عمراً طويلاً حتى دق عظمه ورق جلده. شعره رقيق، أكثره غزل. له «ديوان ـ خ».
ترجمته في:
المنتظم، القسم الثاني من الجزء الخامس ٣٥ والنجوم الزاهرة ٣: ٣٦ وهو فيه «التميمي» وفوات الوفيات ١: ٢٩٦ وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٧ وفيه: وفاته سنة ٢٦٩ وسمط اللآلي ٣١١ وتاريخ بغداد ٨: ٣٠٨ والأغاني ٢١: ٣١ وأنظر شعر الظاهرية ١٣٧، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٣٠١.

(٢) هو أبو أمامة زياد بن عمرو بن معاوية، المعروف بالنابغة الذبياني من أصحاب المعلقات وأشعر الشعراء بعد امرىء القيس. كان مقرباً إلى النعمان بن المنذر جمع من عطاياه ثروة كبيرة، ثم حصل بينهما سوء تفاهم بسبب وشاية الحساد فهرب إلى الغساسنة. وبعد مدة استرضاه النعمان فعاد إليه. وكانت تضرب له قبة في سوق عكاظ، لينشد الشعراء أمامه، ويقول كلمته فيهم. وممن أنشده، الأعشى، وحسان بن ثابت، والخنساء، وذلك شرف عظيم لم ينله أحد سواه. توفي حوالي سنة ٦٠٤م لم يدرك الإسلام.
ترجمته في:
شرح ديوان امرىء القيس وأخبار النوابغ/ ٣٨٥ ـ ٣٩٢، والكنى والألقاب ٣/ ١٩٧، والأغاني ١١/ ٥ ـ ٤٣، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١/ ١١٥، وشرح القصائد العشر للتبريزي/ ٥١٢، والشعر والشعراء/ ٩٢ ـ ١٠٦، أنوار الربيع ١/هـ ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) النعمان بن عمرو بن المنذر الغساني: من ملوك آل غسان في الجاهلية. كانت له حوران وعبر =

كِلِيني لهمٍّ يا أُميمة ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيّ الكواكبِ

وقال حسّان بن ثابت[1]: خرجت إلى النعمان بن المنذر مادحاً له فلقيت رجلاً من أهل فدك فقال لي: أتكون حسان بن ثابت؟ قلت: نعم، قال: أين تريد؟ قلت: هذا الملك، قال: فإن لي به علماً وخبرة، قلت: فأعلمني بذلك، قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً قبل أن يرسل إليك ثم عسىٰ أن يسأل عنك بعد الشهر، ثم إنك متروك شهراً آخر بعد المسألة، ثم عسىٰ أن يؤذن لك، فإن أنت خلوت به فأعجبته فإنك مصيب منه ما أردت، فأقم ما أقمت، فإذا رأيت أبا أمامة فاضعن فلا شيء لك عنده.

قال: فقدمت، ففعل بي ما ذكر.

وروي أن حاجب الملك قال له عند وروده: إن الملك قد سُرَّ بقدومك وهو لا يدعك حتى تذكر جبلة بن الأيهم وإيّاك أن تقع فيه ولا تفرط في مدحه، فإنك إن وقعت فيه زهد فيك، وإن أفرطت في مدحه ثقلت عليه، واعلم أنه يدعوك إلى طعامه وهو يثقل عليه أن يؤكل طعامه ويشرب شرابه، فلا تضع يدك

= الأردن وتلك الأنحاء، وليها نحو سنة ٢٩٦م، فبنى قصر السويداء بحوران، وقصر حارب، توفي بنحو سنة ٣٢٣ق.هـ.

ترجمته في:

تاريخ سني ملوك الأرض لحمزة ٧٩، والعرب قبل الإسلام ١٨٦ ودواني القطوف ٧٢ والعقود اللؤلؤية ١: ٢٣، الاعلام ط ٤/٨/٣٨.

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي. أسلم عام الهجرة وله من العمر ستون سنة. فانبرى للشعراء من مشركي قريش بكل قواه فناضل بشعره عن النبي ﷺ والإسلام نضالاً مشكوراً حتى قال له النبي ﷺ: أنت مؤيد بروح القدس ما دمت مادحنا أهل البيت، ولكنه ارتكب بعد ذلك هفوات كبيرة منها: اشتراكه في تلفيق حديث الافك، قيل إن النبي ﷺ أجرى عليه الحد فجلد ثمانين جلدة. وعرّض مرة بالمهاجرين وكادت الفتنة أن تشتعل لو لم يتداركها النبي ﷺ. وكان أول من اتهم أمير المؤمنين علياً عليه السلام بقتل عثمان تزلفا لمعاوية وطمعاً بأمواله. وكان ممن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام. توفي في عهد معاوية بعد أن عمي في أواخر أيامه. عاش ١٢٠ سنة منها (٦٠) سنة في الجاهلية.

ترجمته في: أسد الغابة ٢/٤، الاستيعاب ١/٣٤١، نكت الهميان/١٣٤، الأغاني ٤/١٣٨ ـ ١٧٤، الشعر والشعراء/٢٢٣، مروج الذهب ٢/٣٥٦ ـ ٣٦١ ومعاهد التنصيص ١/٧٣، أنوار الربيع ١/هـ ١٣٨.

في شيء حتى يدعوك، فشكرت له ذلك.

قال حسّان: فأصبت منه مالاً كثيراً ونادمني، فبينا أنا معه يوماً وهو في قبّة له إذ رجل يرتجز حولها ويقول:

أصمّ أم تسمع رب القبّة يا أوهب الناس لعيش صلبه
ضرّابة بالأشقر الاذ به ذات هناء في يديها جلبه
في لاحب كأنه الأطبه

والأطبّة، جمع طباب وهو الشراك يجمع بين الأذنين في الخرز.

فقال النعمان: أليس بأبي أمامة! قالوا: بلى، قال: فاذنوا له، فدخل فحيّاه وشرب معه، ثم وردت النعم السود ولم يكن لأحد بعير أسود ولا يفتحل أحد بعيراً أسود غير النعمان، فاستأذنه النابغة فاذِن له فأنشده قصيدته التي منها:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبق منهن كوكبُ

فأمر له بمائة من الإبل[1] السود فيها رعاؤها وبنيها، فما أصابني حسد قط في موضع كما أصابني يومئذ، وما كنت أدري ما أحسده عليه، أما أسمع[2] من فضل شعره، أم ما رأيت من تقريب الملك له، أم ما رأيت من جزيل عطائه، فجمعت جراميزي وركبت إلى بلادي.

قلت: أبو أمامة: كنيته النابغة، ويكنى أيضاً بأبي عقرب، بابنتين له، واسمه زياد.

وللشريف أبي القاسم شعر كثير، وله ديوان.

وذكر المختار المسبحي[3] في تاريخ مصر: أنه توفي في سنة خمس وأربعين وثلثمائة، ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان، ودفن في مقبرتهم خلف المصلّى الجديد، وعمره أربع وستون سنة[4]، رحمه الله تعالى.

---

(١) في هامش الأصل: «النعم».
(٢) في هامش الأصل: «ما سمعت».
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٦٠.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ١٣٠.

وإنما لقِّب جده إبراهيم طباطبا، لأنه كان يلثغ فيجعل القاف طاء، وطلب يوماً ثيابه، فقال غلامه: أجيء بدرّاعة؟ فقال: طباطبا، يريد قباقبا، فبقي لقباً اشتهر به[1].

❀ ❀ ❀

والرسّي: نسبة إلى الرسّ، قرية نزلها الإمام القاسم بن إبراهيم في خلافة المأمون، فنسب إليها، وهو أول من عمّر فيها. فالظاهر أن نسبة أبي القاسم المذكور إليها أنه سكنها أحد آبائه.

والحجاز: الذي الرسُ منه في الإقليم الثاني، والله أعلم.

[١٠]

مهذّب الملك، أبو الحسين، أحمد بن مُنِير بن أحمد بن مُفْلِح الشامي الطرابُلسي، الشاعر المشهور، ويلقب أيضاً عين الزمان(*).

فاضل شعره كجدّه وأبيه مفلح ومنير، ونسجه الحريري يهون في سوق الأدب قدر حريري[2]، فهو أحلى من الوصال عقيب البين، وأشهر من المدام بكف ذات القرطين، مشمول بالمحاسن المحجوبة، كالسامة في صفحة الوجبة المكتوبة.

وذكر ابن خلكان: أن والده كان ينشد الأشعار ويغنّي في سوق طرابلس، ونشأ ولده الحسين وحفظ القرآن الحكيم، وتعلّم اللغة والأدب والشعر، وقدم دمشق وسكنها، وكان رافضياً ـ يعني إمامياً ـ وكان هجّاءً، ولما كثر منه ذلك سجنه بوري بن طُغْتكين صاحب دمشق مدّة، وعزم على قطع لسانه، ثم شفع فيه،

---

(١) الوفيات ١/ ١٣٠.

(*) له ديوان شعر جمعه وقدم له د. عمر عبد السلام تدموري ط بيروت ١٩٨٦.
ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ١٥٦ ـ ١٦٠، الروضتين في أخبار الدولتين ١/ ٣٣٧، ذيل تاريخ دمشق ٣٢٢، شذرات الذهب ٤/ ١٤٦، خريدة القصر/ شعراء الشام ١/ ٧٦ ـ ٩٥، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٢٨ ـ ٢٤٨، روضات الجنات ٧٢، الغدير ٤/ ٣٢٦، أمل الآمل ١/ ٣٥ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ٢٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٩، أنوار الربيع ٣/ هـ ٢٢٣، تهذيب ابن عساكر ٢/ ٩٢، ابن القلانسي ٣٢٢، الوافي بالوفيات ـ طبعة المستشرقين ٨/ ١٩٣ ـ ١٩٧، مرآة الزمان ٨/ ٢١٧، الطليعة/ ترجمه رقم ٢٠، حسن المحاضرة، الإعلام ط ٤/ ١/ ٢٦٠.

(٢) في هامش الأصل: «الحريري».

وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن نصر بن صفير المعروف بابن القيسراني[1] الشاعر المشهور مكاتبات وأجوبة ومهاجات، وكانا مقيمين بحلب متنافسين في صناعتيهما كما جرت عادة المتماثلين[2].

وله من قصيدة تحمل الثعلب على مجاراة الليث وتصير كهيهات في الفتح من كفّه بالضمّ كَحيث:

وإذا الكريمُ رأى الخُمولَ نزيلَهُ ... في منزل فالحزمُ أن يترحلا
كالبدرِ لما أن تضاءَلَ جَدّ في ... طلب الكمالِ فحازَهُ مُتَنقّلا
سفهاً لحلمك أن رَضيتَ بِمَشْرَبٍ ... رَنْقٍ ورزقُ الله قد ملأ المَلا
ساهمتَ عِيسَكَ مُرّ عيشِكَ قاعداً ... أفلا فَلَيْتَ بهنَّ ناصيةَ الفَلا
فارق تَرُقْ كالسيف سُلَّ فبان في ... مَتْنَيهِ ما أخفى القِرابُ وأخْمَلا
لا تحسبَنَّ ذهابَ نفسِكَ ميتةً ... ما الموتُ إلا أن تعيشَ مُذَلَّلا
لا ترضَ من دُنياكَ ما أدناك من ... دَنَسٍ وكن طيفاً جلا ثم انْجَلى
وصِلِ الهجيرَ بِهَجْرِ قوم كلما ... أمْطَرْتَهمْ شَهْداً جَنَوْا لك حَنظَلا
لِلَّهِ علمي بالزمانِ وأهلهِ ... ذنبُ الفضيلة عندهم أن تكمُلا

---

(١) محمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي، أبو عبد الله، شرف الدين ابن القيسراني: شاعر مجيد. له «ديوان شعر ـ خ» صغير. أصله من حلب، ومولده بعكة سنة ٤٧٨هـ، ووفاته في دمشق سنة ٥٤٨، تولى في دمشق إدارة الساعات التي على باب الجامع الأموي، ثم تولى في حلب خزانة الكتب. والقيسراني نسبة إلى «قيسارية» في ساحل سورية، نزل بها فنسب إليها، وانتقل عنها بعد استيلاء الافرنج على بلاد الساحل. ورفع ابن خلكان نسبه إلى خالد بن الوليد، ثم شك في صحة ذلك لأن أكثر علماء الأنساب والمؤرخين يرون أن خالداً انقطع نسله. وللدكتور محمود إبراهيم كتاب صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ـ ط».
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٤/٤٥٨ ـ ٤٦١، معجم الأدباء ١٩/ ٦٤ ـ ٨١ والروضتين ١: ٩١ وفيه أن ابن القيسراني وابن منير الطرابلسي كانا شاعري الشام في وقتهما. وشبههما العماد الكاتب، في «الخريدة» بالفرزدق وجرير، وكان موتهما في سنة واحدة. قلت: تشبيههما بالفرزدق وجرير ورد في خريدة القصر، قسم شعراء الشام، في ترجمة ابن منير ٧٦ ـ ٩٥ وفيه ٩٦ ـ ١٦٠ ترجمة مسهبة لابن القيسراني، اشتملت على مختارات كثيرة من شعره، وعرفه بالقيسراني العكاوي، ولم يذكر نسبته إلى بني مخزوم. ومرآة الزمان ٨: ٢١٣ والدارس ٢: ٣٨٨ والفهرس التمهيدي ٣٠١، الاعلام ط ٤/٧/١٢٥.

(٢) وفيات الأعيان ١/١٥٦.

طُبِعُوا على لؤم الطباع فخيرُهُم . إن قلْتَ قالَ وإن سكَتَّ تَقَوَّلا
أنا مَنْ إذا ما الدهر همَّ بخَفْضِهِ سامتهُ همتهُ السِّماكَ الأعزلا
واعٍ خطابَ الخطب وهو مُجَمجمٌ راعٍ لكلّ العيسَ من عدم الكلا
زَغْمٌ كمنبلج الصباحِ وراءَهُ عزم كحد السيف صادفَ مقتلا[1]

ومن شعره في محبوب له:

أَزْبى عليَّ بشَيءٍ مِنْ مَحاسِنهِ تَلَّفَقَّتْ بين مَشمُوعٍ ومَرْئيٍّ
جمال فارسٍ مع لين الشآم مع الظّرفِ العِراقيّ والنُّطْقِ الحِجازيِّ
وما المدامَةُ بالألباب أفْتكَ من فصاحَةِ ظَهرتْ من لفظ تُركيٍّ[2]

وله أيضاً:

أنكَرَتْ مقلتُه سفْكَ دمي وعَلى وَجْنَتِه فاعْتَرَفتْ
لا تَخالوا خالهُ في خدّه قطرةً من دم جفني نطَفَتْ
ذاك من نار فؤادي جَذْوَةٌ فيه ساخَتْ وانطفتْ ثم طَفَتْ[3]

وما أحسن قول الشطرنجي[4] في العذار:

لهيب الخدّ حين بدا لعيني هوى قلبي عليه كالفراشِ
فأحرقه فصار عليه خالاً وها أثر الدخان على الحواشي

ومن شعر ابن المنير المذكور:

لا تغالطني فما تخـ في علامات المريب

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٥٧، الوافي بالوفيات ٨/١٩٣ ـ ١٩٤، كاملة في ديوانه وفيه تخريجها ١٠٢ ـ ١٠٩.

(٢) الوفيات ١/١٥٧.

(٣) خريدة القصر/قسم الشام ١/٨٠، الوفيات ١/١٥٨ الوافي بالوفيات ٨/١٩٥، ديوانه ٤٨ ـ ٨٣.

(٤) عمر بن عبد العزيز الشطرنجي، أبو حفص: شاعر علية بنت المهدي. كان منقطعاً إليها. وكان غزلاً أديباً ظريفاً. شغف بالشطرنج فنسب إليه. وكان أبوه من موالي المنصور، واسمه أعجمي، فغيّره بعبد العزيز، توفي نحو سنة ٢٥٠هـ.

ترجمته في:

سمط اللآلي ٥١٧ والأغاني، طبعة بولاق ١٩: ٦٩ وانظر الفوات (تحقيق عباس) ٣: ١٣٥، الاعلام ط ٤/٥/٥٠.

أيـــن ذاك الـــبـــشـــرُ يـــا مَـــوْ لاي مـــن هـــذا الـــقُـــطـــوبِ؟[1]

وقال ابن خلكان: نقلت من خط الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري قال: حكى لي أبو المجد قاضي السويداء، قال: كان بالشام شاعران ابن مُنِيرٍ وابن القَيْسَراني، وكان ابن مُنير كثيراً ما ينكت على ابن القيسراني إنه ما صحب أحداً إلا نُكِبَ، فاتفق أن أتابك عماد الدين زَنْكي صاحب الشام غَنَّاه مُغَنٍّ على قلعة جعبر، وهو محاصرها، بقول الشاعر:

وَيلي على المُعْرِضِ الغضبانِ إذ نقلَ الـ ـواشـي إلـيـه كـلامـاً كـلـهُ زورُ
سلَّمْتُ فازْوَرَّ يثني قَوْسَ حاجبه كأنني كأسُ خمْرٍ وهْوَ مخمُورُ[2]

فاستحسنها وَبَكى، وقال: لمن هذه؟ فقيل: لابن منير، وهو بحلب، فكتب إلى والي حلب يُسيره إليه مسرعاً، فسيره، فليلة وصل ابنُ مُنيرٍ قتل أتابك زَنْكي، وأخذ أسد الدين شِيركُوه، صاحبُ حمص، نورَ الدين محمود بن زنكي وعسكَرَ الشام وعاد بهم إلى حلب، فلما وصل ابن منير إلى حلب صحبة العسكر، قال له ابن القيسراني: هذه بجميع ما كنتَ تبكتني به![3].

ومات ابن منير في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى.

قال ابن خلكان: وزرت قبره ورأيت عليه مكتوباً:

مَـنْ زارَ قـبـري فـلـيـكـنْ مُـوقِـنـاً أنَّ الـذي ألـقـاهُ يـلـقـاهْ
فـيـرْحـمُ الله امـرءاً زارَنـي وقـالَ لـي: يَـرْحَـمُـكَ الـلَّـهْ[4]

ثم قال: وجدت في ديوان أبي الحكم عبيد الله[5] أن ابن منير توفي بدمشق سنة سبع وأربعين، ورثاه بأبيات تدل على موته بدمشق، وهي هزليّة على عادته في ذلك، ومنها:

---

(١) الوفيات ١/١٥٨، الوافي ٨/١٩٥، كاملة في ديوانه ١١٤ ـ ١١٥.
(٢) ديوانه ٥٠/٨٩ ـ ٩٠.
(٣) الوفيات ١/١٥٨ ـ ١٥٩، الوافي ٨/١٩٥ ـ ١٩٦.
(٤) الوفيات ١/١٥٩، الوافي ٨/١٩٦ ـ ١٩٧، ديوانه ١٢١.
(٥) في الوافي ٧/١٩٦: «أبو الحكم عبد الله المغربي، صاحب نهج الوضاعة».

أتـوا بـه فـوق أعـوادٍ تُـشَـتـرهُ وغَـسّـلـوه بـشَـطّـيْ نـهـر قُـلُّـوطِ
وأسْـخَـنُـوا الـمـاء فـي قِـدْرٍ مُـرَصَّـعـةٍ وأشـعَـلـوا تـحـتـه عِـيـدان بَـلُّـوطِ[1]

وذكر أبو بكر بن حجّة[2] في شرح البديعية: أن أبا الحسين بن منير قدم إلى مدينة السلام بغداد، والشريف الرضي[3] يومئذ بها نقيب الطالبيين، والنقابة إذ ذاك تضاهي الخلافة في الشأن العظيم، فأهدى إلى الشريف هدية مع مملوكه تتر، وكان ابن منير قد اشتهر بمحبة هذا الغلام، فقبض الشريف الهدية وأمسك الغلام مَعها، فطاش عقل ابن منير، فكتب إليه هذه القصيدة، وهي من باب الهزل الذي يراد به الجدّ:

عـذَّبـتَ قـلـبـي يـا تَـتَـرْ وأذبْـتَ قـلـبـي بـالـفِـكَـرْ
ومـزجـتَ صـفـو مـودَّتـي مـن بَـعـد بُـعـدك بـالـكـدر
وجـفـوتَ صـبّـاً مـا لـه عـن حـسـن وجـهـك مـصـطـبـر
يـا قـلـب: ويـحـك كـم تـخـا ع بـالـغـرور!! وكـم تُـغـرّ؟!
ريـم يـفـوّق إن رمـا ك بـسـهـم نـاظـره الـنَّـظَـرْ
تـركـتـك أسـهـم رشـقـهـا مـن بـأسـهـن عـلـى خَـطَـرْ
ورمـت فـأصـمـت عـن قـسـي لا يُـنـاط بـهـا وَتَـرْ
جـرحـتـك جـرحـاً لا يـخـيّـ ـط بـالـعـقـود وبـالأبَـرْ
كـم ذا تـلـعـب بـالـعـقـول عـيـون أبـنـاء الـخـزر
فـكـأنَّـهـنَّ صـوالـج وكـأنَّـهـنَّ لـهـا أكـر
تـخـفـي الـهـوى وتـسـرّه وخـفـيّ وجـدك قـد ظـهـر

(١) الوفيات ١/١٦٠، الوافي ٨/١٩٦، كاملة في ديوانه ٢٧٩.

(٢) هو تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي، ولد بحماة سنة ٧٦٧هـ وتوفي سنة ٨٣٧ وقيل ٨٣٨هـ كان ناظماً ناثراً ونثره أجود من نظمه. وكان معجباً بنفسه تياها على الناس، لذلك هجاه الكثير من معاصريه بأقذع الهجاء. من آثاره: قهوة الانشاء وخزانة الأدب، وهو شرح بديعيته في مدح النبي ﷺ، وديوان شعره.

ترجمته في: الضوء اللامع ١١/٥٣، البدر الطالع ١/١٦٤، الكنى والألقاب ١/٢٥٦، شذرات الذهب ٧/٢١٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/١٣٥، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/١٣٥، أنوار الربيع ١/هـ ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٤٤، وفي هامش ج: «في غير هذا الكتاب أنه الشريف المرتضى».

أفهل لوجدك من مدى ... يفضي إليه فينتظر
نفسي الفداء لشادنٍ ... أنا من هواه على خَطَر
رشأ تغار له النوا ... ظر أن تثنّى أو خَطَر
قمر يزيّن ضوء صبـ ... ح جبينه ليل الشعر
عذل العذول وما رآ ... ه فحين عاينه عَذَر
تدمي اللواحظ خدّ ... ه فترى لها فيه أثَر
هو كالهلال ملثّماً ... والبدر حسناً إن سَفَر
ويلاه ما أحلاه في ... قلبي الشجيّ وما أمر
نومي المحرّم بعده ... وربيع لذّاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا ... والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا ... ف به ولبّى واعتمر
لئن الشَّريف الموسو ... يّ ابن الشريف أبي مضرْ
أبدى الجحود ولم يرِ ... دّ إليَّ مملوكي تَتَرْ
والبيتُ آل أُميَّة الطـ ... هر الميامين الغررْ
وجحدتُ بيعة «حيدر» ... ورجعت عنه إلى عمرْ
وإذا جرى ذكر الصحا ... بة بين جمع واشتهر
قلت: المقدَّم شيخ تيـ ... م ثمَّ صاحبه الأغر
ما سلَّ قطّ ظبا على ... آل النبيّ ولا شهرْ
كلّا ولا صدَّ البتو ... ل عن التراث ولا زجرْ
وأثابها الحسنى وما ... شقَّ الكتاب ولا بَقَر
وبكيت عثمان الشهيـ ... د بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته ... جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصـ ... حفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ ... ر بكل معنًّى مبتكر
وأزور قبرهما وأز ... جر من نهاني أو زَجَر
وأقول أم المؤمنـ ... ين عقوقها إحدى الكِبَرْ
ركبت على جمل لتصـ ... لح من بنيها في زمرْ
فأتى أبو حسن وسـ ... لّ حسامه وسطى وَكَرْ
وأذاق إخوته الردى ... وبعير أمّهم عقر

ما ضرّه لو كان كَـ … ـفَّ وعفَّ عنهم إذ قَدَرْ
وأقول إن إمامكم … ولّى بصفّين وَفَرْ
وأقول إن أخطأ معا … وية فما أخطا القدر
هذا ولم يغدر معا … ويةٌ ولا عَمرٌو مَكَرْ
بطل بسوءته يقا … تل لا بصارمه الذَكَرْ
وجنيت من رطب النوا … صب ما تنمر واختمر
وأقول ذنب الخارجيـ … ـن على عليّ يغتفر
لا ثائر لقتالهم … بالنهروان ولا أثر
والأشعريّ بما يؤو … ل إليه أمرهما شعر
قال انصبوا لي منبراً … فأنا البريء من الخطر
فعلا، وقال خلعت صا… حبكم وأوجز واختصر
وأقول: إنَّ يزيد ما … شرب الخمور ولا فجرْ
ولجيشه بالكفّ عن … أبناء فاطمة أمرْ
وحلقتُ في عشر المحرَّ … م ما استطال من الشعرْ
ونويتُ صوم نهاره … وصيام أيّام أُخرْ
ولبستُ فيه أجلّ ثو … ب للملابس يُدَّخرْ
وسهرتُ في طبخ الحبو … ب من العشاء إلى السّحرْ
وغدوتُ مكتحلاً أصا … فح من لقيت من البشرْ
ووقفتُ في وسط الطر … يق أقصُّ شارب من عبرْ
وغسلتُ رجلي في الحضر … ومسحتُ خفّي في السفرْ
آمين أجهر في الصَّلا … ة بها كمن قبلي جهرْ
وأسنّ تسنيم القبو … ر لكلّ قبر يُحتفرْ
وإذا جرى ذكر الغديـ … ـر أقول ما صحَّ الخَبَر
ولبست فيه من الملا … بس ما اضمحلَّ وما دثر
وسكنت جلّق واقتديـ … ـت بهم وإن كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم … بالفاشريَّا قد فَشَر[1]

(١) في هامش ج: «بالفارسية قد فسر».

بقر ترى برؤسهم[1] — طيش الظليم إذا نَفَر
وخفيفهم مستثقل — وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم — جُبلَت وقُدَّت من حَجَر
ما يدرك التشبيب من — صوت البلابل في السَحَر
وأقول في يوم تحا — ر له البصيرة والبصرْ
والصحف يُنشر طيّها — والنار تُرمى بالشَّررْ
هذا الشريف أضلّني — بعد الهداية والنظرْ
فيقال: خذ بيد الشريـ — ف فمستقرّك ما سقرْ
لوّاحةٌ تسطو فما — تبقي عليه وما تذرْ
والله يغفر للمسيـ — ء إذا تنصَّل واعتذرْ
فاخش الإلّه بسوء فعـ — لك واحتذر كلَّ الحذرْ
وإليكها بدوية — رقّت لرقّتها الحضر
شامية لو شامها — قسّ الفصاحة لافتخر
ودرى وأيقن أنني — بحر وألفاظي درر
وإلى الشريف بعثتها — لما قرآها وابتهر
ردّ الغلام وما استمـ — رّ على الجحود ولا أصرّ
وأثابني وجزيته — خيراً وقال لقد صبر[2]

وهي قصيدة بديعة في بابها، لأنه بناها على قسم، وجوابه مع طولها وانسجام أبياتها، وما تضمنته من الألايا التي هي مذهب الإمامية وهو ضد كلّ ما ذكروه، وتوعّد أنه لم يردّ عليه تتر، إلاّ إن ما ذكره ابن حجة وهو أنه كتبها إلى الشريف الرضي[3] فيه بُعد، بل لا يصح، فإن أئمة التأريخ ذكروا أن الرضي توفي سنة ست وأربعمائة، وأما ابن منير فإنه توفي كما ذكرنا أولاً سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ولو فرضنا أنه كتبها إلى الرضي قبل وفاته فإنه يقتضي أنه عاش بعده

(١) في هامش ج: «برئيسهم».

(٢) ثمرات الأوراق ٢١٣ ـ ٢١٦، خزانة الأدب لابن حجّة ١٤٦ ـ ١٤٨، مجالس المؤمنين ٤٥٧، أنوار الربيع ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٩، الكشكول للبحراني ٨٠، تزيين الأسواق ١٧٤، أمل الآمل الغدير/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧، أعيان الشيعة ١٠/١٥٣، ديوانه ١٦٠ ـ ١٧٠.

(٣) في خزانة الأدب: «الشريف الموسوي».

مائة سنة واثنتين وأربعين سنة، ولم يروَ ذلك من عمره، فليتأمل، ولعله كتبها إلى بعض نقباء الأشراف المعاصرين له(١).

وابن حجة جاهل بالتأريخ، نعم، هو أديب.

❀ ❀ ❀

والطرابلسي، بفتح الطاء المهملة والراء وضم الباء الموحّدة واللام، وآخرها سين مهملة: نسبة إلى طرابلس الشام، مدينة مشهورة بساحل الشام ترد إليها المراكب بأنواع المتاجر، وهي وبيّة، وبالمغرب مدينة أخرى، اسمها طرابلس، والله أعلم.

[١١]

أبو الطيّب، أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الشهير بالمتنبي، الشاعر المشهور(*).

وهو من جلالة القدر والشهرة بحال تغنيه عن قراضات التقريظ، وليس لشاعر شهرته عند الخاص والعام. وما أقول في رجل يتمثل العامي بشعره في الأسواق والضياع، ولا يجف عن كتب شوارد أمثاله ريق اليراع، وقد رأينا من لا يحفظ القرآن الكريم يتمثّل بأبياته ويحفظ شعره، وما ذاك إلاّ لجلالة شعره وخطره، ويشاركه في شهرة الشعراء الشريف الرضي، وكان إماماً في اللغة لا يُسأل عن شيء إلاّ أجاد الجواب، واستشهد بالشعر.

---

(١) أنظر: خزانة الأدب لابن حجة ١٤٧ ـ ١٤٨.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٢٠ ـ ١٢٥، يتيمة الدهر ١/ ١٧٤ ـ ٢٢٤، خزانة الأدب ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧، ابن الوردي ١/ ٢٩٠، ابن الشحنة: حوادث سنة ٣٥٤هـ، لسان الميزان ١/ ١٥٩، تاريخ بغداد ٤/ ١٠٢، المنتظم ٧/ ٢٤، دائرة المعارف الإسلامية١/ ٣٦٣ ـ ٣٧١، دار الكتب ٧/ ٢٠٠ / وحوله يدور «كتاب الصبح المنبي».

ومن المؤلفات الحديثة عنه: كتاب المتنبي للعلامة أحمد شاكر، مع المتنبي د. طه حسين، ذكرى أبي الطيّب د. عبد الوهاب عزام.

الموضحة للحاتمي، الوساطة للجرجاني، وللصاحب رسالة في ذمه، والايضاح لمشكل شعره ـ خ ـ، والمنصف لابن وكيع ـ خ ـ وعشرات من الكتب غيرها.

وله ديوان شعر طبع وشُرح عدة مرات. وقد اعتمدنا في تحقيقنا عل طبعة دار صادر ـ بيروت [دت].

وقيل: إن الشيخ أبا علي الفارسي[1] صاحب «الأيضاح» و«التكملة» سأله مرة: كم أتى من المجموع على وزن فعلى فقال: حِجلىٰ وظِرْبَى، [وحِجْلى: جمع حجل: وهو الطائر الذي يسمى القَبَج، والظِّرْبىٰ: جمع ظَرِبان ـ على مثال قَطِران، وهي دُوَيبة منتنة الرائحة][2].

قال أبو علي: طالعت كتب اللغة ثلاث ليال لعلّي أجد لهما ثالثاً فلم أجد[3].

وكان شجاعاً يقاتل بنفسه.

وولد أبو الطيّب بالكوفة بباب كندة، فنسب إلى موضع ولادته، وإلاّ فهو من بني جُعف.

وقيل: إنه ادّعى النبوّة ببادية السماوة وتبعه جماعة من بني كلب بزوبره فخرج إليه لؤلؤ نائب الإخشيدية بمصر فأسره وتفرّق جماعته وحبسه طويلاً ثم استتابه[4].

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس) سنة ٢٨٨هـ ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ، وتجوّل في كثير من البلدان. وقدم حلب سنة ٣٤١هـ، فأقام مدة عند سيف الدولة. وعاد إلى فارس، فصحب عضد الدولة ابن بويه، وتقدم عنده، فعلمه النحو، وصنف له كتاب «الإيضاح ـ خ» في قواعد العربية. ثم رحل إلى بغداد فأقام إلى أن توفي بها سنة ٣٧٧هـ. كان متهماً بالاعتزال. وله شعر قليل. من كتبه «التذكرة» في علوم العربية، عشرون مجلداً، و «تعاليق سيبويه» جزآن وغيرهما.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٢/ ٨٠ ـ ٨٢ ونزهة الألبا ٣٨٧ وتاريخ بغداد ٧: ٢٧٥ وإنباه الرواة ١: ٢٧٣ والإمتاع والمؤانسة ١: ١٣١ والفهرس التمهيدي ٤ وفهرست ابن خليفة ٣١٨ وسير النبلاء ـ خ ـ الطبقة الحادية والعشرون، وفيه: «كان الملك عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي في النحو» و «من تلامذته ابن جني» والروض المعطار ـ خ ـ وعرفه بالفسوي، بتشديد السين، نسبة إلى «فسا» بالتشديد، ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٤: ٢٧١ وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، في كتابه «أبو علي الفارسي، حياته وآثاره ـ ط» ٤٧٦، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥١٤، الاعلام ط ٤/ ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) في الأصل: «وهما جمع حجل، وضربان، طائر معروف ودويبة» ولما كان النصّ مضطرباً فقد أثبتنا ما في الوفيات ١/ ١٢١ ووضعناه بين معقوفين.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) الوفيات ١/ ١٢٢.

وقيل إنما لقب بالمتنبي لقوله:

أنا في أمة تداركها الله غريبٌ، كصالح في ثمودِ
ما مقامي بأرض نخلة إلاّ كمقام المسيح بين اليهودِ

وقال ابن خالويه[1]: إنك تلقب نفسك بالمتنبي وهو لقب ذمّ، فقال: إني لا أحب ذلك، ولكن الناس يدعوني به.

وكان كبير النفس، عالي الهمّة، واختص بخدمة الأمير سيف الدولة[2] وجرى على مذهبه في التشيّع، وكان آخر أمره غاضبه وفرّ إلى كافور الإخشيدي[3] ملك مصر ومدحه بقصائد مشهورة وهي بعد السيفيات، من أجود

---

(١) الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله: لغوي، من كبار النحاة، أصله من همذان، زار اليمن وأقام بذمار، مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب سنة ٣٧٠هـ. من كتبه «شرح مقصورة ابن دريد ـ خ» و «مختصر في شواذ القرآن ـ ط» و «إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز ـ ط» و «ليس في كلام العرب ـ ط» و «الشجر ـ ط» ويقال أنه لأبي زيد، و «الآل» و «الاشتقاق» و «الجمل» في النحو، و «المقصور والممدود» و «البديع ـ خ» في شستربتي (٣٠٥١).

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١٧٨/٢ ـ ١٧٩ وبغية الوعاة ٢٣١ والمكتبة الأزهرية ١: ١١٢ وغاية النهاية ١: ٢٣٧ وآداب اللغة ٢: ٣٠١ ولسان الميزان ٢: ٢٦٧ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ١٤٨ وإنباه الرواة ١: ٣٢٤ وهو فيه «الحسين بن محمد» ويتيمة الدهر ١: ٧٦ وهو فيه «الحسن بن خالويه»، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٢٣١.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١١٤.

(٣) كافور بن عبد الله الإخشيدي، أبو المسك: الأمير المشهور، صاحب المتنبي. ولد سنة ٢١٢ وكان عبداً حبشياً اشتراه الإخشيدي ملك مصر (سنة ٣١٢هـ) فنسب إليه، وأعتقه فترقى عنده. وما زالت همته تصعد به حتى ملك مصر (سنة ٣٥٥) وكان فطناً ذكياً حسن السياسة. أخباره كثيرة، توسع صاحب النجوم الزاهرة في بيانها وقال: إن مدة إمارته على مصر اثنتان وعشرون سنة، قام في أكثرها بتدبير المملكة في ولاية أبي القاسم ثم أبي الحسين ابني الإخشيد، وتولاها مستقلاً سنتين، وأربعة أشهر، وكان يدعى له على المنابر بمكة ومصر والشام إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٣٥٧هـ. وقيل: حمل تابوته إلى القدس فدفن فيها.

ترجمته في:

دول الإسلام ١: ١٧٣ والولاة والقضاة ٢٩٧ ووفيات الأعيان ٩٩/٤ ـ ١٠٥ وابن خلدون ٤: ٣١٤ والنجوم الزاهرة ٤: ١ ـ ١٠ وغربال الزمان ـ خ. والمغرب في حلى المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ١٩٩، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢١٦.

شعره ووعده كافور بولاية بعض أعماله، فلما رأى كِبرَ نفسه وما يصفها به في شعره كقوله في القصيدة التي هنأه بها:

وفــؤادي مـــن الـــمـــلـــوك وإن كـــا ن لـــســـانـــي يُـــرى مـــن الـــشـــعـــراءِ

وأمثاله.

رجع عن توليته، فعوتب في ذلك، فقال: يا قوم رجل يدّعي النبوّة مع محمدﷺ كيف لا يدّعي الملك ما كافور، فحسبكم[(١)].

وذكر أبو الفتح ابن جنيّ النحوي[(٢)]: أنه لما أنشد سيف الدولة:

يا أيها المحسن المشكور من قبلي والشكر من قبل الأحسان لا قبلي

أَقِلْ، أنِلْ، إقْطَع، اجمل علي سل اعد زد هش بشّ تفضّل ادن سهلِ

وَقَّعَ سيف الدولة تحت أقِلْ: «أقلناك» وتحت: أنِلْ: «أنلناك»، يحمل إليه من الدراهم كذا، وتحت: إقطع: «أقطعناك الضيعة الفلانية»، ضيعة بباب حلب، وتحت: «إجمل، يقاد إليه الفرس الفلاني. . . كذا إلى آخر البيت.

قال أبو الفتح: فبلغني أن المتنبي لما كتب إلى سيف الدولة تحت: سِرْ «قد سررناك» قال: إنما أردت من سر السرية، فأمر له بجارية.

قال: وحكى العقيلي وهو شيخ كان بحضرة سيف الدولة ظريف قال: وحسد المتنبي على كثرة ما أمر له به، قال: قد فعلت به كل شيء يَسألك، فهلّا قلت له لما قال: هش بش. هه هه هه، حكاية عن الضحك، فتبسّم سيف الدولة وقال له: ولك أيضاً كما تحب، وأمر له بصلة.

---

(١) الوفيات ١/ ١٢٢.

(٢) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ، عن نحو ٦٥ عاماً. وكان أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في «من نسب إلى أمه من الشعراء - خ» و «شرح ديوان المتنبي - ط»، وغير ذلك وهو كثير. وكان المتنبي يقول: ابن جني أعرف بشعري مني.
ترجمته في: معجم الأدباء ١٢/ ١٨١ - ١١٥ وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦ - ٢٤٨، وآداب اللغة ٢: ٣٠٢ وBrock. S.I: 191 وشذرات ٣: ١٤٠ ومفتاح السعادة ١: ١١٤ والفهرس التمهيدي ٢٩٨ ونزهة الألبا ٤٠٦ ويتيمة الدهر ١: ٧٧ ومجلة المجمع العلمي العربي ٣٢: ٣٣٨ - ٦٥٨. الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٠٤.

وحكى القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني[1] في كتاب «الوساطة»: إن أبا الطيّب نسج على منوال ديك الجن حيث قال:

أَخَلَّ وأمرز وضرَّ وأنفعَ ولِنْ ... واخشن ورش وابر وانتدب بالمعالي

وأخبرني القاضي العلامة أبو محمد أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[2] ـ عن والدي رحمه الله تعالى: إن أبا الطيب كان يتحقق قول أمير المؤمنين عليه السلام تحققاً شديداً، وإن له فيه عدّة قصائد سمّاها «العلويات»، وإنّما حذفت من أكثر نسخ ديوانه لشدّة العصبيات في المذاهب، فلذا ذكرته، ويقوّي ذلك أنه كوفي، والكوفة إحدى معادن الشيعة، وفي شعره إشارات إلى ذلك، فمن ذلك ما قاله في قصيدة كتبها إلى سيف الدولة[3] وهو بفارس في حضرة عضد الدولة[4] ويجيبه عن كتاب:

مبارك الاسم أغرّ اللقب ... كريم الجرشى شريف النسب

والجرشى: النفس، وإنما كانت بركة اسمه لموافقة اسم علي عليه السلام.

وكان الحكيم الفاضل محمد بن صالح الجيلاني[5] نزيل اليمن إذا رأى من رجل اسمه عليّ فضيلة أو خيراً قال: هذا من بركة اسمه.

ورأيت في بعض أخباره إن آخر شعر قاله، وقد عوتب في تركه مديح أهل البيت سيّما أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

---

(١) هو أبو الحسن القاضي علي بن عبد العزيز بن الحسن الجراجاني، كان فقيهاً أديباً شاعراً، ومن المقربين إلى الصاحب بن عباد. رحل في صباه إلى عدة أقطار، ولقي العلماء فاستفاد كثيراً. تولى قضاء جرجان، ثم قضاء القضاة في الري، توفي سنة ٣٩٢ وقيل غير ذلك. من آثاره: الوساطة بين المتنبي وخصومه، وتهذيب التاريخ، وديوان شعره.
ترجمته في: يتيمة الدهر ٤/٣ ـ ٢٦، الكنى والألقاب ٢/٣١، هدية العارفين ١/٦٨٤، وفيات الأعيان ٣/٢٧٨ ـ ٢٨١، شذرات الذهب ٣/٥٦، طبقات الشافعية ٣/٤٥٩، النجوم الزاهرة ٤/٢٠٥، معجم الأدباء ١٤/١٤، أنوار الربيع ٤/هـ ١٨٦.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٤١.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٣٠.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٥٧.

وتركت مدحي للوصي تعمّداً ... إذ كان فضلاً مستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه ... وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وروي أنه كان بين عسكر سيف الدولة وعسكر مصر حرب بصفين فقال:

يا سيف دولة ذي الجلال ... خير البرية[1] والأنام سمّي
انظر إلى صفين حين أتيتها ... فانجاب عنها العسكر الغربيّ
فكأنه جيش ابن هند رعته ... حتى كأنك يا علي علي

ولا بد أن نشير إلى شيء من خبره وشعره ليطالعه من يتشوّق إليه.

ذكر الإمام أبو الفتح ابن جني النحوي الأديب[2]: إن أبا الطيب لما أنشد سيف الدولة قصيدته الميمية المشهورة وأولها:

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... وَمَنْ بِجِسْمِي وَحالي عِندَهُ سَقَمُ[3]
ما لي أُكَتِّمُ حُبّاً قَدْ بَرَى جَسَدي ... وَتَدّعي حُبّ سَيفِ الدّوْلةِ الأمَمُ[4]
إنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِغُرّتِهِ ... فَلَيْتَ أنّا بِقَدْرِ الحُبّ نَقْتَسِمُ[5]
يَا مَنْ يَعِزّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكُمْ عَدَمُ
إذا تَرَحّلْتَ عن قَوْمٍ وَقَد قَدَرُوا ... أنْ لا تُفارِقَهُمْ فالرّاحِلونَ هُمُ[6]

فعرض فيها بعتبه، وتغيّر عليه سيف الدولة، فأكمن له جماعة من غلمانه وفيهم من غلمان أبي العشائر بن حمدان ليقتلوه ليلاً، فلم يتفق.

وقيل: إن الحسين بن أحمد الهمداني المعروف بابن خالويه النحوي المشهور وقع بينه وبين أبي الطيب كلام بحضرة سيف الدولة في المجلس الذي كان سيف الدولة يعقده لكل ليلة جمعة، ويحضر فيه العلماء والفضلاء في كل فن والأدباء، فوثب ابن خالويه فضرب وجه المتنبي بمفتاح كان في يده فشجّه وخرج

---

(١) هامش الأصل: «الخلائف».
(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٣) واحر قلباه: الألف للندبة، والهاء للسكت. الشبم: البارد.
(٤) يقول: ما لي أخفي حبه الذي أنحل جسدي والناس يدعون حبه وهم خلاف ما يظهرون.
(٥) غرته: طلعته، وأن وصلتها سدت مسد معمولي ليت.
(٦) كاملة في ديوانه ٣٣١ ـ ٣٣٤.

دمه يسيل على ثيابه، فقصد مصر وجرى له ما جرى[1].

وشعره كله غرر، لكني طربت لوصفه للأسد من قصيدته التي مدح بها بدر ابن عمّار بن إسماعيل الأسدي صاحب طرابلس، وقد قتل أسداً، فذكرتها هنا على عادتي في إيراد شيء من شعر الشاعر الذي أذكره وهي:

فِي الخَدِّ انْ عَزَمَ الخَلِيطُ رَحِيلا ... مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الخُدودُ مُحُولا[2]

يا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقادَ وغادَرَتْ ... في حَدِّ قَلْبِي ما حَيِيتُ فُلُولا[3]

كَانَتْ مِنَ الكَحْلاءِ سُؤْلِي إنّما ... أجَلِي تَمَثَّلَ في فُؤادِي سُولا[4]

أجِدُ الجَفَاءَ على سِواكِ مُرُوءَةً ... والصَّبرَ إلاّ في نَواكِ جَمِيلا

وأرَى تَدَلُّلَكِ الكَثِيرَ مُحَبَّباً ... وأرَى قَلِيلَ تَدَلُّلٍ مَمْلُولا

تشكو روادفك المطيّة فوقها ... شكوى التي وجدت هواك دخيلا

ويغيرني جذب الزمان لقلبها ... فمها إليك كطالب تقبيلا

حَدَقُ الحِسانِ من الغواني هِجنَ لي ... يَوْمَ الفِراقِ صَبابَةً وعَوِيلا[5]

حَدَقٌ يُذِمّ مِنَ القَواتِلِ غَيرَها ... بَدْرُ بنُ عَمّارِ بنِ إسْماعِيلا[6]

الفَارِجُ الكُرَبَ العِظامَ بمِثْلِها ... والتّارِكُ المَلِكَ العزيزَ ذَلِيلا[7]

مَحِلٌ إذا مَطَلَ الغَرِيمُ بدَيْنِهِ ... جَعَلَ الحُسامَ بمَا أرَادَ كَفِيلا[8]

نَطِقٌ إذا حَطّ الكَلامُ لِثامَهُ ... أعْطَى بمَنْطِقِهِ القُلُوبَ عُقُولا[9]

أعْدَى الزّمانَ سَخاؤهُ فَسَخا بهِ ... ولَقَدْ يكونُ بهِ الزّمانُ بَخِيلا

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) الخد: خبر مقدم عن مطر. الخليط: العشيرة. المحول: الجدب، والمراد بمحل الخدود ذهاب نضرتها من الحزن على فراق الأحبة.

(٣) الفلول: من فل السيف إذا كسر حرفه، أي أن هذه النظرة للحبيبة تركت قلبه كالسيف المكسر لا يقوى على مقاومة النوائب.

(٤) الكحلاء: السوداء الجفون. السؤال: ما يتمناه الإنسان ويسأله. الأجل: منتهى الحياة.

(٥) الصبابة: رقة الشوق.

(٦) يذم: يجير أن ينقذ، وغيرها منصوب على الاستثناء، وبدر فاعل يذم، أي أنه ينقذ من كل ما يقتل ما عدا أحداق الحسان.

(٧) الكرب جمع كربة: حزن يأخذ بالنفس.

(٨) المطل: التسويف بوعد الوفاء مرة بعد أخرى.

(٩) النطق: اللسان البليغ.

وكـأنّ بَـرْقـاً فـي مُـتُـونِ غَـمـامـةٍ ... هِـنـدِيَّـهُ فـي كَـفِّـهِ مـصـقـولا
ومَـحَـلُّ قـائِـمِـهِ يَـسِـيـلُ مَـواهِـبـاً ... لَـوْ كُـنّ سَـيْـلاً مـا وَجَـدْنَ مَـسِـيـلا[1]
رَقّـتْ مَـضـارِبُـهُ فَـهُـنّ كـأنّـمَـا ... يُـبْـدينَ مِنْ عِشقِ الـرّقـابِ نُـحُـولا[2]
أمُـعَـفِّـرَ الـلّـيْـثِ الـهِـزَبْـرِ بـسَـوْطِـهِ ... لـمَـنِ ادّخَـرْتَ الـصّـارِمَ الـمَـصْـقُـولا[3]
وَقَـعَـتْ عـلـى الأُرْدُنّ مِـنْـهُ بَـلِـيّـةٌ ... نُـضِـدَتْ بـهـا هـامُ الـرّفـاقِ تُـلُـولا[4]
وَرْدٌ إذا وَرَدَ الـبُـحَـيْـرَةَ شـارِبـاً ... وَرَدَ الـفُـراتَ زَئِـيـرُهُ والـنّـيـلا[5]
مُـتَـخَـضّـبٌ بـدَمِ الـفَـوارِسِ لابِـسٌ ... فـي غِـيـلِـهِ مِـنْ لِـبْـدَتَـيْـهِ غِـيـلا[6]
مـا قُـوبِـلَـتْ عَـيْـنـاهُ إلاّ ظُـنّـتَـا ... تَـحْـتَ الـدُّجَـى نـارَ الـفَـريـقِ حُـلُـولا[7]
فـي وَحْـدَةِ الـرُّهْـبـانِ إلاّ أنّـهُ ... لا يَـعْـرِفُ الـتّـحْـرِيـمَ والـتّـحْـلـيـلا
يَـطَـأُ الـثّـرَى مُـتَـرَفّـقـاً مِـنْ تِـيـهِـهِ ... فـكـأنّـهُ آسٍ يَـجُـسّ عَـلِـيـلا[8]
ويَـرُدّ عُـفْـرَتَـه إلـى يَـأفُـوخِـهِ ... حـتـى تَـصِـيـرَ لـرَأسِـهِ إكْـلِـيـلا[9]
وتَـظُـنّـهُ مِـمّـا يُـزَمْـجِـرُ نَـفْـسُـهُ ... عَـنْـهـا لِـشِـدّةِ غَـيْـظِـهِ مَـشْـغُـولا
قَـصَـرَتْ مَـخَـافَـتُـهُ الـخُـطـى فـكـأنّـمـا ... رَكِـبَ الـكَـمـيُّ جَـوادَهُ مَـشْـكُـولا[10]
ألْـقَـى فَـرِيـسَـتَـهُ وبَـرْبَـرَ دونَـهـا ... وقَـرُبْـتَ قُـرْبـاً خـالَـهُ تَـطْـفِـيـلا[11]
فـتَـشـابَـهَ الـخُـلُـقـانِ فـي إقْـدامِـهِ ... وتَـخـالَـفَـا فـي بَـذْلِـكَ الـمـأكُـولا[12]

---

(١) قائم السيف: مقبضه. والمراد بمحلة راحة الممدوح، والضمير في كن يعود إلى المواهب.
(٢) المضارب جمع مضرب: حد السيف.
(٣) عفره: مرغه على التراب. الهزبر: الضخم الشديد. أدخرت: خبأت. يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط فلمن خبأت سيفك المصقول.
(٤) نضدت: جمعت فوق بعضها.
(٥) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة. البحيرة: بحيرة طبرية. الزئير: صوت الأسد.
(٦) الغيل: الغابة. اللبدة: الشعر المجتمع على كتف الأسد، أي أن هذا الشعر كأنه غابة أخرى له.
(٧) الفريق: الجماعة. حلولاً جمع حال: وهو النازل بالمكان ونصبه على الحال من الفريق.
(٨) التيه: الكبرياء.
(٩) العفرة: شعر القفا. اليأفوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس.
(١٠) الكمي: لابس السلاح. المشكول: المقيد بالشكال. أي أن خوف هذا الأسد تمكن من القلوب حتى إن الخيل صارت تمشي كأنها مقيدة.
(١١) يريد بفريسته البقرة التي هاجه عنها. بربر: زمجر. التطفيل: الدخول على الآكلين من غير دعوة. أي أنه لما رآك مقبلاً إليه ألقى فريسته وبربر لأنه ظنك تتطفل عليه.
(١٢) يقول: تشابهتما في الإقدام وتخالفتما في البذل لأنه حريص وأنت كريم.

أَسَدٌ يَرَى عُضْوَيهِ فيكَ كِلَيْهِمَا ... مَتْناً أَزَلَّ وساعداً مَفْتُولا[1]

في سرْجِ ظامِئَةِ الفُصوصِ طِمِرَّةٍ ... يأبَى تَفَرُّدُها لهَا التّمْثيلا[2]

نَيّالَةِ الطَّلِبَاتِ لَوْلا أنَّهَا ... تُعْطي مَكانَ لِجامِها مَا نِيلا[3]

تَنْدَى سَوالِفُها إذا استَحضَرْتَها ... ويُظَنّ عَقْدُ عِنانِها مَحْلُولا[4]

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ ... حتى حَسِبْتَ العَرْضَ منه الطّولا[5]

ويَدُقّ بالصّدْرِ الحِجارَ كأنّه ... يَبْغي إلى ما في الحَضِيضِ سَبيلا[6]

وكأنّهُ غَرّتْهُ عَيْنٌ فادّنَى ... لا يُبْصِرُ الخَطْبَ الجَلِيلَ جَليلا[7]

أنَفُ الكَريمِ مِنَ الدّنيئَةِ تارِكٌ ... في عَينِهِ العَدَدَ الكَثيرَ قَليلا

والعارُ مَضّاضٌ ولَيسَ بخائِفٍ ... مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خافَ ممّا قِيلا[8]

سَبَقَ التِقاءَكَهُ بوَثْبَةِ هاجِمٍ ... لَوْ لم تُصادِمْهُ لِجازَكَ مِيلا[9]

خَذَلَتْهُ قُوّتُهُ وقَدْ كافَحْتَهُ ... فاستَنْصَرَ التّسْليمَ والتّجْديلا[10]

قَبَضَتْ مَنيّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ ... فَكَأنّمَا صادَفْتَهُ مَغْلُولا

سَمِعَ ابنُ عَمّتِهِ بهِ وبحالِهِ ... فنَجا يُهَرْوِلُ أمسِ منكَ مَهُولا[11]

وأمَرُّ مِمّا فَرّ مِنْهُ فِرارُهُ ... وكَقَتْلِهِ أنْ لا يَكونَ قَتيلا[12]

تَلَفُ الذي اتّخَذَ الجَراءَةَ خُلّةً ... وعَظَ الذي اتّخَذَ الفِرارَ خَليلا[13]

---

(١) يريد بالعضوين ما ذكره فيما بعد وهما المتن والساعد أي أنك تشبهه فيهما.

(٢) ظامئة الفصوص: دقيقة المفاصل. الطمرة: الوثابة، يصف فرسه بذلك.

(٣) نيالة من النيل: إصابة المطلوب، وما نيل نفي جواب لولا أي أنها لو لم تحط رأسها للجام لم ينله فارسها لارتفاعه.

(٤) استحضرتها: ركضتها. العنان: سير اللجام. أي أنها تنثني سريعاً.

(٥) الزور: وسط الصدر حيث تلتقي العظام.

(٦) الحضيض: القرار في الأرض عند أسفل الجبل.

(٧) أدنى: اقترب.

(٨) مضاض: مؤلم.

(٩) أي سبقك بالتقاء ولو لم تصادمه لفاتك ميلاً من شدة الوثبة.

(١٠) استنصر: طلب النصرة. التجديل: الطرح على الأرض.

(١١) يهرول: يسرع في مشيه. مهولاً: مذعوراً.

(١٢) وكقتله خبر مقدم عن المصدر المؤول بعده أي أن فراره من الهلاك أمرّ من الهلاك لما فيه من الذل، وعدم موته قتيلاً مثل قتله لأنه سلم من الهرب.

(١٣) تلف: مبتدأ خبره جملة وعظ. الخلة: الخليلة، الصاحبة، أي أن هلاك هذا كان موعظة لذاك.

لَوْ كانَ عِلْمُكَ بالإلَهِ مُقَسَّماً | فِي النّاسِ ما بَعَثَ الإلَهُ رَسُولا
لَوْ كانَ لَفْظُكَ فيهِم ما أنزلَ الـ | ـفُرْقانَ والتّوْراةَ والإنْجيلا
لَوْ كانَ ما تُعطيهِم من قبلِ أنْ | تُعْطِيهِم لَمْ يَعرِفُوا التّأمِيلا
فلَقَدْ عُرِفْتَ وما عُرِفتَ حَقيقَةً | ولقد جُهِلْتَ وما جُهِلْتَ خُمُولا[1]
نَطَقَتْ بِسُؤدُدِكَ الحَمامُ تَغَنِّياً | وبما تُجَشِّمُها الجِيادُ صَهيلا[2]

ولعمري لقد أجاد في وصف الريبال، وجاء بما لا يجول في خلد ولا يحضر في بال، وليس في القصيدة لوّ ولوْلا، فتنقصها إلاّ الغلوّ في آخرها في حق بشر مهين، فالله يعفو عنه.

وكان أبو زبيد الطائي[3] الشاعر أحد الوصّافين للأسد لقصّة طرأت له معه حتى لامه قومه قائلين نخشى عليك أن تعيّرنا العرب بذلك.

ومن ظريف خبره: أن عمر بن الخطاب سأله يوماً عن قصّته معه فأقبل يحدّثه بها ويهوّلها حتى ضرط بعض الحاضرين، فالتفت إليه أبو زبيد وقال: كيف لو رأيته يا بن أخي.

---

(١) يقول: إن الناس عرفوك بما ظهر من كرمك ولكنهم لم يعرفوا حقيقة ما أنت عليه لقصورهم عن إدراك ذلك لا لكونك خامل الذكر.

(٢) ديوانه ١٤٤ ـ ١٤٨.

(٣) المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، أبو زبيد: شاعر نديم معمّر، من نصارى طيّء. عاش زمناً في الجاهلية، وكان يزور الملوك ولا سيما ملوك العجم لعلمه بسيرهم. وأدرك الإسلام ولم يسلم. وكان يدخل مكة متنكراً. واستعمله «عمر» على صدقات قومه. قال البغدادي: ولم يستعمل نصرانياً غيره. وكانت إقامته على الأكثر عند أخواله بني تغلب بالجزيرة الفراتية. وانقطع إلى منادمة «الوليد بن عقبة» أيام ولايته الكوفة، في عهد عثمان. وكان يفد على عثمان فيقرّبه ويدني مجلسه، لاطلاعه عل أخبار من أدركهم من ملوك العرب والعجم. ومات بالكوفة أو في باديتها بنحو سنة ٦٢هـ، في زمن معاوية. وقيل: دفن على البليخ إلى جانب قبر الوليد بن عقبة. والبليخ نهر بالرقة. جمع ما بقي من شعره في «ديوان ـ ط» ببغداد.

ترجمته في:

خزانة الأدب للبغدادي ٢: ١٥٥، وكتاب المعمرين ٨٦، والشعر والشعراء ١٠١ (٢٦٠ في الطبعة الأخيرة) وهو في هذه المصادر: «المنذر بن حرملة» وسماه ياقوت في معجم الأدباء ٤: ١٠٧ ـ ١١٥ «حرملة بن المنذر»؟ ومثله في طبقات ابن سلام ١٣٢ وتهذيب ابن عساكر ٤: ١٠٨، الاعلام ط ٤/ ٧/ ٢٩٣.

وأجاد مجير الدين بن تميم[1] في تضمينه قول أبي الطيّب:

(جَـمـعـت فـمـهـا إلـيـك كـطـالـب تـقـبـيـلا)

بقوله لبعض الرؤساء أهديت له باكورة ورد:

سـبـقـت إلـيـك مـن الـحـدائـق وردة وأتـتـك قـبـل أوانـهـا تـطـفـيـلا
طـمـعـت بـلـثـمـك إذ رأتـك فـجـمّـعـت فـمـهـا إلـيـك كـطـالـب تـقـبـيـلا

قال بعض الأدباء: وأحسن الانتقاد، طمعت بلثم يديك حتى جمعت فمها إليك.

قلت: وهذه المبالغة في قول أبي الطيّب لا تعجبني، لأن تقبيل الناقة الحبيب الرشيق مع غلظ مشافرها مما يفزعه ويخاف العض.

ولما ورد أبو الطيّب إلى مصر وبها كافور الأخشيدي مدحه بقصيدته اليائية المشهورة التي قيل إنّها أفضل ما مدح به أسود، وبغيرها، كما تضمنه ديوانه، ومدح فاتكاً الرومي[2] وكان فاتك مقطعاً بإقليم الفيّوم من عمل مصر، وهي أرض وبيّة ولم يصح له فيها جسم، وكان يكره دخول مصر لئلا يرى كافوراً سلطاناً بها، وهو أشرف منه أصلاً لأنّه رومي وشجاعته مشهورة، وبسبب إفراطها عرف

---

(١) هو مجير الدين محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم. أصله من دمشق وانتقل إلى حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور جندياً. كان من الشعراء المبدعين في وصف مظاهر الطبيعة، ومن أرق شعراء عصره في وصف الورد والجداول والدواليب. له أشعار كثيرة في الوصف مبثوثة في الجزئين (٧ و٨) من كتاب عصور سلاطين المماليك. توفي سنة ٦٨٤هـ.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/٣٦٧، وشذرات الذهب ٥/٣٨٩، أنوار الربيع ١/هـ ٢٧٠.

(٢) فاتك الرومي، الملقب بالمجنون لشجاعته، ويقال له فاتك الكبير: ممدوح المتنبي. أخذ من بلاد الروم صغيراً، وتعلم الخط في فلسطين. وكان في خدمة الأخشيد فأعتقه وأقطعه «الفيوم» وأعمالها، فأقام بها. وتعرّف بالمتنبي الشاعر، فأرسل إليه هدية قيمتها ألف دينار وأتبعها بهدايا أخرى، فاتصلت المودة بينهما، ومدحه المتنبي بقصيدته التي مطلعها:

«لا خـيـل عـنـدك تـهـديـهـا ولا مـال»

ثم لما مات فاتك سنة ٣٥٠هـ ورثاه المتنبي بقصيدة أولها:

«الـحـزن يـقـلـق والـتـجـمـل يـردع»

وهي من المراثي الفائقة. وله في رثائه قصيدة أخرى يقول فيها، وهو بعيد عن مصر:

«لا فـاتـك آخـرٌ فـي مـصـر نـقـصـده ولا لـه خـلـف فـي الـنـاس كـلـهـم»

توفي بمصر. ترجمته في:
وفيات الأعيان ٤/٢١ ـ ٢٣، الاعلام ط ٤/٥/١٢٦.

بالمجنون، فألجأته الضرورة إلى دخولها للتداوي، فدخلها وكان المتنبي يسمع بكرمه ويحب أن يمتدحه ويخاف كافوراً لما يعلم من حسده لفاتك وعدواته له، فلقيه فاتك مصادفة فمال إلى المتنبي ولاطفه، ولما عاد إلى داره بعث إليه بألف دينار وفرساً هدية، فاستأذن كافوراً في مدحه، فأذِن له فمدحه بالقصيدة اللامية المشهورة وذكرت في مطلعها العجز عن المكافأة بالهدية إلاّ من لؤلؤ الفكرة وهو:

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ   فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ

واتفقت وفاة فاتك في عشيّة ليلة الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة، فرثاه بقصيدة أجاد فيها على عادته، ومن أوائلها:

الحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَجَمّلُ يَرْدَعُ   وَالدّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيّعُ[1]

إنّي لأجبنُ عَن فِراقِ أحِبّتي   وَتُحِسّ نَفسِي بالحِمامِ فأشجعُ[2]

وَيَزِيدُني غَضَبُ الأعادي قَسْوَةً   وَيُلِمّ بي عَتْبُ الصّديقِ فأجْزَعُ

تَصْفُو الحَياةُ لجَاهِلٍ أوْ غافِلٍ   عَمّا مَضَى منها وَمَا يُتَوَقّعُ

وَلمَنْ يُغالِطُ في الحَقائِقِ نفسَهُ   وَيسومُها طَلَبَ المُحالِ فتطمَعُ

أينَ الذي الهَرَمانِ مِنْ بُنْيَانِهِ،   ما قَوْمُهُ، ما يَوْمُهُ، ما المصرَعُ؟

تَتَخَلّفُ الآثارُ عَنْ أربابِها   حِيناً وَيُدرِكُها الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ

ومنها:

كُنّا نَظُنّ دِيارَهُ مَمْلُوءَةً   ذَهَباً فَمَاتَ وَكلُّ دارٍ بَلقَعُ

وَإذا الصَّوَارِمُ والمَكارِمُ وَالقَنَا   وَبَنَاتُ أعوَجَ كلُّ شيءٍ يجمَعُ[3]

أيَمُوتُ مِثْلُ أبي شجَاعٍ فاتِكٍ   وَيَعِيشَ حاسِدُه الخصِيُّ الأوكَعُ[4]

وهي طويلة مشهورة، ومثل قوله: «تتخلف الآثار عن أربابها» قول الوزير

---

(١) التجمل: التصبر. يقول: الحزن يقلق صاحبه والتصبر يردعه عن الحزن والدمع بين هاتين الحالتين يعصي صاحبه عند التصبر فيحتبس ويطيعه عند الحزن فينسكب.

(٢) يعني أن الفراق عنده أعظم من الموت.

(٣) بنات أعوج: خيل تنسب إلى أعوج وهو فحل مشهور من خيل العرب، يعني أن داره كانت تجمع هذه الأشياء فيها دون الذهب فإنه كان يبدده بالعطايا.

(٤) أراد بحاسدِهِ كافوراً. الأوكع: الذي أقبلت إبهام رجله على السبابة، ويقال عبد أوكع أي لئيم. والقصيدة كاملة في ديوانه ٤٩١ ـ ٤٩٤.

أبي محمد بن عبدون[1] في البسامة المشهورة:

الدهر يفجع بعد العين بالأثرِ   فما البكاء على الأشباح والصورِ

ثم عاتب كافوراً بالقصيدة البائية المشهورة التي منها:

أرى لي بقربي منك عيناً قريرة   وإن كان قرباً بالبعاد يشابُ

قال ابن خلكان في التأريخ: ثم بقي سنة لا يجتمع بكافور إلاّ إذا ركب في خدمته خوفاً منه.

وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قصيدته الدالية التي يهجوه بها وأوّلها:

عيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ   بمَا مَضَى أمْ لأمْرٍ فيهِ تَحْدِيدُ[2]

ما كُنتُ أحْسَبُني أحْيَى إلى زَمَنٍ   يُسِيءُ بي فيهِ كَلْبٌ وَهْوَ مَحْمُودُ[3]

مَنْ عَلّمَ الأسْوَدَ المَخْصِيّ مكرُمَةً   أقَوْمُهُ البِيضُ أمْ آبَاؤهُ الصِّيدُ[4]

وَذاكَ أنّ الفُحُولَ البِيضَ عَاجِزَةٌ   عنِ الجَميلِ فكَيْفَ الخِصْيةُ السّودُ؟

العبد ليس بحرّ صالح بأخ   لو أنه في ثياب الحرّ مولود

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ والعَصَا مَعَهُ   إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ[5]

---

(١) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري الأندلسي. نحوي شاعر كاتب، استوزره المتوكل من بني الأفطس، وبعد انتهاء دولته استوزره المرابطون. له القصيدة العصماء المشهورة التي يرثي بها المتوكل وولديه الفضل والعباس، حينما تتلهم المرابطون صبراً ومطلعها: ـ

الدهر يفجع بعد العين والأثر   فما البكاء على الأشباح والصور

ومنها: ـ

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة   فدت علياً بمن شاءت من البشر

توفي بيابرة ـ وهي مسقط رأسه ـ سنة ٥٢٩ وقيل ٥٢٠هـ. كان عالماً بالتاريخ، ومن محفوظاته كتاب الأغاني لأبي الفرج. من مؤلفاته: كتاب الانتصار لأبي عبيدة على ابن قتيبة.

ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١/٣٦٩، والمعجب/١٢٨ ـ ١٤٤، فوات الوفيات ٢/١٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٢٥، أنوار الربيع ١/هـ ١٨٧.

(٢) قوله: عيد، أي هذا عيد، وبما مضى: أي أبما مضى.

(٣) أي أني مضطر إلى حمده مع إساءته إلي.

(٤) الصيد، جمع أصيد: الملك العظيم.

(٥) المناكيد، جمع منكود: قليل الخير، يعني لا يصلح إلاّ على الضرب والإهانة.

وسافر أبو الطيب من مصر مستخفياً قاصداً بلاد فارس وملكها أبا شجاع عضد الدولة ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ وذمَّ كافوراً في طريقه بقصيدته المقصورة التي وصف بها سفره ومنازله، ومطلعها:

ألا كُلّ مَاشِيَةِ الخَيْزَلَى ... فِدَى كلّ ماشِيَةِ الهيدلَى
وكُلّ نَجَاةٍ بجَاوِيَّةٍ ... طَموحٍ وَمَا بيَ حُسنُ المِشَى[2]

ومنها:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ... رَأى غَيرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى[3]
وَقَدْ ضَلّ قَوْمٌ بأصْنَامِهِمْ ... وَأمّا بِزِقّ رِيَاحٍ فَلا[4]
وَمَاذا بمِصْرَ مِنَ المُضْحِكَا ... تِ وَلَكِنّهُ ضَحِكٌ كالبُكَا
بهَا نَبَطِيٌّ مِنَ أهْلِ السّوَا ... دِ يُدَرِّسُ أنْسَابَ أهْلِ الفَلا[5]
وَأسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ ... يُقَالُ لَهُ أنْتَ بَدْرُ الدّجَى[6]
وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الكَرْكَدَ ... نَّ بَينَ القَرِيضِ وَبَينَ الرُّقَى[7]
فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحاً لَهُ ... وَلَكِنّهُ كَانَ هَجْوَ الوَرَى[8]

الخيزلى: مشية للنساء فيها تثنّي وتكسر، والهيدلى: نوع من سير الإبل، والبجاوية بالموحّدة والجيم المنسوبة إلى البجاة وهي قبيلة من السودان تجاور العرامات من أسفل ديار مصر والحبشة من ناحية المغرب مشهورة بالجودة والسرعة.

= والقصيدة كاملة في ديوانه ٥٠٦ ـ ٥٠٨.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٣٠.

(٢) النجاة: الناقة السريعة. بجاوية: نسبة إلى بجاوة وهي أرض بالنوبة أو قبيلة من السودان توصف نوقها بالسرعة. وما بي أي ما أهتم له. المشي جمع مشية: هيئة المشي.

(٣) أي يرى الناس العيوب في من جهل قدر نفسه وهو لا يراها.

(٤) زق: اسم عام للظرف (ضرف).

(٥) النبط: جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين، قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء. والمراد بالسواد سواد العراق.

(٦) المشفر: شفة البعير.

(٧) الكركدن: اسم حيوان عظيم الخلقة ويقال له وحيد القرن. الرقى جمع رقية: من أعمال السحر. يقول: إن شعره مدح من وجه ورقية من وجه لأنه يرقيه به ليأخذ ماله.

(٨) كاملة في ديوانه ٥٠٩ ـ ٥١٢.

وأراد أبو الطيب بالنبطي في قوله: «بها نبطي من أهل السواد» أبا [الفضل] جعفر بن الفرات[1] وزير كافور وسيأتي بعض خبره آخر الترجمة.

ولما اجتاز المتنبي ببغداد قاصداً بلاد المشرق جرى له مع الحاتمي أحَد أدبائها تلك القضيّة المشهورة، وهجاه جماعة من شعرائها منهم أبو عبد الله بن حجّاج[2] الشاعر المشهور، قال فيه على طريقة الملحونية أبياتاً أوّلها:

يا ديمة الصفع صبّي ... على قفا المتنبّي
وأنت يا ريح بطني ... على عذارَيْه هبّي

وكان يقال: إنه كان سقّاءً للماء بالكوفة، فقال فيه بعض الناس:

أيُّ فَضْلٍ لشاعر يَطلبُ الفَضْـ ... ـلَ من الناس بكرة وعَشِيّا
عاشَ حيناً يبيعُ بالكوفة المـ ... ـاءَ، وحيناً يبيع ماء المُحَيَّا[3]

ذكرت قول أبي الحسين الجزّار[4]:

لا تلمني في حرفة القصّاب ... فهي أذكى من عنبر الآدابِ
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ... ت أديباً رجوت فضل الكلابِ

وقال الجزّار أيضاً:

تعاظم قدري على ابن الحسيـ ... ـن فذهني كالعارض الصَيِّبِ
وكم مرّة قد تحكّمت فيـ ... ـه لأن الخروف أبو الطيِّبِ

---

(١) جعفر بن الفضل بن جعفر. من بني الحسن بن الفرات. أبو الفضل ابن حنزابة: وزير ابن وزير. من العلماء الباحثين. من أهل بغداد ولد سنة ٣٠٨هـ، نزل بمصر، واستوزره بنو الأخشيد بها مدة إمارة كافور. وبعد موت كافور قبض عليه ابن طغج (صاحب الرملة) وصادره وعذبه. ثم أطلق، فنزح إلى الشام سنة ٣٥٨هـ. وأمنه القائد جوهر فعاد إلى مصر معززاً. له تآليف في «أسماء الرجال» و «الأنساب». توفي بمصر سنة ٣٩١هـ، وحمل إلى المدينة ـ بوصية منه ـ فدفن فيها. اشتهر بنسبته إلى «حنزابة» وهي أم أبيه الفضل.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ١/ ٣٤٦ ـ ٣٥٠، وسير النبلاء ـ خ ـ الطبقة الحادية والعشرون، والنجوم الزاهرة ٤: ٢٠٣ وتاريخ بغداد ٧: ٢٣٤، والتبيان ـ خ، وحسن المحاضرة ١: ١٩٩، والاعلام ط ٤/ ٢/ ١٢٦.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٢٤.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩٢.

ولما وصل أبو الطيّب إلى حضرة عضد الدولة قابله بالقبول، ومدحه أبو الطيّب بالقصائد المشهورة في ديوانه، ومدح وزيره أبا الفضل بن العميد بالرائية المشهورة في ديوانه، فأجازه عنها بثلاثة الآف دينار، وخلع عليه.

وقيل إن الصاحب الكافي أراد منه أن يمدحه فلم يفعل، ولم يكن الصاحب قد تقلّد الوزارة، فحقد عليه وأنه ألّف «الكشف المنبي عن سرقات المتنبي» لذلك.

وعاد أبو الطيّب من بلاد العجم ليَتجمّل بأهله إلى حضرة أبي الشجاع[1]، فلما بلغ إلى الصافية بقرب النعمانية بالجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول، وبينهما ميلان، عَرَض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في عدّة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة من حاشيته وغلمانه فقاتلوهم، ففتك به فاتك فقتل وقتل معه ابنه مُحَسَّدْ، وغلامه مفلح، يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة، رحمه الله تعالى[2].

❀ ❀ ❀

وللناس في شعره اختلاف، فمنهم من يتعصّب له غاية التعصّب كأبي العلاء المعرّي ـ الآتي ذكره[3] ـ وشرح ديوانه وسمّاه «معجز أحمد»، ويكفيه فضلاً تعظيم مثل أبي العلاء له على ما حواه أبو العلاء من الفضائل.

ومنهم من يتعصب عليه كالشريف أبي القاسم المرتضى[4].

وللمعرّي معه واقعة ستَرد عند ذكره، والحقّ أنه كان قليل النظر، فحلاً مقدماً، واشتهاره شاهد بسبقه فقلّما اشتهر إلاّ الجيّد، ومن سعادته أنها عُدّت معايب شعره وسقطاته لقلّتها، وهو قول الشاعر:

(كفى المرء نبلاً أن تعدُّ معايبه)

وأبو تمّام والبحتري والمتنبي طبقة واحدة، لم يقع الإتفاق على تفضيل

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٣٠.
(٢) الوفيات ١/١٢٣.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٩.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٠٣.

بعضهم على بعض. وقال بعض الأدباء في أبي تمّام والمتنبي: هما حكيمان، والشاعر البحتري[1]، وقيل: إن المتنبي قال ذلك لمن سأله عنهم فينبغي أن يزاحموا أبا العلاء الزاهد المجيد، فإن اللّاهي تفتح اللّها، وقد أجاد مع زهده.

وأكثر ما أخذ المتنبي كما ذكر الحاتمي من أبي تمّام.

وحظي شعراء أبي الطيّب.....[2] قال ابن خلكان: بلغني أن لديوانه أربعين شرحاً[3].

وحكى السري الرفاء[4] الشاعر المشهور قال: حضرت مجلس سيف الدولة بعد قتل المتنبي فجرى ذكره، فأثنى عليه الأمير وذكر شعره بما غاضني، فقلت: أيها الأمير اقترح أي قصيدة أردت للمتنبي فإني أُعارضها بما يعلم الأمير أن المتنبي قد خلّف نظيره، فقال: عارِض قصيدته التي أوّلها:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحب ما لم يبق مني وما بقي

فلما رجعت إلى منزلي تأمّلت القصيدة فإذا هي ليست من مختاراته، ثم مرّ لي فيها:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق ... أراه غباري ثم قال له الحقِ

فعلمت أنه أراده الأمير وخار الله لي.

وقال بعض المتعصّبين عليه في قوله:

---

(١) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري الطائي. ولد سنة ٢٠٦هـ بناحية منبج من أعمال حلب. نشأ في قبائل طي وغيرها من البدو الضاربين في شواطيء الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب. التقى بأبي تمام وهو فتى فلازمه، وتخرج عليه في الشعر ثم خرج إلى العراق، واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان. فبقي محترماً عندهما، إلى أن قتلا في مجلس كان حاضره فرجع إلى منبج. توفي سنة ٢٨٤هـ. من آثاره: كتاب الحماسة على غرار حماسة أبي تمام، وكتاب المعاني، وديوان شعره.

ترجمته في:

الذريعة ٧/ ٧٩ و٩/ ١٢٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٤٨ ـ ٢٥٨، والكنى والألقاب ٢/ ٥٧، وأخبار البحتري للصولي، وأمراء الشعر العربي/ ٢٣٥ ـ ٢٧٩، وأعيان الشيعة ٥١/ ٨٦ ـ ١٠٦، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٨.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) الوفيات ١/ ١٢١.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٨١.

يَبُلُّ خدي كلما ابتسمت ... من مطرٍ برقه ثناياها[1]

إنّها كانت تبصق في وجهه، وما أنقصه فإن البيت في غاية الحسن ومما عتب عليه:

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعفّ عما في سراويلاتها

قيل: الزنا أحسن من العفّة في هذا البيت، وهو حقّ وظريف.

هنا قول أبي الندى حسّان بن نمير الكلبي الدمشقي[2] من أبيات له فيها إلمام بقول أبي الطيّب:

إني لأعشق ما يحويه برقعها ... ولست أبغض ما تحوي السراويلُ

ومما لم يعجبني من شعره قوله:

فلو قدرت ركبت الناس كلهم ... إلى علي بن عبد الله بِعرّانا

فالمعنى قبيح، وجاء جمع البعير في غاية الثقل، وأكثر مطالعه على غير شريطة أهل البيان، كاليائية الكافورية التي أجاد في مديحها فما بعد سوء مطلعها ما يتطير به، والشرط مراعاة المطالع كما عرف.

❀ ❀ ❀

أبو الفضل جعفر بن الفرات ويعرف بابن خيزابة[3]، وكان وزير كافور الإخشيدي، وبقي بمصر حتى قدم القائد أبو عبد الله جوهر الرومي[4] بجيوش

---

(١) كاملة في ديوانه ٥٣٧ ـ ٥٤٠.

(٢) حسان بن نمير بن عجل الكلبي، أبو الندى: شاعر، من الندماء. ولد سنة ٤٨٦هـ كان من سكان دمشق، واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحه ونادمه. ووعده السلطان بأن يعطيه ألف دينار إذا استولى على الديار المصرية، فلما احتلها أعطاه ألفين، فمات فجأة سنة ٥٦٧هـ قبل أن ينتفع بفجأة الغنى. له «ديوان شعر».
ترجمته في:
الشعور بالعور (مخطوط) والفوات ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٦ الزمان ٨: ٢٨٦ وأنظر الخريدة ١: ١٧٨ ـ ٢٢٩، الاعلام ط ٤/ ٢/ ١٧٧.

(٣) في الوفيات ١/ ٣٤٦: «ابن حِنْزابَة».

(٤) جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن: القائد. باني مدينة «القاهرة» والجامع «الأزهر» كان من =

مولاه الإمام المعزّ لدين الله من بلاد المغرب، فلم يؤاخذه بأشياء كانت منه من الجمع لحربه، وأجراه المعز لما قدم على أحسن حال من الجميل.

ومن ظريف خبره ما حكاه المقريزي في الخطط والآثار، قال: كان الوزير ابن الفرات يهوى النظر إلى الحيّات والأفاعي والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجري هذا المجرى من الحشرات، وكان في داره قاعة لطيفة مُرَخّمة، فيها سلال الحيّات، ولها فرّاش قيّم وهو من الحوّايين وله مستخدمون برسم الخدمة ونقل السلال وحطّها، وكان كل حوّاء بمصر وأعمالها يصيد ما قدر عليه من الحيّات، ويتباهون في ذوات العجب من أنواعها، وفي الكبار، وفي غريبة المنظر. وكان الوزير يثيبهم على ذلك أوفى ثواب، ويبذل لهم الجُمَل حتى يجتهدون في تحصيلها، وكان له وقت يجلس فيه على دكّة مرتفعة ويدخل والحوّاة، فيخرجون ما في السلال ويطرحونه في ذلك الرخام ويحشرون بين الهوام، وهو يعجب من ذلك ويستحسنه، فلما كان ذات يوم أنفذ رقعة إلى الشيخ ابن المدبّر الكاتب وهو من أعيان كتّاب أيّامه وديوانه، وكان عزيزاً عنده، وكانت داره مجاورة له، يقول فيها لشعر الشيخ الجليل أدام الله سلامته: إن الحوّاء عرض علينا البارحة الحشرات الجارية بها العادة، فانساب إلى دار الشيخ الحيّة البتراء وذات القرنين، والعقربان الكبير وأبو صوفة، وما حصلوا لنا إلاّ بعد عناء ومشقّة وبحملة بذلناها للحوايين، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله بالتقدّم إلى حاشيته وصبيّته بصون ما وجد منها إلى أن ننفذ الحوايين لأخذها وردّها إلى السلال، فلما قرء ابن المدبر الرقعة قلّبها وكتب في ذيلها: أتانا أمر سيدنا الوزير خلّد الله نعمته وحرس مدّته إلى ما أشار إليه من أمر الحشرات، والذي يعتمد إليه في ذلك أن الطلاق يلزمه إن بات

= موالي المعز العبيدي (صاحب إفريقية) وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الأخشيدي، فدخلها سنة ٣٥٨هـ. وأرسل الجيوش لفتح بلاد الشام وضمها إليها. ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز (سنة ٣٦٢هـ) فحلّ المعز محله؛ وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي، بالقاهرة سنة ٣٨١هـ. وكان كثير الإحسان، شجاعاً، لم يبق بمصر شاعر إلا رثاه. وكان بناؤه القاهرة سنة ٣٥٨هـ وسماها «المنصورية» حتى قدم المعز فسماها «القاهرة» وفرغ من بناء «الأزهر» في رمضان ٣٦١هـ. ولعلي إبراهيم حسن «تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ـ».

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١/٣٧٥ ـ ٣٨٠، والنجوم الزاهرة ٤: ٢٨ وما بعدها. وابن عساكر ٣: ٤١٦ وخطط مبارك ٢: ٤٥ ومعجم البلدان ٧: ١٩، الاعلام ط ٤/٢/١٤٨.

هو أو واحد من أهله في الدار والسلام[1].

ومما يقرب من هذه النادرة ما حكاه هو أيضاً في جامع القرافة، وهو جامع مشهور مزخرف عمّرته السيدة تغريد، وتدعى دَرزان المغربية أم العزيز بالله نزار بن المعزّ قال: حكى الشريف محمد بن أسعد الجوّاني النسّابة قال: حدثني الأمير أبو علي بن تاج الملك جوهر المعروف بالسمر الحيوشي[2] قال: اجتمعنا ليلة جمعة جماعة من الأمراء بنو معز الدولة صالح وحاتم وراجح وأولادهم وغلمانهم وجماعة من يلوذ بنا كابن الموفقي والقاضي داود وأبوه المجد بن الصيرفي وأبو الفضل روزنه، وأبو الحسن الرضيع فعملنا سماطاً وجلسنا واستدعينا من في الجامع وأبي حفص القيّم، فأكلنا ورفعنا الباقي إلى بيت الشيخ أبي حفص قيّم الجامع، ثم تحدّثنا ونمنا وكانت ليلة باردة فنمنا عند المنبر، وإذا إنسان نصف الليل ممن نام عند المنبر من عابري السبيل قد قام قائماً وهو يلطم على رأسه ويصيح، وامالاه وامالاه، فقلنا: مالك ويلك وما شأنك، وما الذي دهاك ومن سرقك وما سرق لك؟ فقال: يا سيدي أنا رجل من أهل طرا يقال لي أبو كرب الحوّا، أمسى عليَّ الليل ونمت عندكم، وأكلت من خيركم، وسَّعَ الله عليكم، ولي جمعة اجمع في سلتي من نواحي طرا والجبل الكبير والحي الكبير كل غريبة من الحيّات والأفاعي ما لم يقدر عليه حوّاء غيري، وقد انفتحت السلّة الساعة وخرجت الأفاعي وأنا نائم، فقلنا له: أيش تقول؟ فقال: إي والله يا للنجدات، فقلنا: يا عدوّ الله أهلكتنا ومعنا صبيان وأطفال، ثم أنبهنا الناس وهربنا إلى المنبر فطلعناه وازدحمنا فيه، ومنّا من طلع على قواعد العمد فتسلّق وبقي واقفاً وأخذ ذلك الحوّا يتجسس وفي يده سلال الحيّات ويقول: قبضت الرقطا، ثم يفتح السلّة ويضع فيها، ثم يقول: قبضت أم قرنين، ويفتح ويصيح ويقول: قبضت الفلاني والفلانية من الثعابين والحيّات وهم معه بأسماء، ويقول: أبو زعيرة، وأبو بليس، ونحن نقول إيه، إلى أن قال: بس انزلوا ما بقيَ عليَّ همٌ ما بقي يهمّكم كبير شيء، قلنا: كيف؟ قال: ما بقي إلاّ البترا وأم راسين، إنزلوا فما عليكم منهما، قلنا كذا عليك لعنة الله يا عدوّا الله، والله لا نزلنا إلاّ الصبح، فالمغرور

---

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

(٢) في الخطط: «الشمس الجيوشي».

من تغرّه، وصبحنا بالقاضي أبو حفص القيّم، فأوقد الشمعة ولبس خف الخطيب خوفاً على رجليه، فجاء فنزلنا في الضوء وطلعنا إلى المأذنة، فنمنا إلى بكرة وتفرّق شملنا بعد تلك الليلة، وجمع القاضي القيّم حفدته ثاني يوم وأدخلوا عصيّاً تحت المنبر وسعّفا وشالوا الحصير فلم يجدوا شيئاً، وبلغ الحديث والي القرافة ابن سعلة الكتامي، فأخذ الحواء ولم يزل به حتى جمع ما قدر عليه وقال: ما أخليه إلاّ إلى السلطان، وكان الوزير إذ ذاك يانس الأرمني[1].

قلت: الحّوا نسبة إلى الحيّة كالسقّا ونحوه، وأصل حيّة حيوة سبقت الياء الواو ساكنة، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها على قول أبي علي الفارسي في أن واو حيوات أصلية واشتقاق الحيوان من الحيوة، والحيّة مشتقة من الحيوة لطول عمرها.

وقال أبو إسحاق بن خفاجة الأندلسي[2] من قصيدة يصف الحيّة:

وازبٌ يبرز من حشاه مكرّع	خضر يسيح وتلفه مخضالُ
ما بين خطيّ جِدّ ولِين كأنّما	بسطت يمين منهما وشمالُ
ينساب ثاني معطفيه كأنه	هيمان نشوان هناك مزالُ
مثل الحباب لمنحناه ذوابة	خفّاقة حيث الربى أكفالُ
أو ظل أسمر باللوى متناظر	عطفت جنوبٌ متنه وشمالُ
لم أدر هل يزهو فيحظر نخوة	أم لاعبت أعطافه جريالُ
وإذا استطار به النجاءُ فنيزك	وإذا تهادى فالهلال هلالُ
زُرَّتْ عليه حَبيرة موشيّة	بمقيله أُخت لها أسمالُ
مَرِقٌ كما ينقد في يوم الوغا	عن لبتي مستلئم سربالُ
ألقى به منها هنالك درعه	بطل وجرّد مشيهُ مختالُ

---

(١) الخطط المقريزية ٣/٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي. ولد سنة ٤٥٠هـ. كان أديباً وشاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً. لم يتكسب بالشعر قانعاً بمورده من ضيعة يملكها. لم يتزوج. توفي سنة ٥٣٣هـ. له تآليف لغوية وديوان شعره.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١/٥٦ ـ ٥٧، بغية الوعاة ١/٤٢٢، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي/ ٥٩، المغرب في حلى المغرب ٢/٣٦٧، قلائد العقيان/ ٢٤١، أنوار الربيع ١/هـ ٢٦٥.

بيد الهجيرة منه سوط خافق ويساق ليلة صرصر خلخالُ

والقرافة مقبرة مصر.

والفيّوم: ولاية عظيمة منها.

ويانس الأرمني: كان وزير الحافظ لدين الله صاحب مصر.

ورأيت السيد أحمد بن حميد الدين ذكر في كتابه «تلويح المشوق»: إن العراق هي ديار مصر، ومثل ذلك لا يكاد يخفى على مطلّع، وبين الولايتين ما يزيد على أربعين ليلة. وسيأتي ذكر السيد أحمد إن شاء الله تعالى(١).

[١٢]

السيد شمس الدين أحمد بن الحسن بن المطهّر بن محمد الحسني الجرموزي الصنعاني المولد والدار(*).

فاضل طاب به الأدب طيبة الوقت بالربيع، وسما بشعر لو سمعه لبرىء به الصريع، وسقى العلم ذكاه فحقق أنه الرائح الغادي في الجود، وجرى ماء الحبّ في أصوله فأطلع منه الزهر قبل جري الماء في العود، أخذ العلم عن مشايخ الصنعاء، وتفنن وقرأ علم المنطق على السيد الإمام المتفرّد به الحسن بن الحسين بن المنصور بالله.

وقرأت على السيد المذكور شرح السيد محمد المفتي اليمني على كافية ابن الحاجب، وكتب لي أنه ولد بصنعاء في شهر صفر سنة خمس وسبعين وألف،

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤.

(*) أحمد بن الحسن بن المطهّر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن الداعي المنتصر بن محمد بن أحمد بن القاسم بن يوسف بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب ﷺ.

وقيل إنه ولد في ذي الحجة سنة ١٠٧٦هـ وتوفي عن نحو ثمانين سنة من مولده.

ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، طيب السمر ـ خ ـ، ملحق البدر الطالع ٢٥، نشر العرف ١/ ١١٧ ـ ١٢٢.

وانتقل إلى المخا لما كان والده عاملاً بها كما يجيء في ذكره إن شاء الله تعالى[1].

وقد جمع إلى فضل العلم حسن الخلق، فأخلاقه وعلمه روضة وغدير، وله خطّ يعمي حسنه ابن مقلة[2]، ويحجب رونق خط ابن البوّاب[3]، وليس ابن هلال بكفو الشمس. وأما الشعر فقد أناخت سوامه بسوحه، وكتبت سعادته فيه بلوحه، أنشدني لنفسه من نظمه مكاتبة:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٥٢.

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، سنة ٢٧٢هـ، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس. ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هـ، ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ فجيء به من بلاد فارس، فلم يكد يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على قتله، فاختبأ (سنة ٣٢١) واستوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢ ثم نقم عليه سنة ٣٢٤ فسجنه مدة، وأخلى سبيله. ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦) وسجنه، فلحقه في حبسه شقاء شديد حتى كان يستقي الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفمه. ومات في سجنه سنة ٣٢٨هـ، قال الثعالبي: من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات اثنتان في النفي إلى شيراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٢: ٦١ وثمار القلوب ١٦٧ وفيه: «كتب ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم ـ أي زمن الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩هـ ـ عند الروم في كنيسة قسطنطينية، يبرزونه في الأعياد ويعلقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه». وفي الفهرس التمهيدي، ص٥٤٨ رسالة في «علم الخط والقلم ـ خ» يقال إنها لابن مقلة، الاعلام ط ٤/٦/٢٧٣.

(٣) علي بن هلال، أبو الحسن المعروف بابن البواب: خطاط مشهور، من أهل بغداد. هذب طريقة ابن مقلة وكساها رونقاً وبهجة. وفي رثائه قال الشريف المرتضى قصيدته التي مطلعها:

من مثلها كنت تخشى أيها الحذر والدهر إن هَمَّ لا يبقي ولا يذر

نسخ القرآن بيده ٦٤ مرة، إحداها بالخط الريحاني لا تزال محفوظة في مكتبة «لا له لي» بالقسطنطينية، توفي سنة ٤٢٣هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/٣٠٥ ومفتاح السعادة ١: ٧٧ والبداية والنهاية ١٢: ١٤ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ١٠٣ وقيل: وفاته سنة ٤١٣ أو ٤١٠ وديوان الشريف المرتضى ٢: ١٦ والمنتظم ٨: ١٠، الاعلام ط ٤/٥/٣٠ ـ ٣١.

كـل مـن رام الـعـلاء ولـم تـهـمـي بـالـجـدوى أنـامـلـه
لا تـخـل نـجـحـاً لـمـأرَبِـه أو تـخـل طـوع الأنـام لـه

على مذهب غير الخليل بن أحمد، وهو أنها من آخر حركة في البيت إلى أول ساكن.

لعلها: أورد ونقلت من خطّه تهم بالتاء الفوقية، فيكون الأنامل الفاعل، وتكون القافية يليه مع حركة الحرف الذي قبله.

وأنشدني أيضاً في الجناس المركب:

قـولـوا لـمـن قـد تـنـاهـى فـي نـأيـه وصـدوده
مـا جـلُّ نـاري إلاّ مـن جُـلّ نـار خـدوده

وأورد في هذا للقاضي الشرفي الحسن بن علي بن جابر الهبل ـ الآتي ذكره[1] ـ بقوله:

مـولاي رفـقـاً بـصـبٍّ عـذّبـتـه بـصـدودِكْ
فـجُـلَّ نـارِ فـؤادي مـن جـلّـنـار خـدودِكْ![2]

وعلى ذكر جلنار، فما أحسن قول أخيه علم الدين القاسم بن الحسن الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[3]:

صـاح هـذي أنـفـاس نـشـر الأحـبـه بـشـرتـنـي بـقـربـهـم فـتـنـبّـه
مـا تـرى الـكـون قـد تـأرّج طـيـبـاً وغـصـون الـربـى غـدت مـشـرئـبـه
والـنـسـيـم الـعـلـيـل قـد رقّ حـتـى صـار بـيـنـي وبـيـنـه الـسـقـم نـسـبـه
وبـدا الأفـق فـي مـطـارف سـحـب لـحـواشـي الأصـيـل فـيـهـن ذهـبـه
وخـطـيـب الـحـمـام قـد ردد الـسـجـ ـع غـرامـاً وبـثَّ لـلّـهـو كـتـبـه
فـالأزاهـيـر حـولـه كـطـروس حـمـرة الـجـلّـنـار فـيـهـن تـربـه

فتربة الجلنار هنا مما يلتمس الأديب بركتها، والجلنار: هو زهر الرمان البرّي، ويطلق على البستاني بواسطة المشابهة في اللون والطبع، وقلت في تشبيهه:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.
(٢) فجلّ نار فؤادي: أي معظمها، القطعة في ديوان الهبل ٣٤٧.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٣١.

وما شاقني في الروض حين دخلته ... سوى جلنار حسنه ينعش الفهما
كما أرْخَت العذراء كمّاً مورّداً ... ومن فوقه من خوخة قلصت كمّا

وأما تشبيه الوجنات بحمرته فكثير.

وأنشدني السيد شمس الدين أحمد بن الحسن المذكور لنفسه مكاتبة:

وبي رشأ مُنيت به فلمّا ... غزت قلبي لجفوته كتائبْ
رجعت عن التصابي فيه عمداً ... ورحت عن الغرام به كتائبْ

ولما رأى القاضي الخطيب السيد شمس الدين أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي ـ الآتي ذكره[1] ـ هذا المقطوع، كتب ما صورته هو مأخوذ من قول العلامة بدر الدين الدماميني[2]:

تدري لماذا أتاك قلبي ... من عسكر الوجد في كتائبْ
أذنب ثم اختشى فوافى ... من ذلك الذنب فيك تائبْ

وأنا أقول: هذا الأديب الفاضل يجل قدره عن التماس أوساخ أذهان الناس، وإنما هو وقوع الحافر على الحافر كما وقع لكثير من الفحول، ولما كان تركيب الجناس، إنما يقع في ألفاظ مخصوصة قليلة كثرت فيه الموارد.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢١.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد في الإسكندرية سنة ٧٦٣هـ، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر. ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج، وعاد إلى مصر فولي فيها قضاء المالكية. ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زبيد نحو سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها في مدينة «كلبرجا» سنة ٨٢٧هـ من كتبه «تحفة الغريب ـ ط» شرح لمغني اللبيب، وغيرهما وله نظم.

ترجمته في: الكنى والألقاب ٢/٢٠٩، شذرات الذهب ٧/١٨١ وفيه أنه ولد سنة ٧٦٤، والضوء اللامع ٧/١٨٤، وبغية الوعاة ١/ ٦٦ وفيه أنه توفي سنة ٨٣٧، والبدر الطالع ٢/ ١٥٠، هدية العارفين ٢/١٨٥، وروضات الجنات/٧١٨، أنوار الربيع ٢/هـ ٥٦، حسن المحاضرة ١/٢٥٨، معجم المطبوعات ٨٩٧، الكتبخانه ٤/٣٣٨، آداب اللغة ٣/١٤٣، الاعلام ط ٦/٤/٥٧.

وما أحسن قول المعتمد بن عباد[1] وقد قالت له بعض جواريه وهما في الحبس بأغمات: يا مولاي لقد هنّا هنا:

قالت لقد هُنّا هنا ... مولاي أين جاهنا
قلت لها إلهُنا ... صيّرنا إلى هنا

وقول القاضي زين الدين عمر بن مظفر الوردي[2]:

دهرنا أضحى ضنينا ... باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي ... واجمعينا إجمعينا

❁ ❁ ❁

---

(1) محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم، المعتمد على الله: صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. ولد في باجة (بالأندلس) سنة ٤٣١هـ وولي إشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة ٤٦١هـ) وامتلك قرطبة وكثيراً من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية (وكانت تعرف بتدمير) وأصبح محط الرحال، يقصده العلماء والشعراء والأمراء، وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً، بديع التوقيع، له «ديوان شعر - ط» وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. وبقي في أغمات إلى أن مات سنة ٤٨٨هـ. وهو آخر ملوك الدولة العبادية وللدكتور صلاح خالص، كتاب «المعتمد بن عباد الإشبيلي - ط» في سيرته.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٥/٢١ - ٣٩، ومطمح الأنفس ١١ - ٢٢، وسير النبلاء - خ، المجلد ١٥ ونفح الطيب ٢: ١١١٩ والبيان المغرب ٣: ٢٤٤ و٢٥٧ وابن الوردي ٢: ٤ و٨ وابن الأثير ١٠: ٨٦ وقلائد العقيان ٤ والشذرات ٣: ٣٨٦ وتراجم إسلامية ١٨٦ والوافي بالوفيات ٣: ١٨٣ وديوان المعتمد بن عباد/ مقدمته، وتاريخ الأندلس لأشباخ، ترجمة عنان ١/ ٦١ - ١٠٣، وانظر: خريدة القصر، شعراء المغرب ٢/ ٢٥، الاعلام ط ٤/٦/ ١٨١.

(2) هو أبو حفص زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الحلبي المعروف بابن الوردي. أديب ناثر شاعر، نحوي لغوي مؤرخ فقيه، ولي القضاء بمنبج ثم أعرض عن ذلك. من آثاره البهجة الوردية نظم فيها الحاوي الصغير في خمسة آلاف بيت، وضوء الدرة على الفية ابن معطي، وشرح الفية إبن مالك. والتحفة الوردية في نظم اللمعة لأبي حيان وديوان شعره، وله مقامة في الطاعون العام، واتفق أنه مات بآخر ذلك الطاعون سنة ٧٤٩هـ وهو في عشر السبعين.
ترجمته في:
النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٠، شذرات الذهب ٦/ ١٦١، البدر الطالع ١/ ٥١٤، هدية العارفين ١/ ٧٨٩، فوات الوفيات ٢/ ٢٢٧، روضات الجنات ٤٧٩، بغية الوعاة ٢/ ٢٢٦، الكنى والألقاب ١/ ٤٣٥، الدرر الكامنة ٣/ ٢٧٢، أنوار الربيع ١/ هـ ٣١٢ - ٣١٣.

رجع، ولصاحب الترجمة:

وغـــــادة مـــــــذ رأت عـــــذاري قـــد لاح مـــالـــت إلـــى الـــنـــفـــارِ
فـــلـــم أزل بـــعـــد فـــي الـــبـــرايـــا لأجـــلـــهـــا خـــالـــعـــاً عـــذاري[1]

ما أحسَن التورية في خلع العذار، وقد استعمل هذا المعنى في غير التورية أبو القاسم علي بن إسحاق الزاهي البغدادي[2]، فقال من أبيات:

ولـــم أخـــلـــع عـــذاري فـــيـــك إلاّ لـــمـــا عـــايـــنـــت مـــن حـــســـن الـــعـــذارِ

وأنشدني المذكور لنفسه مكاتبة أيضاً:

لله خـــــــشـــــــف لـــــــم يـــــــزل وقـــــفـــــاً عـــلـــيـــه غـــرامـــيـــه
أصـــبـــحـــت مـــمـــلـــوكـــاً لـــه والـــعـــيـــن مـــنّـــي جـــاريـــه[3]

وله في غلام يعرف بالمِيْل:

رأيـــت الـــمِـــيْـــل مـــحـــبـــوبـــاً عـــلـــى مـــا فـــيـــه مـــن شـــيـــن
ولـــيـــس بـــمـــنـــكـــر لِـــلـــمـــيْـــل أن يـــدخـــل فـــي الـــعـــيـــن[4]

وله فيه أيضاً:

رأيـــت ذا الـــمِـــيْـــل يـــســـعـــى فـــي الـــنـــاس ســـعـــي حـــمـــيـــد
فـــقـــلـــت يـــا مِـــيْـــل كـــم ذا تـــســـيـــر ســـيـــر الـــبـــريـــد

أذكرني هذا قولي من أبيات:

لـم أكـتـحـل بـالـنـوم مِـيْـلا بـعـدمـا جـعـل الـنـسـيـم إلـيَّ مـنـه بـريـدا

ثم رأيت مطلع قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة[5] النبوية، قال فيه:

مـا الـطـرف بـعـدكـم بـالـنـوم مـكـحـول هـذا وكـم بـيـنـنـا مـن بـعـدكـم مـيلُ[6]

---

(١) نشر العرف ١/ ١٢٠.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ١١٦.
(٣) نشر العرف ١/ ١٢٠.
(٤) ن.م.
(٥) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٦) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٣٧٢.

فإذا هو السابق.

ونقلت من خطّه أنه كتب إلى الأديب محمد بن منصور المكي، وكان مغرماً بالتّتن:

أقول لماهرٍ في الشعر تزري ... معانيه البديعة بابن هاني
الست تُعدّ في الشعراء رأساً ... فقل لي كيف ملت إلى الدخانِ

وله أيضاً في التوجيه بعلم الرمل وأجاد:

تجنى نقي الخدّ لما طلبته اجـ ... ـتماعاً وولى من مقالي غضبانا
فقلت ستلقاني غداً بك ضاحكاً ... إذا صرت من بعد الملاحة لحيانا[1]

قيل: كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي[2] عظيم اللحية جدّاً، فقال فيه بعض شعراء وقته:

لتقيّ الدين ذقن ... تملأ الكف وتفضلْ
فاعمل المنخل منها ... لدقيق العيد وانخلْ

وقال مجير الدين محمد بن تميم الأشغردي[3] فيه مضمّناً، وقيل هما للقيراطي[4] وكان بتقي الدين وسوسة في الوضوء:

---

(١) نشر العرف ١/ ١٢٠.

(٢) هو قاضي القضاة أبو الفتح تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المعروف بابن دقيق العيد. ولد سنة ٦٢٥هـ، ودرس على والده وعلى جماعة من علماء عصره، وإلى أن أصبح من العلماء الاعلام تصدر للتدريس، وتخرج عليه طائفة من العلماء. كان مالكياً ثم عدل إلى المذهب الشافعي، وكان كريماً سمحاً ورعاً. توفي سنة ٧٠٢هـ. من آثاره: الالمام في أحاديث الأحكام، وكتاب الام في عشرين مجلداً، والإقتراح في علوم الحديث واقتناص السوانح.
ترجمته في: الطالع السعيد في أسماء نجباء الصعيد/ ٥٦٧، والبدر الطالع ٢/ ٢٢٩، وفوات الوفيات ٢/ ٤٨٤، النجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٦، والكواكب السيارة في ترتيب الزيارة/ ٢٧١، وشذرات الذهب ٦/ ٥، وهدية العارفين ٢/ ١٤٠، أنوار الربيع ٢/ هـ ٢٧٣.

(٣) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٤) هو إبراهيم بن شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر المعروف ببرهان الدين القيراطي. ولد سنة ٧٢٦هـ. حفظ القرآن، واشتغل بالفقه، وفاق أهل زمانه في الأدب والشعر. جاور مكة المكرمة، وحدث بها وكتب عنه جماعة من علمائها والقادمين عليها، ومات بها سنة ٧٨١. من آثاره: مطلع النيرين يشتمل على النظم والنثر، والوشاح المفصل في الأدب، وديوان شعره.

وموسوس عند الطهارة لم يزل يوماً على الماء الكثير مواظبا
يستحقر البحر العظيم لذقنه ويظن دجلة ليس تروي شاربا

ومن شعر المذكور:

قولوا لمن طروسه تجيء بالمعاتبه
ما أنا إلاّ رقّه لا أطلب المكاتبه

وله في التضمين مع نقل المعنى والتورية:

وشمس ملاحة قد قلت لمّا رأيت لنمل عارضه دبيبا
لقد أجرى الذي عاينت عيني فلا دانيت يا شمس الغروبا[1]

الغروب: جمع غرب وهو الدلو العظيم، والناحية المقابلة للشرق، والمصدر من غرب.

وله من قصيدة أجاد فيها:

نسمات النسيم في مسراها قد ألمت بنا بطيب شذاها
وأهاجت صبابتي وولوعي بربوع هيهات أن أنساها
فلكم في ربوعها من بدور تخجل النيرات عند سناها
لست أنسى عند الوداع دموعاً قد أذيلت عشية في رباها
من لنفس ذابت فلو منحوها بأحاديثهم شفاها شفاها
أذكرتها ريح الصبا حين هبَّت من ثنياتهم ليالي صباها
كم عذول لحبها قد لحاها ونهاها لما أضاعت نهاها
لو سرى طيفهم سرى عنّيَ الهـ ـم ولكن من للمقا بكراها
هم نفوا نوم مقلتي وأباحوا مهجتي مذ نأوا فعزَّ عزاها
وأهانوا دمي فها ندمي كم من دماء تريق منّا دماها
ليت شعري أما نوت لي نوالاً أم نوت لي تلك الدماء نواها

= ترجمته في: إيضاح المكنون ١/ ٥٢٥ و٢/ ٥٠١، الدرر الكامنة ١/ ٣٢، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ١٣٥، المنهل الصافي ١/ ٧٠، شذرات الذهب ٦/ ٢٦٩، النجوم الزاهرة ١١/ ١٩٦، أنوار الربيع ٢/هـ ٢٩٠.

(١) نشر العرف ١/ ١٢٠.

كم حمام قد كان منها حمامي ... عندما ناحت الضحى بحماها
كم أفاضت بجرأة أدمع العيـ ... ـن فيا للإله ما أجراها
هيجت من فروعها لي شجوناً ... هي أصل الأشجان لا ما سواها
فشجوني منها فيا ليت شعري ... ما الذي شاقها وما أبكاها
أي حزن لها وها هي في الدو ... ح مع الألف دائماً سكناها
ما جفاها خلّ كما قد جفاني ... أو مناها دهر ببعد مناها
ولها مثلما علمت جناح ... إن نأى من تحب عن مغناها
كم تغنّي وكم تنوح ولم أد ... رِ بذاك النواح ما معناها
إن يكن ما ادعت من الحزن حقاً ... فلماذا قد خالفت مُدَّعاها
خضّبت كفها وطوّقت الجيـ ... ـد وغنّت فأين منها جواها
أين منها صبابتي وولوعي ... بربوع هيهات أن أنساها
ليت أني إن لم يكن لي إلى العو ... د سبيل عند المنام أراها[1]

وهي طويلة، كتبها إلى القاضي الأديب ضياء الدين يوسف بن علي بن هادي الكوكباني، يلتمس منه عارية كتابه المسمى «بطوق الصادح»، ولهذا أكثر من خطاب ذات الطوق وأتى بما بهر عطف ذي الشوق، وهي دالة على فضله في سبك الذهب، دلالة لجين الصبح من ذكا على اللهب، وسيأتي شيء مما نغم به الناس في الحمامات، ولما اشتهر بين الأدباء قول ابن قرناص[2]:

خضبت كفّها وطوّقت الجيـ ... ـد وغنّت وما الحزين كذلك

ذكره هنا على جهة التلميح، وأما قوله: كم تغني وكم تنوح، فقد كشف الخطيب أبو نصر المنازي[3] بقوله:

---

(١) نشر العرف ١/١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) محي الدين بن قرناص الحموي، شاعر مجيد وأديب مشهور، أورد له ابن حجة الحموي كثيراً من شعره في خزانة الأدب، ويظهر أنه من شعراء القرن السابع الهجري.
نتف عابرة عنه في: المنهل الصافي ١/١٢٢، سلاطين المماليك ٦/١٩٦، ٨/٤٠٨، ٤٦٢، أنوار الربيع ١/هـ ٢٦٨.

(٣) هو أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي. وزر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي صاحب ميافارقين وديار بكر. كان شاعراً كاتباً. ترسل إلى القسطنطينية مراراً إلى ملك الروم، وجمع كتباً كثيرة، وقسمها بين آمد وميافارقين وأوقفها. عاصر أبا العلاء المعري واجتمع به مراراً. توفي سنة =

شجا قلب الخليِّ فقال: غنّى وبرّح بالشجي فقال: ناحا

وسيأتي تمامه وقصة المعرّي[1] معه عند ذكره إن شاء الله تعالى.

ورأيت بخطّه: إن رجلاً كتب إليه يسأله عن قول المنطقيين إن الأفعال الناقصة أدوات كالحروف وما وجه ذلك بقوله:

صفيّ الهدى يا من حوى كل مفخر وحاز من العلياء أعلى سماتها
إذا كان في عرف النحاة جميعهم ترىٰ كان في الأفعال مع أخواتها
فما وجه قول المنطقيين إنها أداة فهذا القول عكس صفاتها[2]

فكتب جوابه:

عرفت الذي قد قلت وهو مسلم ولا صارف عن قولهم بأداتها
لأن اصطلاح النحو غير اصطلاحهم وما شاححوا عند اختلافِ سماتها
كذا في حواشي الشرح للقطب قاله الـ ـشريف بلا خلف روى عن سراتها[3]

❀ ❀ ❀

قلت أنا: ذكر الإمام قطب الدين الشيرازي[4] في «شرح الرسالة الشمسية»

= ٤٣٧هـ. له ديوان شعر عزيز الوجود.
ترجمته في: خريدة القصر ـ قسم الشام ٢/٣٤٨ و٤٥٥ وفيه أنه توفي سنة ٤٨٧ وهو شاذ. وفيات الأعيان ١/١٤٣ ـ ١٤٥، معجم البلدان ٤/٦٤٨، شذرات الذهب ٣/٢٥٩، تاريخ الفارقي/ ١٣١، أعيان الشيعة ١٠/٢٥١، أنوار الربيع ١/هـ ٣٤٦.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

(٢) نشر العرف ١/١٢٠.

(٣) ن.م.

(٤) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي: قاض، عالم بالعقليات، مفسر ولد بشيراز سنة ٧١٠هـ، وكان أبوه طبيباً فيها، فقرأ عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسي وقرأ عليه. ودخل الروم فولي قضاء سيواس وملطية. وزار الشام ثم سكن تبريز، وتوفي بها سنة ٧١٠هـ. وكان ظريفاً لا يحمل هماً ولا يغير زي الصوفية، يجيد لعب الشطرنج ويديمه، ويتقن الشعبذة، ويضرب بالرباب ويجلس في حلق المساخر. وهو من بحور العلم من كتبه «فتح المنان في تفسير القرآن» نحو ٤٠ مجلداً، منه الجزء الأول مخطوط وغيره.
ترجمته في:
بغية الوعاة ٣٨٩ والدرر الكامنة ٤: ٣٣٩ وابن الوردي ٢: ٢٥٩ ومفتاح السعادة ١: ١٦٤ ومجلة المقتبس ٢: ٣ ـ ٨ وتاريخ علماء بغداد ٢١٩ وPrinceton I73 والفلاكة والمفلوكون ٧٣ وفهرست الكتبخانة ١: ١٨٦ و٤: ١٥٤، و٥: ٢٢٥ وBrock. 2: 274 (2II), S. 2: 296 والفهرس التمهيدي ٥٠٩ و٥٢٩، الاعلام ط ٤/٧/١٨٧ ـ ١١٨.

لعلّك تقول الأفعال الناقصة لا يصلح أن يخبر بها فيلزم أن تكون أدوات، فنقول لا بعد في ذلك حتى أنهم قسموا الأدوات إلى غير زمانية وزمانية، وهي الأفعال الناقصة غاية ما في الباب أن اصطلاحهم لا يوافق اصطلاح النحاة.

وسألت أيضاً شيخنا العلامة خاصة في علم العقل الحسن بن الحسين بن المنصور الآتي ذكره[1] ـ عن وجه المناسبة بين الفعل الناقص والحرف حتى جعل الناقص أداة، فقال: إن الفعل لما احتاج إلى اسم وخبر، ولا يكون كلاماً يصح السكوت عليه إلاّ بهما أشبه الحرف في عدم الاستقلال وحاجته إلى التعلق.

قال الإمام المحقق عبد الله الفارسي اليزدي: المنطق مصدر ميمي بمعنى النطق، ورسموه بأنه: آلة قانونية تعصم مراعاتها الفكر عن الضلال، وإنما كان رسماً لأن الآلة سبب قريب خارج عمّا هو آلة له.

وقال الرئيس أبو علي بن سينا: النطق ليس من الحكمة إن عرّفت بالعلم بأحوال أعيان الموجودات، فأنه إنما يبحث عن أحوال الموجودات الذهنية، فإن حذف لفظ الأعيان من التعريف وأضيف أحوال إلى الموجودات أعمّ من أن تكون ذهنية أو خارجية فهو منها، فإن قيل هذا مبنيٌ على ثبوت الوجود الذهني وفيه الخلاف المشهور بين الحكماء والمتكلمين.

قلت: التحقيق: إثباته كما قُرر في موضعه وهو من أقسام العلم الإلهي الأصلية عند الفلاسفة كالرياضي والطبيعي وغير ذلك، وبعض الناس يحرّمه كأكثر المحدثين.

وقال أبو حامد الغزالي: من لم يعرف النطق لا يوثق بعلمه.

قلت: وشاهد قوله ضرورة الاحتياج إليه في أكثر أصول الفقه.

وفي التفسير: فإن الشيخ أبا عبد الله السيوري الحلي الإمامي ذكر في كنز العرفان عند قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2] فإن قيل: قد يتزوّج الرجل فلا يستغني[3].

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

(٢) سورة النور: الآية ٣٢.

(٣) كنز العرفان في فقه القرآن.

قلت: هي قضية مهملة، والمهملة في قوّة الجزئية، أي بعض المتزوجين يستغني.

قلت: وهذا مما يفحم الملحد المعترض كتاب الله تعالى، وما توقف الواجب عليه وجب كوجوبه، وقد جاء في الحديث: «طلب العلم فريضة» أي علم الشرع وهذا منه.

قلت: لو قيل في الآية الكريمة إن المراد فقراء إلى النكاح يغنهم الله به لكان وجهاً ما لم يرد بالأول نقلاً عن المعصوم، لأن القرآن توقيفي وليس كلما هو من علوم الفلاسفة يحرم، وإلاّ لزم تحريم النظر في الطب والحساب، واللازم باطل، فيبطل الملزوم، ودليل بطلان اللازم من النقل أنه جاء في الحديث الحث على طلب العلم، ومن ذلك العلم علمان: علم أبدان وعلم أديان وغير ذلك، ولولا الحساب ما عرف تقدير الخراج و«كيفية مساحة الأرض ولا تحقيق المناسخة في المواريث، ولو جهل ذلك ظُلمت الرعيّة وخربت الدنيا وأكِل مال اليتيم بغير الحق، والآية الكريمة المذكورة شرطيّة مهملة لعدم السور فيها، وسور الشرطيّة الكلية: كلما وحيثما وأينما ونحوه، كقولك: كلما كان الشيء حسّاساً فهو حيوان وقس عليه، ومثال سالبتها ليس البتة كلما كان هذا الشيء حجراً كان حيواناً أو إنساناً وقس عليه، وسور الشرطة الجزئية: قد وبعض، ومثاله قد يكون إذا كان الشيء حيواناً كان إنساناً، وسيأتي في حرف الميم عند ذكر الشيخ بهاء الدين العاملي[1] مزيد تحقيق لهذا العلم إن شاء الله تعالى.

۞ ۞ ۞

فلنعد إلى ذكر السيد شمس الدين أحمد بن الحسن المذكور، وله مؤلف سمّاه: «قلائد الجوهر في أبناء بني المطهّر»، رأيته مسوّدة، وذكر فيه جماعة من أهله وأكثرهم علماء وشعراء ورؤساء وسيرد ذكر جماعة منهم في مواضعهم من الحروف إن شاء الله تعالى.

۞ ۞ ۞

والجُرموزي: بضم الجيم وإسكان الراء وبعد الميم المضمومة واو ثم زاي، نسبة إلى بني جُرموز، بطن من بني الحارث بن كعب لهم بلد قريب من صنعاء عرفت بهم، ولعل أحد أدباء هؤلاء السادة سكنها فنسبوا إليها، والله أعلم.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

[١٣]

السيد شمس الدين، أبو الحسن، أحمد بن الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشلّ بن قاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن المنصور بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسّي الملقب طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ، الحسني الصنعاني المولد(*).

فاضل صاغ من فكرته لعقائل الأدب عقيانا، وحلّى سيفه بمثله في الوغى إذا طار الكماة إليها زرافات ووحدانا، وزاحم بسنان رمحه السماك الرامح، وكان للموالي سعد السعود وللمعادي سعد الذابح، وله شعر يخبو عندهُ «سقط الزند»، ويعجز البليغ فيعترف «بمعجز أحمد»، وكان رئيساً وفيه شهامة، وله ذكاء وفروسية وبصر بالخيل والسلاح، ذا معرفة بالأدب مع حسن الخلق وجميل المعاشرة، وشعره ميمون الغرّة، مصقول الطرّة، وتنقلت به الحال وما ساعفته الآمال، وشكى من الدهر إلى غير قاسط، وما زال الدهر يعاند الفاضل لأنه ساقط، وأكثر ما سمع له من الشعر في شكاية الأيام، وهذا وما قاسىٰ ما قاسىٰ غيره في هذه الأعوام، وما يروى له من الشعر إلآ قليل، واللمحة تدل على ضوء القنديل، لأن الدهر عاجله وبرد شبابه قشيب، وغصن شبابه رطيب، أنشدني بعض من كان يصحبه له يسمّط هذه الأبيات وهي من شعر الشريف الرضي(١):

صاح باب الجود أضحى مرتجى ... فاقتصد إن كنت من أهل الحجا
أهل هذا الدهر في الحلق شجا ... (صُوَرٌ رَائِعَةٌ لا تُرْتَجَى
نفعها مثل تهاويل النمطْ)
فخذ النصح ولا تعبأ بهم ... عن صدوق ممن اختص بهم

(*) ترجمته في: طيب السمر ـ خ ـ، بغية المريد ـ خ ـ، نشر العرف ١/ ١٢٢ ـ ١٢٤.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٤.

أصبح الأعيان من أكذبهم (شمخوا مذ حلّق الجدّ بهم،
غلط الدهر، وكم يبقى الغلط)

فكثير الرفد ذو شحٍ به ينهر السائل عن مطلبه
عن ظلام البخل في غيهبه (أهملوا العرض على علم به،
ورعوا مما رعى المال فقط)

إن يكن في الناس شرّ سَرَّهم أظهر الله تعالى سِرَّهم
وكفى الخلق جميعاً شرّهم (كسل الأيام عنهم غرّهم،
ربّما جاء زمان قد نشط)

سَوِّدِ الصُحفَ وخُضْ في سَبِّهم واطّرحهم واسترح عن قربهم
إنما أوقعني في سربهم (طمع ورّطني في حبّهم،
ويصاد الطير من حيث لقط)

غرّني برق خيال بالمنى والأماني قبل عنوان العنا
لا تلم قط فلاناً فأنا (كنت أرجوهم ثماراً تجتنى،
فهم اليوم قتاد يخترط)

هكذا العمر تقضّى وبذا قطعوا الأكباد منا فلذا
غير إنّا قد عرفنا فلذا (نسخط الشيء ونرضاه، إذا
لم نَرَ العتبى على طول السخط)

وفتاة لي بذات الأبرق طوّلت لومي وشبّت حرقي
قلت خلّي اللوم فيهم وافرقي (عجبت إذ صار شغباً منطقي،
كل ذي حلم إذا ضيم، لغط)

إن دهري جاهل يرفضني لو بدا فضلي له يرفعني
ولكم من قارض يقرضني (وإذا فتشت ما يمرضني
من ممض الداء قال الحلم: غطّ)[1]

---

(١) أصل التخميس في ديوان الشريف الرضي ١/٥٩٣ ـ ٥٩٥.

أجاد أجاد.

ومن شعره:

ثــلاثـــة مـــن يــكـــنَّ فـــيـــه أســـعـــده الله إن أطـــاعـــه
ونـــالـــه كـــل مـــا تـــرجّـــى ألـصـبـر والـصـدق والـقـنـاعـة[1]

وكان أقام بالحصين بحضرة المتوكل أياماً حتى ملَّ وضجر فقال:

مـــا فـــي الـــدنـــى مـــن مـــؤنـــس غـــيـــر الـــلـــطـــيـف مـــن الـــكـــتـــبْ
فـــكـــمـــصـــحـــف أنـــا بـــالـــحـــصـــيـــن وكـــل مـــن فـــيـــه جُـــنُـــبْ[2]

وفيه تشكٍّ لطيف من جفاء الأخوان وذمٌّ لهم لأن الجُنُب نَجَس حُكماً، وما أحسن ما جاء في الجُنب في قول نصر الدين الحمامي[3]:

لـــي مـــنـــزل مـــعـــروفـــة تـــنـــهـــل غـــيـــثـــاً كـــالـــســـحـــبْ
أقـــبـــل ذا الـــعـــذر بـــهـــا وأكـــرم الـــجـــار الـــجـــنـــبْ

ويصلح أن يكون ألغازاً في الحمّام والجنب في قوله تعالى: ﴿والجار الجنب﴾[4] بمعنى الأجنبي، به تمّت التورية للنصير، وقد ألَمَّ السيد أبو الحسن رحمه الله تعالى في بيته بقول القاضي عبد الوهاب التغلبي[5] البغدادي المالكي[6]

---

(١) نشر العرف ١/ ١٢٢.

(٢) ن.م.

(٣) هو نصير الدين بن أحمد بن علي المناوي المصري الحمامي. ولد سنة ٦٦٩هـ. كان أديباً كيساً وشاعراً مجيداً مع عاميته، وكان يرتزق بضمان الحمامات. بينه وبين السراج الوراق، وابن النقيب، وابن دانيال وغيرهم من المصريين مداعبات ومكاتبات. توفي سنة ٧٠٨هـ.
ترجمته في: الدرر الكامنة ٥/١٦٦، وفوات الوفيات ٢/ ٦٠٤، أنوار الربيع ٥/هـ ٢٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٥) في بعض المصادر: «الثعلبي» وقد أوردته في ترجمته.

(٦) هو أبو محمد القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي ولد ببغداد سنة ٣٦٢هـ. كان فقيهاً أديباً شاعراً حسن العبارة. تولى القضاء ببادرايا وباكسايا. خرج في أواخر أيامه إلى مصر، وفي مروره بمعرة النعمان نزل ضيفاً على أبي العلاء المعري، ولما وصل مصر لم تطل بها أيامه فتوفي سنة ٤٢٢هـ. من آثاره: عيون المسائل، والنصرة لمذهب مالك، والأدلة في مسائل الخلاف.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٢، النجوم الزاهرة ٤/ ٣٧٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٢٣، تاريخ بغداد ١١/ ٣١، فوات الوفيات ٢/ ٤٤، أنوار الربيع ٢/هـ ٢٦٤.

لما نَبت به بغداد كما نَبت البصرة بالنضر بن شميل[١]:

بـغـداد دارٌ لأهـل الـمـال طـيـبـة ... ولـلـمـفـالـيـس دار الـهَـمّ والـضِّـيـق
ظـلـلـت أمـشـي ذلـيـلاً فـي أزقّـتـهـا ... كـأنـنـي مـصـحـفٌ فـي بـيـت زنـديـقِ[٢]

وقال سراج الدين عمر بن محمد الورّاق[٣] في الوحدة:

أفـردتـنـي الأيـام عـن كـل خـدنٍ ... وأنـيـس وصـاحـب وصـديـقِ
فـلـو آتـي مـشـيـت فـي شـهـر آبٍ ... لأبـى الـظـلّ أن يـكـون رفـيـقـي

إنما اختصَّ من بين الشهور الرومية لأن يكون قصير الظل في وسط النهار بخلاف الخريف وأوائل الشتاء، فإنه يمتد إلى اقدام كثيرة وقت الزوال ولأنه يكون شامساً ضاحياً في غير الهند واليمن وبلاد السودان لعلّه ذكرت في علم الجغرافيا.

وقال الشريف أبو الحسين الرضي[٤] في معنى قول القاضي عبد الوهاب[٥]:

مـالـيَ لا أرْغَـبُ عَـنْ بَـلْـدَةٍ ... يُـكْـثِـرُ فِـيـهـا الـدَّهْـر حُـسّـادي

---

(١) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان) سنة ١٢٢هـ، وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة ١٢٨) وأصله منها، فأقام زمناً. وعاد إلى مرو فولي قضاءها. واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. وتوفي بمرو سنة ٢٠٣هـ. من كتبه «الصفات» كبير، في صفات الإنسان والبيوت والجبال والإبل والغنم والطير والكواكب والزروع؛ و «كتاب السلاح» و «المعاني» و «غريب الحديث» و «الأنواء».

ترجمته في وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٧ ـ ٤٠٥، والأنباري ١١٠ وابن الوردي ١: ٢١٥ وطبقات النحويين للزبيدي ٥٣ ـ ٦٠ والجمع ٥٣٠ وغاية النهاية ٢: ٣٤١ والمزهر ٢: ٢٣٢ وجمهرة الأنساب ٢٠٠ وفيه اسم جده «خرشب» تحريف «خرشة»: وفي وفاته رواية ثانية «سنة ٢٠٤»، وفي مراتب النحويين ٦٦: «هو من أهل مرو. وزعموا أنه كان من أهل البصرة، فانتقل إلى مرو» وأنظر ابن النديم، طبعة فلوجل ٥٢ وفيه ٤١ أن «خط» النضر كان موجوداً وفقد. و:Brock. S. I: 161 والفلاكة والمفلوكون ٦٤، الاعلام ط ٤/ ٨/ ٣٣.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢١.

(٣) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٤٤

(٥) مرت ترجمته بهامش سابق.

مـا الـرّزْقُ فـي الـكَـرْخِ مُـقـيـمـاً، وَلا طَـوْقُ الـعُـلَـى فـي جِـيـدِ بَـغْـدَادِ[1]

وقال إبراهيم الغزي[2]:

مالي والمكث في الزوراء تجحف بي من ألقح العجز لم يفرح بما نتجا
قلبي أظن هو المعدي لساكنها بنار لوعتها لما اتقى ورجا
فالبدر محترقان والهجير بها[3] يساعد الهجر فيما يسبك المهجا

وخالفهم الفكيك لماكره ارتحاله منها فقال:

لهفي على بغداد من بلدة كانت من الأسقام لي جُنَّهْ
كأنني عند فراقي لها آدم لما فارق الجنّةْ

وقال أبو العلاء[4] في قصيدته إلى أبي علي التنوخي[5] وسنوردها إن شاء الله تعالى:

بنت الزمان حبالى من حبالكم اعزز عليّ بكون الوصل مبتوتا
ذم الوليد ولم أذمم جواركم فقال ما أنصفت بغداذ حوشيتا

والحق إن بغداذ حاضرة الدنيا وسواها بالنسبة إليها بادية، ولهذا قال الصاحب لمّا سأله ابن العميد[6] عنها وقد اجتهد الصاحب في تعظيمه على عادته

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١/ ٢٩٥.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي نسبة إلى غزة هاشم، وبها ولد سنة ٤٤١هـ دخل دمشق سنة ٤٨١هـ ثم انتقل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية مدة طويلة، ثم رحل إلى خراسان وتنقل في أصفهان وكرمان وفارس وخوزستان، فلاقى شعره رواجاً. كانت له صلة مودة بالطغرائي صاحب لأمية العجم. أورد العماد الاصفهاني في خريدة القصر طائفة كبيرة من شعره. توفي سنة ٥٢٤ ودفن ببلخ. له ديوان شعر اختاره بنفسه.
ترجمته في: خريدة القصر ـ قسم الشام ـ ١/ ٣ ـ ٧٥، وشذرات الذهب ٤/ ٦٧ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٦ ووفيات الأعيان ١/ ٤١ والكنى والألقاب ٢/ ٤٦٠، واسمه في المصدرين الأخيرين (إبراهيم بن يحيى بن عثمان)، أنوار الربيع ١/هـ ١٥١.

(٣) كذا في الاصل.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

(٦) هو الجاحظ الثاني، أبو الفضل محمد بن الحسين، المعروف بابن العميد. فيلسوف منجم كاتب شاعر. كان وزيراً لركن الدولة البويهي، جليل القدر حسن السياسة، خبيراً بتدبير الملك. قال الثعالبي: بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. قصده جماعة من الشعراء منهم المتنبي =

في البلاغة: بغداذ في البلاد كالأستاذ في العباد، وأنشد:

أفاضل الدنيا وإن برّزوا لم يبلغوا مرتبة استاذها
أما ترى أمصارها خمسة ولا ترى مصراً كبغداذها

وإقليمها أفضل الأقاليم، وكانت مصب أحوال الدنيا ومنصّة خلفائها، نعم لكل بلد أناس يرزقون فيها لتمضي إرادة الله تعالى في عمارة أرضه بخلقه.

وأخرج الخطيب أبو بكر بن ثابت البغدادي في تأريخ بغداد عن النبي ﷺ: «العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فأيّما وجدت الخير فأقم واتقّ الله».

وقال نور الدين الأشغردي[1] في كثرة التنقلات:

أقول لقلبي حين جدَّ به الأسى لك الله من قلب صبور على الوجدِ
أفي حلب جسمي وقلبي بجلّقٍ وصحبي ببغداذٍ وأهلي بأشغردِ

وقال القاضي عبد الوهاب أيضاً:

أطال بين الديار ترحالي قصور مالي وطول آمالي
إن بتُّ في بلدة مشيت إلى أخرى فما تستقر أجمالي
كأنني فكرة الموسوس ما تبقى مدى ساعة على حالِ

وقال أبو الحسين الجزّار[2]:

والأرض قد ثَقُلت عليها وطأتي إذ عمّها الأدبار والأقبالُ
حتى مَ أمسحها فلولا أنَّ لي عينين قال الناس ذا الدجالُ

= فمدحوه باسنى المدائح. ألف أبو حيان التوحيدي كتابه (مثالب الوزيرين) فيه وفي الصاحب ابن عباد، ضمنه معائب هما براء منها، قال ابن خلكان: وهذا الكتاب من الكتب المحذورة (أي شؤم)، ما ملكه أحد إلا وانعكست أحواله، ولقد جربته وجربه غيري. توفي سنة ٣٦٠هـ بعد أن عاش نيفاً وستين سنة.

ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/ ١٥٤، وفيات الأعيان ٤/ ١٨٩، الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٧، معاهد التنصيص ١/ ١٧٤، تجارب الأمم ٢/ ١٧١، الكنى والألقاب ١/ ٣٥٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/ ١٦١، أمل الآمل ٢/ ٢٦٧، أنوار الربيع ١/هـ ٢٥٦.

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وما أحسن قول أبي تمّام[1] من قصيدة:

تعجب إن رأى جسمي نحيلاً ... كأن المجد يُدرك بالصراعِ
أخو العزمات من يضحي ويمسي ... أخا سفرٍ إلى حالٍ وساعِ
وليست فرحة الأوبات إلاّ ... لموقوفٍ على ترح الوداعِ[2]

وفي أمثال العرب: «كلب جوّال خير من أسد رابض»، وقولهم: «من غلى دماغه صائفاً غلت قدره شاتياً».

والأشعار في هذا الباب كثيرة، والاختصار مراد، نعم، ذكرت هنا بيتين رأيت أن أختم بهما الباب. وفي ذهني إنهما لإبراهيم الغزي[3]:

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع ... فقلت: ولكن موضع الرزق ضيّقُ
إذا لم يكن في الأرض حُرٌّ يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين أرزقُ؟

وما أشبه هذين البيتين بحال زماننا هذا، والله هو الرزّاق ذو القوّة المتين.

❀ ❀ ❀

وكان القاضي عبد الوهاب[4] أديباً عالماً فاضلاً، وذكره ابن خلكان في تأريخه وأثنى على فضائله، ومما أورد من شعره هذه الأبيات التي هي أشهى من السلاف، ومن الهيف في الأعطاف:

ونائمة قَبَّلتُها فتنبهت ... وَقالت: تعالَوْا فاطلبوا اللص بالحدِّ
فقلت لها: إني فدَيتكِ غاصِبٌ ... وما حكموا في غاصب بسوى الردِّ
خُذِيها وكُفّي عن أثيم ظُلامَةً ... وإن أنت لم ترضِ فألفاً على العدِّ
فقالت: قصاص يشهد العَقل أنه ... على كَبدِ الجاني ألذ من الشهدِ
فباتت يميني وهي هِمْيانُ خصرها ... وباتت يَساري وهي واسطة العقدِ[5]

هذه الأبيات واسطة عقد الشعر.

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٢) لم أعثر عليها في ديوانه.
(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٠.

ولما خرج القاضي عبد الوهاب من بغداد قاصداً مصر، اجتاز بمدينة المعرّة وبها أبو العلاء المعري، فأضافه، وأقام القاضي عنده أياماً، وأشار أبو العلاء إلى ذلك في أبيات رائية جاء منها:

والمالكيُّ ابنُ نصرٍ زارَ في سفَرٍ بلادَنا فحمدنا النأيَ والسَّفَرا
إذا تَحدَّثَ أحيى مالكاً جَدَلاً وينشر الملك الضلّيل إن شَعَرا[1]

❀ ❀ ❀

الملك الضليل: امرؤ القيس، سمّته العرب الضلّيل لأنه مات في الغربة ببلاد الروم منفرداً، ومن معاني الضلال: الانفراد.

وذكر الإمام الفاضل الشيخ بهاء الدين العاملي[2] في «شرح الأربعينية» التي خرَّجها من حديث أهل البيت عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[3] أي منفرداً بالحنيفية فأرشدك للدعاء إليها، أو فهدىٰ بك، لأن القول بعصمة الأنبياء والأئمة من الكبيرة والصغيرة في مذهب الشيعة مشهور.

وكان من خبر امرئ القيس: إن أباه حجراً كان ملكاً على بني أسد بن خزيمة فقتلوه، وكان حجر قد طرد امرئ القيس لشغله بالخمر والتغزّل فبلغه خبر قتله وهو يشرب وبيده كأس فشربها وقال: طردني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لأصحوا اليوم ولأسكر غداً، ولما أفاق حلف أن لا يمسّ الماء رأسه من جنابة حتى يأخذ بثأره، فأكثر غزوهم وقال في ذلك:

والله لا يذهبُ شيخي باطلا
حتى أبيد مالكاً وكاهلا
ألقاتلين الملك الحلاحلا
خير معدّ حسباً ونائلا

ثم عزم على قصد قيصر يستنجده عليهم فأنجده بجيش فسار يؤم بلاد

(١) الوفيات ٣/ ٢٢٠.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.
(٣) سورة الضحى: الآية ٧.

العرب، وكان عند قيصر رجل من بني أسد اسمه الطمّاح فخاف أن يستأصل قومه بجيش الروم فتوصّل حتى اجتمع بقيصر وقال: أيها الملك إن امرئ القيس رجل عاهر شاعر وإنه زعم أن ابنتك كانت تواصله وهو قائل فيها الأشعار، إن وصل إلى بلاده فيفضحك، فبعث إليه قيصر بحلّة مسمومة زعم إنها من ملابسه وكتب إليه أنه أراد تشريفه بها وأنه يلبسها، فلما وصلت إليه لبسها فتناثر لحمه، وقال وهو يجود بنفسه:

لقد طمح الطمّاح من بعد أرضه ... ليلبسني من دائه ما تلبّسا

ومن شعره وهو وافد إلى الروم يخاطب رفيقه:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دوننا ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

صاحب امرئ القيس المذكور وهو عمرو بن قمئة[1]، وكان خراش بن إسماعيل يقول: أن أولية بكر بن وائل كانوا يحلفون إن عامة شعر امرؤ القيس لعمرو بن قمئة وأنه كان يصحب امرئ القيس فغلب على شعره.

وحكى أبو عبيدة، معمر بن المثنى قال: كان امرؤ القيس بن حام الكلبي يصحب امرئ القيس بن حجر الكندي وقد أجمع أهل العلم بالشعر على أنه أول من بكى الديار، وآثر الآثار، أعني ابن حجر، وإذا تصفحت شعره استدللت على بطلان هذا الإجماع، ألا ترى إلى قوله:

عوجا على الطلل المحيل لعلّنا ... نبكي الديار كما بكى ابن حمام

وقال ابن الكلبي: إذا سئل علماء كلب عما وصف به ابن حمام، الديار

---

(١) عمرو بن قمئة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري: شاعر جاهلي مقدم. ولد نحو ١٨٠ق.هـ نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، وصحب حجراً (أبا امرىء القيس الشاعر) وخرج مع امرىء القيس في توجهه إلى قيصر، فمات في الطريق سنة ٨٥ق.هـ، فكان يقال له «الضائع» وكان واسع الخيال في شعره، له «ديوان شعر ـ ط».

ترجمته في:

الأغاني ١٨/٤٣، ١ ـ ١٥٠ والآمدي ١٦٨، والشعر والشعراء ١٤١، واللباب ٢: ٦٨، وابن سلام ٣٧، والمرزباني ٢٠٠، والبغدادي ٢: ٢٤٩، والتبريزي ٣: ٨٠، ومعجم المطبوعات ٢١٩، الاعلام ط ٤/٥/٨٣.

أنشدوا أبياتاً من «قفا نبك» وذكروا أن امرؤ القيس انتحلها فسارت له، وخمل ابن حمام.

قلت: ذكرت كلام أبي عبيدة والكلبي لغرابته، والله أعلم.

وقبره عند عسيب، جبل من دروب الروم، وأشار إليه بقوله:

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ ... وإني مقيم ما أقام عسيبُ

وقيل: إن الجيش ملّه وكره الخروج إلى بلاد العرب وهي موحشة جديبة، وتذكروا ريف بلادهم، فسمّوه.

ولأبي الحسن أحمد بن الحسين أشعار كثيرة، وما استحضرت هنا غير ما ذكرته.

❀ ❀ ❀

والحُصَين، بضم الحاء والصاد المهملتين، وإسكان الياء المثناة من تحت وآخره نون: بلد باليمن لها حصين مشهور نزلها المتوكل بن المنصور أيام إمامته وبها مات.

والروم: مملكة مشهورة عظيمة بالإقليم الخامس. والله أعلم.

[١٤]

السيد شمس الدين، أبو محمد، أحمد بن الحسن بن حميد الدين بن المطهّر بن الإمام شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى الحسني اليمني الكوكباني، الصنعاني الوفاة(*).

فاضل يستصبح الفضل بأنواره، ويعشو الحائر في الفضائل إلى ناره، فيجد خير نار عندها خير موقد للأذهان، وواحد الأدباء الذي ما اختلف في تحقيقه

(*) أحمد بن الحسن بن حميد الدين بن المطهر بن الإمام شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى المرتضى بن المفضل بن المنصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضل بن الحجاج بن عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق... وتمام النسب بهامش الترجمة رقم ١٢.

ترجمته في: البدر الطالع ١/ ٤٥ ـ ٤٧، نفحة الريحانة ٣/ ٣٣١ ـ ٣٥٢، وفيه «أحمد بن الحسين» مطلع البدور ـ مخطوطة زبارة ١/ ١٢٨ ـ ١٤٦، طيب السحر ـ خ ـ ديوان الهبل/ أعلام الديوان ٦٠٩ ـ ٦١٠.

إثنان، الذي أحسن في ترصيع يتايم الشعر وتزيينهن صنعاً، ووشّى برود القريض فأرانا برود صنعاء.

وأخذ العلم عن القاضي عبد الرحمن الحيمي المحدّث، ورأيت في كتابه «ترويح المشوق»[1] أنه أجاز له رواية أمهات الحديث الست من طريق شيخ القاضي محمد بن غلاب المكّي، والأمهات الست عند العامة صحيحا البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود ومسند الإمام أحمد بن حنبل والمستدرك على الصحيحين. وذكر أنه أجاز له شرح الرضي الغروي على الكافية في النحو. وكان القاضي عبد الرحمن أشعري المعتقد على مذهب أهل الحديث، وحبسه الإمام المؤيد بالله لذلك، وكان لتلميذه المذكور مذهب يقاربه.

وذكر في كتابه المذكور: أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام ثلاث مرات، ورأى كأنه سأله عمّا تقوله الشيعة من تقديم علي عليه السلام ففهم من جوابه أنه لا معنى لذلك، وإنّما أجرينا ذكره هنا مجرى صالحية الزيدية لأنه معدود منهم، وقد ذكره بعض مؤلفيهم في كتابه.

وذكر الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري في الرسالة: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسن الساوي يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: بلغني أن سفيان الثوري قال: أعزّ الخلق خمسة أنفس: عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغني متواضع، وفقير شاكر، وشريف سُنّي[2].

وذكر العلماء: أنَّ من رأى النبي ﷺ وخيّل له أنه أمره بما يخالف شريعته فإنه يحرم عليه العمل بما رأى، لأنه ربّما أنسي أو لم يتحقق الأمر.

وأئمة التعبير شرطوا شروطاً في صحة التعبير منها: أن لا يكون ما رآه في نفسه فإن كثيراً ما يجول الشيء في الخاطر فتخيله المخيّلة في المنام، فقد حُكيَ: إن بعض الملوك كانت له درّة يتيمة لم يُرَ أحسن منها، فاحتال بعض ندمائه في أخذها، فجاء إلى الملك فقال: أتاني آتٍ في المنام وقال: إذهب إلى الملك وقل له: يعطيك الدرّة بآية أني آتيه في الليلة الآتية وإن لم يفعل انفتق عليه في

---

(١) تمام اسمه في البدر الطالع ١/ ٤٥: «في تلويح البروق»، نسخة منه بخط علي بن محمد الأنسي، قياسها ٣٤× ٢٤سم ٣١٦ ص، محفوظة في مصلحة الآثار العامة بصنعاء ـ اليمن.

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

المملكة ما لا يتلافاه، فلما جلس الملك دخل عليه المحتال وقصّ عليه القصّة، وجعل يؤكد عليه، فاهتمَّ الملك لذلك، وبات يترقب الآتي فخيّل له في المنام ذلك، فلما أصبح وهب له الدرّة، وقال: صدقت، قالوا: وأصدقها ما كان في زمن الربيع لأنه وقت نموّ النبات، وأكذبها ما كان في زمن الخريف لأنه زمان تساقط الأوراق، وإذا لم يُقصّ لم يقع.

وفي الحديث الشريف المتجلّي بالتورية: «لا يزال المنام طائراً حتى يقصّ، فإذا قصّ وقع».

وقال الرئيس أبو علي بن سينا: علم التعبير أقسام الطبيعي الفرعية، والغرض فيه الاستدلال من المتخيّلات الحلمية على ما شاهدته النفس من عالم الغيب، فحيلته القوّة المخيلة بمثال غيره.

قلت: وموضع القوّة المخيلة مقدّم الدماغ، وفي الغالب إن الرؤيا بالخير تخلف، وبالشرّ تقع، والسرّ في ذلك أن الدنيا دار محنة وأكثر ما يقع ما يليق بها.

وقال أبو العلاء المعرّي[1]:

إلى الله أشكو إنني كل ليلة ... إذا نمت لم أعدم خواطر أوهامِ
فإن كان شرّاً فهو لا بد واقع ... وإن كان خيراً فهو أضغاث أحلامِ

ومثله قول الأحنف العكبري[2] مع المبالغة:

وأحلم في المنام بكل خير ... فأصبح لا أراه ولا يراني
ولو أبصرت شرّاً في منامي ... أتاني الشرّ من قبل الأذانِ

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

(٢) عقيل بن محمد العكبري، أبو الحسن، الملقب بالأحنف: شاعر أديب، من أهل عكبرا اشتهر ببغداد. قال ابن الجوزي: روى عنه أبو علي ابن شهاب «ديوان شعره». ووصفه الثعالبي بشاعر المكدين وظريفهم. وقال الصاحب ابن عاد: هو فرد «بني ساسان» اليوم بمدينة السلام. وكثير من شعره في وصف القلة والذلة يتفنن في معانيهما ويفاخر بهما ذوي المال والجاه، توفي سنة ٣٨٥هـ.

ترجمته في:

المنتظم ٧: ١٨٥ ويتيمة الدهر ٢: ٢٨٥، الاعلام ط ٤/٤/٢٤٣.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: إن المؤمل بن أميل الكوفي[1] الشاعر لمّا قال:

شف المؤمّلَ يوم الخيرة[2] النظرُ   ليت المؤمّلَ لم يُخلق له بَصَرُ

أتاه آتٍ في منامه فأدخل يده في عينيه، وقال: هذا ما تمنّيت فأصبح أعمى[3].

قيل: إن الإمام المستنجد بالله العباسي رأى في منامه قبل أن يلي الخلافة، إن ملكاً نزل من السماء فكتب على كفّه ثلاث خاءات فقصّها على بعض المعبّر بن فقال: تتولّى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك.

قال القاضي المكين أبو الطاهر إسماعيل بن سلامة، قال لي الحافظ لدين الله يوماً: يا قاضي أبا الطاهر، قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين، قال: أحدثك بحديث عجيب!، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: لما جرى عليّ ما جرى من أبي علي بن الأفضل، بينا أنا في الموضع الذي كنت معتقلاً فيه، رأيت كأني قد جلست مجلساً من مجالس القصر أعرفه، وكأن الخلافة قد أُعيدت إلي، وكأن المغنّيات دخلن يهنّينني ويغنين بين يدي في جملتهن جاريتي جهة يسان الحافظية فأخَذَت عودها وأنشأت تغني قول أبي العتاهية[4]:

---

(١) المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي: شاعر من أهل الكوفة، أدرك العصر الأموي، واشتهر في العصر العباسي، وكان فيه من رجال الجيش، وانقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها، توفي نحو ١٩٠هـ، وهو صاحب الأبيات التي أولها:

«إذا مرضنا أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم فنعتذر!»

عمي في أواخر عمره.

ترجمته في: معجم البلدان ١٩/٢٠١ ـ ٢٠٤، ونكت الهميان ٢٩٩، وسمط اللآلي ٥٢٤، وتاريخ بغداد ١٣: ١٧٧، وخزانة الأدب للبغدادي ٣: ٥٢٣، والمرزباني ٣٨٤، والنويري ٣: ٨٨، والأغاني ٢٢/٢٤٧ ـ ٢٥٤، الاعلام ط ٤/٧/٣٣٤.

(٢) في الأغاني: «الحيرة».

(٣) الأغاني ٢٢/٢٤٧.

(٤) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء، وقيل عنزي نسباً وولاء، الملقب بأبي العتاهية. ولد بعين التمر سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣١ ونشأ بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد. كان له اتصال بالبلاط العباسي. وكان شاعراً مجيداً مكثراً، وهو أحد الثلاثة المكثرين المجودين ـ هو والسيد الحميري وبشار ـ حتى قيل: يكاد يكون كل كلامه شعراً. رماه خصومه وحساده بالفسق والزندقة، وكانت مثل هذه التهم رائجة في زمانه. كل شعره في السنين الأخيرة من حياته في =

أَتَتْهُ الخلافة منقادة إليه تجرّرُ أذيالها
فلم تك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح إلاّ لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

وكأنّي قمت إلى خُزانة في المجلس أخذت منها حقة فيها جوهر، فملأت منه فمها، ثم استيقظت، فوالله يا قاضي ما كان إلاّ يومان حتى كُسِر عليَّ الحبس، لما قتل أبو علي بن الأفضل، فقيل لي: السلام على أمير المؤمنين، فلما أخرجت أقمت أياماً ثم جلست في ذلك المجلس الذي رأيته في النوم، وأُدخلت الجواري يغنينني فغنت جاريتي ذلك الصوت بعينه، فقلت لها: على رسلك حتى نقضي نحن أيضاً من حقّك ما يجب علينا، وقمت إلى الخزانة فأخذت الحق الذي فيه الجوهر، ثم جئت إليها. فقلت: افتحي فاك ففتحه وحشوته جوهراً، وقلت لها: لك علينا في كل سنة مثل هذا اليوم[1].

قلت: كان أبو علي بن الأفضل أمير الجيوش إمامياً، ولما تولّى الوزارة للحافظ استبدّ بالأمر ودعا في الخطبة لصاحب الزمان القائم عليه السلام وكتب على أحد وجهي السكّة: الله الصمد، وعلى الوجه الآخر: الإمام محمد، ثم اعتقل الحافظ المذكور وجعل قضاة الإسماعيلية قضاة إمامية، ثم إن صبيان الخاص إحدى طوائف الجيوش وثبوا عليه فقتلوه، وكان قد قتل منهم أيام وزارته، وأخرجوا الحافظ وأعادوه إلى الخلافة.

وذكر المقريزي: إن الأفضل أمير الجيوش كان له أخ يلقب بالمظفر، وله غلام أرمني اسمه دُرّي، ويلقب شهاب الدولة، أسلم وصار من المتشدّدين في مذهب الإمامية، وقرأ الجمل في النحو لابن جنّي، وكانت له خرائط من القطن

= الزهد والوعظ والحكم والأمثال.

توفي ببغداد سنة ٢١١ على أصح الروايات. له ديوان شعر حققه شكري فيصل وعمل له تكملة، وطبعته جامعة دمشق سنة ١٩٦٥م.

ترجمته في: الأغاني ٤/٣ ـ ١١٨، أعيان الشيعة ١٢/٤٨، الشعر والشعراء/ ٦٧٥، طبقات ابن المعتز/٢٢٨، معاهد التنصيص ١/ ٢٣٧، روضات الجنات/١٠٢، شذرات الذهب ٢/ ٢٥، الكنى والألقاب ١/ ١١٨، وفيات الأعيان ١/ ١٩٨، تاريخ بغداد ٦/ ٢٥٠، الموشح/ ٣٩٥، أنوار الربيع ٢/ هـ ٩٦.

(١) الخطط المقريزية.

الأبيض يعملها في يديه ورجليه، وكان يتولّى خزائن الكسوات، ولا يدخل على بسط السلاطين ولا بسط الخليفة الحافظ لدين الله إذا دخل مجلسه إلاّ بالخرائط في رجليه، ولا يأخذ أحد مرقعة إلا وفي يده خريطة يظن أن من لمسه نجسّه، وسوسةٌ منه، ثم أن اتفق أنه صافح أحداً أو يمسك رقعة بيده من غير خريطة لا يمسّ ثوبه ولا بدنه حتى يغسلها، فإن مسّ ثوبه غسل الثوب، وكان الأستاذون يعبثون به ويرمون في بساط الخليفة الحافظ العنب، فإذا مشى عليه وانفجر ووصل ماؤه إلى رجليه سبّهم وجرد، فيضحك الخليفة ولا يؤاخذه.

واتفق أن الوزير رضوان بن وَلْخَشِي عمل مرة دواة مرصّعة وحلّاها بألف دينار، فدخل عليه شهاب الدولة دُرّي الصغير المذكور وقد احضرت الدواة المذكورة فقال له: يا مولانا أحسن ما مُدَّ من هذه الدواة ووقع على هذه فيكون زكاتها إذ لله فيها رضًى ولرسوله، وناوله رقعة الشريف القاضي سناء الملك أسعد الجواني النحوي يطلب فيها راتباً لابنه الشريف أبي عبد الله محمد في الشهر ثلاثة دنانير فوقّع عليها، فلما كان في الليل رأى في نومه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة وهو يقول: جزاك الله خيراً على فعلك اليوم[1].

وقال أشعب لأمّه يوماً: إني رأيت في المنام إنك مطليّة بعسل، وأنا مطلي بعذرة، فقالت له: يا فاسق هذا عملك الخبيث أراكه الله في النوم، قال لها: فإن في الرؤيا زيادة، قالت: وما هي؟ قال: رأيت أني ألعقك وأنت تلعقيني، قالت: عليك لعنة الله يا فاسق.

قلت: ورؤيا المذكور من هذا الطراز الأخير.

❀ ❀ ❀

وكتابه «ترويح المشوق» لا بأس به، وذكر فيه جماعة كاتبهم وهم: القاضي محمد بن إبراهيم السحولي ـ الآتي ذكره[2] ـ، والخواجة محمد بن لطف الله الشيرازي، والسيد أحمد بن محمد الأنسي[3]، واستطرد فيه أشعار جماعة، وهو

---

(١) الخطط المقريزية.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٢.

مختصر، وله فيه قصائد مدح بها رسول الله ﷺ ونقلت منها:

أسائل عن ريم القصور وحاله ... نسيم الصبا الساري بنشر دلاله
وأسأل عن حال الحمى هل تفاوحت ... نسائمه في الملتوى من رماله
رعى الله ذاك السفح والعصر والهوى ... وما بين ضال المنحنى وظلاله
وبي وأبي لدن المعاطف ليته ... تعطف لي في هجره من مطاله
غرير له طرف وثقت بسحره ... وقد أوثقتني هدبه بحباله
له سند يروي أعالي حديثه ... ولكن لضعفي لم أكن من رجاله
إذا لم يجبني الدهر فيه فإنني ... ألوذ بمولى لم أخب في سؤاله
حبيب إله العالمين ومن غدا ... لمحض وجود الكون عين كماله
نبيّ براه الله سرّاً لعلمه ... وأودعه اجلالة من جلاله
وأعلاه مقداراً فلا الوهم ينتهي ... إليه ولكن ينتهي عن مثاله
وأرفعه نصباً إلى حيث يسمع الصـ ... ـريف فبشرانا لتمييز حاله
كريم يمدّ البحر من مدّ كفّه ... فيمنى غمام الأفق نوء شماله
أيا مالكاً ما زلت أشكو إليه أن ... تجهّم كرب لم أطق لاحتماله
وأقرع باباً ليس للنجح حاجب ... عليه فيوليني جزيل نواله
دعوتك لما ضقت ذرعاً ولم أجد ... معاذاً وقلبي هائم في اختياله
أغث اعطف اسرع جد تفضّل أنِل ... أقِل أجِب اسمع اللهفان عند مقاله
فإنك ذخر العبد يا معدن الوفا ... وعدّته في حاله ومآله
وصلّى القدير الحق ما ذرّ شارق ... على أحمد الهادي الشفيع وآله

أجاد في هذا الشعر المنسجم، والعقد المنتظم، ولا سيما «رعى الله ذاك السفح والعصر والهوى» فإنه أورد حلاوة وصال القمر، وأبقى للاحقه النوى.

وما أحسن قول جمال الدين بن نباتة[1]:

تذكر مصراً والأخلاء والدهرا ... رعى الله ذاك السفح والناس والعصرا[2]

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في الديوان: «تذكرت مصراً».

وقالت جفوني للشآم ادعُ لذةً فقال لها ماضي الزمان: اهبطوا مصرا[1]

وجاء في كتاب الله تعالى أخباراً عن بني إسرائيل لما طلبوا الفوم وهي الحنطة على الصحيح، وما يكون في الأمصار من الموافق: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾[2]، ولم يرد الديار المعروفة، وإلاّ لما صرف اسمها وهو ممتنع التأنيث المعنوي والعلمية، وإنما أراد مصراً من الأمصار غير معيّن، وقيل له: أنه أرادها، وإنّما تؤنّث لسكون أوسطها كيزد وجهد والأول أولى لقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾[3] فلم يصرفها.

قلت: ويؤكد الأول أن دلوكة العجوز ملكت ديار مصر بعد هلاك فرعون ورجال القبط، وعمرت عليها جميعها الحائط المشهور بحائط العجوز لتحصينها من طروق العدوّ، وهي قبطية عدوّة لبني إسرائيل، فكيف يؤمرون بالدخول إلى مملكتها ومنها فرّوا، وكانت ساحرة مخوفة المكر.

وما أحسن ما تخلّص أبو الحسين الجزّار[4] في مدح الأمير جمال الدين موسىٰ بن يغمور بقوله:

فلست أخاف السحر من لحظاتها لأني بموسىٰ قد أمنت من السحرِ

ومعنى بيت شمس الدين المذكور في قصيدته: «فيمنىٰ غمام الأُفق نوء شماله» إن شمال رسول الله ﷺ أكرم من يمين الغمام، وفي المثل: «شمالي أكرم من يمين فلان».

وما ألطف قول الشاعر مضمناً:

قطعت شمال فتى يقول قلوتكم ويمين من قال التسلّي مذهبي

والأول استعمل يمين بمعنى يكذب مضارع مان.

---

(١) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٣) سورة يونس: الآية ٨٧.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وحكي: أن شاعراً مغفّلاً دخل على أم جعفر زبيدة بنت جعفر[1]، زوجة الرشيد، فمدحها بقوله:

أزبيدة ابنة جعفر ... طوبى لسائلك المثاب
تعطين من رجليك ما ... تعطي الأكفّ من الرغاب

فابتدره حاشيتها الصفعة، فقالت: دعوه، فما أراد الأخير لأنه سمع قولهم: شمال فلان أندى من يمين غيره، فأراده ولم يحسن الكلام، فأجازته.

قلت: رحمها الله ما كان أكرمها وأعرفها بالأدب، وليته يوجد مثلها في زماننا فيلجأ إليها القانع والمعتر.

وقال ابن الرومي[2] هجواً فيما لزم شعر هذا الشاعر المغفّل:

لخالد صاحبنا زوجة ... تستدخل الأير بكفّيها
قوّامة بالليل لكنها ... تستغفر الله برجليها

وذكر الكاتب أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني، في أخبار عليّة بنت المهدي[3] في جاريتها طُغْيانُ:

لِطُغْيانَ خُفٌّ مذْ ثلاثين حِجَّةً ... جديدٌ ولا يَبْلَى ولا يتخرّقُ
وكيف بلَى خُفّ هو الدَّهر كُلُّهُ ... على قدميها في السماء مُعَلَّقُ

---

(١) زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر: زوجة هارون الرشيد، وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن. وهي أم الأمين العباسي. اسمها «أمة العزيز» غلب عليها لقبها «زبيدة»، وإليها تنسب «عين زبيدة» في مكة: جلبت إليها الماء من أقصى وادي نعمان، شرقيّ مكة، وأقامت له الأقنية حتى أبلغته مكة تزوج بها الرشيد سنة ١٦٥هـ. ولما مات وقتل ابنها الأمين، اضطهدها رجال المأمون فكتبت إليه تشكو حالها، فعطف عليها، وجعل لها قصراً في دار الخلافة، وأقام لها الوصائف والخدم، وكانت لها ثروة واسعة، وخلفت آثاراً نافعة غير العين توفيت ببغداد سنة ٢١٦هـ.

ترجمتها في:

وفيات الأعيان ٢/ ٣١٤ ـ ٣١٦، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٣، الشريشي ٢/ ٢٢٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٣، الدر المنثور ٢١٥، الديارات ١٠١، رحلة ابن جبيرط ليدن ٢٠٨، اعلام النساء ١/ ٤٣٠، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٤٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٠٥.

(٣) مرّت ترجمتها بهامش سابق.

فما خَرَقَتْ خُفَّاً ولم تُبْلِ جَوْرَباً ... وأمّا سَرَاويلاتها فتُمَزَّقُ[1]

وكانت عليّة فاضلة أديبة شاعرة عارفة بالنغم مغنيّة محسنة.

ولزبيدة شعر يأتي إن شاء الله عند ذكر المأمون.

❀ ❀ ❀

ومن شعر السيد شمس الدين أحمد المذكور:

ألمَمْت بالروض حيّاه وحيّاكا ... فقابل الشمس بدر كان إيّاكا

وكان يحكيك غصن البان منعطفاً ... هيهات ذلك ما حاكاك من حاكا

يا شادناً فتكت فينا لواحظه ... ظلماً ومدّت لأهل الشوق أشراكا

رفقاً ولا تتعالى في المطال بنا ... يكفيك ما صنعت بالناس عيناكا

يا طرفة قد تجاوزت الحدود وقد ... أمرّها خير ما مرّت وأحلاكا

مرت لياليك بالأثل الخصيب فما ... أمرت في الناس سفّاحاً وسفّاكا

أيام يأمرك الحسن البديع بنا ... والتيه يا ساحر الألحاظ ينهاكا

يا ليت شعري وبعض الظن مأثمة ... من بالمتيّم في ذا الهجر أغراكا

أهملت دارك أعني القلب وهو إذا ... عمرته كان فيما مرَّ مرعاكا

يا ضيعة العمر للصب المشوق إذا ... ما اعتاض نور الأقاحي من ثناياكا

وصفقة الغبن إن مرّ الزمان ولم ... أبلغ رسيس فؤادي مرّة فاكا

لولاك ما سفحت عيني العقيق ولا ... لثمت ثغر عذولي حين سمّاكا

يا طيف من أنا أهواه لقد حسدت ... شهب الدياجي جنح الليل مسراكا

جبت المفاوز نحوي كي تؤرقني ... أهلاً وسهلاً لقد أبعدت مرماكا

يا طيف شرّفتني جدّدت عهد هوىً ... حيّا الحيا عهده الماضي وحيّاكا

يا بدر أفق سما قلبي لقد جعلت ... لك الجوارح أبراجاً وأفلاكا

ناديت قلبي فلبّى بالغرام كما ... لبّيت سائل دمعي حين ناداكا

لا زلت في نظرة العيش النضير بحقّ ... الطهر أحمد مولانا ومولاك

أحسن في هذه القصيدة، واستحق ملاحة هذه الخريدة، وفيها إشارات إلى قصيدة أمام شعر الأشراف، وأشعر قريش أو بني هاشم والناس على الخلاف،

---

(١) الأغاني ١٠/٢٠٥.

أبي الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي الحسين الرضي البغدادي[1]، وهي قصيدة حام حولها فرسان القريض فكبّروا عجزاً، ولم تبق لأحدهم حساً ولا تركت ركزاً، وحيث أشار السيّد إليها وتوكل في عماد أبياته عليها، تعيّن إيرادها وهي:

يا ظبية البان ترعى في خمائلها ... ليهنك اليوم أن القلب مرعاكِ
الماء عندك مبذول لشاربه ... وليس يرويك إلاّ مدمع الباكي
هبّت لنا من رياح الغور رائحة ... بعد الرقاد عرفناها بريّاكِ
ثم انثنينا إذا ما هزّنا طرب ... على الرجال تعللنا بذكراكِ
سهم أصاب وراميه بذي سلم ... من بالعراق لقد أبعدت مرماكِ
حكت لحاظك ما في الريم من ملح ... يوم النقاء وكان الفضل للحاكي
كأن طرفك يوم الجرع يخبرنا ... بما انطوى عنك من أسماء قتلاكِ
أنت النعيم لقلبي والعذاب له ... فما أمرّك في قلبي وأحلاكِ
عندي رسائل شوق لست أذكرها ... لولا الرقيب لقد بلغتها فاكِ
وعد لعينيك عندي ما وفيت به ... يا قرب ما كذّبت عيناي عيناكِ
سقى منىً وليالي الخيف ما شربت ... ماء الغمام وحيّاها وحيّاكِ
إذ يلتقي كل ذي دين وماطله ... منّي ويجتمع المشكوّ والشاكِ
لما غدا السرب يعطو بين أرحلنا ... ما كان فيه غريم القلب إلاّكِ
هامت بك العين لم تبغِ سواك به ... من أعلم العين أن القلب يهواكِ
يا حبذا نفحة مرّت بفيك بنا ... ونطفة غمست فيها ثناياكِ
وحبذا وقفة والركب مغتفل ... على ثرى وخدت فيها مطاياكِ
لو كانت اللّمة السوداء من عددي ... يوم الغميم لما أفلت أشراكِ[2]

قال الأمير السيد أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الحسن[3] في كتابه «سمط الآل»، بعد نصّ هذه العقيلة وقول الشريف فيها: «سهم أصاب»، ومن عجيب الإتفاق، ما أخبرني به الوالد السيد العلامة عز الدين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله قال: اجتمعنا نحن وجماعة من الأعيان بمنزل أخينا

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٤.

(٢) ديوان الشريف الرضي ٢/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

الحسين بن الحسن، وكان في الحاضرين، السيد الأديب يحيى بن أحمد بن المهدي المؤيدي، فجرى ذكر الخيل، وله بها غرام، وقد يصيبها بالعين لشدّة ولعه بها واستحسانه لها، فوصف حصاناً أدهماً للوالد شمس الدين أبي طالب أحمد بن المنصور بالله وكان يومئذ بصعدة، وقال في كلامه ووصفه أنه إذا جرى في أرض أثار ترابها إثارة واضحة كان يكيلها كيلاً.

قال والدي: فخطر ببالي أنه قد أصاب الحصان، وأنشدته بيتاً للشريف الرضي:

سهم أصاب وراميه بذي سلمِ　　من بالعراق لقد أبعدت مرماكِ

فلم يلبث إلاّ قدر مسافة الطريق ووصل الخبر بموت الحصان، وربما صادف موته في ذلك الوقت.

وما أحسن ما أورد ابن شاكر في فوات الوفيات، للحسن بن أسد الفارقي[1]:

وما بي سوى عين نظرت لحسنها　　وذاك لجهلي بالعيون وغِرَّتي

وقالوا به في الحبّ عين ونظرة　　لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي[2]

وقال أبو المحاسن الشوّاء[3]:

ولما أتاني العاذلون عدمتهم　　وما فيهم إلاَّ للحمي قارضُ

وقد بهتوا لما رأوني شاحباً　　وقالوا: به عين، فقلت: وعارضُ

أنشدني المولى الأخ الأديب ضياء الدين زيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد[4] لنفسه لما قتل ابن أخته الأمير السيد ضياء الدين إسماعيل بن المهدي

---

(١) هو أبو نصر الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي. كان من فحول الشعراء وأئمة النحو واللغة. وكان طموحاً إلى الإمارة حتى أورده هذا الطموح موارد الهلكة فمات شنقاً سنة ٤٨٧هـ. من آثاره: شرح اللمع، والافصاح في شرح أبيات مشكلة.
ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ٢٩٤، خريدة القصر قسم الشام ٢/ ٤١٦، معجم الأدباء ٨/ ٥٤، فوات الوفيات ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢، معاهد التنصيص ٢/ ٧٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٠، أنوار الربيع ١/ هـ ١٠٦، شذرات الذهب ٤/ ٨٨.

(٢) الشعر للحسن بن شاور بن طرخان المترجم في فوات الوفيات ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٩ ـ والشعر في الفوات ١/ ٢٣٤، وقد وهم المؤلف بإيراده هنا للفارقي، وسبب الوهم أن المؤلف أخذ العنوان من الترجمة التي سبقت ترجمة صاحب الشعر ـ في الفوات ـ.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٩٨.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم رحمهما الله تعالى في محل يعرف بالعيون[1]:

قيل إن الضياء أمسى قتيلاً ثاوياً بالعيون غير دفينِ
لم يكن فاتكاً ولكن عفيفاً فلماذا غدا قتيل العيونِ

كان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي أحد ملوك مصر الأتراك بنى جامعاً بالقاهرة وعرّفه بالمؤيدي، وتأنّق فيه وأنفق على بعضه سبعين ألف دينار، فاتفق أن اعوجّت منارته فسقطت، وكان بين الحافظ شهاب الدين بن جحر[2] وبين بدر الدين العيني[3] ناظر الأحباس عداوة، فقال ابن حجر:

---

(١) في هامش ج: «في آل عمار من بلاد صعدة» ورثاه القاضي العلامة علي بن محمد العيس رحمه الله بقوله:

مضى شهيداً بالعيون الصفيا وخان فيه المجد ريب المنون
لهفي له من مغرم بالعلا يا مغرماً راح قتيل العيون

(٢) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده سنة ٩٠٩هـ في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته. والسعدي نسبة إلى بني سعد من عرب الشرقية (بمصر) تلقى العلم في الأزهر، ومات بمكة سنة ٩٧٤هـ. له تصانيف كثيرة، منها «مبلغ الأرب في فضائل العرب - ط» و «الجوهر المنظم - ط» رحلة إلى المدينة، و «الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة - ط» وغيرها كثير.

ترجمته في:

النور السافر ٢٨٧ وآداب اللغة ٣: ٣٣٤ والفهرس التمهيدي ٥٥٥ ومذكرات السيد أحمد عبيد. ودائرة المعارف الإسلامية ١: ١٣٣ وهو في ترجمة حفيده رضي الدين بن عبد الرحمن، في خلاصة الأثر ٢: ١٦٦ «أحمد بن محمد بن محمد بن علي» ونشرة ٣: ٤٠، الاعلام ط ١/٤/ ٢٣٤.

(٣) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب سنة ٧٦٢هـ (وإليها نسبته) أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدّ من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه. ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ. من كتبه «عمدة القاري في شرح البخاري - ط» أحد عشر مجلداً، وغيره كثير.

ترجمته في:

التبر المسبوك ٣٧٥ والضوء اللامع ١٠: ١٣١ - ١٣٥ وخطط مبارك ٦: ١٠ شذرات الذهب ٧: ٢٨٦ والجواهر المضية ٢: ١٦٥ وإعلام النبلاء ٥: ٢٥٥ وPrinceton I45 ومعجم المطبوعات =

لجامع مولانا المؤيد رونق ... منارته تزهو من الحسن والزينِ
تقول وقد مالت عليهم تمهّلوا ... فليس على جسمي أضرّ من العينِ

وقال العيني يجيبه:

منارة كعروس الحسن إذا جُليت ... وهدمها بقضاء الله والقدرِ
قالوا: أصيبت بعين قلت: ذا غلط ... ما أوجب الهدم إلاّ خشية الحجرِ

قال محمد بن الحارث بن بسخير البغدادي النديم: كانت لي تقربة في خدمة الواثق بالله كل جمعة إذا حضرت ركبت إلى الدار فإن نشط للشرب أقمت عنده، وإن لم ينشط إنصرفت، فدعيت له ذات يوم في غير يوم تقربتي فتوّقعت الشرّ، وركبت، فلما بلغت الدار ذهبت لأدخل على رسمي فعدل بي إلى ممرات لا أعرفها، فازداد جزعي حتىٰ أفضيت إلى دار وقد كمل التأنّق في بنائها وفرشها، وإذا الواثق جالس على سرير مرصّع بالجواهر وعليه حلة منسوجة بالذهب وإلى جانبه فريدة جاريته وعليها مثل ذلك وعودها في حجرها فقبّلت الأرض وقلت؛ خيراً يا مولاي، فقال: خيراً ما ترى طلبنا ثالثاً يؤنسنا، فلم نَرَ بذلك أحق منك فوضع لي شراب وغنّت فريدة:

أهابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ ... عليَّ ولكِنْ مِلْؤ عينٍ حَبيبُها
وَما هَجَرَتْكِ النَّفْسُ بالليل[1] أنّها ... قَلَتْكِ وَلكِنْ قلَّ منكِ نَصِيبُها[2]
ولكنّهم يا أحسن الناس أولعوا ... بقول إذا ما جئت هذا حبيبها[3]

فجاءت والله بالسحر، ثم جعلت تغنّي الصوت بعد الصوت، فمرّ لنا أحسن ما مرَّ لأحد فأنا لكذلك إذ رفع الواثق رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت بها من أعلى السرير وانكسر عودها ومَرَّت تعدو وتصيح، فبقيت أنا كالمنزوع الروح، ولم أشكّ أن عينه وقعت عليَّ وقد نظرت إليها أو نظرت إليَّ،

= ١٤٠٢ و Brock. 2: 64-66 (52-53), S. 2: 50، والفهرس التمهيدي ٤٠١ و٤٣٤، وآداب اللغة ٣: ١٩٦ ودار الكتب ١: ١٢٧ ثم ٥: ٢٦٧، ومخطوطات الظاهرية ٣١٦، وهادي المسترشدين إلى اتصال المسندين ٤٤٦، الاعلام ط ٤/٧/١٦٣.

(١) في الأغاني: «يا لَيْلُ».
(٢) قلتك: كرهتك.
(٣) لم يرد هذا البيت في الأغاني.

فأطرقت أتوقع ضرب العنق، فإني لكذلك إذ قال لي: يا محمد، فوثبت قائماً فقال: ويحك أرأيت أعجب مما تهيّأ علينا، فقلت: الساعة والله يا سيدي تخرج روحي فعلىٰ من أصابنا بالعين لعنة الله، فما كان السبب، قال: فكرت في أن جعفراً يقعد هذا المقعد وتقعد معه كما هي قاعدة معي، فلم أطق الصبر وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت، فسرى عني، فقلت: بل يقتل الله جعفراً ويحيىٰ أمير المؤمنين أبداً، وقبّلت الأرض وقلت: الله، الله إرحمها ومُر بردّها، فقال لبعض الخدم الوقوف: مُر جيءُ بها، فأقبلت، فلما رآها جذبها إليه وعانقها وبكيا وبكيت لبكائهما، ثم سألته عن تلك الحال فأخبرها بما وقع في خاطره، فقالت له: يا مولاي مُر الآن بضرب عنقي واسترح من الفكرة في هذي، ثم أمر بمال كثير وجوهر فَأُفيض عليها، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، وصرنا إلى أحسن ما كنّا عليه إلى الليل، ثم تفرّقنا، وضرب الدهر ضربانه وتقلّد المتوكّل، فوالله إنه لفي منزلي في غير يوم تقريني إذ هجم عليّ رسل الخليفة فما أمهلوني حتى ركبت إلى الدار وأدخلتُ والله الحجرة بعينها، فإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق بعينه، وعلى السرير بعينه، وإلى جنبه فريدة، فلما رآني قال: ويحك!، أما ترى ما أنا فيه مع هذه منذ غدوة أطالبها بأن تغنّي فتأبى ذلك؟ فقلت لها: يا سبحان الله أتخالفين سيدك وسيد البشر!: بحياته غنّي، فضربت ثم اندفعت تغنّي:

مُـقِـيـمٌ بـالـحـجـازةِ مـن قـنـونـا ... وأهـلُـكِ بـالأجـيـفـر والـثـمـاد[1]

فـلا تَـبْـعُـدْ فـكـلُّ فـتـىً سـيـأتـي ... عـلـيـه الـمـوتُ يَـطْـرُقُ أو يُـغـادي

ثم ضربت بالعود الأرض، وألقت نفسها من السرير، ومرت تعدو وتصيح واسيّداه، فقال لي: ويحك ما هذا؟ فقلت: لا أدري والله يا سيدي، قال: فما ترى؟ قلت: أرى أن أنصرف أنا وتحضر هي ومعها غيرها، فإن الأمر يؤول إلى

---

(١) في الأغاني: «المجازة»، وذو المجازة منزل من منازل طريق مكة بين ماوية وينسوعة على طريق البصرة، والمجازة أيضاً: وادٍ وقرية من أرض اليمامة، ياقوت ٥/٥٦.

قنونى: من أودية السراة يصبّ إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة قرب حلي، وبالقرب منها قرية يقال لها يبت، ياقوت ٤/٤٠٩.

الأجيفر: موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس.

الثماد: موضع في ديار بني تميم قرب المروت. ياقوت ٢/٨٣.

ما يريد أمير المؤمنين، قال. فانصرف في حفظ الله، فانصرفت ولم أدرِ ما جرى بعد[1].

❁ ❁ ❁

وحكى أبو الفرج: إن أشعب بن جبير[2] المشهور بالطمع، دخلت عليه عجوز عاينة[3] كانت في المدينة وهو في السياق[4]، فقال لها: يا فلانة إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلّي على النبيﷺ، فقالت: وأيّ شيء أنت فيه مما يُستحسن!، قال: ربما تستحسنين خفّة الموت عليَّ وسهولة النزع فيشتد الأمر، وخرجت وهي تسبّه، فضحك من حضر من كلامه، ثم مات من حينه رحمه الله تعالى[5].

❁ ❁ ❁

رجع، ولي في وزن قصيدة الرضي ورويّها:

مليحة الوجه من بالظلم أفتاك ... ومن بهجر الذي يهواك أغراكِ
حليت بالدرّ وجهاً قد حليت به ... تبارك الله ما أبهىٰ وأحلاكِ
سكنت قلبي وفيه النار من ولهي ... وقد رضيت بذا إن كان أرضاكِ
وصوت حجلك أولاني الجنون به ... فليت ساقك قلبي فيه حجلاكِ

(١) الأغاني ٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤..

(٢) أشعب بن جبير، المعروف بالطامع، ويقال له ابن أم حميدة. ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف، من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء، يضرب المثل بطمعه. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمراً طويلاً، قيل: أدرك زمن عثمان وسكن المدينة في أيامه. وقدم بغداد في أيام المنصور العباسي، وتوفي بالمدينة سنة ١٥٤هـ.

ترجمته في:

تهذيب ابن عساكر ٣: ٧٥، وفوات الوفيات ١/ ٣٧، وثمار القلوب ١١٨، وميزان الاعتدال ١: ١٢٠ ولسان الميزان ١/ ٤٥٠ ثم ٤/ ١٢٦، والنويري ٤: ٣٤، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٧، الاعلام ط ٤/ ١/ ٣٣٢.

(٣) عاينة: شديدة العين والحسد.

(٤) في الأغاني: «الموت».

(٥) الأغاني ١٩/ ١٩٠.

وفي لحاظك خمر قد سكرت به	والحكم لله أنشاني وأنشاكِ
خذي بيمناك قلبي فانظري ولهي	وأين قلبي فتشفيه بيمناكِ
أهيم بالبدر والنجم اللذين هما	في مذهبي وجهك الباهي وقرطاكِ
وإن مررتِ بقصرٍ أنتِ فيه، هوىٰ	قلبي لتقبيل ركن فيه مأواكِ
أنا اللّديغ بصدغيك اللذين هما	قد عقربا وشفا دائي ثناياكِ
بكيت دمعاً نقيّاً فاستحال دماً	فهل عقودك دمعي ذا وخدّاكِ
يا أُخت شمس الضحى هل ترحمين فتىً	قد رقَّ كل الورىٰ عليه إلاّكِ
أدعو عليك وقلبي لا يطاوعني	هناك حسنك موليه وأبقاكِ
وأحسد القلب والديباج حيث هما	قد حجّباك على رغمي وضمّاكِ
وبالعصائب إذ يحلو الجبين بها	ذهاب قلبي من شوق وحاشاكِ
إن كان ريقك ممنوع على كبدي	فشبهيني بكأس أو بمسواكِ

وهي طويلة والقصد التنبيه، قول السيد شمس الدين في قصيدته:

لولاك ما سفحت عيني العقيق ولا	لثمت ثغر عذولي حين سمّاكِ

استعمله على صفة التضمين من قول ابن نباتة[1] مطلع قصيدة:

لثمت ثغر عذولي حين سمّاكِ	فلذَّ حتى كأني لاثم فاكِ[2]

وكان الواجب التنبيه، لأن هذه القصيدة النباتية لم تشتهر، وزاد مسخاً لأن النباتية مكسورة، وأمّا ابن نباتة في لثم ثغر العذوب قبّحه الله، فربما كان أبخر شديد قبح الفم وملحبر[3].

وكانت وفاة السيد أحمد بن الحسن بصنعاء في حدود الثمانين بعد الألف.

وقال القاضي شمس الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل[4] يرثيه[5]:

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) كاملة في ديوان ابن نباته المصري. ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٥) قال الهبل وقد وقف على قبره في مقبرة «خزيمة» جنوب «صنعاء»: وفي البيتين تلميح إلى الصحابي الجليل «خزيمة بن ثابت» ذي الشهادتين الذي قبل رسول الله ﷺ شهادته بقول: «ومن شهد له خزيمة فهو حَسْبُه». أنظر: هامش نسخة ب، ديوان الهبل ٥٢٠.

يـا قـبـر أحـمـد قـد حَـوَ　　يْـتَ مَـكـارمـاً ومـحـامـدا؟
شـهـدتْ بِـذاكَ «خُـزيـمـةٌ»　　وكـفـى «خـزيـمـةُ» شـاهـدا!

وكان للقاضي رحمه الله عبد الرحمن الحيمي شعر فمنه على منوال بيتي ابن سكرة الشريف العباسي[1] رحمه الله:

صنعاء إن كنت مشغوفاً بمسكنها　　فاعدد لها من ذوات الحاء ما رسما
حَبّ وحِبّ وحمام مع حَطَبٍ　　حظيرة وحمار حرفة وحِمىٰ

لما وقف بعض الظرفاء عليها قال: نسي الحلبة، وصدق فإنها الجار الدائم، ومزاجها حار في أول الثانية، يابس في وسط الأولىٰ، وفيها إنضاج وتحليل ولنفع النفساء وذات اختناق الرحم مع مثلها عسل وغير ذلك. والله أعلم.

[١٥]

أحمد بن الحسين الرقيحي بن عبد الله الصبّاغ الصنعاني(*).

فاضل له في الأدب صبغه، هي إلى سمو القدر بلغه، فهو المعاصر أو لسلاف الشعر العامر، كم عقيلة قاصرة الطرف له وغيره عنها قاصر، مقاطيعه

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي البغدادي ينتهي نسبه إلى علي بن المهدي العباسي، المعروف بابن سكرة الهاشمي. شاعر فحل مطبوع، صاحب مجون وسخف، كان معاصراً لابن الحجاج النيلي الشاعر المشهور، وكانت بينهما منافرة ومهاجات، وهما كجرير والفرزدق وإياه أراد ابن الحجاج بقوله:

قل لابن سكرة ذي البخل والخرف　　عن ابن حجاج قولا غير منحرف
يا من هجا بضعة الهادي لئن نشبت　　كفاي منك على تمكين منتصف

توفي سنة ٣٨٥هـ، ويقال أن ديوانه يربو به على خمسين ألف بيت. وقد أورد الثعالبي في اليتيمة طائفة كبيرة من شعره.

ترجمته في: هدية العارفين ٢/ ٥٥، وفيات الأعيان ٤/ ٤١٠ ـ ٤١٤، الكنى والألقاب ١/ ٣٠٧، تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٥، يتيمة الدهر ٣/ ٣، أنوار الربيع ١/هـ ١٨، المنتظم ٧/ ٨٦، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٨، العبر للذهبي ٣/ ٣٠، شذرات الذهب ٣/ ١١٧.

(*) ولد بصنعاء في غرّة ربيع الأول سنة ١٠٨٦هـ. وتوفي فيها ليلة الاثنين ٢٦ ربيع الآخر سنة ١١٦٢هـ. جمع شعره في حياته، أحمد بن الحسين الهبل.

ترجمته في: الثغر الباسم ـ خ ـ، البدر الطالع ١/ ٥٢، أعيان الشيعة ٥٤/ ٢٧ ـ ٢٨، نشر العرف ١/ ١٢٥ ـ ١٣٣.

كمواصلة الأحباب، ترتشف لتنوب عن الرضاب، وبلغني حسن نغمته، واهتزاز العاطف عند زنته، وهو مطبوع فصيح ظريف، وإذا كان الشاب الظريف فهو العفيف بن العفيف.

أنشدني من شعره عدة مقاطيع فمنها:

ولما اعتنقنا سال دمعي بِخَده وأبديت من سكر الصبابة ما أخفي
وقال عذولي: دع هواه فقد بدا سواد على خدّيه من موضع القطفِ
فقلت له: مهلاً فتلك مدامعي سحّت وآثار الصباغة في كفّي[1]

وأنشدني له أيضاً:

أرشفني من لمى لسان وقال من لطفه لصالي
هل أنت مستشهد بشعرٍ؟ فقلت: هذا لسان حالي[2]

أحد معنيي الحالي بمعنى الحلو غير مسموع من لغة العرب، إنما يقال حلو لا غير، وجيد حالٍ من الحلية إن كان أراد التورية، وإذا أراد استعماله لم يكن إلاّ إيهاماً فقط لما شاع من استعمال العامة إيّاه بمعنى الحلو.

وأنشدني له في شخص يدعى الديك يحب شخصاً يُدعى بالشقرى:

قل للفتى الديك من قد هام في رشأ يفوق ريم التقى بالدلّ والحورِ
ما أنت أوّل من قاسى الهوى وصبا ولا بأول ديك هام بالشُقُرِ[3]

هذا المقطوع كما قال الجاحظ[4] في طردية أبي العتاهية بما لا يقوى

---

(١) نشر العرف ١/١٢٦، أعيان الشيعة ٥٤/٢٧.

(٢) نشر العرف ١/١٢٨، أعيان الشيعة ٥٤/٢٧.

(٣) نشر العرف ١/١٢٨، أعيان الشيعة ٥٤/٢٧.

(٤) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده سنة ١٦٣هـ، ووفاته سنة ٢٠٥هـ في البصرة، فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها «الحيوان ـ ط» أربعة مجلدات، و «البيان والتبيين ـ ط» وغيرهما. ولأبي حيان التوحيدي كتاب في أخباره سماه «تقريظ الجاحظ» اطلع عليه ياقوت. وجمع محمد جبار المعيبد، ما ظفر به متفرقاً من شعره، في «رسالة ـ ط» كما في أخبار التراث، ولشفيق جبري «الجاحظ معلم العقل والأدب ـ ط»، ولحسن السندوبي «أدب الجاحظ ـ ط» ولفؤاد أفرام البستاني «الجاحظ ـ ط»، ومثله لحنا الفاخوري،

اللسان على التعبير عن حسنه، وإنما تعرفه القلوب، فهو كالطرب الشهيّ، من كف ذات المبسم البهي، عند المغرم السجي، ولو لم ينظم إلاّ إيّاه كفاه لطفاً، وكشف له عن منتهى الظرف سجفاً، لأن الشقر عبارة عن فراخ الدجاج عند العامة، وما كفاه حسن المعنى حتى أخرجه مخرج المثل السائر، وجعل بابه الذي لا طاقة عليه بين الأدباء دائر.

وكتب إلي الشيخ الأديب شعبان بن سليم[1] بسبب وسيم يعرف بالنجم يقول:

إذا كنت يا شعبان ترضى بأنني أقيم على هون فلست بذي علم
وإنّي لشمس يستضاء بنورها ولولاك لم أقنع بمنزلة النجمِ[2]

والظاهر إن شعبان وجد عليه بسبب هذا حتى استعتبه بقصيدة بائية بعد طول الهجران.

ولشعبان في معنى بيت الديك مقطوع مثله، وذكر أنه السابق إليه، وبسببه أيضاً هجره.

وما أحسن قول شعبان المذكور في النجم هذا وقد غشيه ليل العذار، وهو هلال شوال وأمّا الآن فقد شاب النجم ولا حول ولا قوة إلاّ بالله:

لاح عذار النجم في خدّه فأكثر العاذل فيها الملامْ

= ترجمته في:
معجم الأدباء ١٦/ ٧٤ ـ ١١٤، والوفيات ٣/ ٤٧٠ ـ ٤٧٥، وأمراء البيان ٣١١ ـ ٤٨٧، وابن الشحنة: حوادث سنة ٢٥٥ وفيه: عن الجاحظ، قال: «ذكرت للمتوكل لأعلم أولاده، فلما استحضرني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف دينار وصرفني». وآداب اللغة ٢: ١٦٧، ولسان الميزان ٤: ٣٥٥، والفهرس التمهيدي ٥٥٠، ومجلة لغة العرب ٩: ٢٦، وتاريخ بغداد ١٢: ٢١٢، وأمالي المرتضى ١: ١٣٨، ونزهة الألبا ٢٥٤، والبعثة المصرية ٤٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٦: ٢٣٥ و Brock. I: I8₅ (I5₂), S. I: 2₃₉، وتذكرة النوادر ١٠٨، وأنظر: «مشاركة العراق» لكوركيس عواد، الرقم ١٨٢ ففيه رسائل أخرى من تأليفه نشرت في العراق، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٧٤.

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٢) نشر العرف ١/ ١٢٩، أعيان الشيعة ٥٤/ ٢٨.

والـــنـــجـــم لا تـــشـــرق أنـــواره   إلاّ إذا جـــنَّ عـــلـــيـــه الـــظـــلامْ[1]

ولأحمد الرقيحي فيمن يحب ابن البيني:

كم قد بذلت لوصل الحب حين سطت   فيك اللواحظ منه خالص العينِ
وتشتكي البين منه قبل موقعه   فكيف من بعدنا قد همت بالبينِ[2]

وأنشدني أيضاً له:

ولما رأيت الخال من فوق ثغره   مقيماً على العذب الذي عزّ جانبهْ
تيقّنت أن الخال حوليه حارسٌ   مخافة أن يسطو على الثغر شاربهْ[3]

وما أحسن قول ابن نباتة[4] في الخال:

لله خال على خدّ الحبيب له   في العاشقين كما شاء الهوى عبثُ
أورثته حبّة القلب التي عظمت   وكان عهدي بأن الخالَ لا يرِثُ[5]

وله أيضاً:

عرّج على جهم المحبوب منتصبا   لقبلة الحسن واعذرني على سهري
وانظر إلى الخال فوق الخدّ[6] دون لمّى   تجد بِلالاً يراعي الصبح في السحر[7]

وقال أبو إسحاق الصابي الكاتب[8] في غلام له أسود:

---

(١) نشر العرف ١/١٢٩، أعيان الشيعة ٥٤/٢٨.

(٢) نشر العرف ١/١٢٨، أعيان الشيعة ٥٤/٢٨.

(٣) نشر العرف ١/١٢٨، أعيان الشيعة ٥٤/٢٨.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) ديوان ابن نباته المصري ٨٥.

(٦) في هامش الأصل: «فوق الثغر».

(٧) ديوان ابن نباته المصري ٢٥٠.

(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني الصابئي. كاتب مترسل بليغ، وشاعر مجيد وعالم بالهندسة، ولد سنة ٣١٣هـ وقيل بعد سنة ٣٢٠. تولى كتابة الانشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة البويهي وكان عضد الدولة يحقد عليه، فلما ملك اعتقله ثم أطلقه. كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويستعمله في رسائله. توفي ببغداد سنة ٣٨٤هـ ورثاه الشريف الرضي بقصيدة عصماء مطلعها: ـ

أرأيت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادي

من آثاره: ديوان شعره، وديوان رسائل كبير، وكتاب مراسلاته مع الشريف الرضي.

قد قال يمن وهو أسود للذي ... ببياضه يعلو علوّ الخائنِ
ما فخر مثلك بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به جميع محاسني
ولو ان منّي فيه خالاً زانه ... ولو أن منه فيَّ خالاً شانني

وقال السيد الحسن بن أحمد الجلال الصنعاني[1]:

وشادن يفتن أهل الهوى ... بخاله فابك على وارده
مذ لاح في الخدّ أخو أمّه ... عاينت تصحيف أخي والده

وقال الفيّومي فأجاد:

يا ذا الذي في خدّه حبّة ... سوداء في الخدِّ الشديد الصفا
دعني أقبّلها تزيد العنى ... فالحبّة السوداء فيها الشفا

وقال القاضي شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل[2] في الخال والعذار فأطرب وأظرف:

قد كتب الحسن فوق وجنته ... بالمسك سطراً أدقّ معناهْ
فقلت للعشّاق لما بدا ... صبراً على ما كتب اللّهْ

وقلت من قصيدة:

أذهَلْتني بمراشفٍ ومعاطف ... نابت عن المعسول والعسّالِ
ولثمت منك الخال من شغفي به ... والمرء مشغوف بحب الخالِ

= ترجمته في: معجم الأدباء ٢/ ٢٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٧، تاريخ الحكماء/ ٧٥، شذرات الذهب ٣/ ١٠٦، يتيمة الدهر ٢/ ٢٤٢، أنوار الربيع ١هـ ٢٤٠.

(١) الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الحسني العلوي، المعروف بالجلال: فقيه عارف بالتفسير والعربية والمنطق. ولد سنة ١٠١٤هـ ونشأ في هجرة رغافة (بين الحجاز وصعدة) وتنقل في بلاد اليمن، واستوطن «الجراف» ومات فيها سنة ١٠٨٤هـ. وهو أخو الهادي بن أحمد، له شروح وحواش ومختصرات، وشعر وأدب من كتبه «تكملة الكشف على الكشاف» و «شرح الفصول» في أصول الدين، و «شرح التهذيب» في المنطق، و «بيت الجلال» من بيوت العلم الكبيرة في اليمن، منه صاحب الترجمة وآخرون، ونسبتهم جميعاً إلى «الجلال المتوفي سنة ٧٨٤هـ» وهو ابن صلاح ابن محمد بن الحسن بن أحمد بن المهدي، من نسل الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم.

ترجمته في:

البدر الطالع ٢/ ١٩١، خلاصة الأثر ٢/ ١٧، نشر العرف ٢/ ٥٦٨، والاعلام ط ٤/ ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

ونقلت من خط أحمد الرقيحي له:

قد سلونا عن هواكم ... بسواكم فاعذرونا
واحسبونا ما عرفنا ... كم وأنتم تعرفونا

وأنشدني أيضاً له في قوّاد:

هذا الذي نختاره صاحباً ... بمن نهوى على ما نريدْ
كأنه الناظور في فعله ... يأتيك في الحال بقرب البعيدْ[1]

المعنى مليح، والسبك متنافر.

وما أحسن قول محي الدين بن قرناص:

لي صاحب كملت جميع صفاته ... قد عمّني بغرائب الإحسانِ
لو لم يكن مثل النسيم لطافةً ... ما بات يعطف لي غصون البانِ

وقول وجيه الدين الدوري:

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر ... فالشيخ في كل الأمور مهذّبُ
طوراً يغنّي بالرباب وتارة ... يأتي على يده الرباب وزينبُ

أذكرني في الرباب هنا قولي من قصيدة:

براك الله حين براك روضاً ... وصيّر مدمعي عوض السحابِ
يشوقك خدّه في خدّ صبٍّ ... ومثلك من يميل إلى الربابِ

ومنها ما يعجبني مثله:

وما ناحت مطوّقة فأبقت ... على قلب عبثت به يبابِ
واحسبها وقد خضبت يديها ... تذكرني ولوعك بالخضابِ

وقال أبو الحسين الجزّار[2] في معنى الأبيات السابقة:

ليت شعري ماذا تقول إذا ما ... رُمْت شتمي قل لي: بأيّ طريقِ
علم الله ما مضيت رسولاً ... قط من عند إبنتي لعشيقِ

---

(١) نشر العرف ١/١٢٩.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

لا ولا جيت بالرجال إلى بيـ ـتي وكاسرت عنهم في السوقِ

وقال مجير الدين بن تميم الأشغردي[1] في تضمين عجز بيت المتنبي مع نقل معناه:

وقوّاد يعيد الهجر وصلاً وطول البعد هجراً واتفاقا
يكاد لحكمة فيه وحذق يقود بلا أزمّتها النياقا

❀ ❀ ❀

رجع الكلام، ومن شعر أحمد في من اسمه سرور:

قلت: أهلاً ومرحباً بسرور حين وافى قَدْ نلت منه حبورا
وسباني بنظرة من رناه فتلقيت نظرة وسرورا[2]

وله شعر كثير وموشّحات مشهورة، فيما أوردت فيه كفاية.

والرقيحي: بضم الراء والقاف المفتوحة وإسكان المثناة التحتية وبعدها الحاء المهملة ياء النسبة، لقب لهم[3]، وحسبنا الله تعالى.

[١٦]

السيد شمس الأدب أحمد بن أحمد بن محمد الحسني الأنسي الشاعر المشهور[*].

فاضل سبق فرسان القريض، وأذاق الحاسد طعم الجريض، وحلّى جيد الزمان بقلائده، وفضح الحميّا إلاّ أنها عجوز بما جلا من بَنات ذهنه وفرائده،

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) نشر العرف ١/١٢٩.

(٣) في هامش الأصل: «بل نسبة إلى قرية من أعمال ذمار يقال لها الرُّقَيح».

(*) المعروف بالزنمة، توفي سنة ١١١٥هـ وقيل ١١١٩ هـ مسجوناً في زيلع وهي جزيرة في أول بلاد الحبشة.

ترجمته في:

طبق الحلوى ـ خ ـ، نفحات اليمن ـ خ ـ الغدير ١١/٣٤٢ ـ ٣٤٣، سلافة العصر ٤٧٠ ـ ٤٧٣، حديقة الأفراح ٦، نفحة الريحانة ٣/٥٩٦ ـ ٦٠٦، ذيل الريحانة، البدر الطالع ١/٣٦، نشر العرف ١/٧٤ ـ ٨١.

فلو شاهده ابن حجّة لفدا أبو بكر من الذل في السقيفة، ولظهرت حجة النواحي في سرقاته الكثيفة، أتى من النظام بشيء عجيب، وتوقّد بالأجادة وهو الثني وهذا غريب، وكان شاعر المؤيد بالله ابن المتوكل، وله فيه غُرَرٌ تتباهى الكميت إذا شُبِّهَت بحبابها، ومدح غيره من آل القاسم، وله ديوان شعر، أخبرني الفقيه الأديب سعيد بن صالح السمحي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ إنه كتب لي نسخة منه ووقفت على نسخة منه سنة ثلاث عشرة ولم تكتب لي الكتابة منها، وكان لما مات المؤيد جرى له تخوّف لأسباب عمَّ خوفها الناس فقصد حضرة السيد القاسم بن المؤيد بن المنصور وهو بالسودة ومعه اليافعيّ السابق ذكره[2] فأكرم نزله كعادته، واتفق ورود أخي المولى ضياء الدين زيد بن يحيى قدس الله روح تلك الحضرة، فكان يحدثني بأنس كامل دار بينهما ومشاعرة وكان صديقه، ومدح السيد علم الدين بقصائد أجاد فيها وهي مذكورة في ديوانه، ثم اشتدّ الخوف وأثّر ذلك الحرم المحجوج فلجأ إلى حرم الله ولبث هناك أعواماً وامتدح الشريف الأجل أحمد بن غالب[3] أمير الحجاز بقصيدة بائية حَضَّهُ فيها على أخذ اليمن، أوّلها:

[عج بالكثيب وحييّ الحيّ من كثبِ   فثم يذهب ما بالقلب من وصبِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٢ وذكر إسمه «سعيد بن محمد السمحي» وأشار صاحب نشر العرف أن الأول أصح.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢.

(٣) أحمد بن غالب بن محمود بن مسعود بن الحسن بن أبي نمي الثاني: الأمير الحسني من أشراف مكة. ولي إمارتها سنة ١٠٩٩هـ ووقع بينه وبين الأشراف من آل زيد خلاف انتهى بتغلبهم عليه، فاعتزل الإمارة سنة ١١٠١هـ وخرج إلى اليمن مستنجداً بالإمام محمد بن أحمد. الناصر (المهدي. صاحب المواهب) فولاه إمارة أبي عريش (في المخلاف السليماني) فدخلها في صفر ١١٠٢ وضم إليها «صبيا» ووسع الإمام إمارته فشملت كثيراً من النواحي. وبنى قلعة «جازان الأعلى» بعد أن كانت طللاً دارساً. ونشبت بينه وبين بعض الأمراء حروب ظفر في أكثرها. وأرهق سكان إمارته بالضرائب. وعزله الإمام محمد، فقاوم إلى أن جاءه مندوب من الإمام يحمل أمراً بترحيله وجهزه بما يحتاج إليه، فرحل عائداً إلى الحجاز، في رجب ١١٠٥ ثم ذهب إلى بلاد الروم سنة ١١٠٦هـ فتوفي هنالك سنة ١١١٣هـ.

ترجمته في:

خلاصة الكلام ١١٢ ـ ١٢٤، والمخلاف السليماني ١: ٤٠٣، ـ ٤١٩ والمقتطف من تاريخ اليمن ١٧٢، الاعلام ط ٤/١/١٩٢.

وانــزل بـحـيـث تـرى الآرام سـانـحـة　　بين الخميسين والهندية القضبِ][1]

وللسيد أحمد يمدح المؤيد يوم الغدير، وذكر فيها شيئاً من مناقب آل البيت ﷺ:

سـلا إن جـزتـمـا بـالـركـب طـيّـا　　فـؤاداً قـد طـواه الـحـب طـيّـا
وإلاّ فـاسـألا أيـن اسـتـقـلّـت　　حـداة الـعـيـس إذ رحـلـوا عـشـيّـا
فـلـولا تـلـكـم الأهـداب نـبـل　　لـمـا كـانـت حـواجـبـهـا قـسـيّـا
لـعـمـر أبـيـك مـا شـغـفـي بـهـنـدٍ　　ولا مـا قـلـت مـن غـزل بـمـيّـا
ولـن أهـوى قـويـم الـنـهـد إلاّ　　إذا مـا كـان نـهـداً أعـوجـيّـا
وأسـمـر ذابـل الأعـطـاف لـدن　　وأسـمـر مـشـبـه عـزمـي مـضـيّـا
ولـن أصـبـو إلـى أوقـات لـهـو　　وقـد أصـبـحـت عـن لـهـوي نـجـيّـا
ومـا زهـر الـريـاض أمـال طـرفـي　　وإن قـد صـار مـطـلـولاً نـديّـا

ومنها قبل التخلّص:

إذا مـا الـبـرق سـلَّ عـلـيـه سـيـفـاً　　رأيـت لـه الـغـديـر الـسـابـريـا
عـلـى ذاك الـغـديـر غـديـر دمـعـي　　جـرى مـن أجـلـهـم بـحـراً أذيّـا
غـديـر طـاب لـي ذكـراه شـوقـاً　　إلـى مـن ذكـره يـروي الـصـديّـا
غـديـر قـد قـضـى الـمـخـتـار فـيـه　　ولايـتـه وألـبـسـهـا عـلـيّـا
وقـام عـلـى الأنـام بـذا خـطـيـبـاً　　وذاك الـيـوم سـمّـاه الـوصـيّـا
وإنـي تـارك فـيـكـم حـديـثـاً　　لـقـد تـركـوه ظـهـريـاً نـسـيّـا
فـمـن أهـل الـسـقـيـفـة لـيـس يـلـقـى　　فـتـى عـن قـتـل أبـنـاه بـريّـا
فـهـم سـبـب لـسـفـك دمـاء زيـد　　ويـحـيـى والـذي حـلّ الـغـريّـا
فـلـولا سُـلَّ سـيـف الـبـغـيّ مـنـهـم　　ونـكـث الـعـهـد لـن تـلـقـى عـصـيّـا
أبـا الـحـسـنـيـن أرجـو مـنـك نـهـلاً　　مـن الـحـوض الـذي يـروي الـظـمـيّـا
إذا مـا جـئـت يـوم الـحـشـر فـيـمـن　　غـدا بـالـبـعـث بـعـد الـمـوت حـيّـا

ما أفصح هذه القصيدة الغرّاء، والروضة التي أصبحت بالغدير خضراء، ويكفيها:

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في نسخة الأصل بمقدار ١٤ سطر، لعله من بعض الجهّال لعدم مطابقة غرضه، وأكملناه مما وجدناه في نسخة ب.

ولـن أهـوى قـويـم الـنـهـد إلاّ   إذا مـا كـان نـهـداً أعـوجـيـا[1]

وما أحسن ما كتب به صاحبنا الشيخ الأديب شعبان بن سليم[2] إلى القاضي بدر الدين محمد بن الحسن الحيمي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[3] ـ في جملة قصيدة أوّلها:

أقلت محيّا البدر في غصن القدّ   ربيبة أنس زانها حمرة الخدِّ
وما كلَّ منها الطرف لكن لعلة   تناعس كي يستلَّ سيفاً من الغمدِ
تصول به فينا فترتاع خيفة   ولم لا وقد قامت بسيفٍ على نهدِ

سبحان مانحة هذه البلاغة، وقاتل الله أجفان هذه التي ما كفاها وصف الغزلان حتى قاتلت المحب من لحاظها ونهودها بعدّة الفرسان.

أذكرني هذا قول ابن نباتة مطلع قصيدة:

بدا وقامته تهتزّ بالتّيهِ   فأي شمس على رمح تحاكيهِ

وهذا بالسحر أشبه منه بالشعر.

وأنشدني السيد أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن الحسن[4]، للسيد أحمد بن أحمد في عود اسمه السلوان:

أنت المطاع وعندك السلوان عود للسماعِ
كم قلت لما أن أتى   أهلاً بسلوان المطاعِ

سلوان المطاع: الكتاب المعروف تأليف أبي ظفر المغربي، فهنا تورية مليحة موشّحة.

ورأيت في بعض المجاميع لبعض الإخوان أنه كتب إلى المؤيد يشكر حاجبه قسوة، وأمينه مانعاً، بقوله:

مولاي طال الانتظار فهل إلى   تقبيل كفّك في قبول شافعُ

---

(١) الغدير ١١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣. نقلاً عن نسمة السحر.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٤٨.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١١٥

كيف السبيل ودون بابك قسوة ... قاسي الحجاب ودون ذلك مانعُ
هذي الثلاث من الموانع بيننا ... وكما علمت لهن منك مطالعُ

ما أحسن قول علي بن الجهم الشامي البغدادي[1] من أبياته المشهورة في الحبس:

والحبس ما لم تغشه لدنيّة ... تزري فنعم المنزل المتورّدِ
لو لم يكن في الحبس إلاّ أنه ... لا يستذلّك بالحجاب الأعبدِ
بيت يجدد للكريم كرامة ... وتزار فيه ولا تزور وتحمدِ

ومن شعر السيد شمس الأدب أحمد المذكور يمدح المؤيد بالله محمد [بن إسماعيل ﷺ][2]:

في عبرتي لك عن وجدي عباراتُ ... وفي الكنايات عن وصفي إشاراتُ
بديع حسنك يا من لا نظير له ... ما فيه للواله المضنى مراعاتُ
وطرفه في انسجام من مدامعه ... وقلبه فيه للوجد استعاراتُ
مستخدماً لك لكن ما اكتفيت به ... بئس الجزا منك في الشرط الإساءاتُ
فليت ليتك تثني الالتفات لكي ... تستدرك الصب منك الالتفاتاتُ

---

(١) هو أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر بن الجهم، من بني سامة بن لوي بن غالب، وقريش لا تعترف بهذا النسب وتسميهم بني ناجية، وهي امرأة سامة بن لوي. كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً عذب الألفاظ سهل الكلام هجاء خبيث اللسان اختص بالمتوكل العباسي حتى صار من جلسائه. كان شديد النصب لأمير المؤمنين علي ﷺ، وقد هجاه ونال منه في أكثر من مناسبة.

علام هجوت مجتهداً علياً ... بما لفقت من كذب وزور
أما لك في استك الوجعاء شغل ... يكفك عن أذى أهل القبور

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعن على أمير المؤمنين ﷺ فقال له: أنا أدري لم تطعن على علي أمير المؤمنين، فقال له: أتعني قصة بيع أهلي من مصقلة بن هبيرة؟قال: لا، أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به، وأنت أسفلهما. حبسه المتوكل عندما علم أنه يلفق الأكاذيب على ندمائه للايقاع بهم، ونفاه إلى خراسان، ثم عفا عنه وعاد إلى بغداد. خرج إلى الشام غازياً سنة ٢٤٩هـ فظهر عليه جماعة من بني كلب فقتلوه.
ترجمته في: الأغاني ١٠/ ٢٤٧ ـ ٢٨٠، مروج الذهب ٤/ ١١١، وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٨، تاريخ بغداد ١١/ ٣٦٧، معجم الشعراء/ ١٤٠، طبقات ابن المعتز/ ٣١٩، سمط اللآلي/ ٥٢٦، طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٣، الموشح/ ٥٢٧، أنوار الربيع ٢/ هـ ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) ما بين المعقوفين من نسخة ب.

فهو الذي قد غدا في حبه مثلاً | وفوفت نظمه فيك الجناساتُ
يطوي وينشر قلبي من تثنيه | برق له من ثناياك ابتساماتُ
ومن خفوق فؤادي بل ورقته | وناره ثم للبرق اقتباساتُ
يا غاية السؤل شرحي للغرام غدا | مطولا ما له فيه نهاياتُ
وأنت كشاف ما ألقى وبهجته | فهل لمصباح وجدي منك مشكاةُ
حديث وجدي قديم والمعاهد لي | فيها الشواهد تملى والمقاماتُ
أنت الشفاء وما بين الشفاه له | مناهل عزبت عنها الرواياتُ
عساك تسمح لي بالوصل منعطفاً | فكم لعطفك يا غصن انعطافاتُ
بسود عينيك وهي البيض فاتكة | وما بجفنيك وهي المشرفياتُ
صل من بنار الهوى أصليت مهجته | والماء وصلك والنار الحشاشاتُ
بيني وبينك في التشبيه تسوية | لولا اختلاف به تقضي الصباباتُ[1]

وهي طويلة، أجاد فيها وبناها على التوجيه بعلم البديع وأسماء الكتب، فأحسن ما شاء.

وعلى ذكر أبياته السابقة في شكوى الحجّاب فقد حكى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: إن أبا تمام الطائي مرّ بمخنث يقول: لا خرجت إليك البارحة فاحتجبت عني، فقال له: السماء إذا احتجبت رُجيَ خيرها، فتبيّن في وجه أبي تمام أنه أخذ المعنى، فلم يلبث أن قال في بعض شعره:

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لي أملاً | إنَّ السماءَ تُرَجَّى حين تُحْتَجَبُ[2]

ووقف بعض الشعراء على باب الأمير عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[3] فلم يره، فكتب إليه:

---

(١) نشر العرف ١/٧٦ - ٧٧، كاملة في نفحة الريحانة ٣/٦٠٣ - ٦٠٤.

(٢) الأغاني ١٦/٤٢٨.

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، وقد يعرف بابن طاهر: أمير، من الأدباء الشعراء. انتهت إليه رياسة أسرته. ولي شرطة بغداد. ومولده سنة ٢٢٣هـ ووفاته فيها سنة ٣٠٠هـ. وكان مهيباً، رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، له براعة في الهندسة والموسيقى، حسن الترسل. وله تصانيف، منها «الإشارة» في أخبار الشعراء، و «السياسة الملوكية» و «البراعة والفصاحة» و «مراسلات» مع ابن المعتز، جمعها في كتاب.

إذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيمِ

فأعاد الرقعة وقد كتب عليها:

إذا كان الكريم قليلَ مالٍ ... ولم يُعْذَرْ تَعلَّل بالحجابِ

وأنشدني السيد بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي، وجدّه الإمام الحسن هو الذي أدخله الروم أسيراً إلى القسطنطينية، للسيد أحمد بن أحمد ونظمها بمكة المشرفة:

ألاحي ذاك الحي من ساكني صنعا ... فكم أحسنوا بالنازلين بهم صنعا
تحية صب صبَّ ماء جفونه ... يشوقه برق الدجى إن شرى لمعا
ويعرف من عرف النسيم رسائلا ... تجرعه تذكار من سكن الجرعا
نسيم الصبا إن جزت معهد صبوتي ... فثم فؤادي سله أو سل به سلعى
فحييْ الحيا من ذلك الحي مربعاً ... له في فؤادي قد أشاد الهوى ربعا
فلولاه ما أذكى الفؤاد تسعري ... ولا امتاز كف الموت من مقلتي دمعا
بعيشك إن شارفت حيي أحبتي ... فطف حوله يا عمرو عن عمرتي سبعا
ورد زمزم الورد النمير حياضه ... وحلّق إذا قصّرت في ذلك المسعى

ومنها:

وإن كان لا بد المديح لناظم ... فمدح رسول الله أحسنه وضعا
فنوّع وجنّس في مديح مُحمدٍ ... فأوصافه لم تبقِ جنساً ولا نوعا
فيا مَن إليه الجذع حنّ تبركاً ... إليك رجائي هز من جودك الجذعىْ
وإني لأرجوك الشفاعة في غدٍ ... إذا ضاق حالي في القيامة بي ذرعا
وأطمع أن الله يقبل توبتي ... ويغفر زلاتي وباللطف لي يرعَى
أجيبوا بني الآداب صوت بلاغتي ... إذا كان فيكم من يجيب إذا يدعىْ[1]

وبلغني له محاضرات لأدباء مكة، حكم له شيوخها فيما ينظم بالسبق،

= ترجمته في:
وفيات الأعيان ٣/ ١٢٠ ـ ١٢٣، وسير النبلاء ـ خ. الطبقة السادسة عشرة، والديارات ٧١ ـ ٧٩ والأغاني طبعة الدار ٩: ٤٠ وعريب ٤٠، وتاريخ بغداد ١٠: ٣٤٠ وفيه: «ولي إمارة بغداد». وBrock. S. I: 22، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١٩٥.

(١) نشر العرف ١/ ٧٧ ـ ٧٩.

وآخر القصيدة يدل على ذلك، وله شعر كثير مشهور، واتفاقات غريبة في الأهاجي، ولسان عضب، وما أحسب أحداً يحسن إنشاد الشعر مثله، ثم أن الإمام المهدي لدين الله غضب عليه فأمر بتسييره إلى زيلع وهي جزيرة في أول الحبشة، فحبسه بها حتى مات سنة ١١٠٩[١] وكان يتهم بالإنحلال وليس كذلك بل كان حديد الطبع، والله أعلم.

❀ ❀ ❀

والأنسي: نسبة إلى مخلاف أنس، ولاية معروفة باليمن، وهي بفتح الهمزة الممدودة وكسر النون ثم سين مهملة، والله أعلم.

[١٧]

الخليفة الناصر لدين الله، أبو العباس أحمد بن المستضيء بنور الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي بالله عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين محمد بن القائم بالله عبد الله بن القادر بالله أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفّق طلحة بن المتوكّل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بالله أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي البغدادي[*].

فاضل قفا المجد فساعدته القوافي، واستنار علاه في قوادم الطائر السعيد والخوافي، وطمس شروقه كواكب الخلائف ولا عجب فهو الشمس، وسفر فخره هلالاً فما أبقى لبني هلال وبني عبس، ورد بصواب الرأي جيش الخطا، وكسر بكواسر صقوره رب جاهل أهدى بطرق اللؤم من القطا.

---

(١) الرقم موضوع بعد كتابة نسخة الأصل.

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان: (عدة مواضع متفرقة ـ أنظر الفهرست)، فوات الوفيات ١/ ٦٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٣١٠ ـ ٣١٦، نكت الهميان ٩٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦١، المنهل الصافي ١/ ٢٦٤، تاريخ الخلفاء ٢٩٧. مختصر التاريخ ٢٤٢ ـ ٢٥٣.

وكان خليفة فاضلاً حازماً أديباً سعيداً، ومن العجائب أنه كان من الشيعة الإمامية في الإمامة والمعتقد، وكان يرى نفسه نائباً للإمام المنتظر ﷺ، وبذلك ذكره الذهبي وعجب منه، ودانت له الدنيا وعانقته السعادة، ودامت خلافته سبعاً وأربعين سنة، ولم يتولها أحد من آبائه هذه المدّة، ومن سعادته استرجاع بيت المقدس وسائر ساحل الشام إلاّ القليل من أيدي الإفرنج في أيامه بعد أن ملكوه من أيام الإمام الآمر بأحكام الله الفاطمي إلى وقته، ففتح بأيدي الغز فكانوا ينتمون إليه.

ومنها: أن جنكز خان ملك المُغل الأتراك الذين أبادوا البلاد والعباد، وظهروا بما وراء نهر جيحون وتلك النواحي في أيامه فشغلهم الله بملوك الخطا وبخوارزم شاه وولده جلال الدين محمد، فما زالوا يعاركونهم طول أيامه وأيام ولده.

ومن سعادته أيضاً: أن شاعره أمين الدولة سبط بن التعاويذي[1] القليل النظير، ومثل الأبله، [2] وابن المعلم الواسطي،[3] وغيرهم، فخلّدوا ذكره بقلائد لا تزال في نحر الزمان ما بقي.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٦٥.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المعروف بالأبله البغدادي ـ من باب تسمية الشيء بضده لأنه كان في غاية الذكاء ـ كان شاعراً مشهوراً، يجمع شعره بين الرقة والصناعة، وكان ظريفاً يتزيا بزي الجند.

توفي ببغداد سنة ٥٧٩ وقيل ٥٨٠هـ. له ديوان شعر، من أبياته السائرة: ـ

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٦٣ ـ ٤٦٥، خريدة القصر ـ القسم العراقي ـ ١/٩٥ (المتن والهامش)، شذرات الذهب ٤/٢٦٦، الكامل لابن الأثير ٩/١٦٤ في حوادث سنة ٥٧٩، هدية العارفين ٢/١٠٠، الكنى والألقاب ٢/٧، أنوار الربيع ٢/هـ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٣) هو أبو الغنائم محمد بن علي بن فارس بن علي المعروف بابن المعلم، من أهل قرية الهرث الواقعة على بعد عشرة فراسخ من مدينة واسط. ولد سنة ٥٠١هـ. كان رقيق الشعر حلو المعاني، أكثر شعره في الغزل والشوق والصبابة، وله في مدح الأمراء والأعيان قصائد جيدة. توفي سنة ٥٩٢هـ له ديوان شعر.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/٥ ـ ٩، شذرات الذهب ٤/٣١٠، روضات الجنات/٥٤٣، المختصر المحتاج إليه ١/٩٥، الكامل لابن الأثير ٩/٢٣٧، النجوم الزاهرة ٦/١٤٠، خريدة القصر ـ شعراء العراق ـ ١/٣٧١، ذيل الروضتين في تراجم رجال القرنين السادس والسابع/٩، أنوار الربيع ٣/هـ ٧٨.

وقال الذهبي والخطيب: وكان أبيض اللون، رقيق المحاسن، بويع بالخلافة في بغداد بعد موت والده في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

وأمه أم ولد تركية.

قال: وكان يعاني البندق والحمام في شبيبته، وكانت له عيون على كل سلطان يأتونه بأخباره وأسراره، حتى كان بعض الكبار يعتقد بأن له كشفا واطّلاعاً على المغيّبات.

وفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ماجت النجوم ببغداد، وتطايرت شبه الجراد، ودام ذلك إلى الفجر، وضجَّ الخلق بالإبتهال إلى الله تعالى.

قلت: وتطايرت النجوم في ميلاد رسول الله ﷺ، وتطايرت أيضاً في خلافة المتوكل بن المعتصم.

وكان نقش خاتم الناصر: رجائي من الله عفوه.

وكتب الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب[1] إلى الخليفة الناصر يشكو من أخيه وعمّه عثمان وأبي بكر وكانا تظافرا عليه وغلباه على ملك مصر والشام بقوله:

مـولاي إن أبـا بـكـر وصـاحِـبَـهُ ... عثمان قد غَصَبَا بالسيف حق علي

وخـالـفـاهُ وحَـلَّا عَـقْـدَ بـيـعـتـه ... فالأمر بينهما والنص فيه جَلي

فانظر إلى حَظِّ هذا الاسم كيف لقى ... مـن الأواخِـرِ مـا لاقـى مِـنَ الأُوَلِ

---

(١) هو أبو الحسن الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي. ولد بالقاهرة سنة ٥٦٥ وقيل ٥٦٦هـ. كان أكبر أولاد أبيه وإليه ولاية عهده. درس على خيرة علماء عصره. لما توفي والده استقل كل واحد من أهل بيته بما تحت يده من البلاد. ولم يبق له غير الشام التي كان يتولى شؤونها على عهد أبيه، ثم اعتدى عليه أخوه العزيز عثمان وعمه العادل أبو بكر، فحاصراه وأخرجاه من الشام قسراً، وأعطياه صرخد. وبعد وفاة أخيه العزيز تولى إدارة مصر نيابة، ثم أخرجه عمه منها وأعطاه سميساط، فبقي فيها إلى أن توفي سنة ٦٢٢هـ.

ترجمته في: الكامل لابن الأثير ٣٦٥/٩، وفيات الأعيان ٤١٩/٣ ـ ٤٢١ النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٢، شذرات الذهب ٥/ ١٠١، أنوار الربيع ١/هـ ١٣٤ ـ ١٣٥.

فأجابه الإمام الناصر بقوله:

وافى كتابُكَ يا ابن يوسُفَ معلناً ... بالحق يخبر أن أصلك طاهرُ
غصبوا عليّاً حقَّه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثربَ ناصرُ
فابشر فإن غداً عليه حسابهم ... وابشر[1] فناصِرُكَ الإمام الناصِرُ[2]

ما أحسن مواقع التورية في شعر الأفضل بأبي بكر وعثمان وعلي.

وذكر الشيخ صلاح الدين الصفدي: إن أبا يوسف يعقوب بن صابر المنجنيقي البغدادي[3] الشاعر المشهور كتب إلى الإمام الناصر المذكور يُعَرِّض بالوزير القمّي أحد وزرائه، وكان يقال إنه شريف علوي:

خليليَّ قولا للخليفة أحمد ... توَّق وقيت الشر ما أنت صانعُ
وزيرك هذا بين أمرين فيهما ... صنيعك يا خير البرية ضايعُ
فإن كان حقاً من سلالة أحمد ... فهذا وزير في الخلافة طامِعُ
وإن كان فيما يدّعي غير صادق ... فاضيع ما كانت لديه الصنايعُ

فلما وقف عليها الناصر كان سبب تغيّره عليه، وأمره فخرج إليه مملوكان مسرعين فهجما على الوزير في داره وضرباه بدواته على رأسه وحملاه إلى المطبق، وكتب إلى الخليفة:

ألْقِنِي في لَظَى فإن أحرقتني ... فتيقَّنْ أن لستُ بالياقوتِ
صنع النسيج كل مَنْ حاكَ لكنْ ... ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ[4]

---

(١) في هامش الأصل: «واصبر».

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٢٠ - ٤٢١.

(٣) هو أبو يوسف (نجم الدين) يعقوب بن صابر بن بركات الحراني المنجنيقي. ولد ببغداد سنة ٥٥٤هـ. كان شيخاً هشاً فكهاً، شريف النفس متواضعاً، وكان شاعراً مجيداً ذا معان مبتكرة، له منزلة رفيعة عند الإمام الناصر لدين الله العباسي. برع في صناعة المنجنيقات والفنون الحربية، لأنه كان في بداية أمره جندياً. توفي سنة ٦٢٥هـ، ودفن بباب المشهد - في الكاظمية - من آثاره: كتاب عمدة السالك في سياسة الممالك ضمنه أحوال الحروب، وتعبية الجيش، وبناء المعاقل، وأحوال الفروسية والهندسة، والرياضة، وبناء القلاع، والحيل الحربية، وصنوف الخيل وغير ذلك. وله ديوان شعر سماه مغاني المعاني.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٦/٣٥، هدية العارفين ٢/٥٤٥، شذرات الذهب ٥/١٢٠، كشف الظنون ١١٦٧، وإيضاح المكنون ٢/٥١٩، أنوار الربيع ١/هـ ١٧.

(٤) وفيات الأعيان ٧/٤١.

فكتب إليه الخليفة:

نسجُ داود لم يفد صاحب الغارِ — وكان الفخارُ للعنكبوتِ
وبقاءُ السَّمَنْدِ في لهبِ النار — مزيلٌ فضيلةَ الياقوتِ

وفي تاريخ ابن خلكان زيادة:

وكذاك النعام تلتقطُ الجمرَ — وما الجمر للنعام بقوتِ

ونسب القطعة جميعها إلى أبي يوسف المذكور، وأما أبيات الوزير فذكر أنه ما عرف قائلها.

قلت: ذكر ابن عنبة في عمدة الطالب صحّة نسب الشريف الوزير وشرح حاله وذكر أن الناصر لما قبض عليه أرسل الوزير رقاع جميع ماله من النقود والأموال إلى الناصر وقال: إن هذا جميعه مما كسبته في خدمة مولانا، وقد عاد إليه حقّه، فأمر الناصر بإرجاع جميع ماله إليه، وقال: إن التدبير أوجب عزلك، فأما مالك فلا حاجة لنا إليه.

وقيل: إن الناصر صلاح الدين أيوب كتب إلى الخليفة الناصر يشكو من وزيره الشريف القمّي ويقول: إن لم يُعزَل فعندي في بيت من قرابة العاضد وأولاده أكثر من ستين رجلاً، أُخرج أحدهم وأبايعه بالخلافة، فخشي الناصر فعزله، إلاّ أن ابن عنبة ذكر عن الوزير ظلماً وكبراً[1].

ولأبي عبد الله محمد سبط ابن التعاويذي - الآتي ذكره[2] - في الإمام الناصر القصيدة النونية المشهورة وسأوردها بكمالها هنا، لما اشتملت عليه من المحاسن، ورعاية لقدر ممدوحها، وإن كان الأنسب تأخيرها إلى حرف الميم وهي [من البسيط]:

سَقَاكِ سَارٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ هَتَّانُ — وَلاَ رَقَتْ لِلْغَوادِي فِيكِ أَجْفَانُ
يَا دَارَ لَهْوِي وَأَطْرابِي وَمَلْعَبَ أَتْـ — ـرَابِي وَلِلَّهْوِ وَالأَطْرَابِ أَوْطَانُ
أَعَائِدٌ لِيَ مَاضٍ مِنْ جَدِيدِ هَوًى — أَبْلَيْتُهُ وَشَبَابٌ فِيكِ فَيْنَانُ
إِذِ الرَّقِيبُ لَنَا عَيْنٌ مُسَاعِدَةٌ — وَالْكَاشِحُونَ لَنَا فِي الْحُبِّ أَعْوَانُ

---

(١) عمدة الطالب.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٦٥.

وَإِذْ جَمِيلَةُ تُولِينِي الْجَمِيلَ وَعِنْـ ... ـدَ الْغَانِيَاتِ وَرَاءَ الْحُسْنِ إِحْسَانُ

وَلِي إِلَى الْبَانِ مِنْ رَمْلِ الْحِمَى طَرَبٌ ... فَالْيَوْمَ لاَ الرَّمْلُ يُصْبِينِي وَلاَ الْبَانُ

وَمَا عَسَا يُدْرِكُ الْمُشْتَاقُ مِنْ وَطَرٍ ... إِذَا بَكَى الرَّبْعَ وَالأَحْبَابُ قَدْ بَانُوا

كَانُوا مَعَانِي الْمَغَانِي وَالْمَنَازِلُ أَمْـ ... ـوَاتٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ سُكَّانُ

لِلَّهِ كَمْ قَمَرَتْ قَلْبِي بِجَوِّكِ أَقْـ ... ـمَارٌ وَكَمْ غَازَلَتْنِي فِيكِ غِزْلاَنُ

وَلَيْلَةٍ بَاتَ يَجْلُو الرَّاحَ مِنْ يَدِهِ ... فِيهَا أَغَنُّ خَفِيفُ الرُّوحِ جَذْلاَنُ

خَالٍ مِنَ الْهَمِّ فِي خَلْخَالِهِ حَرَجٌ ... فَقَلْبُهُ فَارِغٌ وَالْقَلْبُ مَلآنُ

يُذْكِي الْجَوَى بَارِدٌ مِنْ ثَغْرِهِ شَبِمٌ ... وَيُوقِظُ الْوَجْدَ طَرْفٌ مِنْهُ وَسْنَانُ

إِنْ يُمْسِ رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبَابِ فَلِي ... قَلْبٌ إِلَى رِيقِهِ الْمَعْسُولِ ظَمْآنُ

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهِ مُشَارَكَةٌ ... مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلأَغْمَادِ أَجْفَانُ

فَكَيْفَ أَصْحُو غَرَاماً أَوْ أُفِيقُ هَوًى ... وَقَدُّهُ ثَمِلُ الأَعْطَافِ نَشْوَانُ

أَفْدِيهِ مِنْ غَادِرٍ بِالْعَهْدِ غَادَرَنِي ... صُدُودُهُ وَدُمُوعِي فِيهِ غُدْرَانُ

فِي خَدِّهِ وَثَنَايَاهُ وَمُقْلَتِهِ ... وَفِي عِذَارَيْهِ لِلْمَحْبُوبِ بُسْتَانُ

شَقَائِقٌ وَأَقَاحٍ نَبْتُهُ خَضِلٌ ... وَنَرْجِسٌ عَبِقٌ غَضٌّ وَرَيْحَانُ

مَا زَالَ يَمْزُجُ كَأْسِي مِنْ مَرَاشِفِهِ ... بِقَهْوَةٍ أَنَا مِنْهَا الدَّهْرَ سَكْرَانُ

وَاللَّيْلُ تَرْمُقُنِي شَزْراً كَوَاكِبُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ دُنُوِّي مِنْهُ غَيْرَانُ

حَتَّى تَوَالَتْ تَؤُمُّ الْغَرْبَ جَانِحَةً ... مِنْهَا إِلَيْهِ زَرَافَاتٌ وَوحْدَانُ

كَأَنَّهَا نَقَدٌ بِالدَّوِّ نَفَّرَهَا ... لَمَّا بَدَا ذَنَبُ السِّرْحَانِ سِرْحَانُ

أَوْ فَلُّ جَيْشٍ عَلَى الأَعْقَابِ مُنْهَزِمٍ ... مَالَتْ بِأَيْدِيهِمُ لِلطَّعْنِ خِرْصَانُ

فَقَامَ يَسْحَبُ بُرْداً ضَوَّعَتْ عَبَقاً ... وَجْهَ الثَّرَى مِنْهُ أَذْيَالٌ وَأَرْدَانُ

شَوْطٌ مِنَ الْعُمْرِ أَنْضَيْتُ الشَّبِيبَةَ فِي ... مَيْدَانِهِ فَرَحاً وَالْعُمْرُ مَيْدَانُ

أَيَّامَ شَرْخُ شَبَابِي رَوْضَةٌ أُنُفٌ ... مَا رِيعَ مِنْهُ بِوَخْطِ الشَّيْبِ رَيْعَانُ

تَقَرُّ بِي عَيْنُ نَدْمَانِي فَهَا أَنَا قَدْ ... أَمْسَيْتُ مَا لِيَ غَيْرَ الْهَمِّ نَدْمَانُ

فَلَيْتَ شِعْرِي أَرَاضٍ مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ... أَمْ مُعْرِضٌ هُوَ عَنِّي الْيَوْمَ غَضْبَانُ

مِنْ بَعْدِ مَا صِرْتُ فِي حُبِّي لَهُ مَثَلاً ... فَشَأْنُ وَجْدِي بِهِ فِي النَّاسِ إِعْلاَنُ

وَبَاتَ مِنْ غَزَلِي فِيهِ وَمَدْحِ أَمِيـ ... ـرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْعَبَّاسِ دِيوَانُ

النَّاصِرِ الدِّينَ وَالْحَامِي حِمَاهُ وَمَنْ ... دَانَتْ لَهُ الثَّقَلاَنُ: الإِنْسُ وَالْجَانُ

فَلِلرَّعِيَّةِ عَيْنٌ مِنْهُ كَالِئَةٌ ... وَلِلْخِلاَفَةِ عَزْمٌ مِنْهُ يَقْظَانُ

خَلِيفَةٌ طَاعَةُ الرَّحْمٰنِ طَاعَتُهُ ... حَقّاً وَعِصْيَانُهُ لِلَّهِ عِصْيَانُ

إِذَا تَمَسَّكْتَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ   فَمَا لِسَعْيِكَ عِنْدَ اللَّهِ كُفْرَانُ
تَسْخُو بِكُلِّ نَفِيسٍ نَفْسُهُ وَيَرَى   أَنَّ النَّفَائِسَ لِلْعَلْيَاءِ أَثْمَانُ
رَبُّ الْجِيَادِ مِنَ النَّقْعِ الْمُثَارِ لَهَا   بَرَاقِعٌ وَمِنَ الْخَطِّيِّ أَرْسَانُ
تَحْذُو قَوَائِمَهَا التِّبْرَ النُّضَارَ فَمِنْ   نِعَالِهَا لِلْمُلُوكِ الصِّيدِ تِيجَانُ
عِقْيَانُ خَيْلٍ مِنَ الرَّايَاتِ تَحْمِلُ عِقْـ   ـبَاناً وَتَتْبَعُهَا فِي الْجَوِّ عِقْبَانُ
تُرْدِي الأَعَادِي عَلَيْهَا حِينَ تَبْعَثُهَا   قُبّاً كَمَا انْبَعَثَتْ تَشْتَدُّ ذُؤْبَانُ
فَاعْجَبْ لِمَيْمُونَةِ الأَعْرَافِ مِيسَمُهَا   نَصْرٌ وَفِيهَا لِمَنْ عَادَاهُ خِذْلاَنُ
لاَ يُغْمِدُ السَّيْفَ إِلاَّ فِي الْكَمِيِّ وَلاَ   يَسْتَصْحِبُ النَّصْلَ إِلاَّ وَهْوَ عُرْيَانُ
يُذْكِي الأَسِنَّةَ فِي لَيْلِ الْعَجَاجِ كَمَا   يُذْكَى لِبَاغِي الْقِرَى فِي اللَّيْلِ نِيرَانُ
تَسْتَطْعِمُ الْبِيضَ فِي كَفَّيْهِ مُحْدِقَةً   بِهِ كَمَا أَحْدَقَتْ بِالْبَيْتِ ضِيفَانُ
عَلَى خُوَانٍ مِنَ الْقَتْلَى كَأَنَّهُمُ   عَلَى التَّبَايُنِ مِنْ حَوْلَيْهِ إِخْوَانُ
فَيَالَهُ مِنْ مُضِيفٍ طَالَمَا عُقِرَتْ   عَلَى مَقَارِيهِ أَبْطَالٌ وَأَقْرَانُ
مُؤَيَّدُ الْعَزْمِ مَنْصُورُ الْكَتَائِبِ أَمْـ   ـلاَكُ السَّمَاءِ لَهُ فِي الأَرْضِ أَعْوَانُ
نَمَتْهُ مِنْ غَالِبٍ غُلْبٌ غَطَارِفَةٌ   بِيضُ الْمَآثِرِ وَالأَحْسَابِ غُرَّانُ
أَئِمَّةٌ فَوْقَ أَعْوَادِ الْمَنَابِرِ أَحْـ   ـبَارٌ وَفِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ فُرْسَانُ
صَوْمُ الْهَوَاجِرِ هِجِّيرَاهُمُ وَلَهُمْ   إِذَا سَجَا اللَّيْلُ تَسْبِيحٌ وَقُرْآنُ
حَازُوا تُرَاثَ رَسُولِ اللَّهِ وَاتَّصَلُوا   لَهُمْ بِدَوْحَتِهِ الْعَلْيَاءِ عِيدَانُ
حَلَفْتُ بِالْعِيسِ أَمْثَالِ الْقِسِيِّ عَلَى   أَكْوَارِهَا كَقِسِيِّ النَّبْعِ رُكْبَانُ
كَأَنَّهَا وَالْمَوَامِي يَرْتَمِينَ بِهَا   نَوَاجِياً تَخْبِطُ الظَّلْمَاءَ ظِلْمَانُ
مِنْ كُلِّ مُجْفَرَةِ الْجَنْبَيْنِ تَامِكَةٍ   كَأَنَّ مَا ضَمَّ مِنْهَا الرَّحْلُ بُنْيَانُ
أَذَابَهَا لِلسُّرَى طَوْعَ الأَزِمَّةِ إِعْـ   ـمَادٌ وأَنْحَلَهَا لِلسَّيْرِ إِدْمَانُ
حَتَّى لَعَادَتْ وَفِي أَنْسَاعِهَا ضُمُراً   مِنْهَا نُسُوعٌ وَفِي الأَقْرَانِ أَقْرَانُ
تُهْوِي بِكُلِّ مُنِيبِ الْقَلْبِ تَخْفِرُهُ   تَقِيَّةٌ مِلْءُ جَنْبَيْهِ وَإِيمَانُ
شُعْثاً يَمِيلُونَ مِنْ سُكْرِ اللُّغُوبِ كَمَا   تَمَايَلَتْ فِي ذُرَى الأَحْقَافِ أَغْصَانُ
يَرجُونَ مَكَّةَ وَالْبَيْتَ المحرّم أَنْ   تَبْدُو لَهُمْ مِنْهُ أَسْتَارٌ وَأَرْكَانُ
أَمُّوا جَوَاداً إِذَا حَلُّوا بِهِ وَسِعَتْ   ذُنُوبَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْهُ وَرِضْوَانُ
وَالْمُشْعَرَاتِ الْهَدَايَا فِي أَزِمَّتِهَا   مِنَ الْغَوَارِبِ أَنْقَاءٌ وَكُثْبَانُ
يَقْتَادُهَا فِي حِبَالِ الذُّلِّ ما عَلِمَتْ   أَعْنَاقُهَا أَنَّهَا لِلَّهِ قُرْبَانُ
صُوراً إلى الشَّعَرَاتِ الْبِيضِ قَدْ خُضِبَتْ   مَشَافِرٌ بِالدَّمِ الْقَانِي وَأَذْقَانُ

لَوْلاَ وَلاَءُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَا ثَقُلَتْ ... لِمُفْلِسٍ مُخْسِرٍ فِي الْحَشْرِ مِيزَانُ
أَنْتُمْ وَقَدْ بَيَّنَ الرحمٰن فَضْلَكُمُ ... بَيْنَ الْهُدَى وَضَلاَلِ السَّعْيِ فُرْقَانُ
يَا نَاشِرَ الْعَدْلِ فِي الدُّنْيَا وَمُنْشِرَهُ ... وَمَنْ بِهِ تَفْخَرُ الدُّنْيَا وَتَزْدَانُ
لَمْ يَبْقَ لِلْجَوْرِ سُلْطَانٌ عَلَى أَحَدٍ ... أَنَّى وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ سُلْطَانُ
لاَ زِلْتَ بَدْرَ تَمام يَسْتَضِيءُ بِهِ ... وَيَهْتَدِي في ظَلام اللَّيْلِ حَيْرَانُ
وَلاَ سَعَى لَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ فِي حُرُم ... وَلاَ رَأَى وَجْهَ مَنْ يَرْجُوكَ حِرْمَانُ
قَالُوا الْقِرَانُ وَطُوفَانُ الْهَوَاءِ لَهُ ... بِالشَّرِّ عَنْ كَثَبٍ فِي الْأَرْضِ طُوفانُ
ومَا لَهُمْ فِيهِ بُرْهَانٌ وَطَائِرُكَ الْـ ... ـمَيْمُونُ فِيهِ لِدَفْعِ الشَّرِّ بُرْهَانُ
وَكَيْفَ تَسْطُو اللَّيَالِي أَوْ يَكُونُ لَهَا ... فِي عَصْرِ مِثْلِكَ إِزْهَاقٌ وَعُدْوَانُ
سَعَادَةٌ لَوْ أَحَاطَ الْخَازِمِيُّ بِهَا ... لَعَادَ فِيمَا ادَّعَاهُ وَهْوَ خَزْيَانُ
فَاسْعَدْ بِهَا دَوْلَةً غَرَّاءَ مَا ادَّرَعَتْ ... بِمِثْلِهَا حِمْيَرٌ قِدْماً وَسَاسَانُ
وَاسْلَمْ تَدُومُ لَكَ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مَا ... بَقِيتَ فِي جَذَلٍ فَالدَّهْرُ جَذْلاَنُ[1]

ولله هذا اللؤلؤ المكنون، الذي ناسب ناظمه فساق إلى البحر النون، وهذه المعاني المتلاعبة بالعقول، التي تدار منها على المسامع الشمول.

وأشار أمين الدولة بقوله: «القرآن وطوفان الهوى له» أي ما زعمه المنجمون من أن السبعة الكواكب اجتمعت أيام نوح عليه السلام في برج الحوت وهو مائي، فأوجب ذلك الطوفان المائي، وإنّها اجتمعت في أيام الإمام الناصر في برج الميزان وهو هوائي فدلَّ على حصول طوفان ريح تخرّب أكثر المعمور، ولو كان زحل معها كما وقع في قران نوح عليه السلام لعمَّ طوفان الريح الأرض كما عمّها في أيام نوح عليه السلام، والذي اجتمع في أيام الناصر الستة ما عداه، وشاع ذلك وأجمع المنجمّون عليه وشرع أكثر ملوك الأعاجم في اتخاذ الاسراب الكبار تحت الأرض وإعداد الأزداد، وبالغوا في ذلك، فلما كانت الليلة التي دلَّ القرآن أن طوفان الرياح يقع فيها لم يُرَ مثلها ركود، ولم تكد تهب ريح.

وذكر العماد الكاتب في البرق الشامي قال: استدعاني السلطان، يعني صلاح الدين بن أيوب وهو يومئذ يحاصر الأفرنج على بعض قلاع الساحل، فدخلت إليه وقد دخل بالمساء، وأوقدت الشموع الكبار، فلم تكد تهب نسيم،

---

(١) ديوان سبط بن التعاويذي ٤١٢ ـ ٤١٦.

وكان الركود شديداً، ولم يَرَ الناس ليلة أسكن منها.

والخارمي، المذكور في القصيدة: أحد أكابر المنجمين في ذلك الوقت، وهو منسوب إلى خَارِم بالخاء المعجمة وبعدها ألف ثم راء، ثم ميم: مدينة من ساحل الشام.

ورأيت في بعض التواريخ: إن الخليفة الناصر لما رأى إجماع المنجمين طلب فلاناً وكان أجلّ منجّم ببغداد، فذكر له ما يقوله أهل النجامة، فقال: يا أمير المؤمنين لا أقول بقولهم، ولكن أقول: إن أعظم محل يجمع الناس تصيبه آفة سماوية، فكثر خوف الخليفة على بغداد، وقال: ما في الدنيا أجمع للناس منها، وأمر بإصلاح الجسور خشية من الغرق، فاتفق أن الحجّاج نزلوا مجتمعين بمنى فجاءهم سيل لم يُرَ مثله في جوف الليل فذهب بهم، وبلغ الخليفة فسري عنه وخلع على المنجّم.

ذكرت قول صناجة الروح شاعر الحاكم يعلّل زلزلة كانت بمصر في خلافته، وإن لم يكن من هذا، والشيء بالشيء يذكر:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً ... نجل العلى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله فرحا

وقال شرف الدين التيفاشي[1] عقب زلزلة دامت:

أما ترى الأرض في زلزالها عجبا ... تدعو إلى طاعة الرحمن كل تقي
أضحت كوالدة خرقاء مرضعة ... أولادها درَّ ثدي حافلٍ غدقِ
قد مهّدتهم مهاداً غير مضطرب ... وأفرشتهم فراشاً غير ما قلقِ

(١) هو أبو العباس القاضي شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي القيسي. عالم أديب، طبيب، شاعر، كاتب، له مشاركة في بعض العلوم الأخرى. قدم الديار المصرية للتحصيل، ثم رجع إلى بلاده (تيفاش)، وولي قضائها، ثم عاد إلى مصر والشام. توفي بالقاهرة سنة ٦٥١هـ. من آثاره الكثيرة: رجوع الشيخ إلى صباه في جزئين، وقد ترجمه ابن كمال باشا بإشارة من السلطان سليم العثماني، وأزهار الأفكار في جواهر الأحجار، والوافي في الطب الشافي، وفصل الخطاب ونزهة الألباب.

ترجمته في: الكنى والألقاب ٢/١١٦، كشف الظنون/ ٧٢ و٨٣٥ و٩٧٩ و١٠٥٥، وإيضاح المكنون ١/٥٤٩، وهدية العارفين ١/٩٤، أنوار الربيع ١/هـ ٢٢.

حتى إذا أبصرت بعض الذي كرمت ... مما يشق من الأولاد من خلقِ
هزت بهم مهدها شيئاً تنبههم ... ثم استشاطت وآل الطبع للحرقِ
فصكّت الأرض غيضاً فهي لافظة ... بعضاً على بعضهم من شدّة الحنقِ

أجاد النظم، وناسب العلّة، وأوجز الوعظ.

وأمّا ما حكم المنجمون ولم يقع فمثل واقعة المعتصم لما غزا بلاد الروم فإنهم أجمعوا أنه يموت أو ينهزم الجيش، فسار وغنم وقتل وبلغ إلى حيث لم يبلغه من قبله، وعاد ظافراً سالماً، وقال أبو تمّام يهنئه:

السيف اصدق إنباءً من الكتبِ ... في حدّهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصحائفِ في ... متونهنَّ جِلاءُ الشكِّ والريبِ
والعِلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً ... بين الخميسَيْنِ لا في السبعةِ الشهبِ
أينَ الروايةُ بل أين النجومُ وما ... صاغوهُ من زُخرفٍ فيها ومن كذبِ
تخرّصاً وأحاديثاً ملفقةً ... ليست بنبعٍ إذا عدَّت ولا غَرَبِ
عجائباً زعموا الأيامَ مجْفِلةً ... عنهنَّ في صفَرَ الأصفار أو رجبِ
وخوّفوا الناس من دهياءَ مظلمةٍ ... إذا بدا الكوكب الغربيّ ذو الذنبِ
وصيروا الأبرُجَ العُليا مرقبةً ... ما كان منقلباً أو غير منقلبِ
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ ... ما دارَ في فَلَكٍ منها وفي قُطبِ
لو بيّنتْ قطُّ أمراً قبل موقعهِ ... لم يخفَ ما حلَّ بالأوثانِ والصُلُبِ
فَتْحُ الفُتوحِ تعالى أن يحيط بهِ ... نظمٌ من الشعر أو نثرٌ من الخُطَبِ
فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السماء لهُ ... وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ[(١)]

وهذه القصيدة طويلة من أشهر شعر أبي تمّام وأجوده، وأوردها ابن قيّم الجوزية في كتابه مفتاح السعادة عندما أراد إبطال كلام المنجمين.

وأراد أبو تمّام بقوله: «لو بيّنت قطّ أمراً قبل موقعه...» البيت، إنها ما كانت تخفى ما نزل بأصنام الروم من تلك الغزاة لا مطلق الأصنام، فإن ترامي النجوم قبل مبعث رسول الله ﷺ دلّت الكهانة عليه، والحق أن الله تعالى لم يخلق النجوم عبثاً، وإنها تدل على ما يقع في العالم السفلي، وإنما يخلف ذلك لكثرة المتعاطي وجهله.

---

(١) كاملة في ديوان أبي تمام ١٤ ـ ١٨.

وعلم التنجيم على ما أشار إليه الرئيس أبو علي تخميني، وهو من فروع الرياضي، وسيأتي في ذكر أبي العلاء المعري[1] قصّة غريبة فيما يتعلق بالكواكب، وإنما عمرت أهرام مصر قبل الطوفان لما دلّتهم النجوم عليه[2].

[١٨]

ومن الخلفاء المتشيّعين ممن يذكر في هذا الحرف وله شعر:

المعتضد بالله، أبو العباس، أحمد بن الموفّق[*]، وقد اندمج في نسب الإمام الناصر، فإنه جدّه.

ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين، وبويع بالخلافة بعد عمّه المعتمد على الله، وكان يلقب بالسفّاح الثاني لأن دولتهم تجدّدت في أيامه.

وكان أسمراً نحيفاً، شديد القوى بحيث يساور الأسد وحده.

وإلى تجدّد الدولة في أيامه، أشار ابن الرومي[3] في مديحه بقوله:

هنيئاً بني العباس إن إمامكم إمام التقى والبرّ والجود أحمدُ
كما بأبي العباس أنشِأ ملككم كذا بأبي العباس أيضاً يجددُ

أبو العباس الأول: يعني به السفّاح.

وكان المعتضد أديباً شجاعاً سايساً مهيباً شديد العقوبة، وكان شيعياً، أمر بلعن معاوية وأن يكتب على المنابر خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

(٢) في هامش نسخة ب: «وفاة الناصر العباسي سنة ستمائة واثنين وعشرين».

(*) أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي.
ترجمته في: الأغاني ١٠/٤٨ ـ ٥١، النجوم الزاهرة ٣/١٢٨، شذرات الذهب ٢/١٩٩، فوات الوفيات ١/٨٣، الكامل لابن الأثير ٧/١٤٧ ـ ١٦٩، تأريخ الطبري ١١/٣٧٣، تاريخ الخميس ٢/٣٤٣، النبراس لابن دحيه ٩٠ ـ ٩٤، مروج الذهب ٤/٢٣١ ـ ٢٧٤، تاريخ بغداد ٤/٤٠٣، المنتظم ج ٥ ق ٢/١٢٣ ـ ١٣٨، الاعلام ط ٤/١/١٤٠، مختصر التاريخ ١٦٤ ـ ١٦٧، أعيان الشيعة ٥٤/٥٦ ـ ٥٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٠٥.

طالب عليه السلام، وأمر بالنداء: برئت الذمّة ممّن ذكر معاوية بخير أو ترحم عليه، وأمر بإنشاء رسالة في معايبه ومساويه قرئت ببغداد على المنابر ـ وقد سردها العزيز بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ـ وأراد أن يكتب بها إلى أطراف المملكة فأشار عليه الوزير أن لا يفعل، وقال: نخشىٰ أن تحترك العامة، فقال المعتضد: إن احتركوا وضعت فيهم السيف، قال: فكيف بالعلويين الذين ثاروا في الأطراف؟ فإذا سمع الناس بذلك من مناقب أهل البيت كانوا أميل إليهم فثناه عن ذلك، واقتصر على النداء المذكور[1].

ومن شعر المعتضد يرثي جارية له:

يـا حـبـيـبـاً لـم يـكـد يـعـد لـه عـنـدي حـبـيـب

لـيـس لـي بـعـدك فـي ... شـيء مـن الـلـهـو نـصـيـب

أنـت عـن عـيـنـي بـعـيـد ... ومـن الـقـلـب قـريـب

لـك مـن قـلـبـي عـلـى قـلـ ... ـبـي وإن غـبـت رقـيـب

لـو تـرانـي كـيـف حـالـي ... بـي نـحـول ونـحـيـب

وفـؤادي حـشـوه مـن ... حـرق الـبـعـد لـهـيـب

لـتـيـقـنـت بـأنـي فـيـك ... مـحـزون كـئـيـب[2]

وحكى أبو بكر العلّاف الضرير النَّهْرَوانيُّ[3]، الشاعر المشهور قال: بتنا ليلة في دار الخلافة أيام المعتضد، فلما نمنا وهدأت العيون، سمعنا فتح الأقفال والأبواب، فدخل علينا خادم، فقال: أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة فعملت بيتاً وهو:

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة ١٥/ ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) مختصر التاريخ ١٦٦.

(٣) الحسن بن علي بن أحمد النهرواني، أبو بكر، ابن العلاف: شاعر ولد سنة ٢١٨هـ وعاش في بغداد، ونادم بعض الخلفاء، وكف بصره، وهو صاحب القصيدة في رثاء الهر:

«يـا هـرُ فـارقـتـنـا ولـم تـعـد»

وقيل أنه أراد رثاء عبد الله بن المعتز وخشي من الخليفة المقتدر، فجعلها في الهر، توفي سنة ٣١٨هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١: ١٣٨ وغاية النهاية ١: ٢٢٢ وسير النبلاء ـ خ ـ الطبقة الثامنة عشرة. وتاريخ بغداد ٧: ٣٧٩ ونكت الهميان ١٣٩، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٢٠١.

ولما انتَبَهْنا للخيال الذي سَرى		إذ الدار قفرا والمزار بعيدُ

ثم أُرْتِجَ عليَّ فمن أجازه فله الجائزة فقلت بديهاً:

فقلت لعيني عاودي النومَ واهجعي		لعلَّ خيالاً طارقاً سيَعُودُ

فغاب الخادم ساعة وجاء وقال: يقول لك أمير المؤمنين أحسنت، وقد أمر لك بجائزة[1].

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان المعتضد بالله مجيداً في صناعة الغناء عجيباً في ذلك، ولا سيما في قول دريد بن الصمّة[2]:

يا ليتني فيها جَذَعْ		أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[3]

أقود وطفاء الربغْ		كأنني شاة صُدَعْ

فإنه صنع فيه لحناً جمع فيه النغم العشر على قصير العروض فجاء بما أناف على المتقدمين.

قال: ومن نادر صنعة المعتضد في قول إبراهيم بن العباس الصولي[4]:

أناةٌ فإن لم تُغْنِ عقَّب بعدَها		وَعِيداً، فإن لم يُغْنِ أغنتْ عَزائمُهْ[5]

وكان المعتضد مشغوفاً بغلامه بدر، وقال وزيره القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، قال لي المعتضد: ألا تعاتب بدراً فيما لا يزال يستعمله من التخرّق في النفقات والزيادات في الصلات، وجعل يؤكد عليَّ القول في ذلك فلم أقم من مجلسه حتى دخل عليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مسرفة ونفقات واسعة، وصلات خارقة، وهو يأذن له في كل ذلك، فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعل بعد كلامه لي، فقال لي: قد عرفت ما في نفسك وإنّي وإياه كما قال الشاعر:

في وجهه شافع تمحو إساءَتَهُ		من القلوب وجيه حيث ما شفعا

---

(١) وفيات الأعيان ١٠٨/٢.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) الأغاني ٤٨/١٠.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١.

(٥) الأغاني ٥٠/١٠.

ثم قال: أنشد في بقيّة الأبيات، فأنشدته:

ويلي على من أطار النوم فامتنعا	وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنّما الشمس من أوجانه بزغت	حسناً أو البدر من أزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت	منه الإساءة معذور بما صنعا

وذكر المسعودي في مروج الذهب: له في الجناة غرائب عقوبات لم يسمع بمثلها، وتزوّج قطر الندى بنت الأمير أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ملك مصر وجهّزها أبوها إليه بجهاز لم يسمع بمثله، حتى إنه كان فيما جهّزها به ألف هاون من ذهب، فما الظنّ بغيره. وتولّى نقلها إلى بغداد أبو عبد الله الحسين بن الجصّاص الجوهري التاجر، الشهير بكثرة الأموال، أنفذه المعتضد من بغداذ لينقلها إليه، ويقال أن أصل ماله مما كسب من جهازها، فإنه كان أمراً عظيماً[1].

وذكر المقريزي في الخطط: إن خمارويه لما نقلها من قصره لتسافر إلى بغداد صحبة أبي عبد الله قال له عند الوداع: هل بقي شيء من الجهاز، فنظر في الدفاتر فقال: لم يبق إلاّ اليسير، وهي تكك، فأرسل في الحال إلى السوق فاشتريت ألف تكة أرمنية مذهّبة حرير فاخرة، فكان ثمن المبلغ عشرة آلاف دينار، فجعلت في الجهاز[2].

وإنما ذكر المقريزي هذا في عرض ذكر عمارة مصر في أيام الطولونية حيث وجد في سوقها مثل هذا المطلب في ساعة واحدة، وكان ثمن التكة عشرة دنانير.

وكانت خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصف، وتغيّر مزاجه لإفراط الجماع، ومات يوم الاثنين لست، وقيل لثمان بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين، ودفن في الحجرة الرخام، رحمه الله تعالى.

وقال المسعودي: شكّوا في موت المعتضد، فتقدم الطبيب فجسّ نبضه، ففتح عينيه، ورفس الطبيب برجله فَدحاه أذرعاً فمات الطبيب، ثم مات المعتضد من ساعته[3].

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤، باختصار.

(٢) الخطط المقريزية ٢/ ١٠٠.

(٣) مروج الذهب ٤/ ٢٧٤.

وذكر أنه لما اعتقل لسانه كان يشير إليهم بيده إلى حلقه وإلى السجن، يريد إنهم يذبحون عمرو بن الليث الصفار أخا يعقوب الخارج بسجستان وبلاد خراسان، وكان إسماعيل بن نوح الساماني أسره بناحية بلخ وهو في خمسين ألف فارس، وحمله إلى بغداد فحبس بها.

وأراد المعتضد قتله فلم يقدر له[1].

❀ ❀ ❀

وسُجستان، بضم السين المهملة والجيم وإسكان المهملة بعدها وبعد التاء المثناة من فوق ألف ونون: ولاية كبيرة مجاورة لخراسان وبلاد السند، ومنها بُست وقصبتها زَرَنْج وهي في الإقليم الثالث.

وأما بلخ: فهي إحدى كراسي مملكة خراسان.

[١٩]

أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد التنوخي المعري، اللغوي، الشاعر المشهور[*].

أحد المشاهير الفحول العلماء الزهّاد، يتعثّر القلم عند عدّ مناقبه حياءً وخجله، ويتمايل القرطاس فخراً به ويظهر دلّه، فهو إنْ عدّ الشعراء السابق، أو أئمة اللغة فما له لاحق، أو الزهّاد فهو البحر ذوو النون، أو مخاطبة الأفلاك ورصد الكواكب فهو أفلاطون، وما أحقّه بقوله:

وإنـي وإن كـنـت الأخـيـر زمـانـه لآتٍ بـمـا لـم تـسـتـطـعـه الأوائـلُ

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٢٧٤.

(*) ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ١١٣ ـ ١١٦، الوافي بالوفيات ـ طبعة المستشرقين ٧/ ٩٤ ـ ١١١، معجم الأدباء ٣/ ١٠٧ ـ ٢١٨، ابن الوردي ١/ ٣٥٧، فهرست ابن خليفة ٣٤٣، أعلام النبلاء ٤/ ٧٧، ١٨٠، ٣٧٨، لسان الميزان ١/ ٢٠٣، إنباه الرواة ١/ ٤٦، تتمة اليتيمة ٩، مجلة المقتطف ٨/ ٨٩٧، ٢٩/ ١٥٧، دائرة المعارف الإسلامية، نيكلسن ١/ ٣٧٩، معظم ما كتب عن أبي العلاء في المصادر القديمة قد جمع في كتاب باسم (تعريف القدماء بأبي العلاء) ط دار الكتب المصرية ١٩٤٤م، الاعلام ط ٤/ ١/ ١٥٧، الغدير ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

طبع ديوانه وشروحه عدة طبعات، وقد اعتمدنا ديوانيه: (لزوم ما لا يلزم/اللزوميات) جزءان ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨١هـ/١٩٦١م، و (سقط الزند) ط مكتبة الحياة ـ بيروت [دت].

ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرّة، وعمي بالجدري غشى يمنى عينيه بياض، وذهب باليسرى جملة.

وقال الحافظ السلفي: أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي: أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره، فرآه قاعداً على سجادة له وهو شيخ قال: فدعاني ومسح على رأسي وكنت صبياً، وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه، إحداهما نادرة، والأخرى غائرة جدّاً، وهو مجدّر الوجه، نحيف الجسم.

ولما فرغ من شرح ديوان أبي الطيب المسمّى بـ«اللامع الغريزي»[1] وقرأ عليه، أخذ الجماعة في وصفه بالثناء فقال لهم: كأنّما أنظر إلى المتنبي بظهر الغيب إذ يقول:

أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبي وأسْمَعَتْ كلماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

ومن مؤلفاته: «ذكرى الحبيب» وهو مختصر ديوان أبي تمّام[2]، وشرح ديوان البحتري وسمّاه «عبث الوليد» وتكلّم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم، وما أخذه عليهم، والانتصار لهم، والنقد في البعض عليهم[3].

قال القاضي الأديب المؤرخ العلامة شهاب الدين أحمد بن خلكان في تأريخه: وكان أبوه فاضلاً، وعليه قرأ ولده أبو العلاء علم النجوم واللغة بالمعرة، وقرأ على محمد بن عبد الله بحلب، وله مصنفات مشهورة يطول ذكرها، ومن أفضلها: كتاب «الهمزة والردف» ويسمى أيضاً «الأيك والغصون» يقارب مائة جزء.

قال: وحكى من وقف على المجلد بعد المائة منه وقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد، وله ديوان سماه: «سقط الزند» وسَمّى شرحه عليه «ضوء السقط»، وسمى أيضاً شرح ديوان المتنبي «معجز أحمد».

---

(١) في وفيات الأعيان: «العزيزي».

(٢) في هامش ب: «وهو شرح ديوان أبي تمام لا مختصره، وهو مشهور، وكيف يخفى على المؤلف مع دعواه الطويلة».

(٣) وفيات الأعيان ١/١١٣ ـ ١١٤.

وأخذ عليه القاضي أبو القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي[1]، والخطيب أبو زكريا التبريزي الحريري[2].

ذكر ابن خلكان في ترجمته: أنه قصده من تبريز إلى المعرّة وجعل كتابه في مخلاة علّقها على ظهره فابتلّت بالعرق حتى أثّر في كتبها.

قلت: كان والدي رحمه الله تعالى يذكره بالتشيّع وهو ظاهر في شعره، فمنه في القصيدة النونية التي أجاب بها الشريف وأوّلها:

علّلاني فإن بيض الأماني ... فنيت والظلام ليس بفانِ

وذكر له ابن خلكان من اللزوميات:

لقَد عَجِبوا لآلِ البَيتِ، لمّا ... أتاهُمْ علمُهُم في مَسْكِ جَفرِ
ومرآةُ المنجِّم، وهي صُغرَى، ... أرَتْهُ كلّ عامرَةٍ وقَفرِ[3]

وله أيضاً في قطعة:

أمرَ الواحِدُ، فافعلْ ما أمرْ؛ ... واشكُرِ اللّهَ إنِ الفِعْلَ أمَرّ
أضمِرِ الخيفَةَ، واضمُرْ، فلمّا ... أدْرَكَ الطّرْفُ المدى حتى ضمَر
أيّها الملحدُ لا تغْصِ النُّهَى، ... فلَقَدْ صحّ قياسٌ، واستَمَرّ
إن تعُد، في الجسمِ يوماً، روحُه، ... فهْوَ كالرَّبعِ خلا ثمّ عَمَر
وهي الدّنيا، أذاها أبداً، ... زُمَرٌ واردَةٌ إثرَ زُمَر
يا أبا السِّبطينِ لا تحفِلْ بها، ... أعَتيقٌ[4]، سادَ فيها، أم عُمر[5]

وكان أبو العلاء يقول لا أعرف من الألوان إلاّ الأحمر، لأني لبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر.

وعن المصيصي[6] الشاعر قال: لقيت بمعرّة النعمان عجباً من العجب،

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١١٠.
(٢) وفيات الأعيان ١/١١٣.
(٣) لم أعثر عليها في الوفيات، القصيدة كاملة في ديوانه، (لزوم ما لا يلزم) ١/٥٥٣.
(٤) السبطين: الحسن والحسين. العتيق: هو أبو بكر الصديق، سمي بذلك لجماله.
(٥) كاملة في ديوانه (لزوم ما لا يلزم) ١/٦٠٩.
(٦) ترجمه المؤلف برقم ٨.

رأيت أعمىٰ شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل شيء من الجدّ والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله تعالى على العمى، كما يحمده غيري على البصر.

قلت: والشاهد قوله:

قالوا: العمى منظر قبيح قلت: بفقدانكم يهونُ
والله ما في الوجود شيء تأسّى على فقده العيونُ

قال: وهو من أهل بيت علم ورئاسة وفضل، وحوله جماعة من أقاربه قضاة وعلماء وشعراء، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشر سنة واثنتي عشرة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وأقام بها سنة وسبعة أشهر، ودخل على الشريف أبي القاسم الموسوي فعثر برجل، فقال: من هذا الكلب، فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً، فسمعه المرتضى فأدناه واختبره فوجده عالماً مشبّعاً بالفطنة، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً.

والنكتة التي إليها في ترجمة المتنبي لأبي العلاء مع المرتضى هي أن أبا العلاء كان يتعصّب للمتنبي، والمرتضى ينتقصه، فجاراه يوماً وعندهما جماعة من أهل الأدب مختلفين فيه، فقال أبو العلاء: لو لم يكن للمتنبي إلاّ القصيدة التي أوّلها:

لك يا منازل في القلوب منازلُ أقفرت أنتِ وهنَّ منك أواهلُ

فأمر المرتضى بإخراجه، وقال: أتدرون ما أراد الأعمى؟ إنما أراد قوله منها:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

وكان قد ارتحل إلى طرابلس قبل رحلته إلى بغداذ، وكان بها خزائن علم موقوفة، فأخذ منها ما أخذ من العلم، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب عالم بأقاويل الفلاسفة فأخذ عنه، فلذلك أنكر منه بعض قوله، وبعد عوده من بغداد لزم بيته وسمّى نفسه رهين المحبسَين يعني البيت والعمى.

وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي: أنه كان قاعداً في مسجده بمعرّة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه قال: وكنت قد أقمت عدّة سنين ولم أرَ

أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته، فتغيّرت من الفرح، فقال أبو العلاء: أي شيء أصابك؟ فحكيت له، فقال لي: قُم فكلّمه، فقلت: حتى أتم المسألة، فقال: قم وأنا انتظرك. فقمت وكلّمته بلسان الأذربيجية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقفت بين يديه، فقال: قل لي: أي لسان هذا؟ قلت: لسان آذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد عليَّ اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه، فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ من سرِّه ما لم يعلمه.

وقال الشيخ كمال الدين بن الزملكاني الدمشقي في حقه: هو جوهرة جاءت إلى الوجود، ثم ذهبت.

وقال الحافظ أبو الطاهر السلفي: ومما يدلّ على صحة عقيدته ما سمعت الخطيب حامد بن بختيار النميري يحدث بالسمسمانية مدينة بالخابور قال: سمعت القاضي أبا المهلب عبد المنعم بن السروجي يقول: سمعت أخي القاضي أبالفتح يقول: دخلت على أبي العلاء التنوخي بالمعرّة ذات يوم وقت صلاة بغير علم منه، وكنت أتردد إليه وأقرأ عليه، فسمعته ينشد من قوله:

كم غودرت غادة كعاب	وعمّرت أمّها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً	والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تُبطِئَ المنايا	والخلد في الدهر لا يجوز

ثم تأوّه مرّات، وتلى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1] ثم صاح وبكى بكاءً شديداً وطرح وجهه على الأرض زمانا ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال: سبحان من تكلّم بهذا في القدم، فقلت: يا سيدي أرى وجهك أثار غيضاً، فقال: يا أبا الفتح أنشدت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى، فتحققت صحة دينه وقوّة يقينه.

وعن أبي اليسر المعرّي: أن أبا العلاء كان يُرمى من أهل الحسد له

---

(١) سورة هود: الآيات ١٠٣ ـ ١٠٥.

بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحد، قصداً لإتلاف نفسه، وفي ذلك يقول:

حاول أهواني قوم فما واجهتهم إلاّ بأهوانِ
لو استطاعوا لَوَشوا بي إلى المرّيخ لا شهب كيوانِ[1]

وله قصة غريبة دلّت على تمكّنه من أسرار الكواكب وعلم الفلك، وقد وعدت بإيرادها وهي ما حكاه الأمام أبو حامد الغزالي في كتابه: «سر العالمين وكشف ما في الدارين».

وحكاه أيضاً ابن أبي أصيبعة[2] في كتابه «الأنباء في تأريخ الأطبّاء»: إن وزير محمود بن صالح الكلابي صاحب حلب.

وذكر الغزالي: إن القصّة وقعت لمرسل السلطان محمود بن سبكتكين والظاهر إن كلام ابن أبي أصيبعة[3] أصح لأن المعرّة من عمل حلب وشي إليه أن المعرّي زنديق لا يرى إفساد الصور، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفة العقل، فبعث محموداً على طلبه وأرسل خمسين فارساً ليحملوه إليه، فلما وصلوا إليه نزلهم بدار الضيافة وأكرمهم، فدخل عليه عمّه مسلم بن سليمان وقال: يا بن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة، الملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن سلّمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام، فقال: هوّن عليك يا عم، فلا بأس علينا ولا سلطان، ثم قام فاغتسل وصلّى نصف الليل، ثم قال لغلامه: انظر إلى المرّيخ أين هو؟، قال: هو في كذا وكذا، قال: زنه واضرب تحته وتداً، واجعل في رجلي خيطاً إربطه إلى الوتد، فسمعناه يقول: يا قديم الأزل، يا علّة العلل، يا صانع المخلوقات، وموجد الموجودات، أنا في عزّك الذي لا يرام، وكنفك الذي لا يضام، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير، ثم ذكر كلمات لانفهم، وإذا بهدّة عظيمة، فسألنا عنها فقيل الدار وقعت على الضيوف، فقتلت الخمسين، وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر: لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير.

---

(١) الوافي بالوفيات ـ ط المستشرقين ٧/ ١٠٠.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

(٣) في الأصل: «ابن أبي صبغة» وما أثبتنا من المراجع الأخرى.

قلت: وهو الأنسب بحال المريخ.

قال يوسف بن علي: فلما شاهدت ذلك دخلت عليه فقال: من أنت؟ قلت: أنا ولدك فقال: زعموا إني زنديق، ثم قال اكتب، فأملى:

باتوا وحتفي أمانيهمْ مصورة ... وبتُّ لم يخطروا منّي على بالِ
وفَوَّقوا لي سهاماً من سهامهمُ ... فأصبحوا وقَّعاً عنّي بأميالِ
فما ظنونكَ إذْ جُندي ملائكةٌ ... وجندهمْ بينَ طوَّاف وبقّالِ
لا آكلُ الحيوانَ الدَّهرَ مأثُرةً ... أخافُ من سوء أقوالي وأفعالي
وأعْبُدُ اللَّهَ لا أرجو مَثوبَتَهُ ... لكنْ تَعَبُّدَ إكرام وإجْلالِ
أصونُ دينيَ عن جُعْلٍ أؤمّلهُ ... إذا تَعَبّدَ أقوامٌ بأجْعالِ[1]

ومن شعره المطلق في الغزل:

يَا ظَبْيَةً عَقَلَتْنِي[2] فِي تَصَيُّدِهَا ... أَشْرَاكُهَا وَهْيَ لَمْ تَعْلَقْ بِأَشْرَاكِي
رَعَيْتِ قَلْبِي وَمَا رَاعَيْتِ حُرْمَتَهُ ... فَلِمْ رَعَيْتِ[3] وَلَا رَاعَيْتِ[4] مَرْعَاكِ
أَتُحْرِقِينَ فُؤَاداً قَدْ حَلَلْتِ بِهِ ... بِنَارِ حُبِّكِ عَمْداً وَهْوَ مأواكِ
سَكَنْتِهِ حيث لَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَشَرٌ ... وَلَيْسَ يَحْسُنُ أَنْ تَسْخِي بِسُكْنَاكِ[5]

وجاء لي في معنى البيتين الأخيرين من قصيدة:

حللت بقلبي ثم أرسلت عبرتي ... وما صنت بيتاً أنت فيه عن الهجرِ

ومن الزاماته للجهمية وأهل الكسب، ودلَّ على استقامة مذهبه:

زعم الجهول ومن يقول بقوله ... إن المعاصي من قضاء الخالقِ
إن كان حقّاً ما زعمت فلم قضى ... حدّ الزنا وقطع كفّ السارقِ؟

ومن إلزاماته للنصارى:

عَجَباً للمَسيحِ بينَ النصارى، ... وإلى أيِّ والِدٍ نَسَبُوهُ

---

(١) الوافي بالوفيات ٧/ ١٠٩.

(٢) أي صادتني أشراكها، والإشراك جمع شرك وهي حبالة الصائد.

(٣) من الرعي.

(٤) من المراعاة، أي عبثت بقلبي عبث الراعي. ولم تراعي حرمته.

(٥) معجم الأدباء ٣/ ١٦٧، الوافي بالوفيات ٧/ ١٠٤.

أسلموهُ إلى اليهودِ وقالوا: إنَّهُمْ بعد قتلِهِ صَلَبُوهُ
فإذا كانَ ما يَقولونَ حقاً فاسألوهم في أينَ كانَ أبوه؟
وإذا كان راضياً بقضاهم فاشكروهمْ لأجلِ ما عَذَّبُوهُ
وإذا كان ساخِطاً بأذاهمْ فاعبدوهمْ لأنّهم غلبوهُ[1]

وله القصيدة السائرة المشهورة البديعة وهي:

ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعلُ عَفَافٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ ونائِلُ
أعندي، وقد مَارَسْتُ كلَّ فضيلة، يُصَدَّقُ واشٍ أو يخيَّبُ سائلُ
أقَلُّ صُدودِي أنني لك مُبْغِضٌ وأيْسَرُ هَجْرِي أنني عنك راحلُ
إذا هبَّت النَّكْبَاءُ بيني وبينكم، فأهونُ شيءٍ ما تقول العواذلُ
تُعَدُّ ذُنُوبِي عند قومي، كثيرةً ولا ذَنْبَ لي إلاّ العُلى والفواضِلُ
كأنّي إذا طُلْتُ الزّمانَ وأهلَهُ رَجَعْتُ وعندي للأنام طوائلُ
وقد سار ذكري في البلادِ فَمنْ لهم بإخفاءِ شمسٍ ضَوْؤُها مُتكاملُ؟
يُهِمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمرٌ ويُثْقِلُ رَضْوَى دون ما أنا حاملُ[2]
وإني، وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ، لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ
واغدو، ولو أنّ الصباحَ صوارمٌ، وأسْرِي، ولو أن الظلامَ جَحَافلُ
وإني جوادٌ لم يُحَلَّ لِجامُهُ، ونِضْوٌ يمانٍ أغْفَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ[3]
وإنْ كان في لبْس الفتى شَرَفٌ لهُ، فما السيفُ إلاّ غِمدُهُ والحمائلُ
ولي مَنْطِقٌ لم يَرْضَ لي كُنْهَ مَنْزِلي، على أنّني فوق السّماكين نازلُ[4]
لَدَى مَنزلٍ يَشْتَاقُهُ كلُّ سيِّدِ وَيُقْصُرُ عن إدراكِهِ المتناولُ
ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً تَجاهَلْت حتى ظُنَّ أنِيَ جاهلُ
فواعجباً، كم يدّعي الفَضْلَ ناقصٌ، وَواأسفاً، كم يُظْهِرُ النقصَ فاضلُ
وكيف تنامُ الطيرُ في وُكُناتِها، وقد نُصِبت للفَرْقَدَينِ الحبائلُ[5]؟

---

(١) ديوانه «لزوم ما لايلزم» ٢/ ٦٠٩.

(٢) رضوى: جبل بالمدينة.

(٣) النضو: السهم الذي رمي به حتى بلي وفسد. الصياقل: جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها.

(٤) الكنة: جوهر الشيء.

(٥) الوكنات: جمع الوكنة وهو عش الطائر في جبل أو جدار. الحبائل: جمع حبالة وهو المصيدة.

يـنـافـس يـومـي فِـيَّ أمـسـي تَـشَـرُّفـاً، وتـحـسـد أسـحـاري عـلـيَّ الأصـائـلُ[1]
وطـال اعـتـرافـي بـالـزمـانِ وأهـلِـهِ فـلـسـتُ أُبـالـي مَـن تـغُـولُ الـغـوائـلُ
فـلـو بَـانَ عَـضْـدِي مـا تـأسَّـفَ مَـنْـكِـبي، ولـو مـات زِنْـدِي مـا بَـكَـتْـهُ الأنـامـلُ
إذا وَصَـفَ الـطـائـيَّ بـالـبُـخْـلِ مـادِرٌ وعـيَّـر قُـسَّـاً بـالـفَـهَـاهَـة بـاقـلُ[2]
وقـال الـسُّـهـى لـلشـمـس: أَنـت خـفـيَّـةٌ، وقـال الـدجـى لـلـصُّـبْـحُ: لـونُـكَ حـائـلُ
وَطَـاوَلَـتِ الأرضُ الـسـمـاءَ سـفـاهـةً، وفـاخـرتِ الـشُّـهـبَ الحَـصَـى والجَـنادلُ[3]
فـيـا مـوت زُرْ، إنّ الـحـيـاة ذمـيـمـةٌ، ويـا نـفـسُ جـدّي، إن دهـرك هـازلُ

ومنها:

وقـد أغْـتَـدِي والـلـيـلُ يَـبْـكـي تـأسُّـفـاً على نفسهِ، والنجمُ في الغَرْب مائلُ
بـريـحِ أُعِـيـرتْ حـافـراً مـن زَبَـرْجَـدٍ لها التَبرُ جسمٌ، واللُّجين خلاخلُ[4]

يعني الفرس الأشقر، وهي طويلة يَتمنى لو تحلّا بها بهرام، ولو علّقها السما شنفا بدل الثريا في الإظلام.

وما أحسن ما راعى في صفة الفرس بين النضائر النفيسة بين التبر واللجين والزبرجد، وإن كان جميعها محاسن العقايل.

وما در رجل صدرت إبله عن الحوض وبه بقيّة ماء، فسلح فيه وقذّره لئلا يرده غيره.

وذكـر الـزمـخـشـري[5] عـنـد قـولـه تـعـالـى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ

---

(١) أسحار: جمع سحر وهو وقت ادبار الليل واقبال النهار. الأصائل: جمع أصيل وهو العشي أي ما بعد العصر إلى المغرب.

(٢) الطائي: هو حاتم الطائي من أجواد العرب. مادر: لقب أحد البخلاء في العرب من هلال بن عامر بن صعصعة ويضرب به المثل في البخل. قس: هو قس بن ساعدة الأيادي من فصحاء العرب. الفهاهة: العي. باقل: رجل يضرب به المثل في العي.

(٣) الجنادل: جمع جندل وهي الحجارة أو قدر ما يقله الرجل منها.

(٤) كاملة في ديوانه «سقط الزند» ٥٦ ـ ٥٨.

(٥) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة ٤٦٧هـ وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة ٥٣٨هـ. أشهر كتبه «الكشاف ـ ط» في تفسير القرآن، و «أساس البلاغة ـ ط» و «المفصل ـ ط» وغيرها، وله «ديوان شعر ـ خ». وكان معتزلي المذهب، مجاهراً، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره.

﴿كَالْقَصْرِ﴾[1] بيت أبي العلاء في صفة نار القرى من القصيدة الفائية التي رثى بها النقيب أبا أحمد الموسوي والد الرضي والمرتضى وهو:

حمراء ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطرافِ[2]

وحمى عليه وقال: إنه أراد الزيادة على ما في القرآن من تشبيهها بالقصر، ولا أدري من أين له أنه أراد الزيادة على تشبيه القرآن، فمن المعلوم أن القصر أعظم من الطراف وهي الخيمة من الأدم الأحمر تتخذها الأتراك البادون ومياسير العرب، ولكن الزمخشري مع فضله كان حديد المزاج كثيراً.

وما أحسن استعارة الذوائب للنار، ويعجبني قول أبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي[3] في صفة النار:

حمراء نازعت الرياح رداءها وهنا وزاحمت السماء بمنكبِ
ضربت سماء من دخان فوقها لم تذرِ فيها شعلة من كوكبِ
وتبسمت من كل لفحَة جمرة بانت لها ريح الشمال بمرقبِ
قد ألهبت فتذهّبت فكأنها شقراء تمرح في عجاج أكهبِ

وقول ابن المعتز[4]:

مشهّرة لا يحجب البخل ضوءَها كأن سيوفاً بين عيدانها تحلى
يفرّح أغصان الوقود اضطرابها كما شقّت الشقراء عن متنها جلا

= ترجمته في:
وفيات الأعيان ٥/١٦٨ ـ ١٧٤، معجم الأدباء ١٩/١٢٦ ـ ١٣٥ ولسان الميزان ٦: ٤ وظفر الواله ١: ١٢٥ ونزهة الألبا ٤٦٩ وHuart I66 والجواهر المضية ٢: ١٦٠ وآداب اللغة ٣: ٤٦ ومفتاح السعادة ١: ٤٣١ والفهرس التمهيدي ٢٥٩ و٣٠٣ ومجلة المجمع العلمي العربي ٥: ١٣٥ وPrinceton 79 وأنظر فهرسته: ومعجم المطبوعات ٩٧٣ التاج ٣: ٢٤٢ وراجع Brock. I: 344 (290), S. I: 507 وشعر الظاهرية ١٥٨ وأنظر «مشاركة العراق» الرقم ٢٥٦ ففيه أسماء كتب ورسائل من تأليفه طبعت في بغداد، الاعلام ط ٤/٧/١٧٨.

(١) سورة المرسلات: الآية ٣٢.
(٢) الكشاف ٤/٥٤٤.
(٣) مرّت ترجمته في هامش سابق.
(٤) ترجمه المؤلف ضمن الترجمة رقم ٤٤.

ما أحسن تشبيه النار بين الحطب بالسيوف المجلوّة أو المحلاة، والذي يتأمله يعلم أنه من السحر وهي عادته في الأحسان.

وقول أبي العلاء أيضاً من قصيدته الرائية المشهورة في المبالغة بالكرم بإيقادها:

الموقدون بنجدٍ نار باديةٍ	لا يحضرون وفقد العزِّ في الحضرِ
إذا همى القطر شبّتها عبيدهم	تحت الغمائم للسارين بالقطرِ

القطر من أسماء العود الهندي، وما أحسن وقوعه بعد القطر كإسكان الطاء.

وله في صناعة التوجيه ومراعاة النظير هذا البيت البديع من قصيدة يصف بها الناقة:

وحرف كدال تحت ميم ولم يكن	براءٍ يؤم الرسم غيره النقط

الحرف الناقة، والدال تشبيهه لها والميم الراكب المنحنى، والرسم أثر الديار، والنقط المطر.

وله من قصيدة طويلة رَثَى بها فقيهاً حنفياً كان من تلامذته [من الخفيف]:

غير مُجدٍ في مِلّتي واعتقادي	نَوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادِ
أبَكَتْ تِلْكُمُ الحمامةُ أم غنّت على فَرْعِ غُصنها المَيَّادِ	
وقريب صوت النعيّ إذا قِيسَ	بصوت البشير في كل نادي
إنّ حُزْناً في ساعةِ الموت أضعا	فُ سرورٍ في ساعة الميلادِ
زُحَلٌ أشرف الكواكب قدراً	من لقاءِ الردى على ميعادِ
والثريا رهينة بافتراق الشـ	ـمل حتى تُعدُّ في الأفرادِ
صاحِ، هذي قبورُنا تملأ الأر	ضَ فأين القُبُورُ من وقت عادِ؟
خفِّفِ الوطء ما أظنُّ أديم الأ	رضِ إلا من هذه الأجسادِ[1]
وقبيحٌ بنا، وإن قَدُمَ العهـ	ـدُ، هوانُ الآباء والأجدادِ[2]

---

(١) أديم الأرض: وجه الأرض.

(٢) كاملة في ديوانه «سقط الزند» ١١١ ـ ١١٥.

ومنها لأنها طويلة:

وتنبه ألفاظه شدن للنعـ ـمان ما لم يشده شعر زيادِ

وفيه استخدام على مذهب بدر الدين بن مالك، كما نشير إليه إن شاء الله تعالى في حرف الحاء. وأخذ «خفف الوَطْءَ» من قول أبي الطيّب:

يدفن بعضنا بعضا ويمشي أواخرنا على هام الأوائلِ

وأخذه أبو الحسين مهيار الديلمي[1] فقال:

رويداً بإخفاف المطيّ فإنّما تداس جباه في الثرى وخدودُ

واتفق لي تضمين أعجاز قصيدة أبي العلاء جواب أبيات كتبها إليَّ السيد الأريب بدر الدين محمد بن زيد بن محمد بن الحسن بن المنصور[2]، وأول أبياته:

قلت لما رأيت أسنى مرادي	ظبية بالعقيق حلت فؤادي
إرحمي من غدا أسير اشتياقي	وصليه بغفلة الحسّادِ
فأشارت إلى الحسود وقالت:	كيف أخفى على عيون الأعادي
وجبيني كالبدر يسطع نوراً	حاضر يستنير فيه وبادي
قلت لكن ائتي إليه بليل	فدجى الليل كم له من أيادي
وأضيفي إلى سواد الليالي	فحم شعر أكرم به من سوادِ
أضربت عن صدودها ثم قالت	صاح إبشر بصادق الميعادِ
فَأَسَرَّت لما سرت بظلام	من أطارت من الأماني رقادي
بات خمري بديدها ثم أضحى	ساعداها دون الأنام وسادي
وأحارت عقولنا بعيون	وخدود وقدّها المّيّاد
وبجيد فيه اللآلي كشعر	صحَّ فيه دواء العليل الصادي
فيه درّ شبّهته بنظام	لمليك أكرم به من جوادِ

فراجعته بقولي:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٧٧.

(٢) ترجمته في نشر العرف ٢/ ٦٥٩.

واصلينا ولو بطيف السهاد إن أذنتي بأن يلم رقادي
واذكرينا فإننا مذ نأينا ما مللنا ذكراكِ في كل نادي
واسألي نسمة الصبا عن هوانا إن عند الصبا حديث الفؤادِ
والحمامات فاسأليها على ما صدحت فوق فرعها الميّادِ؟
ولماذا المجن حجلك إلاّ رحمة للمصدّق الميعادِ؟
لست أنسى من الرضا اعتباقي ليلة الوصل في ذهول الأعادي
وجبيناً كأنه من لجين قد طلى بالنظار لا بالجيادِ
بين صدغين أطلعاه هلالاً وشروق الهلال جنح السوادِ
وثنايا لولا العذوبة فيها خلتها سمط لؤلؤ النضادِ
فبعيشِ أيام وصلك عودي وأقلّي تردد العوّادِ
وطروق الخيال لو ذقت نوماً غير مجد في ملّتي واعتقادي
ما ثنا عنك أو مديح ابن زيد (نوح باكٍ ولا ترنم شادي)
سرّ لما نشا المعالي أضعا ف سرور في ساعة الميلادِ
فتراه والوفد تترى إليه (ضاحكاً من تزاحم الأضدادِ)
لم يكن مثل حمله وحجاه في قديم العصور والآبادِ
بأسه أو نداه كم قد أبادا من قتيل وآنسا من بلادِ
كل ضدّ له وإن عزَّ قدراً من لقاء الردّى على ميعادِ
شاد لي فكرة من النظم والمنـ ـثور ما لم يشده شعر زياد
أدرك الحاسديه في الجدّ والفضل هوان الآباء والأجدادِ
باذلاً للنضار والفضة البيضا ء بذلاً يغيض دمع الفؤادِ
هل ترى ظنّه بأن أديم الأرض إلاّ من هذه الأجسادِ
هاكها بنت ليلة زُفَّ منها غادة الحسن والكمال ودادي
وأبقَ في نعمة تزيد المعالي بهجة مثل مجدك السوقادِ

ونقل معانيها مع تمكّنها من الرثاء إلى الغزل والمديح لا يخفى حسنه. وفي قولي: «هوان الآباء والأجداد» تورية مطبوعة، لأن المعري أراد به جدّ النسب، ويصلح هنا للمعنيين.

ومما يؤثر من ذكاء أبي العلاء أن الشعراء كانوا يعرضون عليه أشعارهم،

فوفد عليه مرّة أبو نصر أحمد بن يوسف المنازي[1] ومعه جماعة فأنشدوه وأنشده المنازي أبياته في وصف وادي يزاغا:

وقانا لفحة الرَّمضاء وادٍ ... وقاهُ مُضاعَفُ الغيث العميم
نزلنا دَوْحَةَ فحنَا علينا ... حُنُوَّ المرضِعات على الفطيم
وأرشَفْنا على ظمأ زُلالاً ... ألذَّ من المدامة للنديم[2]
يصدّ الشمس أنَّى واجَهتَنا ... فيحجبها ويأذنُ للنَّسيم
تروعُ حَصاهُ حاليةَ العذارى ... فتَلْمُسُ جانبَ العقدِ النَّظيم[3]

فقال له أبو العلاء: أنت أشعر من بالشام، ثم غاب المنازي بالعراق والجزيرة مدّة واستوزره صاحب ميافارقين أبو نصر الكردي[4] وعاد إلى الشام بعد عشرين سنة فدخل على المعري مع جماعة من الشعراء، فأنشدوه، وأنشده المنازي:

لقد عرض الحمام لنا بسلع ... إذا أصغى له ركب ألاحا
شجى قلب الخليّ فقال غنَّى ... وبَرَّحَ بالشجيّ فقال ناحا

فقال أبو العلاء: ومن بالعراق أيضاً، فعجب الناس من عطفه بعد هذه المدة الطويلة وحفظه لما قاله أولاً.

قلت: وقد استعمل معنى بيت المنازي في داليته المذكورة بقوله:

أبكت تلكم الحمامة أم غنّـ ... ـت على فرع غصنها الميّادِ

---

(١) مرّت ترجمته في هامش سابق.

(٢) في الوفيات: «المدامة».

(٣) وفيات الأعيان ١/١٤٣ ـ ١٤٤.

(٤) أحمد بن مروان بن دوستك: صاحب ديار بكر وميافارقين. كردي الأصل. يلقب بالملك نصر الدولة، ولد سنة ٣٦٧هـ. وتملك بعد مقتل أخيه منصور سنة ٤٠١هـ، واستمر في الملك ٥١ سنة، وكان مسعوداً عالي الهمة حازماً عادلاً، محافظاً على الطاعات، مع إقباله على اللهو. وكانت له ٣٦٠ سرية. استوزر أبا القاسم المغربي، الأديب، مرتين، وفخر الدولة ابن جهير. ومات بميافارقين سنة ٤٥٣هـ.
ترجمته في:
سير النبلاء ـ خ ـ الطبقة الرابعة والعشرون. والنجوم الزاهرة ٥: ٦٩، والاعلام ط ٤/ ١/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

وله أيضاً:

أرى ولد الفتى عليه داء[1] ... لقد سعد الذي أمسى عقيما[2]

فأما أن يربّيه عدوّاً ... وأما أن يخلّفه يتيما

وأما أن يصادفه حِمام ... فيبقى حزنه أبداً مقيما

وكان لا يأكل اللحم البتّة، وإنّما طعامه العدس، وحلاوته التين، ولبّ الكرابيس الغليظة وفراشه سجادته.

وله أيضاً:

بنيت على الدنيا ولا بِنْتَ لي ... فيها، ولا عرس ولا أُختُ

وتوفي سنة تسع وثلاثين وأربعمائة بالمعرّة رحمه الله تعالى.

وذكر ابن خلكان: أنه أوصى أن يكتب على قبره:

هذا جَناهُ أبي عليّ وما جَنَيْتُ على أَحَدْ[3]

يعني إنه سبب إخراجه إلى عالم الكون والفساد.

وقد جاوز الحدّ بعض المغاربة فقال:

لست وجيهاً لدى إلَهي ... هذا مدى دهري اعتقادي

لو كان هذا لما براني ... في عالم الكون والفسادِ

وقال الشيخ علاء الدين علي بن عبد الله الكندي الشهير بالوداعي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[4] ـ: وزرت قبر أبي العلاء بالمعرّة سنة تسع وسبعين وستمائة فلم أرَ على قبره كتابة وقد دثر ولصق بالأرض وقلت:

قد زرت قبر أبي العلاء المرتضى ... لما أتيت معرّة النعمانِ

---

(١) كذا في الأصل ولعل الأصح: «داء عليه».

(٢) في الأصل: «لقد سعد الدنيا الذي...» وصوّبناه حسب السياق.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١١٤ ـ ١١٥.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٢٣.

وسـألـت مـن غـفـر الـخـطـايـا إنـه ‏ يـهـدي إلـيـه رسـالـة الـغـفـرانِ

رحمه الله.

❀ ❀ ❀

وبزاغا، بضم الموحّدة وبعد الزاي ألف وعين معجمة ثم ألف: قرية كبيرة بين حلب ومنبج، كثيرة النزه والمياه.

والنعمان: المنسوبة إليه المعرّة، هو ابن بشير الأنصاري[1]، لأنه نزلها أو هو أول من مصّرها.

ومَيّافارقين، بفتح الميم وتشديد الياء المثناة من تحت ثم ألف بعدها فاء ثم ألف ثم راء مكسورة وقاف ثم ياء مثناة تحتية ثم نون: مدينة مشهورة من ديار بكر ومنها الخطيب المشهور عبد الرحيم بن نباتة الفارقي[2].

---

(١) هو أبو عبد الله النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي. ولد في أوائل السنة الثانية للهجرة. كان أموي الهوى، وممن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين‌ﷺ، وحارب يوم صفين إلى جانب معاوية. وهو الذي نقل قميص عثمان من المدينة إلى الشام لتحريض الناس على أمير المؤمنين‌ﷺ. أخذ النبي‌ﷺ يوماً باذنه وهو حدث وخاطبه بيا غدار، لأنه لم ينفذ وصية أوصاه بها. استعمله معاوية على حمص، ثم على الكوفة، وأقره عليهما يزيد بعد وفاة معاوية. ولما أرسل الحسين‌ﷺ ابن عمه وداعيته مسلم بن عقيل إلى الكوفة، ضم يزيد بن معاوية ولاية الكوفة إلى عبيد الله بن زياد. وكان والياً على البصرة ـ وأعاد النعمان إلى حمص. ولما هلك يزيد وبويع لمروان بن الحكم دعا الناس إلى بيعة عبد الله بن الزبير، فلم يجبه أهل حمص فخرج منها، فاتبعوه وأدركوه فقتلوه سنة ٦٤ وقيل ٦٥هـ.

ترجمته في:

الاستيعاب/١٤٩٦، أسد الغابة ٥/٢٢، الأغاني ١٦/٣٥ ـ ٦٣، تاريخ ابن خلدون ٢/١٠٥٥، ذيل أمالي القالي/٨، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١/٢٧٨، أنوار الربيع ١/هـ ١١٨.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي، أبو يحيى: صاحب الخطب المنبرية. كان مقدماً في علوم الأدب، وأجمعوا على أن خطبه لم يُعمل مثلها في موضوعها. ولد في ميافارقين (بديار بكر) سنة ٣٣٥هـ ونسبته إليها، وسكن حلب فكان خطيبها. واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني. وكان سيف الدولة كثير الغزوات، فأكثر ابن نباته من خطب الجهاد والحث عليه. وكان تقياً صالحاً. توفي بحلب سنة ٣٧٤هـ. له «ديوان خطب ـ ط».

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/١٥٦ ـ ١٥٨، الاعلام ط ٤/٣/٣٤٧ ـ ٣٤٨.

[٢٠]

القاضي الرشيد، أبو الحسين، أحمد بن القاضي الرشيد أبي علي بن القاضي الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبيري الغسّاني الأصل الأسواني المصري(*).

فاضل كتب فما أبقى للزهر حلاوة، ونظم فما ترك للطلا طلاوة، وألّف فكادت قلادة الثريا أن تتفرّق غيظاً، وسقى الطالب علمه ففاضت عين النهر فيضاً، وكان من الإسماعيلية.

وقال ابن خلكان: كان رئيساً معظماً، نعم، وقفت أنا على الرسالة الحصيبية له وهي شرح مقامة له صنّفها لما دخل إلى اليمن رسولاً فتحققت فضله ونبله، فإنه أودعها علوماً تعجز الخلف والسلف ولا سيما في الهندسة من الرياضي(١).

وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في «السيل والذيل» الذي ذيّل به الخريدة فقال: الخِضَمُّ الزاخر والبحر العُباب، ذكرته في الخريدة وأخاه المهذب، قتله شاور ظلماً ليلة أتى أسد الدين شيركوه، وكان أسود الجلدة وسيد البلدة، أوحد عصره في علم الهندسة والرياضيات والعلوم الشرعيّات والآداب الشعريات(٢).

وذكره الحافظ أبو طاهر السلفي في بعض تعاليقه، وقال: ولي النظر بثغر الاسكندرية في الدواوين السلطانية بغير اختياره سنة تسع وخمسين وخمسمائة(٣).

قال العماد: أنشدني له الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أُسامة بن منقذ وذكر أنه سمعها منه:

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٦٠ ـ ١٦٤، خريدة القصر ـ قسم مصر ١/ ٢٠٠، الطالع السعيد ٥٢، معجم الأدباء ٤/ ٥١ ـ ٦٦، الوافي بالوفيات، كتاب الروضتين ١/ ١٤٧، شذرات الذهب ٤/ ١٩٧ ـ ٢٠٣، الأنساب للسمعاني، الخطط المقريزية، أعيان الشيعة ٩/ ٨٤ ـ ٩٧، الطليعة ـ خ ـ ترجمه رقم ١٥٠، وفي «معجم السفر» للسلفي بعض أخبار عنه.

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٦١ ـ ١٦٢ مع اختلاف باللفظ.

(٢) الوفيات ١/ ١٦١.

(٣) الوفيات ١/ ١٦١.

جَلَّتْ لَدَيَّ الرزايا بل جلَتْ هِمَمي ... وهَلْ يضرُّ جلاء الصارِمِ الذَّكِرِ
لا تُغَرَرَنَّ بأطماري وقيمتها ... فإنما هي أصْداف على دُرَرِ
ولا تظنَّ خفاء النجْم من صِغَرٍ ... فالذنْبُ في ذاك محمُولٌ على البَصَر

قال ابن خلكان: البيت الأخير مأخوذ من قول أبي العلاء المعري في القصيدة الرائية:

والنجمُ تَسْتَصْغِرُ الأبصارُ رؤيتَهُ ... والذنْبُ للطَّرْفِ لا للنجم في الصَّغَرِ[1]

وقال العماد: أنشدني محمد بن عيسى اليمني ببغداد سنة إحدى وخمسين وستمائة، قال: أنشدني القاضي الرشيد باليمن لنفسه في رجل:

لئن خاب ظني في رَجائك بَعْدَما ... ظَنَنتُ بأني قد ظفرْتُ بمُنصِفِ
فإنكَ قد قلَّدْتَني كلَّ مِنَّةٍ ... ملكتَ بها شكْري لدى كلِّ موقِفِ
لأنك قد حَذّرتني كل صاحبٍ ... وأعلمتني أن ليسَ في الأرضِ مَن يفي[2]

ومن شعره:

وتَرى المجرَّة والنجومَ كأنَّما ... تَسْقي الرياض بجَدْولٍ ملآنِ
لو لم تكن نهراً لما عامَتْ بها ... أبداً نجومُ الحوتِ والسَّرَطانِ[3]

أحسن في البيت الأخير ما شاء، ومعنى الأوّل مأخوذ من قول أبي عبد الله ابن الحجّاج البغدادي[4]:

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدة ... تزري على عقل اللبيب الأكيسِ
هذي المجرّة والنجوم كأنّها ... نهر تدفَّق في حديقة نرجسِ

وما أبدع قول أحد الخالديين:

وقد بدت النجوم على سماء ... تكامل صحوها في كل عينِ
كسقف أزرق من لاز وَردٍ ... بدت فيه مسامير اللجينِ

---

(١) الوفيات ١/١٦٢.
(٢) وفيات الأعيان ١/١٦٢.
(٣) وفيات الأعيان ١/١٦١ وفيه أنها لأخيه القاضي المهذب.
أنظر أخبار المهذب وشعره في: الخريدة ٢٠٤ وهامشها، وفيات الأعيان ١/١٦١.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

وقول الشريف ابن طباطبا[1] وإن كان من قول ابن حجّاج ونقله إلى الفجر:

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها ... عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجر يغمر الأفق نوره ... كما انفجرت بالماء عين على الأرضِ

وزاد من نهر المجرة حبباً فقال:

كأن السماء اللازوَرديَّ مطرف ... وأنجمها فيه اللئالي من الذهبْ
وقد اطردت فيه المجرّة جدولاً ... فلاح عليها من كواكبها حَبَبْ
كأن سواد الليل زنج بدا لهم ... من الصبح ترك فاستمالوا إلى الهربْ

وعلى ذكر الزنج، ذكرت قولي من قصيدة أجبت بها السيد أبا الحسن علي ابن إسماعيل بن محمد بن الحسن[2] ولم يخرج من تشبيه العلويات:

وبرق إذا أبدى أصابع لمعة ... غدت بين قلبي والتّصبّر أذرَعُ
تراءى لنا في فحمة الليل مقلقاً ... لنومي لنا رمزاً بما هو مودعُ
يجاذب جلباب الظلام فتارة ... يمزّقه غيظاً ويهدو فيرقعُ
كأسود يبدو حين يترك طبعه ... ويخفت خوفاً للحسام ويخضعُ

وقلت أيضاً في معنى قول القاضي الرشيد بذكر الحوت والسرطان من قصيدة كتبتها إلى السيد علم الدين القاسم بن المؤيد بالله[3] للتهنئة بشهر رمضان:

فلما وقفنا للوداع وقد وهت ... بسكر الهوى والبين بيض المعاصمِ
وقد خلط التبريح دمعي ودمعها ... كما خالط المرجان در المخاتمِ
وخلنا العناق الحلو يشفي من الجوى ... ورشف اللئالي من حقاق المباسمِ
فما زال حتى انحلَّ عقد خمارها ... وعادت سلوك الجيد فوق القوائمِ
وصاح حداة العيس قد لألأ السنا ... وحلَّ الدجى للفجر سود الأداهمِ
ولوح سرحان الصباح فأجفلت ... إلى الغرب خوفاً سالماً والنعائمِ
وغاض لأشراك الغزالة حوتها ... ببحر الصباح المائر المتلاطمِ
تراءت كدينار النضار فلم يقم ... على سوقها شهب كلون الدراهمِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٢.

(٢) ترجمته في نشر العرف ٢/ ١٩١.

(٣) ترجمته في نشر العرف ٢/ ٣٦٩.

كما استتر السمحان إذ فاض بالندى أبو الحسن الحاوي مناقب هاشمِ

❀ ❀ ❀

رجع، وكان القاضي أبو الحسين المذكور صنّف الرسالة الحصيبية للسلطان حاتم بن أحمد اليامي[1] لما ورد إلى بلاد اليمن، وإنما سمّاها الحصيبية لأن بلاد زبيد تسمى أرض الحصيب، ومدح علي بن حاتم بأبيات جاء منها:

لئن أجدَبَتْ أرضُ الصعيدِ وأقحَطوا فلستُ أنال القحطَ في أرض قحطانِ

ومذ كَفلَتْ لي مأرِب بمآربي فلست على أسوان يوماً بأسوان

وإنْ جَهِلَتْ حَقّي زعانفُ خِندِفٍ فقَدْ عرَفَتْ فضْلي غطارفُ هَمْدان

فحسده الداعي صاحب عدن، فكتب بالأبيات إلى صاحب مصر، فكان سبب الغضب عليه، فأمسكه وأُنفذ إليهم مقيّداً بعد أخذ جميع ماله، فقتله شاور[2] في شهر محرم الحرام سنة ثلاث وستين وخمسمائة رحمه الله تعالى، ولما كان باليمن اشتاق إلى مصر فقال:

ومالي إلى ماءٍ سِوى النِّيل حاجةٌ ولو أنه، أستغفر اللّهَ، زَمْزَمُ[3]

ومن شعره في الكامل بن الوزير شاور السعدي[4] مما أورد العماد:

---

(١) حاتم بن أحمد بن عمران بن المفضل اليامي الهمداني، حميد الدولة: سلطان من الباطنية الإسماعيلية، كان له في اليمن شأن. وإليه تنسب «روضة حاتم» من ضواحي صنعاء. كانت زعامته في قبائل همدان، وزحف بسبعمائة فارس منهم على صنعاء (سنة ٥٣٣هـ) فاحتلها واستقر بها إلى أن دخلها الإمام الزيدي أحمد بن سليمان (سنة ٥٤٥هـ) بعد أحداث ومعارك، فخرج حاتم إلى روضته، ثم انتقل إلى حصن «الظفر» وأغار على صنعاء (سنة ٥٥٠هـ) فرده أحمد بن سليمان. ومات بعد ذلك في «درب صنعاء» سنة ٥٥٦هـ وكان فارساً شاعراً، أورد الخزرجي طائفة من جيّد شعره.

ترجمته في:

العسجد المسبوك - خ - واللطائف السنية - خ، الاعلام ط ١٥١/٢/٤.

(٢) وفيات الأعيان ١٦٣/١.

(٣) الوفيات ١٦١/١.

(٤) شاور بن مجير بن نزار السعدي، من بني هوازن، أبو شجاع: أمير، من الولاة. فيه نجابة وفروسية. يلقب بأمير الجيوش. ولي الصعيد الأعلى بمصر، في أيام العاضد. ثم قام بثورة استولى بها على وزارة مصر، بعد أن قتل «رزيك بن صالح» سنة ٥٥٧هـ. واتهم بممالأة الإفرنج وأنه استعان بهم على دفع أسد الدين «شيركوه» عن دخول مصر، في أيام العاضد. ودخل شيركوه =

إذا ما نَبتْ بالحُرّ دارٌ يوَدُّها ولم يرْتَحِلْ عنها فليس بذي حَزْم
وهَبْهُ بها صَبّاً ألم يَدْرِ أنهُ سَيُخْرِجُهُ منها الحِمامُ على رَغْمِ[1]

وكان أسود اللون لأنه من أسوان وهي حارّة في آخر عمل مصر مما يلي النوبة.

وقال فيه أبو الفتح محمود بن قادوس الكاتب[2] يهجوه:

يا شِبْهَ لقمانِ بلا حكمةٍ وخاسراً في العلم لا راسخا
سلختَ أشعارَ الوَرى كلها فصرتَ تُدْعى الأسْوَدَ السالخا[3]

ما أجود التورية في الأسود السالخ وهي الحيّة السوداء العظيمة مع ظلم المهجوّ، وقال فيه أيضاً وقيل هي لغيره:

إن قلتَ من نارِ خلِقْـ ـتَ وفُقتَ كلَّ الناسِ فَهْما
قلنا صدقتَ فما الذي أضناكَ حتى صِرْتَ فحما[4]

وما أحسن قول عبد بني الحشحاش[5] يفتخر بسواده واسمه سحيم، وكان نوبياً:

= مصر، فاتفق مع العاضد على قتله، وعهدا إلى «صلاح الدين» وكان لا يزال قائداً، فتولى قتله سنة ٥٦٤هـ أمام قبر الإمام الشافعي، بالقاهرة، وبعث برأسه إلى العاضد.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٢/٤٣٩ ـ ٤٤٨، وابن الأثير ١١: ١٢٥، وابن خلدون ٤: ٧٧ ـ ٧٩، وكتاب الروضتين ١: ١٣٠، الاعلام ط ٤/٣/١٥٤.

(١) وفيات الأعيان ١/١٦٢، خريدة القصر.

(٢) محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطي أبو الفتح، المعروف بابن قادوس: منشىء، من الشعراء. كان كاتب الإنشاء بمصر. ونعته «ابن ميسر» بالقاضي المفضل كافي الكفاة. وكان القاضي الفاضل يلقبه بذي البلاغتين (الشعر والنثر). له «ديوان شعر» في مجلدين. توفي بمصر سنة ٥٥٣هـ.
ترجمته في:
أخبار مصر، لابن ميسر ٢: ٩٧ وكشف الظنون ٧٦٧ وفي الخريدة، قسم مصر ١: ٢٢٦ وحسن المحاضرة ١: ٢٥٨ والإعلام ـ خ. وفاته سنة ٥٥١ ولكن المصدر الأخير عل رجاحته وقوته، انفرد بتسميته «محمد» بن إسماعيل؟ أنوار الربيع ط ٤/٧/١٦٦.

(٣) الوفيات ١/١٦٣.

(٤) الوفيات ١/١٦٣.

(٥) في الأغاني وغيره: «الحسحاس».

أشعارُ بني الحشحاش قُمْنَ له ... يوم الفخار مَقام الأصلِ والوَرَقِ
إن كنتُ عبداً فنفسِي حرّةٌ كَرَماً ... أو أسودَ الخلقِ إنّي أبيضُ الخُلُقِ[1]

ولله درّه، فلقد أجاد وهزَّ عطف السواد.

وبنو الحشحاش[2]: بطن من أسد بن خزيمة.

قال أبو الفرج الأصبهاني: وكان إذا أنشد الشعر واستحسنه أو استحسنه منه غيره يقول: اهشنت والله، يريد أحسنت، وأدرك النبيﷺ، ويقال أنه تمثّل بكلمة من شعره غير موزونة وهي: «كفى الإسلام والشيب للمرء ناهياً» وأصله بتقديم الشيب، فقال له بعض أصحابه: إنّما قال الشاعر: كفى للشيب والإسلام» فجعل لا يطيقه، فقال أبو بكر: صدق والله، «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْر وَمَا يَنْبَغِي لَهُ»[3].

ومن شعره:

وما ضرَّ أثوابي سوادِي وإنَّني ... لكالمسك لا يضجر عن المسكِ ناشقُه
كُسيتُ قَميصاً ذا سواد وتحتَه ... قميصٌ من الأحسانِ بيض بنائقُه[4]

ما أحسن قول أبي علي الحسن[5] بن رشيق القيرواني[6] في سوداء:

دعا بك الحسن فاستجيبي ... يا مسك في صبغة وطيبِ
تيهي على البيض واستطيلي ... تيه شباب على مشيبِ
ولا يرعك إسوداد لون ... كمقلة الشادن الربيبِ

---

(١) الأغاني ٢٢/٣٠٦.

(٢) في الأغاني وغيره: «الحسحاس».

(٣) سورة يس: الآية ٦٩. الأغاني ٢٢/٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) البنائق: جمع بنيقة وهي الزيق يخاط في جيب القميص، تثبت فيه الأزرار.

(٥) في الأصل: «أبي الحسن علي» وما أثبتنا من المراجع الأخرى.

(٦) هو أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني. شاعر نحوي أديب مؤرخ لغوي عروضي ولد بالمهدية وقيل بالمسيلة سنة ٣٧٠ وقيل ٣٩٠هـ. رحل إلى القيروان، ثم سكن مازر في صقلية وتوفي بها سنة ٤٥٦ وقيل ٤٥٠هـ وقيل عاد إلى القيروان وتوفي هناك سنة ٤٦٣. من آثاره الكثيرة: العمدة، والشذوذ في اللغة، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ١/٣٦٦، معجم الأدباء ٨/ ١١٠، وبغية الوعاة ١/ ٥٠٤، إنباه الرواة ١/ ٢٩٨، المكتبة الصقلية/ ٦٤٤، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٧، أنوار الربيع ١/ هـ ١٩٩.

فـإنّـمـا الـنـور عـن سـواد فـي أعـيـن الـنـاس والـقـلـوبِ

والبيت الأخير مثل قول أبي الفتوح بن قلاقس[1]:

ربّ سـوداء وهـي بـيـضـاء مـعـنـى نـافس الـمـسـك عـنـدهـا الـكـافـورُ
مـثـل حـبّ الـعـيـون يـحـسـبـه الـنـا س سـواداً وإنـمـا هـو نـورُ

وبديع قول ابن التعاويذي[2] من قصيدة مدح بها الإمام الناصر:

يـا نـهـار الـمـشـيـب مـن لـي وهـيـ ـهـات بـلـيـل الـشـبـيـبـة الـديـمـاسِ
ورأى الـغـانـيـات شـيـبـي فـأعـرضـ ـن وقـلـن الـسـواد خـيـر لـبـاسِ
كـيـف لا يـفـخـر الـسـواد وقـد أضـ ـحـى شـعـاراً عـلـى بـنـي الـعـبـاسِ

ولما ورد القاضي الرشيد إلى اليمن اجتمع بعليّان بن أسعد أحد مطرفية الزيدية وكان معه جماعة من علماء الزيدية وهم لا يتمكنون في المناظرة إلاّ بقولهم قال الهادي، ففضحهم الرشيد، وكان الرشيد محققاً لعلوم الأوائل كما هو عادتهم، وقال فيه محمد بن حاتم[3] أخو السلطان حاتم بن أحمد[4]:

---

(١) هو أبو الفتوح نصر (أو نصر الله) بن عبد الله الملقب بالقاضي الأغر والمعروف بابن قلاقس. ولد بالإسكندرية سنة ٥٣٢هـ. كان شاعراً مجيداً. رحل إلى اليمن فأصاب ثروة، ولكنه فقدها عند عودته حيث انكسر به المركب، وغرق جميع ما كان معه من أموال فعاد إلى اليمن صفر الكفين. توفي في عيذاب الواقعة على شاطىء البحر الأحمر بالقرب من جدة، سنة ٥٦٧. من آثاره: الزهر الباسم في أوصاف القاسم، وديوان شعره المطبوع بمصر سنة ١٣٢٣هـ.
ترجمته في
وفيات الأعيان ٥/ ٢١، معجم الأدباء ١٩/ ٢٢٦، شذرات الذهب ٤/ ٢٢٤، تأريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ١٤، أنوار الربيع ١/ هـ ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٦٥.

(٣) محمد بن حاتم اليامي اليماني الهمداني، الأمير بدر الدين: مؤرخ. له كتاب «السمط الغالي الثمن، في أخبار الملوك من الغزّ باليمن ـ ط» في سيرة عشرة من الملوك، أولهم الملك المعظم توران بن أيوب، وآخرهم الملك الأشرف عمر بن المظفر يوسف، وما وقع من الحوادث في أيامهم، توفي بعد سنة ٧٠٢هـ.
ترجمته في:
دار الكتب ٥: ٢٢٠ و(3₂3) Brock. I: 394 ومجلة معهد المخطوطات ١٠: ١٣٩ ويقرأ البحث كله، الاعلام ط ٤/ ٦/ ٧٥.

(٤) مرّت ترجمته في هامش سابق.

ديـنــي وديــن الــرشـيــد مـتّـحــد   وديـن أهــل الـعـقـول والـحـكـم

وألّف محمد هذا كتاب «الصريح في مذهب الإسماعيلية»، وكان ممن ناظر الرشيد نشوان الحميري[1] المتزندق.

وعمّر الرشيد السلطان داراً على صفة قصور الخلفاء الفاطميين وهَنْدَسَ هو موضعها ولم يكن لها باليمن نظير، ثم أخربها الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام لما دخل صنعاء.

ومن مصنفات الرشيد كتاب «الجنان ورياض الأذهان» ذكر فيه جماعة من الفضلاء.

❀ ❀ ❀

وأما أخوه القاضي المهذّب[2] فكان أيضاً شاعراً فاضلاً، ورأيت في

---

(١) نشوان بن سعيد الحميري، أبو سعيد، أو أبو الحسن، من نسل حسان ذي مراثد من ملوك حمير: قاض، علامة باللغة والأدب. من أهل بلدة «حوث» من بلاد حاشد، شمالي صنعاء. قال القفطي: كان يفضل قومه اليمنيين على الحجازيين ويفاخر عدنان بقحطان وله في ذلك نقائض مع الأشراف القاسمية أولاد الإمام القاسم بن علي العياني. توفي سنة ٥٧٣هـ. من كتبه «شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم ـ ط» مجلدان منه، وهو في ثمانية، وطبعت منتخبات منه تتعلق بأخبار اليمن، و«القصيدة الحميرية ـ ط» وتسمى «النشوانية» وغيرها، وله نظم كثير.
ترجمته في:
بغية الوعاة ٤٠٣ وإرشاد الأريب ١٩/٢١٧ ـ ٢١٨ والحور العين: مقدماته. وشمس العلوم: مقدمته. وخلاصة السير الجامعة ـ خ. في مكتبة البلدية بالإسكندرية، وفيه نسبه كما يأتي: «نشوان بن سعيد بن سعد بن سلامة بن حمير بن عبيد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن ابن مفضل ابن إبراهيم بن سلامة بن حمير بن حكمي بن أفرع بن قيس بن فايد بن عبد الرحمن بن الحرث ابن زيد بن شرحبيل بن ورعة بن شرحبيل بن مراثد ابن ذي سحرة». ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٦: ٥٩٠، والفهرس التمهيدي ٢٤٩، ٢٨٣، ٣٨٥ وHuart I,70، ومفتاح الكنوز ١: ١٨٦ وBrock. I: 364 (300), S. I: 527 و Amb ro C. 265, 360, 364,373، ومعجم البلدان ٥: ٣٣٦ وBankipore 20: I9 ومنتخبات من تاريخ اليمن ٤٠، ٤٤، وBunhar 2:414 وأنظر تاريخ العرب قبل الإسلام ١: ٥٤ ـ ٥٥، الاعلام ط ٤/٨/٢٠.

(٢) الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني، أبو محمد، الملقب بالمهذّب: شاعر من أهل أسوان (بصعيد مصر) وفاته بالقاهرة. وهو أخو الرشيد الغساني (أحمد بن علي) قال العماد الأصبهاني: لم يكن بمصر في زمن المهذب أشعر منه. واشتغل في علم القرآن، فصنف «تفسيراً» في خمسين جزءاً. وله «ديوان شعر» وقال ابن شاكر: اختص بالصالح بن رزيك، ويقال إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو من شعر المهذب.
ترجمته في: =

الخطط: إن الكامل بن شاور اعتقله في خزانة البنود، سجن كان بالقاهرة، فكتب إليه:

أيا صاحبي سجن الخزانة خلّيا نسيم الصبا ترسل إلى كبدي نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد إلى نظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسي من رحمة الله أن أرى سريعاً بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال أيضاً:

أيا صاحبي سجن الخزانة خلّيا من الصبح ما يبدو سناه لناظري
فوالله ما أدري أطرفي ساهر على طول هذا الليل أم غير ساهرِ
ومالي من أشكو إليه أذا كما سوى ملك الدنيا شجاع بن شاورِ[1]

وإنّما سمّيت خزانة البنود لأن الخلفاء كانوا يخزنون بها السلاح والبنود أوّلاً.

[٢١]

القاضي الخطيب شهاب الدين، أحمد بن القاضي بدر الدين محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي الشبامي[*].

فاضل خطيب فكان كفو كل عقيلة، واهتز له عطف المنبر فما غصن الخميلة، فهو إذا شرح صدراً لتلقيه رحيباً، لم يدر أظم خطيباً منه أم ضُمِّخَ طيباً، وإن نثر ونظم لاح لك من شبامه كوكبان، وصف الثريا بمثل شعره ابن أبي ربيعة

= الطالع السعيد ١٠٠، وابن خلكان ١/ ١٦١، وخطط مبارك ٨: ٧٠، وفوات الوفيات ١/ ٢٤٣، ـ ٢٤٧ وخريدة القصر ١: ٢٠٤، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٢٠٢.

(١) الخطط المقريزية ٢/ ٢٧٨.

(*) أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد بن صالح الحيمي اليوسفي الجمالي الشبامي المولد والنشأة، الصنعاني الوفاة، ينتهي نسبه إلى القاضي نشوان بن سعيد الحميري المشهور ـ المترجم بهامش سابق.
ترجمته في: زهر الكمائم ـ خ ـ، نفحات العنبر ـ خ ـ، البدر الطالع ١/ ١٠٣، مراجع تاريخ اليمن ٩٥/ ٢١٢، مجلة اليمامة ١٧٤، مخطوطات الرياض ـ عن المدينة، القسم ٢/ ١٠٤، نشر العرف ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٨.

ولا كشعره الفرقدان، فنظمه ينحس شعر ابن الصائغ وهو الذهب، ويترك شعر ابن لؤلؤ بالجزع حرزاً عند سوق الأدب.

وله مصنفات منها:

«الأصداف المشحونة باللآلىء المكنونة»: شرح أبيات السيد الأديب محمد ابن عبد الله - الآتي ذكره[1] - أجاد فيه وأفاد، وهو بسيط بحيث استوفى فيه سير أكثر الأنبياء عليهم السلام وغيرهم بحسب من ذكرهم في الوسيلة، وقف عليه بشبام سنة إحدى عشرة، واجتمعت أيضاً بمؤلفه المذكور فرأيته كما قال ابن هاني في جعفر ابن فلاح الكتامي[2]:

كانت مساءلة الركبان تخبرني عن جعفر بن فلاح أطيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وذيّل كتاب نسيم الصبا سمّاه «عطر نسيم الصبا»، كما أخبرني القاضي أبو محمد أحمد بن ناصر بن عبد الحق[3]، وله غير ذلك.

وهو الخطيب بشبام، ولما رأيته دارت بيني وبينه محاورة وأناشيد عرفت بها فضله، وفيه سمت ووقار ليس لغيره، وكتب إليَّ في شهر محرم سنة ثمان ومائة وألف، رسالة يلتمس فيها شيئاً من شعر المولى الأخ ضياء الدين زيد بن يحيى[4] برد مضجعه، وشيئاً مما نظمته ليودع ذلك كتاباً بلغني أنه في تأليفه هذه الأيام، فأرسلته إليه مع رسالة أولها:

سلام كالرياض إذا تَفَشَّى بلؤلؤ زهرها روح النسيمِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٤.

(٢) جعفر بن فلاح الكتامي، أبو علي: أحد قواد المعز العبيدي (صاحب إفريقية) كان شجاعاً مظفراً، سيره المعز مع القائد جوهر لافتتاح الديار المصرية، فدخلاها. وبعثه جوهر إلى الشام، فامتلك الرملة (بفلسطين) سنة ٣٥٨هـ، ثم امتلك دمشق سنة ٣٥٩هـ. وقتله بها الحسن بن أحمد القرمطي سنة ٣٦٠هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١/ ٣٦١ - ٣٦٢، والنجوم الزاهرة ٤: ٥٨، ومرآة الجنان ٢: ٣٧٢، وفيه «الكِتامي، بضم الكاف وبعدها مثلثة، الذي ولي دمشق للباطنية، وهو أول نائب وليها لبني عبيد» وأنظر اللباب ٢: ٢٨، الاعلام ط ٤/ ٢/ ١٢٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

وأنفاس الحبيب لدى محبّ شفى بالرشف منه والشميم
ورنّات الحمام إذا أعادت على عيدانها ذكر الحميم
وكالصهباء من بيضاء ورد يعرّف طيبها قلب النديم
وألطف من عتاب الخلّ حِلٌّ وصوت الموصلي على الرخيم
على القاضي الذي أهدى إلينا شبيه السحر من نظم قويم
وكاتبنا على رقّ فقمنا بفرض الشكر للمولى الكريم
وقلت العود أحمد فيه مدحاً حديثاً طيبه طيب القديم
ولو لم يك روضاً ما حبانا بمنثور بمعناه نظيم
علمنا أنه كهف المعاني بما قد جاء منه في الرقيم
وشمس كوكبان تغار منه ونور الشمس غيظ للنجوم
أحنّ لنسمة من سرت لي حنين البحتري إلى نسيم
وامحضه المودّة إذ وفا لي وفاء الغيث للنبت العميم
وأسأله السماحة عن قصور لأبياتي بمربعه العظيم
بقيت أخا لِعليا فقت فيها وجدّ في الفضائل مستقيم

ورد ورد في نيسان، فحيّا بالبشر وطوى المراحل طي الكتابَ، لأنه ذكي طابَ، بالشمس في العصر أم عقود حليت لنا في نحر الطروس فحلت وعصمت في الصدر لما من فضل منشئها انتحلت، أم نسمة سحر سرت من كوكبان فهي لا شك نسمة نجد خفقت، إن منشِئَها ليس بهلال محاق بل شمس مجد، وهذا المطرب سجع ذات الأطواق على العذبات، أم سجع الأقلام ذات الغمائم الدهم على بيض الورقات، أقرّ لها بالفضل جاحد، ووحّد ورجع للعرى زمانيا من الأدب إلى التسليم بمعجز أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي القاضي الذي عزل ببلاغته في المنثور عبد الرحيم الملقب بالفاضل[1]، وطيّر رواق ابن الخيمي،

---

(١) عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) سنة ٥٢٩هـ وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة وتوفي فيها سنة ٥٩٦هـ. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقرّبيه، ولم يخدم بعده أحداً، قال بعض مترجميه: «كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته» وكان السلطان صلاح الدين يقول: «لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل!» وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، وله «ديوان شعر ـ ط».

=

أدام الله له ما منحه، ولا أقول يزيده لأنه قد بلغ السماك واجتنى من زهر المنظوم والمنثور ما يريده، وأبى أن تحيى إلاّ بالجوهر لأنه البحر، وأن يفيض به كل كاشح حتى يملأ بصدره السحر، وسرّني بما حباني لولا الأساءة بتكليف الجواب، وأنّى للسكيت بحلبة الأدب مجاراة الجياد العراب وابن اللبون إذا ما لزّ في قرن، لم يستطع صولة البزّل القناعيس، وكنت قد امتثلت رسمه الماضي، الذي له جدد، فاستأنفت الإعارة له والفوز كاسمه أحمد، وضارعت بالفعل الحديث ذلك الماضي، وأعوذ بكماله أن أخالف حكم القاضي على أني وجهت ركائب فكري إلى نقاد الجوهر، وما أدري ما يقول وشعري وإن شُمِّر على الأقران فهو عندي كثير الفضول، وأما المرسل إليه فشعره أشاب الوليد من حسده، وعرّى بمعانيه أبو العلاء فهو المعرّى، ولما قابل هذا الذهب جسده وصيَّر بغيضاً إلى أهل الذوق محاسن شعر حبيب وعزله وهو والي، وهذا شيء عجيب.

وكتب لي وقد رأى مسوّدة هذا الكتاب: عليه هبّت نسمة السحر ففتحت من الورد في أكمام حلل الرياض الفِقَر، وتعطّرت أذيالها لما أنبت أنّ مؤلفها المحسن فيما رقم، وشابهت النسيم الحقيقية في الطيب واللطف وحاشاها من السقم، فنسيم الأسحار بجنبها[1] عليلة، وأذيالها من مدائح الندى حسرةً على ما فاتها من بطنها بليلة، عين الله عليها من كلمات أخمل وجودها ذكر ما تقدمها من التأليف، ودلّت على أن مصنفها مهر في علم الأدب وقوى فيه، وأثبت على أن مرضعها أذعنت له بحور الشعر وقوافيه، فهي نسيم سرت من مدارها في الأسحار، وتأليف نفث عن قراطيسه بالأسحار، وأزهار سقيت من غمام مؤلفها بندى وحلل موّشاة ما ذهب العمر في نسج لحمها شذاً أندى على الأكباد من

= ترجمته في:

النجوم الزاهرة ٦: ١٥٦، وفيات الأعيان ٣/ ١٥٨ ـ ١٦٣، وخطط مبارك ٦: ١٢، وكتاب الروضتين ٢: ٢٤١، والكتبخانة ٤: ٢٩٠ وBrock. S. I: 549، والنعيمي ١: ٩٠، والنويري ٨: ١ ـ ٥١ والسبكي ٤: ٢٥٣، وخريدة القصر: قسم شعراء مصر ١: ٣٥، وهو فيه «عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد البيساني»، وفي هامش الصفحة نفسها: كان أبوه يلي قضاء بيسان في فلسطين فنسب إليها، وفي كشف الظنون ٢: ١٠١٦ «سيرة الملك المنصور قلاوون للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني» وهو خطأ، فالقاضي الفاضل توفي قبل مولد قلاوون بربع قرن، وإنما الكتاب من تأليف شافع بن علي العسقلاني، أنظر ترجمته، الإعلام ط ٤/ ٣/ ٣٤٦.

(١) في هامش الأصل: «بحبّها».

رذاذ وطلّ، وأبهى في العيون من حديقة سفك فيها الربيع دم الشقيق وطلّ، ألفها من شمائله أسكر من الحميّا، وأعطر من ندى الورد ريّا، وأما مفاكهته فأعذب من حديث الأخوان، وألذّ من نغمات الأوتار في مسامع النشوان، الماجد الذي يبلغ عن المحامد غاية الإرادة، والسيد الذي لما وقف على تأليف هذا قلت: هكذا فلتكن السيادة، وعلى الجملة فإن من أطرى في مدحه، وأتعب في وصفه، طير ثناءه بصدحه كمن قال للبدر ما أبهاك، ولشهد النحل ما أشهاك، وللمسك ما أعطرك، وللروض المونق ما أنضرك، فما جهد المادح وهو أنا إذا لم يدرك بمدحه إنصاف ذي المرتبة العظمى، وما جهد الناثر وهو أنا إذا لم يرق المقام حقه بنثره، حتى قالت بعد ذلك نظماً:

أكرم بما أهدت النسيم لنا ... من خبر قد أهاج لي شجنا
قد هزَّ عطفي الذي روت فإذا ... رأيت ما قلت خلتني غصنا
كأنني غصن بانة خضل ... تتيح زيح الصبا هنا وهنا
إن قيل هذا النسيم قد نعشت ... ميتاً بما قد روته فهو أنا
كم فقر قد حوت يعود بها الفقـ ... ـير بالدر في أتمّ غنى
لو عوّض الجيد عمّا في قلائده ... بها لما قيل قط قد غبنا
قد احرمت عين كل ذي حسد ... إذ أشرقت بهجة لنا وسنا
ما الروض قد أرقصت حمائمه ... منه بترديد سجعها فننا
ما الورد في الخد شاق عاشقه ... له من الدمع عارضاً هتنا
ما غادة أسفرت فعاد بها ... ذو العقل بعد الرقاء مرتهنا
تطعن من قدّها ويحسر منـ ... ـها الأنف في كل حاله بقنا
أصبح بين الورى مؤلفها ... بكل ما قيل في الثنا قمنا
ثنى عناني إلى جواهرها ... فقلت في مدحه أجلّ ثنا
حتى على حاسديه قد نثرت ... أغصان أقلامه الدجنا
يا يوسف العصر منه صرت على ... خزائن المعجبات مؤتمنا
قلدت أعناقنا جواهرها ... فضلاً وأوسعت وغدنا مِننا
وجئت في آخر الزمان بما ... أعجز إدراك شأوه القرنا
قد وعز الآن وجه حاسده ... ما جمعت إذ نال شدّة وعنا
لا زلت تأتي بكل معجزة ... للغير إذ حزت دونه اللسنا

لا يخفى حسن هذه الأبيات وتمامها ورقّتها وعذوبتها، وما تضمنته من التورية العذبة في عدّة مواضع، وأما السجع فلو لم يطرب إلاّ بقوله: فهي نسمة سرت من مدادها في الأسحار، لقد هزَّ به العطف وحار بليله اللطف كيف وجميعها لؤلؤ متسّق، وزهر في النضار متّفق.

وله من قصيدة كتبها إلى الأديب شعبان بن سليم[1] ورأيتها بخطه:

أروضة قد أمالت ورقها القضبا ... أم كأس خمر دنان وصّف الحببا
أم النسيم سرى بالطيب بارده ... أم غادة سفرت لي في نظير قبا
جاءت على فترة من رسل موعدها ... وطالما منحتني في الهوى غضبا
فأدهشتني في وصفي محاسنها ... وبت صباً لا يقنط[2] الهوى عربا
وصار قلبي كقرط فوق طلبتها ... من المسرّة والأشواق مضطربا
الحجر ظل وقد أبدت لنا قمراً ... والنمل في كفّها للعاشقين سبا
وخالها في شقيق الخد عن قبلي ... إذ عمّه الحسن ما بين الملاح أبا
وصدرها عندما أبدت محاسنه ... فضيّ لون به عقل الشجي ذهبا
وثغرها مثل عقد فوق لبّتها ... حكى نظامَ فريد العصر في الأدبا
ما جاءنا وصفه من قبل رؤيته ... بما يطيب فأوسعنا له الطلبا

ما أحسن التوجيه بأربع سور من القرآن الكريم.

ومن هذه المادة قول السراج الورّاق[3]:

كل قلب عليّ كالصخر ملآ ... ن وهيهات أن تلين الصخورُ
يغلق الباب ماتلا سورة الفتـ ... ـح وقافٍ من دونه والطورُ

وقول علي بن مليك الحموي:

ألا يا بني (الروم) القتال فدونكم ... فانّا تدرّعنا (الحديد) إلى (الحشرِ)
ولا زال آي (الفتح) تتلو رماحنا ... وأسيافنا تتلو لنا سورة (النصرِ)

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٢) هكذا في الأصل.

(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ومن التوجيه منها بست سور قول الشريف العباسي[1] صاحب معاهد التنصيص:

و(زلزلة) كادت تهدّ بعزمها ... أقاليم لا يبقى لها أبداً أثرُ
و(واقعة) قد صار منها (تغابن) ... على (الروم) لا تنفك أو يحصل (الحشرُ)
لقد سئموا وقع (الحديد) فلا يرى ... لهم همّة تحدو القتال ولا فكرُ

ولأبي الحسين الجزّار[2]:

أشكو لعدلك جور دهر جائر ... فضلت به فضلاءَهُ الجهّالُ
منعت به عقلاؤه إذ قسمت ... بالجور في أنعامه (الأنفالُ)

وجاء لي في قصيدة:

إذا (عبس) الداجي تلونا فريضة ... فيشرق نصر الله في (الناس) (والفتح)

ذكرت بسبأ ما أنشدني أخي ضياء الدين زيد بن يحيى[3] رحمه الله تعالى في حمام سبأ:

لله حمام له منّة ... عليَّ قد نلت به المطلبا
أصبحت مهموماً لبرد الشتا ... ففرّقت همّي أيدي سبا

ولطف النفيس القطرسي[4] بقوله:

---

(١) هو أبو الفتح بدر الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد ابن حسن العباسي. عالم أديب ولد بالقاهرة سنة ٨٦٦هـ وقيل ٨٦٧. تلقى بعض علومه بدمشق، وبها تولى كتابة السر. رحل إلى القسطنطينية، وأقام بها إلى أن توفي سنة ٩٦٣هـ. من آثاره: شرح مقامات الحريري، وحاشية على شرح لامية العجم للصفدي، وشرح على البخاري، ومعاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص. وله شعر.

ترجمته في: الضوء اللامع ٤/١٧٨ وشذرات الذهب ٨/٣٣٥ وهدية العارفين ١/٥٦٣، أنوار الربيع ١/هـ ٣١٤ ـ ٣١٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٤) في الأصل: «النفيس القراطيسي» وهو سهو من المؤلف، والصواب ما أثبتنا وهو أبو العباس أحمد بن عبد الغني بن أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القطرسي، المنعوت بالنفيس. قال ابن خلكان: كان من الأدباء، وله ديوان شعر أجاد فيه. جاب البلاد، ومدح الناس، واستجدى بشعره. توفي سنة ٦٠٣هـ بمدينة قوص وقد ناهز السبعين من عمره. من آثاره: كتاب ضوء البدر =

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سَعَةٌ ... مِنَ الثراء، وأما المقترونَ فلا
هل سَرَّني وثيابي فيه قومُ سبَا ... أو راقني وعلى رأسي به ابن جَلا[1]

أشار بابن جلا إلى قول الحماسي:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني[2]

والأول ظاهر.

وجاء لي من التوجيه بأسماء السور في سجع هذا الكتاب كثير سيرد إن شاء الله تعالى.

ولما وقفت على تأليف القاضي المذكور المسمّى «بالأصداف المشحونة» كتبت عليه هذين البيتين:

لله هذا الشعر والشرح الذي ... هو لؤلؤ تبتاعه بالعين
بحران لاحت منهما أصدافه ... فاطلب لنفسك لؤلؤ البحرين

لأن لؤلؤ البحرين وهي ولاية منقطعة عن إقليم فارس قريبة من عمان واليمامة مشهور بالجودة، والإشادة بقولي حنين البحتري إلى نسيم، إن أبا عبادة البحتري[3] الشاعر المشهور كان له غلام يحبّه اسمه نسيم فباعه ثم تتبّعته نفسه، وقيل إنه كان يحتال به على الرؤساء فيبيعه ثم يتغزل فيه عندهم فيعطي ثمنه فيسترجعه دائماً، وله فيه أشعار مشهورة فمنها:

أنسيم هل للدهر وعد صادق ... فيما يؤمِّله المحبُّ الوامقُ
مالي فقدتك في المنام ولم تزل ... عون المَشُوق إذا جفاه الشائقُ
أمُنِعْتَ أنت من الزيارة رقبة ... منهم، فهل منع الخيال الطارقُ!
اليوم حارَ بي الهوى مقداره ... في أهله وعلمت أني عاشقُ

= على النيل، وديوان شعره.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٦٤ ـ ١٦٧، كشف الظنون/٨٠٦، ١٠٨٨، وهدية العارفين ١/ ٨٩، أنوار الربيع ١/هـ ٢٨٨.

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٦٥.
(٢) الشعر لسحيم بن وثيلة، وقد مرّت ترجمته في هامش سابق.
(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.

فليهنئ الحسن بن وهب أنه ... يلقى أحبته ونحن نفارقُ

وما أحسن قول ابن نباتة المصري[1] تلميح إليه:

لا تلم عاشقاً بكى بعد روضٍ ... كبكاء الوليد بعد نسيم[2]

۞ ۞ ۞

وشبام بكسر الشين المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ثم ميم: اسم لثلاثة مواضع باليمن، أحدها شبام كوكبان مدينة لطيفة تحت جبل كوكبان ومن شرقيّة بظاهره عيون جارية، وبها جماعة من الأعيان.

وكوكبان: حصن شاهق مشهور وله عمل واسع.

والحيمي نسبة إلى الحيمة: بفتح الحاء المهملة وإسكان المثناة التحتية[3] وبعد المثناة التحتية ميم ثم تاء التأنيث، اسم لثلاث نواحي باليمن، أحدها حيمة صنعاء وهي المراد هنا.

وحسبنا الله وكفى[4].

[٢٢]

السيد أبو علي، أحمد بن محمد الحسني اليمني الأنسي ثم الصنعاني، الشاعر المشهور(*).

فاضل يعبث وهو شيخ الشعراء بالمعاني عبث الوليد، ويحيى من بديع البيان ما يهجر له الصاحب ويمرض ابن العميد، وله شهرة الشمس في ذلك العصر، وذكا الورد في قريحه كالقطر، وكان شيخه والدي رحمه الله تعالى[5] أخذ عليه فقه الإمام زيد بن زين العابدين عليه السلام الآتي ذكره وغيره بصنعاء.

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٣) في هامش نسخة ب: «وبعد الميم تاء التأنيث».

(٤) في هامش نسخة ب: «وتوفي أحمد بن محمد الحيمي سنة إحدى وخمسين ومائة وألف».

(*) ترجمته في: سلافة العصر ٤٧٠ ـ ٤٧٣، البدر الطالع ١/ ٣٧. نفحة الريحانة ٣/ ٥٨٥ ـ ٥٩٥، الغدير ١١/ ٣٠٦.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٨٨.

وغالب شعره في آل القاسم، امتدحهم وأخذ جوائزهم، وله ديوان شعر، ومدح المتوكل بن المنصور ثم غاضبه وركب البحر (ذا النون إذ ذهب مغاضباً)، وورد مكة الغرا، ولم يرتضِ أبو المجد إلاّ أُم القرى، وأميرها إذ ذاك الشريف زيد بن المحسن[1] فامتدحه وعرّض بهجاء المتوكل وكان عازماً على قصد الروم والتوّغل في تلك البلدان والهرب من بني علي إلى بني عثمان، ثم بدا له ما عاقه عن سورة الروم ورجع إلى الفرقان، فاستخار الحي القيوم وعاد إلى اليمن فقطن حتى أدركه شعوب، فانتقل إلى روضة علاّم الغيوب.

وشعره ظاهر التكلّف، وكان المتوكل يتّقي لسانه.

سمعت شيخنا السيد العلامة صلاح بن أحمد الرازحي رحمه الله تعالى أنه دخل إلى المتوكل بالسودة فجعل يحادثه ويعاتبه على تقصيره في حقّه فقضى جميع حوائجه وقال: أنا لا أستحل [أن] أردّ لك حاجة واحدة أبداً، فقال السيد: واحتاج إلى هذه السجادة بسجادة هندية نفيسة وكانت تحته، فقام المتوكّل عنها وأخذها السيد، وإنّما أراد المتوكل أنه لا يستحل إرجاع إرادته لأنه من المؤلفين، وأكثر أشعاره من غير ذلك في العقائد، وكان جاروديا، وأحسن ما سمعت له أن المتوكل حضر من ضوران إلى صنعاء في أوائل ذي الحجة ودخلها وقت صلاة الصبح فأقبل إلى الجامع متنكراً، وصلّى مع الناس وفطن له السيد مع جماعة فقال:

قد طلع الفجر والإمام معاً ... فمرحباً بالإمام والفجرِ
واقترن الصبح والأصيل وما ... أحسن هذا القِران في الدهرِ
بخ لصنعا بطلعته حكت البدر وكان المحاق للبدرِ

---

(١) زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي: أمير مكة. ولد فيها سنة ١٠١٤هـ، ووليها سنة ١٠٤١هـ، وحسنت سيرته، لولا ما صنع في نجد، قال ابن بشر: «وفي سنة ١٠٥٧ هو سار زيد بن محسن إلى نجد ونزل الروضة، البلدة المعروفة في سدير، وقتل رئيسها محمد بن ماضي بن محمد بن ثاري، وفعل ما فعل من القبيح والفساد». وحدثت في أيامه فتن تمكن من قمعها. وكان فيه دهاء وحزم. مدحه بعض شعراء عصره. واستمر إلى أن توفي بمكة سنة ١٠٧٧ هو.
ترجمته في:
خلاصة الأثر ٢: ١٧٦ ـ ١٨٦ وخلاصة الكلام ٧٤ ـ ٧٩ ونزهة الجليس ١: ٢٨٧ وعنوان المجد ١: ٥٢، الإعلام ط ٤/٣/ ٦٠ ـ ٦١.

ذكـرتـهـا يـا إمـام طـلـعـة خـيـر الـورى مـن تـبـوك بـالـنـصـرِ
فـلا تـلـمـهـا إذا رقـصـت وصـفـقـت لـلـسـرور بـالـعـشـرِ

أجاز في الثاني والثالث واستحسن بالأصيل الأصالة، وهذه عادته، ومعنى الأوّل مأخوذ.

وذكر ابن خلكان: أن المأمون لما ولّى عبد الله بن طاهر خراسان واتفق أنه دخل نيسابور وكانت تلك السنة مجدبة فوقع المطر ساعة دخوله فقام بَزَّاز من حانوته فاستقبله وقال:

قـد قـحِـطَ الـنـاس فـي زمـانـهـمُ حـتـى إذا جـئـتَ جـئـتَ بـالـدِّررِ
غـيـثـان فـي سـاعـةٍ لـنـا قـدمـا فـمـرحـبـاً بـالأمـيـر والـمـطـرِ[1]

وللمذكور من قصيدة:

أصـبـح الـقـلـب لـلـغـرام مـسـالـكْ ولـسـلـطـانـه الـغـريـم مـمـالـكْ
خـفـق الـشـنـف والـعـواد ونـادى مـا لـريـا فـي الـخـافـقـيـن مـشـارك
أيـهـا الـظـبـيـة الـتـي كـم رأيـنـا مـن عـقـول تـجـول فـي عـقـر دارك
وخـيـال أضـحـت خـيـالاً مـن الـدر تـمـنـى مـن زار طـيـف خـيـالـك
أسـبـلـي مـن ذوائـب الـرأس لـيـلاً أسـحـمـيـا ثـم آنـعـمـي بـوصـالـك
واعـقـدي الـردم دون يـاجـوج أعـنـي رقـبـاي بـكـل أسـود حـالـك
واتـركـي بـعـضـهـم يـمـوج إلـى بـعـض بـلا فـطـنـة لـحـالـي وحـالـك
مـتـعـيـنـا ومـا عـلـيـك وفـاء أن تـحـطّـي بـزورةٍ أوزارك
فـعـروض الأعـراض قـطّـع قـلـبـي فـارقـني لـي أوصـالـه بـوصـالـك
سـبـت الـمـالـكـيـة الـغـرب حـتـى حـمـلـتـنـا عـلـى الـموطـا لـمـالـك
احـكـمـي أيـهـا الـمـمـتّـعـة الأسـر وشـدّي الـوثـاق مـن احـجـالـك
لا تـمـنّـي عـلـيـه إلاّ بـإبـرام بـريـم مـرصـع لـمـشـالِـك
ادمـجـي مـنـه فـي الـدمـالـيـج مـا أبـقـى عـلـيـه الـغـرام بـعـد مـطـالـك
أضـمـري فـي قـبـورك الأشـرفـيـات شـريـفـاً مـقـبّـلاً لـجـمـالـك
كـلـمـا ضـلَّ عـن سـبـيـلـك يـهـديـه عـبـيـر يـضـوع خـلـف جـمـالـك

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٨٣ ـ ٨٤.

قلبه فارغ عن اللبّ لمّا أن رأى القلب ضيّقاً متهالك

وهي طويلة وفيها نظر في القافية، وما أقبح: «كلما ضل عن سبيلك».

والقبور: نوع من الأساور.

وقلت أنا في هذا المعنى:

أعطيت من أهواه قبراً عسى يسقي بحالي ريقه صبري
فزادني كالموت بعداً له أو ما ترى في كفّه قبري

وله فيما يتضمّن العقائد:

أمر الله في التنازع بالرد إليه سبحانه وتعالى
وإلى خير خلقه سيد الرسل وأزكاهم فعالاً مقالا
فلماذا غدا التنازع في أمر عظيم قد خالفوه ضلالا
حكمت في مقام خير البرايا حين ولّى تيهاً رجال رجالا
فأبِن لي ما حال من خالف الله ومن صيّر الحرام حلالا
واعرض القول في الجواب على ما أنزل الله واطرح الأقوالا
زعم النص في الوصيّ خفيّاً من رمى النصب اصغريه وغالى
غير أن الضغائن القرشيّات بها كانت الليالي حبالى[1]

وما أحسن قول السعيد ابن سناء الملك[2] في معنى قوله في الأبيات السابقة: «خفق الشنف والفؤاد»:

أما والله لولا خوف سُخطكْ لهان عليَّ ما ألقى برهطكْ
ملكت الخافقين فتهت عجباً فليس هما سوى قلبي وقرطك

ولم يأخذ المذكور وحده، بل دخل معناه وبيته الناس أفواجاً، ولو ذكرت كل من استعمله لكتبت كراسة.

والسيد المذكور هو والد أحمد المثنى الماضي ذكره[3]، والله سبحانه أعلم[4].

(١) الغدير ١١/٣٠٦ نقلاً عن نسمة السحر.
(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٦.
(٤) في هامش نسخة ب: «موت السيد أحمد بن محمد الأنسي سنة تسع وسبعين وألف».

[٢٣]

القاضي العلامة شمس الدين أبو محمد، أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق بن شايع بن علي بن العماد بن المطهّر بن غالب بن علي بن مساعد بن محمد بن غلّاب بن هية بن سالم بن إبراهيم بن مسعود بن مقبل بن كثير بن حرب بن سحام بن خولان بن عبس بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك ابن حمير، وبقيّة النسب معروف المخلافي الأصل، الصنعاني المولد والنشأة، الزيدي المذهب(*).

كتب لي نسبه بخطه في شهر ذي القعدة سنة تسع ومائة وألف بصنعاء ورفعه إلى آدم، وإنما تركته اختصاراً، ولأن مالك بن حمير مشهور، والنسب فاضل، ولا عجب فهو القاضي الفاضل، أخجل بسنا مجده الهلال، فتضاءل الناقص من الكامل، لو جاراه المعري في الفصاحة لفاخر قسًّا بالفصاحة باقل، ولو ادّعى مشابهة شعره لفاخرت الشهب الحصى والجنادل، تميس في برود العلم في العلم القشيب، ويخجل من برد إذا فاخر بنظم أو وصف حبيب، قد كملت له المناقب كمايل الخمائل بالزهر، وأمن من النقصان برغم أنف البدر.

وكتب لي: أنه ولد في آخر ساعة من نهار الجمعة رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وألف، وأخذ العلم عن والدي رضي الله عنه، فإنه كان أجلّ أصحابه، وأخصّهم به، فقرأ عليه مدة مديدة، وصحبه صحبة الوصي النبي نفعاً له وأخذاً عنه في السفر والحضر، فهو إذا روى عنه أخيى محمد بن الحسن رواية عن ملك العلم النعمان ولم يخالفه بعد موته كما خالف محمداً أسامة في الأخبار، ثم تعلّق بصحبة المؤيد بن المتوكل فولاه بلاد الحيمة، وذلك قبل أن يتولّى الإمامة، فلما تولّى أضاف إليه ولاية القضاء، ثم صار وزيره وكاتبه الخاص به مع الولايتين للبلاد والقضاء، ثم حجَّ قُبيل وفاة المؤيد، واستعفى عن ولاية الحيمة بعد عودته من الحج، واستمر وزيراً بيده الحل والعقد في أكثر أمره،

(*) ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، طبقات الزيدية، الطبقات لإبراهيم بن القاسم بن المؤيد، ملحق البدر الطالع ٤٦، نشر العرف ١/٢٩٥ ـ ٣٠٠، ديوان الهبل/مقدمة الديوان ٤٧ ـ ٥١، وأعلام الديوان ٥٩٣، الإعلام ط ٤/١/٢٦٣.

وكان كما قلت في أبيات راجعته بها عن قصيدة:

وكـنـت وزيـراً لـلـمـؤيـد صـالـحـاً   وكـم مـن وزيـر جـاهـل يـحـمـل الـوزرا

فلما توفي المؤيد واضطربت الأحوال كانت فتنة قلَّ من سلم منها فاضل.

وكان القاضي المذكور بقدر علوّه في الفضائل أشد من ناله استعارها:

وفـي الـسـمـاء نـجـوم مـالـهـا عـدد   ولـيـس يـكـسـف إلاّ الـشـمـس والـقـمـرُ

وحُبِسَ بجزيرة صيرة ـ بكسر الصاد المهملة فياء ساكنة مثنّاة من تحت فراء مهملة مفتوحة منها ـ مدة ثم خلص خلوص الهلال من السرار، وانجلى له من بعد عبوس الليل ابتسام النهار، وخرج خروج قدح ابن مقبل، وأصبح له الدهر بعد الإعراض وهو مقبل، وله في ذلك الحبس أشعار، لها بفضله وثباته أي إشعار، ومما أنشدنيه مكاتبة وقال نظمته في صيرة يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة اثنتين ومائة وألف:

إن تـفـشـنـي فـي صـيـرة   كـرب أتـت مـتـوالـيـه
ولـسـوف يـفـجـر لـيـلـهـا   و(الـفـجـر) يـتـلـو (الـغـاشـيـه)[1]

ويجب التسليم لمعجز أحمد في هذه التورية فما أرّقها وأعذبها وأجلبها للعقول.

وأنشدني له أيضاً في أرجوحة العيد المشهورة بالمدراهة:

مـدراهـة بـالـضـبـا دارت كـأنّـهـم الـ   ـبـدور فـي فـلـك أيـامـهـم عـيـدُ[2]
قـالـت لـهـم حـيـن مـالـوا رايـحـيـن وقـا   لوا كيف حالك يا أهل الهوى عودوا

وله فيها أيضاً وأجاد إلى الغاية:

مـدراهـة دارت بـأفـلا   كٍ بـهـاكـم مـن هـلالِ
لـمـا دنـا وقـت الـرواح   وآذنـوهـا بـالـزوالِ
جـنّـت هـوىً وصـبـابـة   فـلـذاك شـدّت بـالـحـبـالِ[3]

---

(١) نشر العرف ١/٢٩٧.

(٢) نشر العرف ١/٢٩٨.

(٣) نشر العرف ١/٢٩٨.

وأنشدني أيضاً رحمه الله تعالى:

لا لا أميل إلى ما رقَّ من غزل ... ولا إلى أهيف كالبدر في الحللِ
ولا إلى غادة كالشمس طلعتها ... والغصن قامتها مسحورة المقلِ
ولا إلى خمرة من كف ذي هيف ... مخلوقة قبل خلق السهل والجبلِ
من ذا ومن هذا وذا أبداً ... حب الإمام أمير المؤمنين علي
حسبي بحبّي له فخراً علوت به ... حتى تحاشيت أن أمشي على زحَلِ

أذكرني قوله: «مخلوقة قبل خلق السهل والجبل» قول الشيخ سراج الدين عمر بن علي الفارض في ميميته:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكَرْمُ

فالظاهر محال، لأن الخمرة من الكرمة، لكنه أراد إصطلاح أهل الحقيقة في المسكر بحب الله تعالى، وأبو نؤاس لم يرد إلاّ القدم بقوله:

واسقني البكر التي اعتجرت ... بخمار الشيب في الرحمِ

لأن الشيب إنما يعرض لمن طالت مدّته، فهذه إذا طالت إقامتها في الرحم حتى شابت فما الظن بها بعد الخروج منه وتعاقب الليل والنهار بقمره وشمسه. وقيل اختلف أهل الأدب فيما عناه أبو نؤاس بحضرة هارون الرشيد، فأشار الأصمعي بسؤال أبي نؤاس عن إرادته فهو أعلم، فسئل فقال: أردت إن الكرم أول ما يخرج الزرجون يكون عليه بياض فلمحت إليه، وذكر الأطباء أنه لا يجوز استعمال الخمرة لمستحلها إلاّ لمدّة أقّلها أن يمضي عليها بعد العصر أربعون يوماً، وإلاّ أرخت المعدة وولّدت الرياح إلى القولنج وموت الفجأة وملأت الرأس بخاراً، وأحسن ماعتقت ثمان سنين، وأكثره ثمانون سنة وما بينهما الحالة الوسطى، ولاستعمالها شروط ذكرت، وما أحسن قول أبي بكر الخوارزمي[1]:

وصفراء كالدينارِ، بنت ثلاثة: ... ثمال وأنهار ودهر محرمِ
مسرة محزون وعذر معربد ... وكنز مجوسيٍّ وفتنة مسلمِ
ممات لأحياءٍ، حياة لميّت، ... وعدم لمن أثرى، وثروة معدمِ

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٨.

وقلت في قصيدة:

وعاتقة من الحانات زُفَّتْ ... لها في دنّها العمر الطبيعي

وهي مائة وعشرون سنة.

ومن شعر القاضي أبي محمد رضي الله عنه:

يعدّون حبّي للوصي وآله ... ذنوباً عليها أكثروا اللوم والعذلا
رضيت به ديناً، رضيت به هدى، ... رضيت به نهجاً، رضيت به عدلا

وله في هذه المادة:

خذوا بيدي يا آل أحمد إنني ... جعلت فؤادي في الوداد لكم أرضا
ولو أنني أعطى الأراضي كلها ... على بغضكم ما كدت والله أن أرضى

هذا جناس يترك خاطر أبي الفتح البستي[1] في انغلاق، وبعده الصفدي من جنانه في المنثورات الوراق.

وقال القاضي أبو محمد المذكور: ـ ومن خطّه نقلت ـ خرجت يوماً من الحمّام فاتفق لي بعض الأخوان الذين هم زينة الأيام فسألني من أين؟ فقلت: من الحمّام، وأنشدته البيتين الشهيرين اللذين أبدع قائلهما في الاختراع، وأتى بما يطرب القلوب، ويلذّ الأسماع وهما:

ولم أدخل الحمّام من أجل لذّة ... وكيف ونار الشوق بين جوانحي
ولكنه لم يكفني فيض مقلتي ... دخلت لأبكي من جميع جوارحي

وكنت قد تناولت شيئاً من الحِناء أثره على يدي، فقال لي: فما هذا؟ يشير إلى الحناء، فقلت مرتجلاً:

وليس خضاب ما بكفّي، وإنما ... مسحت به دمع العيون السوافحِ

---

(١) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي. كان شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً. قال الثعالبي: (رأيته يغرف في الأدب من البحر، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز، وأخذه منها بالحظ الوافر). ولد سنة ٣٦٠هـ وتوفي ببخارى سنة ٤٠٠ وقيل ٤٠١هـ. من آثاره: شرح مختصر الجويني في فروع الفقه الشافعي وديوان شعره.

ترجمته في: يتيمة الدهر ٤/ ٣٠٢، شذرات الذهب ٣/ ١٥٩، وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٨، الكنى والألقاب ٢/ ٧٤، هدية العارفين ١/ ٦٨٥، أنوار الربيع ١/ هـ ٩٨.

ثم وصلت إلى منزلي فصدّرت البيتين الأولين وعجزتهما ونقلت ذلك إلى الموعظة فقلت:

(ولم أدخل الحمّام من أجل لذّة) وكيف التذاذي بالنيار اللوافح
ولا جئته أبغي اصطلاء بناره (وكيف ونار الشوق بين جوانحي)
(ولكنه لم يكفني فيض مقلتي) على ماضيات من ذنوبي فواضح
ولما رأيت العين لم يكف وبلها (دخلت لأبكي من جميع جوارحي)
وليس خضاب ما بكفي وإنما مسحت به دمع العيون السوافح

قلت: أجاد بهذا يستدل على فضله في الشعر وتصرّفه.

وكان لما كتب إليَّ نسبه المذكور كتب بعده من شعره بعد أن ذكر ما مضى من أيامه:

مضت وتقضّت مثل أحلام نائم ولم أكتسب داراً بها لي باقيا
وجاوزت من بعد الأشد ثمانياً وست سنين أطعمتني الدواهيا
فيا ربّ توفيقاً أنلني لعلّني أنال به منك الرضى والأمانيا
وكن غافراً قبل الممات لزلّتي وكن لذنوبي بالتفضل ماحيا
أنا العبد عبد السوء لست بجاحد أطعت هوى نفسي وما زلت عاصيا
وقصّرت في شكري لنعماك شاكراً بجهلي وعمّا يوجب الفوز لاهيا
عصيت على علم فماذا أقوله إذا أنا في حشري أجيب المناديا
فقال لي الرحمن جلَّ جلاله وقد خدَّ دمعي في خدودي مجاريا
علمت ولم تعمل وجاهرتني بما أتيت وجانبت الصواب تجاريا
هنالك لا يجدي التأسّف والبكا ولا عذر لي إن قلته كان واقيا
سوى إنني أرجوه يعفو تفضلاً وما خاب من لله قد كان راجيا
وبالخمسة الأشباح أطلب عفوه ومغفرة منه تغطي المخازيا
هموا شفعائي يوم حشري وفاقتي وودّهم ذخر ليوم التناديا

وله أشعار لا تحصى في كل فن.

وكان بينه وبين القاضي الأديب شاعر اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل[1] كمال الاتصال والوداد والمشاعرة، وهو الذي جمع فرائده ونظّم قلائده

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

بعد مماته وسمّاه قلائد الجواهر من شعر الحسن بن علي بن جابر، سمة طابقت المسمّى، ولؤلؤ لو اكتحل به لعاد بصيرا، ولو كان المعرّي الأعمى، ورتّبه على الأنواع، وأشفق على ذلك النفيس من الضياع، وما زالت له كالشمس همّة، ولولا هي ما برح الأدب في ظلمة، وكتبه على كثرتها ليس فيها كتاب إلاّ وخطّه على أكثر ورقه أما ينبّه على شيء أو يستدرك بحيث يعجز الرائي ويستدل على فضله وسعة صدره مع اشتغاله بالمناصب، وبيني وبينه مكاتبة بالشعر، فمما كتبته إليه مع إرسال شيء من ورقات هذا المؤلَّف طلبها:

وأبيك إن الظاعنات أصيلا ... قدّمن قلب محبّهن دليلا
ولو استفقت وقد سفرت عشيّة ... لرأيت وجدي كالوجوه جميلا
هنَّ اللحاظ الماضيات وإنّما ... بالسحر تبصر حدَّهن كليلا
وإليك عن حزوى فإنك واهم ... إن رمت من حزوى تبلّ غليلا
قد منّعوا تلك الشموس فدونها ... أن تبلغ العيّوق والإكليلا
ولقد عهدت بها وما طال المدى ... كلّا ولكن للشعوب ظليلا
وأوانسا جعل الجمال ثغورها ... ونحورها صبحاً له وأصيلا
من كل جائرة ولين عطفها ... منه استفاد العامل التعديلا
تشكو خلاخلها الثراء وتشتكي ... ما ضمنت فيك النطاق محولا
يا ظبية الوادي التي من دونها ... أسد يريني بالرماح الغيلا
هل عائد لي ما عهدت على الحمى ... فأرى الحديث من القديم بديلا؟
عصر تولّى كالمدام مذاقه ... عذب وثنى بالخمار وبيلا
أيام لي عند الصباح مكانه ... ودُجى شبابي يبلغ المأمولا
حتى اعتلى صبح المشيب وأبصرت ... ليلي عليَّ الأبيض المصقولا
وبودّها أن لا تراه وإنّها ... لاقت سواه من العداة رعيلا
ونعم أعاد تذكري عهد الحمى ... برق تخال من البعاد عليلا
سقى الحمى غيث الجفون وجاده ... طلٌ يبلّ من الرسوم طلولا
أأعيره نفسي وأمنع سفحه ... دمعاً كثيراً في الوفاء قليلا؟
وحمامة سجعت على فنن اللوى ... سحراً فهاجت بالحنين هديلا
شجوان لي هاجا وأتعب منهما ... أن لست أفقد واشياً وعذولا
جارا عليَّ وإنما حكم الهوى ... حتى اغتدى قدر العزيز ذليلا

والله مـا تـرك الـغـرام بـمـهـجـتـي … صـبـراً كـمـا قـالا عـلـيـه جـمـيـلا
وقـد اعـتـرفـت بـأن دمـعـي خـانـنـي … حتى افتضحت وما استطعت سبيلا
ولـقـد سَقَـيـت خـدودهـا بـمـدامـعـي … كـيـمـا أرى الـورد الـبـهـا مـطـلـولا
ومـن الـبـلـيـة ان قَـلَّـتـه مـخـافـة … مـن فـيـضـه لـمـا رأتـه سـيـولا
يـا صـاحـبـيَّ ومـا الـغـرام بـهـيِّـن … ولـربـمـا رحـم الـخـلـيـل خـلـيـلا
هـل تـذهـلانـي بـالـمـدام لـعـلَّـهـا … تـعـطـي الـفـؤاد عـن الـغـرام ذهـولا
صـفـراء شـامـلـة لـكـل مـؤمّـل … ولـذاك يـدعـوهـا الـسـقـاة شـمـولا
تنضي السرور على الهموم لشربها … بـشـعـاعـهـا مـاضـي الـشـبـا مـسـلـولا
مـا دمـيـة الـمـحـراب إلاّ لـونـهـا … أو مـا تـرى لـبـريـقـهـا قـنـديـلا
وخـذا مـن الـلـذات حـظـاً حـاضـراً … فـأخـو الـحـجـى مـن يـتـرك الـتـأمـيـلا
هـي فـتـرة الأيـام فـاحـذر بـعـدهـا … أن تـصـطـفـي لـلـغـافـلـيـن رسـولا
إنّـي خـبـرت الـدهـر خـيـر مـجـرّب … فـوجـدت مـنـه عـلـى الـنـفـاق دلـيـلا
لـولا لـوادي بـالآلـه وعـبـده … قـاضـي الـقـضـاة لـمـا أمـنـت فـتـيـلا

ثم خرج إلى المديح، وهي طويلة.

ومحاسن القاضي لا تحصى.

وفي سنة أربع عشرة ومائة وألف أرسل المهدي ولده المحسن بالعساكر إلى عيان لحرب قبائل همدان ورئيسهم ابن حبيش فصالحه المحسن فلم يطابق والده بذلك، فحبس بصنعاء أياماً ثم بذمار حتى مات.

وكان القاضي المذكور خطيبه في ذلك العسكر، فلما عاد إلى صنعاء أمر عاملها بإرساله إلى حبس عدن فحبس به شهوراً، ثم صيّره قاضياً بعدن، فاستمر حتى مات بعدن في شهر المحرم سنة عشر ومائة وألف[1]، رحمه الله تعالى، فما ترك مثله.

❀ ❀ ❀

وعِيان: بكسر العين المهملة وبعدها المثناة التحتية ألف ونون: قرية لهمدان قريب خيوان.

---

(١) في نسخة ب: «١١١٦هـ». وفي نشر العرف ١/ ٢٩٧: «١١١٤هـ».

وحُبَيْش: بضم الحاء المهملة وفتح الموحّدة وإسكان المثناة من تحت وشين معجمة.

وعدن: مشهورة بساحل بحر الهند.

وهيهات أن تسمح الأيام بمثل هذا القاضي الفاضل في كل فن، وعلى مثله فلتبك العلياء.

وحولان بن عيسى، بالباء الموحدة.

والمخلافي: نسبة إلى المخلاف وهي ناحية الحيمة الصنعانية.

والله أعلم.

[٢٤]

القاضي الكاتب المنشيء، أبو يحيى، أحمد بن القاضي سعد الدين بن الحسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم بن يوسف بن هادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد بن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر المسوري اليمني، ثم الشهاري الزيدي الوزير العالم(*).

فاضل كان الابتداء باسمه أحمد، والتيمّن بذكر أبيه في فلك الأدب أسعد، إليه انتهى الفضل المتناهي، والجمع بين العلمين العالمي والإلهي، تبارك من خصّ كتابه النون بالقلم بما أوقع حاسده في القارعة، وجعل الكواكب نازلة بزهر أشعاره الطالعة.

وكان أحد أفاضل الدنيا ورجال الدهر، جامعاً بين العلم الكثير، والحفظ الزائد، وجودة الخط، وإسعاف الحظ، وخدم الإمام المنصور بالله أبا محمد القاسم بن محمد في عنفوان شبابه، وكاتب[1] إنشائه إلى الملوك والرؤساء ببلاد اليمن وغيرها، وقرأ عليه العلم وعلى ولده المؤيد بالله أبي الحسين محمد بن

(*) ترجمته في مطلع البدور ١/١٥٥ ـ ١٥٦، البدر الطالع ١/٥٨، ديوان الهبل/أعلام الديوان ٦١١ ـ ٦١٢، نفحة الريحانة ٣/٥٢٩ ـ ٥٣٦، خلاصة الأثر ١/٢٠٤ ـ ٢٠٧.

وله ديوان شعر جمعه أحمد بن محمد الضبوي، نسخة منه في مكتبة السيد محمد زبارة بصنعاء.

(١) في هامش ب: «وكان».

المنصور، ولما توفي المنصور بالله بشهارة والدولة والشوكة بأكثر بلاد اليمن لنوّاب السلطان ابن عثمان صاحب الروم، وبينهما أعني الإمام والأروام صلح أشار القاضي بتولية ولده المؤيد لكماله في شروط الزيدية فبايعوه، وكان فيما رآه الخير، فإن الدولة الرومية انهزمت عن اليمن في أيامه بيمنه وتدبيره وعساكره وآخرهم حيدر، خرج بعد انحصاره بصنعاء مدة بما أراد من ذخائره، وسيّر المؤيد ولده علي بن المؤيد خفيراً له إلى أطراف اليمن، ولما أحسن المؤيد إلى حيدر وأراه ما لم يحتسب من الجميل والتعظيم بعد اجتهاده في حربه انقلبت عداوة حيدر للإمام وداً، حتى أنه لما سافر إلى الشام وقد نهب الأمراء خزائنه في زبيد جاء كتابه إلى المؤيد مع رسول له يسأله إمداده ويشكو حاله، فأنفذ إليه الإمام ستة آلاف قرش وخلعاً، وخلع على رسوله وأعطاه أربعمائة قرش، وخرج أيضاً بعد حيدر قانصوه، وكان في زبيد، وانقطعت عساكر الروم من اليمن بعد ذلك، وكان القاضي أعزّ الناس عند المؤيد.

وروى عنه وعن والده المنصور، وكتب رسالة من إنشائه وجهها المؤيد بالله إلى شاه عباس الصفوي الحسيني سلطان الممالك العجمية، وهي نظم ونثر، وأوّلها بعد تحريض على الاعتضاد:

وكيف وفيكم للآله حبالة	ومالحبال الله في الخلق قاصمُ
وفيكم دلالات لقوم يذكروا	وعلمكم للعالمين مراهمُ
وعمّا قليل يظهر الله مرشداً	تزول به في العالمين المظالمُ

يعني المنتظر عليه السلام، وهي طويلة.

ثم توفي المؤيد بالله وقد صفى له اليمن كله، وما بقي من الروم أحد، وفي أكثر ما دار بينهم من الوقائع لا يخلو القاضي عن شعر يهنيء به، فأشار بتولية أبي طالب أحمد بن المنصور، بايعه الأعيان بشهارة وما يليها، ثم لم يقع اتفاق على أمره وحصلت حروباً وبويع المتوكل إسماعيل بن المنصور فخدمه القاضي أيضاً وكتب له وعمَّ به النفع لوفور دينه وحسن سعايته.

وسمعت أن المتوكل كان واجداً عليه في الباطن لمبايعة أخيه أبي طالب، ولا يبعد ذلك، وكان زاهداً مع تمكّنه في الدولة، قانعاً باليسير، وعليه قرأ والدي رحمه الله تعالى، وبه تخرّج، ولقد رأيت بخطّه عدّة ما قرأ عليه من فنون العلم، وقد ذكر أسماءها، ولو ذكرتها هنا لطال الكلام، وله منه الإجازات العامة.

ثم كتب والدي بعد ذلك بخطّه: وحفظت منه من النصائح والحكم والمواعظ ما لا أحصيه، ولم يخل لي موقف عنه من حكمة أو موعظة أو نصيحة.

ونقلت من خط والدي رحمة الله عليه وبركاته على بعض كتبه: أخبرني شيخنا القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين بن الحسين المسوري، أنه كان بزبيد من الشيعة في تأريخ السبعمائة والثمانمائة من سني الهجرة خلق كثير، قال: وكان منهم صانع فخار أديب[1]، إذا أكمل الإناء وكتب عليه من شعره على لسانه، أما قوله:

إسألوني عن الجحيم فإني ... كنت من أهلها ومن ساكنيها
ما رأيت العذاب إلاّ على من ... منع الطهر إرثها من أبيها

وأمّا قوله:

أنا عبد لحيدره ... والصبيين والمره
لعن الله ظالماً ... عرف الحق فأنكره

وأخذ على القاضي عدّة من الناس صاروا بعد ذلك مشاهيراً يشار إليهم، ووقع الاتفاق على فضله وعلمه وزهده وغزارة مادّته في العلوم وفصاحته في الرسائل.

وأما شعره فإنه لا يعجبني، بل هو شعر عالم.

وله مصنّفات رسائل، كاختصار جلاء الأبصار تأليف الحاكم أبي سعد الخراساني المعتزلي البيهقي.

وسمعت أنه امتدح رسول الله ﷺ بقصيدة وأرسلها مع الزوّار، ولما أدخلت إلى الشبّاك انجذبت إلى قريب القبر الشريف، ذكر ذلك بعض العلماء الأثبات.

ومن شعره هنأ بعض الرؤساء بهزيمة عسكر الروم:

كذا وأبيك تقتنص المعالي ... وتنتج للّذي صبر الليالي
ويثمر غرس من بذرت يداه ... سيوف الهند والقضب العَوالي
ويحرز كل خصل ذو هموم ... يسابقها إلى أسنى الخصالِ
يضمّر خيله ليحوز جنّات[2] ... عدن لا إلى ذات الأصالِ

---

(١) في هامش ب: «وكان إسمه عمر».

(٢) كذا في الأصل.

ومـن يـقـد الـجـيـوش إلـى عـداه يـنـل مـا لـيـس يـخـطـره بـبـالِ
ومـن يـخـرج إلـى الـرحـمـن تـفـقـد لـه الأعـداء كـرهـاً والـمـوالِـي
كـمـثـل أبـي مـحـمـد الـمـؤدي بـهـمّـتـه فـريـضـة ذي الـجـلالِ
فـريـد سـاد عـزمـة هـاشـمـي يـزلـزل خـوفـهـا أرض الـجـبـالِ

وله قصيدة طويلة على وزن قصيدة أبي حامد الأنطاكي[1] ورويّها، وقد مضت الإِشارة إليه، وأول أبيات القاضي:

كـل يـوم عـلـى الأعـادي إغـاره بـسـحـاب عـلـى الـعـدا مـطّـاره

وشعره إذا جمع يدخل في مجلدين، وغالبه في الإلَهيات والزهد، وأمثاله، ورثى المنصور والمؤيد وغيرهما، ولما مات لم يخدم الدولة مثله ولا من يقاربه، وكانت له أجوبة نادرة.

سمعت أن فاضلاً قدم من البحرين وكان يعرف علم الفلك، فسأل القاضي عن مسائل فيه، فقال: أنا مشغول في الأرض، فليس لي عهد بالسماء.

ومثل ذلك ما حكي: إن سائلاً سأل بعض العلماء عن مسافة ما بين المشرق والمغرب فقال يوم الشمس، وقد ينسب الجواب الأخير إلى مولانا أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ثبت عنه، فهو مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[2].

نوع من البديع يسمى تلقي السائل بغير ما يترقب وإلاّ فهذه أجوبة إقناعية تستملح، والانصاف غيرها.

واجتمع به رجل قد قرأ الأدب بصنعاء فقال له أثناء حديثه، ومما حقّقته مسألة أشياء هل هي لفعا[3] أو فعلاً، وأراد جواب القاضي فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾[4] وهذا جواب وقع لغيره، وإنّما استشهد به.

قلت: ومن هذه الأجوبة النادرة ما حكى الصفدي: أن جماعة من النحويين

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٩.
(٣) هكذا في الأصل.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠١.

تذاكروا إعراب سراويل وما فيه، فدخل إليهم نحوي آخر، فقالوا له: ما عندك في سراويل؟ فقال: مثل ذراع البكر، وقدر ساق المليح.

وسُئِل بعض حذّاق الصوفية وهو على المنبر يعظ عن مسألة دقيقة في المواريث فقال بسرعة: أنا أتكلم على قوم إذا ماتوا لم يخلفوا ديناراً ولا درهماً، فبكى الحاضرون ونهروا السائل، وتخلّص الصوفي.

وما أحسن قول القاضي زين الدين بن الوردي[1] بقوله:

وشادن يسألني ما المبتدأ والخبر   بيّنهما لي مسرعاً، فقلت: أنت القمر

وقول أبي عبد الله بن الحجّاج[2] على عادته في الهزل:

ورقيع أراد أن يعرف النحـ   ـو بزيّ العيّار لا المستفتي
قال: لست تعرف النحو مثلي   قلت: سلني عنه أجب في الوقتِ
قال: ما المبتدأ وما الخبر المجرور أجبني، فقلت: ذَقنك في أستي

❀ ❀ ❀

رجع، وكان القاضي يحفظ الأخبار والتأريخ وسير الملوك وأهل البيت، ويعرف اللغة، وكتب بخطّه عدة كتب وهي في غاية الضبط، وكان مطبوعاً في علم الصرف.

سمعت القاضي شمس الدين أحمد بن ناصر ـ المذكور قبله[3] ـ يحكي أن القاضي أبا يحيى المذكور كان من عادته ألاّ يبيت ليلة إلاّ وقد كتب ورقتين في أي كتاب يحصله.

وكانت ولادته في ثاني شهر شعبان سنة سبع وألف، بعد دعوة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بسنة، لأنه ظهر سنة ست.

وتوفي القاضي يوم الثلاثاء السادس عشر من المحرم سنة تسع وسبعين، وعمره إحدى وسبعون سنة وخمسة عشر يوماً بشهارة، ودفن في صحن جامعها

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

قريباً من قبر المنصور والمؤيد رحمهم الله تعالى، وكان مرضه من ضعف العظم.

وكان كثيراً ما ينشد آخر عمره من قول الصالح أبي الغارات بن رزيّك[1]، وينسب إلى الوزير المغربي[2]، وسيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى:

تبت عن كل مأثم فعسى ... يمحى بهذا الحديث ذاك القديمُ
بعد خمس وأربعين لقد ما ... طلت إلاّ أن الغريم كريمُ

وكان والده من كبار العلماء أيضاً، وله شعر وكذا جدّه.

❀ ❀ ❀

والمَسْوَري، نسبة إلى مَسْوَر، وهي بفتح الميم وإسكان المهملة وبعد الواو المفتوحة راء وياء النسبة: اسم لجبل من ناحية حَجَّة فيه قرى وكناحية على مسافة يوم من صنعاء والقاضي من مسور حجة.

وشهارة حصن مشهور ومنيع، محفوف بالكروم ولا نظير له في الإرتفاع باليمن.

[٢٥]

المؤيد بالله، أبو الحسين، أحمد بن الحسين بن هارون بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسني الطبرستاني، أحد أئمة الزيدية[*].

فاضل اهتزت العلوم بغيثه وربت، فجادها من لؤلؤه لا من برد بما لم تؤمله، ولا احتسبت، جمع بين الجليلين العلم والنسب، وجاد بالنفيسين العلم والذهب، وشعره كالسحر لولا حله، وكالنور جاده ظله.

وكانت ولادته بمدينة آمل سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة، وكان والده الحسين على مذهب الشيعة الاثني عشرية، ونشأ ولده قائلاً بهم ثم تركه ودعا إلى إمامة

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.

(*) ترجمته في: أعيان الشيعة ٣٠٥/٥٨، الدر الفريد ٣٧ وفيه ولادته سنة ٣٣٢، ووفاته ٤١١هـ، إتحاف المسترشدين ٤٨ وفيه وفاته ٤١١هـ، الإعلام ط ١١٦/١/٤.

نفسه، وكان من النسّاك العلماء الكبار العاملين، فاضلاً ينظم الشعر المليح.

ولبث ببغداد زماناً في أيام معزّ الدولة وبحضرة الصاحب بن عباد، وكان الصاحب يعرف حقّه ويعظم فضائله.

سافر إلى بلاد الديلم فأجابوا دعوته وأقام بها إماماً عشرين سنة، وتوفى سنة إحدى عشر وأربعمائة في أيام القائم بأمر الله العباسي، وكان يلبس الصوف تزهّداً وصلاحاً، وله في الصاحب أبي القاسم[1] يمدحه:

سقى عهدها صوب من المزن هاطلُ ... تحيىٰ به تلك الربى والمنازلُ
منازل نجم الوصل فيهن طالعٌ ... يضيءُ ونجم الهجر فيهن آفلُ
رياض حكى أبراد صنعا وشيعها ... غداة حياها الوشي طلّ ووابلُ
وكل سحاب شوّق الأرض قربه ... كأن التماع البرق فيه مشاعلُ
سحبنا ذيول الوشي في عرصاتها ... وعزٌّ لنا فيها غزال مغازلُ
وطالت لنا الأيام إذ سمحت لنا ... بما سمحت والدهر عنهن غافلُ
وكان شبابي عاذلاً لعواذلي ... وليس لها في أن تعاقب طايلُ
نعمنا بها لم نعرف البؤس والأذى ... ولا الهجر منتاب ولا الوصل راحلُ

ومن مديحها:

لَأَغنيتَ حتى ليس في الأرض معدمٌ ... وأَعطيتَ حتى ليس في الأرض سائلُ

وقد نقم بعض الثقلاء عليه في هذا البيت، وقال أنه مدح مخلوقاً بما هو من صفات الرب تعالى، وليس عليه في ذلك انتقاد أصلاً.

وما أحسن قوله فيها:

فكم لك في أبناء أحمد من يدٍ ... لها معلم يوم القيامة ماثلُ
إليك عميد المجد سارت ركابهم ... وليس لهم إلاّ علاك رسائلُ
وأعطيتهم حتى لقد سئموا اللهى ... وعاد من العذال من هو سائلُ
وأسعدتهم والسعد لولاك واجم ... وأعْزَزتهم والذل لولاك شاملُ
فكل زمان لم تزيّنه عاطل ... وكل مديح غير مدحك باطلُ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٩.

ومن شعره:

تُهذِّب أخلاق الرجال حوادث ... كما أن عين السبك يخلصه السبكُ
وما أنا بالواني إذا الدهر أمَّني ... ومن ذا من الأيام ويحك ينفكُّ

ومنها:

ليعلم هذا الدّهر في كل حالة ... بأني فتى المضمار أصبح يحتكُّ
نهاني آباء كرام أعزّة ... مراتبها أنّى يحيط بها الدركُ
فلا برقهم يا صاح إن شئت خُلَّبٌ ... ولا رفدهم وكسٌ ولا وعدهم إفكُ

وله يجيب الشريف أحمد بن محمد العباسي المعروف بابن سكرة[1] عن قوله:

إن الخلافة مذ كانت ومذ بدأت ... معقودة بفتّى من آل عباسِ
إذا انقضى عمر هذا قام ذا خلفاً ... ما لاحت الشمس وامتدت على الراسِ
فقل لمن يرتجيها غيرهم سفهاً ... لو شئت روَّحت كرب الظن بالياسِ

فقال أبو الحسين المذكور يجيبه:

قل لابن سكرة يا نغل عباس ... أضحت خلافتكم منكوسة الراسِ
أما المطيع فلا تخشى غوائله ... يعيش ما عاش في ذلّ وإتعاسِ
فالحمد لله ربي لا شريك له ... خصَّ ابن داعي بتاج العزّ في الناسِ

وكان قد أجاب ابن سكرة أيضاً أبو عبد الله بن الحجّاج بقصيدة هزلية، وأبو فراس بقصيدة ميمية.

وكان ابن سكرة محسناً ظريفاً، وله البيتان المشهوران فيما يعدّ للشتاء وهما:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكأس طلا ... مع الكباب وكس ناعم وكسا

ما ألطف التماس المشاعر ما يلقى به البرد بقوله:

جاء الشتاء وما عندي لقرته ... إلاّ ارتعاشي وتصفيفي بأسناني

---

(١) المعروف أن ابن سكرة هو محمد بن عبد الله بن محمد العباسي، وقد مرّت ترجمته بهامش سابق، ولست أدري هل هناك ابن سكرة آخر بهذا الاسم؟.

وإن هلكت فمولانا يكفنني هبني هلكت فهب لي بعض أكفاني

ولابن سكرة في غلام أعرج، وهو مما يستحسن:

قالوا بليت بأعرج فأجبتهم ألعَيبُ يحدث في غصون البانِ

إنـي أحب حديثه وأريده للنوم لا للجري في الميدانِ[1]

❀ ❀ ❀

وآمُل، بفتح الهمزة المفتوحة، وضمّ الميم وبعدها لام: اسم لمدينة بطبرستان، ولأخرى ببلاد الديلم في الإقليم الخامس، وحسبنا الله تعالى.

[٢٦]

الفقيه، أحمد بن محمد الحجازي الأصل، الينبعي الصنعاني المولد والوفاة، الشاعر المشهور(*).

فاضل نظم قلائد العقيان، وفتح له من التشبيهات بأنفس من فتح خاقان وابن خاقان، فهو إذا أخذ لنظم الشعر ورقا، فما الساجع على فننا[2] وشدا ورقا، وهو ابن أخت الشيخ إبراهيم اليافعي ـ المذكور في أول الكتاب[3] ـ وأحسبه ورث الشعر من جهته، وهو مجيد محسن وصّاف، وأيّ فن سلكه اهتدى من فكره بكوكب، وسقى الكميت من اليراع الأسود والقرطاس الأشهب.

وشعره قليل الوجود لِسبب عدم العناية بجمعه. وله:

سلوا عن فؤادي إن مررتم على سَلْعِ فعهدي به لما التقى الركب بالجزعِ

يلُمُّ به تذكاره فتشوقه وتغريه ورقاء الحمائم بالسجعِ

ولي قاصرات الطرف حوراء كلّها توالت على بيني وآلت على قطعي

ولما رأت أجمالها لمعُ بارقٍ سحائبه جفني ووابله دمعي

أطعن السرّى لما سرى البرق في الدجى عرامس لم تجنب بسوط سوى اللمعِ

وخلن بأن الوعد زجر جدانها فاتبعه رعد الحنين إلى الربعِ

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٤١١.

(*) ترجمته في: نفحة الريحانة ٣/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢.

وباتت تُباريها العواصف فانبرت ... خفافاً ودعن الريح في موضع الوضعِ
بليل توافيه النجوم كأنّها ... زهور رياض أينَعَتْ أحسن الينعِ
وتنظر في الغَرب الهلال كأنه ... من العاج مشط غاص في آخر الفرعِ
كأن الثريا وهي في شرق أفقها ... وقد طلعت طلع على كربِ الجذعِ
كأن سهيلاً غرّة فوق أدهم ... يجاذبه رب العنان عَن الرفعِ
كأن شخوص العيس في فاحم الدجى ... أحاديث سرّ أودعت جيد السمعِ
فلا وأبيها ما أنيني من السرى ... ولا وأبيها ما جزعن من الجزعِ
إلى أن تجلّى عن دجى الليل صبحه ... تجلّى أمير المؤمنين عن النقعِ
أجلّ إمام تحمل الخيل شخصه ... وأكرم إنسان تسربل بالدرعِ
خليفة حق أظهر الله سرّه ... به واجتباه للخلافة والشرعِ
نمى أصله عن دوحة نبويّة ... فيا حبّذا أصل نماه إلى الفرعِ
وحاز صفات المصطفى ووصيّه ... وتلك صفات ضاق عَنْ وصفها ذرعي
طبعن على صنع الصنيع طباعه ... وحسبكم ليس التطبّع كالطبعِ
يؤلف شمل المحلقين تكرّماً ... ويفرق جمع المال في ذلك الجمعِ
فياليتني مُكّنت منه مكانه ... تحوّل ضيق الحال منّي بالوسعِ
وإني بنيل الخير منه لواثق ... وذلك بعد الله أقوى على نَفعِ
ومن تلك أسباب الغنى في يمينه ... يجود بلا منّ ويعطي بلا منعِ
تصرّف كفّاه النوال وإنّها ... لكفّ كريم ليس تدري سوى الصنعِ
رجوت نداه فاسترحت عن الورى ... فناب مناب الدرّ عن خرز الجزعِ
وإني وإن أغرقت في مدح جوده ... وحبّرت فيه رائق النظم والسجعِ
فليس يروق الشعر في مدح غيره ... كما اختصَّ معنى الفاعلية بالرفعِ
له حضرة نيل المنى في حضورها ... ومن لم يقف فيها كمن غاب عن جمعِ
ومن فاته سعي الطواف بمكّة ... يطوف بها سبعاً قضى تلكم السبعِ
فيا كعبة الجود التي نجعت إلى ... ذراها حجيج الوفد محمودة النجعِ
ومن كفّه الركن العراقي مقبلاً ... على أنه السيف اليماني بالقطعِ
لئن يك عيد الفطر ناءٍ فعيدنا ... بقاؤك للدين الحنيفي والشرعِ
وصلى على من أنت من نسله ومن ... له قسم الرحمن بالوتر والشفعِ[1]

---

(١) بعض أبياتها في نفحة الريحانة ٣/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤.

أقول: تشبيه الهلال بالمشط العاج الغائص في آخر الفرع مما يحار الفكر له، ويكلُّ اللسان عن أوصاف محاسنه النظائرية التي ما لها نظير، ويرتد الطرف الناظر إلى المشط في الذوائب من قوّة التشبيه وهو حسير، وهو معنى لم يسبق إليه ولم يزد غيره عليه، وقد شبهه الشعراء بقلامة الظفر، وزورقي الفضة المثقل، وبالمنجل وبالشعيرة الفضة، والحاجب الشائب، وخط النون، ونعل الفرس الفضة المنكسر.

وذكر الشيخ جمال الدين بن نباتة[1] في قصيدته الرائية التي مدح بها المؤيد صاحب حماه التي أولها:

يا ساحر الطرف قلبي منك مسحورُ | وكاسر الجفن قلبي منك مكسورُ[2]

أكثر ما شبّه به الهلال، ولم يسبق الينبعي إلى التشبيه المذكور سابق، والحال كما قال ابن نباتة منها:

بعضُ الورى شاعر فاسمع مدائحه | وبعضهم مثل ما قد قيل شَعرورُ[3]

وأما تشبيه زورق الفضة فقول ابن المعتز بالله:

فانظر إليه كزورق من فضّة | قد أثقلته حمولة من عنبرِ

وشبهه بقلامة الظفر بقوله في قصيدته الرائية المليحة المشهورة:

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا | مثل القلامة قد قُدّت من الظفرِ

وأخذه من قول الشاعر:

كان ابن مزنتها جانحاً | قشيط لدى الأفق من خنصرِ

والقشيط قلامة الظفر، والعرب تسمي الهلال ابن مزنتها، والإضافة إلى السماء.

وقال ابن المعتز أيضاً في تشبيهه بشعيرة الفضّة:

أهلاً وسهلاً بالهلا | ل بدا لعين المبصرِ

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) هذا البيت أول القصيدة، وهي كاملة في ديوان ابن نباته المصري ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) هذا البيت آخر القصيدة المذكورة سابقاً.

أو مـا تـراه يـلـوح فـي جـوّ الـسـمـاء الأخـضـرِ
كـشـعـيـرة مـن فـضّـةٍ قـد ركـبـت فـي خـنـجـرِ

وقال أيضاً في تشبيهه بالمنجل:

قـومـوا إلـى لـذّاتـكـم يـا نـيـام ونـبّـهـوا الـعـود وصـفـو الـمـدامْ
هـذا هـلال الـفـطـر قـد جـاءنـا كـمـنـجـل يـحـصـد شـهـر الـصـيـامْ

وقال أيضاً في تشبيهه وقت مقارنته للثريا بالشَرِهْ يفتح فاه لأكل العنقود وفيه تشبيه شيئين بشيئين:

قـد انـقـضـت دولـة الـصـيـام وقـد بـشـر سـقـم الـهـلال بـالـعـيـدِ
وانـظـر إلـيـه كـفـاغـرٍ شـرهٍ يـفـتـح فـاه لأكـل عـنـقـودِ

وشبهوه بالسوار والخلخال والشفه وسطح الكاس. وما أحسن قول ابن صارة الشيرين المغربي:

أثـنـى لـيـالـي الـدهـر عـنـدي لـيـلـة لـم أخـلُ فـيـهـا الـكـأس مـن أعـمـالِ
فـرقـت فـيـهـا بـيـن جـفـنـي والـكـرى وجـمـعـت بـيـن الـقـرط والـخـلـخـالِ

وقلت أنا: في مقارنته لها في آخر شهر رمضان، وضمنت عجز الأخير من قول ابن صارة مع نقل المعنى والتشبيه المضمر:

حـادي هـلال الـصـوم آخـر شـهـره قـرط الـثـريـا وهـو مـثـل خـلالِ
والـشـهـر قـال دنـا الـفـراق فـلـم أطـق وجـمـعـت بـيـن الـقـرط والـخـلـخـالِ

❀ ❀ ❀

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أخبار عَريبَ[1] جارية المأمون: إنها زارت يوماً محمد بن حامد وكانت تهواه فجعل يعاتبها ويطول عليها فقالت له: يا جاهل خُذ بنا فيما نحن فيه، واجعل سراويلي مِخْنَقِي[2]، والصق خلخالي بقرطي، فإذا كان هذا فاكتب إليّ بعتابك في طومار[3]، اكتب إليك بعذري في ثلاثة، فقد قال الشاعر:

(١) مرّت ترجمتها بهامش سابق، وفي الأغاني أفرد لها «أخبار عزيب» ٢١/٦١ ـ ١٠٣.
(٢) المخنقة: القلادة، والطلب واضح فلا حاجة إلى تفسيره.
(٣) الطومار: الصحيفة، وجمعها طوامير.

دَعِي عَدَّ الذّنوب إذا التقينا تعالَيْ لا أُعدُّ ولا تعدِّي
فأقسِم لو هممت بمدّ شِعري إلى نار الجحيم لقُلْتِ مُدِّي[1]

وجرى يوماً ذكر الخلفاء بمحضرها فقالت: ناكني منهم ثمانية لم أشتهي منهم واحداً إلاّ المعتز فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد، وكانت تحب أبا عيسى[2].

وحدّث أحمد بن حمدون النديم عن أبيه قال: كنت مع المأمون ببلاد الروم فاستدعاني ليلة بعد العشاء الآخرة، في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق، فقال لي: اركب فرس النوبة وصِر إلى عسكر أبي إسحاق - يعني المعتصم - فابلغه كيت وكيت، فركبت ولم تثبت معي شمعة لقوّة الريح، وسمعت في طريقي وقع حافر، فرهبت ذلك وجعلت أتوقّاه إلى أن قرب، وبرقت بارقة فأضاءت وجه الراكب فإذا عَريب، فقلت: عَريب؟ فقالت: ابن حمدون! فقلت: لها من أين أقبلتِ في مثل هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: وما تصنعين به في مثل هذا الحال؟ فقالت: يا كبيش[3]، عَريب تجيء في مثل هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة عائدة إليه، تقول أي شيء عملت عنده؟، صلّيت التراويح[4] وقرأت عليه أحزاباً من القرآن أو دراسته الفقه، يا أحمق، تحادثنا وتعاتبنا واصطلحنا ولعبنا وشربنا وتنايكنا فأخجلتني وغاضتني وتركتها، وعزمت أن أخبر المأمون، فأدّيت الرسالة وعدت إليه، فهممت أن أخبره والله ثم هبته وقلت: أعرض له قبل ذلك بشيء من الشعر، فأنشدته:

ألا حيِّ أطلالاً لواسعة الحَبل أُلوفٍ تساوي صالح القول بالرَّذْلِ[5]
فلو أن من أمسَى بجانب تلعَة إلى جبلَيْ طيٍّ فساقطة الحَبْلِ[6]
جلوس إلى أن يَقْصر الظّلّ عندها لراحوا وكُلّ القوم منها على وصْلِ

---

(١) الأغاني ٢١/ ٨٣.
(٢) الأغاني ٢١/ ٨٤.
(٣) في الأغاني: «يا تكش».
(٤) صلاة التراويح: صلاة مستحبة تقام بعد صلاة العشاء في رمضان، سميّت بذلك لاستراحة المصلي بين الترويحة والترويحة، وهي خمس ترويحات، كل ترويحة أربع ركعات.
(٥) واسعة الحبل: كناية عن شبقها ورغبتها في كل رجل يراودها على نفسها.
(٦) جبلا طيء: هما أجا وسلمى.

فقال المأمون: خفّض صوتك لا تسمع عَريب فتظن إننا في حديثها وتغضب، فأمسكت عمّا هممت به وخار الله لي[1].

وقال صاحب الأغاني: كانت عَريب مغنيّة محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، مليحة الخَط، وفي نهاية من الحسن والظرف[2]، وقيل إنها صنعت ألف صوت، وقيل إنها بنت جعفر بن يحيى البرمكي فإن البرامكة لما انتهبوا سُرقت وهي صغيرة وكانت أمها يتيمة لأم عبد الله بن يحيى بن خالد، وكان جعفر يهواها، وأسكنها ناحية مرداه، فولدت له عَريب، وكانت هي تذكر نسبها هذا[3].

وقال ابن المدبّر[4]: خرجت مع المأمون إلى بلاد الروم، فلما خرجنا من الرقّة فإذا عَريب في موكب عظيم من النساء في العماريات[5] على الحمارات، فقال بعض أصحابنا من يراهنّي على أن أمرّ بجانب هذه العماريات وأنشد قول محمد بن عبد الله المراكبي في عَريب:

قاتل الله عَريبا ... صَنَعَتْ صنعاً عَجيبَا

وهي أبيات طويلة قالها فيها، وقد هربت من مولاها إلى حاتم بن عدي أحد قوّاد خراسان، وتسوّرت داره بالليل على سلّم من عقب.

قال: فراهنّاه فسار حتى وقف بجانب عمّاريتها ولا يعلم إنها فيها، فأنشد الأبيات، فأخرجت رأسها من الهودج وقالت: يا فتى نسيت أجود الشعر وأطيبه:

---

(١) الأغاني ٢١/٩٣ ـ ٩٤.

(٢) الأغاني ٢١/٦١.

(٣) الخبر في الأغاني ٢١/٦٨.

(٤) إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر، أبو إسحاق: وزير، من الكتّاب المترسلين الشعراء. من أهل بغداد. تولى ولايات جليلة. واستوزره المعتمد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة ٢٦٩هـ. وتوفي ببغداد سنة ٢٧٩هـ متقلداً ديوان الضياع للمعتضد.
ترجمته في:
الأغاني ٢٢/ ١٦٠ ـ ١٨٨، معجم الأدباء ١: ٢٢٦ ـ ٣٣٢، والولاة والقضاة ٢١٤، والطبري ١١: ٣٤١، وابن الأثير ٧: ٦١ و٧٨ و٨٠ وآخر حوادث سنة ٢٧٩، والجهيشاوي ١٠٢، وسيرة أحمد بن طولون ٢٩٠ و٢٩٢ وهو أخو «أحمد» ابن المدبر الوارد ذكره في خطط المقريزي ١: ٣١٤، والنجوم الزاهرة ٣: ٤٣ الإعلام ط ٤/١/٦٠.

(٥) العماريات: الهوادج.

وعـــريـــبٌ رَطْـــبـــةُ الـــشَّـــفْـــرَيْـــنِ قـــد نِـــيـــكَـــتْ ضُـــرُوبـــاً[1]

إذهب فَخُذ ما رهنت عليه، ثم ألقت السجف[2]، فعلمنا إنها عَريب، فهربنا خوفاً لمكروه ينالنا من الغلمان[3]. وقالت لمن سألها: أي الرجال أحبُّ إليك، شرطي أيرٌ صُلْب ونهكة[4] طيبة، وإن انضاف إلى ذلك جمال زاد قدره عندي، وإلاّ فهذان لا بد منهما[5].

وعتب المأمون عليها فهجرها ثم مرضت فعادها فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر، فقالت: لولا مرارة الهجر لم تعرف حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب حَمَدَ عاقبة الرضا، فخرج المأمون إلى ندمائه متعجبّاً من بلاغتها وأخبرهم، وقال: لو نعلم كلامها لكان معنى بديعاً.

قلت: المعنى مأخوذ من قول عليّة بنت المهدي:

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكتبِ

وروى الأصبهاني أيضاً: إن المأمون اصطبح يوماً ومعه عَريب وندماؤه، وفيهم محمد بن حامد، فأومأ محمد إليها بقبلة، فاندفعت تغنّي بقول النابغة في كليب:

رَمَى ضرعَ نابٍ فاستقلَّ بطعنةٍ كحاشية البُرْد اليمانِي المُسهَّم[6]

فقال المأمون: من أومأ منكم إلى عَريب بقبلة ليصدقني أو لأضربن عنقه، فقال ابن حامد: أنا، والعفو أقرب للتقوى، قال: قد عفوت، قال: وكيف استدل على ذلك أمير المؤمنين؟ قال: ابتدأت صوتاً وهي لا تغنّي ابتداء إلاّ لمعنى، وعلمت أنها أجابت من أومأ إليها بطعنة ولم يكن من شرط هذا المعنى إيماء إلاّ بقبلة[7].

---

(١) رطبة الشفرين: كناية عن كثرة مواقعة الرجال لها.

(٢) السجف: أحد السترين المقرونين بينهما فرجة.

(٣) الأغاني ٢١/٧٣ ـ ٧٤.

(٤) هكذا في الأصل، وفي الأغاني: «نكهة» وهي رائحة الفم.

(٥) الأغاني ٢١/٨٤ ـ ٨٥.

(٦) النَّاب: الناقة المسنّة، أي أن هذه الطعنة نفذت فأحدثت بضرع ما يشبه النقش المسهّم في البرود اليمنية.

(٧) الأغاني ٢١/٨٠ ـ ٨١.

قال: وكانت تتعشّق صالحاً المنذري الخادم، فوجهه المتوكل إلى مكان بعيد، فقالت فيه:

أمّا الحبيبُ فقد مضى ... بالرغم منّي لا الرّضا
أخطأتُ في تركي لمن ... لم ألق منه عُوَضَا

وغنّته يوماً بين يدي المتوكل فجعل جواريه يتغامزن ففطنت، فقالت: يا سَحّاقات[1]، هذا خير من عملكن[2].

ولها:

ويلي عليك ومِنْكا ... أوقعت في القلب شَكّا
زَعمتَ أنّي خؤونٌ ... جَوْراً عليَّ وإفْكَا[3]
إن كان ما قلتَ حقّاً ... أو كنت أزمعتَ تَرْكَا
فأبدلَ الله ما بي ... من ذِلّةِ الحبّ نُسْكَا[4]

قلت: شرط المحب الذل للمحبوب، ولذا قال أبو عبد الله بن الأحمر سلطان المغرب:

أيا ربّة القرط التي حسبت هتكي ... على أيِّ حال كان لا بد لي منكِ
فأما بذلّ فهو أليق بالهوى ... وأمّا بعزّ وهو أليق بالملكِ

❀ ❀ ❀

عدنا إلى أخبار الينبعي، وله على قافية قصيدة ابن قاضي ميله[5] المشهورة ووزنها:

---

(١) السحّاقات: اللواتي يمارسن السحاق وهو مداعبة المرأة للمرأة.

(٢) الأغاني ٢١/٨٢.

(٣) الأفك: الكذب والضلال.

(٤) الأغاني ٢١/٨٠.

(٥) أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي، ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٥/٢٠٧ استطرادا أثناء ترجمة يحيى بن أكثم فقال (وإذ قد ذكرنا ثقة الدولة ـ يوسف بن عبد الله القضاعي أمير صقلية) فنذكر قصيدة أبي محمد عبد الله بن محمد التنوخي المعروف بابن قاضي ميلة ثم أورد (٦١) بيتاً من القصيدة. وعنه نقل الخبر والقصيدة بكاملها صاحب كتاب المكتبة الصقلية/ ٦٣٤. ولم أجد فيما لدي من المصادر من ترجم لهذا الشاعر. أما ممدوحه فقد اعتزل الحكم سنة ٣٨٨هـ على أثر إصابته بالفالج، وتاب عنه ولده علي. أنوار الربيع ٢/هـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

سفرت لياليـنا وكنَّ حنادساً | لما أتيت لثوب نصرك لابسا
وبلغت ما ترجوه بالناس الذي | ما زال في كل الحروب ممارسا
وفتحت بالنصر المبين معاقلاً | خلنا الكواكب دونهن كوانسا
ولكم ملكت عظيم طود قبلها | وطويت في طلب العدوّ بسابسا
وحميت يا أحمى الخلافة ناهضاً | بعزيمة لو شئت نالت فارسا
هنّا بها المريخ بهرام الذي | جعل الإله له المحل الخامسا
وفوارس ليث الكريهة عندهم | مثل ابن عرس حبَّ تلك فوارسا
وخميس جيش لو رميت بعشره | كسرى لوافى طائعاً أو تاعسا
ملأ الفضا حتى تخوّف وحشه | ورأى المفاوز كالربوع أوانسا
وشفقن عقبان الطيور فلم تَطِر | من أن يقعن على الرماح قلانسا
من كل مقدام إذا التحم الوغى | تلقاه في حلك الدروع منافسا
قوم وقوم آخرون قد اكتفوا | بالبأس عن جعل الحديد ملابسا
برزوا بجأشات الأسود فلم يروا | حمل التروس ومن أعدَّ متارسا
ببنادق مثل الأراقم نكست | والأيم أقتل حين ينفث ناكسا
حَذَرَتْهُمُ الأعداء حتى لو رأوا | برقاً لظنّوه قتيلاً قابسا
حرب البسوس تراه سِلماً عندهم | وكذاك غبرا إنْ ذكرت وداحسا
فاشكر لمولاك الذي أولاك من | عاداته نصراً لملكك حارسا
وجزيت عن دين النبي محمد | خيراً فلست من المثوبة آيسا
وبقيت للإسلام أمنع معقلٍ | لتغيث ملهوفاً وتنقذ بائسا

وفيها زيادة حذفتها لقصورها عمّا ذكرت منها.

وما أقوى قوله فيها يهنأ بها:

توقّدت جمرة لألائها | كأنها بهرام أو بهرمانْ

والبهرمان: أعلى أصناف الياقوت.

وأما قول الينبعي أن العقبان تخوّف أن تقع قلانس للرماح، فهو من المعاني المطربة، ودلَّ أنه رأس الأُدباء هذه القلانس.

ومن شعره أيضاً:

لي في النقابين من نعمان تشبيبُ | ولي بجيرة ذاك الحيّ محبوبُ

ممنّع بسهام الترك يرسلها عن حاجب بسيوف الهند محجوبُ
بديع منطقه يعني البديع وكم معنى فتّن به الغيد الرعابيبُ
فيا خليليَّ عوجا بي منازلة فلي فؤاد بنار الحبِّ مشبوبُ
وعرّجا بي على أطلاله فعسى يفيق قلب عن السلوان مقلوبُ
حيث الجآذر والآرام راتعة حمت مراتعها الصمّ الأنابيبُ
وحيث مضرب ذات الخال يمنعه أبناء حرب لها الخطيّ صاحبُ
وخبراني عن العيس التي ذهبت بمن أحبَّ وأقصتها الأعاريبُ
أبعد رحلتها وخدٌ تواصله أم بعد رحلتها رجعٌ وتأويبُ
لم يبق لي بعد ما أدلجن عن طلل فيه مرام ولا في عيشتي طيبُ
ليس الوقوف على الأطلال يجمل بي بعد القطين ولا التعريس محبوبُ
أقوت فأقوى اصطباري بعدها ونأت فيا وجدي وللأشياء تَسبيبُ
لم يحل لي بعد تشبيبي بذكرهم شيء تضمّن شعراً فيه تشبيبُ
ولا مديح سوى مدح الخليفة مَن قصرن دون أياديه الشآبيبُ

ومنها:

من معشر فوق هام النجم مدحهم يرى فمنه ضياء الشمس مكسوبُ
قوم إذا نزل العاني بساحتهم وافاه شبّانهم والبشر والشيبُ
ليث أباد العدا في كل معركة وشيجه بدم الأعداء مخضوبُ
صيارم ينظر الهيجاء مسكنه لا غيرها فلهم في الحرب تطنيبُ
فطرف كل مليك منه في أرق وقلب كل شجاع منه مرعوبُ
أخلاقه عظمت شأنا كخلقته ما شابها قط تعبيس وتقطيبُ
ما دونه حاجب عن قصد زائره وليس في زَوَرٍ منه الحواجيبُ
ولا برحتَ وعين الله ناظرة فينا مطاع ومن ناواك مغلوبُ

وهي أطول مما أوردت، وشعره من هذا النمط الحسن.

وتوفي بصنعاء سنة خمس وتسعين وألف تقريباً، رحمه الله تعالى.

وهو منسوب إلى ينبع، بلد مشهورة بالحجاز، وكان بها بعض صدقات أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، وكان والده محمد في نهاية الغفلة، وله نوادر.

[٢٧]

السيد أبو علي، أحمد بن محمد بن معصوم المشهور بالميرزا بن السيد نصر الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن غياث الدين منصور الحسيني الحجازي المولد(*).

فاضل بعد صيته، ومال له عطف الأدب وليته، نحى بالحسن من النظم لسرّ الحسين، ولا عجب فقد أخذ رايتي العلم والشعر باليدين.

وذكر ولده السيد الأديب العالم جمال الدين علي بن أحمد في سلافة العصر، إن والده ولد ليلة الجمعة الخامس عشر من شهر شعبان سنة سبع وعشرين وألف بالطائف، ومات والده وله ست سنين فنشأ في حجر والدته، وحفظ القرآن المجيد، وتلا بالسبع والفقه على الشريف اليافعي، وأخذ الحديث عن السيد نور الدين الشامي، والعربية عن الملا علي المكي، والمعقولات عن الشمس الجيلاني، وبرع في الفنون خصوصاً في العربية، واعتنى بالأدب، فنظم واشتهر، وكان في الحفظ عجباً لا يكاد ينسى شيئاً رآه أو قرأه، مع الورع والتقوى وشهامة النفس وسماحة الكف وكان من الذكاء والمعرفة على حالة لا يعرف أحد من أهل زمانه عليها، وفارق أهله ووطنه في أواسط سنة أربع

(*) هو الأمير نظام الدين أحمد بن محمد معصوم بن أحمد نظام الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود عماد الدين بن محمد صدر الدين بن منصور غياث الدين بن محمد صدر الدين بن إبراهيم شرف الدين بن محمد صدر الدين بن إسحاق عز الدين بن علي ضياء الدين بن عرب شاه فخر الدين بن الأمير عز الدين أبي المكارم بن الأمير خطير الدين بن الحسن شرف الدين أبي علي بن الحسين أبي جعفر العزيزي بن علي أبي سعيد النصيبيني بن زيد الأعشم أبي إبراهيم بن علي بن الحسين أبي شجاع الزاهد بن محمد أبي جعفر بن علي بن الحيسن بن جعفر أبي عبد الله بن أحمد نصير الدين السكّين النقيب بن جعفر أبي عبد الله الشاعر بن محمد أبي جعفر بن محمد بن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

«مقدمة رياض السالكين لولده السيد علي ـ خ ـ، أنوار الربيع آخر الطبعة الحجرية، أنوار الربيع مقدمة الطبعة المحققة ١/ ٥ ـ ٦، تحفة الأزهار ـ خ ـ ج٢، الغدير ١١/ ٣٤٦».

ترجمته ونماذج من شعره في: سلافة العصر ١٠ ـ ٢٢، تحفة الأزهار ـ خ ـ ٢/ ٤٩٨ ـ ٥٠٦، أعيان الشيعة ١٠/ ١١٩، البدر الطالع ١/ ٩٨، الذريعة ٩/ ٥٨، خلاصة الأثر ١/ ٣٤٩، أنوار الربيع ١/ هـ ٤٨، نفحة الريحانة ٤/ ١٧٨ ـ ١٨٦، حديقة الأفراح ٤٢ ـ ٤٣.

وخمسين، ودخل الديار الهندية في شوال من السنة المذكورة، وكان اجتماعه بالسلطان قطب شاه صاحب حيدر آباد يوم الثلاثاء لعشر بقين من الشهر المذكور حتى قضى الله على شمس السلطنة بالأفول، وأهاب بالسلطان داعي المنيّة بالقفول، وذلك في مفتتح سنة ثلاث وثمانين وألف.

قلت: كان هذا السلطان، صاحب الدكن، وهو بلاد حيدر آباد، هو وأولاده وأهل مملكته إمامية، ثم بلغني أن السلطان محمد المعروف بأورنق زيب استولى على مملكته وأسر ولده أبا الحسن، وسمعت أيضاً أن قطب شاه لشدّة اشتياقه إلى السيد أبي علي خان على اجتذابه إليه بأن دبّر مع تجّار الهند أن يركبوه السفينة على سبيل التفرّج، فإذا حصل فيها طاروا به إلى بلاد الهند، ففعلوا به ذلك من جدّة، ولما وصل إليه أكرمه غاية الإكرام، وأقبل عليه وزوّجه بابنته واستوزره وحكّمه، وسمعت أنه تولى المملكة بعد وفاته، إن الله ليعجب من قوم يقادون إى الجنة بالسلاسل.

وله نظم ونثر ورسائل، وأما أنا فلم أروِ له إلاّ قوله في غلام غضب عليه فضربه وقال:

تراءى كظبي نافر من حبائلِ ... يصول بطرف فاتن منه فاترِ
ومذ ملئت عيناه من سُحب جفنه ... كنرجس روض جاده وبل ماطرِ[1]

وأجازه وزيره أحمد بن محمد الجوهري[2] فقال:

وظبي غزير بالدلال محجّب ... يرى أن فرض العين ستر المحاجرِ
رماني بطرف أسبل الدمع دونه ... لكي لا أرى عينيه من غير ساترِ[3]

(١) سلافة العصر ٢٠

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن علي، المعروف بالجوهري المكي. شاعر بارع، له مشاركة في بعض العلوم. هاجر إلى الهند، وبعد مكث دام (٢٥) سنة عاد إلى وطنه، ولما دخل مكة أنكر ما شاهده فيها من جور وإنحلال، ولأنه لم ير تلك الوجوه التي كان يشتاق لرؤيتها كر راجعاً إلى المخا. ثم انتقل إلى إيران، ومنها عاد إلى الهند سنة ١٠٧٥ وافداً على السيد أحمد نظام الدين، ولم يزل هناك إلى أن توفاه الله سنة ١٠٧٩هـ.

ترجمته في: سلافة العصر ١٩٢، خلاصة الأثر ٣٢٧/١، حديقة الأفراح ٤٠، أنوار الربيع ٥/هـ ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) السلافة ٢١.

ولعمري لقد أحسن الجوهري.

وما يعجبني في هذا الباب أحسن من قول امرىء القيس في لاميته المشهورة:

وما ذرفت عيناك إلاّ لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتَّلِ

فهذا مما يأخذ بمجامع القلوب.

ويعجبني قول الأمير أُسامة بن منقذ[1] في غلام مرّ به كان يهواه:

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من ... كفيَّ غَلَّهما غيظاً إلى عنقي
وأستعير إذا عاتبته حنقاً ... وأين ذلّ الهوى من عزّة الحنقِ

وما أحلى قول أبي عبد الله محمد بن غالب الرفاء[2] الأندلسي في غلام يبل عينيه من ريقه ويوهم أنه يبكي:

عذيري من جذلان يبكي تصابياً ... وأعينه مما يحاوله صفرُ
يبلّ مآقي مقلتيه بريقه ... ويحكي البكا عمداً كما ابتسم الزهرُ

قلت: أمّا من ضرب المحبوب فربّما تقام له الحجة، ويجوز العذر على أنه مسيء.

---

(١) هو أبو المظفر الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ. وآل منقذ ملوك شيزر بأطراف حماة، ما فيهم إلا الفارس الشجاع، والجواد الشهم، والشاعر الأديب. كان المترجم له من أبرز أهل بيته فضلاً وعلماً وشجاعة. قاد عدة حملات ضد الصليبيين في فلسطين. كانت له مكتبة تربو على أربعة آلاف كتاب، وداره معقلاً للفضلاء. ولد سنة ٤٨٨هـ بقلعة شيزر، وتوفي بدمشق ٥٨٤هـ. من آثاره: البديع في نقد الشعر ولباب الآداب الفه وهو ابن (٩١) سنة، والاعتبار في سيرته الفه وهو ابن (٩٠) سنة، وديوان شعره.

ترجمته في: البداية والنهاية ١٢/٣٣١، أعيان الشيعة ١١/٥، وفيات الأعيان ١/١٩٥ ـ ١٩٩، النجوم الزاهرة ٦/١٠٧، شذرات الذهب ٤/٢٧٩، خريدة القصر ـ قسم الشام ـ ١/٤٩٨، معجم الأدباء ٥/١٨٨، الذريعة ٩/٧٠ وفيه: توفي سنة ٥٤٨ وهو خطأ مطبعي، دائرة المعارف الإسلامية ٢/٧٩، أنوار الربيع ٦/هـ ٤٥.

(٢) هكذا في الأصل، وفي أنوار الربيع، هو أبو عبد الله محمد بن الفراء المقرىء الضرير الأندلسي، من فضلاء المائة السابعة للهجرة. كان إماماً في النحو واللغة في زمانه، وكان شاعراً مجيداً، فيه فطنة ولوذعية وذكاء خارق. حكي أن قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس.

ترجمته في: نفح الطيب ٤/٣٥٢ و٣٥٣ و٣٥٦ و٣٥٧، أنوار الربيع ٢/هـ ٢٦٩.

وأما من قتله كديك الجن[1] وابن الدمينة الخثعمي[2] فهو بغيض.

❀ ❀ ❀

ومن ظريف ما يحكى عن عنان المغنية جارية الناطفي البغدادي، وكانت ظريفة شاعرة، أن سيّدها ضربها فدخل عليها أبو نؤاس وكان يهواها وهي تبكي، فقال:

بكت عنان فجرى دمعها ... كالدر إذ يستلّ من خيطه

فقالت بديهاً:

فليت من يضربها ظالماً ... تيبن يمناه على سوطه

فقال: اعتق ما أملك إن كان في الأنس والجن أشعر منها.

وفي الأغاني: إن الداخل والقائل البيت الثاني مروان بن أبي حفصة[3]

❀ ❀ ❀

وذكر السيد جمال الدين علي بن أحمد: إن والده توفي آخر يوم السبت

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٠٢.

(٢) هو أبو السري عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن مالك الخثعمي المعروف بابن الدمينة. كان شاعراً معروفاً بالغزل الرقيق، مستجمعا للصفات البدوية من قوة وفروسية وشجاعة وفصاحة. موطنه جنوب الحجاز. عاصر الشطر الأول من حكومة بني العباس إلى أيام الرشيد. اتصل بمعن بن زائدة الشيباني (المتوفي سنة ١٥٨) ومدحه. قتل غيلة وهو في طريقه إلى الحج، وكان قتله طلباً للثأر. لم أقف على تاريخ وفاته.
المصادر: مقدمة ديوان ابن الدمينة لأحمد راتب النفاخ، ومعاهد التنصيص ١/٥٨، وشرح شواهد المغنى/٤٢٥، والشعر والشعراء/٦١٧، والأغاني ١٧/٤٧، ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٦١، تاريخ الأدب العربي لجرجي زيدان ١/١٧٨ وفيه أن المترجم له من الشعراء الجاهليين، وهو وهم، أنوار الربيع ٢/هـ ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) هو أبو السمط مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وكان أبو حفصة مولى لمروان بن الحكم فاعتقه يوم الدار. أصله يهودي من سبي اصطخر. ولد سنة ١٠٥هـ. كانت منازل أهله باليمامة، فقدم بغداد، وتقرب إلى المهدي ثم إلى الرشيد بهجاء العلويين وكانا يجزلان له العطاء. كان شاعراً مفلقاً، ومذهبه في النصب لأهل البيت مشهور. توفي سنة ١٨٢هـ.
ترجمته في: الأغاني ١٠/٩٠ ـ ١٢٠، وفيات الأعيان ٥/١٨٩ ـ ١٩٣، معجم الشعراء/٣١٧، تاريخ بغداد ١٣/١٤٢، طبقات ابن المعتز/٤٢، الشعر والشعراء/٦٤٩، أنوارالربيع ١/هـ ٣٥٤.

لثلاث بقين من صفر سنة خمس وثمانين وألف بحيدر آباد، وقال مؤرخاً لوفاته على عادة المتأخرين بعدد الجمل الكبير:

حزنت لموتك طَيبةٌ ومنى وزمزم والحطيمُ
فلذا أتى ببديهة تأريخه (حزن عظيمُ)

١٠٨٥هـ

رحمه الله تعالى.

وكان إمامياً، وكذا ولده علي.

❀ ❀ ❀

وحيدر آباد، بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الدال المهملة وبعد الراء ألف ثم باء موحدة وألف ودال مهملة. مدينة مشهورة بسهل الهند، وتعرف بمملكة الدَكن، بفتح الدال الهملة والكاف ثم نون.

والهند: ممالك متسعة آخذة في عرض الأقليم الأول والثاني والثالث والرابع.

والله أعلم.

[٢٨]

السيد أبو محمد، إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد بن علي، وقد تقدّم رفع نسب المنصور بالله، الأمير الحسني اليمني(*).

فاضل أدرك العلى، ورفع اللوى، وما وضع العمامة كابن جلا، وسلا بالحرب العبوس عن المبسم الشادن، وما شغف من الكتب غير المحاسن، وله الأدب الندي، والنظم الذي يكسر شوكة ابن الوردي، وتولى ذي أشرق، وهو

(*) تمام نسبه في الترجمة رقم ١٣.

ترجمته في: طوق الصادح ـ خ، نفحات العنبر ـ خ، نشر العرف ١/ ٣١٤ ـ ٣١٨، ملحق البدر الطالع ٥٣.

الشمس في الشرق، وكان بها أيام المؤيد بن التوكل، فلما توفى انقطع ذلك العقد المنضد، والشهب التي رصّعها المنصور لبنيه في سمائه ووقد، وجرى الأمر الوضائف[1]، ما جرى بالمغرب من ابن تاشفين على ملوك الطوائف، ثم اعتقل هذا الهلال في سرار القصر أعواماً كثيرة، وشابه إسحاق بن يوسف بن يعقوب، ثم خلص من ضرّ السجن خلوص أيوب، وكان خروجه من قصر صنعاء في أواخر رجب سنة عشر ومائة، وهو الآن في شهر شوّال سنة ثلاث عشرة مقيم ببلد خَمِر ـ بفتح المعجمة وكسر الميم ثم راء: بلد بهمدان من ذٰلك التأريخ، وبيده ولايتها وما جاورها، وله مع الأدب إلمام بعلم الفلك، وأشعار موشّحة، وكان والده يحبّه ويعتمد عليه، وله فروسية وشجاعة وسخاء يفضل به الناس.

ورأيت بخط صاحبنا الأديب شعبان سليم ـ الآتي ذكره[2] ـ في ظهر مجموع شعره منسوباً إلى المذكور، هذه الأبيات عملها لما سمع صوت حمامة ناحت بقربه:

وحمامة صدحت على فنن اللوى	فغدا يسيل دمي من الأحداقِ
تشدو وقد خلصت من القفص الذي	قد قيدت فيه عن الاطلاقِ
ناديتها لما سمعت هديلها	يا ذات طوق نحن في الأطواقِ
بي مثلما بك يا حمامة فاسئلي	من فكَّ أسرك أن يحلَّ وثاقي[3]

وكنت أحسب إن البيت الأخير من هذه القطعة له، حتى رأيت في بعض الكتب الأدبية إن الكناني أنشد:

ناحت مطوّقة بباب الطاق	فجرت سوابق أدمعي المهراقِ
إن الحمائم لم تزل بحنينها	قدماً تبكّي أعين العشّاقِ
كانت تغني في الأراك فأصبحت	بعد الأراك تنوح في الأسواقِ
لعن الفراق وجذَّ حبل وتينه	وسقاه من سمّ الأساود ساقي
يا ويحه ما قصده قمرية	لم تدرِ ما بغداذ في الآفاقِ
بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي	... الـــــخ.

(١) هكذا في الأصل.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٣) نشر العرف ١/ ٣١٥.

فبان لي أنه ضمّنه، أحسن في هذه الأبيات غاية الأحسان.

والهديل، باللام آخره وبالراء أيضاً: تطلق على صوت الحمامة، وهي نوع من الطير لها أصناف كالأهلي واليمام، وهو مراد الشعر لتوحّشه عن البيوت وإلفه للبساتين والأماكن الرائقة ومنها الورشانات والقمار والفواخت كما يشهد بذلك شعر العرب، ومن الحمام صنف تؤدبه الملوك فيبلغ من أدبه أن يحمل البطائق فيها الرسائل مثلاً من مصر إلى دمشق في يومين، أو نحوها، والعرب تزعم أن هديلاً اسم حمامة كانت في عهد نوح ﷺ بعثها لتنظر هل جفَّ الماء من كل البلاد، فعرض لها جارح فصادها، فكل الحمام تنوح عليها إلى يوم القيامة، وأن نوحاً بارك عليها ومسح رقبتها فكان من مسحه الطوق، وكانت معه في السفينة وكل الحمام من نسلها، ولما وقع في مثل شعر أبي العلاء ذكر الهديل بمعنى الهدير، وهو إمام في اللغة وجب أن يحكم بثبوته.

وقال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق[1]: أنشدني الفقيه الأديب بدر الدين محمد بن نور الدين المقري الشافعي يوم الخميس ٢٥ من المحرم سنة ١١١٦ وقد جزنا بحائط الليم في وادي لحج وفيه دوحات تترنم بها البلابل، نشير البلابل لسيدي ضياء الدين إسحاق بن المهدي المذكور وذكر أنه قالها ارتجالاً وهو متنزه به:

سقى الله هذا الروض قد حاز كلما ... يروق ويحلو للنفوس ويعذبُ
نخيل وأنهار وزهر وبلبل ... كلوا واشربوا واستنشقوا الزهر فاطربوا

قلت: أجاد، وأخذ بأهداب ثوب الأدب القشيب فلفّه ونشره ورتّب فضله ودلَّ عليه وبرهن به.

لَحج، بفتح اللام وإسكان الحاء المهملة ثم جيم: ولاية باليمن من عمل تهامة مجاورة عدن[2].

وما أحسن قول الأمير أبي فراس[3] وقد أقام في أسر الروم بالقسطنطينية أربع سنين، وسمع يوماً نوح حمامة بقربه:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٢) معجم البلدان: ٥/ ١٤، مادة (لحج).

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٤٤.

أقـول وقـد نـاحـت بـقـربـي حـمـامـةٌ — أيـا جـارتـا هـل بـات حـالـك حـالـي
مـعـاذ الـهـوى مـا ذقـت طـارقـة الـنـوى — ولا خـطـرت مـنـك الـهـمـوم بـبـالـي
أتـحـمـل مـحـزونَ الـفـؤاد قـوادمٌ — عـلـى غـصـن نـائـي الـمـسـافـة عـالـي
أيـا جـارتـا مـا أنـصـف الـدهـر بـيـنـنـا — تـعـالـي أُقـاسـمـك الـهـمـوم تـعـالـي
تـعـالَـي تَـريْ روحـاً لـديَّ ضـعـيـفـةً — تـرَدَّدُ فـي جـسـم يُـعَـذَّبُ بـالـي
أيـضـحـك مـأسـورٌ وتـبـكـي طـلـيـقـة — ويـسـكـت مـحـزونٌ ويـنـدب سـالـي
فـقـد صـرتُ أولـى مـنـك بـالـدمـع مـقـلـةً — ولـكـنَّ دمـعـي فـي الـحـوادث غـالـي[1]

لله درّ هذا الأمير الجليل فإنه ما ترك الحمامة ولا في مثل هذا الحال، وهذا الشعر العذب.

ولأبي العميثل[2] شعر قاله وقدساير الأمير عبد الله بن طاهر[3] معادلاً له

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٦٣ ـ ٦٤.

(٢) هو أبو العميثل عبد الله بن خليد بن سعد مولى جعفر بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. أصله من الري ونشأ بالبادية. كان إعرابياً فصيحاً، يفخم الكلام ويعربه، وكان شاعراً مجيداً قوي العارضة سريع البديهة. استخدمه طاهر بن الحسين الخزاعي كاتباً ومؤدباً لولده عبد الله ومن بعده أصبح كاتب عبد الله وشاعره. دخل يوماً على عبد الله بن طاهر وقبل يده، فقال عبد الله مازحاً: لقد خدشت يدي بخشونة شاربك، فقال له مسرعاً: إن شوك القنفذ لا يؤثر في برثن الأسد، فأعجبه الجواب وأمر له بجائزة سنية. توفي سنة ٢٤٠هـ. من آثاره: كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، وكتاب الأبيات السائرة، وكتاب معاني الشعر.

ترجمته في: فهرست ابن النديم/٧٨، وفيات الأعيان ٣/ ٨٩ ـ ٩١ العارفين ١/ ٤٤٠ وفيه أنه توفي سنة ٢٤٦، سمط اللآلي/٣٠٨ وفيه اسمه عبد الله بن خالد، وقال الصولي اسمه خويلد بن خالد، أنوار الربيع ٢/هـ ٣١٤.

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر الخزاعي بالولاء. وذو اليمينين لقب أبيه طاهر، والسبب في ذلك ـ على ما قيل ـ أنه ضرب بيساره شخصاً في واقعته مع علي بن ماهان، فقده نصفين، فقال فيه بعض الشعراء: (كلتا يديك يمين حين تضربه). فلقبه المأمون بذي اليمينين. وقيل غير ذلك. ولد سنة ١٨٢هـ في بيت عز وإمارة فدرس وتثقف على جماعة من العلماء منهم المأمون، فجمع عز العلم إلى أبهة الملك. مع خلق سام ونفس سمحة. كان من الشعراء المجيدين والكتّاب المترسلين. وكان موضع ثقة المأمون وقد ولاه الشام، ثم مصر ثم خراسان وما والاها. توفي بنيسابور وقيل بمرو سنة ٢٣٩هـ.

ترجمته في: الأغاني ١٢/ ١٢١ ـ ١٤٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٩١، وفيات الأعيان ٣/ ٨٣ ـ ٨٩، والولاة وكتّاب القضاة/ ١٨٠، والمحبّر/ ٣٧٦، والديارات للشابشتي/ ١٣٢، والقاموس الإسلامي ٢/ ٤٥٢، أنوار الربيع ١/هـ ١٥١.

في محمله، فسمع حمامة تنوح وهما بقرب الري عند السحر، فاستأذن الأمير في أبيات عرضت له فأذِن له:

أفي كل يوم غربة وتروحُ ... أما للنوى من أوبة فتريحُ
لقد طلح البين المشب ركائبي ... فهل أرين البين وهو طليحُ
وأرّقني بالريّ نوح[1] حمامة ... فنحت وذو الشجو الشديد ينوحُ
على إنها ناحت ولم تذر دمعة ... ونحت واذراف الدموع سفوحُ
وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه سيحُ

فأجازه عبد الله بثلاثين ألف درهم وأذِن له بالانصراف إلى أهله وهم بالجزيرة، بعد أن كان لا يفارقه لعلمه باللغة وكتابته وأدبه.

وذكر الخطيب أبو بكر في تأريخ بغداذ: أنه غاب عن أهله ثلاثين سنة وأن عبد الله لما أذِن له انصرف فرحاً فمات ببغداذ قبل أن يصل إلى أهله[2].

وأجاد بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي[3] في قوله:

وتنبَّهتْ ذاتُ الجناح بسُحْرَةٍ ... في الواديَيْن فَهَيَّجَتْ أشْواقي
وَرْقاءُ قد أخذتْ فنونَ الحزنِ عن ... يعقوبَ والألحانَ عن إسْحَاقِ
قامتْ على ساقٍ تطارحني الهوى ... من دون صحْبِي في اللوَى ورفاقِي
أنَّى تباريني جوًى وصَبابةً ... وكآبةً وأسًى وفَيْضَ مآقِي
وأنا الذي أُمْلِي الجوى من خاطِري ... وهي التي تُمْلِي من الأوْرَاقِ[4]

ومن الجيّد في هذه المادّة قول إبراهيم بن المبَلْط[5] من شعراء الريحانة:

---

(١) في هامش الأصل: «صوت».

(٢) تاريخ بغداد.

(٣) هو بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبي. كان شاعراً ماهراً ظريفاً، من كبار شعراء الدولة الناصرية. كان مملوكاً فاعتقه الأمير بدر الدين صاحب (تل باشر) توفي سنة ٦٨٠هـ وقد نيف على السبعين سنة.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥١، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٩، أنوار الربيع ١/هـ ٢٧٦.

(٤) ريحانة الألبا ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٥) هو برهان الدين إبراهيم بن المبلط. شاعر مصري. قال الخفاجي: كان يجيد نسج المقطفات، ويقصر إذا نظم المطولات. كان شيخ سوق الوراقة بالقاهرة، وكان حياً في سنة ٩٩١هـ. له ديوان شعر.

وقَسِيمِي في الشوقِ ذاتُ جنَاحِ ... ظاهرٌ حزنُها وبادٍ جَواهَا
فارَقتْ من تُحِبُّ مثلي ولكنْ ... ما هوايَ المصونُ مثلُ هَواهَا
فعُيونِي على الدَّوامِ دَوامٍ ... وهْيَ لم تَبْكِ مَرّةً عيْناهَا
وكتمتُ الهوى عن الناسِ طُرّاً ... وهيَ باحتْ به لمن في حِماهَا
وهجرتُ الرِّياضَ وهْيَ ثوتْها ... ورَقَتْ من غصونِها أعْلاهَا
فاجتمعْنا في صورةٍ من بعيدٍ ... وافترقْنا من بعدُ فيما عَداهَا[1]

وإذا قرأ الإنسان قول المحبّي بن قرناص[2]:

نسب الناس للحمامة حزنا ... وأراها في الحزن ليست هنالكْ
خضبت كفّها وطوّقت الجيـ ... ـد وغَنّت وما الحزين كذلك؟

عُلِم أنه وغيره مستمد من بحر أبي العميثل.

وقلت من قصيدة كالمنتصر للحمامة:

ونشر نسيم ذَكَّر الورق شجوها ... لذلك تشدو في الشجون وتسجعُ
وقد أكثر العشّاق في الورق خطبهم ... وما احترموها وهي بالطوق تصدعُ
ولكنني أرضى المطوّق مسعدا ... على حبّ ربّات الحجال وأقنعُ
ومنها صفيق الريش والنوح في الدجى ... ومن مقلتي والقلب نار وأدمعُ
وكل له قصد ولكنّما الهوى ... يؤلف أشتات الأمور ويجمعُ

ولم يعلم أن أحداً من الكرام وَدَّا الحمامة دية الحرّ ألف دينار إلاّ المهلب ابن أبي صفرة الأزدي[3]، فأن أبا الفرج الأصبهاني ذكر في ترجمة زياد

= ترجمته في: ريحانة الألبا ٢/ ١٢٢، الكواكب السائرة ٣/ ٩٢، شذرات الذهب ٨/ ٢٧٢ وفيه أنه توفي سنة ٩٤٨ تقريباً، أنوار الربيع ٥/هـ ١١٠.

(١) كاملة في ريحانة الألبا ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أبو سعيد: أمير، بطاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق. ولد في دبا سنة٧هـ، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر. وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير. وفقئت عينه بسمرقند. وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاماً لقي فيها منهم الأهوال. وأخيراً تم له الظفر بهم، فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد. ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها =

الأعجم[1] الشاعر المشهور: إنه وفد على المهلب فقعد يوماً يشرب مع حبيب بن المهلب[2] إذ وقعت حمامة بقربهما، فاقبلت تغنّي، فقال زياد:

= سنة ٧٩هـ، ومات فيها سنة ٨٣هـ. كان شعاره في الحرب: «حم لا ينصرون» وهو أول من اتخذ الركب من الحديد ـ وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب ـ وأخباره كثيرة.

ترجمته في:

الإصابة: ت ٨٦٣٥، والوفيات ٥/ ٣٥٠ ـ ٣٥٩، ورغبة الآمل ٢: ٢٠١، ٢٠٤، و٣: ٦٠، ١١٦ و٥: ١٣٠ و٦: ١٠٥، وابن الأثير ٤: ١٨٣ وما قبلها، وسرح العيون ١٠٣، والطبري ٨: ١٩ وفيه: وفاته سنة ٨٢هـ، والإكليل ٢: الورقة ١٧٤، والمحبر ٢٦١، والجرح والتعديل ٤: القسم ١: ٣٦٩، والأغاني، طبعة الساسي: أنظر فهرسته، وفي المدهش ـ خ. لابن الجوزي: من العجائب ثلاثة إخوة، ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، وكانت أعمارهم ثمانياً وأربعين سنة: يزيد، وزياد، ومدرك، بنو المهلب بن أبي صفرة. يقول المشرف: ورد في الطبري أن المهلب توفي عام ٨٢، الإعلام ط ٤/٧/٣١٥.

(١) زياد بن سليمان ـ أو سليم ـ الأعجم، أبو أمامة العبدي، مولى بني عبد القيس: من شعراء الدولة الأموية. جزل الشعر، فصيح الألفاظ، كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم. ولد ونشأ في أصفهان، وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره، ومات فيها نحو سنة ١٠٠هـ. عاصر المهلب ابن أبي صفرة، وله فيه مدائح ومراث. وكان هجاءاً، يداريه المهلب ويخشى نقمته. وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وهجاء بخلائهم. وكان الفرزدق يتحاشى أن يهجو بني عبد القيس خوفاً منه، ويقول: ليس إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العبد. ويقال: إنه شهد فتح إصطخر مع أبي موسى الأشعري. وله وفادة على هشام بن عبد الملك. وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ترجمته في:

الأغاني ١٥/ ٣٧٠ ـ ٣٨٥، معجم الأدباء ١١/ ١٦٨ ـ ١٧١ وهو فيه «زياد بن سلمى» وكذا في الشعر والشعراء ١٦٥ ومثله في خزانة الأدب للبغدادي ٤: ١٩٣ وهو في تهذيب ابن عساكر ٤: ٤٠١ «زياد بن سليم» وكذا في شرح شواهد المغني ٧٤ ومثله في تاريخ الإسلام ٤: ١١٣ وقال الميمني في ذيل اللآلي: زياد بن سليم، وقيل سليمان، وقيل جابر، وقيل سلمى بن عمرو مولى عبد القيس» وأنظر طبقات فحول الشعراء ٥٥١ و٥٥٧، والإعلام ط ٤/ ٣/ ٥٤.

(٢) حبيب بن المهلب بن أبي صفرة: أحد شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. كانت له ولاية «كرمان» وعزله الحجاج عنها سنة ٨٧هـ. ثم صحب أخاه يزيد بن المهلب في أعماله وغزواته، وقتل معه في خروجه بالعراق على يزيد بن عبد الملك، سنة ١٠٢هـ ويقال: من كلام حبيب لبنيه: «لا يقعدن أحدكم في السوق، فإن كنتم لا بد فاعلين، فإلى زرّاد أو سرّاج أو ورّاق».

ترجمته في:

النجوم الزاهرة ١: ٢١٣، وجمهرة الأنساب ٣٤٨، والعقد الفريد ١: ٢٠٩ طبعة لجنة التأليف، والكامل لابن الأثير ٥/ ٣١ وما قبلها وإسمه فيه «خبيب» من خطأ الطبع.

ورجال الحديث يذكرونه في الكلام على حفيده «عباد بن عباد» فيسمونه «حبيباً» بالحاء، كما في =

تُغَنِّيْ أنتِ في ذِمَمِي وعَهدي وذمَّةِ والدي إنْ لم تُطاري
فإنّكِ كلَّما غَنَّيتِ صوتاً ذكرْتُ أحبَّتي وذكرْتُ داري
فإما يَقتلوكِ طلبْتُ ثأراً له نبأُ لأنك في جِواري

فقال حبيب: القوس والنشاب، ثم رماها سهماً فما أخطأها، فغضب زياد وقام من فوره فدخل على المهلب وشكى إليه صنع حبيب، فاستدعاه المهلب واستخبره عن القصة فأخبره، وقال: أيها الأمير إنما كنت مازحاً، فقال: أما علمت أن جارة أبي أمامة جارتي، ثم أمر أن يسلّم له ديّة الحرّ ألف دينار، فأعطاه إيّاه من حاله كارهاً، فقال زياد:

فلّله عينَا مَنْ رأى كَقَضِيّةٍ قَضَىْ لي بها شيخ العِراق المهلَّبُ
رماها حبيبُ بن المهلَّب رميةً فأقصدَها والسَّهم يُخطي ويغربُ[1]
فألْزَمَهُ عَقْلَ القَتيل ابنُ حُرّةٍ وقال حبيبٌ: إنَّما كنت ألعبُ
وقالَ: زيادٌ لا يروَّعُ جارُه وجارة جاري مثل جاري وأقربُ[2]

ولحم الحمام الأهلي حار في وسط الثانية، رطب في أوّلها، واليمام أكثر يبساً، والجميع لطيف يولد دماً جيداً ويزيد في مادة الجماع، ويسمّى ويصلح للناقة خاصة من المرض السوداوي، وللمترف لحم الفواخت مذموم لزهومته، والله أعلم[3].

= تهذيب التهذيب ٥/ ٩٥، ومروج الذهب ٥/ ٣٥٠ ط باريس، والفيروز أبادي في القاموس وقال: كان لقبه «الحرون»، الإعلام ط ٤/٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(١) يغرب: من قولهم: «سهم غرب» إذا أتى من حيث لا يدري.

(٢) الأغاني ١٥/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤.

(٣) في هامش ب: «توفي إسحاق بن المهدي بقعطبة في ٢٦ ربيع الآخر سنة ١١٢١هـ، ذكره في بغية المريد».

[٢٩]

الصاحب أبو القاسم، إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن الحسن بن عبّاد ابن ادريس الوزير الكبير، الشاعر الأديب الطالقاني(*).

فاضل جمعت له الفضائل جمع الثريا، وفاح نشر كماله فطوى البلاد طيّاً، إذا ذُكر كرمه فما حاتم وهو المجلي على الأقران، أو كتابته وخطّه فما أبو علي بن مقلة وابن هلال إلاّ من العميان، أو علمه بالكلام فما النّظام إلاّ بليد، أو شعره فما لبيد وابن الأبرص عبيد، جمع الله له من أسباب سعادتي الدارين بين المطالب، وجعل عنوان توفيقه يوم يؤتى كلٌ كتابه حبّ الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، وقد أكثر أئمة التأريخ والأدب من ذكر فضائله ومناقبه.

وسارت مسير الشمس في كل بلدة   وهبّت هبوب الريح في البرّ والبحرِ

ولولا أن ذكر بعض محاسنه كالمروة لما حسن ذكر شيء منها لقصور العبارة عن إيفائه ما يستحقه ولم يذكر له أحد من المناقب أكثر من أبي منصور الثعالبي مع اعترافه بالقصور، فإنه قال في يتيمة الدهر: «ليست تحضرني عبارة أرضاها عن علوّ محله في العلم والآداب، وجلال شأنه في الجود والكرم، وتفرّده بالغايات والمحاسن، وجمعه أشتات العلوم والمفاخر، لأن همّة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، وجهد قولي يقصر عن أيسر فواضله

(*) ترجمته في: معجم الأدباء ٦/ ١٦٨ ـ ٣١٧، يتيمة الدهر ٣/ ١٨٨ ـ ٢٨٦، بغية الوعاة ١/ ٤٤٩ تاريخ ابن خلدون ٤/ ٩٩٤، تاريخ الوزراء، مرآة الزمان، معجم البلدان، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٣، الكلية ترجمه رقم ٢٥، مناقب آل أبي طالب (مواضع متفرقة) روضات الجنات، لسان الميزان ١/ ٤١٣، الكنى والألقاب ٢/ ٣٧٠، شذرات الذهب ٣/ ١١٣، نزهة الألبا، مجمع البحرين، خريدة القصر، الغدير ٤/ ٤٠ ـ ٨١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٩، أعيان الشيعة ١١/ ٣٢٢ ـ ٥٦٣، أدب ألطف ٢/ ١٣٣، ويضم كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيّان التوحيدي قسماً كبيراً من أخباره.

وقد ألف فيه الشيخ محمد حسن آل ياسين كتاباً، وحقّق عدداً من آثاره بما في ذلك ديوانه، وطبعه ببغداد سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، وهناك مجموعة من رسائله حققها د. عبد الوهاب عزّام، والدكتور شوقي ضيف (القاهرة ١٣٦٦هـ). أما مشاركته في الحياة السياسية فتراجع فيها الكتب المتصلة بتأريخ البويهيين.

ومساعيه[1]، ثم شرح بعض محاسنه[2].

وقال ابن خلكان: كان الصاحب نادرة الدهر، وأعجوبة العصر في فضائله ومكارمه[3].

وقال أبو بكر الخوارزمي في الصاحب: نشأ من الوزارة في حِجْرها، ودبَّ ودرج من وَكْرِها، ورضع أفاويق دَرِّها، وورثها من آبائه، كما قال أبو سعيد الرستمي[4] [من الكامل]:

ورثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مَوصُولة الإسناد بالإسنادِ
يروي عن العباس عبّادٌ وزا ... رَته وإسماعيلُ عَنْ عَبّادِ[5]

وذكر الأديب الكاتب أبو إسحاق الصابي: أنه إنما قيل له الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل بن العميد، فلما توفي المؤيد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه فخر الدولة أبو الحسن، فأقرّ الصاحب على وزارته، وكان مبجلاً عنده، معظماً، نافذ الأمر[6].

وقال الثعالبي: لما ملك فخر الدولة استعفى الصاحب من الوزارة فقال له: لك في هذه الدولة من إرث الوزارة مالي فيها من إرث الإمارة، فسبيل كل منّا أن يحتفظ بحقّه[7].

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ١٨٨.

(٢) أفرد له في اليتيمة فصلاً ٣/ ١٨٨ ـ ٢٨٦.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٢٨.

(٤) هو أبو سعيد محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم من أبناء أصفهان وهو القائل: ـ

إذا نسبوني كنت من آل رستم ... ولكن شعري من لؤي بن غالب

استكمل فصاحة البداوة، وكان يقول الشعر في الرتبة العليا، نادم الصاحب بن عباد وله فيه مدائح كثيرة. ولما كبر أقل من قول الشعر. أورد الثعالبي في يتيمة الدهر ٣/ ٣٠٠ ـ ٣١٩ طائفة من شعره، ولم أعثر له على ترجمة في المصادر الأخر المتيسرة.

(٥) يتيمة الدهر ٣/ ١٩٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٦) الوفيات ١/ ٢٢٩.

(٧) الوفيات ١/ ٢٢٨.

قال: وحدثني عون بن الحسين الهمداني، أنه قال: ما استأذنت على فخر الدولة، وهو في مجلس الأنس إلاّ انتقل إلى مجلس الحشمة فأذن لي فيه، وما أذكر أنه تبذل بين يديَّ يوماً، أو مازحني إلاّ مرّة واحدة، فإنه قال في شجون الحديث: بلغني أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال، والنيك نيك الرجال، فأظهرت الكراهة لانبساطه، وقلت: بنا في الجدّ ما لا نفرغ معه إلى الهزل، ونهضت كالغضبان فما زال يعتذر إليَّ مراسلة حتى عاودت إلى مجلسه[1].

وسمعت سهل بن المرزبان يقول: كان الصاحب إذا شرب الماء بالثلج أنشد على أثره [من الرجز]:

قعقعةُ الثلج بماءٍ عذبِ   تستخرجُ الحمدَ من أقصى القلبِ[2]

ثم يقول: اللهم جدّد اللعنة على من منع الحسين الماء.

قلت: البيت إنما استشهد به الصاحب، لأني رأيته منسوباً إلى الأصمعي في حضرة الرشيد.

وقال: حدثني عون الهمداني قال: كنت يوماً في خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في دستور كاتبها ـ وكان صديقي ـ مبلغ خلع الخزانة التي صرفت في تلك السنة للعلويين والفقهاء من الشعراء خارجة عن الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين خلعة، وكان يعجبه الخز، ويأمر الاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئاً، فنظر إليه الصاحب وقال: عليَّ به فامتهل الزعفراني بيتاً يتم كتابته، فأمر الصاحب بأخذ الدرج من يده، فقال: أيّد الله مولانا الصاحب [من الكامل]:

إسمعه ممن قال تزدد به   عجباً فحسن الورد في أغصانه

فقال: هات يا أبا القاسم، فأنشده أبياتاً منها [من المتقارب]:

سواك يعدّ الغنى ما اقتنى   ويأمره الحرص أن يخزنا
وأنت ابن عبادٍ آلمرتجى   تعد نوالك نيل المنى

---

(١) يتيمة الدهر ٣/١٩٩.

(٢) يتيمة الدهر ٣/١٩٦، معاهد التنصيص ٢/١٥٧، ديوانه ١٩٣.

وخيرك من باسط كفه ومن ثناها قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف المنى فأصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت أشعرهم مفحماً واشكرهم عاجزاً ألكنا
أيا من عطاياه يهدي الغنى إلى راحتي من قصى أو دنا
كسوت المقيمين والزائريـ ـن كسى لم نخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ثياب من الخزّ إلاّ أنا

فقال الصاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة، أن رجلاً قال له: احملني إيها الأمير، فأمر له بجمل وفرس وبغل وحمار وجارية، وقال: لو علمت أنه خلق مركوب غير هذه لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بجبّة وقميص ودرّاعة وعمامة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخزّ لأعطيناك[1].

قال: وحدثني أبو الحسن محمد بن الحسن النحوي[2] قال: سمعت الصاحب يقول: حضرت مجلس ابن العميد عشيّة من عشايا رمضان، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة، وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي، فلما تقوّض ذلك المجلس انصرف القوم وقد حلَّ الإفطار، وأنكرت ذلك بيني وبين نفسي، وعجبت من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رئاسته، وعاهدت الله لا أخل بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مقامه، فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان أحد بعد العصر كائناً من كان فيخرج من داره إلاّ بعد الإفطار، فكانت داره لا تخلو ليلة من ليالي الشهر من ألف نفس مفطرة، وكانت صِلاته ونفقاته في هذا الشهر مبلغاً ما يطاق منها في جميع السنة[3].

وقال بديع الزمان، أبو الفضل الهمداني، قال: لما أدخلني أبي إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض، فقال لي: يا بني اقعد، لِمَ تسجد، كأنك الهدهد؟[4].

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٩.
(٢) في اليتيمة: «أبو الحسين، محمد بن الحسين».
(٣) يتيمة الدهر ٣/ ١٩٣.
(٤) يتيمة الدهر ٣/ ١٩٣.

قال: وكان الصاحب في الصغر إذا أراد أن يمضي إلى المسجد تعطيه والدته ديناراً أو درهماً كل يوم وتقول له تصدّق بهذا على أوّل فَقير يلقاك، فجعل هذا دأبه في شبابه إلى أن كبر وتُوفِيَّتْ والدته وهو على هذا يقول للفراش كل ليلة: اطرح تحت المطرح ديناراً أو درهماً لئلا ينسى، فبقي على هذا مدة، ثم أن الفراش نسي ذلك ليلة من الليالي فانتبه الصاحب وصلّى وقلب المطرح ليأخذ الدينار والدرهم فما رآهما، فتطيّر من تلك وظن أنه لقرب أجله، وقال للفراشين: شيلوا كل ما هنا من الفراش واخرجوه واعطوه لأوّل فقير تلقونه حتى يكون كفّارة التأخير هذا، فلقوا فقيراً أعمى هاشمياً على يد امرأة وهو يبكي، فقالوا: أتقبل هذا؟ فقال: وما هو؟ قالوا: مطرح ديباج، ومخاد ديباج، فأغمي عليه، فأعلموا الصاحب بأمره، فأحضروه، وسقاه شراباً بعد ما رشَّ عليه بالماء حتى أفاق، ثم سأله، فقال: سلوا هذه المرأة إن لم تصدقوني، فقال له: إشرح، فقال: أنا رجل شريف ولي ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوّجناه، ولي سنتان آخذ القدر الذي يفضل من قوتنا اشتري لها به قطعة صفراء وطفريه[1] وما أشبه، فلما كانت البارحة قالت أمها اشتهيت مطرح ديباج ومخاد ديباج، فقلت: من أين لي ذلك، وجرى بيني وبينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدي وتخرجني أمضي على وجهي، فلما قال لي هؤلاء الكلام حق لي أن يغشى علي. فقال الصاحب: لا يكون الديباج إلاّ مع ما يليق به، هاتوا الأنماطيين فجيء بهم، واشترى منهم الجهاز الذي يليق بذلك، وأحضر زوج الصبيّة، ودفع له بضاعة سنية.

وحدثني أبو منصور البيع، قال: دخلت يوماً على الصاحب فأطلت الحديث، فلما قمت قلت: لعلّي طوّلت، قال: بل تطوّلت[2].

قلت: وأحسب أن الشاعر أخذ هذا المعنى في قوله:

قلت: ثقّلت إذ أتيت مراراً	قال: ثقّلت كاهلي بالأيادي
قلت: طوّلت، قال: لا بل تطوّ	لت وابرمت، قال: حبل ودادي

وحكي: أن الصاحب استدعى شراباً، فناوله غلام قدح شراب مسموم، فقال له أحد خواصّه إنه مسموم، وكان الغلام الذي ناوله واقفاً، فقال له

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ١٩٤.

الصاحب: ما دليلك، قال: جربّه في الذي ناولك، فقال: لا أستجيز ذلك ولا استحله، قال: جرّبه في دجاجة، قال: التمثيل بالحيوان لا يجوز، وردّ القدح وأمر بقلبه، وقال للغلام: انصرف عني ولا تدخل داري، وأمر بإجراء رزقه، وقال: لا ندفع اليقين بالشك، والعقوبة بقطع الرزق نذالة.

وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر المشهور[1]: انصرفت يوماً من دار الصاحب، وذلك قبل العيد، فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة فيها:

يا أيها القاضي الذي نفسي له ... معْ قرب عهدِ لقائِهِ مشتاقهْ
أعطيتُ عطراً مثل طيب ثنائِهِ ... فكأنما أُهدي له أخلاقَهْ[2]

وقال: إن الصاحب يقسم لي من اقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يوماً لكثرة ما يخجلني به، فأنشدني لنفسه:

أكرِمْ أخاكَ بأرض مولدهِ ... وأمِدَّهُ من فعلِكَ الحَسَنِ
فالعزُّ مطلوبٌ وملتمسٌ ... وأعَزُّهُ ما كان في الوطنِ[3]

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في قصيدتك العينية، فقلت: لعل مولانا يريد قولي:

وشيّدت مجدي بين قومي فلم أقل ... ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

قال: ما أردت غيره.

وكان الصاحب قد وَلّى القاضي عبد الجبار الاستراباذي قضاء القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجّل له، وقال: أيها الصاحب أريد الترجل للخدمة، ولكن العلم يأبى ذلك، وكان يكتب في عنوان كتابه إلى الصاحب: من عبد الجبار بن أحمد، ثم كتب: من وليه عبد الجبار بن أحمد، فقال الصاحب: إن القاضي يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار بن أحمد.

وقال الصاحب: ما قطعني إلاّ شاب بغدادي ورد علينا إلى أصبهان،

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) يتيمة الدهر ٣/١٩٨، معجم الأدباء ١٤/٢١، معاهد التنصيص ٢/١٥٧، ديوانه ٢٥٣.

(٣) اليتيمة ٣/١٩٩، معجم الأدباء ١٤/٢١، النثر الفني ٢/٨ ـ ٩، ديوانه ٢٩٣.

فقصدني فأذنت له وكان عليه مرقعة، وفي رجله نعل طاف، فنظرت إلى حاجبي، فقال له وهو يصعد إليّ: إخلع نعلك، فقال: ولم، ولعلّي أحتاج إليها بعد ساعة، فغلبني الضحك وقلت: تراه يريد أن يصفعني.

وقال أبو محمد القاسم بن علي الحريري في «درّة الغوّاص»: حكى لي أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمذاني حين قدم البصرة سنة نيف وستين وأربعمائة: إن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغيّر السجيّة، فقال له: ما الذي بك؟، قال: هما، فقال: مَه، فقال النديم: وه، فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه.

قلت: وقريب من هذا أن بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت إلى جانب نهر: يا جارية أين أضع رجلي، فقالت لها: على كتفي، قالت: فخفي، قال لها: في رقبة زوجك، فقالت: من أين خرجت؟ قال: من بيتك، قالت: مصفوع، فقال لها: على تهمة بك، قالت: وأنت عنا بريء، فانقطع.

وقيل: إن الخطيري[1] الوراق دخل يوماً على الصاحب فقام، فضرط، فقال: يا مولاي هذا صفير التخت، فقال: بل صفير التحت، فاستحيى وانقطع عنه، فكتب إليه:

قل للخطيري[2] لا تذهبْ على عجلٍ   من ضرطةٍ اشبهت باباً على عودِ
فإنها الريحُ لا تستطيع تمسكها   إذْ لستَ أنت سليمانَ بنَ داودِ[3]

وقال محمد بن المرزبان: كنت بين يدي الصاحب ليلة فنعس وأخذ إنسان يقرأ: (والصافات)، واتفق ابن بعض هؤلاء الأجلاف من وراء النهر نعس أيضاً وضرط أيضاً ضرطة منكرة، فأنتبه الصاحب وقال: يا أصحابنا نمنا على (الصافات)، وانتبهنا على (المرسلات).

قلت: الظاهر أن الجمال بن نباتة لمح قوله:

---

(١) في اليتيمة ٣/١٩٨: «ابن الخضيري».
(٢) في اليتيمة: «قل للخضيري».
(٣) يتيمة الدهر ٣/١٩٩، معاهد التنصيص ٢/١٥٥، معجم الأدباء ٦/٢٥٥ وفيه: «الحضيري» كنايات الثعالبي ٢٩ وفيه «الحصيري».

والنازعات فإنها من أضلعي والمرسلات فإنها من أدمعي[1]

من هذه الواقعة.

وللصاحب ديوان شعر مشهور، فمنه:

وشادنٍ ذي غَنَجِ طاوي الحشا معتدلِ
أنشدتُهُ شعراً بديـ ـعاً حَسَناً من عملي
فقال: فيمَن ولِمَنْ فقلتُ: هذا فيكَ لي
فصار في وجنته شعاعُ نار الخجلِ[2]

وله في صباح الخادم:

خدّاه وردٌ وصدغُهُ سَبَجٌ ومقلتاهُ الغناءُ والراحُ
إنْ هزَّ أطرافَهُ على نغم شُقَّتْ جيوبٌ وطاح أرواحُ
وجملة القول في محاسنِهِ أن أميرَ الصباح صَبّاحُ[3]

وله أيضاً:

راسلتُ مَنْ أهواه أطلبُ زَوْرَةً فأجابني: أوَ لستُ في رمضانِ؟
فأجبتُهُ والقلبُ يخفقُ صبوةً أتصومُ عن برٍّ وعن إحسانِ؟
صمْ إن أردتَ تحرُّجاً وتعفُّفاً عن أن تكدَّ الصبَّ بالهجران
أوْ لا فزرني والظلامُ مُجَلِّلٌ واحْسَبْهُ يوماً مرَّ في شعبانِ[4]

ومن شعره:

ولمّا بدا التفاحُ أحمرَ مشرقاً دعوتُ بكأسي وهي ملأى من الشَّفَقْ
وقلتُ لساقينا: أدِرْها فإنها خدودٌ عذارى قد جُمِعْنَ على طَبَقْ[5]

ما أحسن تشبيه الخمرة بالشفق.

---

(١) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٢، ديوانه ٢٧١.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٥، ديوانه ٢٠٣.

(٤) معاهد التنصيص ٢/ ١٦٠، يتيمة الدهر ٣/ ٢٤٨، ديوانه ٢٩٧.

(٥) نهاية الأرب ١١/ ١٦٦، يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٦، ديوانه ٣٥٤.

وله أيضاً:

ومهفهفٍ حلو الشمائلِ أهيفٍ تُرْدِىْ النفوسُ بفترتَيْ عينَيْهِ
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي فجذبتُ قلبي من أسار يديه
قالوا: تُراجِعُهُ؟ فقلتُ بديهةً قولاً أُقيم مع الرويِّ عليه:
واللَّهِ لا راجعتُهُ ولو أنَّهُ كالبدر أو كالشمس أو كُبوَيْهِ[1]

أَلَمَّ الصاحب رحمه الله تعالى بقول ابن المعتز في المكتفي بالله:

والله لا كلمتها لو أنّها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي[2]

قلت أيضاً: ولمحه ابن المعتز من قول محمد بن وهب الحميري[3] في المعتصم بالله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمرُ

وقال محمد بن هاني الأندلسي - الآتي ذكره[4] - في الأمير جعفر بن فلاح[5]، وأخذ معناه:

المدنفان من البرية كلها جسمي وطرفٌ بابليٌ أحورُ
والنيرات المشرقات ثلاثة: الشمس والقمر المنير وجعفرُ

وللصاحب أيضاً:

ولمّا تناءَتْ بالأحبّة دورُهُمْ وصرنا جميعاً من عيانٍ إلى وهم
تمكَّن منّي الشوقُ غيرَ مخالسٍ كمعتزليٍّ قد تمكَّن من خصمِ[6]

وله أيضاً:

كنتُ دهراً أقول بالاستطاعَهْ وأرىْ الجَبْرَ ضلَّةً وشناعَهْ

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٢٥١، معجم الأدباء ٦/٢٩٢، ديوانه ٣٠٥.
(٢) يتيمة الدهر ٣/٢٧٧.
(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٤٢.
(٥) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٦) يتيمة الدهر ٣/٢٤٧، زهر الآداب ٤/٤، معجم الأدباء ٦/٣١٧، التمثيل والمحاضرة ١٧٩، ديوانه ٢٨٢.

ففقدتُ استطاعتي في هوى ظَبْـ ... ـيٍ فسمعاً للمُجْبَرين وطاعَهْ[1]

وله أيضاً:

وشادن جماله ... يقصر عنه صفتي
أهوى لتقبيل يدي ... فقلتُ: قَبِّلْ شفتي[2]

قلت: ولا يلزم الشادن هذا أن يقبل شفته، بل الواجب العكس.

وقال أيضاً مادحاً ما شاء:

قال لي: إنَّ رقيبي ... سيِّئُ الخلقِ فَدارِهْ
قلتُ: دعني وجهُكَ الجنْـ ... ـنَةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ[3]

وله أيضاً:

رقَّ الزجاجُ ورقَّتِ الخمرُ ... وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنَّما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنَّما قدحٌ ولا خمرُ[4]

قلت: ألمَّ الصاحب رحمه الله تعالى في هذا المعنى بقول أبي القاسم علي ابن إسحاق الزاهي[5]:

ومدامة لضيائها في كأسها ... نور على تلك الأصابع بازغُ
دقت وغاب عن الزجاجة لطفها ... فكأنما الإبريق منها فارغُ

ومثله سوى قول أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي الموصلي:

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٢٤٧، زهر الآداب ٤/ ٤، أمل الآمل ٤٢، التمثيل والمحاضرة ١٧٩، ديوانه ٢٤٤.

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٢٣١، معجم الأدباء ٦/ ٢٦١، معاهد التنصيص ٢/ ١٥٩، شذرات الذهب ٣/ ١١٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠، الإيجاز ٨٠، ديوانه ١٧٦.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٢، معاهد التنصيص ٢/ ١٥١، معجم الأدباء ٦/ ٢٦١، الإيجاز والإعجاز ٨٠، خاص الخاص ٢٨، التمثيل والمحاضرة ٣٣١، بغية الوعاة ١٩٧، ديوانه ٢٣٠.

(٤) نهاية الأرب ٧/ ٤٤، البداية والنهاية ١١/ ٣١٦، الكشكول ٢٣٩، شذرات الذهب ٣/ ١١٥، يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٦، الإيجاز والاعجاز ٨٠، خاص الخاص ١٢٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠، ديوانه ١٧٦.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١١٦.

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها | قهوة تترك الحليم سفيها
لست أدري لرقّة وصفاء | هي في كأسها أم الكأس فيها

وروي أن الصاحب أخّر جائزة بعض الشعراء، فأهدى له الشاعر نرجساً، فقال الصاحب:

لما أطلنا عنه تغميضا | أهدى لنا النرجس تعريضا
فدلّنا ذاك على أنه | قد اقتضانا الصفر والبيضا

وعجل جائزته.

وله أيضاً:

قولوا لاخواننا جميعاً | مَنْ كلُّهُمْ سيِّدٌ مَرْزا:
مَنْ لم يعدنا إذا مرضنا | إن مات لم نشهد المعزّى[1]

ما أحسن حشمة الصاحب، وأفحش قول أبي الحسن اللّحام الحرّاني[2]:

إني اعتللت علّة | سقطت منها في يدي
وكان في الإخوان من | لم أرَهُم في العُوَّدِ
فقلت فيهم كلّهم | قول امرئٍ مقتصدِ
أير الذي قد عادني | في أست الذي لم يَعُدِ

ومن ظريف أهاجيه في ابن متويه، والظاهر أنه كان يخالفه في المعتقد:

سبط متويه رقيع سفله | أبداً يبذل فينا أسفله

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٢٤٠، معاهد التنصيص ٢/١٥٩، ديوانه ٢٣٦.

(٢) هو أبو الحسن علي بن الحسن اللحام الحراني. قال الثعالبي: (هو من شياطين الأنس ورياحين الأنس. وقع إلى بخاري في أيام الحميد وبقي إلى آخر أيام السديد، يطير ويقع، ويهجو وقلما يمدح. كان غزير الحفظ حسن المحاضرة، ساحر الشعر، كثير الملح والغرر، وكان لا يهجو إلا الصدور). وبعد أن أورد طائفة من شعره قال ما ملخصه: وفي آخر عمره لم تزده الشيخوخة إلاّ بذاء وتولغا بأعراض الناس، ولم يسلم منه أحد من الأمراء والوزراء. صدر الأمر السلطاني بتأديبه، فنفي إلى نيسابور. وحينما نزل في أحد خاناتها. أرسل إليه صاحب الجيش من حمله ومتاعه على البغال إلى مدينة قاين وهو مريض لا يستطيع حمل رأسه، فلما شارف المحل المقصود قضى نحبه.

ترجمته في: يتيمة الدهر ٤/١٠٢، أنوار الربيع ١/هـ ١٨٤.

اعتزلنا نيكه في دبره | فلهذا يلعن المعتزله[1]

وفيه تورية، وقال فيه أيضاً:

هذا ابن متويه له نقحة | تبتلع الأير وأقصى الخصي
يكفّر الرسل جميعاً سوى | موسى بن عمران لأجل العصا[2]

وله في غيره:

أبو العباس قد أضحى فقيها | يتيه بفقهه في الناس تيها
وذلك أن لحيته أتتني | تناظر فقحتي فخريت فيها[3]

وله فيه أيضاً:

أبو العباس يحضره جموع | من الفقهاء لجّوا في الغواءِ
كأنهم إن اجتمعوا لديه | ذئاب قد جمعن على خراءِ[4]

ومن شعره:

ناصبٌ قال لي: معاويةٌ خا | لُكَ خيرُ الأعمام والأخوالِ
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً | قلتُ: خالي لكنْ من الخير خالي[5]

ومن رسائله:

نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت، ونوره درر، وتأريخه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم، يحملها زبرجد، وألسنة العيدان تخاطب الطرف بهلّم إلى العيدان، ولكننا بغيبتك كعقد غيبت واسطته، وشباب أخذت جدّته، فأحب أن يكون إلينا أسرع من الماء في انحداره، والقمر في حداره[6].

ومن رسائله في الاستزارة أيضاً:

نحن يا سيدي في مجلس غنّى إلاّ عنك، ساكن إلاّ منك، قد فتحت فيه

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٢٧١.
(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٢٧١.
(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٢٧١.
(٤) يتيمة الدهر ٣/ ٢٧١.
(٥) يتيمة الدهر ٣/ ٢٤٧، ديوانه ٢٦٤.
(٦) يتيمة الدهر ٣/ ٢٤٤.

عيون النرجس وتورّدت خدود البنفسج، وفاحت مجامر الأريج، وفتقت فارات النارنج، فأنطقت ألسنة العيدان، وقام خطباء الأوتار، وهبّت رياح الأقداح، ونفقت سوق الأنس، وقام منادي الطرب، وطلعت كواكب الندماء، وامتدت سماء الندى، فبحبوتي إلاّ حضرت لنحصل بك في جنّة الخلد، ونتصل بالعقد[1].

قال الذهبي: كان الصاحب شيعياً جلداً كآل بويه، معتزلياً، وكان يقول: شاركت الطبراني في إسناده، ويقال إنه قال: من البخاري؟ قال: هو حشري لا يعوّل عليه، وكان ينفذ إلى بغداد في السنة خمسة آلاف دينار تفرّق على الفقهاء والأدباء، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة، ومرض في الأهواز بالإسهال، فكان إذا قام عن الطشت ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم، فكانوا يودّون دوام علّته، ولما عوفي تصدّق بنحو خمسين ألف دينار.

وله أجوبة نادرة منها: إن الضرابين رفعوا إليه من دار الضرب رقعة يتظلمون فيها وترجموها بالضرابين، فوقّع تحتها: (في حديد بارد)، ويعرف عند البديعيين بالقول بالموجب.

وكتب إليه إنسان ورقة أغار فيها على رسائله فوقّع فيها: (هذه بضاعتنا ردّت إلينا).

وتصانيفه متقنة مشهورة منها: «المحيط في علم اللغة»، رتّبه على حروف المعجم، دخل في سبعة مجلدات، وكتاب «الكافي في الرسائل»، «وكتاب الأعياد»، وكتاب «أفاضل النيروز»، وكتاب «الإمامة».

ومدحه أعيان شعراء وقته ممن يطول عددهم، وكان عبد الصمد بن منصور ابن الحسن بن بابك الشاعر المشهور[2]، دائماً يشتو عند الصاحب ويصيّف

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٢٤٤.

(٢) عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم: شاعر مجيد مكثر. من أهل بغداد. له «ديوان شعر ـ خ». طاف البلاد، ولقي الرؤساء، ومدحهم، وأجزلوا جائزته. ووفد على الصاحب ابن عباد فقال له: أنت ابن بابك؟ فقال: بل أنا بابك! توفي ببغداد سنة ٤١٠هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨ وسير النبلاء ـ خ. الطبقة الثانية والعشرون. والنجوم الزاهرة ٤: ٢٤٥، ومعاهد التنصيص ١: ٦٤، ويتيمة الدهر ٣: ٣٣٤، وBrock. S. I:445، وفي مذكرات =

ببغداد، وأعجبني له أبيات وصف بها غيضة أُضرمت بها النار ومرّ بها في طريقه إلى الصاحب فقال:

ومقلة في مجر الشمس مسحبها ... أرعيتها في شباب السدفة الشهبا
حتى أرتني وعين الشمس فاترة ... وجه الصباح بذل الشمس منتقبا
وليلة بتّ أشكو الهمّ أولها ... وعدت آخرها استنجذ الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية ... مدّ الظلام على أوراقها طنبا
تهدى إليها مجاج النار ساكنها ... وكل ما دبَّ فيها أثمرت لهبا
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها ... عاد الزمرّد في عيدانها ذهبا
برقت منها وثغر الصبح مبتسم ... إلى أغرّ يرى المذخور ما وهبا

ويذكره، ذكرت قوله الجيّد أيضاً:

أجبته أسود العينين والشعره ... في عينه عدة الموصول منتظره
لدن المقلد مخطوف الحشا ثملاً ... رخص العظام أشمّ الأنف والقطره
الظبي لفتته، والغصن ميلته، ... والروض وجنته، والرمل ما ستره
تكاد عيني إذا خاضت محاسنه ... إليه تشربه من رقّة البشره
حتى إذا قلت قد أمللتها شرهت ... شوقاً إليه وفي عين المحب شره

❀ ❀ ❀

ونعود إلى تمام أخبار الصاحب:

وذكر الثعالبي: إن الصاحب وجد خفّة في مرض موته، فأذن للناس ونهى وأمر ووقّع في الرقاع ثم أنشد:

كلامُنا من غُرَرِ ... وعيشُنا من غَرَرِ
إني وحقِّ خالقي ... على جناح السَّفَرِ[1]

وأما شعره في التشيّع وذكر المذهب فكثير، تضمّنه ديوانه وهو مشهور بذلك.

= الميمني ـ خ: ديوان ابن بابك، جزآن في الرقم ١٧٥٤ خزانة لا له لي باستنبول. نسخة نادرة ملوكية والإعلام ط ٤/٤/١١.

(١) يتيمة الدهر ٣/٢٢٠.

وذكر أبو الحسين، محمد بن الحسين فارس النحوي[1]: إن نوح بن منصور الساماني سلطان ما وراء النهر وخراسان كتب إلى الصاحب رقعة في السرّ يستدعيه إليه ليفوّض وزارته وتدبير ملكه إليه، وكان مما اعتذر به أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة أربعمائة جمل فما الظن بما يليق به من التجمل[2].

وكانت ولادته لأربع عشر ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بمدينة أصطخر، وقيل بالطالقان[3].

وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرون من شهر صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالري، ثم نقل إلى أصفهان، رحمه الله تعالى، ودفن في باب دَرِيه في قبة[4]، فلما مات أمر فخر الدولة فاغلقت له مدينة الري، واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته، وحضر السلطان فخر الدولة وسائر القوّاد وقد غيّروا لباسهم، فلما خرجت جنازته صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبَّلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس، وقعد للعزاء أياماً[5]، ورثاه الشعراء جميعهم ببلاد العجم وبلاد العراق، ومنهم الشريف الرضي.

وما أحسن قول أبي سعيد الرُّسْتِمِيُّ فيه [من الطويل]:

أَبَعْدَ ابن عَبَّادٍ يَهشُّ إلى السرَى ... أخو أملٍ أو يُسْتَماحُ جَوَادُ

أبى الله إلّا أن يَمُوتا بموته ... فمالَهُما حتى المَعادِ مَعادُ[6]

والظاهر أن مصابه عمّ الجن مع الأنس، فإن أبا القاسم غانم بم [أبي] العلاء الأصبهاني قال: رأيت في المنام قائلاً يقول: لم لا ترثي الصاحب مع فضلك وأدبك، قلت: ألجمتني كثرة محاسنه فلم أدرِ بما أبدء منها وخفت أن أقصّر، وقد ظنَّ بي الاستيفاء، فقال: أجِزْ ما أقول، قلت: هات.

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٣١.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٣١.

(٤) وفيات الأعيان ١/ ٢٣١.

(٥) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٢.

(٦) يتيمة الدهر ٣/ ٢٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٢.

فقال: ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة
فقلت: ليأنس كل منهما بأخيه
فقال: هما اصطحبا حيّين ثم تعانقا
فقلت: ضجيعين في لحد بباب دريه
فقال: إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم
فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه

وتوفي فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه مخدوم الصاحب في شعبان سنة تسع وثلاثين وثلثمائة. وكان آل بويه جميعهم شيعة رحمهم الله تعالى.

وكان فخر الدولة ملك الأهواز وبلاد الجبال المعروفة بعراق العجم.

وكان الصاحب فارسي الأصل من الطالقان، بالطاء المهملة، وبعد الألف واللام المفتوحة قاف ثم ألف ثم نون، اسم مدينتين أحدهما بعمل قزوين، والأخرى بخراسان، والصاحب من الأولى.

وكان مع فارسيته يبغض الشعوبية الذين يفضلون العجم على العرب.

والرَيّ: بفتح الراء وتشديد الياء المثناة من تحت، مدينة مشهورة من بلاد الجبال.

ومن صنائع الصاحب بن عبّاد ومن هو على مذهبه أبو القاسم غانم بن [أبي] العلاء[1] صاحب المنام المذكور، وشعره لطيف، فهو نسيم إلاّ أنه غير ضعيف، ومن شعره [من مجزوء الرجز]:

أصبحت صبّاً دنفاً بين عناء وكمدْ
أعوذ من شر الهوى بـ: (قل هو الله أحدْ)[2]

ومن شعره أيضاً [من الكامل]:

المستغاث من الهوى باللَّهِ من شادنٍ فتن الورى تيّاهِ

(١) ترجمته في يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٠.

ما كنت أعرف قبله حرّ الهوى والوجد ما هو والصبابة ما هي
حتى بليت به أغن مدللاً كالريم يعصي في هواه الناهي
فمدامعي عبرى وقلبي واله وجوانحي حرّى وصبري واهي[1]

وله يهجو القويضي [من المجتث]:

رجلي وأيري وبيضي في أست أم القويضي
لما أراد هجائي وفيضه دون غيضي
ورام تدنيس عرضي فصار خسرقة حَيضِ[2]

❀ ❀ ❀

ومن صنائعه أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي[3]، وله شعر تحسده العيون، أحلى من القلب، إلاّ أنه يبتذل في السوق، فمنه [من الوافر]:

ألا يا ليت شعري ما مرادك فقلبي قد أضرّ به بعادك
وأي محاسن لك قد سبتني جمالك أم كمالك أم ودادك؟
وأي ثلاثة أوفى وآذى: أخالك أم عذارك أم فؤادك؟[4]

وله في تشبيه الثريا [من مجزوء الرمل]:

خلت الثريا إذ بدت طالعة في الحندسِ[5]
سنبلة من لؤلؤ أو باقة من نرجسِ[6]

❀ ❀ ❀

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٠.
(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٢١.
(٣) أحمد بن إبراهيم الضبي. أبو العباس: وزير فخر الدولة البويهي. كان من العقلاء الفضلاء يلقب «الكافي الأوحد» له شعر رقيق، ولمهيار الديلمي وغيره مدائح فيه ومراث. مات في بروجرد معتزلاً الوزارة سنة ٣٩٨هـ. وحمل منها فدفن في مشهد الحسين، بوصية منه.
ترجمته في:
الكامل لابن الأثير ٩: ٧٢ ويتيمة الدهر ٣/ ٢٨٧ ـ ٢٩٤ وورد ذكره في مواضع أخر. معجم الأدباء ١/ ٦٥ ـ ٧٤، الإعلام ط ٤/ ١/ ٨٦.
(٤) يتيمة الدهر ٣/ ٢٩١.
(٥) الحندس: الظلام.
(٦) يتيمة الدهر ٣/ ٢٩٢.

ومنهم أبو القاسم الزعفراني[1]، وله الأبيات السابقة في أوائل ترجمة الصاحب، وكان شيخاً قد تاب عن الشراب مقتدياً بالصاحب، فأراد فخر الدولة على معاودته فعاوده، فقال [من الخفيف]:

هاتها لا عدمت مثلي نديماً ... قهوة تنتج السرور العقيما
قهوة تنتمي إلى الشمس لا يعرف ... في جنسها الثرا والكروما
خالفت دنها الغليظ فرقّت ... واستفادت من السموم نسيما
كرمت عنصراً فلوعب فيها ... أبخل الناس غادرته كريما
وكأني لما رجعت إليها ... كنت من كل لذّة محروما[2]

الزعفراني كثير الشعر، وعقد له الثعالبي في اليتيمة ترجمة[3]، ونسبته إلى الزعفران وهو حار في أول الثالثة، يابس في آخر الثانية، مفرح، وقيل إن شرب ثلاثة دراهم باليوناني من خالصه يقتل بالضحك، وهو مخدّر ويدخل في المفرحات، وفيه انضاج ويضر بالدماغ الصفراوي، ويحمّر الوجه، وإدمانه يولّد مادة البرسام[4] ويصدع جداً ويهيّج الوقاع للمبرود.

ودريه: بفتح الدال المهملة وكسر الراء وإسكان الياء المثناة من تحت وبعدها هاء، أحد أبواب أصفهان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) واسمه عمر بن إبراهيم: ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٥٢ بما ملخصه: (من أهل العراق، شيخ شعراء العصر، وواسطة عقد ندماء الصاحب، وله عنده حرمة وكيدة، وكان جيد النظم حسن المعاشرة، حاذقاً بلعب الشطرنج. استدعاه فخر الدولة لمنادمته، وكان قد نادم أخاه عضد الدولة) ثم أورد نماذج حسنة من شعره.

(٢) كاملة في اليتيمة ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣.

(٣) يتيمة الدهر ٣/ ٣٤٢ ـ ٣٥٢.

(٤) في هامش الأصل: «الرسام».

[٣٠]

السيد الأمير أبو الحسن، إسماعيل بن أبي يحيى محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين أبي محمد القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي ابن الرشيد بن أحمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى المنصور بن الناصر أحمد ابن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن أمير المؤمنين أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب‌ﷺ. الأديب الشاعر اليمني(*).

فاضل جلّ همّه النظم، أما للقلوب في الحرب العبوس، أو للثغور من أشعاره في خدود الطروس، جمع من البأس والندى بين البرق والمطر، ومن العلم والأدب بين الغدير والزهر، يخل من تشبيهه بالشمس المنيرة للعوالم، ولولا احتقار الأُسد شبهتها به ولكنها معدودة في البهائم.

وله ديوان شعر حسن في أكثره[١].

وله كتاب «سمط اللآل في شعراء الآل»[٢].

سمعت أن المتوكل أنكر عليه اشتهاره بالشعر، فألّف الكتاب المذكور، وذكر فيه من شعر من أعيان الطالبيين فإذا هم أئمة الزيدية، حججٌ لم يخل منهم داع عن شعر حسن أو متوسط، كثير أو قليل، فكان كالجواب على المتوكل، وجعل الكتاب شرحاً لقصيدة له عارض بها قصيدة الخطيب أبي زكريا الحصكفي

(*) توفي سنة ١٠٨٠هـ

ترجمته في: خلاصة الأثر ١/٤١٦ ـ ٤١٨، مراجع تأريخ اليمن ١٨٣، خزانة محمد بن عبد الرحمن العبيكان، البدر الطالع ١/١٥٥ وفيه: أنه توفي ١١١١هـ، ديوان الهبل الملحق ٥٦٤ ـ ٥٦٦، واعلام الديوان ٥٩٧، الإعلام ط ٤/١/٣٢٤، نفحة الريحانة ٣/٢٦٦ ـ ٢٧٠.

(١) عنوانه: «مشرقات الدر الثمين في شعر إسماعيل بن محمد بن الحسن الطالبي»، نسخة منه في مصلحة الآثار العامة بصنعاء ـ اليمن، تاريخها ١٠٨٩ تقع في ٢٨٨ص، قياس ٢١× ١٥سم.

(٢) نسخة منه بخط المؤلف في مصلحة الآثار العامة بصنعاء ـ اليمن. كتبها سنة ١٠٧٣، تقع بـ ٢٧٦ صفحة، قياس ٢٩×٢٠سم.

ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ وأول قصيدته:

هل تجدون في الهوى ما أجدُ ... أو هل أرى في الحبّ لي من يسعدُ

وهو كتاب لا بأس به، وكان أميراً بعد والده على بعض بلاده.

وأمّا والده فكان بيده جميع ناحية اليمن الأسفل، وكان حليماً سايساً عالماً لما يضع الشيء في موضعه، جارياً على منهاج العقل، وارتضاه المؤيد لما مات أبوه الحسن خليفة له، لوفور كماله.

ومن شعر السيد أبي الحسن المذكور أيضاً:

لما دنا منّيَ بدر الدجى ... وعوّض الوصل عن الصدّ

عانقته ضمّاً وقبّلته ... من شغفي في الثغر والخدّ

ولاح لي عند عناقي له ... ونار قلبي منه في وقدِ

رشح على ورد خدود حكى ... لآلئاً ينثرن عن عقدِ

وهكذا عادة جمر الغضى ... تستخرج الرشح من الوردِ

وقال أيضاً:

إذا تغيّبت ميلا ... عن ناظري فهو فرسخْ

ولست عن ربع قلبي ... تَنْأى وإن حال برزخْ

ومسمعي ليس يصغي ... للايم فيك وبّخْ

فلك حبّك أرْسى ... من الملام وأرسخْ

ومحكم الحب عندي ... آياته ليس تنسخْ

وله:

يا غُريباً مذ نأوا قطعوا ... بسيوف الهجر أوصالي

كل قلب من فراقكم ... محرق بالنار أوصالي[2]

مذ نأيتم طاب لي قلقي ... ضاق من هجرانكم حالي

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٨٩.

(٢) في هامش الأصل، بعده:

يوسف في الحسن أنحلكم ... ويحزن (كذا) الحبس وصالي

أنى وعنق دون لفتته ... عنق ظبي كانس حالي

عين (كذا) ألف في السرور لكم ... مطلبي من حبكم بالي

لله كاتبه والفضل للمتقدم ... وتشبهوا... إلخ.

كيف شئتم عذبوا أبداً ... فعذابي فيكم حالي
طول هذا الهجر أنحلني ... منه جسمي قد غدا بالي
لست أسلو حبكم أبداً ... لا ولا يمضي على بالي

وله أيضاً:

وشادن يسألني ... ما بارق وما النقا
فقلت: إن شئت فسل ... ثغراً وخداً مشرقا

وله أيضاً:

غطّى على خدّه بكمٍّ ... فأشبه الورد في الكمائمْ
وقال لي ناطقاً بصوتٍ ... كَأَنَّه ساجع الحمائمْ
أخشى من العين، قلتُ: مهلاً ... عيناك يا منيتي تمائمْ

قلت: لا يخلو من مناقشة في الأخير لأن التميمة جارية سوداء قبيحة، كانت العرب تجعلها أمام العروس الجميلة لتقيها من العين ويظهرها جمالها، ويحتمل أنه أرد عزايم سحرية وسيوف حديد.

ومن شعره:

وحق خد بديع بالبها حالي ... ومقلة ضاق إذ ضاقت بها حالي
وحسن خال بغير المسك حلَّ على ... صدغ غدا وهو عن عيب به خالي
لصدّك الضعف عند الصبّ موقعه ... أشدّ من سَهَرٍ في شهر شوّالِ

وقد عكس هذا المعنى فأجاد فيه كالأول، فقال:

يا شادناً ما زال قلبي به ... بحرّ نيران الهوى صالي
لأنت في عيني وفي خاطري ... ألذّ من نومة شوّالِ

ورأيت في ديوانه له رحمه الله:

قلت لما أكثر الهجر حبيبي وأطالا
وتمادى في جفاه ... حسبيَ الله تعالى

قلت: حسبي الله تعالى.

أخذ المعنى وبعض اللفظ والوزن والقافية من قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين المغربي التلمساني[1]:

كـــان مـــا كـــان وزالا فـــاطّـــرح قـــيـــلاً وَقـــالا
أيـــهـــا الـــمـــعـــرض عـــنّـــا حـــســـبـــك الله تـــعـــالـــى

وقال الصفي الحلّي[2] من أبيات أوّلها:

يـا غـصـنـاً فـي الـريـاض مـالا حـمـلـتـنـي فـي هـواك مـالا

وستأتي، والمقصود الآن قوله فيها:

إن قـال كـم ذا أتـيـه عـجـبـا قـال لـه الـحـسـن: تِـهْ دَلالا
يـا رائـحـاً بـعـد إذ سـبـانـي حـسـبـك رب الـسـمـاء تـعـالـى

وكانا متعاصرين، فيجوز أنه وارده، (وما قصبات السبق إلاّ لمبعد).

ومن شعر أبي الحسن إسماعيل بن محمد رحمه الله تعالى:

هـذا الـلـوى والـبـان والـشـعـب مـا دونـهـن لـسـائـل إربُ
فـمـقـيـلـهـا رحـب، ومـوردهـا عـذب، وروح نـسـيـمـهـا رطـبُ
فـسـقـى الـحـيـا تـلـك الـربـوع ولا حـامـت بـحـول حـمـائـهـا الـجـدبُ
ورعـى فـريـقـاً حـلّـهـا زمـنـاً رحـلـوا ولا بـان ولا شـعـبُ
رحـلـوا فـروح الـصـب مـرتـهـن فـي قـبـضـهـم قـد ضـمّـه الـركـبُ
فـاعـجـب لـروح ضـامـن ولـه حـب مـقـيـم لـلأسـىٰ نـصـبُ

---

(١) هو الشاب الظريف شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني. ولد بالقاهرة سنة ٦٦١هـ. كان شاعراً مجيداً، نظم الغزل الرقيق، وأولع بالبديع فأحسن استعماله، وكان من الكتّاب البارزين. له ديوان شعر طبع مراراً بمصر وبيروت، ثم حقّقه وشرحه شاكر هادي شكر وأضاف إليه أكثر من ٧٨٠ بيتاً جمعها من مصادر خطية ومطبوعة، وتم طبع الديوان بالنجف سنة ١٩٦٧م. توفي المترجم له بدمشق سنة ٦٨٨هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/١٢٩، فوات الوفيات ٢/ ٤٢٢، شذرات الذهب ٥/ ٤٠٥، مقدمة ديوانه المذكور آنفاً، أنوار الربيع ١/هـ ٢٠٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٠١.

مذ ختموا في قلب مغرمهم ... فالكلُّ ودَّ بأنه قلبُ
يا جيرة قطعوا نزيلهم ... ما هكذا يتعاشر الصحبُ
إن كان عن ذنب فليس له ... غير الوداد وحبكم ذنبُ
لكن هذا الدهر شيمته ... عكس القياس وصدقه كذبُ

وله وفيه عقد للحديث النبوي:

إيّاك أن تكون لل ... بخيل ذا نبائثِ
تحسده إن كان ذا ... مال كثير لابثِ
فإنّه مبشّرٌ ... بحادث أو وارثِ

وكان مُمدَّحاً كاملاً، مدحه القاضي الشرفي الحسن بن علي بن جابر[1] بغرر القصائد، وهي موجودة في ديوانه[2].

ورأيت له أيضاً هذه الأبيات كتبها إلى بعض إخوانه يدعوه في يوم غيم:

سيدي ما ترى الغيو ... م إلى الروض سارِيَهْ
غَدَت الأرض من مطا ... رفها الخضر كاسيَهْ
برقها ضاحك وأجـ ... فانها الوطف باكيَهْ
وسواقي العيون في ... حلل الروض جاريَهْ
وأزاهيرها مفتَّحة فيه زاهيَهْ
والنسيم العليل يسـ ... رح من كل ناحيَهْ
عيشة لا تزال والـ ... حمد لله راضيَهْ
نعمة غير إنّها ... من تدانيك عاريَهْ
والمسرّات عند من ... أمن الفكر عاديَهْ
ولدينا لطائف ... عنك ليست بخافيَهْ
فتفضّل بزورة ... هي للقلب شافيَهْ
فاغتنم ساعة السّرو ... ر فما تلك باقيَهْ
لا تُضيع فيه فرصة ... فهي لا شك ماضيَهْ

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٢) أنظر ديوان الهبل.

واطَّرِحْ قولَ حاسدٍ ... يكَ واشٍ واشيةْ
لا تراقب وخلِّ عيـ ... ـنَ معاديكَ داميةْ
لن تنالَ الذي ترو ... مُ بنفسٍ مداجيةْ
فاز باللذة الجسو ... رُ ولاقى أمانيهْ

وفي هذا البيت إشارة إلى بيت أبي معاذ بشّار بن برد[1] الذي سلخه تلميذه سلم، وهو مشهور.

وتوفي السيد أبو الحسن المذكور بالعدين، ودفن بالمذيخرة [سنة ثمانين وألف] رحمه الله تعالى.

وله إجازات في فنون العلم من مشايخ عصره.

❀ ❀ ❀

وولده أبو الحسن علي بن إسماعيل[2]:

أديب شاعر حسن الفروسية، جيّد الذكاء، ويعرف الحساب.

أنشدني من شعره في غلام رآه باللحية:

غزال كالغزالة فاق حسناً ... على قدٍّ كغصن البان لينا
تبدى باللحية منه وجه[3] ... ولم يك جاوز العشر السنينا[4]

ولقد أحسن في التورية[5].

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) ولد سنة ١٠٥٠هـ، قرأ واشتغل على عدد من الأعيان، ولازم حضرة والده التي كانت محط الرحال، حج سنة ١٠٧٠هـ، وقلده والده أعمال بلاد ضوران وما حولها، ثم تولى أعمال ابن عمه السيد محمد ابن الحسن بن القاسم بعد وفاته، وحين تولى الإمامة الإمام أحمد بن الحسن، أقرّه على ما كان بيده في حياة والده، وفوّض إليه جميع الأعمال اليمنية. توفي سنة ١٠٩٦هـ بتعز ودفن بها.
ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ حديقة الأفراح ١٤ ـ ١٦، خلاصة الأثر ٣/١٤٨ ـ ١٥٠، نشر العرف ٢/١٩١ ـ ١٩٢، نفحة الريحانة ٣/٢٥٧ ـ ٢٦٢.

(٣) في نشر العرف: «وجهاً».

(٤) نشر العرف ٢/١٩٢.

(٥) في هامش الأصل: =

قيل كان عباد بن زياد بن أبيه[1] كبير اللحية جدّاً، وكان أخوه عبيد الله بن زياد لعنه الله ولاّه بلاد فارس، وصحبه يزيد بن مفرغ الحميري الشاعر المشهور[2]، فركب عبّاد يوماً واتفق أن عصفت الريح فدخلت في لحية عبّاد فانتفشت، فضحك ابن مفرغ وقال، وكانت السنة مجدبة:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فكان سبب غضب عبّاد عليه حتى حبسه، وهجاه ابن مفرغ بما فضحه، وقيل: لو كان في اللحى خير لحلّى الله بها أوليائه في الجنّة.

وقال ابن اللبانة الأندلسي[3] في غلام التحى:

= وما أحسن من قال:

لما التحى وتبدلت تلك السعود به نحوسا
أبديت لما صار يحلق خده معنىً نفيسا
وأذعت عنه بأنه لم يقصد التصد الخسيسا
لكن غدا وعذاره خضر فساق إليه موسى

(١) في هامش نسخة ب: «الذي استلحقه معاوية بأبيه، وكان يدعى زياد بن أبي سفيان».

(٢) هو أبو عثمان يزيد بن ربيعة بن مفرغ (وقيل مفرغ لقب لربيعة) ابن مالك بن زيد الحميري، وهو جد السيد الحميري من قبل أمه. كان من فحول الشعراء وقد عرف بهجائه المقذع لبني زياد بن أبيه، ومجاله في ذلك واسع جداً، لما عرف عنهم من لؤم الحسب واختلاط النسب. وهو القائل لمعاوية بن أبي سفيان عندما استلحق زياد ابن أبيه: ـ

اتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

سجنه عبيد الله بن زياد واستأذن معاوية في قتله فلم يأذن له، فعمد إلى تعذيبه والتشهير به، ثم أطلق سراحه بأمر من معاوية وبواسطة جماعة من وجوه اليمانيين. توفي سنة ٦٩هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٦/ ٣٤٢ ـ ٣٦٧، معجم الأدباء ٢٠/ ٤٣، الشعر والشعراء/ ٢٧٦، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٢، الأغاني ١٨/ ٢٦٢ ـ ٣٠٧، أمالي الزجاجي/ ٤١، تاريخ الطبري ٥/ ٣١٧، أنوار الربيع ٢/ ٨٦ ـ ٨٧.

(٣) أبو بكر، محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الأندلسي الداني، المشهور بابن اللبانة. كان من شعراء دولة المعتمد بن عباد. توفي سنة ٥٠٧هـ. من آثاره: مناقل الفتنة، ونظم السلوك في وعظ الملوك، وسقيط الدرر ولقيط الزهر في شعر بني عباد، والاعتماد في أخبار بني عباد.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٥١٤، العبر في خبر من غبر ٤/ ١٥، هدية العارفين ٢/ ٨٣، شذرات الذهب ٤/ ٢٠، المغرب في حلى المغرب ٢/ ٤٠٩، قلائد العقيان/ ٢٥٦، المعجب في تلخيص أخبار المغرب/ ٢١١، أنوار الربيع ٤/ هـ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

أبصرته قصر في المشية لما بدت في خدّه اللحية
قد كتب الشعر على خدّه ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[1]

وقال القاضي بدر الدين محمد الحيمي[2]:

لما بدى نبت عارضيه دعا الله واستعاذا
وقال طرف له مقيم: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[3]

ومثله قول حيدر أغا[4]:

وقالع شعره بخبث قلت له: ياذا الرشا لماذا
أومى إلى خدّه ونادى: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[5]

وقال مهدي العنسي الشاعر:

يا أيها الأحباب قد ظفرنا عليكم من بعد ما التحيتمْ
نسيتمونا أولا جميعاً فاليوم ﴿نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ﴾[6]

اتفق في هذه المقاطيع الاقتباس من كتاب الله تعالى، وإنما ذكرتها لخلوّها عن الفحش، وأما ما فيه فحش مع الاقتباس فلا يجوز ولا استحل إيراده.

ولعلي بن إسماعيل أيضاً:

قد كان طرفي قدماً وهو المجلّى المقدّمْ
يفوت كل جواد فاليوم صلّى وسلّمْ[7]

أحسن ما شاء والمصلّي والمسلّم من ألقاب خيل الجلبة، وإنّما استمد المعنى من قول ابن نباتة في خطبة شرح العيون: «وأحمد من أعجزت هباته الغيث فصلّى، وأتعبته فسلّم»، والجملة فهو معنى مطروق، ويتفاوت حسن استعماله.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٨.
(٣) سورة مريم: الآية ٢٣.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ٦٦.
(٥) سورة مريم: الآية ٢٣.
(٦) سورة الجاثية: الآية ٣٤.
(٧) نشر العرف ٢/ ١٩٢.

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة[1] في سجادة أهداها:

إن سجّادتي الحقيرة قدراً لم يفتها في بابك التعظيمُ
شرفت إذ غدت إليك فأمست وعليها الصلاة والتسليمُ[2]

ولأبي الحسن علي بن إسماعيل أيضاً:

أُهيل الحمى الغربي بنعمان هل لنا إلى طيب وصل منكم لسبيلُ
وهل تسعد الأقدار يوماً بزورة ويسمح دهر بالوصال بخيلُ
ويرجع ما قد مرّ من حالي الصبا فحالي وإن قد مَرَّ ليس يحولُ
وإنّي على ما تعهدون من الهوى رقيق الحواشي كالفرات يسيلُ
ولي بكم قلب حليف صبابة به زفرة لا تنطفي وغليلُ
يهيم إذا ما فاح في الروض شمأل ويميل غصن البان وهو عليلُ
وما زاده شجواً سوى ساجع الهوى[3] وبرق تراه بالديار كليلُ
سرى موهناً من نحو صنعا فهاجه غرام وشوق خارج ودخيلُ
يُذكِّره تلك المعاهد ومضة وعهداً له وجه يروق جميلُ
تقضّى بها والعيش أخضر يانع وللأنس ظل بالوصال ظليلُ
ولم أَنْسَ أياماً ذهبن حميدة بحدّة لي والحاسدون غفولُ
زمان سرور والحبيب مساعدي بما شئت والأفراح حيث أميلُ[4]

وتوفي ولده أبو الحسن المذكور سنة إحدى عشرة ومائة ألف، بالناحية المعروفة ببيت الفقيه الزيدية، وهي مدينة بتهامة، رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

والعُدَيْن، بضم العين وفتح الدال المهملتين وإسكان الياء المثناة من تحت، ثم نون: مخلاف مشهور باليمن.

والمُذَيْخِرَة، بضم الميم وفتح الذال المعجمة وإسكان الياء المثناة من تحت

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) لم أعثر عليها في ديوانه.

(٣) في هامش الأصل: «الحمى».

(٤) نشر العرف ٢/١٩٢، حديقة الأفراح ١٤ ـ ١٦.

وكسر الخاء المعجمة وبعد الراء تاء التأنيث: مدينة بالعدين، عمّرها أبو الحسن علي بن الفضل الكوفي القرمطي الثائر في أيام المعتضد بالله.

والله أعلم.

[٣١]

أبو هاشم إسماعيل بن يزيد بن وادع الحِمْيَرِيّ، الملقب بالسيّد الكوفي الشاعر(*).

حاز رئاسة الشعر كما حاز سلفه الرئاسة المطلقة، وأعرب المعاني في كلماته المشرقة، وما برح قانصاً في شعره الرئبال في اليقظة والغزال في الطيف، ولو فاخر هرم بن سنان[1] في الشهرة لأسكته من حده بسيف، وأمّه من حمير

(*) ترجمته في: الأغاني ٧/ ٢٤٨ ـ ٢٩٧، وفيات الأعيان ٦/ ٣٤٣ ضمن ترجمة يزيد بن مفرغ الحميري، الاكمال لابن ماكولا، روضات الجنات ١/ ٢٨، الذريعة ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥، الطليعة/ ترجمة رقم ٢٦، وفيه نسبة: «اسماعيل بن محمد بن زيد بن ربيعة» سفينة البحار ١/ ٣٣٦، منهج المقال ٦٠، لسان الميزان ١/ ٤٣٦، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٣، ابن الوردي ١/ ٢٠٥، فوات الوفيات ١/ ١٩، مجلة المورد ٣/ ٢/ ٢٢٩، معالم العلماء رجال الشيخ، أعيان الشيعة ١٢/ ١٣٣ ـ ٢٧٨، أداب ألطف ١/ ١٩٨، أنوار الربيع ـ أماكن متفرقة، الاعلام ط ٤/ ١/ ٣٢٢. وأخباره كثيرة، جمع طائفة كبيرة منها المستشرق الفرنسي. باربيي دي مينار (Barbier de Meynard) في مئة صفحة طبعت في باريس. ولأبي بكر الصولي (المتوفى سنة ٣٣٥) كتاب «أخبار السيد الحميري» ومثله لأحمد بن محمد الجوهري (المتوفى سنة ٤٠١) ولابن الحاشر أحمد بن عبد الواحد (المتوفى سنة ٤٢٣) ولأحمد العميّ، ولإسحاق بن محمد بن أبان، ولصالح بن محمد الصرامي، وللجلودي. وآخر ما كتب عنه شاعر العقيدة ـ ط للعلامة الكبير السيد محمد تقيّ الحكيم، نشر في بغداد، وديوان السيد الحميري جمعه وحققه شاكر هادي شكر، نشرته دار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٩٦٦م.

(١) هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان: من أجواد العرب، في الجاهلية. يضرب به المثل. وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى. اشتهر هو وابن عمه «الحارث بن عوف بن أبي حارثة» بدخلهما في الاصلاح بين عبس وذبيان. قال الحارث ابن عوف، في قصة أوردها الأصفهاني: «.. فخرجنا حتى أتينا القوم، فمشينا بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير، في ثلاث سنين» وقال فيهما «زهير» قصيدته التي أولها:

«أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم»

ومات هرم قبل الإسلام نحو سنة ١٥ ق.هـ في أرض لبني أسد يقال لها «رزاء».

ترجمته في:

تزوجها أبوه لأنه كان نازلاً فيهم، وأم هذه المرأة أو جدّتها بنت يزيد بن مفرّغ بن ربيعة الحميري الشاعر، وليس ليزيد بن مفرغ عقب من ولد ذكر.

وزعم الأصمعي: أن السيد الحميري من ولد يزيد بن مفرغ وهو غلط، هكذا ذكر الإمام أبو القاسم الشريف المرتضى الموسوي في شرحه لقصيدته المذهبّة.

وقال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: أنه من ولد يزيد بن مُفَرَّغ[1].

ويمكن الجمع بين القولين بأن ولد البنت ولد، وعيسى عليه السلام من ولد إبراهيم عليه السلام بنص الكتاب.

قال أبو بكر الصولي: والسيد لقبٌ لقّب به لذكائه، فقيل سيكون سيّداً فَعَلِقَ به اللقب.

قال أبو القاسم المرتضى: أخبرنا على سبيل الإجازة أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمران المرزباني عن أشياخه، وأخبرني المرزباني قال: أخبرني محمد ابن يزيد النحوي قال: حدثني من سأل العبّاسة بنت السيد إسماعيل عن مولد أبيها قالت: ولد في سنة خمس ومائة، ومات سنة ثلاث وسبعين ومائة.

وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال: حدثني أبو عبد الله الحكمي قال: حدثني يموت بن المزرع قال: حدثني محمد بن حميد اليشكري قال: سئل أبو عمرو، مَنْ أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشّار.

وأخبرنا المرزباني قال: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي، قال: أخبرنا المغيرة بن يحيى، قال: أخبرنا الحسين بن الضحّاك[2] قال: ذاكرني مروان بن

= أمثال الميداني ١: ١٢٧ وشرح ديوان زهير، والأغاني ٩: ١٤١ ـ ١٤٣ والمحبر ١٤٣ وفي كتاب «سنا المهتدي ـ خ»: كان هرم بن سنان رئيساً في قومه، ولكن كان أخوه «خارجة بن سنان» أنبه منه، حتى سخر الله لهرم زهيراً، فظهر وخفي أخوه خارجة، الإعلام ط ٤/٨/ ٨٢.

(١) الأغاني ٧/٢٤٨.

(٢) هو أبو علي الحسين بن الضحاك، المعروف بالخليع، خراساني الأصل. ولد بالبصرة سنة ١٦٢هـ. كان إتصاله بالأمين بن الرشيد وثيقاً وله فيه مدائح كثيرة، ولما قتل الأمين أكثر من رثائه. وقبيل دخول المأمون بغداد ارتحل الحسين إلى البصرة وانزوى فيها، فلم يتعرض المأمون له بسوء. استقدمه المعتصم في أيامه إلى بغداد وقربه، ولم يزل مع خلفاء بني العباس إلى أيام =

أبي حفصة: مَنْ السيد بعد موته وأنا أحفظ شعره وشعر بشّار، فأنشدته من قصيدة السيد المذَهَبة التي أوّلها:

هلّا وقفت على المكان المعشبِ ... بين الضويلع واللوى من كبكبِ
أين التطرّب بالولاء وبالهوى ... نحو الكواذب من بروقِ الخلبِ
إلى أُمية أم إلى شيع التي ... جاءت على الجمل الخِدب الشوقبِ؟

حتى أتى على آخرها، فقال مروان: ما سمعت قط شعراً أفيض وأغزر معانيَ وأفصَح وأقوى من هذا.

قلت: وقد شرح هذه القصيدة أبو القاسم المرتضى لجودتها وما اشتملت عليه من الغريب، وهي:

هلاّ وقفت على المكان المعشبِ ... بين الطويلع فاللوى من كبكبِ[1]
فنجاد توضح فالنضائد فالشظا ... فرياض سنحة فالنقا من جونبِ[2]
طال الثواء على منازل أقفرت ... من بعد هند والرباب وزينب
أدْم حللن بها وهنَّ أوانس ... كالعين ترعى في مسالكِ اهضبِ[3]
يضحكن من طرب بهن تبسماً ... عن كل أبيض ذي غروب أشنبِ[4]

= المستعين. كان خليعاً ماجناً، متفننا في الشعر، له معان مبتكرة، قيل إن أبا نواس كان يأخذها عنه. توفي سنة ٢٥٠هـ.

ترجمته في: الأغاني ٧/١٤٣، الكنى والألقاب ٢/٢٠٠، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٩١، وفيات الأعيان ١/٤٢٤، شذرات الذهب ٢/١٢٣، وفيه أنه توفي سنة ٢٥١، تاريخ بغداد ٨/٥٤، طبقات ابن المعتز/٢٦٨، معجم الأدباء ١٠/٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/٢٠، حديث الأربعاء ٢/١٧٣، أنوار الربيع ٤/هـ ٦٠.

(١) الطويلع: ماء واللوى: رمل ملتو، وكبكب: جبل بعرفات.

(٢) النجاد: جمع نجد وهو ما أشرف من الأرض، وتوضح بضم التاء وكسر الضاد: مكان، والنضائد جمع نضيدة وليس في كتب اللغة ولا معجم البلدان مكان يسمى بالنضائد. وإنما قالوا الأنضاد من الجبال جنادل بعضها فوق بعض. والنضاد جبل. فيمكن اراد بالنضائد الجبال التي فيها حجارة منضدة، والشظا: وادٍ، وسنحة: موضع، النقا: قطعة رمل محدودبة، وجونب موضع.

(٣) الأدم: الظباء البيض فيها طرائق تضرب إلى السواد أو الحمرة و (العين) بكسر العين بقر الوحش، وأهضب: جمع هضبة وهي ما علا من الأرض.

(٤) الغروب: بالضم جمع غرب وهو الريق، والاشنب: البارد.

حور مدامعها كأنّ ثغورها ... وهناً صوافي لؤلؤ لم تثقبِ[1]

انس حللن بها أوانس كالدمى ... من بين محصنة وبكر خرعبِ[2]

لعساء واضحة الجبين أسيلة ... وعث المؤزّر جثلة المتنقبِ[3]

كنا وهن بغضرة ونضارة ... في خفض عيش راغد مستعذبِ[4]

أيام لي في بطن طيبة منزل ... عن ريب دهر خائن متقلبِ[5]

فعفا وصار إلى البلا بعد البنا ... وأزال ذلك صرف دهر قلّبِ

ولقد حلفت وقلت قولاً صادقاً ... بالله لم آثم ولم اتريبِ

لمعاشر غلب الشقاء عليهم ... وهوىً أمالهم لأمر متعبِ

من حميرٍ أهل السماحة والندى ... وقريشٍ آل الغرّ الكرام وتغلبِ

أين التطرّب بالولاء وبالهوى ... نحو الكواذب من بروق الخلبِ

ألإلى أمية أم إلى شيع التي ... جاءت على الجمل الخِدبّ الشوقبِ[6]

تهوى من البلد الحرام فنبّهت ... بعد الهدوّ كلاب أهل الحوأبِ

يحدو الزبير بها وطلحة عسكراً ... يا للرجال لرأي أمٍّ مشجبِ[7]

يا للرجال لرأي أمٍّ قادها ... ذئبان يكتنفانها في أذؤبِ

ذئبان قادهما الشقاء وقادها ... للحَيْن فاقتحما بها في منشبِ[8]

في ورطة لَحَجا بها فتحملت ... منها على قتب بأثم محقبِ[9]

أمٌّ تدبّ إلى ابنها ووليّها ... بالمؤذيات له دبيب العقرَبِ

أما الزبير فحاص حين بدت له ... جأواء تبرق في الحديد الأشهبِ[10]

---

(١) الوهن: قريب نصف الليل، ولم تثقب: خصها لأنها تكون حينئذ غير ملبوسة ولا مبتذلة.

(٢) الدمى جمع دمية وهي الصورة، والمحصنة ذات الزوج، والخرعب: الطويلة اللينة العصب.

(٣) اللعس، سواد الشفة، وعث المؤزر: لينة الأرداف، وجثلة المتقب: كثيفة الوجه.

(٤) النضارة: الخصب وكثرة المال، والغضارة: الحسن والرونق أو هي أثر النعمة في وجه الإنسان.

(٥) أي بدلاً عن ريب دهر.

(٦) الخدبّ: بكسر الخاء وفتح الدال وتشديد الباء: الضخم، والشوقب: الطويل.

(٧) عسكر: اسم الجمل.

(٨) الحين: بفتح الحاء الهلاك، والمنشب: من نشب في الشيء إذا علق به كما ينشب الصيد في الحبالة.

(٩) الورطة: الهلكة، ولحجا: أي نشبا، ومحقب: من أحقب الشيء: احتمله خلفه.

(١٠) حاص: بالحاء والصاد المهملتين ـ عدل وحاد. ويروى جاض وهي بنفس المعنى، والجأواء: الكتيبة التي يضرب لونها إلى السواد من صدأ الحديد، والأشهب: الأبيض يتخلله سواد.

حتى إذا أمن الحتوف وتحته | عاري النّواهق ذو نجاء ملهبِ[1]
أثوى ابن جرموز عمير شلوه | بالقاع منعفراً كشلو التولبِ[2]
واغتر طلحة عند مختلف القنا | عبل الذراع شديد أصل المنكبِ[3]
فاستلَّ حبَّة قلبه بمذلَّقٍ | ريَّان من دم جوفه المتصببِ[4]
في مارقين من الجماعة فارقوا | باب الهدى وحيا الربيع المخصبِ
خير البرية بعد أحمد من له | مِنّي الهوى وإلى بنيه تطرُّبي
أمسى وأصبح معصماً منّي له | ودٌّ وحبل ولاية لم يقصبِ[5]
ونصيحة خلص الصفاء له بها | منيّ وشاهد نصرةٍ لم يعزبِ
رُدّت عليه الشمس لما فاته | وقت الصلاة وقد دنت للمغربِ[6]
حتى تبلج نورها في وقتها | للعصر ثم هوت هويَّ الكوكبِ
وعليه قد حُبست ببابل مرة | أخرى وما حبست لخلق مغربِ[7]
إلا لأحمد[8] أو له ولردّها | ولحبسها تأويل أمر معجبِ

---

(١) النواهق: العظمان الشاخصان من ذي الحافر في مجرى الدمع. أي عاري النواهق من اللحم وهي صفة ممدوحة في الفرس، والنجاء: الاسراع، وملهب: سريع العدو.

(٢) الشلو: العضو من اللحم، والتولب: الجحش.

(٣) اغتر: من الغرة. يقال: أتاه على غرة وأصاب منه غرة فبطش به.

(٤) اختل: أي دخل في خلل قلبه.

(٥) معصماً: متمسكاً، ويتقصب: (بالصاد المهملة): يقطع، وفي نسخة يقضب بالضاد المعجمة وهو بمعناه.

(٦) حديث رد الشمس أو وقوف سيرها معجزة من معاجز النبي ﷺ وفضيلة عظيمة من فضائل الإمام علي ؑ. وملخصه: أن النبي عليه أفضل الصلاة السلام كان نائماً ورأسه في حجر علي ؑ. فلما حان وقت صلاة العصر كره الإمام أن ينهض لادائها فيزعج النبي ﷺ من نومه. فلما قارب وقتها للغروب انتبه النبي ﷺ ودعا الله سبحانه وتعالى بردها عليه فردها وصلى الصلاة في وقتها. وقد أورد الاميني في كتابه الغدير ٢: ١١٨ ـ ١٢٩ أسماء ستة كتب صنفت خصيصاً بهذه المعجزة النبوية والمكرمة العلوية. كما ذكر (٤١) مصدراً جلها أو كلها غير شيعية تثبت هذه الحادثة العظيمة وتصحح سندها.

(٧) روى الشيخ المفيد في (الإرشاد ١٦٤): أنه ؑ لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلى بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ففاتت الصلاة كثيراً منهم، فتكلموا في ذلك فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صارت على الحالة التي تكون عليها وقت العصر. فصلى الحصر بجميع أصحابه ثم غابت.

(٨) في هامش الأصل: «ليوشع».

ولـقـد سـرى فـيـمـا يـسـيـر بـلـيـلـة بـعـد الـعـشـاء بـكـربـلا فـي مـوكـبِ[1]
حـتـى أتـى مـتـبـتّـلاً فـي قـائـم ألـقـى قـواعـده بـقـاع مـجـدبِ[2]
تـأتـيـه لـيـس بـحـيـث تـلـقـى عـامـراً غـيـر الـوحـوش وغـيـر أصـلـع أشـيـبِ[3]
فـي مـدمـج زلـق أشـمّ كـأنـه حـلـقـوم أبـيـض ضـيّـق مـسـتـصـعـبِ[4]
فـدنـا فـصـاح بـه فـأشـرف مـاثـلاً كـالـنـسـر فـوق شـظـيّـة مـن مـرقـبِ[5]
هـل قـرب قـائـمـك الـذي بُـوِّئـتـه مـاء يـصـاب فـقـال مـا مـن مـشـرب
إلا بـغـايـة فـرسـخـيـن ومـن لـنـا بـالـمـاء بـيـن نـقـاً وقِـيٍّ سـبـسـبِ[6]
فـثـنـى الأعـنـة نـحـو وعـث فـاجـتـلـى مـلـسـاء تـبـرق كـالـلـجـيـن الـمـذهـبِ[7]
قـال اقـلـبـوهـا إنـكـم إن تـقـلـبـوا تُـرْووا ولا تـروون إن لـم تُـقـلـبِ

---

(١) في هذا البيت والأبيات التي تليه إلى البيت ٤٩ عرض الشاعر إحدى مناقب أمير المؤمنينعليه السلام عرضاً رائعاً وملخصها كما رواها الشيخ المفيد في إرشاده (١٥٧) والعاملي في أعيان الشيعة ١٢ : ٢٢٨ : أن أمير المؤمنينعليه السلام لما سار إلى حرب صفين أخذ طريق البر وترك الفرات. وأصاب أصحابه عطش شديد فلاح لهم دير، فهتف به. فأشرف راهب من صومعته. فقال له: هل قرب الدير ماء؟ قال: بيني وبين الماء أكثر من فرسخين. فسار قليلاً ونزل بموضع فيه رمل. وأشار إلى مكان فكشفوه. فأصابوا تحته صخرة بيضاء عظيمة تلمع. فأمرهم بقلعها فلم يقدروا. فاقتلعها بيده ونحاها فإذا تحتها ماء أرق من الزلال وأعذب من كل ماء. فشرب الناس وارتووا وحملوا منه. وردوا الصخرة والرمل كما كان. فنزل الراهب إليه وقال له: أنت نبي؟ قال: لا، أنا وصي محمد خاتم النبيينصلى الله عليه وآله. فأسلم الراهب وقال: إن أبي أخبرني عن جدي وكان من حواري عيسىعليه السلام أنه قال: إن تحت هذا الرمل عيناً من ماء أبيض من الثلج وأعذب من كل عذب لا يقع عليها إلا نبي أو وصي نبي. وأن هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها. وسار الراهب مع الإمام فاستشهد بصفين ليلة الهرير.

(٢) المتبتل: الراهب، القائم: صومعة الراهب..

(٣) الأصلع الأشيب: المراد به الراهب. والصلع محركة: إنحسار شعر مقدم الرأس.

(٤) المدمج: الشيء المستور والمراد به صومعة الراهب، الزلق: الذي لا تثبت عليه قدم، الأشم: الطويل المشرف، الأبيض: الطائر الكبير من طيور الماء. وتشبيه الصومعة الطويلة بحلقوم طائر الماء من أوقع التشبيه، ضيق مستصعب: صفتان لمدمج.

(٥) المائل: المتنصب. وشبه الراهب بالنسر لعلو سنه، الشظية: قطعة من الجبل منفردة، المرقب: المكان العالي.

(٦) النقا: قطعة من الرمل محدودبة، القي: بكسر القاف وتشديد الياء: القفر أو الصحراء الواسعة، السبسب: الأرض القفر كذلك.

(٧) الوعث: المكان اللين الذي تغيب فيه أخفاف الإبل، اجتلى: أي نظر إلى صخرة ملساء.

فاعصَوْصَبوا في قلعها فتمنعت | منهم تمنُّع صعبة لم تركبِ[1]
حتى إذا اعيتهم أهوى لها | كفاً متى ترد المغالب تغلبِ
فكأنها كرة بكف حزوّرٍ | عبل الذراع رحابها في ملعبِ[2]
فسقاهم من تحتها متسلسلا | عذباً يزيد على الألذّ الأعذبِ
حتى إذا شربوا جميعاً ردّها | ومضى فخلت مكانها لم يقربِ
اعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل | في فضله وفعاله لم يكذبِ[3]
ليست ببالغة عشير عُشيرها | قد كان اعطته مقالة مطنبِ
صهر النبي وجاره في مسجد | طهر بطيبة للنبيِّ مطيبِ[4]
سيّان فيه عليه غير مذمم | ممشاه إن جنباً وإن لم يجنبِ[5]

---

(١) أعصوصبوا: اجتمعوا وصاروا عصبة.

(٢) الحزوّر: الغلام القوي، العبل: الغليظ الممتلىء.

(٣) ابن فاطمة: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها. وهي أم اخوته طالب وعقيل وجعفر. وكانت كالأم الرؤوم لرسول الله صلى الله عليه وآله. تربى في حجرها وكان شاكراً لبرها. آمنت به في الأولين وهاجرت معه في جملة المهاجرين. وكانت أول هاشمية تلد لهاشمي. ولما قبضها الله سبحانه وتعالى إليه كفنها النبي صلى الله عليه وآله بقميصه ليدرأ عنها هوام الأرض واضطجع في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر. ولقنها الإقرار بولاية إبنها علي عليه السلام لتجيب عند المسألة بعد الدفن. فخصها بهذا الفضل العظيم لمنزلتها من الله عز وجل.

ولقد سأله صلى الله عليه وآله بعض أصحابه عندما فرغ من دفنها قائلاً: ما رأيناك صنعت بأحد مثل ما صنعت بفاطمة. قال عليه الصلاة والسلام: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها. وإنما البستها قميصي من حلل الجنة. واضطجعت في قبرها ليهون عليها.

(الإرشاد للشيخ المفيد: ٣ وأسد الغابة ٥: ٥١٧ وأعلام النساء ٤: ٣٣).

(٤) أراد بالمسجد: مسجد النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة المنورة. طيبة: اسم من أسماء المدينة. مطيب: أي طاهر. ويحتمل أن يكون مضمخ بالطيب.

(٥) يشير إلى ما روي من أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يسد جميع الأبواب النافذة إلى المسجد إلا بابه وباب علي وحرم على أي أحد أن يمر بالمسجد جنباً غيرهما. فتكلم في ذلك الناس. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي. فقال فيه قائلكم. وإني ما سددت شيئاً ولا فتحته. ولكني أمرت بشيء فاتبعته.

(أورد هذا الحديث الأميني في كتابه الغدير ٣: ١٧٦ ـ ١٨٣ والمظفر في كتابه دلائل الصدق ٢: ٢٦٠ ـ ٢٦٦ وقد أشبع كل منهما البحث درساً وتمحيصاً وأورد أسماء جميع مصادره من كتب الصحاح وغيرها من المصادر غير الشيعية).

وسرى بمكة حين بات مبيته	ومضى بروعة خائف مترقبِ[1]
خير البرية هارباً من شرها	بالليل مكتتماً ولم يستصحبِ[2]
إلاّ سوى رجل مخافة أنه	خشي الإذاعة منه عند المهرب
باتوا وبات على الفراش ملفَّعاً	فيرون أن محمداً لم يذهب[3]

---

(١) مبيته: يقصد الموضع الذي كان يبيت فيه النبي ﷺ وهذه إشارة إلى مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ ليلة الغار وسنورد هذه المأثرة العظيمة عند شرح البيت (٥٦) الروعة: الفزعة، والترقب: الإنتظار.

(٢) لم يستصحب: يقصد أن النبي ﷺ لم يستصحب أحداً عند خروجه من داره لأنه كان قد أمر أبا بكر وهند بن أبي هالة رضي الله عنهما أن يقعد له بمكان ذكره لهما في طريقه إلى الغار (أعيان الشيعة ٢: ٥٩).

(٣) في هذا البيت والأبيات التي تليه إلى البيت رقم ٦٢ يقص الشاعر حادثة مبيت أمير المؤمنين علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ ليلة هاجر من البلد الحرام مكة المكرمة وهي: ـ لما أجمعت قريش على قتل النبي ﷺ جاء إليه جبرئيل عليه السلام وأخبره بما عزمت عليه قريش وقال له لا تبت على فراشك. فدعا النبي ﷺ علياً عليه السلام وقال له إن الله سبحانه وتعالى أوصى إليّ أن أهجر دار قومي. وأن أنطلق إلى غار ثور. فارقد على فراشي واشتمل ببردى الحضرمي. وأعلم أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا ابن أم وامتحنني بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل. فصبراً صبراً فإن رحمة الله قريبة من المحسنين. ثم ضمه إلى صدره وأوصاه بقضاء ديونه وإنجاز عداته ورد الودائع إلى أهلها ثم خرج في سواد الليل وبيده قبضة من تراب نثرها على رؤوس المنتدبين من قريش للفتك به وكان يقرأ (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون) ـ يس ـ ٩ ـ ومضى حتى إنتهى إلى الغار وبصحبته أبو بكر رضي الله عنه. وبات علي على فراش النبي عليه السلام. فلما أصبح القوم وأرادوا الفتك به وهم لا يشكون أنه النبي ﷺ. ثار إليهم فتفرقوا عنه حين عرفوه. فأسقط في يدهم وانتقض تدبيرهم.

(دلائل الصدق ٢: ٨٠ والمناقب ١: ١٨٣ والإرشاد للمفيد٢٢). وفي تفسير الفخر الرازي ٥: ٢٢٣ ـ بات (علي) على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار. ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبرئيل عليه السلام عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة. ونزلت الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) ـ البقرة ـ ٢٠٧ ـ وجاء في ينابيع المودة(٧٥) نقلاً عن الثعلبي في تفسيره وابن عقبة في ملحمته وأبي السعادات في فضائل العترة والغزالي في الإحياء باسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة (ربيب النبي ـ ﷺ ـ أمه خديجة أم المؤمنين) أنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ أوصى الله إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت. فأوصى الله إليهما إني آخيت بين علي ولي وبين نبي فرقد على فراش النبي يقيه بمهجته. إهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه. فهبطا فجلس جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجعل جبرئيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب =

حتى إذا طلع الشميط كأنه | في الليل صفحة خدّ أدهم مغربِ[1]
ثاروا لأخذ أخي الفراش فصادفت | غير الذي طلبت أكفّ الخيّبِ
فوقاه بادرة الحتوف بنفسه | حذراً عليه من العدو المجلبِ
حتى تغيب عنهم في مدخل | صلى عليه الله من متغيبِ
وجزاه خير جزاء مرسل أمة | أدّى رسالته ولم يتهيّبِ
قالوا اطلبوه فوجهوا من راكب | في مبتغاه وطالب لم يركبِ[2]

= والله عز وجل يباهي بك الملائكة فأنزل الله تعالى (ومن الناس ـ الآية).

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة ٤ : ٢٥ والشبلنجي في نور الأبصار ٧٨ نفس الخبر المتقدم مع فوارق لفظية بسيطة.

وجاء في احتجاج المأمون على الفقهاء (أن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله ﷺ [بكى عليّ عليه السلام فقال له الرسول ﷺ]: ما يبكيك يا علي؟ أجزعاً من الموت؟ قال: لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك. أفتسلم يا رسول الله؟ قال نعم. قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء يا رسول الله. ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجى بثوبه. وجاء المشركون من قريش فخفوا به لا يشكون أنه رسول الله ﷺ. وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه. وعلي يسمع ما القوم فيه من تلف نفسه. ولم يدعه ذلك الجزع كما جزع صاحبه في الغار. ولم يزل علي صابراً محتسباً). (العقد الفريد ٥ : ٩٩).

(١) الشميط: الصبح. لاختلاط بياضه بباقي ظلمة الليل. وكل خيطين فهما شميط، والمغرب: من الخيل: الذي تتسع غرته في وجهه حتى تجاوز عينيه كما في تاج العروس. وفي الصحاح المغرب: ما أبيض اشفاره من كل شيء. وقال السيد المرتضى في شرحه للقصيدة (المغرب): هو الذي ابيضت أشفار عينيه.

(٢) في هذا البيت وما بعده من الأبيات إلى رقم (٦٨) صور الشاعر أوضح تصوير خروج النبي ﷺ من مكة المكرمة بعد أن تآمرت قريش على قتله والتجائه إلى غار ثور (وثور: جبل باسفل مكة): لقد أقض اختفاء النبي ﷺ على هذه الشاكلة مضاجع قريش. فأعلن زعماؤها عن جائزة مقدارها مئة ناقة لمن يرده عليهم. فراح الذين استهوتهم هذه الجائزة الكبيرة يجدون في طلبه حتى أوصلهم أثره إلى غار ثور. فوقفوا عنده حائرين لأنهم وجدوا نسج العنكبوت على مدخل الغار ووجدوا حمامتين واقفتين على فم الغار. فقال أحدهم: وقوف الحمامتين دليل على أن ليس في الغار أحد. وقال آخر إن على فم الغار من نسج العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد ثم إنصرفوا.

قال أبو بكر رضي الله عنه: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا. فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

ومكث النبي ﷺ في الغار ثلاث ليال. وبعد أن تيقن من انقطاع الطلب خرج ﷺ ليلة الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الأول فوجد عبد الله بن الأريقط وكان على موعد معه قد أحضر لهما راحلتين وبعيراً له. فركبوها وتوجهوا إلى المدينة المنورة.

نهاية الأرب ١٦ : ٣٣١ وسيرة ابن هشام ٢ : ٩٩). =

حتى إذا قصدوا لباب مغاره ألفوا عليه نسيج غزل العنكب

= وقال الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد ٢١١: «وأقبل بعض القرشيين يتسلقون إلى الغار ثم عاد أحدهم أدراجه. فسأله أصحابه مالك لم تنظر في الغار؟ فقال إن عليه نسج العنكبوت من قبل ميلاد محمد وقد رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس أحدفيه. ويزداد محمد امعاناً في الصلاة. ويزداد أبو بكر خوفاً فيقترب من صاحبه ويلصق نفسه به فيهمس محمد في أذنه: لا تحزن إن الله معنا ـ ثم يقول (٢١٣) وفي مطاردة قريش محمداً لقتله وفي قصة الغار هذه نزل قوله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال ـ ٣٠ ـ وقوله عز وجل (ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) التوبة ـ ٤٠ ـ».

ولقد إحتج إسحق بن إبراهيم (وهو أحد الفقهاء الذين ناظرهم المأمون) بهذه المأثرة. عند البحث عن المفاضلة بين أبي بكر وعلي. قال إسحق: قلت: وإن لأبي بكر فضلاً. قال المأمون: أجل، لولا أن له فضلاً لما قيل أن علياً أفضل منه. فما فضله الذي قصدت إليه الساعة؟ قلت: قول الله عز وجل (ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فنسبه إلى صحبته. قال: يا إسحق أما إني لأحملك على الوعر من طريقك. إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً. وهو قوله (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً. لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً) الكهف ـ ٣٧ و٣٨ ـ.

قلت: إن ذلك الصاحب كان كافراً وأبو بكر مؤمنا. قال: فإذا جاز إن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه ولا الثاني ولا الثالث. قلت: يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم. إن الله يقول (ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) قال: يا إسحق. تأبىٰ الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضاً أو سخطاً؟ قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه. قال: ليس هذا جوابي. إنما كان جوابي أن تقول رضى أو سخط. قلت: بل رضى لله. قال: فكأن الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضى الله عز وجل وعن طاعته. قلت: أعوذ بالله. قال: أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضى لله؟ قلت: بلىٰ قال: أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال له: لا تحزن نهياً له عن الحزن؟ قلت: أعوذ بالله. قال يا إسحق إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به. وحدثني عن قول الله (فأنزل سكينته عليه) من عنى بذلك، رسول الله أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول الله. قال: صدقت: قال فحدثني عن قول الله عز وجل (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) التوبة ـ ٢٥ و٢٦ ـ أتعلم من المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين. قال: الناس جميعاً إنهزموا يوم حنين. فلم يبق مع رسول الله ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم. علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله. والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله. والخمسة محدقون =

صنع الإله له فقال فريقهم ... ما في المغار لطالب من مطلب
ميلوا وصدهم المليك ومن يَرد ... عنه الدفاع مليكه لم يعطب
حتى إذا أمن الحتوف رمت به ... خوص الركاب إلى مدينة يثرب
فاحتل دار كرامة في معشر ... آووه في سعة المحل الأرحب
وله بخيبر إذ دعاه لراية ... ردت عليه هناك أكرم منقب[1]
إذ جاء حاملها فأقبل متعباً ... يهوي بها العدويّ أو كالمتعب
يهوي بها وفتى اليهود يشله ... كالثور ولّى من لواحق أكلب
غضب النبي لها فأنبأه بها ... ودعا أخا ثقة لكهل منجب[2]
رجلاً كلا طرفيه من سام وما ... حام له باب ولا بأبي أب[3]
من لا يفرُّ ولا يرى في نجدة ... إلا وصارمه خضيب المضرب[4]

= به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء. حتى أعطى الله لرسوله الظفر. فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة. ثم من حضره من بني هاشم. قال: فمن أفضل من كان مع رسول الله في ذلك الوقت أم من إنهزم عنه ولم يره الله موضعاً لتنزولها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة. قال: يا إسحق. من أفضل. من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة... إلخ (العقد الفريد ٥: ٩٧ و٩٨).

(١) في هذا البيت والأبيات التي تليه إلى رقم (٧٤) يروي الشاعر طرفاً من واقعة خيبر وتخلف أمير المؤمنين عن المعركة لأنه أرمد العينين ثم أحضره النبي وأعطاه الراية بعد أن شافاه الله من الرمد على يد النبي ﷺ في تلك اللحظة.

في السيرة الحلبية ٣: ٤٣ وعيون الأثر ٢: ١٣٥ وسيرة ابن هشام ٣: ٣٨٦ والكامل لابن الأثير ٢: ١٤٩ ودلائل الصدق ٢: ٢٥٤ نقلاً عن مسند أحمد والمستدرك للحاكم وكنز العمال والطبري وصحيحي البخاري ومسلم واللفظ لصاحب دلائل الصدق. إن المسلمين حاصروا خيبراً وأخذ اللواء أبو بكر. فانصرف ولم يفتح له. ثم أخذه عمر من الغد فرجع ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد. فقال رسول الله ﷺ: (إني دافع الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. كرار غير فرار. ولا يرجع حتى يفتح الله له). فبات الناس يتداولون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ وكلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أين علي؟ فقالوا: إنه أرمد العين، فأرسل إليه، فأتي. فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء. فأعطاه الراية ومضى عليه السلام، فلم يرجع حتى فتح الله على يديه. إنتهى.

(٢) أراد بالكهل المنجب: أبا طالب والد أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) كلا طرفيه: يقصد النسب من ناحيتي الأب والأم، سام: والد البيضان، وحام: والد السودان. وفي البيت تعريض بمن كانت أمه حبشية.

(٤) النجدة: القتال ـ الشجاعة ـ شدة البأس. والمعنى الأول هو المقصود.

فمشى بها قبل اليهود مصمماً يرجو الشهادة لا كمشي الأنكبِ[1]

---

(١) الانكب: المنحرف ومنه تنكب الطريق: إنحرف عنه.

في هذا البيت وما يليه إلى رقم (٨٨) عرض للمعركة التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين مرحب وجماعته من يهود خيبر. قال الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في إرشاده (٥٨): لما سلم رسول الله صلى الله عليه وآله الراية لعلي عليه السلام قال له: امض بها فجبرئيل معك. والنصر أمامك. والرعب مبثوت في صدور القوم. (وإعلم يا علي إنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم اسمه إيليا). فإذا لقيتهم فقل أنا علي فإنهم يخذلون إنشاء الله تعالى.

وجاء في الكامل لابن الأثير ٢: ١٤٩ ـ لما أتى علي إلى خيبر أشرف عليه رجل من يهود فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود. وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز.

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فأجاب علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات شديد قسوره

أكيلكم بالسيف كيل السندره

(الشطر الثاني من رجز الإمام عن الإرشاد ونهاية الأرب للنويري وغيرهما). وإختلفا بضربتين فبدره علي فضربه فقد الجحفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض. وقال الدكتور هيكل في كتابه حياة محمد (٣٨٨): بعث الرسول أبا بكر براية إلى حصن ناعم (أحد حصون خيبر) كي يفتحه فقاتل دون أن يفتح الحصن. وبعث الرسول عمر بن الخطاب في الغداة فكان حظه كحظ أبي بكر. فدعا الرسول إليه علي ابن أبي طالب ثم قال له خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك. ومضى بالراية. فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده. فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن. ثم جعل البابَ قنطرة إجتاز المسلمون عليها إلى داخل أبنية هذا الحصن.

وقال ابن الأثير في كامله ٢: ١٥٠: إن ثمانية من المسلمين إجتهدوا لأن يقلبوا الباب الذي تترس به علي عليه السلام فلم يتمكنوا. وقال الشيخ المفيد في الإرشاد (٥٨): لما قتل أمير المؤمنين مرحباً رجع من كان معه إلى الحصن وأغلقوا بابه عليهم. فعالجه أمير المؤمنين حتى فتحه وجعله على الخندق جسراً حتى عبر المسلمون فظفروا بالحصن ونالوا الغنائم فلما إنصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه فدحا به اذرعا من الأرض وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً.

وقال الفخر الرازي في تفيسره الكبير ٢١: ٩١ عند التعليق على تفسير الآية (٩) من سورة الكهف (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ـ إن كل من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب كان أقوى قلباً وأقل ضعفاً. ولهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية. وذلك لأن علياً كرم الله وجهه في ذلك الوقت إنقطع نظره عن عالم الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء فتقوى روحه وتشبه بجواهر الأرواح الملكية. وتلألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة. فلا جرم حصل من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره.

تهتز في يمنى يدي متعرض | للموت أروع في الكريهة محربِ[1]
في فيلق فيه السوابغ والقنا | والبيض تلمع كالحريق الملهبِ
والمشرفية في الأكف كأنها | لمع البروق بعارض متلجبِ
وذوو البصائر فوق كل مقلص | نهد المراكل ذي سبيب سلهبِ[2]
حتى إذا دنت الأسنة منهم | ورموا فنالهم سهام المقنبِ[3]
شدّوا عليه ليرجلوه فردهم | عنه بأسمر مستقيم الثعلبِ[4]
ومضى فاقبل مرحب متذمراً | بالسيف يخطر كالهزبر المغضبِ[5]
فتخالسا مهج النفوس فاقلعا | عن جري أحمر سائلٍ من مرحبِ
فهوى بمختلف القنا متجدلاً | ودم الجبين بخده المترّبِ[6]
أجلى فوارسه وأجلى رَجله | عن مقعص بدمائه متخضبِ[7]
فكأنّ زوّره العواكف حوله | من بين خامعة ونسر أهدبِ[8]
شعث لعافطة دعوا لوليمة | أو ياسرون تخالسوا في منهبِ[9]

---

(١) المحرب: الحسن البلاء في الحرب.

(٢) المقلص بكسر اللام وتشديده: مأخوذ من التشمير في الثياب. ووصف الفرس بذلك لتشمر لحمه وإرتفاعه عن قوائمه، نهد المراكل: أي كثير لحم المراكل وهي مواضع ركل الفارس برجله، السبيب: والسبيبه خصلة شعر الناصية، السلهب: الطويل.

(٣) المقنب كمنبر: جماعة الخيل إذا أغارت وليست بالكثيرة.

(٤) ليرجلوه: أي ليحطوه عن فرسه ويجعلوه راجلاً، الأسمر: الرمح، والثعلب: طرف الرمح الداخل في السنان.

(٥) متذمراً. من ذمر الأسد: زأر، يخطر: يمشي برمحه بين الصفين كما يخطر الفحل. ويقال خطر الفحل بذنبه عند الصيال كأنه يتهدد، الهزبر: الأسد.

(٦) مختلف القنا: الموضع الذي تختلف فيه جهات الطعن، متجدلاً: ملقى على الجدالة وهي الأرض السهلة.

(٧) أجلى: انكشف، وفوارسه، ورجله: أي الفرسان والرجالة، المقعص: المقتول. يقال مات قعصاً: إذا أصابته ضربة أو رمية فمات في مكانه.

(٨) العواكف: من العكوف وهو طول المقام، الخامعة: الخمع لأنها تتخمع في مشيتها والخمع والخماع: العرج، الأهدب: كثير أشفار العين. قال المرتضى رحمه الله: وإنما وصفه بأنه أهدب لسبوغ ريشه ولحوقه بالأرض.

(٩) شعث: بعيدي العهد بالدهن، لعافطة: جمع لعفط: النهم الشره، الياسرون: جمع ياسر هو الضارب بالقداح والمقامر على الجزور، تخالسوا: خلس بعضهم بعضاً أي أخذه خلسة وغفلة وذلك شأن المتقامرين، المنهب: موضع النهب.

فاسأل فإنك سوف تُخبر عنهم وعن ابن فاطمة الأغرّ الأغلبِ[1]

(١) ابن فاطمة: أمير المؤمنينعليه السلام أمه فاطمة بنت أسد، الأغر: في الأصل ذو الغرة البيضاء ويوصف بذلك الكريم النجيب، الأغلب: غليظ الرقبة يقال أسد أغلب.

(٢) ابن عبد الله عمرو: هو عمرو بن عبد ود العامري بطل الأحزاب وقائدهم وسماه عبد الله نظراً إلى الحقيقة إذ كل الناس عبيد الله. وهو الذي تحدى المسلمين وعبر الخندق الذي حفروه ليكون حائلاً بينهم وبين المشركين وعبر معه عكرمة بن أبي جهل ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب. وكان عبورهم من مكان ضيق أغفله المسلمون. وتحداهم مرة أخرى حيث وقف أمامهم وجهاً لوجه منادياً بأعلى صوته: ـ

ولقد بححت من النداء بجمـ ـعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجـ ـع وقفة الرجل المناجز
وكذاك إني لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي سلام الله عليه وقال: أنا له يا رسول الله. فقال النبيصلى الله عليه وآله إنه عمرو. ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين قائلاً: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبروزون لي؟ فقام عليعليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله. فقال: اجلس إنه عمرو بن عبد ود. ثم نادى الثالثة فقام عليعليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله. فقال: إنه عمرواً فقال وإن كان عمرو. فأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه وعممه بعمامته وقال: اللهم أعنه عليه. اللهم إنك أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة يوم أحد. وهذا علي أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. ثم تقدم أبو الحسن إلى عمرو وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذونية وبصيرة والصدق منجى كل فائز
إني لأرجو أن أقيـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبـ ـقى ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أكبر منك سناً، فإني أكره أن أهريق دمك. فقال: لكني والله ما أكره أن أهريق دمك. فغضب وقدم نحو عليعليه السلام. فقال له علي: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله على أن لا يدعوك أحد من قريش إلى إحدى خلتين إلا قبلتها. قال: أجل. قال علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسولهصلى الله عليه وآله وإلى الإسلام. فقال لا حاجة لي بذلك. قال عليعليه السلام: فإني أدعوك إلى البراز. فضحك عمرو وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعني بها. ثم نزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه. ودنا هو والإمام كل من الآخر فثارت بينهما غبرة. وضرب عمرو علياًعليه السلام بالسيف فنشب سيفه في ترس علي. ثم بادره أمير المؤمنين بضربة على حبل العاتق (هو موضع الرداء من العنق) فأرداه صريعاً يخور بدمه. فكبر الإمام وكبر المسلمون. وفر أصحاب عمرو وعبروا الخندق إلا نوفل بن عبد الله فإنه سقط في الخندق. فجعل المسلمون يرمونه بالحجارة. فقال لهم: قتلة أجمل من هذه ينزل إليّ بعضكم أقاتله. فنزل إليه أمير المؤمنينعليه السلام فقتله. وبقتل عمرو بن عبد ود وهروب أصحابه ثم =

وعـن ابـن عـبـد الله عـمـرو قـبـلـه		وعـن الـولـيـد وعـن أبـيـه الـصـقـعـبِ[1]

= بهبوب الريح الشديدة الباردة على المشركين انتهت المعركة بنصر مبين للنبي ﷺ. فتنفس المسلمون الصعداء بعد أن أخذ جيش الأحزاب بخناقهم. وأشاع المنافقون الذين في المدينة مختلف الأقاويل الكاذبة والحكايات المقلقة المشككة. ولهج النبي ﷺ بالدعوات إلى باريء سبحانه وتعالى فمما يؤثر من ادعيته في هذه الواقعة (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب) وقوله عليه الصلاة والسلام: (يا صريخ المكروبين. يا مجيب المضطرين، اكشف همي وغمي وكربي، فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي) وقوله ﷺ (اللهم استر عورتنا، وآمن روعتنا). ومن الآيات الكريمة التي نزلت بهذه المناسبة وفيها أروع تصوير للهلع الذي استولى على المسلمين من تفوق أعدائهم عليهم بالعدة والعدد. وللدور السيء الذي لعبه المنافقون المندسون في صفوف المسلمين، قوله تعالى في سورة الأحزاب (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) الآية ـ ١٠ ـ (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) الآية ـ ١١ ـ (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) الآية ـ ١٢ ـ إلى قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) الآية ـ ٢٥ ـ ورجع علي عليه السلام من المعركة فاستقبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: هلا سلبته درعه فإنه ليس في العرب درع مثلها. فقال له: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي. وقد قدرت أخت عمرو هذه الأريحية النادرة فاطرت قاتل أخيها بقولها:

لـو كـان قـاتـل عـمـرو غـيـر قـاتـلـه		بـكـيـتـه مـا أقـام الـروح فـي جـسـدي

لـكـن قـاتـلـه مـن لا يـعـاب بـه		قـد كـان يـدعـى قـديـمـاً بـيـضـة الـبـلـد

وخير وسام قلده النبي ﷺ لابن عمه البطل قوله عندما برز لعمرو (برز الايمان كله إلى الشرك كله) وقوله بعد مقتل عمرو (قتل علي لعمرو بن عبد ود العامري يعدل عبادة الثقلين) وقيل (أفضل من عبادة الثقلين).

(لخصنا هذا البحث عن السيرة الحلبية ٢: ٣٣٧ ـ ٣٤٢، والسيرة النبوية لزيني دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية ٢: ١٣٠ ـ ١٣٥، ونهاية الأرب للنويري ١٧: ١٧٣ ـ ١٨٣، والإرشاد للمفيد ٤٤ ـ ٤٩، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٦١ ـ ٦٢، ولسان العرب مادة بيض).

أما قول الشاعر (وعن الوليد وعن أبيه) يقصد الوليد وأباه عتبة بن ربيعة اللّذان قتلا مع شيبة في واقعة بدر، والصقعب: الطويل من الرجال.

(١) عرض الشاعر في هذا البيت والأبيات التي تليه إلى رقم (٩٩) ما جرى في غزوة بني قريضة وملخص الحادث: ـ

لما إنهزم الأحزاب خاف بنو قريضة ودخلوا حصونهم لأنهم هم الذين البوا قريشاً وحلفاءهم من هوازن وغطفان وغيرهم. وجمعوهم لمحاربة المسلمين ناقضين بذلك عهدهم الذي قطعوه للنبي ﷺ بأن يكونوا على الحياد في حربه مع قريش فأوصى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه بالمسير إلى بني قريضة. فانفذ أمير المؤمنين إليهم بثلاثة آلاف من المقاتلين فسار علي عليه السلام حتى ركز الراية في أصل حصن من حصونهم، ثم لحق النبي ﷺ بأصحابه، فضربت له خيمة هناك وأقام محاصراً لبني قريضة خمساً وعشرين ليلة، وفي اليوم التالي صاح أمير المؤمنين: يا كتيبة الإيمان، والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو أفتح حصنهم، عند ذاك أخذهم الرعب، فوافقوا على التسليم على =

وبني قريضة يوم فرّق جمعهم | من هاربين وما لهم من مهربِ[1]
ومـوائـلـين إلـى أزلّ ممنّع | راسي القواعد مشمخرٍ حوشبِ[2]
ردّ الخيول عليهم فتحصنوا | من بعد أرعن جحفل متحزبِ[3]
إن الضباع متى تحسّ بنبأة | من صوت أشوس تقشعرّ وتهربِ[4]
فدعوا ليمضي حكم أحمد فيهم | حكم العزيز على الذليل المذنبِ[5]
فرضوا بآخر كان أقرب منهم | داراً فمتوا بالجوار الأقربِ[6]
قالوا الجوار من الكريم بمنزل | يجري لديه كنسبة المتنسّبِ
فقضى بما رضي الإله لهم به | بالقتل والحرب الملحّ المحربِ[7]
قتل الكهول وكل أمرد منهم | وسبي عقائل بُدَّناً كالربربِ[8]
وقضى عقائلهم لكل مهاجر | دون الألى نصروا ولم يتهيبِ[9]

= أن يحكم سعد بن معاذ الانصاري في أمرهم، فجيء بسعد وكان مجروحاً بسهم في معركة الخندق. فقضى سعد عليهم بقتل الرجال عدا الشيوخ منهم وتقسيم الأموال بين المسلمين على أن يكون العقار للمهاجرين دون الأنصار وسبي الذراري والنساء ـ وهذا حكم التوراة بمن يخون العهد ـ فجيء بالأسارى إلى المدينة. وتولى أمير المؤمنين عليه السلام ضرب أعناقهم وكانوا بين ستمائة إلى تسعمائة حسب اختلاف الروايات (سيرة ابن هشام ـ ٣: ٢٥٢ ـ ٢٥٩، ونهاية الأرب للنويري ١٧: ١٨٧ ـ ١٩٣، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢: ٦٩ ـ ٧٣، والإرشاد للمفيد ٥٠ ـ ٥١).

(١) موائلين: لاجئين، والأزل: الذي تزل به الأقدام لطوله ووعورة طرقه وهو حصنهم، والمشمخر: العالي، والحوشب: بالحاء المهملة أو الشين المعجمة: العظيم الجنبين.

(٢) أرعن: من الرعن وهو أنف يتقدم الجبل ومنه قيل جيش أرعن أي له فضول كرعان الجبل، الجحفل: الجيش الكثير العدد، متحزب: قال المرتضى: مشتق من الحزب وهو الجماعة من الناس. وقال السيد الأمين؛ وقيل متحرب بالراء المهملة: أي غضبان. ويقال حربته بالتشديد أي حملته على الغضب.

(٣) النبأة: الصوت، الأشوس: الرافع رأسه تكبراً وأراد به هنا الأسد، تقشعر: ترجف.

(٤) الذليل إذا كان مذنباً: كان ذلك أشد لخضوعه.

(٥) متوا: من المت في النسب وهو أن تصل نفسك بغيرك. ورضي اليهود بحكم سعد لأنه كان جاراً لهم.

(٦) الملح: المستمر.

(٧) العقائل: الكرائم من النساء، البُدَّن: جمع بادن: الوافرة لحم الجسم، الربرب: جماعة بقر الوحش.

(٨) العقار: مصدر واسم من عقر النخلة. والمنزل والضيعة والأرض.

(٩) في هذا البيت والأبيات الثلاثة التي تليه إشارة لقضية غدير خم تلك القضية التي كانت ولا تزال سبب الخلاف الوحيد بين الطائفتين المسلمتين (الشيعة والسنة) وقد كثر الجدل حولها وصنفت =

= الكتب بل الموسوعات من أجلها ونظمت الملاحم لتخليد ذكراها.

إن المسلمين قاطبة متفقون على أن النبيﷺ نزل عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم وخطب الناس ومما قاله في خطابه وكان آخذاً بيد علي (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ولكن السنة يقولون أن كلمة (المولى) لها معان عديدة منها المعتق (بكسر التاء) والمعتق (بفتح التاء) والحلف. والجار. والابن. والعم. وابن العم. والمحب. والناصر. والمالك للأمر. واحتملوا إنطباق أي معنى من هذه المعاني إلا المعنى الأخير (المالك للأمر) الذي هو عبارة عن الأولى بالتصرف. وحجتهم على ذلك أنه: لو كان القصد من كلامهﷺ النص على خلافة عليﷺ بعده لما سكت أحد ممن حضر يوم الغدير عن خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

أما الشيعة فيرون أن النبيﷺ قصد بكلمة (المولى) معنى المالك للأمر حصراً. وذلك لعدم انطباق أي معنى آخر بالنسبة للمقام أو المقال واستدلوا على ذلك بقرائن عديدة منها: إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيهﷺ بهذا التبليغ بقوله عز من قائل ـ (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) ـ المائدة ـ ٦٧ ـ ومنها نزولهﷺ بذلك الموضع الذي لا يصلح للنزول إلا لكونه قريباً من مفترق الطرق وإنه خير موضع للتبليغ قبل تفرق المسلمين وذهابهم إلى ديارهم ومنازلهم.

ومنها: أن الوقت كان ضحى لا يستدعي النزول والتوقف عن السير إلا لأمر مهم جداً. فأنزلهمﷺ بالعراء في يوم قائظ شديد الحر وكان أكثر الناس يلف رداءه تحت قدميه. وأمر بجمع الرحال ووضع بعضها فوق بعض. ثم أمر مناديه بالصلاة جامعة. ولما حضروا صعد على الرحال حتى صار في ذروتها. ودعى علياً فرقى حتى قام عن يمينه. ثم خطب الناس ووعظ وبلغ ونعى إلى الأمة نفسه. ثم قال: (إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ـ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ـ فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ثم نادى بأعلى صوته (الست أولى بكم من أنفسكم) قالوا: اللهم بلى. فقال ـ على النسق من غير فصل وقد أخذ بضبعي أمير المؤمنين فرفعهما حتى بان بياض ابطيهما ـ (من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.. إلى آخر الخطاب).

فليس من المعقول أن تتخذ كل هذه الإجراءات من أجل أن يقول النبيﷺ للمسلمين أن علياً ابن عمي أو ناصري أو جاري أو ما أشبه ذلك من توضيح الواضح والاخبار بالبديهيات. ولقد بحث هذا الحدث التاريخي الديني المهم عدد كبير جداً من علماء ومؤلفي الشيعة من أقدم العصور إلى الآن، وألفوا فيه عشرات المجلدات، إلا أن العلامة المغفور له الشيخ عبد الحسين الأميني أشبع هذه القضية درساً وتمحيصاً خاصة في المجلدين الأول والثاني من كتابه القيم (الغدير) الذي طبع منه إلى الآن احد عشر مجلداً ولم يترك فيه زيادة لمستزيد. ولا يمكن أن يطرأ أي اعتراض على بال أي أحد من الناس إلا ويجد فيه الجواب الكافي الشافي. ولقد نظمت مئات القصائد في تخليد يوم الغدير. فمن أقدم ما قيل بهذا الشأن أبيات لحسان بن ثابت شاعر النبيﷺ أنشدها بين يدي النبيﷺ هي: =

وبخمّ إذ قال الإله بعزمة قم يا محمد بالولاية فاخطبِ[1]
وانصب أبا حسن لقومك أنه هادٍ وما بلّغت إن لم تنصبِ
فدعاه ثم دعاهم فأقامه لهم فبين مصدق ومكذبِ
جعل الولاية بعده لمهذّب ما كان يجعلها لغير مهذّبِ
وله مناقب لا ترام متى يرد ساع تناول بعضها بتذبذبِ[2]
إنا ندين بحب آل محمد دينا ومن يحببهمُ يستوجبِ
منا المودة والولاء ومن يرد بدلاً بآل محمد لا يحببِ
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد حوض الرسول وإن يرده يضربِ
ضرب المحاذر أن تعرَّ ركابه بالسوط سالفة البعير الأجربِ[3]
وكأن قلبي حين يذكر أحمداً ووصيَّ أحمد نيط من ذي مخلبِ[4]
بذرى القوادم من جناح مصعّدٍ في الجوّ أو بذرى جناح مصوّبِ[5]

= يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخم واسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه بانك معصوم فلا تك وانيا
وبلّغهم ما أنزل الله ربهم إليك ولا تخشى هناك الاعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه بكف علي معلن الصوت عاليا
فقال فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
الهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه وكن للذي عادى علياً معاديا

وللاطلاع على مصادر أبيات حسان يراجع كتاب الغدير ٢: ٣٢ ـ ٣٦.

(١) التذبذب: الاضطراب والتردد والتحير.
(٢) العر. بالفتح: الجرب، الركاب: الابل التي يسار عليها، السالفة: صفحة العنق.
(٣) نيط: علق، ذي مخلب: الطير الجارح.
(٤) الذرى. جمع ذروة من كل شيء أعلاه، القوادم: جمع قادمة وهن أربع ريشات في مقدم جناح الطائر. وتليهن المناكب ثم الأباهر ثم الخوافي ثم الذنابي أربعة أربعة فذلك عشرون ريشة. المصعد: بتشديد العين: الصاعد علواً، المصوب: الهاوي سفلاً.
(٥) يفري. بالفاء: يقطع، الحجاب: أراد به حجاب القلب، الصلّب: بضم الصاد وتشديد اللام: الشديد.

أعيان الشيعة ١٢: ٢٢٢ ـ ٢٣٦ والغدير ٢: ١٩٣، الكنى والألقاب ٢: ٣٠٨، وطبقات الشعراء ٣٥ والمناقب ٢: ١٩٢ و١٩٤ و٣: ١٤٩ ـ ١٥٠، والحيوان للجاحظ ٢: ٢٠٩، وكشف الغمة ٨٣ ديوانه ٨٣ ـ ١١٤، ومنه نقلنا هوامش الشرح هذه نصاً واقتباساً. وفي كثير من المصادر =

حتى يكاد من النزاع إليهما يفري الحجاب عن الضلوع الصلّبِ[1]
هبة وما يهب الإله لعبده يزدد ومهما لا يهب لا يوهبِ
يمحو ويثبت ما يشاء وعنده علم الكتاب وعلم ما لم يكتبِ

لعمري لقد أجاد السيد وأبدع بهذا الاتّساق في القوافي والمعاني والانسجام الذي يبرح بالمحاول والمعاني لم يتفق لسواه من تلك الطبقة ولا مما نشر المرتضى من طينها لطيمة وردية الخدود عبقة والشونب الطويل.

وقوله: «وما حامٌ له بأبٍ ولا بأَبي أب» يعني أمير المؤمنين الوصي عليه السلام وهو صادق في ذلك والذي أقوله: إن السيد أبا هاشم أراد ما هو مذهب العرب من المدح بشرف الأمهات واستقباح الهجنة لقلّة إنجابها، وأما إذا أنجب الهجين كعنترة العبسي والسليك بن السلكة فلا عيب، ثم إن الإسلام والقول بالشرف والتقوى، وأن إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله من مارية وهي جارية قبطية أهداها له المقوقس عامل مصر من قبل الروم، ولا شك أن القبط من ولد حام وأم إسماعيل بن إبراهيم هاجر القبطية بإجماع النسّاب، وهو أبو قريش أشرف العرب، وأبو ربيعة ومضر وسائر نزار أبطل ذلك، وقصة الإمام أبي الحسين زيد ابن علي مع هشام حين يمرّ بأمّة مشهورة، وأم الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام سلافة بنت يزدجرد الملك آخر الأكاسرة الساسانية وكانت سبيّة.

وذكر ابن عنبة الحسني في عمدة الطالب أن الإمام أبا الحسن موسى الكاظم، وولده الرضا وحفيده الجواد كان السواد في صورهم الغالب، لأن أم الكاظم حميدة البربرية، والرضا أمه نوبية[2]، ولا شك أن البربر والنوبة من ولد حام، وأراد المرتضى رحمه الله تعالى نصرة القول بأن أمهات الاثني عشر عليهم السلام لم

= الأخرى ولأهمية هذه القصيدة شرحها علم الهدى الشريف المرتضى بطلب من أبيه رضوان الله عليهما وطبعت مع الشرح في مصر عام ١٣١٣هـ.

وقال العلامة الأميني في غديره ـ وشرحها أيضاً الحافظ النسابة الأشرف بن الاغر المعروف بتاج العلي الحسيني المتوفى سنة ٦١٠هـ.

وشرحها العلامة السيد محسن الأمين العاملي وأثبت القصيدة، وشرحها في كتابه أعيان الشيعة كما هو مذكور في مصادر التخريج. وقد استفدت كثيراً من شروح المرتضى والعاملي رحمة الله عليهما فأثبتها نصاً و إقتباساً.

(١) عمدة الطالب ١٩٦ ـ ١٩٧.

يكن فيهن حاميات فذكر مادة خلاصتها إن أم الكاظم والرضا لم تثبتا إنهن من بني حام وإن كنَّ أمهات أولاد.

الذي أقوله: إن المرتضى أعلم بحال آبائه الأقربين وأئمته من ابن عنبة، لفضل المرتضى وعلمه النسب وكل علم.

وقد قيل إن البربر من ولد سام انتقلوا عن الشام بعد قتل داود جالوت، وقيل هم من حمير لأن صنهاجة ولواته وأزناته من قبائلهم، وهؤلاء القبائل هم الملتثمون، ومما يؤيد ذلك قول الشاعر فيهم:

قوم لهم درك العلى من حمير فإذا انتموا صنهاجة فهمُ همُ
لما حووا إدراك كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثّموا

وذكر الشيخ أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد[1]، في شرح الخطبة العلوية: أن السفاح لما صعد منبر الكوفة يوم بيعته وخطب الناس، قام إليه السيد الحميري فأنشده:

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من آيها الطامسا
دونكموها لا علا كعبُ مَنْ أمسى عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا
خلافة الله وسلطانه وعنصر كان لكم دارسا
لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا
والملك لو شُووِرَ في سائس لما ارتضى غيركم سائسا
لم يبق عبد الله[2] بالشام من آل أبي العاص امرءاً عاطسا[3]

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٩٩.

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عم أبي جعفر المنصور. وهو الذي هزم مروان بن محمد بالزاب وتبعه إلى دمشق وفتحها وهدم سورها ونبش قبور بني أمية وتتبع أحياءهم فأخذهم بالقتل فلم يفلت منهم إلا من هرب إلى الأندلس واستصفى أموالهم. فلما فرغ منهم قال:

بني أمية قد افنيت جمعكم فكيف لي منكم بالأول الماضي
يطيب النفس أن النار تجمعكم عوضتم من لظاها شرّ معتاض
منيتم - لا أقال الله عثرتكم - بليث غاب إلى الأعداء نهاض
إن كان غيظي لفوت منكم فلقد منيت منكم بما ربي به راضي

(الكامل لابن الأثير ٤: ٣٣١ والنجوم الزاهرة ٢: ٧).

(٣) شرح نهج البلاغة ١٥٨/٧، الأغاني ٢٤٠/٧، فوات الوفيات ٣٥/١، ديوانه ٢٥٨ - ٢٥٩.

قلت: قوله «لو خيّر المنبر» مما لا يحام حوله حسناً ونفاسة.

والسيد الحميري أحد الجماعة الذين لم يمكن حصر أشعارهم لكثرتها.

وكان الأصمعي[1] يقول لولا تشيّع السيد الحميري لاحتججنا بشعره في اللغة، فإنه من فصحاء العرب.

وكان النصب ينسب إلى الأصمعي بسبب أن جده علي بن أصمع سرق سرقة فجيء به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فأمر به فقطع من أشاجعه، فقيل له: يا أمير المؤمنين ألا قطعته من زنده، فقال سبحان الله كيف يتوضأ، كيف يأكل، كيف يشرب، فلما ولي الحجاج العراق، ركب يوماً فصاح به علي بن أصمع: أيها الأمير أن أبويَّ عقّاني فسمياني علياً، فسمّني أنت، فقال: نِعمَ ما توّسمت به، قد ولّيتك موضع كذا، (الموضع حقير بالسواد)، وأجريت عليك في اليوم دانقين، ووالله لئن تعديتها لأقطعن ما أبقاه علي من يديك، فَعُدّت هذه من كرامات علي عليه السلام.

وأشار السيد في القصيدة إلى خبر رجوع الشمس لعلي عليه السلام لما قام النبي صلى الله عليه وآله في حجره بعد العصر حتى غابت الشمس وكان يوحى إليه، فلما أسري عنه قال: اللهم إن علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد أن غربت حتى صلّى، ثم عادت، حديث مشهور عند الشيعة والعامة، وقيل إن ذلك وقع في غزاة خيبر.

وأما رجوعها أو حبسها له ببابل مرة أخرى فهو أيضاً خبر مستفيض بين

---

(١) هو أبو سعيد، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي، صاحب النوادر والملح المشهورة، كان أديباً لغوياً نحوياً محدثاً فقيهاً، روي عنه أنه قال: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة. اتصل بهارون الرشيد فحسنت حاله بعد أملاق. كان متهماً بالإنحراف عن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، قال أبو العيناء: كنا في جنازة الاصمعي فأنشدني أبو قلابة الجرمي لنفسه:

لعن الله أعظماً حملوها ... نحو دار البلى على خشبات

أعظم تبغض النبي وآل الـ ... ـبيت والطيبين والطيبات

ولد سنة ١٢٣هـ وتوفي سنة ٢١٦هـ على أشهر الروايات. من آثاره الكثيرة: كتاب خلق الإنسان، الانواء، المقصور والممدود، الميسر والقداح، والقلب والإبدال.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٤، نزهة الألباب/ ١١٢، شذرات الذهب ٢/ ٣٦، إنباه الرواة ٢/ ١٩٧، بغية الوعاة ٢/ ١١٢، هدية العارفين ١/ ٦٢٣، روضات الجنات/ ٤٣٩، الكنى والألقاب ٢/ ٣٢، تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠، وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٧٠، أنوار الربيع ٦/هـ ١٤٥.

الشيعة، وكان ذلك وهو سائر بالجيش قريب المدينة التي كانت قبل عمارة الكوفة، وهو الموضع المعروف بالجامعين قرب الحلة المزيدية، وقد شرح القصة الشريف المرتضى في شرح القصيدة وأشار إلى الأولى حازم في مقصورته بقوله:

وكم رأت عيني نقيض ما رأت ... من اطّلاع نورها تحت الدجى
فيالها من آية مبصرة ... أبصرها طرف الرقيب فامترى
فاغترته شبهة فضلّ عن ... تحقيق ما أبصره فما اهتدى
فظنَّ أن الشمس قد عادت له ... فانجاب جنح الليل عنها وانجلى
والشمس ما ردّت لغير يوشع ... لما غزا ولعلّي إذ غفى

ومن الاتفاقات الغريبة ما ذكر الإمام ابن الجوزي الحنبلي: أن المظفر المروزي الواعظ جلس يوماً ببغداد في جامع المنصور بعد العصر في شهر رمضان وأورد حديث ردّ الشمس لعلي عليه السلام وأخذ في ذكر فضائله، فنشأت سحابة اظلَمَّ لها الأُفق حتى ظنَّ إنّها قد غابت فأومأ إلى الشمس وارتجل:

لا تغربي يا شمس حتى ينقضي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانكِ إن أردت ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى رجوعك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات، فلا يدرى ذلك اليوم ما نثر عليه من الأموال.

قلت: اتفق له مع هذه البديهة لزوم ما يلزم، وقصّة قتل أمير المؤمنين لمرحب اليهودي شهيرة.

وما أحسن قول أبي الحسين الجزّار[1] في مدح أمير اسمه علي:

أقول لفقري مرحبا لتيقني ... بأن علياً بالمكارم قاتله

وقال ابن خلكان في تأريخه: إن الحافظ الدارقطني[2] كان يحفظ ديوان

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي: إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراآت وعقد لها أبواباً. ولد بدار القطن (من أحياء بغداد) سنة ٣٠٦هـ ورحل إلى مصر، فساعد ابن حنزابة (وزير كافور الإخشيدي) على تأليف مسنده. وعاد إلى بغداد فتوفي بها سنة ٣٨٥هـ. من تصانيفه كتاب «السنن ـ ط» وغيره.

ترجمته في: =

السيد الحميري فنسب إلى التشيّع[1].

ومن شعره الذي استشهد به الدميري عند ذكر الهرّ:

جاءت مع الأشقين في هودج ... تزجي إلى البصرة أجنادها
كأنه في فعلها هرَّة ... تريد أن تأكل أولادها[2]

وشعره في أهل البيت لا يحصى.

ورأيت في أخبار مقتل الحسين عليه السلام عن بعض الشيعة قال: رأيت في منامي رسول الله صلى الله عليه وآله وحوله الحسنان وفاطمة الزهراء ابنته وعلي عليه السلام إذ أقبل السيد الحميري، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مرحباً بشاعرنا أهل البيت، أنشدنا قصيدتك:

«لأمّ عمرو باللّوَى مَرْبَعُ»

وهي قصيدة طويلة، فأنشدها، وجعلت دموع رسول الله صلى الله عليه وآله تنحدر حتى بلغ إلى قوله فيها:

قالوا له لو شئت أخبرتنا ... من بعدك الغاية والمرجعُ

فرفع يده وقال: اللهم إشهد إني أعلمتهم أن الغاية والمرجع علي، وأشار إليه.

قال الراوي: فقصصت الرؤيا على أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فأكثر من التَّرحم على السيد، فقلت: يا سيدي إنه كان يشرب الخمر، فقال: إن الله يغفر لمحبينا أهل البيت شرب الخمر.

= وفيات الأعيان ٣/٢٩٧ ـ ٢٩٩ وسير النبلاء ـ خ. الطبقة الحادية والعشرون. ومفتاح السعادة ٢: ١٤ واللباب ١: ٤٠٤، وغاية النهاية ١: ٥٥٨، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٤ وهفننغ Heffening في دائرة المعارف الإسلامية ٩: ٨٨ ـ ٩٠، و(165) 173 :Brock. I، وطبقات الشافعية ٢: ٣١٠، وفهرس المخطوطات المصورة: القسم الثاني من الجزء الثاني ١٦٤، الإعلام ط ٤/٤/٣١٤.

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٩٧.

(٢) في حياة الحيوان الكبرى ٢/٣٨٥ الشعر:
«أما ترى الدهر وهذا الورى ... كهرة تأكل أولادها»

ولما قال عمران بن حطان الخارجي(١):

إنــي أديــن بــمــا دان الــشــراة بــه ... يوم النخيلة عند الجوسق الخربِ

قال السيد يعارضه:

إنــي أَدِيــن بــمــا دان الــوَصِــيّ بــه ... يـوم الـنُـخَـيْـلَـةِ مـن قـتـل الـمُـحِـلِّـيـنـا
وبـالـذي دانَ يـوم الـنـهـر دِنْـتُ بِـهِ ... وَشَـارَكَـتْـهُ مـعـاً كـفّـي بِـصِـفِّـيـنـا(٢)
تـلـك الـدمـاء مـعـاً يـا رب فـي عـنـقـي ... ومـثـلـهـا فـاسـقـنـي آمـيـن آمـيـنـا

وحكى أبو الفرج الكاتب الأصفهاني، وأبو منصور الأديب الثعالبي: إن السيد الحميري خرج ليلة بعد العصر، فبينما هو يسير في بعض شوارع الكوفة راكباً على فرس كميت عتيق وعليه حلّة مذهّبة إذ لاحت له امرأة برزة جميلة الوجه راكبة فرساً، فأعجبته وذهبت به كل مذهب، فمال إليها فسلّم، فردت أحسن ردّ، ثم تحاورا وتحدّثا أحسن محاورة وحديث، وقد عرفها ولم تعرفه، وهي الفجاءة بنت عمرو بن قطرى بن الفجاء. حتى خطب إليها نفسها، فضحكت وقالت: ونحن على الطريق، فإذا أصبحنا نظرنا في أمرك، فقال لها: لم يكن نكاح أم خارجة أسرع من هذا، فتبّسمت وقالت: بلى، فمن أنت: فقال:

إنـي امـرء حـمـيـري حـيـن تـنـسـبـنـي ... جـدّي رُعَـيْـن وأخـوالـي ذوو يَـزَنِ(٣)

---

(١) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، رأس القعدة، من الصفرية، لحق بالشراة، فطلبه الحجاج، فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عمان، فكتب الحجاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات سنة ٨٤هـ عندهم إباضياً. وإنما عد من قعدة الصفرية لأنه طال عمره وضعف عن الحرب فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه. وكان شاعراً مكثراً، وهو القائل من قصيدة:

«حتى متى لا نرى عدلاً نعيش به ... ولا نرى لدعاة الحق أعواناً؟»

ترجمته في:

الإصابة: الترجمة ٦٨٧٧ والكامل للمبرد ٢: ١٢١ وميزان الاعتدال ٢: ٢٧٦ والمؤتلف والمختلف ٩١ والسير للشماخي ٧٧ وشرح الشواهد ٣١٣ وخزانة البغدادي ٢: ٤٣٦ ـ ٤٤١، الإعلام ط ٤/٥/٧٠.

(٢) الأغاني ٧/ ٢٩٣.

(٣) ذويزن: من ملوك حمير.

فعرفته، وقالت: لا شيء أعجب من هذا، يماني وتميمية، وشيعي وحرورية، كيف يجتمعان، قال عليَّ أن لا نذكر نسباً ولا مذهباً[1].

فذكر الثعالبي: إنها تزوجته دائماً ولم تزل في حسن المعاشرة له حتى ماتا.

وأما أبو الفرج فزاد في الحديث: إنها قالت، أما علمت إنه إذا أرخيت الستور، وانكشف المستور، وظهرت خفيّات الأمور؟ قال: فأعرض عليك أخرى، قالت: وما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد، قالت: تلك أخت الزنا، فقال: لها أعيذك بالله أن تكفري بعد الأيمان، قالت: وكيف ذاك؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[2]، قالت: استخير الله وأقلّدك ومضت معه وقضى حاجته، وبلغ أهلها من الخوارج فتوعدوها بالقتل، فكانت تواصله متى وجدت إلى ذلك سبيلا[3].

واحسب أن قول الأصفهاني أصح، لأن العقد الدائم على الناصبية لا تجيزه الإمامية، بخلاف المتعة فتجوز بالكتابية، ويؤيد ما ذكره المرتضى وغيره إن السيد كان أولاً كيسانياً ثم عاد إمامياً، لأن المتعة لم تحلّها إلاّ الإمامية، وابن عباس وابن جريح والظاهرية بعد تحرم عمر لها، وكان رجوع السيد عن مذهبه إلى مذهب الشيعة الإمامية بدعاء الصادقعليه السلام إياه إليه، وقال قصيدة مطلعها: «تجعفرت باسم الله والله أكبر» وهي معروفة.

❀ ❀ ❀

والكيسانية: فرقة من الشيعة قالوا: الإمام بعد الحسينعليه السلام أبو القاسم محمد بن الحنفية رضي الله عنه[4]، ثم ولده أبو هاشم، ثم وصيّه محمد بن علي

---

(1) الأغاني ٧/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥ مع اختلاف بالنص.

(2) سورة النساء: الآية ٢٤.

(3) الأغاني ٧/ ٢٨٥.

(4) محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام: وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزاً له عنهما. وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني. كان واسع العلم، ورعاً، أسود اللون. وأخبار قوته وشجاعته كثيرة. وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي. وكانت الكيسانية (من فرق الإسلام) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى. ولد في المدينة سنة ٢١هـ وتوفي فيها سنة ٨١هـ وقيل: خرج إلى =

ابن عبد الله بن عباس، ثم ابنه إبراهيم الإمام قتيل مروان الحمار، وبهذا السبب انتقلت الإمامة إلى بني العباس، ومنهم أبو صخر كثير عزّة الشاعر المشهور[1] له في مذهبه:

ألا ان الأئِمـةَ مـن قـريـشٍ ... ولاةُ الـحـقّ أربـعـةٌ سَـواءُ
عـلـيٌّ والـثـلاثـةُ مـن بَـنِـيـه ... هُـمُ الأسْباطِ لـيس بـهـم خـفـاءُ[2]
فـسِـبْـطٌ سِـبْـطُ إيـمـانٍ وبِـرٌّ ... وسـبـطٌ غَـيَّـبَـتْـه كَـرْبَـلاءُ
وسِـبْـط لا يـذوق الـموتَ حـتـى ... يَـقـودَ الـخَـيـلَ يَـقْـدُمـهـا الـلـواء[3]
تـراه مـخـيِّـمـاً بـجـبـال رضـوى ... مـقـيـمـاً عـنـده عـسـل ومـاء[4]

لأنهم كانوا آملين حياة أبي القاسم، وإنه بجبال رضوى من بلاد الحجاز عنده عينان من عسل وماء، وإنه سيعود فيملأ الأرض عدلاً، وأمّا انتسابهم إلى كيسان فقيل أنه نبز كان ينبز به أبو إسحاق المختار بن أبي عبيدة الثقفي[5] القائم

= الطائف هارباً من ابن الزبير، فمات هناك. وللخطيب علي بن الحسين الهاشمي النجفي كتاب «محمد بن الحنفية - ط» في سيرته.
ترجمته في:
طبقات ابن سعد ٥: ٦٦ ووفيات الأعيان ٤/١٦٩ - ١٧٣ وصفة الصفوة ٢: ٤٢ وحلية الأولياء ٣: ١٧٤ والبدء والتاريخ ٥: ٧٥ وفيه: وفاته بالطائف زمن الحجاج. وتهذيب الأسماء واللغات: القسم الأول من الجزء الأول ٨٨ ونزهة الجليس ٢: ٢٠٤ ومحمد ابن الحنفية للهاشمي، وفيه ترجيح لادته سنة ١٥، الإعلام ط ٤/٦/٢٧٠.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٣٧.

(٢) الثلاثة: يعني بهم محمد بن الحنفية والحسن والحسين.

(٣) يعني بسبط الأعيان الحسن بن علي، والسبط الذي غيّبته كربلاء هو الحسين بن علي وقد قتل في كربلاء بالعراق، والسبط الذي لا يذوق الموت هو محمد بن الحنيفة.

(٤) المذاهب الإسلامية ٦٩، مروج الذهب ٣/٨٧، الملل والنحل ١/٢٤١، تاريخ الإسلام ١/٤٠٥ منسوبة لكثير، وفي الأغاني ٧/٢٦٥ للحميري، أعيان الشيعة ١٢/١٥٣، إكمال الدين للصدوق ١٧.

(٥) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين على بني أمية، وأحد الشجعان الأفذاذ. من أهل الطائف ولد سنة ١هـ. انتقل منها إلى المدينة مع أبيه. في زمن عمر. وتوجه أبوه إلى العراق فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة منقطعاً إلى بني هاشم. ثم كان مع علي بالعراق، وسكن البصرة بعد علي. ولما قتل «الحسين» سنة ٦١هـ، قبض عليه ابن زياد وجلده وحبسه، ونفاه بشفاعة ابن عمر إلى الطائف. ولما مات يزيد بن معاوية (سنة ٦٤ وقام عبد الله بن الزبير في المدينة بطلب الخلافة، ذهب إليه المختار، وعاهده، ثم استأذنه في التوجه إلى الكوفة ليدعو الناس إلى طاعته، فوثق به، وأرسله، ووصى عليه. غير أنه كان أكبر همه منذ =

بثأر الحسين عليه السلام والقاتل لقتلته عمر بن سعد بن أبي وقاص، وابن زياد، وشمر ابن ذي الجوشن الضبابي، وكان المختار رأس التوابين الثائرين بدم الحسين النادمين على خلاذنه من أهل الكوفة، وكان كيسانياً، لكن له مناقب بقتله أعداء الله لم تكن لغيره، ولما ادعى ابن الزبير الخلافة بمكة صحبه المختار فكان يمكر به ويخادعه حتى خافه ابن الزبير فبعثه إلى الكوفة والياً فضبطها وخلع ابن الزبير ودعا إلى أهل البيت وجهّز إبراهيم بن الأشتر في ستة آلاف فارس لمقاتلة عبيد الله بن زياد في الجزيرة بموضع يعرف بعين الوردة، وقد أقبل من الشام ليأخذ الكوفة لمروان بن الحكم ومعه ما يزيد على ثلاثين ألف فارس فيهم الحصين بن نمير السكوني الذي رمى الكعبة بالمنجنيق أيام يزيد.

وقال أبو العباس المبرد[1] في الكامل: إنه قتل في تلك الوقعة من أصحاب ابن زياد ثلاثة وسبعون ألفاً ولم يقتل من أصحاب إبراهيم بن الأشتر

= دخل الكوفة أن يقتل من قاتلوا «الحسين» وقتلوه، فبايعه زهاء سبعة عشر ألف رجل سراً، فخرج بهم على والي الكوفة عبد الله بن مطيع، فغلب عليها، واستولى على الموصل، وعظم شأنه. وتتبع قتلة الحسين، فقتل كثيرين ممن كان لهم ضلع في تلك الجريمة. وعمل مصعب بن الزبير، وهو أمير البصرة بالنيابة عن أخيه عبد الله، على خضد شوكة المختار، فقاتله؛ ونشبت وقائع انتهت بحصر المختار في قصر الكوفة، وقتله ومن كان معه سنة ٦٧هـ. ومدة إمارته ستة عشر شهراً، وسمىّ صاحب كتاب «الغدير» واحداً وعشرين مصنفاً في أخباره.

ترجمته في:

الإصابة: ت ٨٥٤٧ والفرق بين الفرق ٣١ ـ ٣٧ وابن الأثير ٤: ٨٢ ـ ١٠٨ والشعور بالعور ـ خ. والطبري ٧: ١٤٦ والحور العين ١٨٢ وثمار القلوب ٧٠ وفرق الشيعة ٢٣ والمرزباني ٤٠٨ والأخبار الطوال ٢٨٢ ـ ٣٠٠ والذريعة ١: ٣٤٨ و٣٤٩ وأنظر منتخبات في أخبار اليمن ٣٢ و «الفاطميون في مصر» ٣٤ ـ ٣٨ وفيه بحث عن علاقة المختار بالكيسانية. وفي التاج ٤: ٢٣٨ والقاموس: كيسان لقب المختار بن أبي عبيد المنسوب إليه «الكيسانية» الطائفة المشهورة. والغدير ٢: ٣٤٤ ـ ٣٤٥، الإعلام ط ٤/٧/١٩٢.

(١) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة سنة ٢١٠هـ ووفاته ببغداد سنة ٢٨٦هـ. من كتبه «الكامل ـ ط» و «المذكر والمؤنث ـ خ» و «المقتضب ـ ط» وغيرها.

ترجمته في:

بغية الوعاة ١١٦ ووفيات الأعيان ٤/٣١٣ ـ ٣٢٢ «وفاته سنة ٢٨٦ وقيل ٢٨٥» وسمط اللآلي ٣٤٠ والسير في ٩٦ وتاريخ بغداد ٣: ٣٨٠ وآداب اللغة ٢: ١٨٦ ولسان الميزان ٥: ٤٣٠ ونزهة الألبا ٢٧٩ وطبقات النحويين ١٠٨ ـ ١٢٠ وعاشر أفندي ٦٧، الإعلام ط ٤/٧/١٤٤.

إلاّ أقل من مائة رجل، وفيهم يقول الشاعر:

برزوا نحوهم بسبعة الآف أرتهم عجائباً في اللقاءِ
فجزاك ابن مالك وأبا إسحاق عنّا الإله خير الجزاءِ

ابن مالك: هو ابن الأشتر.

وأبو إسحاق: كنية المختار.

ورواية المبرد تقتضي أن عسكر الشام نحو الثمانين ألف، وعسكر إبراهيم سبعة آلاف.

وذكر الكلام الأول الذهبي في تأريخ الإسلام(١).

والتقى إبراهيم بن الأشتر وعبيد الله بن زياد في تلك الوقعة وعبيد الله مكفّر بالدرع واللّامة فضربه إبراهيم فقتله فلم يعرفه ففاح منه عرف المسك فأنكرها إبراهيم فتعرفوه فحزّ رأسه وأدخله الكوفة، فلما رآه المختار خرّ ساجداً ثم وجّه إلى عمر بن سعد وابنه حفص وضرب رأسيهما، وقال: عمر بالحسين وحفص بعلي بن الحسين، ولا سواء.

وبعث إلى شمر فهرب فتبعه أصحاب المختار فأتوا برأسه، ثم أن المختار وجّه هذه الرؤوس الخبيثة إلى أبي القاسم محمد بن الحنفية فوجهها أبو القاسم رضي الله عنه من مكة إلى زين العابدين عليه السلام وهو بالمدينة فوافته وهو يتغدى مع أصحابه، فخرّ لله ساجداً ودعا للمختار، وكان عليه السلام آلى أن لا يلبس الجديد، ولا يمسّ الطيب، ولا يضحك مذ رأى مصاب أبيه حتى ينتقم الله له، فلما كان ذلك اليوم ضحك وسُرّ سروراً عظيماً وحمد الله تعالى..

وخان أهل الكوفة المختار على عادتهم، وذلك أن عبد الله بن الزبير وجّه إليه أخاه مصعباً في أهل البصرة فخانه أصحابه فقتله مصعب في الحرب، وظفر بمن ثبت معه وهم سبعة آلاف ـ وقال ابن قتيبة ثمانية آلاف ـ فقتلهم صبراً في يوم واحد حتى قال له أخوه عروة منكراً لما فعل: أرأيت لو أنك ذبحت سبعة آلاف من الغنم التي لأبيك في ساعة واحدة أما كنت تعد مسرفاً، فكيف بسبعة آلاف

---

(١) تاريخ الإسلام ٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١.

قتلتهم من المسلمين، قال: نعم، وقيل: إن القائل له هذه المقالة عبد الله بن عمر ابن الخطاب.

ومن قبائح مصعب أنه قتل عمرة بنت النعمان بن بشير زوجة المختار أمرها أن تتبرء من المختار وأهل البيت، فقالت: لا يراني الله متبرئة من أهل رسوله ولا من ناصرهم، فكتب إلى أخيه عبد الله بخبره فعاد جوابه بقتلها إن لم تتبرء، وذكر ساعة قتلها وما فعل بها ابن الأثير الجزري في تأريخه، رحمها الله تعالى، فضرب رقبتها[1].

وقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

إنّ من أكبر الكبائر عندي ... قتل بيضاء حرّة عطبولِ
قتلت حرّة على غير جرم ... إن لله درها من قتيلِ
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرّ الذيولِ

وذكر أبو الفرج الكاتب الأصبهاني: إن أخت عمرة هذه كانت شاعرة لطيفة ماجنة وكانت زوج رَوْح بن زنباع الجذامي[2] وزير عبد الملك بن مروان وكان أسوداً ضخماً، وقالت له يوماً: كيف تَسود وفيك خصلتان مذمومتان، أنت من جُذَام، وأنت غيور، فقال: يا هذه أما إني من جُذَام فأنا من أشرافها وحسب الرجل أن يكون في بيت شرف قومه، وأما الغيرة فمن المروءة أن يغار الإنسان على المرأة الورهاء الحمقى مثلك خشية أن تأتي بولد من غيره فترميه به، وقيل: عيّرته بثلاث خصال منها السواد، فأجابها عنه بأن المسك أسود ولها فيه:

بكى الخَزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلدَه ... وعَجَّتْ عَجِيجاً من جُذَامَ المَطارِفُ

---

(١) الكامل لابن الأثير ٣/٣٨٦.

(٢) روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها. قيل: له صحبة. كان عبد الملك بن مروان يقول: جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز. وله مع عبد الملك وغيره أخبار، توفي سنة ٨٤هـ.

ترجمته في:

الإصابة: الترجمة ٢٧٠٧ وتهذيب ابن عساكر ٥: ٣٣٧ والبداية والنهاية ٩: ٥٤ وسمط اللآلي ١٧٩. الإعلام ط ٤/٣/٣٤.

وقال العَبَا قد كُنت قدماً لباسَهم ... وأكسيةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطائفُ

وكان ربّما ضجر منها فيدعو عليها بقوله: بلاك الله برجل يملأ خدّك لطماً وحجرك قيئاً، ثم طلقها، فتزوّجها الفَيْض بن محمد بن أبي عقيل الثقفي[1] وكان شاباً يصيب من الشراب فأحبّته وكان ربما سكر فتقيأ في حجرها ولطمها، فقالت فيه:

سُمّيت فَيضاً وما شيءٌ تَفِيضُ بِهِ ... إلاّ بِسَلْحِكَ بين البابِ والدارِ
فتلك دعوةُ رَوْحِ الخيرِ أعلَمُها ... سقَى ثراهُ الآله الأوْطَفَ السَّارِي[2]

ومن شعرها في بعض أزواجها:

نكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءني ... فيالَكِ من نَكْحَةٍ غاويهْ
لعمر دِمَشْقَ لشُبَّانُها ... أحبُّ إلينا من العالِيهْ[3]
ترى زوجة الشيخ مهمومة ... وتمسي لصحبته قاليهْ
فلا بارك الله في عوده ... ولا في غصون استه الباليهْ

وكان عبد الله بن الزبير مع شجاعته كثير النصب، لم يكفه يوم الجمل حتى حصر بني هاشم وفيهم محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس بشعب أبي طالب في مكة، وجمع الحطب لإحراقهم، فلولا اتفق ورود أبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف وجهه المختار من الكوفة لنصرة أبي القاسم بن الحنفية فهجم السجن واستنقذهم لهلكوا، وترك الصلاة على النبيﷺ في الخطب أربعين جمعة لئلا تشمخ أنوف بني هاشم إذا ذكره، وله حكايات في البخل يطول سردها، ومنها:

ما حدّث به العتبي قال: قدم معن بن أوس المزني الشاعر المشهور مكة على ابن الزبير، فأنزله دار الضيفان، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان، فأقام معن يومه لم يطعم شيئاً، حتى إذا كان الليل جاءَهُم ابن الزبير بتيس هرم هزيل فقال: كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلاً، فغضب معن وخرج من عنده وأتى عبد الله بن عباس فقراه وحمله وكساه، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدّثه

---

(١) في الأغاني: الفيض بن محمد بن الحكم أبي عقيل.
(٢) الأوطف من السحاب: الداني من الأرض. ملخصاً عن الأغاني ٩/٢٦٣ ـ ٢٦٨.
(٣) الأغاني ٩/٢٦١.

بحديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثاً، ثم رحل، وقال يهجو عبد الله بن الزبير، ويمدح ابن جعفر وابن عباس:

ظللنا بمشتد الرياح عذية ... إلى أن تعالى اليوم في شرّ محضرِ
لدى ابن الزبير جالسين بمنزل ... من الخير والمعروف والبرّ مقفرِ
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا ... بتيس من الشاه الحجازي أعفرِ
وقال: اطعموا منه ونحن ثلاثة ... وسبعون إنساناً فيا لؤم مخبرِ
فقلت له: لا تقربن فأمامنا ... جنان ابن عباس العلى وابن جعفرِ
وكن آمناً وارفق بتيسك إنه ... لذو اعنز ينزو عليهن أنسرِ

وقال أبو عبيدة: عجباً من العرب تضرب المثل ببخل مادر لأجل قضية، ويحتمل التأويل. ويغفلون عن ابن الزبير الذي قال لأصحابه وقد أطعمهم تمراً: لعنكم الله أكلتم تمري وعصيتم أمري.

وقال لرجل من عسكره يقاتل عن دولته: رآه وقد دقَّ في صدور أهل الشام ستة رماح: اعتزل حربنا فإن بيت المال لا يحتمل هذا.

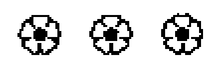
وقال لرجل يبيع الدقيق: لعن الله بضاعتك هذه التي هي مؤنة ضرس، وضمان نفس.

وسَمِع أن هلال بن الأشعر جاع في سفر فأكل بعيره، فقال لأصحابه دلّوني على قبره حتى أنبشه.

وساق أبو عبيدة عجائب له في البخل.

وزعم آخرون أن المختار كان كذّاباً في دعائه إلى ابن الحنفية.

وذكر أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل: إن محمد بن الحنفية حين بلغه دعاء المختار إليه همَّ بالقدوم إلى الكوفة، فأقلق ذلك المختار فكتب إليه أن للمهدي علامة تبرز أول ظهوره للناس فيضربه رجل منهم بسيف ولا يضرّه، فذلك هو المهدي المُبشر به، فكفَّ محمد عمّا همَّ به من الخروج[1].



(١) الأوائل.

ويزيد بن مفرّغ جدّ السيد من أمّه: هو أبو عثمان، يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري وقيل مولاهم، الشاعر المشهور[1]، وإنّما لقب جده مفرّغاً لأنه راهن على سقاء فيه لبن أن يشربه كله فأفرغه في جوفه[2]. وقد ذكرنا في الترجمة التي قبل هذا[3] سبب هجائه عبَّاد بن زياد بن أبيه وهو شاعر متصرف، ومن مشهور قوله:

لا ذَعَرْتَ السَّوامَ في فَلَقِ الصبـ ـح مغيراً ولا دُعِيتُ يزيدا
يومَ أُعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أن أحيدا

والأبيات التي هجا بها عبَّاداً إلى غاية الجودة، وكان حبسه بعد البيت الذي ذكرناه[4] هناك.

وكان لابن مفرّغ غلام عزيز عليه اسمه برد، وجارية اسمها الأراكة، وكان الغلام يدخل عليه السجن ويخرج، فدسّ عبَّاد غرماه أنهم يطالبوه فرافعوه إلى عبَّاد، فلم يكن عنده ما يرضيهم به طباع عبَّاد منهم بردا والأراكة، فقال يزيد:

أَصَرَمْتَ حبلك من أُمامَهْ من بعد أيّام بِرامَهْ
فالرِّيحُ تبكي شَجْوَها والبرقُ يَضْحَك في الغَمامَهْ
لَهَفي على الأمْرِ الذِي كانت عواقِبَهُ نَدَامَهْ
تَرْكِي سَعِيداً ذَا النَّدى والبَيْت تَرْفَعُهُ الدِّعامَهْ
ليثاً إذا شهد الوغى ترك الهوى ومضى أمامَهْ
فُتِحَت سَمَرْقَنْدٌ له وبَنَى بعَرْصَتِها خِيامَهْ
وتَبِعْتُ عَبْدَ بَنِي عِلا ج، تِلْكَ أشْراطُ القِيامَهْ![5]
جاءَت بِهِ حَبَشِيَّةٌ سَكَّاءُ تحسَبُها نَعامَهْ[6]
من نسوة سود الوجو ه ترى عليهن الدمامَهْ

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٢) الأغاني ٧/ ٢٤٩.
(٣) انظر الترجمة رقم ٣٠.
(٤) وفيات الأعيان ٦/ ٣٥٣.
(٥) بنو علاج: بطن من ثقيف.
(٦) سكاء: صغيرة الأذنين.

وشَــرَيْــتَ بُــرداً لَــيْــتَــنِـي ... مــن بَـعْـدِ بُـرد كُـنـتُ هـامـه[1]

هــامــه تــدعُـــو صـــدًى ... بـيـن الـمُـشَـقَّـر والـيـمَـامَـة[2]

فــالــهــول يَــرْكَـبُـه الـفَـتَـى ... حَـذَرَ الـمَـخـازِي والـسَّـآمَـة

والـعَـبْـد يُـقْـرَعُ بـالـعَـصَـا ... والـحُـرُّ تَـكْـفِـيـه الـمَـلامَـة[3]

وسعيد الذي ندم على تركه: هو ابن عثمان بن عفّان، وكان عرض عليه أن يصحبه إلى خراسان فأبى عليه وصحب عبّاداً.

ومن شعر يزيد بن مفرّغ:

ألا طَرَقَتنا آخرَ اللَّيل زَيـنَـبُ ... عليكِ سلامُ الله هَلْ فات مَطْلَبُ؟

وقالت: تَجَنَّبْنا ولا تَقْرَبَنَّنَا ... فَكَيْفَ وأنتمُ حاجَتِي أتَجَنَّبُ؟[4]

وله في بيع غلامه برد:

شَريتَ بُرداً ولو مُلّكت صَفْقَته ... لَمَا تطلَّب في بَيْع له رَشَدَا

لولا الدَّواعي ولولا ما تَعَرَّضَ لي ... من الحوادث ما فارقْتُه أبَدا

يا بُردُ ما مَسَّنَا دَهْرٌ أضرَّ بنا ... من قَبْل هذا ولا بِعْنا له وَلَدا[5]

ثم بعد هجائه وهجاء بني زياد بالأهاجي المشهورة، طلبه عبيد الله بن زياد بعد أن كتب إلى يزيد يخبره أنه هجاه وأنه قذف إبا سفيان بالزنا بقوله فيه:

فأشهدُ أنَّ رحْمَكَ مِن زيادٍ ... كآل الفيل من وَلَدِ الأتانِ

وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصخرٌ من أُمَيَّةَ غيرُ دانِي[6]

---

(1) الهامة: البومة. قال عبيدة: أما الهامة فإن العرب كانت تقول أن عظام الموتى، وقيل أرواحهم، تصير هامة فتطير. وقيل: كانوا يسمون ذلك الذي يخرج من هامة الميت الصدى(اللسان مادة هوم ج١٢ ص٦٢٤).

(2) المشقّر: هو حصن بين نجران والبحرين يقال إنه من بناء طسم وهو على تل عال ويقابله حصن بني سدوس. وقال غيره: المشقّر حصن بالبحرين. (ياقوت ج٥ ص١٣٤).

(3) الأغاني ١٨/٢٦٩، وفيات الأعيان ٦/٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(4) الأغاني ١٨/٢٧٨، وفيات الأعيان ٦/٣٥٢.

(5) الأغاني ١٨/٢٦٧، وفيات الأعيان ٦/٣٤٦.

(6) الأغاني ١٨/٢٧٤، وفيات الأعيان ٦/٣٥٠.

وغير ذلك، فأمره بطلبه، فاستجار بالأحنف بن قيس[١] فلم يجره، وقال: لا أجير على ابن سميّة، وإنما يجير الرجل على عشيرته، فاستجار بالمنذر بن الجارود العبدي[٢] وكان أكرم الناس على ابن زياد بسبب أن ابنته تحته، فأجاره مغتراً، فبعث عبيد الله الشرط فكبسوا داره وحبسه، وكتب إلى يزيد يستأذنه في قتله، فكتب إليه إيّاك وقتله ولكن تناوله بما ينكله ويشد سلطانك، فإن له عشيرة هم جندي ولا يرضيهم إلاّ القود منك، فاحذر ذلك فإنك مرتهن بنفسه، وهو الجد منهم ومني، فأمر به عبيد الله فأسقى الشِبْرَم فأسهله وقرن بهرَّة وخنزير وطيف به على تلك الحال فجعل يسلح والصبيان يصيحون عليه حتى ضعف وخيف عليه الموت فأمر بغسله، فلما غسل قال أيضاً:

يَغسلُ الماءُ ما فَعَلْتَ وقَوْلِي ... راسخٌ مِنْك في العِظام البَوالي[٣]

وقال أبو الفرج: إن حبسه لما طال استأجر رجلاً إلى دمشق وقال له: إذا كان يوم الجمعة فقف بأعلى درج الجامع بدمشق ونادِ بأعلى صوتك:

أبلغْ لَديك بني قَحْطانَ قاطبةً ... عَضَّتْ بأيْرِ أبيها سادَةُ اليَمَنِ
أضحى دَعِيُّ زيادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... يا لَلْعجائِبِ يَلهو بابن ذِي يَزَنِ

فحمست اليمانية وغضبوا له، ودخلوا على معاوية[٤]، كما ذكر الأصبهاني لا يزيد كما ذكر ابن خلكان في سياق حبسه فسألوه فيه فدافعهم عنه فقاموا غضاباً فعرف ذلك معاوية في وجوههم فوهبه لهم ووجّه رسولاً وكتب له عهداً وأمره أن

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٦.

(٢) المنذر بن الجارود (واسمه بشر) ابن عمرو بن خنيس العبدي: أمير، من السادة الأجواد. ولد في عهد النبي ﷺ سنة ١هـ وشهد الجمل مع عليّ (رضي الله عنه) ولاوه عليّ إمرة إصطخر. ثم بلغه عنه ما ساءه، فكتب إليه: «أما بعد، فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقياداً ولا تبقي لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطع دينك الخ، كما في نهج البلاغة» عزله. ثم ولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند (سنة ٦١) فمات فيها، آخر السنة. ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج.

ترجمته في:

الإصابة: ت ٨٣٣٦ وجمهرة الأنساب ٢٧٩ ورغبة الآمل ٧: ١٤٤ والأغاني ١١: ١١٧ وابن أبي الحديد، طبعة بيروت ٤: ٣١٤، الإعلام ط ٤/٧/٢٩٢.

(٣) وفيات ٦/ ٣٥٠، كاملة في الأغاني ١٨/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٤) الأغاني ١٨/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

يبدأ بالحبس فيخرج ابن مفرغ قبل أن يعلم ابن زياد فيغتاله، ففعل به ذلك، ولما خرج من الحبس قُدِّمت له بغلة من دوّاب البريد، فلما استوى عليها قال:

عَدَس مالعبّاد عليك إمارة نجوت وهذا تحملين طليقُ

❀ ❀ ❀

وأم خارجة، التي ذكرها السيّد للمرأة: هي عمرة بنت سعد بن عبد اللات، يضرب بها المثل في كثرة النكاح وسرعته، وكانت تذوق الرجال، فكل من قال لها: خطبٌ، قالت: نكحٌ.

قال العسكري في الجمهرة: أنه دفع لها شخص فقيل لها هو خاطب، فقالت: تراه يعجلنا أن نحل ماله غل وإل، أي طعن بالآلة وهي الحربة، وغلّ من الغليل وهي حرارة الجوف من العطش والحزن، وقيل: وضع في رقبته الغلّ والخطب، الخاطب، والمخطوبة.

وكانت أم خارجة هذه، ومارية بنت جعيد العبدية، وعاتكة بنت هلال السليمية، وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد النجارية وهي أم عبد المطلب بن هاشم، إذا تزوّجت الواحدة منهن رجلاً فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت، وإن شاءت ذهبت، وتكون علامة، رضاها للزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبحت[1].

والشِبْرِم، بكسر المعجمة وإسكان الموحدة وبعد الراء المكسورة ميم: نبات يتوعى حار يابس في آخر الثالثة، قويّ الإسهال، ينفع الاستسقاء، والله أعلم.

[٣٢]

أبو الطاهر، المنصور، إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله الحسيني العبيدي المغربي، الخليفة الإسماعيلي(*).

كان فاضلاً فصيحاً يرتجل الخطبة على المنبر، أديباً، ولم يروَ له شعر، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه القائم.

---

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٥٢٩.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦، إتعاظ الحنفا ١٢٦، الدرة المضيئة ١١٦، ابن خلدون ٤/ ٤٣، ابن عذاري ١/ ٢١٨، أعمال الإعلام ٣/ ٥٤، الخطط المقريزية.

وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد المَرْوَزي قال: خرجت مع المنصور يوم هزم أبا يزيد الأباضي الخارجي، فسايرته وبيده رُمْحان، فسقط أحدهما مراراً فمسحته فناولته وتفألت له، فأنشدته قول أبي مريم:

فألقَتْ عَصاها واستَقرَّ بهال النَّوَى ... كما قرَّ عيناً بالأياب المسافرُ

فقال: ألا قلت ما هو خير من هذا وأصدق: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[1].

فقلت: يا مولانا أنت ابن رسول الله ﷺ فقلت مما عندك من العلم[2].

قال ابن خلكان: ويشبه ما ذكره التميمي في سيرة الحجّاج، إن عبد الملك ابن مروان أمر أن يُعمل باب على بيت المقدس ويكتب عليه اسمه، وسأله الحجّاج أن يأذن له في عمل باب أيضاً، فأذن له فاتفق إن صاعقة وقعت احترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجّاج فعظم ذلك على عبد الملك، فكتب إليه الحجّاج: بلغني أن ناراً نزلت من السماء فاحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجّاج، وإنّما مثلنا في ذلك كمثل: (إبْنَي آدم إذ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلُ من أحدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخر).

فلما وقف على كتابه سُرِّيَ عنه[3].

وأما استشهاد المنصور بالآية الكريمة فهو من العجائب، وأخرجت مخرج الفأل، وكان الظفر على الخارجي عقيبها.

واسم الخارجي: أبو يزيد مخلد بن كندار[4]، وكان أباضي المذهب يظهر

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١١٧ ـ ١١٩.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٤.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٥.

(٤) وفي المراجع الأخرى: «كيداد» وهو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزناتي النكّاري، سافر إلى تاهرت فكان معلماً للصبيان فيها. وانتقل إلى «تقيوس». مات سنة ٣٣٦هـ.
ترجمته في:
ابن خلدون ٤: ٤٠ ـ ٤٤ ووفيات الأعيان ١: ٢٣٥ في ترجمة المنصور ابن القائم. والبيان المغرب ١: ١٩٣ و٢١٦ واتعاظ الحنفا ١٠٩ وفيه: «كان خروجه سنة ٣٠٣؟» وسيرة الأستاذ =

الزهد وأنه إنّما قام غضباً لله تعالى، ولا يركب إلاّ الحمار، ولا يلبس إلاّ الصوف، وله مع القائم والد المنصور وقائع كثيرة، وولى القائم ولده المنصور وحربه، وملك الخارجي جميع مدن القيروان واستباحها وقتل نسائها وأطفالها ولم يبقِ إلاّ المهدية، فأناخ عليها أبو يزيد فحاربها فحاصرها فمات القائم في الحصار، واستخلف المنصور، فاستمر على محاربته وكتم موت أبيه حتى رجع أبو يزيد عن المهدية ونزل على سُوسَةَ فحاصرها، وخرج المنصور من المهدية فلقيه على سوسة فهزمه ووالى عليه الهزائم إلى أن أسره يوم الخميس لخمس بقين من المحرم سنة ست وثلاثين وثلثمائة، وهلك بعد أسره بأربعة أيام من جراحة أصابته، فأمر بسلخه وحشي جلده قطناً وصلبه وبنى مدينة في موضع الوقعة سمّاها المنصورية، واستوطنها[1].

وكان جدّه المهدي حين عمّر المهديّة وجعل أبوابها من حديد مصمت، وبالغ في تحصينها، وحين فرغ منها قال: الآن أمّنت على الفاطميات، فظهر نتيجة قوله، لأن علم الجفر وكتابه الذي كان لجعفر الصادقعليه السلام صار إليهم كما ذكر المؤرخون.

وكان المنصور شجاعاً رابط الجأش.

وقال ابن خلكان: إن سبب وفاته، أنه خرج في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وثلثمائة من المنصورية إلى مدينة جلولاء ليتنزه بها ومعه حَظِيَّتُه قُضَيْب وكان مغرماً بها، فنزل عليهم برد، وجاءتهم ريح عظيمة وهو عائد منها إلى المنصورية، واشتدَّ عليهم البرد حتى مات أكثر من معه، وهو متجلّد فأوهن جسمه[2].

وقال غيره: إن سبب خروجه إلى جلولاء، إنه أهدى له منها أترج عجيب الخلقة لا نظير له في الدنيا، فسألته قضيب أن تراه في أغصانه، وتفاضل بين

= جوذر٤٨ والنجوم الزاهرة ٣: ٢٨٧ قلت: ووقع «كيداد» في مخطوطة ابن قاضي شهبة، وفيات ٣٤١ في ترجمة إسماعيل بن القاسم. بلفظ «كنداد» مكسور الأول منقوط النون؟؟، الإعلام ط ١٩٤/٧/٤.

(١) وفيات الأعيان ٢٣٥/١.

(٢) وفيات الأعيان ٢٣٥/١.

خدها وبين حمرته وعرفه في بستانه، فحمله الغرام على احتمال تلك المكاره العظام، فلما عاد إلى المنصورية أراد دخول الحمام فمنعه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[1] فلم يقبل، ودخله فقلّت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر، فأقبل إسحاق يعالجه والسهر باق على حاله، فاشتدّ ذلك على المنصور، فقال لبعض الخدم: أما بالقيروان طبيب يخلصني مما أنا فيه، فقال: ها هنا شاب قد نشأ يقال له إبراهيم فأمر بإحضاره، فحضر وشكا إليه ما به، فجمع له أشياء منوّمة وكلّفه شمّها، فلما أدام شمّها نام، وخرج إبراهيم مسروراً بما فعل.

وجاء إسحاق فطلب الدخول عليه فقالوا: هو نائم، فقال إن كان قد صنع له شيء فنام منه فقد مات، فدخلوا فوجدوه ميّتاً، فأرادوا قتل إبراهيم فقال إسحاق: ماله ذنب. إنّما داواه بما ذكر الأطبّاء غير أنه جهل أصل المرض وما عَرَّفتموه، ذلك وأنا كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية، وبها يكون النوم، فلما عولج بما يُطفئها علمت أنه قد مات[2].

قلت: يكون من قتلاء الغرام.

وكانت ولادته بالقيروان سنة اثنتين، وقيل: إحدى وثلثمائة، وكانت خلافته سبع سنين وستة أيام، رحمه الله تعالى.

وسيأتي بيان مذهب الإسماعيلية، وتحقيق حال هؤلاء إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

وجلولاء، بفتح الجيم وضمّ اللام وبعدها واو ساكنة ثم لام ألف: مدينة بالقيروان، وناحية بالعراق أيضاً جلولاء كانت بها وقعة مشهورة بين المسلمين والفرس.

والقيروان: في اللغة العسكر، وهو هنا كرسي مملكة الغرب، وعمر مدينته ابن أبي سرج أيام عثمان، وهو أول من غزاها فسمّاها باسم المعسكر مكانها.

---

(١) أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، أصله من مصر وكان في أوّليته كحالاً ثم سكن القيروان، وتتلمذ على الطبيب إسحاق بن عمران، وخدم المهدي وخلفائه من العبيديين، وله كتاب الحميات، خمس مقالات «ابن أبي أصيبعه ٢/٣٦ ـ ٣٧، وفيات الأعيان ١/هـ ٢٣٦».

(٢) وفيات الأعيان ١/٢٣٥ ـ ٢٣٦.

والأترج: مزاجه مركب القوى، فحماضه بارد في الثانية، يابس فيها، صالح لمن عليه الدم، وبه يحل اللؤلؤ، ولحمه بارد رطب منفح، عسر الهضم، يولّد القولنج الأيلا ومرسى[1] وقشره، وورق شجره حار يابس في الثانية، ترياقي مفرح يدخل في أدوية القلب ويحمي عنه.

[٣٣]

أبو الوليد، أشجع بن عمرو السلمي، الشاعر المشهور(*).

فاضل صيّر الشعر أنملا، وولى شهب الشعر فصيّر الشعراء كالسماك عزّلا، وعَظَّمه الأدباء أجمع، وخافته القوافي فلانت له لأنه أشجع.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: أنه من ولد الشَّرِيد بن مطرود، ولد باليمامة ونشأ بها وخرج إلى العراق فدخل بغداد في خلافة الرشيد ومدحه ومدح البرامكة وأمثالهم، وكان من فحول الشعراء العامية وشعره عذب المذاق، جارٍ إلى القلوب جري العتاق[2].

وحدَّث أشجع قال: حضرت مجلس الرشيد بالرقة في سبعة من الشعراء كنت أحدَثهم سناً، وأرثّهم حالاً، فما بلغت نوبتي في الأنشاد حتى كادت الصلاة أن تجب فخفت أن ابتدىء بالتشبيب فيقطعه عني وجوب الصلاة، وكان أول قصيدتي:

تـذكَّـر عـهـد الـبِـيـضِ وَهْـو لـهـا تِـرْبُ ... وأيَّام يُـصـبـي الـغَـانـيـاتِ ولا يَـصْـبُـو

فتركته وجئت بالمديح فقلت:

إلـى مَـلِـكٍ يَـسْـتـغـرِقُ الـمـالَ جُـودُه ... مـكـارِمُـه نَـثْـر ومَـعْـروفُـه سَـكْـبُ

ومـا زالَ هـارونُ الـرِّضـا بـنُ مُـحـمَّـد ... له من مياهِ النَّصْر مَشْرَبُها الـعَـذْبُ

---

(١) كذا في الأصل.

(*) له ديوان شعر جمعه وحققه د. خليل بنيان الحسون، طبع بيروت سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

ترجمته في: الأغاني ٢١٨/١٨ ـ ٢٦١، كتاب الأوراق/أخبار الشعراء المحدثين ٧٤ ـ ١٣٧، مقاتل الطالبيين ٥٦٨ ـ ٥٧٠، معاهد التنصيص ١٣٣/٢، معالم العلماء، تاريخ دمشق، الشعر والشعراء ٧٥٨، طبقات ابن المعتز ٢٥١، تاريخ بغداد ٤٥/٧، أنوار الربيع ١٠٠/٢، الطليعة/ ترجمته رقم ٢٧، أعيان الشيعة ٣٤٦/١٢ ـ ٣٩٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢٩٦/١.

(٢) الأغاني ٢١٩/١٨.

متى تَبلُغِ العِيسُ المَراسيلُ بابَه ... بنا فهناك الرّحبُ والمنزلُ الرَّحْبُ

يَبُثُّ على الأعداء أبناءَ دُرْبةٍ ... فلم تَقِهِم منهم حُصونٌ ولا دَرْبُ

وما زلتَ تَرْمِيهم بهم مُتَفَرِّداً ... أنِيسَاك حَزْمُ الرَّأيِ والصّارمُ العضب

جَهَدْتُ فلم أبلغ عُلاكَ بِمدْحَةٍ ... وليس على مَنْ كان مُجتهِداً عَتْبُ

فضحك الرشيد وقال: خفت أن يجب وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به، فقلت: نعم، فأمرني بقراءة النسيب وأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم وأمر لي بضعفها[1].

قال أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم الموصلي: اصطبح الواثق[2] في يوم ممطر واتصل شربنا حتى سقط الخمر منّا صرعى وهو معنا على حالنا فما حرّك أحد منا من موضعه إلى أن كان هو أول من قام وأمر بإنباهنا فتهبنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئنا إليه وهو جالس وفي يده كأس يريد أن يشربه والخمّار يمنعه، فقال: يا إسحاق انشدني في المعنى شيئاً، فأنشدته قول أشجع السلمي:

ولقد طَعنتُ الليلَ في أعجازِه ... بالكأسِ بين غَطارفٍ كالأنْجُم[3]

يَتَمايلُون على النعيم كأنّهُم ... قُضُبٌ من الهِنديّ لم تتثلّمِ

---

(١) الأغاني ١٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢١، كتاب الأوراق/أخبار الشعراء المحدثين ٧٥.

(٢) هارون (الواثق بالله) ابن محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد سنة ٢٠٠هـ، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٧هـ) فامتحن الناس في خلق القرآن. وسجن جماعة، وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي، بيده (سنة ٢٣١) قال أحد مؤرخيه: كان في كثير من أموره يذهب مذهب المأمون، وشغل نفسه بمحنة الناس في الدين، فأفسد قلوبهم. ومات في سامراء؛ قيل: بعلّة الاستسقاء. وقال ابن دحية: كان مسرفاً في حب النساء، ووصف له دواء للتقوية، فمرض منه، وعولج بالنار، فمات محترقاً سنة ٢٣٢هـ. وأورد (في النبراس) تفصيل احتراقه، وخلافته خمس سنين وتسعة (أو ستة) أيام، وكان كريماً عارفاً بالآداب والأنساب، طروباً يميل إلى السماع، عالماً بالموسيقى، قال أبو الفرج: «صنع الواثق مئة صوت ما فيها صوت ساقط» وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين حتى قيل أنه «لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل».

ترجمته في:

ابن الأثير ٧: ١٠ والطبري ١١: ٢٤ واليعقوبي ٣: ٢٠٤ والأغاني طبعة الدار ٩: ٢٧٦ ـ ٣٠٠ والخميس ٢: ٣٣٧ والمرزباني ٤٨٤ والنبراس، لابن دحية ٧٣ ـ ٨٠ ومروج الذهب ٢: ٢٧٨ ـ ٢٨٨ وتاريخ بغداد ١٤: ١٥، الإعلام ط ٤/٨/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) الغطارف: السادة الأشراف.

والـلـيـلُ مُـنْـتَـقِـب بـفَـضْـل رِدائِـه ... قـد كـاد يَـحْـسَـر عـن أغـرّ أرثَـم[1]

فـإذا أدارتْـهـا الأكـفُّ رأيـتَـهـا ... تَـثْـنِي الـفـصيحَ إلى لسانِ الأعجم

وعـلـى بـنَـانِ مُـديـرهـا عِـقْـيـانَـةٌ ... من سَكْبها وعلى فضول المِعْصَم

تَـغْـلـى إذا مـا الـشَّـعْـريـانِ تـنـظَّـمـا ... صيفا وتَسْكُن في قلوع المِرْزَم[2]

ولـقـد فَـضَـضْـنـاهـا بـخـاتَـم رَبّـهـا ... بِـكْـراً ولـيـس الـبِـكْـرُ مـثـلَ الأيِّـم

تُـعطى عـلى الظّـلم الـفَتى بِقِيادِها ... قَـسْـراً وتَـظْـلـمـه إذا لـم يَـظْـلِـم

فطرب. وقال: أحسن الله أشجع، وأحسنت يا أبا محمد، أعد بحياتي، فأعدتها فشرب كأسه عليها، وأمر لي بألف دينار[3].

ولما ولّى الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي[4] بخراسان أنشده أشجع:

أتـصـبِـرُ لـلـبَـيْـن أم تـجـزَعُ ... فـإنّ الـدِّيـارِ غـداً بَـلْـقَـعُ[5]

غـداً يـتـفـرَّق أهـلُ الـهـوى ... ويـكـثُـر بـاكٍ ومُـسْـتَـرجِـعُ

حتى بلغ قوله:

إلـى جـعـفـرٍ نـزعـتْ زغـبـةٌ ... وأيّ فـتـى نـحـوه تَـنْـزعُ

فـمـا دُونـه لامـرىءٍ مَـطْـمَـعٌ ... ولا لامـرىءٍ غـيـره مَـقْـنَـعُ

---

(١) الأرثم من الخيل: ما كان في طرف أنفه بياض.

(٢) الشعريان والمرزم: نجوم.

(٣) الأغاني ١٨/٢٢٨، ٢٢٩ ـ ٢٣٠، كتاب الأوراق/الشعراء المحدثين ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم. ولد سنة ١٥٠هـ ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، ملقياً إليه أزمة الملك، وكان يدعوه: أخي. فانقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، نقمته المشهورة، فقتله في مقدمتهم سنة ١٨٧هـ، ثم أحرق جثته بعد سنة. وكانت لجعفر توقيعات جميلة. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس، قالوا في وصف حديثه: «جمع الهدوء والتمهل والجزالة الحلاوة، وإفهاما يغنيه عن الإعادة» وكان كاتباً بليغاً، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون في أنسابهم إلى الفرس.

ترجمته في:

تاريخ الطبري: حوادث سنة ١٨٧ والبيان والتبيين ١: ٥٨ والجهشياري ٢٠٤ ومواضع أُخر منه. والبداية والنهاية ١٠: ١٨٩ و١٩٤ وفيات الأعيان ١/٣٢٨ ـ ٣٤٦ وتاريخ بغداد ٧: ١٥٢ والنجوم الزاهرة ٢: ١٢٣، الإعلام ط ٤/٢/١٣٠.

(٥) البلقع: الأرض القفر.

ولا يـرفـع الـنـاسُ مَـنْ حَـطَّـه ... ولا يَـضَـعُـون الـذي يَـرفـعُ
يُـريـدُ الـمـلـوكُ مَـدى جـعـفـرٍ ... ولا يَـصـنـعُـون الـذي يَـصْـنَـعُ
ولـيـس بـأوْسَـعِـهـم فـي الـغِـنَـى ... ولـكـنَّ مـعـروفـة أوسـعُ
تـلـوذُ الـمـلـوكُ بـآرائـه ... إذا نـالـهـا الـحـدَثُ الأفـظَـعُ
بَـدِيـهَـتـهُ مِـثـلُ تَـدْبـيـره ... مـتـى رُمـتَـه فـهـو مُـسْـتَـجْـمِـعُ
وكـم قـائـلٍ إذْ رأى ثَـرْوتـي ... ومـا فـي فـضـول الـغـنـى أصـنـعُ:
غـداً فـي ظِـلالِ نَـدَى جـعـفـرٍ ... يَـجُـرُّ ذيـول الـغِـنَـى أشـجـعُ
فـقُـلْ لـخـراسـان تـحـيـا فـقـد ... أتـاهـا ابـنُ يـحـيـى الـفَـتَـى الأروعُ

فلما فرغ طرب جعفر وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ وأمر له بألف دينار[1].

ثم بدا للرشيد في ذلك التدبير، فعزل جعفر عن خراسان بعد ما كتب له بولايتها، فوهم جعفر فدخل عليه أشجع فأنشده:

أمـسـت خُـراسـانُ تُـعـزَّى بـمـا ... أخْـطـأهـا مـن جـعـفـرِ الـمُـرتـجـى
كـان الـرشـيـدُ الـمُـعـتَـلَـى أمـرُه ... ولَّـى عـلـيـهـا الـمُـشـرِقَ الأبـلَـجَـا
ثـم أراهُ رأيُـه أنّـه ... أمـسَـى إلـيـه مـنـهـمُ أحْـوَجـا
فـكـمْ بـه الـرَّحـمـنُ مـن كُـربـة ... فـي مُـدَّةٍ تـقـصـر قـد فَـرَّجـا

فضحك جعفر ثم قال: لقد هوَّنتَ عليَّ العَزْل، وقُمتَ لأميرِ المؤمنين بالعُذْر، ثم أمر له بألف دينار أُخرى[2].

وقال أشجع: دخلت على محمد الأمين[3] حين أجلس مجلس التعليم

(١) الأغاني ١٨/٢٣٣ ـ ٢٣٤، الشعراء المحدثين ٨٢ ـ ٨٣.
(٢) الأغاني ١٨/٢٣٤، الشعراء المحدثين ٨٧.
(٣) محمدالأمين بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور: خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد سنة ١٧٠هـ. وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ١٩٣هـ) بعهد منه، فولى أخاه المأمون خراسان وأطرافها. وكان المأمون ولي العهد من بعده. فلما كانت سنة ١٩٥ أعلن الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، فنادى المأمون بخلع الأمين في خراسان، وتسمى بأمير المؤمنين. وجهز الأمين وزيره «ابن ماهان» لحربه، وجهز المأمون طاهر بن الحسين، فالتقى الجيشان، فقتل ابن ماهان وإنهزم جيش الأمين، فتتبعه طاهر بن الحسين وحاصر بغداد حصاراً طويلاً انتهى بقتل الأمين: قتل بالسيف، بمدينة السلام سنة ١٩٨هـ، وكان الذي ضرب عنقه مولى لطاهر، بأمره. وكان أبيض طويلاً سميناً، جميل الصورة، شجاعاً، أديباً، رقيق الشعر، مكثراً من إنفاق الأموال، سيىء التدبير، يؤخذ عليه إنصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء. =

للأدب وسنّه أربع سنين، وكان يجلس فيه ساعة ويقوم فقلت:

مـلـكٌ أَبُـوه وأُمُّـه مـن نَـبْـعَـةٍ ... مـنـهـا سِـراجُ الأُمَّـة الـوَهَّـاجُ
شَـرِبَـتْ بـمـكـة فـي رُبـى بَـطْـحـائـهـا ... مـاءَ الـنُّـبـوّة لـيـس فـيـه مِـزاجُ

فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم[1].

وكان الوزير يحيى بن خالد البرمكي[2] وعد أشجع فمطله، فكتب إليه:

رُويـدَكَ إنَّ عِـزَّ الـفَـقْـر أدنَـا ... إلـيَّ مـن الـثَّـراء مـع الـهَـوانِ
ومـاذا تَـبـلُـغُ الأيَّـامُ مِـنِّـي ... بـرَيْـبِ صُـرُوفِـهـا ومَـعِـي لِـسـانِـي[3]

= ترجمته في:

ابن الأثير ٦: ٩٥ واليعقوبي ٣: ١٦٢ والطبري ١٠: ١٢٤ و١٦٣ و١٩٦ وتاريخ الخميس ٢: ٣٣٣ والمرزباني ٤٢٣ وثمار القلوب ١٤٨ وفيه: «كان يضرب به المثل في الحسن» وتاريخ بغداد ٣: ٣٣٦ والفوات ٢: ٥٣١ والنبراس ٤٣ ومروج الذهب ٢: ٢٣٢ ـ ٢٤٧ وفيه أبيات أرسلتها زبيدة أم الأمين، إلى المأمون، قرأها المأمون وبكى وقال: اللهم جلل قلب طاهر حزناً!، الإعلام ط ٤/٧/١٢٧.

(١) الأغاني ١٨/٢٣٤، الشعراء المحدثين ٩٤.

(٢) يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل: الوزير السريّ الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم. وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه ولد سنة ١٢٠هـ. رضع الرشيد من زوجة يحيى مع ابنها الفضل، فكان يدعوه: يا أبي! وأمره المهدي (سنة ١٦٣) وقد بلغ الرشيد الرابعة عشرة من عمره، أن يلازمه، ويكون كاتباً له؛ وأكرمه بمئة ألف درهم، وقال: هي معونة لك على السفر مع هارون. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى، وقلده أمره، فبدأ يعلو شأنه. واشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته. واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في «الرقة» إلى أن مات سنة ١٩٠هـ، فقال الرشيد: مات أعقل الناس وأكملهم. أخباره كثيرة جداً. قال المسعودي: كانت مدة دولة البرامكة وسلطانهم وأيامهم النضرة الحسنة، من استخلاف هارون الرشيد إلى أن قتل جعفر بن يحيى، سبع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً. ويستفاد من كشف الظنون أن أول من عني بتعريب المجسطي يحيى بن خالد، فسره له جماعة ولم يتقنوه فأتقنه بعدهم بعض أصحاب بيت الحكمة. ومن كلام يحيى لبنيه: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون.

ترجمته في:

معجم الأدباء ٢٠/٥ ـ ٩، وفيات الأعيان ٦/٢١٩ ـ ٢٢٩، البداية والنهاية ١٠/٢٠٤، الأغاني ـ ط ساسي: أنظر فهرسته، البيان المغرب ١/٨٠، الجهيشاوي: أنظر فهرسته وفيه: مات عن ٦٤ عاماً، مروج الذهب ٢/٢٢٨، تاريخ بغداد ١٤/١٢٨، الإعلام ط ٤/٨/١٤٤.

(٣) الأغاني ١٨/٢٣٧ ـ ٢٣٨، الشعراء المحدثين ٨٨.

فقال له يحيى: ويلك يا أشجع هذا تهدّد، فلا تعد لمثله، وقضى حاجته.

وقال الأصفهاني: أول من أوصل أشجع إلى الرشيد، الفضل بن الربيع الحاجب[1]، وصفه له وقال: هو أشعر الشعراء في هذا الزمان، وقد اقتطعه عنك البرامكة، فأمره بإدخاله مع الشعراء، فحضر وأنشده:

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... خَلَعَتْ عليه جَمالَها الأَيّامُ
فيه اجْتَلَى الدُّنْيا الخليفَةُ والْتَقَتْ ... للملك فيه سلامَةٌ وسَلامُ
قَصْرٌ سُقوفُ المُزْنِ دُونَ سُقُوفِه ... فيه لأعلام الهُدَى أعْلامُ
نَشَرت عليه الأرضُ كُسوتَها التي ... نَسَجَ الرَّبِيعُ وزخرَف الأَرْهامُ[2]
أدنَتْك من ظِلّ النَّبِيّ وَصِيَّةٌ ... وقرابَةٌ وُشِجَتْ بها الأرحامُ
برقَتْ سَماؤُك في العَدُوّ وأمْطَرت ... هَاماً لها ظِلُّ السُّيوف غَمامُ
وعَلَى عَدُوِّك يا آبْنَ عَمّ مُحَمّدٍ ... رَصَدان: ضَوءُ الصُّبح والإظلامُ
فإذا تنَبَّه رُعتَه، وإذا غَفَا ... سَلَّتْ عليه سُيوفَك الأحْلامُ

فاستجاد الرشيد شعره وأمر له بعشرين ألف درهم.

ولعمري لقد أجاد وأرانا من البيت الأخير: «إرم ذات العماد»[3] ولمح بذكر الوصيّة التي انتهت إلى الرشيد ما شرحناه في ترجمة السيد الحميري[4] من

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس: وزير أديب حازم ولد سنة ١٣٨هـ. كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي. واستحجبه المنصور لما ولى أباه الوزارة، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان صاحب الترجمة من كبار خصومهم، حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة، قال صاحب غربال الزمان: وكانت نكبتهم عل يديه. وولي الوزارة إلى أن مات الرشيد. واستخلف الأمين، فأقره في وزارته، فعمل على مقاومة المأمون. ولما ظفر المأمون استتر الفضل (سنة ١٩٦هـ) ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته. وتوفي بطوس سنة ٢٠٨هـ. وهو من أحفاد أبي فروة «كيسان» مولى عثمان بن عفان.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٤/ ٣٧ ـ ٤٠. والبداية والنهاية ١٠: ٢٦٣ وغربال الزمان ـ خ. وتاريخ بغداد ١٢: ٣٤٣ والمرزباني ٣١٢ ومفتاح السعادة ٢: ١٦٤ ومرآة الجنان ٢: ٤٢، الإعلام ط ٤/ ٥/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) الارهام: المطر الضعيف.

(٣) سورة الفجر: الآية ٧.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٣١.

انتقال الإمامة بالوصية إلى علي عليه السلام إلى بنيه الثلاثة وصارت بعد ابن الحنفية إلى بني العباس[1].

وقال سعد بن هزيم وأبو دعامة السدوسي: كان أشجع منقطعاً إلى العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[2]، فقال الرشيد للعباس: يا عم إن الشعراء قد أكثروا في مديح محمد بسببي وبسبب أم جعفر، ولم يقل أحد منهم في المأمون شيئاً، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكي يقول فيه. ذكر العباس ذلك لأشجع فقال:

بَيْعَةُ المأمونِ آخِذَةٌ	بِعِنانِ الحَقِّ في أُفُقِهْ
أُحكِمَتْ مِرَّاتُها عُقَداً	تمنع المُخْتالَ في نَفَقِهْ[3]
لن يفكّ المرءُ رِبْقَتَها	أو يفكُّ الدِّين من عُنُقِهْ
وله من وَجْهِه والِدِه	صُورةٌ تَمَّت ومن خُلُقِهْ

فأتى العباس، الرشيد فأنشده إيّاها فاستحسنها، وسأله من قالها فقال: هي لي، فقال: قد سررتني مرّتين بإصابتك ما في نفسي وبأنّها لك، وما كان لك فهو لي وأمر له بثلاثين ألف درهم، على أشجع منها خمسة آلاف درهم، وأخذ الباقي لنفسه[4]، وكان العباس بخيلاً لهذه القصّة.

وله حكاية ظريفة، وهي: إن ربيعة الرقي[5] الشاعر مدحه بقصيدة بالغ فيها، وجاء منها:

---

(١) الأغاني ١٨/٢٢١ ـ ٢٢٢، الشعراء المحدثين ٧٦ ـ ١١٢.

(٢) العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو الفضل الهاشمي: أمير. هو أخو المنصور والسفّاح. ولد سنة ١٢١هـ ولاه المنصور دمشق وبلاد الشام كلها. وولي إمارة الجزيرة في أيام الرشيد. وأرسله المنصور لغزو الروم في ستين ألفاً. وحج بالناس مرات. ومات ببغداد سنة ١٨٦هـ. كان من أجود الناس رأياً. وإليه تنسب «العباسية» محلة بالجانب الغربي من بغداد، دفن فيها. وكان الرشيد يحبه ويجله. ويزعم أهله أنّ الرشيد سمه.

ترجمته في:

تاريخ بغداد ١: ٩٥ ثم ١٢: ١٢٤ وتهذيب ابن عساكر ٧: ٢٥٣ والنجوم الزاهرة ٢: ١٢٠ وفيه: مولده سنة ١١٨هـ، الإعلام ط ٤/٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) المرات: جمع مرة، وهي طاقة الحبل.

(٤) الأغاني ١٨/٢٣٧.

(٥) هو أبو ثابت، وقيل أبو شبابة أو شبانة (ربيعة بن ثابت في الأصل أبو ربيعة) بن لجأ الأسدي المعروف بربيعة الرقي. كان ينزل الرقة وبها مولده. شاعر مكثر مجيد. يرى ابن المعتز أنه أشعر =

لـو قـيـل لـلـعـبـاس يـا آبـن مـحـمـدٍ   قـل: لا، وأنـت مـخـلَّـد مـا قـالَـهـا
مـا إن أعُـدُّ مـن الـمـكـارم خـصْـلـة   الاّ وجـدتـك عـمّـهـا أو خـالَـهـا

وأرسلها إليه وقدّر عنده ألف دينار فما راعه إلاّ وغلامه قد جاءه شيء في قرطاس ففتحه فإذا ديناران فقال للغلام: الديناران لك منّي، فاحتل لي في إرجاع ورقة الشعر، فاختلسها له، فقال فيه ربيعة:

مـدحـتـك مِـدحـةَ الـسـيـفِ الـمُـحَـلَّـى   لـتـجـريَ فـي الـكـرامِ كـمـا جـريـتُ
فـهـبـهـا مـدحـةً ذهـبـت ضَـيـاعـاً   كـذبـتُ عـلـيـك فـيـهـا وافـتـريـتُ
فـأنـت الـمـرءُ لـيـس لـه وفـاءُ   كـأنـي إذ مـدحـتـك قـد زَنَـيْـتُ

وأرسلها إليه، فلما قرأها العباس دخل من فوره على الرشيد فقال: إن ربيعة الرقي هجاني، فاستشاط الرشيد غيظاً، وكان العباس أثيراً عنده، وقد همَّ أن يتزوج ابنته، وأمر بإحضاره، فما رآه قال: يا عاض بظر أمه أتهج عمي وأكرم الناس عليَّ، فقال: والله قد مدحته بشعر ما قاله أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء، ثم أنشده القصيدة، فقال الرشيد: صدق والله ما قيل في أحد من الخلفاء مثله حسناً، والتفت إلى العباس فقال: بكم أثبته، فتلكأ وتغيّر وجهه، فقال ربيعة: أثابني دينارين، فظن الرشيد أنه يمزح، فقال: بحياتي عليك أثابك؟ قال: وحياتك يا أمير المؤمنين ما أعطاني غير دينارين، فتغيظ الرشيد والتفت إلى العباس، وقال: ليت شعري ما الذي قعد بك عن الكرم؟ أنسبك فهو النسب الذي لا يدانى؟ أم قلّة الأموال فلقد سوغتك منها جهدي؟ أم نفسك؟ فلا ذنب لي فهي والله نفسك، فكاد يموت خجلة ثم قال الرشيد للرقي: بحياتي عليك لا تذكره في شعرك، وأمر له بثلاثين ألف درهم وأعرض عمّا همَّ به من خطبة بنت العباس وجفاه واطّرحه[1].

وكان ربيعة بعد ذلك كثير العبث بالعباس في حضرة الرشيد، فمنه أن

= غزلاً من أبي نواس. كان ضريراً ويلقب بالغاوي. استقدمه المهدي العباسي فمدحه بعدة قصائد ونال جوائزه. توفي سنة ١٩٨هـ.
ترجمته في: الأغاني ١٦/ ٢٧١ ـ ٢٨٤، نكت الهميان/ ١٥١، ومعجم الأدباء ١١/ ١٣٤ طبقات الشعراء لابن المعتز/ ١٥٧، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(١) إطّرحه: رماه وقذفه، الأغاني ١٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦.

العباس دخل يوماً وبيده حق فضة والرقي عنده، ففض الحق عن غالية[1] فقال: يا أمير المؤمنين هذه غالية انتخبتها لك وصنعتها بيدي اختير مسكها من الثبت وعنبرها من الشِحْر[2]، وعودها من ثمار الهند، فالمحاسن فيها مجموعة، والوصف يقصر عن حسنها.

فاعترضه ربيعة وقال: ما رأيت أحمق منك في وصفك لهذه الغالية عند من تهدى له نفائس الدنيا، ويتقرّب الملوك بخدمته بكل مضنون، وما قدر غاليتك هذه، ثم التفت إلى الرشيد فقال: بحياتك أن تجعل هذه الغالية حظّي من عطائك إلى سنة، فأمر له بها وهو يضحك ففضَّ ختمها وأخذ ملاء يده فدهن بها إبطه الأيمن، ثم أخذ ثانية فطلى إبطه الأيسر، ثم حلَّ سراويله وأخذ منها فطلى أسته وذكره وخصيتيه، ثم قال: يا أمير المؤمنين تأذن بدخول غلامي؟ قال: نعم، وقد غلب الرشيد الضحك، فلما دخل الغلام ناوله الحق غير مختوم، قال: اذهب الساعة إلى جاريتي. فقل لها: إدهني بهذه إبطك وحرّك وأستك حتى اذهب الساعة فأنيكك، فذهب الغلام وكاد أن يغشى على الرشيد من شدّة الضحك، وكاد العباس أن يموت غيظاً، فقام وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم[3].

وربيعة هو القائل في التفضيل بين يزيد بن أُسيد السلمي ويزيد بن حاتم المهلبي[4]:

---

(١) الغالية: ضرب من العطر.

(٢) الشحر: الشط، وشحر عمان: ساحل البحر بين عمان وعدن.

(٣) الأغاني ١٦/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

(٤) يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان في العصر العباسي. ولي الديار المصرية سنة ١٤٤هـ، للمنصور، فمكث سبع سنين وأربعة أشهر، وصرفه المنصور سنة ١٥٢ ثم ولاه إفريقية سنة ١٥٤ فتوجه إليها وقاتل الخوارج واستقر والياً بها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر، قضى في خلالها على كثير من فتن البربر وغيرهم. وتوفي بالقيروان سنة ١٧٠هـ. وكان جواداً ممدوحاً شديد الشبه بجده «المهلب» في الدهاء والشجاعة.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٦. وأعمال الأعلام، نبذ منه ٦ والنجوم الزاهرة ٢: ١ والاستقصا ١: ٥٨ وابن خلدون ٤: ١٩٣ والبيان المغرب ١: ٧٨، ٨١ وفيه: وفاته سنة ١٧١ والولاة والقضاة ١١١ وخزانة البغدادي ٣: ٥١ ـ ٥٣ ومطالع البدور ١: ١٥ ومرآة الجنان ١: ٣٦١، ٣٩٦ ورغبة الآمل ٥: ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الإعلام ط ٨/٤/ ١٨٠.

لشتّانَ ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم[1]

وهي مشهورة.

وقيل للأصمعي: إن أبا عبيدة يقول: إن العرب تقول: شتّان ما هما، ولا يقولون شتّان ما بينهما، ونشد بيت الأعشى:

شتان ما يومي على كورها ... ويوم حيّان أخي جابرِ

فقال: وهم عبيدة العرب تقول: ذا وذاك، وأنشد بيت ربيعة المذكور، فكانوا يحتجّون بشعر ربيعة لاستشهاد الأصمعي به.

وربيعة من بني سُليم.

وقال علي بن الفضل السلمي: أول ما نجم به أشجع إتصاله بجعفر بن المنصور وهو حَدَثٌ وصله به أحمد بن يزيد السلمي وابنه عوف، فقال أشجع في جعفر:

اذكُروا حُرمَةَ العَواتِك مِنّا ... يا بني هاشم بنِ عبدِ منافِ

قد وَلَدْناكُم ثلاثَ ولادا ... تِ خَلَطْنَ الأشرافَ بالأشرافِ

مَهَّدَت هاشِماً نجومُ قُصَيٍّ ... وبنو فالحٍ حجُور عَفافِ

إنّ أرماحَ بُهْثَةِ بنَ سُلَيْم ... لعِجافِ الأطراف غيرُ عِجافِ

معشَرٌ يُطعمُون من ذِرْوَة الشَّو ... ل ويسقون خَمْرَةَ الأقْحَافِ[2]

يَضرِبُون الجَبَّار في أخدَعَيْهِ ... ويُسَقُّونه نَقِيعَ الذُّعافِ[3]

فشاع شعره، وبلغ المنصور ولم يزل يترقّى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها، وتزوجها الرشيد فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العالية من الشعراء،

---

(١) الأغاني ١٦/ ٢٧٩.

(٢) الشول: الناقة ـ الأقحاف: جمع قحف وهو إناء من خشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قدح. يقال: ما له قد ولا قحف فالقد قدح من جلد والقحف من خشب. (اللسان مادة قحف ج٩ ص٢٧٦).

(٣) الأخدعان: عرقان في صفحتي العنق. الذعاف: السم. الأغاني ١٨/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، الشعراء المحدثين ٩١ ـ ٩٢.

وقال مهدي بن سابق: أعطى جعفر بن يحيى، مروان بن أبي حفصة[1] وقد مدحه ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير الشاعر عشرين ألف درهم، وأعطى أشجع وكان ثالثهم ثلاثة آلاف درهم، وكان أول إتصاله به، فكتب أشجع إليه:

أعطيتَ مروانَ الثَّلا ... ثِينَ التي دَلَّت رِعَاثَهْ!
وأبا البَصِير وإنّما ... أعطيتَني منهم ثلاثَهْ

وأمر له بعشرين ألف درهم مع الأولى[2].

وقال الحُسَيْن الجُعْفِيّ: كان أشجع إذا نزل بغداذ، نزل على صديق له من أهلها فقدمها مرّة فوجده قد مات والبكاء والنوح في داره فقال:

قَمَرٌ أطبَقُوا عليه ببغدا ... ذَ ضريحاً، ماذا أَجَنَّ الضَّريحُ!
رَحِمَ اللَّهُ صاحِبي ونَدِيمي ... رحمةً تَغْتَدِي وأُخرى تَرُوحُ[3]

وقال محمد بن عبد الله بن مالك: كان حرب بن عمرو الثقفي نخّاساً، وكانت له جارية مغنيّة وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداذ يختلفون إليها ويسمعون منها، ويُنفقون في منزله النفقات الواسعة ويبرّونه ويهدون إليه، فقال أشجع فيه:

جارِيةٌ تهتَزُّ أردافُها ... مُشْبَعةُ الخَلْخال والقُلْبِ[4]
أشكُو الذي لاقَيتُ من حُبِّها ... وبُغْضِ مَوْلاها إلى الرَّبِّ
من بُغْض مولاها ومن حُبِّها ... سَقِمتُ بين البُغْض والحُبّ
فاخْتَلَجا في الصدر حتى استَوى ... أمرهما فاقْتَسَما قَلْبي
تَعَجَّل اللَّهُ شِفائي بها ... وعجَّل السُّقْم إلى حَرْبِ[5]

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) الأغاني ١٨/٢٣٦، الشعراء المحدثين ٨٦.

(٣) الأغاني ١٨/٢٤٦.

(٤) القلب: سوار المرأة (اللسان مادة قلب ج١ ص٦٨٨)

(٥) الأغاني ١٨/٢٥٨.

وأخباره كثيرة، وشعره طويل الذيل، وأخذ قوله: «وعلى عدوك يا بن عمّ محمد» البيت السابق أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه المغربي[1]، صاحب العقد فقال:

يا من يجرّد من عزيمته — تحت الحوادث صارم العزمِ
رعت العدو فما مثلت له — ألا تفرع منك في الحلمِ

ولكن أين الثرى من الثريا.

وكان أشجع متشيّعاً، وله مدائح في الرضا عليه السلام[2]، ولما مات الرضا عليه السلام

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، أبو عمر: الأديب الإمام صاحب العقد الفريد. من أهل قرطبة. كان جدّه الأعلى (سالم) مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية ولد سنة ٢٤٦هـ. وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها. له شعر كثير، منه ما مساه «الممحصات» وهي قصائد ومقاطيع في المواعظ والزهد. نقض بها كل ما قاله في صباه من الغزل والنسيب. وكانت له في عصره شهرة ذائعة. وهو أحد الذين أثروا بأدبهم بعد الفقر. أما كتابه «العقد الفريد ـ ط» فمن أشهر كتب الأدب. سماه «العقد» وأضاف النساخ المتأخرون لفظ «الفريد». وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها الخلفاء وجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً(رض) فيهم. وقد طبع من ديوانه «خمس قصائد» وأصيب بالفالج قبل وفاته بأيام. توفي سنة ٣٢٨هـ ولجبرائيل سليمان جبور اللبناني كتاب سماه «ابن عبد ربه وعقده ـ ط» ولفؤاد أفرام البستاني «ابن عبد ربه ـ ط».

ترجمته في:

التكملة وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وبغية الملتمس ١٣٧ وفيات الأعيان ١/ ١١٠ ـ ١١٢ وسير النبلاء ـ خ ـ الطبقة الثامنة عشرة وفيه أن الذي كان مولى لهشام هو جده حدير بن سالم والبداية والنهاية ١١: ١٩٣ ومجلة المجمع ١٥: ٤٨٨ وبروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية ١: ٢٢٣ يتيمة الدهر ١: ٣٦٠ و٤١٢، الإعلام ط ٤/١/ ٢٠٧.

(٢) علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضا: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة سنة ١٣٥هـ. وكان أسمر اللون، أمه حبشية. وأحبه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوّجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزيّ العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت، فاضطرب العراق، وثار أهل بغداد، فخلعوا المأمون، وهو في «طوس» بايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي، فقصدهم المأمون بجيشه، فاختبأ إبراهيم ثم استسلم وعفا عنه المأمون. ومات علي الرضا مسموماً في حياة المأمون بطوس سنة ٢٠٣هـ، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد، ولم تتم له الخلافة. وعاد المأمون إلى السواد، فاستألف القلوب ورضي عنه الناس.

ترجمته في:

=

بطوس، ودفنه المأمون إلى جنب والده الرشيد قال:

يا صاحب العيس تهوي في أزمّتها ... اسمع وأسمع غداً يا صاحب العيسِ
اقرا السلام على قبر بطوس ولا ... تقرا السلام ولا النعمى على طوسِ
فقد أصاب قلوب المسلمين بها ... روع وأفرخ فيها روع أبهليسِ
وأخلَست واحد التقوى وسيدنا ... فأيّ مختلس منّا ومخلوس
ولو بدا الموت حتى يستدير به ... لاقى وجوه رجال دونه شوسِ
بؤساً لطوس فما كانت منازله ... مما تخوفه الأيام بالبوس
إن المنايا أنالته مخالبها ... ودونه عسكر جمّ الكَرَاديسِ
أوْفى عليه الرّدى في خيس أشبله ... والموت يلقى أبا الأشبال في الخيسِ
ما زال مقتبساً من نور والده ... إلى النبي ضياء غير مقبوسِ
في منبت ظهرت فيهم فروعهم ... بباسق في بطاح الملك مغروسِ
والفرع لا يرتقى إلا على ثقة ... من القواعد والدنيا بتأسيسِ
لا يوم أولى بتخريق الجيوب ولا ... لطم الخدود ولا جدع المعاطيسِ
من يوم طوس الذي نادت بروعته ... لنا النعاة وأفواه القراطيسِ
حقاً بأن الرضا أودى الزمان به ... ما يطلب الموت إلا كلّ مَنْفُوسِ
ذا اللحظتين وذا اليومين مُفْتَرِشٌ ... رَمْساً كآخر في يومين مرموسِ
بمطلع الشمس وافته منيّته ... ما كان يوم الردى عنه بمحبوسِ
يا نازلاً جدثاً في غير منزله ... ويا فريسة يوم غير مفروسِ
لبستَ ثوب البلى أعزز عليّ به ... لبساً جديداً وثوباً غير ملبوسِ
صلّى عليك الذي قد كنت تعبده ... تحت الهواجر في تلك الأماليسِ
لولا مُنَاقَضةُ الدنيا محاسنها ... لما تَقَايَسَها أهلُ المقاييسِ
الله يؤتيك داراً غير زائلة ... في منزل برسول الله مأنوسِ.[1]

= ابن الأثير ٦: ١١٩ والطبري ١٠: ٢٥١ ومنهاج السنة ٢: ١٢٥ و١٢٦ واليعقوبي ٣: ١٨٠ وفيات الأعيان ١: ٣٢١ ونزهة الجليس ٢: ٦٥، الإعلام ط ٢٦/٥/٤.

(١) مقاتل الطالبيين ٥٦٨ ـ ٥٧٠، بعض أبياتها في الشعراء المحدثين ١٢٩ وقال إنها في رثاء الرشيد.

قال أبو الفرج، قال الوليد بن أشجع: مرَّ أبي وعمّاي أحمد ويزيد بقبر الوليد بن عقبة بالرقّة وإلى جانبه قبر أبي زبيد الطائي النصراني نديمه، وكان أبو زبيد أوصى حين احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبطيح[1]، والقبران مختلفان كل موجّه إلى قبلته، فوقفوا على القبرين فجعلوا يتذاكرون أخبارهما، فأنشأ أبي يقول:

مَررتُ على عِظامِ أبي زَبِيدِ ... وقد لاحت ببلقعةٍ صَلُودِ

وكان له الوَلِيدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنادم قبرُه قبرَ الوَليدِ

أنِيسا أُلفةٍ ذَهَبا فأمْسَتْ ... عظامُهُما تآنس بالصَّعِيدِ

ولا أدْرِي بمَنْ تبدا المَنايا ... بأحْمَدَ أو بأشْجَعَ أو يَزيدِ

قال: فماتوا والله كما رتبهم، رحمه الله تعالى[2].

❁ ❁ ❁

وقصة بيعة الرضا عليه السلام ما أسند أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين، قال:

أخبرني الحسن[3] بن علي بن حمزة، وعن عمّه محمد بن علي، وأخبرنا بأشياء منه أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي، وجمعت أخبارهم: إن المأمون وجّه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملوا إليه من المدينة وفيهم أبو الحسن علي بن موسى فأخذ بهم على طريق البصرة مع قائد من أهل خراسان، فقدم بهم على المأمون فأنزلهم داراً، وأنزل علي بن موسى داراً.

ووجّه إليه الفضل بن سهل[4] فأعلمه أنه يريد العقد له وأمره بالإجتماع مع

---

(١) في الأغاني: «البليخ» والبليخ: اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون أعظمها الذهبانية في أرض حران. قال ابن دريد: لا أحسب البليخ عربياً (ياقوت ج١ ص٤٩٣).

(٢) الأغاني ١٨/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) في المقاتل: «الحسين».

(٤) الفضل بن سهل السرخسي، أبو العباس: وزير المأمون وصاحب تدبيره. (اتصل به في صباه وأسلم على يده (سنة ١٩٠هـ) وكان مجوسياً وصحبه قبل أن يلي الخلافة، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً، فكان يلقب بذي الرياستين (الحرب والسياسة) مولده في سرخس (بخراسان) سنة ١٥٤هـ ووفاته فيها سنة ٢٠٢هـ قتله جماعة بينما كان في الحمام، قيل: إن المأمون دسهم له وقد ثقل عليه أمره. وكان حازماً عاقلاً فصيحاً، من الأكفاء. أخباره كثيرة. =

أخيه الحسن لذلك ففعل، واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرّفه ما في اخراج الأمر من أهله عليه، فقال له: إني عاهدت الله أن اخرجها إلى آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع[1]، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل فاجتمعا معه على ما أراد فأرسلهما إلى الرضاﷺ فعرضا ذلك عليه، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت، وإلاّ فعلنا بك وصنعنا وتهدّده ثم قال له: والله لو أمرني بضرب عنقك لفعلت إذا لم تفعل ما يريد.

ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال قولاً شبيهاً بالتهدّد وقال له: إن عمر جعل الأمر شورى في ستة أحدهم أبوك وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك.

فأجابه الرضا إلى ما التمس، ثم جلس المأمون في يوم خميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس بفعل المأمون في الرضا، وأنّه ولاّه عهده، ولقبه الرضا، وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة.

فلما كان الخميس ركب الجيش والقوّاد والقضاة وغيرهم من الناس في الخضرة، وجلس المأمون فوضع للرضا وسادتان عظيمتان حتى لحق بمجلسه وفرشه، جلس الرضا عليهما في الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المأمون فبايع له أول الناس، فرفع الرضا يده وتلقى بظهرها وجه نفسه وببطنها وجوههم.

فقال له المأمون: إبسط يدك للبيعة.

فقال الرضا: إن رسول اللهﷺ هكذا كان يبايع، فبايعه الناس، ووضعت البُدر[2]، وقامت الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى وحسن رأي المأمون.

= ترجمته في:

وفيات الأعيان ٤/٤١ ـ ٤٢ والوزراء والكتاب: أنظر فهرسته. والمرزباني ٣١٣ والكامل لابن الأثير ٦: ٨٥ و١١٨ وتاريخ بغداد ١٢: ٣٣٩ واللباب ١: ٤٤٥ وفيه التنبيه إلى أن السمعاني، في الأنساب، تكلم عن الحسن ابن سهل وهو يعني أخاه الفضل، الإعلام ط ٧/٥/١٤٩.

(١) المخلوع: هو محمد بن هارون الرشيد.

(٢) البدر: جمع بدره، وهي عشرة آلاف درهم «الصحاح ـ بدر ٢/٥٨٧».

ثم دعا أبو عبّاد الكاتب بالعباس بن المأمون فوثب فدنا من أبيه وقبّل يده وأمره بالجلوس.

ثم نودي محمد بن جعفر بن محمد فقال له الفضل بن سهل: قم، فقام فمشى حتى قرب من المأمون ولم يقبّل يده، ثم مضى فأخذ جائزته وناداه المأمون: ارجع أبا جعفر إلى مجلسك، فرجع.

ثم جعل أبو عبّاد يدعو بعلوي وعبّاسي فجعلوا يدخلون فيقبضون جوائزهم حتى نفدت الأموال، ثم قال المأمون للرضا: قم فاخطب الناس وتكلّم فيهم:

فقال بعد حمد الله والثناء:

إن لنا عليكم حقّاً برسول الله ﷺ، ولكم علينا به ﷺ حق.

ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس.

وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسمه، وزوّجه ابنته أُم حبيبة، وأمره فحج بالناس وخُطِبَ للرضا في كل موضع بولاية العهد[1].

فحدثني أحمد [بن محمد] بن سعيد قال: حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال: حدثنا من سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة، فقال في الدعاء له علي بن موسى الرضا ولي عهد المسلمين بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي:

ستة آباءٍ هم ما هُمُ　　أَكْرَمُ من يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمامْ[2]

وزوّج المأمون محمد الجواد بن الرضا[3] ابنته أُم الفضل ونقلها إليه.

---

(١) مقاتل الطالبيين ٥٦٢ ـ ٥٦٥، الفصول المهمة ٢٥٥، إعلام الورى ٣٢٠، البحار ٤٩/١٤٥.

(٢) مقاتل الطالبيين ٥٦٥، عيون أخبار الرضا ﷺ ٢/١٤٥ وفيه: «سبعة آباءهم»، مناقب آل أبي طالب ٤/٣٦٤، الفصول المهمة ٢٥٦، بحار الأنوار ٤٩/١٤٦، والشعر للنابغة الذبياني، أنظر ديوانه ١١٧ وفيه: «خمسة آباءهم»، وأنظر خزانة الأدب ١/٢٨٨، الارشاد ٢/٢٦٣.

(٣) محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الملقب بالجواد: تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان رفيع القدر كأسلافه، ذكياً، طلق اللسان، قوي البديهة. ولد في المدينة سنة ١٩٥هـ وانتقل مع أبيه إلى بغداد. وتوفي والده فكفله المأمون العباسي ورباه وزوجه ابنته «أم الفضل» وقدم المدينة ثم عاد إلى بغداد فتوفي فيها سنة ٢٢٠هـ. =

واعتلّ الرضا علّته التي مات منها.

قال أبو الفرج: وكان الرضا يذكر الحسن[1] والفضل ابني سهل قبل مرضه عند المأمون فيذكر مساوئهما.

قلت: وفي هذا القول ما فيه، فقد مرّ ذكر تشيُّع الفضل.

قال: ورأى الرضا المأمون يوماً وغلام يصب على يده الماء، فقال: يا أمير المؤمنين ولا يشرك بعبادة ربه أحداً.

قلت: مذهب الرضا وآبائه عدم جواز الوضوء للإنسان وغيره يصب الماء.

لما اعتل الرضا تعالل المأمون وأظهر إنهما جميعاً أكلا طعاماً ضاراً، فلم يزل الرضا عليلاً حتى مات.

قال الأصبهاني: وقد اختلف في أمر وفاته وكيف سقي السمّ. فذكر محمد ابن علي بن حمزة، إن منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبد الله:

أن المأمون أمَره أن يطوّل أظفاره ففعل ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التمر

= وللدبيلي، محمد بن وهبان، كتاب في سيرته سماه «أخبار أبي جعفر الثاني» ويعني بالأول الباقر.

ترجمته في:

مرآة الجنان ٢: ٨٠ وتاريخ بغداد ٣: ٥٤ ومنهاج السنة ٢: ١٢٧ ونور الأبصار ١٥٤ وفيات الأعيان ١: ٤٥٠ وشذرات الذهب ٢: ٤٨ والنجوم الزاهرة ٢: ٢٣١ والذريعة ١: ٣١٥ ونزهة الجليس ٢: ٦٩ وفيه: «ولادته سنة خمس وسبعين ومائة» وقد يكون من خطأ النسخ أو الطبع، لأن كثيراً ممن ترجموه ذكروا أنه عاش خمساً وعشرين سنة. وأورد بعضهم وفاته سنة ٢١٩، الإعلام ط ٤/٦/٢٧١ ـ ٢٧٢.

(١) الحسن بن سهل بن عبد الله السرخسي، أبو محمد: وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره. اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات، والكرم ولد سنة ١٦٦هـ. وهو والد بوران (زوجة المأمون) وكان المأمون يجله ويبالغ في إكرامه، وللشعراء فيه أماديح. أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣هـ، فتغير عقله حتى شد في الحديد، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته (سنة ٢١٠هـ) وتوفي في سرخس (من بلاد خراسان) سنة ٢٣٦هـ قال الخطيب البغدادي: وهو أخو ذي الرياستين الفضل بن سهل، كانا من أهل بيت الرياسة في المجوس وأسلما هما وأبوهما سهل في أيام الرشيد.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ١: ١٤١ وغربال الزمان ـ خ ـ وتاريخ بغداد ٧: ٣١٩ وابن الوردي ١: ٢١٧، الاعلام ط ٤/٢/١٩٢.

الهندي وقال له امرسه بيدك ففعل ثم دخل على الرضا فقال: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً، قال: هل جاءك أحد من المترفقين اليوم؟ قال: لا، فغضب وصاح على غلمانه، وقال: خذ ماء الرمان اليوم فإنه مما لا يستغنى عنه، ثم دعا برمان فأعطاه عبد الله بن بشير وقال له: اعصر ماءَهُ بيدك، ففعل وسقاه الرضا بيده فشربه، فكان سبب وفاته، ما لبث إلاّ يومين حتى مات.

قال محمد بن علي بن حمزة: فبلغني أن أبا الصلت الهروي دخل على الرضا بعد ذلك فقال له: يا أبا الصلت قد فعلوها، قد سقوني السمّ.

قال محمد بن علي: وسمعت في صفة سُمّه أنه أُطعم عنباً قد غرزت في موضع أقماعه الأبر وتركت أياماً فأكل منه في علّته فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم.

ولما توفي الإمام الرضاﷺ لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوماً وليلة، ثم وجّه إلى محمد بن جعفر وجماعة آل أبي طالب فلما حضروا أراهم إيّاه صحيح الجسد لا أثر به وبكى، وقال: عزَّ عليَّ يا أخي أن أراك في هذه الحالة وقد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلاّ ما أراد، وأظهر جزعاً شديداً وحزناً كثيراً، وخرج مع جنازته يحملها حتى أُتي به إلى قبر هارون الرشيد فدفنه إلى جانبه[1].

قلت: قبر الرضاﷺ بمدينة سناباد من رستاق طوس، ومشهده مشهور مزور معظم، قد زخرفه الملوك الموسوية، ملوك العجم الآن وغيرهم ممن غبروا، وعلّقوا بقبّته من قناديل الذهب والجوهر ما لا يمكن التعبير عنه. وقصبة طوس الطابران.

وما أحسن قول الشيخ الإمام الوزير بها الدين العاملي الآتي ذكره إن شاء الله[2] فيه ذوبيت:

يا ريح قصّي قصة الشوق إليك ... إن جئت إلى طوسٍ فبالله عليك

(١) مقاتل الطالبيين ٥٦٢ ـ ٥٦٧.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

قـبّـل عـنـي ضـريـح مـولاي وقـل قـد مـات بـهـا مـن الـشـوق إلـيـك

قلت: وإنما امتنع الرضا من قبول عهد الخلافة حتى أُكره لأنه قال للمأمون: إن الجفر والجامعة دلّت على أنه لا يتم ما أردتم، وأجابه تقيّة، ويجوز أن المأمون أبرَّ بيمينه كما ذكر ثم ندم فسمّه، وقيل: إن الفضل بن سهل حسّن له ذلك، ولذا قتل غيلة بسرخس كما تقدم، مع تشيُّع كان في المأمون مشهور، ولكن الملك عقيم، وأراد إرغام عمّه إبراهيم بن المهدي فإنه كان ناصبياً يعيب المأمون بالتشيّع، ولما بايع المأمون للرضا خلعه إبراهيم ببغداد ودعى لنفسه وتلقّب بالمبارك، وقال إبراهيم يوماً للمأمون: إني رأيت علياً في منامي، فقلت له: إنما تدّعون هذا الأمر بامرأة ونحن أحقّ به منكم. فما رأيت له بلاغة في جوابه كما يروى عنه، قال: فما أجابك به؟ قال: سلاماً سلاماً. قال المأمون: الله أكبر قد والله أجابك بأبلغ جواب، وعلم إنك جاهل لا تناظر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾(1) فتغيّر إبراهيم وقال: ليتني لم أخبرك.

وقالت أسماء بنت المهدي قلت لأخي إبراهيم: أما والله أشتهي أن أسمع غناءك، قال: إذاً والله لا تسمعين مثله عليَّ وعلي وأغلظ في اليمين إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمني النفر والنغم وصافحني وقال: إذهب فأنت مني وأنا منك.
وقال دعبل فيه:

يـا مـعـشـر الأجـنـاد لا تـقـنـطـوا وارضـوا بـمـا كـان ولا تـسـخـطـوا
فـسـوف تـعـطـون حـنـيـنـيـة يـلـتـذهـا الأمـرد والأشـمـطُ
والـمـعـبـديـات لـقـوّادكـم لا تـدخـل الـكـيـس ولا تـربـطُ
وهـكـذا يـرزق قـوّاده خـلـيـفـة مـصـحـفـه الـبـربـطُ

الحنينيات: أصوات من الغناء منسوبة إلى حنين النجفي العبادي المغني المشهور.

والمعبديات: إلى معبد.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: بويع إبراهيم ببغداد، وقد قلَّ المال عنده وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد الناس

---

(1) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

واحتبس عنهم العطاء، فجعل أميرهم يسوّفهم ولا يفي إلى أن خرج رسوله إليهم يوماً وقد اجتمعوا وضجّوا فصرّح لهم بأنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد اخرجوا إلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ليكون عطاءهم، ولأهل ذلك الجانب مثلها، فأنشد دعبل بعد أيام: «يا معشر الأجناد لا تقنطوا».

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح الجوهرية: كان إبراهيم بن المهدي منحرفاً عن علي عليه السلام، ولما مات إبراهيم ركب المعتصم حتى صلّى عليه.

وقال الواثق أقم يا بني حتى تخبّه، وقيل: لم يصلّ عليه تحرّجاً، وأمر الواثق بالصلاة عليه.

وسئل عن وصيّته فوجده قد أمر بمال عظيم أن يفرّق على أولاد الصحابة كلهم إلاّ أولاد علي عليه السلام، فقال الواثق: والله لولا طاعة أمير المؤمنين لما وقفت عليه ولا انتظرت دفنه، ثم انصرف وهو يقول منحرف عن شرفه وخير أهله، والله لقد دليته في قبره كافراً.

وأمر الواثق فَفُرّق في أولاد علي عليه السلام مال فاضل فأصاب كل رجل منهم أضعاف أضعاف ما أصاب غيرهم من وصيّة إبراهيم.

❀ ❀ ❀

وسَناباد، بفتح السين المهملة وبعد النون ألف ثم باء موحدة مفتوحة وبعدها ألف ثم دال مهملة: موضع مشهد الرضا عليه السلام.

وطابران، بالطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة مفتوحة، وبعد الراء ألف ونون.

ومزاج الرمان مختلف وهو ثلاثة أصناف، حلو وحامض ومرّ، فالأول الإمليسي حار رطب في الأولى وقيل بارد أو معتدل ينفع الصدر ويقمع الدم وحدة الصفراء وقروح الأمعاء، والمرّ يقمع الصفراء، والحامض أقوى الثلاثة في التبريد والقبض وفيه حدّة، وقيل لم يخلق الرمّان إلاّ للمرضى.

وأبو الصلت الهروي: كان شيعياً فاضلاً أديباً.

وحسبنا الله وكفى[1].

---

(١) في هامش ب: «وفاة أشجع السلمي نحو سنة خمس وتسعين ومائة».

[٣٤]

أيمن بن حزيم بن فاتك، وقيل ابن خُرَيم بن الأخرَم بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار الأسدي(*)

قيل: كان من التابعين، وقيل: بل له صحبه.

قال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: كان أيمن متشيّعاً[١]، شاعراً مجيداً، وأبوه صحابي اعتزل حرب الجمل وصفين مع المعتزلة[٢].

وذكره الحافظ الأسيوطي في «سح السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة» وقال: كان معروفاً بمحبة علي.

وأورد الأصفهاني من شعر أيمن في المائة المختارة: [من المتقارب]

لَقيتُ من الغانياتِ العُجابا ... لو ادْرَكَ مني الغواني الشبابا
علام يُكَحّلن حورَ العيو ... ن ويُحدثْنَ بعد الخضاب الخضابا
ويُبرِقْن إلا لما تعلمو ... ن فلا تمنعنَّ النساء الضرابا[٣]
ولو كِلتَ بالمدِّ للغانيا ... ت وضاعفْتَ فوق الثياب الثيابا
إذا لم تُنلْهنّ من ذاك ذا ... ك بغينك عند الأمير الكلابا

(*) كتب عنه الطيّب العشّاش «أيمن بن خريم أخباره وأشعاره» في مجلة حوليات الجامعة التونسية ع ٩/١٩٧٢ ص ١٠١ ـ ١٤٩.

ترجمته في: الأغاني ٣٢٠ ـ ٣٢٩ وفيه: «أيمن بن خريم»، الشعر والشعراء ٢١٤، تهذيب ابن عساكر ١٨٧/٣، الإصابة ١٠٩/٢، الاعلام ط ٣٥/٢/٤ وفيه: «أيمن بن خريْم».

(١) في هامش ج: «قلت: كيف يكون متشيعاً مع توقفه عن قتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع سيد الوصيين وابن عم رسول رب العالمين الذي قال فيه النبيﷺ اللهم أدر الحق معه حيث دار، ومثل قوله لعمار: إذا سلك الناس وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي، وكم في هذا من الأحاديث».

وفي هامش ج أيضاً تعليق على هذا الهامش: «المتوقف والده فلا وجه للإشكال».

(٢) الأغاني ٣٢١/٢٠.

(٣) يبرقن: يتزين.

إذا لـم يُـخَـالَـطْـنَ كـل الـخِـلا ط أصبحن مُخْرنْطماتٍ[1] غضابا[2]

وروي أن عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء، فلما أسنَّ ضعُف عن الجماع، فازداد غرامُه بهنّ، فدخل عليه يوماً أيمنُ المذكور فقال له: كيف أنت يا أيمن؟ قال: بخير يا أمير المؤمنين، قال: كيف قوّتك؟ قال: كما أحبّ والحمد لله إني لآكل الجَذَع من الضأن[3]، والصاع من التمر، وأشرب العسّ[4] المملوّ أغبّة غبّاً، وارتحل الجمل الصعب فأنصِبُه، وأركب المُهر الأَرَن فأُذَلِّله، وافترع العذر لايُقْعِدُني عنها الكِبَر.

فغاض ذلك عبد الملك فحسده وجفاه واطرحه حتى أثر ذلك في حاله وحجبه أيضاً وقطع عطاءه، فقالت له امرأته: أصدقني هل لك جُرْم؟ قال: لا والله، قالت: فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته؟ فأخبرها، فقالت: من هنا أتيت، أنا أحتال لك، فتهيأت ودخلت على عاتكة بنت يزيد زوجته، فقالت: أسألك أن تستعدي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: فيمَ؟ قالت: ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائِطٍ؟ فإن له سنين ما يعرف فراشي، فخرجت عاتكة فأخبرت عبد الملك، فوجّه فيه وسأله عما ذكرت فاعترف بذلك، فقال: أو لَم أسألك عام أول عن حالك فوصفت كيت وكيت، فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل ليتجمّل عند سلطانه، ويتجلّد لأعدائه بأكثر مما وصفت به نفسي، وأنا القائل، وأنشد الأبيات المتقدمة، فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى بك يا بن حزيم، لقد لقيت منهن برحا فما ترى أن نصنع بينك وبين زوجتك؟ قال: تأجلها أجل العنين لعلّي أستطيع إمساكها، قال: إفعل، وردّها إليه وأمر له بما قد فات من عطائه وزاد في برّه وتقريبه[5].

ومن هذه المادة قول السرّاج الورّاق[6]:

---

(١) مخرنطمات: وصف من إخرنطم: إذا رفع أنفه واستكبر وغضب. واخرنطم الرجل: عوج خرطومه وسكت على غضبه. والمخرنطم: الغضبان المتكبر مع رفع رأسه (اللسان مادة خرطم).

(٢) الأغاني ٢٠/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، الشعر والشعراء ٤٥٥، عيون الأخبار ٤/١٠٢.

(٣) الجذع من الضأن: الصغيرة في السنة الثانية (اللسان مادة: جذع).

(٤) العس: القدح الضخم، وقيل هو أكبر من الغمر، وهو الطول، يروّي الثلاثة والأربعة، والعدّة والرفد أكبر منه، والجمع عساس وعسسه (اللسان مادة: عس).

(٥) الأغاني ٢٠/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٦) مرّت ترجمته بهامش سابق.

إذا يـئس الـمـرء مـن أيـرهِ ... رأت عـرسـه الـيـأس مـن خـيـرهِ
ومـن كـان فـي سـنـه ضـاعـنـاً ... فـقـد عـدم الـطـعـن فـي غـيـرهِ

وقال السرّاج أيضاً:

رب بـكـر أصـبـتـهـا أول الـعـمـ ... ـر وقـدحـي مـن الـشـبـاب المـعـلـى
طـلـبـت ذلـك الـنـشـاط فـأجـمـلـ ... ـت لـهـا الـقـول حـيـن قـصـرت فـعـلا
كـنـت تـرسـاً وكـان رمـحـا فـلـمـا ... صـرت بـيـراً بـأسـتـنـا صـار حـبـلا

ما أحسن ما راعى النظير بين الترس والرمح والبير والحبل.

وله أيضاً:

طـوت الـزيـارة إذ رأت ... عـصـر الـشـبـاب طـوى الـزيـاره
وبـقـيـت أهـرب وهـي تـسـ ... ـأل جـارة مـن بـعـد جـاره
وتـقـول يـا سـتـي اسـتـرحـ ... ـنـا لا سـراج ولا مـنـاره

وفي المنارة بعد ذكر السراج تورية، إذ هي المآذنة وكنّى بها عن ذكره.

وكان حماد عجرد[1] الشاعر الخليع يشرب عند جماعة من أصحابه بالكوفة فزفّت إليه امرأة فافترعها ورجع إليهم مسرعاً وهو يقول:

قَدْ فتحنا الحِصنَ بعد امتناعِ ... بمنيعٍ فاتِحٍ للقِلاعِ
ظَفِرَتْ كفّي بتفريقِ شَمْلٍ ... جاءنا تفريقُهُ باجتماعِ[2]

وفي العجز عنه، قال ابن الحجاج[3]:

---

(١) حماد بن عمر بن يونس بن كليب السوائي، أبو عمرو، المعروف بعجرد: شاعر، من الموالي، من أهل الكوفة. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولم يشتهر إلا في العباسية. نادم الوليد بن يزيد الأموي، وقدم بغداد في أيام المهدي، وكانت بينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة. قتل غيلة بالأهواز سنة ١٦١هـ، ويقال: دفن إلى جانب قبر بشار.

ترجمته في:

الأغاني ١٤/٣١٣ ـ ٣٧٥ وفيات الأعيان ٢/٢١٠ ـ ٢١٤ ولسان الميزان ٢: ٣٤٩ وفيه: وفاته ـ عن المنتظم لابن الجوزي ـ سنة ١٦٨هـ. وتاريخ بغداد ٨: ١٤٨ والشعر والشعراء ٣٠٢، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٢٧٢.

(٢) الأغاني ١٤/٣٢٨ ـ ٣٢٩، خاص الخاص ٨٦، الكناية والتعريض ١٣

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

قالت ـ وقد قلت: اعبثي لي به يوماً وقد قامت وقد ناما ـ
لو أن إسرافيل في راحتي ينفخ في أيرك ما قاما

وله أيضاً:

تقول إذ بت أُسليها وأرشفها وقد دعتني إلى شيء فما كانا
إن لم تنكني نيك المرء زوجته فلا تلمني إذا أمسيت قرنانا
كأن أيرك من شمع رخاوته فكلّما عرّكته راحتي لانا

وقال الصفدي[1]:

عهدي بأيري وهو فيه تيّقظ كم قام منتصباً وما نبهتهُ
واليوم كالطفل الصغير بمهده يزداد نوماً كلما حركتهُ

وقال ابن الصقر الواسطي بسبب أنه اتهم بغلام له:

ابن أبي الصقر افتكرْ وقال في حال الكِبَرْ
والله لولا بولة تلحقني عند السَحَرْ
لما ذكرت أن لي ما بين أفخاذي ذكرْ

وله من قطعة:

إن يمسِ كالبقلة في لينها فطال ما أصبح مثل الوتدِ

وله من أخرى:

كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعفُ

ولابن حجّاج أيضاً:

أسفي عليه ممدّدٌ فوق الخصى شبه العليل فديته من نائمِ
طمع الغواني في انتظار قيامه طمع العوالم[2] في انتظار القائمِ

يعني أن غيبة القائم طالت لأنه كان إمامياً.

وهذا باب واسع لشدّة الرغبة إليه، فلا يكاد يخلو الشاعر المتصرف عن كل شيء منه، والاختصار مقصود، والله أعلم.

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٢) في نسخة ب: «الروافض».

حرفُ الباء

[٣٥]

الشريف أبو محمد، بركات بن الأمير زين الدين بن أبي زهير الحسن ابن الأمير بدر الدين أبي المعالي عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد ابن أبي سعيد الحسني المكي، أمير مكة شرّفها الله تعالى وبلاد الحجاز(*).

فاضل يهتزّ عطفه بين السمر والبيض من المشرفية والمران، ويطربه في أوتار آجام أعاديه سماع العيدان، ما لاح في الموكب جساساً له إلا استباح حمى كليب، ولا لحق سيفه إلاّ فلوله من قراع الكتائب عيب، فهو ضيف ما برح نزالاً من العداة على القمم، مقرون بِخَطّي خطت المنية في محرضه خط القلم، إلى أدب أوضح معجزات محمد، وكرم حكى جده عجلان غير مجدد.

قال ابن فهد في معجمه: إنه ولد سنة إحدى وثمانمائة أو سنة اثنتين

(*) تكملة نسبه كما في تحفة الأزهار ـ خ ـ ١/ ٤٠٢ ـ ٤٦٢: «أبي نمي محمد ـ المذكور بن أبي محمد سعد الدين الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله القود بن محمد بن محمد الحرّاني الثائر بن موسى الأبرش ابن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ».

ترجمته في: نظم العقيان ١٠٠، صفحات لم تنشر ٣٢، بدائع الزهور ٢/ ٥٢، حوادث الدهور ٢/ ٣٦٨، خلاصة الكلام ٤٠ ـ ٤٣، معجم ابن فهد ـ خ ـ، التبر المسبوك ١٤، ١٤٣، ١٨٤، الإعلام ط ٤/ ٢/ ٤٩ وفيه ولادته سنة ٨٠٢هـ.

بالحشافة بلد قريب من جدّة، ونشأ بمكة في كنف والده، وقرأ القرآن وكتب الخط الحسن، وأجاز له سنة خمس وثمانمائة وما بعدها البرهان بن صديق، والقاضي زين الدّين المراغي، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي والحُفّاظ الثمانية: زين الدين العراقي، ووالده أبو زرعة، ونور الدين الهيثمي، والشهاب ابن حجر، وسرد بقيّتهم وغيرهم، وحدّث بالقاهرة ثم مكة بالأجازة، وولّي إمرة مكة شريكاً لوالده في شعبان سنة تسع وثمانمائة، وفي سنة إحدى وعشرين نزل الأمير أبو زهير الحسن عن إمرة مكة لولده بركات المذكور، ولما مات الملك المؤيد شيخ صاحب مصر والشام والحجاز سنة أربع وعشرين كتب إلى خليفته يطلب إشراك أخيه إبراهيم معه في ولاية مكة ولم يتم ذلك، ثم طلبه السلطان إلى مصر سنة تسع وعشرين بعد وفاة والده فقدمها والتزم بحمله وهو في كل سنة عشرة آلاف دينار، وأن يكون مكس جدّة وما تجدد من مراكب الهند يكون للسلطان، فولي وقدم مكة ودخل إلى القاهرة المعزية ثلاث مرات، وكان ثالثها بسبب طلب السلطان حمق[1] له سنة إحدى وخمسين، واهتزّت القاهرة لدخوله، وخرج السلطان بعسكره إلى لقائه، وبلغ إلى مطعم الطين بالزندانية، ولم يبق من لم يخرج حتى المخدّرات، وبالغ السلطان في إكرامه، ومشى له خطوات واحتضنه وأجلسه إلى جانبه، وخلع عليه، وقدّم له فرساً بسرج ذهب مزركش، ولما عاد من مصر أميراً استولى على حلي.

قال ابن فهد: وكان شهماً عارفاً بالأمور، فيه خير كثير واحتمال زائد، وجاه ومروّة ظاهرة، وكان حسن الشكل والسياسة، مفرط الشجاعة، ذا سكينة ووقار وثروة زائدة، وكانت وفاته يوم الاثنين عصراً، تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين وثمانمائة بأرض خالد من وادي مرٍّ، وحمله الرجال إلى مكة وطيف به حول الكعبة سبعاً، ودفن بالمعلا بالقرق من قبر جده، وعمرت عليه قبة، رحمه الله تعالى، ورثاه جماعة.

قلت: وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن محمد المنصوري الشهير بالهائم القاهري يرثيه:

قالوا: قضى بركات، قلت: فحقَّ لي ... أن أتبع العبرات بالزفراتِ

(١) كذا في الأصل.

يا ترحة الأحياء عند فراقه ... وبقربه يا فرحة الأمواتِ
والكعبة الغراء قالت: قد غدا ... لبس الحداد عليه من عاداتي
وانظر إلى آثاره في مكة ... فرحابها لم تخل من بركاتِ

وقال ابن فهد: أخبرنا الشريف أبو محمد بركات، وسرد ابن فهد الإسناد إلى أبي الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي أنبأنا محمد بن مصعب، أنبأنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد، عن واثلة بن الأسقع[1] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم [محمداً] ﷺ الله تعالى، حديث صحيح أخرجه الترمذي[2].

قال: وأنشدني الأمير الشريف بركات لنفسه من قصيدة طويلة:

يا من بذكراهم قد زاد وسواسي ... ومن شغلت بهم عن سائر الناسِ
ومن تقرّر في قلبي محبّتهم ... وجئتهم طائعاً أسعى على راسي

---

(١) واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل؛ الليثي الكناني: صحابي، من أهل الصفة ولد سنة ٢٢ق.هـ. كان، قبل إسلامه، ينزل ناحية المدينة. ودخل المسجد بالمدينة، والنبي ﷺ يصلي الصبح، فصلى معه، وكان من عادة النبي إذا انصرف من صلاة الصبح، تصفح وجوه أصحابه، ينظر إليهم، فلما دنا من واثلة أنكره، فقال: من أنت؟ فأخبره، فقال: ما جاء بك؟ قال: أبايع، فقال: على ما أحببت وكرهت؟ قال؛ نعم، قال: فيما أطقت؟ قال: نعم. وكان رسول الله ﷺ يتجهز إلى تبوك، فشهدها معه. وقيل: خدم النبي ثلاث سنين. ثم نزل البصرة وكانت له بها دار. وشهد فتح دمشق، وسكن قرية «البلاط» على ثلاثة فراسخ منها. وحضر المغازي في البلاد الشامية. وتحول إلى بيت المقدس، فأقام، ويقال: كان مسكنه ببيت جبرين. وكف بصره. وعاش ١٠٥ سنين، وقيل: ٩٨ وهو آخر الصحابة موتاً في دمشق. له ٧٦ حديثاً. ووفاته بالقدس أو بدمشق سنة ٨٣هـ.

ترجمته في:

تهذيب ١١: ١٠١ وكشف النقاب ـ خ. وأسد الغابة ٥: ٧٧ والإصابة، ت: ٩٠٨٩ والاستيعاب، بهامشها ٣: ٦٠٦ وصفة الصفوة ١: ٢٧٩ وحلية الأولياء ٢: ٢١ وشرحا ألفية العراقي ٣: ٤٠ وخزانة البغدادي ٣: ٣٤٣ والكامل لابن الأثير ٤: ١٩١ في حوادث سنة ٨٣ وفيه: وقيل: مات سنة ٨٥ وهو ابن ٩٨ سنة. وبالرواية الأخيرة أخذ اليافعي في مرآة الجنان ١: ١٧٥ وفي رجال نسبه خلاف، الاعلام ط ١٠٧/٨/٤.

(٢) أخرجه الإمام الترمذي ومسلم وغيرهما، انظر: الصواعق المحرقة لأبن حجر ٢٢٠.

سألتكم رشفة لي من مشاربكم ... تغني عن الراح مهما لاح في الكاسِ

ومنها:

إن قل درّ البكار المزرمات ترى ... سوحي كمشهدِ أعيادٍ وأعراسِ

ومنها في عتاب أخيه أبي القاسم:

قد جئت ما جا كليب في عشيرته ... لو أن فينا غلاماً مثل جسّاسِ

والبكار: جمع بكرة.

قال ابن فهد: ومن المنسوب له:

وقائلة: لم نمت ليلة وصلنا؟ ... فقلت لها: لا علم لي بسواكِ
وما نمت عن كره ولا عن ملالة ... ولكن لعلّي في المنام أراكِ
فبعزّ عزّك يا سعاد، بذلّتي ... بنحول جسمي، بالذي عافاكِ
لا تجعليني عرضة لذوي الهوى ... وترّفقي يا هذه بفتاكِ
وترّقبي صرف الزمان وحاذري ... أنا يا سعاد ما ملكت فداكِ[1]

هكذا نقلت هذه الأبيات من معجم ابن فهد، فهي مختلطة الوزن والمعنى، أما الوزن فظاهر، وأما المعنى فلأنه نام ليلة وصلها، اللهم إلا أن يكون سكر بدلها، وقد عابوا قول جرير[2]:

---

(١) في هامش نسخة ب: «قلت: الشريف بركات رحمه الله تعالى من فرسان رهائن البلا العظمى، وهو في عقد الأدب اليتيمة العصا. ولعل هذه الأبيات متفرقات، فالأول والثاني مقطوع على انفراده من بحر الطويل، وما بعدهما على انفراده من بحر... فلا اختلال في الوزن، وأما المعنى في المقطوع الأول فمعناه واضح حسن وهو أنها وردت إلى الوصل وهو نائم فاعتذر، انه إنما نام ليراها طيفاً مع... لما وصلته نائماً خلاف مقصوده فلم يقع النوم بعد الوصول حتى يقع النوم بعد الوصول حتى يقع المعنى غير موافق، فتأمل، والله سبحانه أعلم». هامش الأم.

(٢) هو أبو حرزة جرير بن عطية الخطفي التميمي. من أبرز شعراء عصره في فنون الشعر كافة، ولكنه اشتهر بالهجاء. خاصم ثمانين شاعراً، فلم يثبت لمهاجاته غير الفرزدق. وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء ومن طريف ما يروى: أنه لما بلغه نعي الفرزدق بكى وأنشأ يقول: -

فجعنا بحمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم عرضها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق وإنما ... بكيناك إذ نابت أمور العظائم

توفي باليمامة سنة ١١٠هـ ومن آثاره ديوان شعره.

ترجمته في:

الأغاني ٨/ ٥ - ٩٤، الشعر والشعراء/ ٣٩٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٢١ - ٣٢٧، خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٧٨، الشريشي ٤/ ٦٢. شرح شواهد المغني/ ٤٥، أنوار الربيع ١/ هـ ٧٩ - ٨٠.

طرقتك صايدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

وقول أبي بكر بن بقي الأندلسي[1]:

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق

أو يكون قد سهر لحبها دهراً فلما اطمأن بها غلبه النوم أو أعداه سهار مشاهدة عينها. وابن بقي عندي أعذر الثلاثة.

ولأبي العباس المبرّد قصة في نوم بعض جوارحه عند زيارة الحبيب.

ولأبي محمد بركات المذكور موشّح لم أستحسنه.

وأشراف الحجاز زيدية، فلذا ذكرته، والله أعلم.

[٣٦]

أبو وهيب، بهلول بن عمرو الصيرفي، أحد عقلاء المجانين، الكوفي(*).

فاضل عرف حقيقة الدنيا فقابلها بمثلها، وخمّر لها العقل كما سترت

(١) يحيى بن عبد الرحمن بن بقي الأندلسي القرطبي، أبو بكر: شاعر، من أهل قرطبة. اشتهر بإجادة الموشحات. وتنقل في كثير من بلاد الأندلس التماساً للرزق من شعره توفي سنة ٥٤٠هـ. وهو صورة للأدب الأندلسي في عصره:

«ومشمولة في الكأس، تحسب أنها سماء عقيق رصعت بالكواكب
بنت كعبة اللذات، في حرم الصفا، فحج إليها الحظ من كل جانب!»

وهو صاحب الموشح الذي أوله:

«عبث الشوق بقلبي، فاشتكى ألم الوجد، فلبت أدمعي».

وللدكتور عدنان آل طعمة دراسة مفصلة عنه.

ترجمته في: معجم الأدباء ٢٠/ ٢١ ـ ٢٥ ووفيات الأعيان ٦/ ٢٠٢ ـ ٢٠٥، وقلائد العقيان ٢٧٩ والمغرب في حلى المغرب ٢: ١٩ ـ ٢١ وأزهار الرياض ٢: ٢٠٨، ٢٠٩ هو في المصادر الثلاثة الأخيرة: «يحيى بن بقي» نسبه إلى جده. الاعلام ط ٤/ ٨/ ١٥٢.

(*) ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٥٣ ـ ١٥٨، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٧٩ بولاق، عقلاء المجانين، البيان والتبيين تحقيق هارون ٢/ ٢٣٠، نزهة الجليس ١/ ٣٨٠، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٧٧، الأذكياء لابن الجوزي، النجوم الزاهرة، كرامات الأولياء للنبهاني، الوصايا لابن عربي، البصائر والذخائر لابن حيان، غاية المرام للعمري، روضات الجنات، رجال أبي علي، دائرة المعارف =

التقلّب بنيها على فعلها، وله أدب مفتر المباسم، يكاد يشتبه لولا عدم برده بالنسائم، وشعر هو واسطة عقد القريض، ولا عيب فيه إلاّ ما حوى من سحر الجفن الغضيض.

وكان يحدّث عن أيمن بن نائل، وعمرو بن دينار، وعاصم بن أبي النجود، وله كلام مليح، ونوادر، وأشعار، واستقدمه الرشيد ليسمع كلامه.

قال الفضل بن الربيع الحاجب: حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذي، فقلت: أسكت فقد أقبل أمير المؤمنين، فسكت، فلما حاذاه قال: يا أمير المؤمنين، حدّثني أيمن بن نائل، حدثنا قدامة بن عبد الله العامري قال: رأيت رسول الله ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رثّ ولم يكن، ثم طرد ولا طرب ولا إليك إليك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه بهلول المجنون، قال: قد عرفته، قل يا بهلول، فقال:

هب انك قد ملكت الأرض طرّاً ... ودان لك العباد فكان ماذا؟
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ ... ويحثو الترب هذا ثم هذا؟

قال: أجدت يا بهلول، أفغير هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، من رزقه الله جمالاً ومالاً فعفّ في جماله، وواسى من ماله، كُتب في ديوان الأبرار.

فظنَّ أنه يريد شيئاً، فقال: إنا قد أمرنا بقضاء دينك، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين أتراه أجرى عليك ونسيني الذي أجرى عليك، ما جرى عليك، ثم ولّى وهو يقول:

توكّلت على الله ... وما أرجو سوى الله
وما الرزق من الناس ... بل الرزق من الله

قال الأصمعي: رأيت بهلولاً قائماً ومعه خبيص[1] يأكله، فقلت: أيش

= الإسلامية، مراقد المعارف تأسيس الشيعة.

كتب عنه الأستاذ معن حمدان علي بعنوان (البهلول) في مجلة البلاغ الكاظمية للسنة ٨/ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ع ٣/ ٢١ ـ ٢٥.

(١) الخبيص: الحلواء المخبوصة، وخبص الحلواء يخبصها خبصا ـ من باب ضرب ـ خلطها وعملها، والمخبصة ـ بزنة الملعقة ـ التي يقلب بها الخبيص.

معك؟ قال: خبيص، قلت: أطعمني منه، قال: ليس هو لي، قلت: لمن هو؟ قال: لحمدونة بنت الرشيد أعطتني آكله لها[1].

وقال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك: رأيت بهلولاً في المقابر وقد دلّى رجليه في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت له: ما تصنع ها هنا؟ قال: أجالس أقواماً لا يؤذونني، وإن غبت لا يعاتبونني[2]، فقلت: قد غلى السعر مره، فقال: والله لا أبالي ولو كان كل حبّة بدينار، إن الله علينا أن نعبده كما أمر، وإن عليه أن يرزقنا كما وعد، ثم صفق بيده وقال:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
شَغَلْتَ نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه[3]

وقال الحسن بن سهل بن منصور: رأيت الصبيان يرمون بهلولاً، فأصابته حصاة فأدمته، فقال:

حسبيَ الله توكلت عليه ... مَنْ نواصي الخلق طُرًّا بيديه
ليس للهارب في مهربه ... أبداً من راحة إلا لديه
رُبَّ رام لي بأحجار الأذى ... لم أجد بُدّاً من العطف عليه

فقلت له: تعطف عليهم وهم يرمونك! فقال: اسكت لعل الله يطلع على غمّي وشدة فرح هؤلاء فَيَهَبَ بعضنا لبعض[4].

وقال عبد الله بن عبد الكريم: كان لبهلول صديق قبل أن يجنّ، فلما أصيب بعقله فارقه صديقُه، فبينما بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذ لقيه، فلما رآه صديقه عَدَلَ، فقال بهلول:

اذنُ مني ولا تخافَنَّ غدري ... ليس يخشى الخليل غدر الخليلِ
إنَّ أدْنَى الذي ينالك مني ... سَتْرُ ما تتقي وبثُّ الجميلِ[5]

---

(١) فوات الوفيات ١/ ١٥٣.

(٢) في الفوات: «لا يغتابوني».

(٣) فوات الوفيات ١/ ١٥٤.

(٤) ن. م..

(٥) ن. م.

وقال الفضل بن سليمان: كان بهلول يأتي سليمان بن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف، فجاءه يوماً، فضحك منه ساعة، ثم قال: هل عندك شيء تأكله؟ فقال لغلامه: هات لبهلول خبزاً وزيتوناً، فأكل ثم قام لينصرف، ثم أتاه يوماً آخر فقال له: أعندك شيء نأكل، فقال لغلامه هات لبهلول خبزاً وجبناً، فلما قام لينصرف قال لسليمان وكان والي البصرة:

يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيد يكون عندكم لحم؟ فخجل سليمان منه[1].

وعَبِثَ به الصبيان ففرّ منهم والتجأ إلى دار بابُهَا مفتوح، فدخلها، وصاحب الدار قائم له ظفيرتان، فصاح به: ما أدخلك داري؟ فقال: ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض[2].

والقرن: القصيصة من الشعر تظفرها المرأة، قال الوضاح:

فلثمت فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرجِ

ولقد جاء بهلول باقتباس وتورية وتشبيه على البديهة.

وما أحسن قول صاحبنا الأديب شعبان بن سليم[3] في رقيب اسمه الثور:

لقد حال ما بيني وبينك معشرٌ وجاؤوا بما لا نستطيع له ردّا
أعانوا علينا الثور فيك بقوّة فشيّد ذو القرنين ما بيننا سدّا

وله أيضاً:

قل للحسام لقد أضعت مودّة ما زلت تحفظها عن الثقلينِ
ما زلت أذكرها وأطمع في اللقا لكن نهاني عنك ذو القرنينِ

وسأل عليٌ [بنُ] عبد الصمد: هل أحدثت في رقة البشرة شيئاً؟ فقال: أكتب:

أضمر أن أضمر حبي له فيشتكي إضمار إضماري

(١) فوات الوفيات ١/ ١٥٤.
(٢) ن. م.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

رَقَّ فلو مرّت به ذرّة ... لخضبته بدمٍ جاري

فقا له: أريد أرقَّ من هذا، فقال:

أضْمَرَ أن تأخذ المِرَاة كي ... تنظر تمثاله فأدناها[1]

فجاوزت همّ الضمير إلى ... وجنته في الهوى فأدماها

فقال: أريد أرق من هذا أيها الأستاذ، قال: نعم وما أظنه، اكتب:

شبَّهته قمراً إذ مرَّ مبتسما ... فكاد يخرجه التشبيه أو كَلَمَا

ومرَّ في خاطري تقبيلُ وجنته ... فَسَيَّلَتْ فكرتي في عارضيه دما

فقال: أريد أرق من هذا أيها الأُستاذ، فقال: يا بن الفاعلة أرق من هذا كيف يكون؟ رويدك لا تطر، عسى طبخ في المنزل حريرة أرّق من هذا[2].

وروى بعضهم هذه الواقعة لخالد الكاتب[3].

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح الجهورية: قيل لبهلول يوماً: أفضل أبو بكر أو علي، فقال: أما وأنا في كندة فعلي، وأما أنا في بني ضبّة فأبو بكر، وكندة في الكوفة من غلاة الشيعة، وبنو ضبّة أهل نصب وهم أصحاب الجمل، وكان بهلول شيعياً مشهوراً بذلك، ويستعمل التقية، رحمه الله تعالى.

والبهلول في اللغة: السيد.

❀ ❀ ❀

---

(١) المراة: أصلها المرآة ـ بسكون الراء وهمزة مفتوحة بعدها ألف، فألقى حركة الهمزة على الراء ثم سهل الهمزة بقلبها ألفاً، فلما التقى ألفان حذفت إحداهما.

(٢) فوات الوفيات ١/١٥٥.

(٣) خالد بن يزيد البغدادي، أبو الهيثم، المعروف بالكاتب: شاعر غزل، من الكتّاب. أصله من خراسان، ومولده بها. عاش وتوفي في بغداد سنة ٢٦٢هـ. كان أحد كتّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي. وكان يهاجي أبا تمام. وغلبت عليه السوداء. وعاش عمراً طويلاً حتى دق عظمه ورق جلده. شعره رقيق، أكثره غزل. له «ديوان ـ خ».

ترجمته في:

المنتظم، القسم الثاني من الجزء الخامس ٣٥ والنجوم الزاهرة ٣: ٣٦ وهو فيه «التميمي» وفوات الوفيات ١/٢٩٦. معجم الأدباء ١١/٤٧ ـ ٥٢ وفيه: وفاته سنة ٢٦٩ وسمط اللآلي ٣١١ وتاريخ بغداد ٨: ٣٠٨ والأغاني ٢٠/٢٩١ ـ ٢٠٣. وأنظر شعر الظاهرية ١٣٧، الاعلام ط ٤/٢/٣٠١.

وكان خالد الكاتب أديباً، وهو من كتّاب الدولة العباسية.

قال بعض الكتّاب: رأيت الصبيان اشتدوا بعده يوماً يصيحون به: يا خالد يا بارد، فأسند ظهره إلى قصر المعتصم فقال: كيف أكون بارداً وأنا القائل:

يدل على أنني عاشقٌ ... من الدمع مستشهدٌ ناطقُ
ولي سيّد أنا عبد له ... مقرّ بأني له وامقُ
إذا ما سموت إلى وصله ... تعرض لي دونه عائقُ

وكان أبو تمّام الذي أوقع عليه هذا النبز.

وقال الرياشي الأخباري البصري: كان خالد الكاتب، مغرماً بالغلمان ينفق ماله عليهم، فهوى غلاماً اسمه عبد الله، كان أبو تمّام يهواه، فقال خالد:

قضيبُ بانٍ جناه وردُ ... تحمله وَجْنَةٌ وَقَدُّ
لم أثْنِ طَرْفِي إليه إلاّ ... مات غراماً وعاش وَجْدُ
مُلِّك طَوْعَ النفوسِ حتى ... علّمه الزهوَ حينَ يبدُو
واجتَمَعَ الضدُّ فيه حتّى ... ليس لِخَلْقٍ سِواه ضِدُّ

فبلغ أبا تمّام فقال فيه من أبيات:

شِعْرُكَ هذا كلُّه مفرطٌ ... في بَرْدِهِ يا خالدُ البارِدُ

ولم يزل الصبيان يصيحون به: يا خالد يا بارد حتى وسوس.

وقال هو في أبي تمّام:

يا معشَرَ المرّاد إني ناصحٌ لكمُ ... والمرءُ في القول بَيْنَ الصدقِ والكَذِبِ
لا يَنْكِحَنَّ حبيبٌ منكمُ أحداً ... فداؤه فيكم أعدَى من الجَرَبِ
لا تأمنوا أن تَحُولوا بَعْد ثالِثَةٍ ... وتركبوا عُمُداً ليستْ من الخشبِ[1]

توفي بهلول المجنون سنة تسعين ومائة تقريباً.

---

(١) الأغاني ٢٠/٢٩٧.

حرفُ التاء

[٣٧]

أبو الحسين، تاج الدولة بن السلطان أبي شجاع عضد الدولة فناخسرو ابن ركن الدولة بن بويه الديلمي الأصل، العراقي[*].

فاضل ينظم ثغور الشعر كنظمه الثغر، ولا ينفك من شعره وذم أعاديه بين زهر ونهر، تعشعه المعالي عشق عروة بن حزام، وقد جمع إلى شرف آبائه نفس عصام.

وذكر الثعالبي وغيره [أنّ] اسمه تاج الدولة وهو لقب لكثير من عصابته النفيسة. ورأيت في بعض كتب الأدب إنه: أبو الحسين أحمد بن فناخسرو ولقبه تاج الدولة.

وقال الثعالبي: هو آدب أسرته وأشعرهم وأكبرهم، وكان يلي الأهواز فأدركته حرفة الأدب، وتصرّفت به الحال حتى أدركته النكبة والحبس من قبل أخويه أبي الفوارس وأبي الفخار، ولست أدري ما فعل الدهر به الآن[١].

وقال الثعالبي: وجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة بخط أبي الحسن علي بن عبدان فاخترت منه قوله في طردية يصف الصيد بالفهود [من الرجز]:

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٢/ ٢١٩ ـ ٢٢٢، دمية القصر ١/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، الكامل لابن الأثير ٩/ ١٥، الاعلام ط ١٩٦/١/٤ وفيه اسمه «أحمد» وأنه توفي سنة ٣٨٧هـ.

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢١٩ مع اختلاف قليل.

صرنا مع الصباح بالفهودِ — مردفة فوق متون القودِ
قد وطئت توطئة المهودِ — بالقطف والجلال واللبودِ[1]
فهي كقوم فوقها قعودِ — قد ألبست وشياً على الجلودِ
يخالها الناظر كالأسودِ — تبكي لشبل ضائع فقيدِ
بأدمع على الخدود سودِ — فقابلت مرادها في البيدِ
وقطعت حبائل المسودِ — كفوت لحظ الناظر الحديدِ[2]
ركضاً إلى اقتناص كل رودِ — فكم بها من هالكٍ شهيدِ
منعفر الخدِّ على الصعيدِ — بنحسها نظل في السعودِ
جدنا بها، والجود بالموجودِ — فكثرت ولائم الجنودِ
وشُبَّت النيران بالوقودِ[3]

هذه الطردية تدل على فوزه بالقدح المعلى في الأدب، باعثة للشوق إلى القنص مبين للطرب، نعم، بعثتني هذه على ذكر قول أبي العباس عبد الله بن محمد الناشيء الأكبر الأنباري المعروف بابن شرشير[4]، في أول الطردية له في صفة بازٍ [من الرجز]:

لما تعرّى الليل عن أثباجه — وارتاح ضوء الصبح لانبلاجه
عدوت أبغي الصيد في منهاجه — يا قمراً أبدع في نتاجه

---

(١) القطف: جمع قطيفة.

(٢) المسود: جمع مسد، وهو حبل من ليف مضفور.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢١.

(٤) عبد الله بن محمد، الناشيء الأنباري، أبو العباس: شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري. أصله من الأنبار. أقام ببغداد مدة طويلة. وخرج إلى مصر، فسكنها وتوفي بها سنة ٢٩٣هـ. وكان يقال له: ابن شرشير. وهو من العلماء بالأدب والدين والمنطق. له قصيدة على روي واحد وقافية واحدة، في أربعة آلاف بيت، في فنون من العلم. وكان فيه هوس، قال المرزباني: «أخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق والشعراء والعروضيين وغيرهم، ورام أن يحدث لنفسه أقوالاً ينقض بها ما هم عليه، فسقط ببغداد، فلجأ إلى مصر» وقال ابن خلكان: له عدة تصانيف جميلة.

ترجمته في:

تاريخ بغداد ١٠: ٩٢ وفيات الأعيان ٣/ ٩١ ـ ٩٣ وأنظر Brock.I: I28, S. I: I88، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١١٨.

ألبسه الخالق من ديباجه وشياً يحار الطرف في اندراجه
في نسق منه وفي انفراجه وزان فوديه إلى حجاجه
تزينه لسقية نظم تاجه فبشره ينبيك من أخلاجه
وطرفه يخبر عن علاجه لو استضاء المرء في ادلاجه
بعينه كفته عن سراجه

ولتاج الدولة المذكور [من مجزوء الرمل]:

ألا شفيت غلتي من العداة بالتي
وصارم مهند ماض رفيق الشفرةِ
وليلة أحييتها منوطة بليلةِ
كأنما نجم الثريا في الدجى ومقلتي
جوهرتا عقد على نحر فتاة طَفلةِ
أنكرني بنو أبي وفعل بعض إخوتي
تظن أني أحمل الضيم فأين همتي
تقنع بالأهواز لي وواسط والبصرةِ
إن لم ترد بغداذ عن كثيّب كثيبتي
وعسكر عرمرم يملك كل بلدة[1]
حشو الجبال والفلا مواكب من غلمتي
نصرهم متى، وَمِنْ ربُّ السماء نصرتي

وقال الثعالبي: أنشدني أبو سعيد بن دوست، أنشدني محمد بن المظفر العلوي النيسابوري، أنشدني أبو العباس البلخي القوّال بسوق الأهواز قال: أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل]:

سلامٌ على طَيْفٍ ألَمَّ فَسَلَّما وَأبْدَى شُعاعَ الشمسِ لمَّا تكلَّمَا
بَدَا فَبدا مْن وجهه البدرُ طالعاً لَدَى الروضِ يشْتغِلي قضِيباً معمّمَا
وقد أرسلت أيدي العذارى بخدّه عذاراً من الكافور والمسك أسحما
وأحسَنْ هَارُوتاً أحاط بطَرْفهِ فعلّمه من سِحْرِهِ فتعلَّما

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٢٢٠.

أَلَمَّ بنا في دامِسِ الليلِ فانْجَلى ... فلما انْثَنَى عَنَّا ودَّعَ أظْلَمَا[1]

قلت: أجاد في هذه وأحسن.

وله من أخرى [من الوافر]:

كتائبنا يلوح النصر فيها ... برايات تُطَرَّزُ بالنَّجاحِ
تكاد ممالك الآفاق شرقاً ... تسير إليه من كل النواحي
ألا لله لي عرض مصون ... وقاه المجد بالماء المباحِ[2]

قال الثعالبي: وأنشدني له بديع الزمان هذين البيتين ثم وجدتهما لغيره [من الطويل]:

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسنى من الحبس والأسر
فمن لي بأيام الهموم التي مضت ... ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟[3]

وله شعر كثير وأدب صالح، رحمه الله تعالى.

والآلة: بفتح الهمزة وتشديد اللام المفتوحة: الحربة.

وذكر ابن عبد ربّه المغربي: أن الحارث بن هشام رأته امرأة وهو يحدُّ حربة يوم فتح مكة، فقالت له: ما تصنع بهذه؟ قال: أعددتها لمحمد وأصحابه، قالت: ما رأى أن يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم قال [من الرجز]:

إن تقبلوا اليوم فمالي علّه ... هذا سلاح كامل وألّه
وذو عرارين سريع السّلّه

فلما لقيهم خالد يوم الهندمة انهزم ولامته امرأته فقال[من الرجز]:

إنك لو شهدت يوم الخندمهْ ... إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمهْ
ولحقتنا بالسيوف المسلمهْ ... يفلقن كل ساعد وجمجمهْ
منها فلا تسمع إلاّ غمغمهْ ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمهْ

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٠، دمية القصر ١/ ٢٦٦.
(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢١.
(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٠.

وإيّاه عني حسان بن ثابت بقوله:

إن كـنـت كـاذبـة الـتـي حـدثـتـنـي ... فـنجـوت منـجـى الـحـارث بـن هـشـامِ
تـرك الأحـبّـة أن يـقـاتـل دونـهـم ... ونـجـا بـرأس طـمـرةٍ ولـجـامِ

وقد تقدّم إن جميع أملاك آل بويه شيعة، ونستمد الله توفيقه.

[٣٨]

الأمير أبو مَعَدّ، تميم بن المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي الحسيني العبيدي المغربي ثم المصري(*).

فاضل طلع بدراً، وفاض بحراً ونظم جمانا، ورصّع جنانا، أحاطت به الفضائل الشُمْس إحاطة الهالة بالشَّمس، وفاح شعره كالعنبر والعبير وكغدائر الظبي الغرير، وكأنَّ ذهنه الجمر ومعانيه الياقوتية السحّارة هاروت، ثم انطفى الجمر لمماته والياقوت ياقوت، وقد مضى ذكر جده المنصور، وسيأتي ذكر المعز في موضعه إن شاء الله تعالى. ولما مات والده المعزّ بمصر وكان عهد بالخلافة لأخيه العزيز نزار بن المعزّ بقي الأمير تميم في ظل أخيه العزيز، وافر الحرمة، جسيم النعمة، كثير الأقطاع كأكابر الملوك، تتألف به شوارد الأدب، وتطرّز أكمام الروض بوشي فكرته العذب، وكان للفاطمية بمصر كابن المعتز للعباسية ببغداد، إلاّ أنها لم تدركه ـ كما قال ابن بسام ـ حرفة الأدب، وشعره كثير الإفتنان في الروضيات والنيليات وذكر الديارات وآثار مصر، والغزل ووصف العلويات ومدح أبيه وأخيه المعز والعزيز، فمنه [من الكامل]:

مـا بـان عُـذرِي فـيـه حـتـى عَـذّرا ... ومَـشَـى الـدُّجى في خـدّه فـتـحـيّـرا
هـمّـت تـقـبِّـلـه عـقـاربُ صُـدغِـه ... فـاسـتـلّ نـاظـره عـلـيـهـا خِـنـجَـرا

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٣٠١ ـ ٣٠٣، الحلة السيراء ١/٢٩١، مسالك الأبصار ١/ج١٢، مقدمة ديوانه ط دار الكتب ١٩٥٧، يتيمة الدهر ١/٢٩٣، دمية القصر ١/٨٩ ـ ٩٤، ١٤٧ ـ ١٤٨، حسن المحاضرة ١/٣٢٣، سيرة الأستاذ جوذر ١٢٠، ١٣٩، المنتظم ٧/٩٣، النجوم الزاهرة ٤/١٣٣، معجم المخطوطات المطبوعة ١/٥٤، الاعلام ط ٤/٢/٨٨.

والله لــولا أن يــقــال تــغــيَّــرا ... وصَبًا وإن كـان الـتـصـابـي أجـدرا
لأعدتُ تـفّـاح الـخـدودِ بـنـفـسّـجـا ... لَـثْـمـا وكـافـورَ الـتـرائـب عَـنْـبَـرا[1]

لله [درّ] هذه القطعة، ما أجودها وأنداها على الأكباد، ولولا الإيهام لقلت ما أبردها وما أدلّها بالمعنيين، على إنها ربيبة ملك وبنت ملك لمراعاته. فيها بين النفائس الذي اعتذر بعد بها ابن الرومي من التفاح الذي هو خدّ الروض، والبنفسج الذي صفر جداليها فما بقي له خوض قبل الغض للغض، وبعدٌ قضى ذلك الغرض، وتشبيه الترائب بالكافور قبل اللثم، وبعده بالعنبر الأشهب وهو حياة الشمّ، وطرح أداة التشبيه وهو أبلغ، وتصريع البيت الثالث والجناس في الأول والثاني والاستعارة وحسن التخييل، وقد جمع النبات الرائحة الذكية نتأمله بفطنة مثلها.

قال الثعالبي: أنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل]:

شـربـنـا عـلـى نـوحِ الـمُـطَـوّقـةِ الْـوُرْقِ ... وأرديـةِ الـروضِ الـمـفـوّفـةِ الـبُـلْـقِ[2]
مُـعَـتَّـقَـةً أَفْـنَـى الـزمـانَ وجـودُهـا ... فجاءت كفَوْتِ اللحظِ أو رِقّةِ العشقِ
كـأنّ الـسـحـاب الـغُـرَّ أصـبـحـن أكـؤسـا ... لـنـا وكـأنّ الـراح فـيـهـا سـنـا الـبـرقِ
فـبـتْـنـا نـحـث الـكـأس حَـثّـاً وَإِنّـنـا ... لـنـشـربـهـا بـالـحـثّ صِرفا ونَـسْـتَـسْـقِي
إلـى أن رأيـتُ الـنـجـمَ وهـو مُـغَـرّب ... وأقـبـلـن رايـات الـصـبـاحِ مـن الـشـرقِ
كـأنّ سـواد الـلـيـلِ والـفـجـرِ طـالـع ... بقية لطخ الكحلِ في الأعين الزرقِ[3]

ومن شعره الحرّ في صفة يوم بالنيل تمتع بأردافه وسروره، وحصل منه في جنّة ولا نار إلاّ ما لاح بخمره موشوره، والحباب يحكي ما تبسم به من القواطع، وقد رفعه النيل على صوته وأشار للسلام عليه بالأصابع، فقال:

يـومٌ لـنـا بـالـنـيـل مـخـتـصَـرُ ... ولـكـل يـوم مـسـرَّةٍ قِـصَـرُ
والـسُـفْـنُ تَـصـعَـد كـالـخـيـول بـنـا ... فـي مـوجـه والـمـاء يَـنـحـدرُ

---

(١) يتيمة ١/ ٢٩٢، دمية القصر ١/ ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٠١، ديوانه ٤٦٤.

(٢) الورق: جمع أورق وورقا، وصف من الورقة: وهو لون سواد في غبرة أو في بياض. وأراد بالورق الحمائم. وبرد مفوّف: رقيق فيه خطوط بيض. والفوف: ثياب رقاق من ثياب اليمن موشاة. والبلق: جمع أبلق وبلقاء، وصف من البلق والبلقة: لون سواد وبياض.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٢٩٣، شرح مقامات الحريري للشريشي، ديوانه ٢٩٦.

فكأنما أمواجه عُكَنٌ[1] وكأنما داراته سُرَرُ[2]

وهذه التشابيه تصدّق قول ابنه ابن المعتز[3] الفاطمية وإن كان ابن المعزّ....[4].

وله من قصيدة في التشيّع:

وما أُمُّ خِشْفٍ ظَلَّ يوماً وليلةً ... بِبَلْقَعَةٍ بَيْدَاءَ ظَمْآنَ صادِيَا

تَهيمُ فلا تَدْرِي إلى أين تَنتَهي ... مولَّهةً حَرَّى تَجُوبُ الفَيافِيا

أضَرَّ بها حَرُّ الهَجِيرِ فلَمْ تَجِدْ ... لِغُلَّتها مِنْ بارِدِ الماءِ شافِيا

فلمّا دنتْ مِن خِشْفِها انعطفتْ له ... فألْفَتْه ملهوفَ الجَوانحِ طاوِيا

بأَوْجَعَ مِنّي يومَ شَدَّت حُمولُهم ... ونادَى منادِي الحيِّ أن لا تَلاقِيا[5]

وله أيضاً:

وردُ الخدود أرقُّ مِنْ ... وَرْدِ الرِّياض وأَنعَمُ

هذا تَنَشَّقُه الأنو ... فُ وذا يُقبِّلُه الفَمُ

فإذا عَدَلْت فأفضلُ الـ ... ـوَرْدَين وردُ يُلثَم

سبحان من خلق الخدو ... دَ شقائقاً تُستنشَمُ

«وأعارَها الأصداغَ فهـ ... ـيَ بها شقيقٌ مُعلَّم»

واستنطِق الأجفانَ فهـ ... ـيَ بلحظِها تتكلّم

وتُبين للمحبوب عن ... سِرِّ المُحبّ فيفهمُ

وتشير إنْ رأت الرَّقيـ ... ـبَ بلحظها فتُسلّم

وأعارَها مَرَضاً به ... تصحوا القلوبُ وتسقَمُ

فِتَنُ العيون أجلُّ مِنْ ... فتن الخدود وأعظَمُ[6]

وله أيضاً:

---

(١) عكن (جمع عكنة) وهي: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا وعبالة.

(٢) وفيات الأعيان ٣٠٢/١، ديوانه ٢٤١.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) وفيات الأعيان ٣٠٢/١، ديوانه ٢٦٤.

(٦) ديوانه ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

فَـدَيْـتُ مَــن أَلــحــاظُـه جَـذْوةٌ تُـذْكــي ومَــن مَــبــسِــمُهُ بــاردُ
أرســـل فــسـي تُــفَّــاحـــةٍ خَـــدَّه إلــيّ كَــيْــلَا يــفــطــن الــحــاسِــدُ
لَـمَّـا تَـشـكَّـيـتُ ألـيـه الـهـوى والــشـــوقُ نــامٍ والــجــوى زائــدُ
فـلـونُـه فـي لـونـهـا ظـاهِـرٌ وريـقُـه فـي طـعـمـهـا جـامِـدُ[1]

وله أيضاً:

يـا يـومـاً اسـعـفَـنـا بـكـل سـرور طِـيـبـا فـنِـلـنـا مـنـه كـل حـبـورِ
فـيـه شـربـنـا جـوهـرا مـن قـهـوة قـد عُـتِّـقـت فـي جـوهـر الـبَـلُّـورِ
فـي جـنَّـة قـد ذُلِّـلـت ثـمـراتُـهـا وتـسـربـلـتْ بـغَـلائـلٍ مـن نـورِ
وجرى النسيمُ على ثمارِ غُصونها فـتـضـوَّعـتْ بـالـمـسـك والـكـافـورِ
ينساب في الأكتاف منها جدولٌ كـالـنَّـصْـلِ أو كـالـحـيّـة الـمذعـورِ
مـا بـيـن أتـرجّ يـلـوح كـأنـه كـبـرى الـثُّـدِيّ الـصُّـفـرِ فوق صدورِ
وكـأنّ نَـرْجِـسَـه إذا اسـتـقـبـلـتَـه يـرنـو بـأجـفـانِ الـعـيـون الـحُـورِ
وكـأنـمـا الـنـارَنْـج فـي أغـصـانـه أُكَـرٌ تَـرَوَّتْ مـن دم الـيَـعْـفُـورِ[2]
وكـأنـمـا نَـشَـر الـربـيـعُ مَـلاحِـفـا فـيـهـا مُـرَيَّـشَـة مـن الـمـنـثـورِ
وكـأنّ سَـوْسَـنَـهـا خـدودٌ قـد بـدت لـلَّـثـم فـيـهـا رِقَّـةُ الـتـأثِـيـرِ
ويَـزِيـدهـا حـسـنـاً إلـى تَـحْـسـيـنـهـا مُـلْـك الـعـزيـز لـهـا أبـي الـمـنـصـورِ[3]

وله أيضاً في وصف الديارات:

أيـا دَيْـرَ مَـرْحَـنَّـا سـقـتـك رُعـود من الغيث تَـهْـمِـي مرّةً وتـعـودُ[4]
فـكـم وصـلـتْـنـا مـن رُبَـاك[5] أوانِـسٌ يَـطُـفْـنَ عـلـيـنـا بـالـمـدامـة غِـيـدُ

---

(١) ديوانه ١١٤.

(٢) اليعفور: الخشف وهو ولد البقرة الوحشية، والظبي بلون العفر أي التراب.

(٣) ديوانه ٢٠٩.

(٤) دير مريحنًا: على شاطىء بركة الحبش إلى جانب البساتين التي أنشأ بعضها الأمير تميم وجعل به مجلساً على عمد، وبالقرب من الدير عين ذهبت بها الرمال، أنظر في ابن فضل الله ج ١ ص٣٦١، معجم البلدان ج ٢ ص٧٠١، الديارات للشابشتي. وهو الآن يقع بين فم الخليج ومسجد زين العابدين قرب النيل. وكان من مواضع اللعب واللهو. وفي اليتيمة ١/٣٩١: «دير يوحنا».

(٥) في هامش الأصل: «في رباك».

وكم ناب عن شمس الضحى فيك مَبْسِم ... ونابت عن الوَرْد الجنيّ خدودُ
وماسَتْ على الكُثْبان قضبانُ فِضَّة ... وأثقلها من حملهنَّ نُهُودُ
ليالِيَ أغدو بين ثوبَيْ صبابةٍ ... ولهوٍ وأيّام الزمان هُجُودُ
وإذْ لمَّتي لم يوقِظ الشيبُ ليلَها ... وإذْ أثَرِي في الغانياتِ حميدُ[1]

وله في الشمعة:

وحالقةٍ ظلمةَ الحِندِسِ ... إذا نعس الناس لم تنعَسِ
متوّجة فوق يأفوخها ... بتاجٍ من اللهب المشمِسِ
إذا أوقِدت نشرت أدمعاً ... عليهِ من الذهبِ الأملسِ
وإن نام جُلّاسُها لم تنم ... وإن جلس الغِيْدُ لم تجلِسِ
ولم أرَ أكرم من طبعِها ... تجود على الشَّرْب بالأنفُسِ[2]

وأبيات الأرجاني في الشمعة من الغايات، إلاّ أن فيها طولاً.

وللأمير تميم في التشكي:

صبرت عن الشكوى حياءً وعفّة ... وهل يشتكي سُمَّ الأراقم أرقمُ
وبي كلّ ما تبكي العيون أقلّه ... وإن كنت منه دائماً أتبسمُ[3]

وله في مدح قصيدة له، وأظن أن مدح بها العزيز أخاه:

وسار بمدحي فيك كلُّ مهجِّر ... وَغَنَّى به في السهل والوعر من يحدو
وضاعَتْ له عَلْياك حسناً وزينةً ... وحيك لها من حُلْي الفاظها بُردُ
وليس لكلّ الناس يُستحسَن الثَّنا ... كما ليس في كلّ الطُّلا يحسُن العِقْدُ[4]

وله أيضاً:

أَدِرْ فَلَك المُدام وخلِّ عَتْبي ... ودونك فاسقِنيها واسْقِ صحبي
فإنّ اليوم يومُ نَدًى وطَلّ ... ويوم حَياً وتَوْكافٍ وسكْبِ
كأنّ الغيم بان له حبيبٌ ... فأقبل باكياً بجفون صبٍّ

---

(١) يتيمة الدهر ١/٣٩١، ديوانه ١٢٧.
(٢) ديوانه ٢٥١.
(٣) ديوانه ٣٩٨.
(٤) كاملة في ديوانه ١٠٢ ـ ١٠٦.

وقـد نَـضَـحَ الـنَّـسـيـم بـمـاء وردٍ ... ومـدَّ عـلـى الـهـواء رداءَ سُـحْـبِ[1]

وله من أخرى مدح فيها العزيز:

ألا فـاسـقـيـانـي قـهـوةً ذهـبـيَّـةً ... وقد أَلْبَس الآفاقَ جُنْحُ الدجى دَعَجْ
كـأنّ الـثـريّـا والـظـلامُ يَـحُـفُّـهـا ... فصوصُ لُجَيْنٍ قد أحاط بها سَبَجْ
كـأنّ ظـلام الـلـيـل تـحـت نـجـومـه ... إذا جَنَّ، زِنْجِيٌّ تبسَّم عن فَلَجِ[2]
كـأنّ رقـيـقَ الـغـيـم والـبـدرُ تـحـتـه ... زجاجٌ على كفٍّ من الصبح مُنْتَسِج
كـأنّ عـمـود الـصـبـح في غُبَّر الدُّجى ... صفيحةُ سيف قد تَصَدَّا من المُهَج
فـقُـمْ وأدِرْ أقـداحَ خـمـرٍ كـأنّـهـا ... إذا بـرزَتْ يُـحـكـى أوائـلـهـا سُـرُجْ
كـأنّ عـلـيـهـا مـن صـفـاء أديـمـهـا ... خِـلال الـعـزيـز الـغُـرَّ أو نَـشـر الأرَجْ
وتَـحْـسـبُـهـا فـي الـكـأس رقّـة فـهـمـه ... وإن لـم يـكـن فـي أنـه غـيْـرها خَـلَـجْ[3]

وشعره كثير، وقد ذكرت منه روضة ونمير.

وقال المقريزي: كان الأمير تميم في أيام زيادة النيل، وهبوب نسيمه البكيل، يمتطي الجواري المنشآت في البحر، ويغتني بحبابه عن درر النحر، ولا ينفكّ في الأنس منادماً الظبا الأُنس، ينتقل على الشراب بالرضاب، ويرقص عطف البحر بالرباب، وكان يقف على زرافات الناس، الذين جمعهم ذلك الموسم البهي اللباس، فيأمر لهم بما يزيدهم من الفرح، ويجانس ما يهبه ما دار لهم من القدح، لكثرة ما تعتريه تلك الليالي من النشوة، وما براحيه من الفتوّة والصبوة.

قلت: ذكر المقريزي معنى هذا وسبكته أنا في قالب السجع.

وذكر الصفي: إن الأمير تميم توفي يوم الثلاثاء مع زوال الشمس لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر [ذي القعدة][4] سنة أربع وسبعين وأربعمائة[5]، رحمه

---

(١) ديوانه ٦٦.

(٢) ديوانه ٨٦.

(٣) كأنه يريد بالخلج الشك؛ من قولهم اختلج الشيء في صدرى إذا عراك فيه شك، وإن لم نره في اللغة بهذا المعنى. ديوانه ٨٦.

(٤) غير موجود في أ، وأكملناه من ب.

(٥) في هامش ب: «وفي ابن خلكان إن وفاته سنة أربع وسبعين وثلثمائة».

الله تعالى، وأن الخليفة حضر الصلاة عليه في بستانه بالقاهرة، وغسّله القاضي محمد بن النعمان، وكفّنه في ستين ثوباً، وأخرجه من البستان مع المغرب وصلى عليه بالقرافة، وحمله إلى القصر فدفنه بالحجرة التي فيها قبر أبيه المعزّ.

وقال ابن خلكان: قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتابه «المعارف»، أنه توفي سنة خمس وسبعين، وولد سنة سبع وثمانين وثلثمائة[1].

❁ ❁ ❁

ودير مرحنا، الذي ذكره: من متنزهات الديار المصرية، وقال الشابشتي الكاتب: دير مرحنا على شاطىء بركة الجيش قريب من النيل، إلى جانبه بساتين انشأ بعضها الأمير تميم. وبقرب الدير بئر تعرف ببئر حماتي عليها حميرة كثيرة، يجتمع الناس إليها ويشربون تحتها، وهذا الموضوع من معادن اللعب، ومواضع القصف والطرب، وهو نزهة في أيام زيادة النيل وامتلاء البركة، حسن المنظر في أيام الزرع والنور، لا يكاد يخلو من المتنزهين، وقد ذكرت الشعراء حسنه وطيبه[2].

قال المقريزي: ويعرف هذا الدير اليوم بدير الطين[3]. والحمير: شجر يشبه التين في اللون، الأدق الورق، وهو حار يابس منفج فيه جذب وتنقية، ويجوّد في البلاد الحارة الرطبة كمصر، وهو التين البرّي.

---

(١) وفيات الأعيان ١/٣٠٣.

(٢) الديارات، الخطط المقريزية ٣/٤١٢.

(٣) الخطط المقريزية ٣/٤١٢.

[٣٩]

أبو يحيى، تميم بن المعزّ بن باديس بن المنصور بن بُلُكِّين بن زيري بن مَنادين منقوش بن زياد بن زيري الأصغر الحميري الصنهاجي(*)

ملك أفريقية وبلاد المغرب بعد أبيه المعزّ، ملك ينثر بسيفه إذا زوجه برقاب أعاديه عقيقاً، وبيده ولسانه ذهباً جسيماً، وجوهراً رقيقاً، يعشو إلى نار القرى من بريق سيوفه خواتم العقيان، ولا ينهل غمامة راحته بغير العقيان، إلى شعر أحلى من الشعور، والنواهد في الصدور، وهي في السطور، وكان أول من استخلف منهم بتلك المملكة بُلَكِّين بن زيري واسمه يوسف، وبلكين اسم بربري.

استخلفه المعز بن المنصور العبدي لما توجّه إلى المملكة المصرية يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلثمائة وأوصاه المعزّ بأمور كثيرة أكدَّ عليه في فعلها، وأمر الناس له بالسمع والطاعة، وسلَّم له البلاد وخرجت العمّال وجباه البلاد باسمه، ثم توارث بنوه الملك وكانوا إسماعيلية وبهم قامت دولة الخلفاء الفاطمية بتلك البلاد.

وكان تميم المذكور حسن السيرة، محبّاً للعلماء، معظماً لأرباب الفضائل حتى قصدته الشعراء من الآفاق على بعد الدار كابن السراج الصوري وأنظاره، وشعره حلو السلك تلوح له رفاهية الملك، فمنه:

سَلِ المَطَرَ العام الذي عمّ أرضكم ... أجاء بمقْدار الذي فاض مِنْ دَمْعي

(*) أبو يحيى تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش بن زناك بن زيد الأصغر بن واشفال بن وزغفي بن سري بن وتلكي بن سليمان بن الحارث بن عدي الأصغر، وهو المثنى بن المسور بن يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث الأصغر بن سعد وهو عبد الله بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حيدان بن قطن بن عوف بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن عمرو بن حمير وهو العرنجج بن سبأ الأكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هودﷺ بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوحﷺ، هكذا قاله العماد في «الخريدة»، الحميري الصنهاجي.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٤ ـ٣٠٦. الحلة السيراء ٢/ ٢١، البيان المغرب ١/ ٢٩٨، ابن خلدون ٦/ ١٥٩، أعمال الاعلام/القسم الثالث ٧٣، خريدة القصر/قسم مصر ق ٤/ ١/ ١٦٦ ـ ١٨٦، السيل للكاتب الخلاصة النقية ٤٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٨، ابن الوردي ٢/ ١٩، ابن الأثير ١٠/ ١٥٨، مرآة الزمان ٨/ ٢٨، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٨٨.

إذا كنْتَ مطبوعاً على الصدّ والجفا فمِن أين لي صبر فأجعله طَبْعي[1]

وأخذ معنى الأخير من قول أبي الطيّب:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ

وحكي أن أبا القاسم محمود الزمخشري لما اجتمع بالشريف أبي السعادات الشجري ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[2] ـ أنشده الشريف فيما دار بينهما بيت المتنبي هذا، يشير إلى شوقه إليه، فقال الزمخشري: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾[3].

ولأبي يحيى تميم المذكور:

إن نظرَتْ مقلتي لِمُقْلَتِها تعلم ممَّا أريدُ نَجْواهُ

كأنها في الفؤادِ ناظرَةٌ تكْشِفُ أسراره وفحواهُ[4]

وله أيضاً:

وخمْر قد شربْتُ على وجوه إذا وصِفَتْ تجلُّ عن القياس

خدودٌ مثلُ وردٍ في ثغور كدرٌ في شعور مثلِ آسِ[5]

لو ساعده الوزن فجعل مثل الدر أقاما أو نحوه من الروضيات لكان مع حسن السبك وجودة المعنى قد راعى النظير.

وأورد له صاحب الخريدة:

فكَّرْت في نار الجحيم وحَرِّها يا ويْلَتاه ولات حين مَناصِ

فَدَعوتُ ربي أن خير وسيلتي يوم المعاد شهادةُ الإخلاصِ[6]

ومدحه أبو علي بن رشيق القيرواني[7] الشاعر المشهور صاحب العمدة، ومما مدحه به البيتان السائران وهما:

أصَحُّ وأغلى ما سمِعْناه في النَّدى من الْخَبَرِ المأثور مُنْذ قديم

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٠٥، خريدة القصر ١/ ١٧٨.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٨٦.
(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.
(٤) وفيات الأعيان ١/ ٣٠٥. خريدة القصر ١/ ١٨٥.
(٥) الوفيات ١/ ٣٠٥، خريدة القصر/ شعراء مصر ق ٤/ ١/ ١٧٧.
(٦) الوفيات ١/ ٣٠٥، خريدة القصر ١/ ١٧٨.
(٧) مرّت ترجمته بهامش سابق.

أحاديث ترويها السُّيولُ عن الحَيا عن الْبَحْرِ عن كفِّ الأميرِ تميم[1]

قال ابن دحية المغربي: وحكى أبو الحسن علي بن الحسن الأسكيري[2] المصري وكان فاضلاً قال: كنت من جلساء الأمير تميم بن المعزّ فأمر فأشتريت له جارية من بغداد بديعة الجمال، حاذقة في الغناء، فلما قدمت عليه اشتدَّ سروره بها، وفي بعض الأيام عقد مجلس الأنس وكنت فيمن حضر للمنادمة فمدت الستارة وغنّت الجارية في شعر أبي عبد الله الحسني[3]:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى برق تألق من هنا لمعانُهُ[4]

وهي أبيات مشهورة سيأتي عند ذكره إن شاء الله تعالى، فطرب الأمير تميم ومن حضر، ثم غنّت:

سيليك عما فات دولة مفضل أوائلـه محمودة وأواخرهْ

ثنى الله عطفيه وألف شخصه على البرِّ مُذ شدّت عليه مآزرهْ

قلت: ذكر صاحب الأغاني هذه الأبيات للأحوص بن محمد الأنصاري[5]، والغناء فيها لجارية المدينة جارية يزيد بن عبد الملك.

فزاد طرب الأمير تميم، ثم غنّت بقول ابن زريق البغدادي[6] الكاتب من قصيدته العينية المشهورة:

---

(١) الوفيات ١/ ٣٠٤.

(٢) في الوفيات: «أبو علي الحسن بن الأشكري».

(٣) وهو محمد بن صالح العلوي، ترجمه المؤلف برقم ١٥١.

(٤) كاملة في الأغاني ٦/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٥) هو أبو عاصم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الأنصاري المعروف بالاحوص. كان ماجنا متهتكاً هجاء. شكي إلى سليمان بن عبد الملك فنفاه إلى قرية من قرى اليمن، ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز كتب إليه يمدحه ويستأذنه في القدوم، فأبى أن يأذن له، فبقي في المنفى ولم يعد إلا في أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان. توفي سنة ١٠٥هـ.
ترجمته في: الأغاني ٤/ ٢٢٤ ـ ٢٦٥، الموشح/ ٢٩٥، شرح شواهد المغني/ ٧٦٨، المؤتلف والمختلف/ ٥٩، سمط اللآلي/ ٧٣، حديث الأربعاء ١/ ٢٦٠، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١/ ٣٥٣، أنوار الربيع ٢/ هـ ٢٣٨.

(٦) محمد بن زريق الكاتب البغدادي، أحواله مجهولة بقدر شهرة قصيدته. كل ما ورد عنه، أنه قصد صاحب الأندلس، ومدحه فلم يلق منه غير خيبة الأمل، فاعتل ومات غما، ووجدت القصيدة تحت وسادته. ومن الجدير بالذكر، أن الثعالبي أورد في يتيمة الدهر ١/ ٢٧٧ أربعة أبيات من قصيدة ابن زريق ونسبها إلى الوأواء الدمشقي، وأثبت محقق ديوان الوأواء هذه الأبيات في ذيل الديوان.

استودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فَلَكِ الأزرار مطلعه

وأول هذه القصيدة:

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعه

وستأتي بكمالها في حرف الزاي إن شاء الله تعالى، فاشتدّ طرب الأمير تميم.

ثم غنّت بقول موسى بن عبد الملك الأصبهاني[1] صاحب ديوان الخراج أيضاً:

لما وردنا القادسيـ ـه حيث مُجْتَمَعُ الرفاقِ

وشممت من أرض الحجـ ـاز نسيم أنفاس العراقِ

أيقنت لي ولمن أحـ ـبُّ بجمع شمل واتفاقِ

لم يبق لي إلاّ تجشُّـ ـمُ هذه السبع البواقي

حتى يطول حديثنا بشكاء ما كنّا نلاقي[2]

فاشتدّ سرور الأمير تميم وقال لها: تَمَنَّ عليَّ ما شئتِ، قالت: أتمنى عافية الأمير وسروره، فقال لها: لا بُدَّ من ذلك، قالت: أتمنى أن أغنّي بهذه الأبيات في بغداد، فتغيّر وجه الأمير تميم وقام وتنغّص المجلس وتفرقنا، فلما كان من الغد استدعاني وقال: قد رأيت ما ابتلينا به، ولا بد من الوفاء لها ولا أثِق بغيرك، فتجهّز للمسير معها إلى بغداد حتى تبلغ حاجتها وتعود معها، وأمر لي بنفقة وركبت الجارية في عمّارية ومعها جارية سوداء تعادلها، ثم شخصت الجارية إلى المدينة النبوية فلما قضينا حق الزيارة شخصنا نؤم العراق مع الركب، فكانت تسألني كل يوم عن أسماء المنازل، فلما بلغنا القادسية أتتني السوداء فقالت: تقول لك سيدتي أين بلغنا؟ فقلت: نحن نزول بالقادسية فأبلغتها، فرفعت صوتها وغنّت: «لما وردنا القادسية...» الأبيات المذكورة، فتصايح الناس من أطراف القافلة: أعيدي بالله، أعيدي بالله، فلم يسمع لها حرف، ثم ارتحلنا حتى إذا

= ترجمته في: تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣٠٧/٢ وفيه اسمه وكنيته أبو الحسن كشكول البهائي ١١٨/١، جواهر الأدب ٣٧١/٢، أنوار الربيع ٤/هـ ١٧٨.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٧٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣٣٧/٥ وفيه الشعر فقط نسبه إلى موسى المذكور.

بلغنا الياسرية وهي قرية ليس بينها وبين بغداد إلاّ بسايس متصلة يبيت بها الناس ثم يبكرون لدخول بغداد، فبتنا بها، فلما كان نصف الليل أتتنا السوداء وهي مرتاعة فقالت: إن سيدتي ليست هنا، فقمت ومن معي فطلبناها بكل مكان نقدر عليه فلم نعرف لها أثراً، ثم دخلنا إلى بغداد فقضيت حوائجي وسافرت إلى القيروان، وأخبرت الأمير تميم بما جرى فتأسف عليها غاية الأسف، وكثر تعجّبه من فعلها[1].

وكان الأمير تميم يجز الجوائز السنية ويجزل العطايا، وفي أيام مملكته اجتاز المهدي بن تومرت الهرعي عائداً من بلاد المشرق ومرّ بأفريقية وأظهر الإنكار بها على من رآه خارجاً عن سنن الشريعة، ثم توجّه إلى مراكش فكان منه ما اشتهر[2].

وكانت ولادة الأمير تميم بالمنصورة التي مرّ ذكرها في ذكر المنصور واسمها عندهم صَبْرَةَ يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة اثنين وعشرين وأربعمائة وفوّض إليه أبوه بالولاية المهديّة في صفر سنة خمس وأربعين فاستبدّ بالملك إلى أن توفي ليلة السبت النصف من رجب سنة إحدى وخمسمائة، رحمه الله تعالى ودفن في داره ثم نقل إلى قصره المشيّد بالمنشتر[3].

وقال ابن خلكان: ذكر حفيده عبد العزيز بن محمد بن شداد بن الأمير تميم في كتاب «أخبار القيروان»، أنه خلف من البنين أكثر من المائة، ومن البنات ستين[4].

قلت: ذكر الأمير تميم في أدباء الشيعة لما علم إنهم كانوا إسماعيلية، وتشيّعهم مشهور عند النقّاد، فأما بلكين ومن بين الأمير تميم وبينه فلا ريب في ثباتهم على مذهب المعزّ وآبائه، وأما الأمير غير، فإني رأيت بعض المتجرين في

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٣٣٧ ـ ٣٣٩.

(٢) الوفيات ١/٣٠٥.

(٣) في الوفيات: «بالمستير».

(٤) وفيات الأعيان ١/٣٠٦.

علم التأريخ ذكر أنه أول من حمل الناس بالمغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس بالكره والطوع، وقيل أنه منع من تقليد أحد من الأئمة، وأمر العلماء أن يفتوا بما استنبطوا من الكتاب والسنّة.

قال ابن خلكان: أدركت جماعة من فضلاء المغاربة على هذا المذهب، وكانوا وردوا إلى الديار المصرية منهم: الحافظ بن دحية، والشيخ محي الدين ابن عربي الحاتمي الصوفي، إلاّ أن هرب حفيد الأمير تميم وأمّه بلادة التي تزوجها علي بن السلات وزير الظافر إلى مصر يدل على انتمائهم إليهم، وإنما ذكرت هذا الاحتراس خشية أن أنسب إلى عدم التثبّت[1].

❀ ❀ ❀

وبُلكّين، بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف وبعدها ياء ثم نون.

والقيروان: من الإقليم الرابع. والله أعلم.

---

(١) لم أعثر عليه في المطبوع من وفيات الأعيان.

حرفُ الجيم

[٤٠]

أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة أبي عبد الله محمد بن شمس الخلافة مختار الأَفْضَلي، مجد الدين المصري، الشاعر المشهور(*).

فاضل ظهر لقبه بشعره، وشبَّ به مبتسم دهره، كم له من يتيمة هي درّة الغوّاص، وحاشا معانيه من أوهام الخواص، يخجل نيل مصر بفيض قريحته وهو جعفر، ويجمع زهر الأدب شعره، فهو الجامع الأزهر، وهو من صنائع الخلفاء الفاطميين، ونسبته إلى الأفضل أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستنصر بن الآمر، ولما انقضت دولة الخلفاء الفاطمية ولقى دولة الغزّ الأيوبيين اضطر إلى مدحهم وله خط مشهور تتنافس الناس فيه لحسنه وضبطه، وله كتاب جمع فيه أشعاراً في فنون الحكم مقطعات، وذكر فيه من أشعاره في الحكم(١)، وما أحسن قوله:

هي شِدّة يأتي الرخاء عقيبها ... وأسى يبشِّر بالسُّرور العاجلِ
وإذا نَظرْتَ فإن بؤساً زائلاً ... للمَرْءِ خيرٌ من نعيم زائلِ(٢)

قلت: الأحسن في التحقيق هو النعيم الدائم، ويخص الله به من يشاء من عباده.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(١) طبع «كتاب الآداب» في القاهرة ١٩٣٠.

(٢) الوفيات ١/ ٣٦٢.

ولعمري لقد أجاد وصف الدنيا أبو عبد الله بن شبل البغدادي[1] وأحسن ما شاء بقوله:

صحة المرء للسقام طريق | وطريق الفناء هذا البقاءُ
بالذي نقتدي نموت ونحيى | أقتل الداء للنفوس الدواءُ
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا | نت ولا كان صبحها والمساءُ
صلف تحت راعد وسراب | كرعت منه مومس خرقاءُ
راجع جودها عليه فمهما | يهب الصبح يسترد المساءُ
ليت شعري هلاّ تمر به الأيـ | ـام أم ليس تعقل الأشياءُ
من فساد يكون في عالم الكو | ن فما للنفوس منها اتّقاءُ
وقليلاً ما تصحب المهجة الجسـ | ـم ففيم الشفا وفيم العناءُ
قبّح الله لذّة لشقانا | نالها الأمهات والآباءُ
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ | ـد فإيجادنا علينا بلاءُ[2]

ولكن لله المعري الذي لم يجنِ على أحد كما جُني عليه، وماذا يصنع بشر ركب على الشهوة ولم يعلم حتى صار بين أنياب أُم ذفر[3] بلا مؤامرة ولا إذن.

ولما كتبت هذه الأبيات خطر لي نظم هذين البيتين واستغفر الله العظيم:

قد خرجنا إلى الوجود اقتساراً | وكأنا من الخطوب نشاوى
وتساوى الأحياء في الموت طرّاً | فلماذا في الرزق لا نتساوى

---

(١) هو أبو علي ابن الشبل البغدادي (في اسمه واسم أبيه خلاف سأذكره) كان شاعراً حكيماً فيلسوفاً طبيباً متكلماً نديماً ظريفاً. توفي ببغداد سنة ٤٧٣هـ وقيل ٤٧٤ ودفن بباب حرب. له ديوان شعر، من قصائده المشهورة القصيدة التي في رثاء أخيه، موجودة بتمامها في عيون الانباء في طبقات الأطباء، وفي معجم الأدباء.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٣٩٣، كشف الظنون/ ٧٦٦ و٨١٣ وفيهما اسمه محمد بن الحسين ابن الشبل، عيون الانباء في طبقات الاطباء/ ٣٣٣ وفيه اسمه الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل، معجم الأدباء ١٠/ ٢٣ وفيه اسمه الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن شبل، الكنى والألقاب ١/ ٣١٩ وفيه اسمه الحسين بن محمد بن يوسف بن شبل، أنوار الربيع ٢/ هـ ٣٢٦.

(٢) فوات الوفيات ٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

(٣) في هامش الأصل: «من أسماء الدنيا».

وقال أبو الحسين الجزّار[1]:

ليت شعري ما العذر لولا قضا ء الله في رزقه وفي حرماني
ولقد كدت أن أهيم بحمل الـ ـهم لولا تعللي بالأماني

وقال ابن المعتز[2]:

لا تأسفن من الدنيا على أمل فليس باقيه إلاّ مثل ماضيهِ

وهذ مثل قول البحتري، ولست أدري أيّهما أخذ من الآخر لأنهما كانا متعاصرين:

فالبواقي من الليالي وإن خالفـ ـن شيئاً فمشبهات المواضي

فأمّا الجدّ فما يجلب العناء إذا عانده الجدّ، وهو أيضاً مما لا حيلة فيه للبشر، وما أصدق قول أبي العلاء المعري[3]:

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ وإقبالُ
إذا صدق الجدّ افترى العم للفتى مكارم لا تكدي وإن كذب الخالُ

إلاّ أنه أخرجه مخرج اللغز لهوان الدنيا عليه فكأنه يسخر بها، والجد الحظ، والعمّ الجماعة، والكدية كالذي نحن فيه من خيبة المطالب، والخال المخيلة.

وله أيضاً:

لا تطلبن بآلة لك رتبة قلم البليغ بغير حظ مغزلُ
سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا أعزلُ

ما أصدقه فإن أبا علي بن مقلة[4] صاحب سحر الخط ورئيس الكتابة وبليغها قطعت يداه ولسانه شيئاً بعد شيء ثم ضربت عنقه ونبش بعد دفنه فأكلته الكلاب.

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٢) ترجمه المؤلف ضمن رقم ٤٤.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٩.
(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وقال أبو الحسين مهيار الديلمي[١]:

لا تَحسَبِ الهِمّةَ العَلياءَ موجِبةً رزقاً على قِسمة الأرزاقِ لم تَجِبِ
لو كان أفضلُ مَنْ في الناسِ أسْعَدَهُمْ ما انحطَّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ
أو كان أبهر مَنْ في الأرضِ أسْلَمَهُمْ دام الهلالُ فلم يُمْحَقْ ولم يَغِبِ[٢]

وما بَعُدَ ابن رشيق القيرواني[٣] عن الصدق بقوله:

إذا صحب الفتى جدّ وسعد تحامته المكاره والخطوبُ
ووافاه الحبيب بغير وعد طفيلياً وقاد له الرقيبُ
وعدَّ الناس ضرطته غناء وقالوا أن فسا قد فاح طيبُ

وقال ابن دانيال الكحّال[٤]:

قد عقلنا والعقل أيّ وثاقِ وصبرنا والصبر مرّ المذاقِ
كل من كان فاضلاً كان مثلي فاضلاً عند قسمة الأرزاقِ

ولابن رشيق أيضاً:

أسفي لفعلك أن يكون أديبا أو أن يرى فيك العدى تهذيبا
ما دمت مستوياً ففعلك كله عوج وإن أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصحّ معنى ختمه حتى يكون بناؤه مقلوبا

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٧٧.
(٢) كاملة في ديوان مهيار ١/ ١٨ - ٢١.
(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٤) هو شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي كان كحالا وله دكان يمارس فيه مهنته. تعانى الأدب فتفوق في النظم. سلك طريقة ابن الحجاج في النقد والمجون والسخرية، وأضاف إليها طريقة متأخري المصريين، في النكتة اللاذعة، والفكاهة البارعة. وقد عيب عليه اسفافه إلى العامية، وارخاء العنان لنفسه في التفكهة والمجون إلى حد تنفر منه الأذواق السليمة. ولد سنة ٦٤٦ وقيل ٦٤٧هـ وتوفي بمصر سنة ٧١٠هـ وقيل ٧٠٨. من آثاره: طيف الخيال، وهو فريد في بابه يحتوي على ثلاث روايات، قيل أنها تصلح للتمثيل، وشرح المقصود في فن التصريف، وعقود النظام في من ولي مصر من الحكام.
ترجمته في: عصور سلاطين المماليك ٥/ ٤٤٠، فوات الوفيات ٢/ ٣٨٣، الدرر الكامنة ٤/ ٥٤، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١٥، شذرات الذهب ٦/ ٢٧، البدر الطالع ٢/ ١٧١، هدية العارفين ٢/ ١٤١، أنوار الربيع ٢/ هـ ١٨٨ - ١٨٩.

ولي من أبيات في شكاية الزمان:

دهر إلى اللوم منسوب خليقته ... حاشا علاك وولد النذل أوغادُ
لم لا أقرض عرض الدهر محتسباً ... والأرذلون على السادات قد سادوا
والسيف كالمنجل المرذول مطّرح ... لما مضت في رقاب الناس أغمادُ
يا ضيعة الجوهر المكنون قلده ... جيد الغرا، وله الغزلان تعتادُ
وذلة الأُسد جاعت في عراينها ... وللنقاد برغم الأُسد إرغادُ
ويا هوان نجوم الأفق كاسفة ... وكم تلألأ سناها وهو وقّادُ
وأشتهي فجر ليل منه أرّقني ... و أن سرحانه للّيل صيّادُ
والصبر يجمل بي والحزن يقبح بي ... لو كان للمرء عمر النجم ميعادُ
كم يشتكي صارمي لولا الأقاح ولا ... يلوح بالضرب في متنيه فرصادُ
وعارض حاجب شؤبوبه بَرَدٌ ... فقد تطاول إبراق وإرعادُ

ومن شعر ابن شمس الخلافة:

أشعرك أم ليل ووجهك أم قمرْ، ... ونشرك أم مسك، وثغرك أم دررْ
وخدّك أم ورد، وريقك أم طلا، ... وجسمك أم ماء، وقلبك أم حجرْ
شككنا على علم وَقَدْ غلب الهوى ... على القلب أو غطّى على السمع والبصر

ويسمّيه أهل البديع تجاهل العارف.

وما أرّق قول عبد المحسن الصوري[1] فيه [من مجزوء الرمل]:

بالّذي ألهمَ تعـ ... ـذيبي ثَنَاياك العِذابا
والّذي صَيَّر حَظّي ... منكَ هَجراً واجْتِنابا
والّذي ألبَسَ خدّ ... يك من الوَرْدِ نِقابا

(١) أبي محمّد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون الصوري. كان من أبرز شعراء عصره، ومن الأدباء الفضلاء، بديع الألفاظ، حسن المعاني، له ديوان مخطوط في مكتبة المرحوم الشبيبي يحوي نحو خمسة آلاف بيت. توفي سنة ٤١٩هـ وعمره ثمانون سنة تقريباً.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٣٩٧، أعيان الشيعة ٣٩/١١٠، أمل الآمل ١/١١٤، يتيمة الدهر ١/٣١٢، شذرات الذهب ٣/٢١٢، البداية والنهاية ١٢/٢٥، الكنى والألقاب ٢/٣٩٥، أنوار الربيع ٥/هـ ١٢٦ ـ ١٢٧، الطليعة ترجمة رقم ١٦٣.

مــا الّـــذي قــالَــتْــه عــيــ ــنـاكَ لـقَــلْـبــي فـأَجَـابـا[1]

ونقلت من كتاب ابن شمس الخلافة مما أورده لنفسه في فنون شتّى:

وأخ وفـائـي وقُـبْـح سـيـرتـه ... فـي الـغـدر مـا لـهـمـا مـعـاً أمـدُ
مـا زلـت أكـرمـه ويـحـسـدنـي ... حـتـى انـتـهـى الإكـرام والـحـسـدُ

ومنه أيضاً:

إعـط وإن فـاتـك الـثـراء ودع ... سـبـيـل مـن ضـنَّ وهـوَ مـقـتـدرُ
فـكـم غـنـي بـالـنـاس عـنـه غـنًـى ... وكـم فـقـيـر إلـيـه الـنـاس تـفـتـقـرُ[2]

ومنه أيضاً:

اصـغِ إلـى قـولـي فـلـي بـسـطـة ... فـي الـقـول يـسـتـعـلـي بـهـا الـقـائـلُ
إن الـفـتـى أدواؤه جـمّـة ... والـشـحّ مـنـهـا داؤه الـقـاتـلُ

ولم أسمع في ذم شحيح أبلغ ولا أوقع مع الظرف من قول كشاجم[3] الكاتب:

يـا مـن يـؤمـل جـعـفـراً ... مـن بـيـن أهـل زمـانـهِ

---

(1) يتيمة الدهر ١/٢٩٧ ـ ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٤/٢٦٩، شذرات الذهب ٢/٢١٣، أمل الآمل ١/١١٥، كشكول البهائي ١/٤٤، أعيان الشيعة ٣٩/١١٤، الغدير ٤/٢٢٩، ديوانه ٢/٢٢٣.

(2) وفيات الأعيان ١/٣٦٣.

(3) هو أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن السندي بن شاهك، المعروف بكشاجم، لأنه كان كاتباً شاعراً أديباً جامعاً منجماً. كان صادق الولاء لأهل البيت عليهم السلام وله في مدحهم ورثاء الحسين عليه السلام شعر كثير مع أن جد أبيه ـ السندي بن شاهك ـ ممن نصب العداء لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي تولى اضطهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سجن هارون الرشيد. وفي ذلك مصداق لقوله تعالى: «يخرج الحي من الميت» ـ الروم/١٩ ـ. تنقل المترجم له في البلاد العربية ورحل إلى مصر أكثر من مرة وأخيراً القى عصا الترحال في حلب، وأصبح أحد شعراء أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان، ثم صار من شعراء ولده سيف الدولة. من آثاره: أدب النديم وخصائص الطرف، والبيرزة في علم الصيد، وديوان شعره. في تاريخ وفاته اختلاف قيل سنة ٣٥٠هـ وقيل ٣٦٠هـ، وبين هذين التاريخين أقوال.

ترجمته في: شذرات الذهب ٣/٣٧، الغدير ٤/٣ ـ ٢١، أعيان الشيعة ٤٧ ـ ١٦٦، فهرست ابن النديم/٢٠٦، والكنى والألقاب ٣/٩٩ وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/٢٩٢، أنوار الربيع ١/هـ ١١٦ ـ ١١٧.

لو أن في استك درهماً لاستلَّه بلسانهِ

وما أشبه هذا اللئيم الدني برجل ولّي صنعاء في عصرنا فلا تسأل عن لؤمه فهو أكثر من حواسد الحسان، وأجلّ من أن يحيط به الفكر والقلب واللسان.

ونقلت لأبي الفضل ابن شمس الخلافة:

دع الكبر واجنح للتواضع تشتمل ... وذاد منيع الودّ صعب مرامهُ
وداوِ بلينٍ ما جرحت بغلظةٍ ... فطيب كلام المرء طِبٌّ كلامهُ

هذا المرهم نافع للكريم التيّاه كعمارة بن حمزة[1]، والفضل بن يحيى[2] وأمثالهما من الكرام فأما اللئيم التيّاه البغيض فليس ينفعه إلاّ تقطيع عرضه بسيوف القوافي إن كان له عرض.

وله أيضاً:

سأصبر حتى يأتي الله بالذي ... يشاء وحتى يعجب الصبر من صبري
فكم فاقة يأت الغنى من خلالها ... يلوح وكم عسرٍ تكشّف عن يسرِ

أذكرني اليسر قول الأديب أحمد بن الحسين الرقيحي الماضي ذكره[3] في سبحة منه:

---

(١) عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد عكرمة مولى ابن عباس: كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور. كان المنصور والمهدي العباسيان يرفعان قدره. وكان من الدهاة. وجمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين. له في الكرم أخبار عجيبة. وفيه تيه شديد يضرب به المثل «أتيه من عمارة!». وله «ديوان رسائل» و «الرسالة الماهانية» و «رسالة الخميس» توفي سنة ١٩٩هـ.

ترجمته في: معجم الأدباء ١٥/٢٤٢ ـ ٢٥٧ والنجوم الزاهرة ٢: ١٦٤ وثمار القلوب ١٥٩ والشعور بالعور ـ خ. ورغبة الآمل ٨: ١٤٤، الاعلام ط ٣٦/٥/٤ ـ ٣٧.

(٢) الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع. كان من أجود الناس. ولد سنة ١٤٧هـ واستوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة (سنة ١٨٧هـ)وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة فسجنهما وأجرى عليهما الرزق، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافة. وتوفي الفضل في سجنه بالرقة سنة ١٩٣هـ.

ترجمته في:

ابن الأثير ٦: ٦٩، ووفيات الأعيان ٤/٢٧ ـ ٣٦، والطبري ١٠: ٦٢ و٦٩ و١٠٩، وتاريخ بغداد ١٢: ٣٣٤، وروض المناظر لابن الشحنة. والوزراء والكتّاب: أنظر فهرسته، والنجوم الزاهرة: أنظر فهرست المجلد الثاني، الاعلام ط ١٥١/٥/٤ ـ ١٥٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٥.

أُسبح باليسر المعظّم ذكره   وأكثر في التقديس والحمد والشكرِ
وأدعو إلى الله الكريم تضرّعاً   يفرّج عني ذلك العسر باليسرِ

ولابن شمس الخلافة في أبي محمد المعروف بابن شكر[1] وزير العادل وولده الكامل لما خرج من مصر إلى الشام:

على مهل ففي الأحوال ريثُ   أتخشى أن تضام وأنت ليثُ
بمصر إن أقمت فأنت نيلٌ   وإن جئت الشآم فأنت غيثُ

جرت عادة الله تعالى إن مصر لا تمطر ولا ينتفع بمطرها وإن نزل، لاستغنائها بالنيل وريّها به، وللفلاسفة في عدم نزول الغيث بها تعليل ذكروه، وبسطه المقريزي في الخطط والآثار إلاّ جانبها الشمالي المجاور لبلاد الشام كرشيد ونحوه فيمطر مطر الشام.

وله في رجل كثير الاستجداء من الناس:

أَوْراقُ كذبتهِ[2] في بَيتِ كلّ فتًى   على اتفاقِ مَعانٍ واختلافِ رَوي
قد طَبَّقَ الأرضَ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ   كأنهُ خَطُّ ذاكَ السائِحِ الهَرَوي[3]

والسائح الهروي كان قد طاف أكثر المعمور من البراري والجزائر وكل ما

---

(١) عبد الله بن علي بن الحسين، أبو محمد، صفي الدين الشيبي الدميري، المعروف بالصاحب ابن شكر: وزير مصري. من الدهاة. ولد في دميرة البحرية (من إقليم الغربية بمصر) سنة ٥٤٨هـ ونشأ نشأة صالحة، فتفقه في القاهرة، وصنف كتاباً في «الفقه» على مذهب مالك. واتصل بالملك العادل أبي بكر بن أيوب فولاه مباشرة ديوانه سنة ٥٨٧هـ. ثم استوزره، فعمد إلى سياسة العنف والمصادرة واستبد بالأعمال، فعزله العادل، فخرج إلى آمد وأقام عند ابن أرتق إلى أن مات العادل (سنة ٦١٥) فطلبه الكامل محمد بن العادل، وهو في نوبة قتال مع الإفرنج على دمياط، فجاءه، فكاشفه بما هو عليه من الاضطراب بثورة العرب في مصر ومحاربة الفرنج وعصيان بعض الأمراء، فنهض ابن شكر بالأمر عنيفاً على سابق عادته، فخافه الناس وهابوه، فاستقر الملك. وعظم أمره عند الملك الكامل. واستمر على ذلك إلى أن مات بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ.

ترجمته في:

فوات الوفيات ٤٦٣/١، الاعلام لابن قاضي شهبة ـ خ، وخطط مبارك ١١: ٥٧، الاعلام ط ١٠٥/٤/٤ ـ ١٠٦.

(٢) في الوفيات: «كديته».

(٣) وفيات الأعيان ٣٤٦/٣.

مرّ بمكان كتب فيه بخطّه ما يليق به، واستقر آخر حاله بحلب في مدرسة عمّرها له الملك الظاهر بن صلاح الدين، وتوفي في العشر الوسطى من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة، واسمه أبو الحسن علي بن بكر الهروي[1] الأصل، الموصلي المولد، وكان فاضلاً يعرف السيمياوية تقدّم عند الظاهر غازي، وألّف كتاب «الإشارات في معرفة الزيارات»[2].

قال القاضي أحمد بن خلكان، ورأيت بخطّه في ميضاء بحلب كتابة فتأملتها فإذا هي بيت المال في بيت الماء[3].

❀ ❀ ❀

ونعود إلى تتمّة أخبار أبي الفضل ومولاه بدر الجمالي، هو شاهنشاه الملقب أمير الجيوش وكان من الرجال المشهورين في الرأي والشهامة وقوّة العزم، وكان من الأرمن، اشتراه جمال الدولة بن عمّار وربّاه، وتقدم نسبه، واستنابه المستنصر بالله الفاطمي بمدينة صور، وقيل بعكا كانت سنوات الشدّة بمصر التي أشبهت سنيّ يوسفﷺ واختلّت أحوال المستنصر فاستدعاه فركب البحر إليه في غير وقت ركوبه، وذلك في فصل الشتاء، ولما وصل عشيّة الأربعاء

---

(١) علي بن أبي بكر بن علي الهروي، أبو الحسن: رحالة، مؤرخ. أصله من هراة، ومولده بالموصل. طاف البلاد، وتوفي بحلب سنة ٦١١هـ. وكان له فيها رباط. قال المنذري: كان يكتب على الحيطان، وقلّما يخلو موضع مشهور من مدينة أو غيرها إلا وفيه خطه، حتى ذكر بعض رؤساء الغزاة البحرية أنهم دخلوا في البحر الملح إلى موضع وجدوا في بره حائطاً وعليه خطه. من كتبه «الإشارات إلى معرفة الزيارات ـ ط» وغيره.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٣٤٦ ـ ٣٤٨ والتكملة لوفيات النقلة ـ خ. الجزء السابع والعشرون. وابن الوردي ٢: ١٣٢ وفيه: «كانت له يد في الشعبذة والسيمياء والحيل، وطاف أكثر المعمور». ونهر الذهب ٢: ٢٩٣ وفيه ما كتبه على قبره يصف نفسه: عاش غريباً ومات وحيداً، لا صديق يرثيه ولا خليل يبكيه، ولا أهل يزورونه ولا إخوان يقصدونه، ولا ولد يطلبه ولا زوجة تندبه، سلكت القفار وطفت الديار وركبت البحار ورأيت الآثار وسافرت البلاد وعاشرت العباد فلم أر صديقاً صادقاً ولا رفيقاً موافقاً، فمن قرأ هذا الخط فلا يغتر بأحد قط». وآداب اللغة ٣: ٨٧ والكتبخانة ٥: ٥٨ ودار الكتب ٦: ٣٢. وفي مذكرات الميمني ـ خ. ذكر نسخة من كتابه «التذكرة الهروية» بخطه سنة ٦٠٢ في ١٥٥ ورقة، في خزانة عاطف باستنبول، الرقم ٢٠١٨، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٦٦.

(٢) الوفيات ٣/ ٣٤٧.

(٣) الوفيات ٣/ ٣٤٧.

لليلتين بقين من جمادى الأولى وقيل الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة ولاّه المستنصر تدبير أموره ودامت بوصوله الحرمة، وصلحت به حال الدولة، وكان وزير السيف والقلم والطيلسان والعلم، وإليه قضاء القضاة، وأمر الدعاة، وساس الأمور في أحسن سياسة، وكان وصوله أول سعادة المستنصر، وآخر قطوعه، ومما اتفق يوم ورد إن قارئاً قرأ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾[1] ثم أمسك، فقال المستنصر[2]: لو أتمّها ضربت عنقه، ومات على حاله في ذي الحجة أو القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وولي بعده الوزارة أحمد بن الأفضل أمير الجيوش.

قال صاحب الدول المنقطعة: خلف بدر من الأموال ما لم يسمع بمثله قط من ذلك ستمائة ألف ألف دينار ذهباً عيناً وخمسين أردب دراهم نقداً مضروبة، وسبعة آلاف ثوب ديباج أطلس، وثلاثين راحلة اخفاف ذهب عراقي، ودواه ذهب فيها جوهر قيمته اثني عشر ألف دينار، ومائة مسمار ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة مجالس لكل مجلس عشرة مسامير، علىٰ كل مسمار منديل مذهب عليه خلعة بلون من الألوان، أيّها أراد لبسه، وخمسمائة صندوق كسوة لخاصته من دن تنيس ودمياط، ومن الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمّل والحلي ما لم يعلم قدره إلاّ الله تعالى، وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يستحي من ذكر عدده، وبلغ عن ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار، ووجد في تركته صندوقان عظيمان فيهما أبر ذهب برسم النسا والجواري.

وولد ابن شمس الخلافة في المحرم سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

وتوفي في الثامن عشر من المحرم سنة اثنتين وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى[3].

وكانت للأفضل مع السعادة في الدنيا مناقب فإنه الذي عمَّر مشهد رأس الحسين عليه السلام، قال المقريزي: ذكر الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسران[4] في شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، خرج الأفضل بن أمير الجيوش في

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) في الأصل: «المنصور». وما اثبتا حسب السياق.

(٣) وفيات الأعيان ١/٣٦٣.

(٤) في الخطط المقريزية: «ابن ميسر».

عساكر جمّة إلى بيت المقدس وبه سكان، والمغازي ابنا أرتق في جماعة من أقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الأتراك، فراسلهما الأفضل يلتمس منها تسليم المقدس إليه بغير حرب فلم يجباه إلى ذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجد بدّاً من الأذعان له فسلّماه إليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد في عساكره، وقد ملك القدس ودخل عسقلان، وكان بها مكان دارس به رأس الحسين بن علي عليه السلام فأخرجه وعطّره وحمله في سفط إلى أجمل دار بها وعمّر المشهد، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أدخله في مقرّه، وقيل أن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي، فكلّمه ابنه الأفضل.

ثم قال: وكان حمل الرأس من عسقلان إلى القاهرة ووصوله إليها يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان الذي جاء به من عسقلان إلى القاهرة الأمير يوسف قيّم المملكة نسيم واليها القاضي المؤتمن بن مسكين مشارفها، وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة.

ويذكر أن هذا الرأس لما أخرج من عسقلان من المشهد وجِدَ دَمه لم يجفّ، وله ريح كريح المسك، فقدم به الأستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة، ونزل به إلى الكافوري ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد، ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة، فكان كل من يدخل الخدمة يقبّل الأرض أمام القبر، وكانوا ينحرون في يوم عاشوراء عنده الإبل والبقر والغنم، ويكثرون النوح والبكا، ويسبّون من قتل الحسين، ولا يزالون على ذلك حتى زالت دولتهم[1].

وقال ابن عبد: الظاهر مشهد الإمام الحسين صلوات الله عليه، أراد الصالح طلائع بن رزّيك[2] أن ينقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها الأفرنج، وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه فيه ويفوز بهذا الفخار فغلبه الفاطميون على ذلك، وقالوا: لا يكون ذلك إلاّ عندنا، فبنوا له ذلك المكان ونقلوا الرخام إليه، وذلك في خلافة الفائز على يد الصالح طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

---

(١) الخطط المقريزية ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على فضل[1] هذا الرأس الكريم وهي: إن السلطان يوسف بن أيوب لما أخذ أهل القصر ـ قلت: يعني الخلفاء الإسماعيلية وستأتي إشارة إلى عددهم ـ وشي إليه بخادم له قدر في الدولة الفاطمية، وكان زمام القصور، وقيل أنه يعرف الأموال التي في القصور والدفائن، فأخذ وسُئل فلم يجب بشيء وتجاهل، فأمر صلاح الدين بن أيوب المذكور بتعذيبه، فأخذه متولّي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدَّ عليها فرموا به، وقيل: إن هذا أشدّ العقوبات، فإن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة لأنها تنفث دماغه وتقتله، ففعل به ذلك مراراً وهو لا يتأوّه، وتؤخذ الخنافس ميتة، فعجب من ذلك وأحضره وقال له: هذا سرٌّ فيك ولا بد أن تعرّفني، قال: والله ما سبب هذا إلاّ إنني لما وصل رأس الإمام الحسين عليه السلام حملته، قال: وأيّ سرّ أعظم من هذا؟ وراجع في شأنه، فعفا عنه[2].

قلت: كان هذا السر على الجلاد أثبت إيماناً من صلاح الدين بن أيوب، فإنه كان شديد النصب، وبلغ نصبه أن سنَّ لأهل الشام ومصر سنَّة الكحل يوم عاشوراء والزينة والفرح، وطبخ الحبوب الذي أشار إليه أبو الحسين بن منير في قصيدته بعد أن كانت تجعله ملوك الإمامية والإسماعيلية كبني بويه وخلفاء الفاطمية يوم حزن ونوح، إرغاماً للشيعة كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى، فيا عجباه يحزن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وقوعه لما أتاه جبريل عليه السلام بترابه، ويأمر هذا الكردي القادري بجعله يوم العيد، وهؤلاء اليهود جعلوا أوقات الفرح عليهم كالخروج من التيه، ودفع الطاعون والنجاة من فرعون أعياداً، ولم ينكره الله عليهم، فالمسلمون أولى بجعل يوم الغدير عيداً، ويوم عاشوراء مأتماً.

ولله [در] أبو الحسين الجزّار حيث قال:

ويعود عاشورا يذكّرني	قتل الحسين فليت لم يعدِ
أو ليت عيناً فيه قد كحلت	أجفانها لم تخل من رمدِ
ويدٌ به لشماتة خضبت	مقطوعة من زندها بيدي
أما وقد قتل الحسين به	فأبو الحسين أحقّ بالكمدِ

(١) في هامش الأصل: «شرف» وفي الخطط المقريزية: «بعض شرف».

(٢) الخطط المقريزية ٢/ ٢٨٤.

قال المقريزي: واحترق هذا المشهد في الأيام الصالحية، وسبب احتراقه، إن أحد خزّان الشمع دخل يأخذ شمعة فسقطت شعلة، فأمر الملك الصالح، أحد ملوك الترك الأمير جمال الدين بن موسى بن يغمور فوقف بنفسه حتى طفىء وأنشد:

قالوا: أتغضب للحسين ولم يزل ... بالنفس للهول المخوف معرّضا
حتى انضوا ضوء الحريق وأصبح المسـ ... ـوّد من تلك المخاوف أبيضا
أرضىٰ الإله بما أتى فكأنه ... بين الأنام بفعله موسى الرضا[1]

أطلق الشاعر الرضا، على لقب الكاظمعليه السلام للضرورة.

ولأهل الأخبار في موضع رأس الحسينعليه السلام خبر غير هذا، ولكن ظهور البركة ونجاة الخادم قوّت هذه الرواية.

وعَسْقَلان، بفتح العين وإسكان السين المهملتين وفتح القاف وبعد اللام والألف نون: مدينة مشهورة بساحل الشام.

[٤١]

السيد ضياء الدين، جعفر بن المطهّر بن محمد الحسني الجرموزي اليمني(*).

فاضل نشر أعلام الأدب وموه[2] بحسن ما صاغه سابق، حلى القريض حتى ذهب وكان نظام الجوهر الفرد، والقائم المهدي لمعرض المجد، فهو لا يرضى له صاحباً في النثر والنظم غير الصابي، وإن كان يأتي بالعسل والخمر غير كابٍ ذكاه ولا نابي، والفضل في جعفر كثير. وكان أديباً رئيساً وله الشعر الكثير، والسجع الذي لا تخلو الحمامة إلاّ به الهدير، ولم يرث الفضل عن كلالة، بل كان أبوه المطهّر أحد أعيان الإمام المنصور والمؤيد والمؤلف لسيرتهما، وكان عاملاً لهما ببلاد عتمة، وله شعر وحرب معهما لعسكر الروم، وأما ابنه المذكور

---

(١) الخطط المقريزية ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(*) تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ١٢.
ترجمته في البدر الطالع ١/ ١٨٣ نفحة الريحانة ٣/ ٣٩٧ ـ ٤٠٥، الغدير ١١/ ٣١٧ ـ ٣١٨، ديوان الهبل/أعلام الديوان ٦٠٤ ـ ٦٠٥.

(٢) كذا في الأصل.

فإن المتوكل بن المنصور استعمله على بلاد العدين لما أخذها بعد وفاة أبي الحسن إسماعيل محمد الماضي ذكره[1]، ولم يزل بها حتى تغلّب عليها الأمير السيد فخر الدين عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن في أوائل دولة المؤيد بن المتوكّل لأسباب اقتضت ذلك، وكان السيد جعفر كاتباً وله شهرة وخَط، وكان يحب التشبّه بالصاحب الكافي وأبي إسحاق الصابي، ويرتاح بذكرهما ارتياح البحتري بذكر المتوكل والفتح بن خاقان.

فمن شعره الذي هو أشهره وفيه الإشارة إلى ميله إليهما:

تعانقت أغصان بان النقى ... فشابهت أعطاف أحبابي
ومذ صبا قلبي صبا صاحبي ... آهاً على الصاحب والصابي[2]

وفيه رقّة ولطافة وتورية، وله وفيه مجون:

تشابه ذقني حين شِبتُ وبغلتي ... فكلتاهما في اللون أشيب أشهبُ
فوالله ما أدري على ما أتيتكم ... على لحيتي أم بلغتي كنت أركبُ[3]

ولعمري لقول الصابي أحلى من العسل.

وله أيضاً:

قالت وقد أفنت جميع تبصّري ... ونفت لذيذ النوم من أجفاني
إن رمت مني زورة في ليلة ... فاصبر وليس لديَّ صبر ثاني[4]

ومما هو زلال في الصبر، قول الشاعر:

ومصبّر للصب قلت له: وهل ... صبر لمن عنه الحبيب يغيبُ
والله إن الشهد بعد فراقهم ... ما لَذَّ لي فالصبر كيف يطيبُ

لأنه بإسكان الياء، وفيه لغة بتحريكها، وهذا الشاعر وهو السابق في كميت هذه الحلبة والرقّة والتورية.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.
(٢) البدر الطالع ١/ ١٨٣.
(٣) البدر الطالع ١/ ١٨٣.
(٤) نفحة الريحانة ٣/ ٤٠٥.

ما أحسن قول السرّاج الورّاق[1] مع الصدق:

وقائل قال لي لما رأى قلقي لطول وعد وآمال يُمنّينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم: محمودة، قلت: أخشى أن تخرّينا

ومن شعر السيد جعفر:

بعينك[2] حدثني عن البان هل سرى به الركب أم مالوا إليه وخيّموا
فلي أبداً شوق إليهم مُبَرَّح ولي أبداً قلب عليهم متيّمُ[3]

وله أيضاً:

لي أحمر الوجنة مشروطها لدن التثنّي ناعس المقلتينْ
لو لم تكن عيناه مكسورة ما جعلوا من تحتها نقطتينْ[4]

الظاهر أنه أراد أن العينين في حال التثنية والكسر بالجر أو النصب، تُعجم بنقطتين، ورواية خفضتين والأشكال باق لجواز أن يكون من المبنيات، إلا أن يخصص الخفض بالمعرب على مذهب بعض النحاة.

وذكرت بمشروط الخدّ قول الشيخ جمال الدين بن نباتة[5] وأجاد:

بروحي مشروطٌ على الخدّ أسمرٌ دنا ووفى بعد التجنّب والسخطِ
وقال: على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبلته ألفاً على ذلك الشرطِ[6]

وله يهنىء العلامة ضياء الدين أبا محمد زيد بن محمد بن الحسن[7] بعيد الغدير وهو بالعدين:

خليليّ إمّا سرتما فازجرا المطيّ وسيرا حيث سار الحبايبُ
ولا يشعر الواشون إني فيكما حليف جوىً قد أضمرتني الحقائبُ

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في هامش الأصل: «بعيشك».

(٣) نفحة الريحانة ٣/ ٤٠٤.

(٤) نفحة الريحانة ٣/ ٤٠٥.

(٥) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٦) ديوان ابن نباته المصري ٢٨٦.

(٧) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

إلى الحيّ لا مستأنسين بقاطنٍ بريب وأهل الحيّ آتٍ وذاهبُ
فإن شِمتما برقاً من الحيّ لائحاً متى يُبدَ منه حاجب يُخفَ حاجبُ
فلا تحسباه بارقاً لاحٍ بالحمى متى طلعت بين البيوت السحائبُ
ولكنه ثغر تألّق جوّه من الدرّ سمط لم يثقبه ثاقبُ
وتأتيكما لبنى وأقصى لبانتي أراها فقد أودت بقلبي النّسْباسبُ
بعيدة مهوى القرط من حومة السرى هضيمة ما بين الوشاحين كاعبُ

ومنها:

وعيشكما لو شئتما ذلك السنا وغالتكما ألحاظها والحواجبُ
لشاركتماني في الصبابة والأسى وجازت بأعناق المطيّ المذاهبُ
أعلّل فيك النفس يا لبنَ ذاكراً خليلي وما لي غير حبّك صاحبُ
وبِيْ منك ما لو كان بالنجم ما سرى وبالبدر ما التفّت عليه الغياهبُ
هوىً دونه ضرب الرقاب وعزمة تشاكل عَزمات الضيا وتضاقبُ
إمام براه الله من طينة العلى همام له نهج من المجد لازبُ
له الشرف الأعلى، له نقطة السما هو البدر والآل الكرام الكواكبُ
بهم قام دين الله في الأرض واعتلت لأمّة خير المرسلين المذاهبُ
ليهنك ذا العيد الذي أنت عيده وعيدي ومن تحنو عليه الأقاربُ
ويوماً أقام الله للآل حقّهم به ورسول الله في القوم خاطبُ
به قلّد الله الخلافة أهلها وزحزح عنها الأبعدون الأجانبُ
فكان أمير المؤمنين عليّ الـ ـوصيّ بنص الله فالأمر واجبُ
وحسبك نفس المصطفى ووليّه وهارونه الندب الهمام المحاربُ[1]

هذا منهج حسن، وكميت مطلق الرسن، وكنت أشتهي لو حذف لفظ «ويأتكما» من البيت السابع فغلطته لا تخفى، وحلاوة الألفاظ رأس مال الأديب الكامل، وأخذ مقاله: «وبي منك ما لو كان بالنجم ما سرى» بلفظه من قول الفاضل وبه الحسن والإحسان ولاّدة بنت المستكفي صاحبة أبي الوليد بن زيدون، إلاّ أنه بعد سلب بعض عقود هذه المليحة قصر في قصد بيته الثاني لأنه قال: وبالبدر ما ألفت عليه الغياهب، والواجب أن تقول كما قالت: وبالشمس

(١) الغدير ١١/٣١٧ ـ ٣١٨ نقلاً عن نسمة السحر.

لم تطلع وبالبدر لم يسر أو بالبدر ما تبلج في الغياهب، إلاّ أنه ذكر ملزوم البدر في أنه لا ينير إلاّ في الغيهب كما يقول المنطقي: قد يكون إذا كان الليل موجوداً فالبدر مضى في الشرطية الجزئية، وهذا البيت من أبيات كتبتها ولاّدة إلى أبي الوليد وهي عنه راضية، وهي:

ترقّب إذا جنَّ الظلام زيارتي ... فإني رأيت الليل أكتم للسرّ
وبي منك ما لو كان بالنجم لم يَنِرْ ... وبالشمس لم تطلع وبالبدر لم يَسرِ

ومن شعرها وكتبته على كمّها بذهب وقيل على جبينها:

أنا والله أصلح للمعالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأمكن عاشقي من صحن خدي ... وأعطي قبلتي من يشتهيها

وما أحسن هدية (قبيحة) جارية المتوكل جعفر بن المعتصم وكانت مفرطة البياض والحسن والجمال، فسمّاها قبيحة لما اتفقت عن الحسن باسم الضدّ وهي أُم المعتز بالله، وكان المتوكّل افتصد فأهدى إليها جواريه إلطافاً، فتزيّنت هي ودخلت عليه وأنشدته:

طلبت هدية لك باختيار ... على ما كان من جسّ وبسّ
فلما لم أجد شيئاً نفيساً ... يكون هديّتي أهديت نفسي

والجسّ: الاستقصاء، والبسّ: الرفق.

ولما حبس ابن جَهْور، أبا الوليد بسبب قصة طويلة، وخرج من حبسه بحيلة دبّرها وكان قد نحل شوقاً إلى تلك الغادة واشتهى أن تحلى محياها قمراً على العادة ولم يمكنه ذلك خرج إلى الزهراء من قرطبة وقد ألبسها الربيع ديباجه، وأذكرته جنانها وجنّتها الوهاجة، وحال كل مائس غضّ قامتها الميّادة، وكل جدول تحت زهر سوارها والقلادة، فحنَّ إليها وأنشد وقلبه يذوب عليها:

إنّي ذَكَرْتُكِ بالزّهْرَاء، مُشْتاقاً، ... وَالأفقُ طَلْقٌ ووجه الأرْض قد رَاقَا
وَللنّسيمْ اعْتِلالٌ في أصَائِلِهِ، ... كأنما رق لي، فاعْتَلّ إشْفَاقَا
وَالرّوْضُ عَن مائِه الفِضّيّ، مُبتسِمٌ، ... كما حللت، عَنِ اللَّبّاتِ، أطْوَاقَا[1]

---

(١) اللبات، واحدتها لبة: موضع القلادة من الصدر. الأطواق، واحدها طوق: ما يطيف بالعنق من الثوب.

يَوْمٌ، كأيّام لَذّاتٍ لَنا انصرَمتْ، بِتْنا لها، حينَ نامَ الدّهرُ، سُرّاقَا
نَلْهُو بما تَسْتَمِيلُ العَينَ من زَهَرٍ جَالَ النّدَى فيهِ، حتى مالَ أعنَاقَا
كَأنّ أعيانَه، إذْ عايَنَتْ أرَقي، بَكَتْ لِما بي، فجالَ الدّمعُ رَقرَاقَا
وَرْدٌ تألّقَ، في ضَاحي مَنابِتِهِ، فازْدادَ منهُ الضّحى، في العينِ، إشرَاقَا
سَرَى يُنافِحُهُ نَيْلُوفَرٌ عَبِقٌ، وَسْنَانُ نَبّهَ مِنْهُ الصّبْحُ أحْداقَا
كُلٌّ يَهِيجُ لَنَا ذِكْرَى تَشَوّقِنَا إلَيكِ، لم يَعدُ عنها الصّدرُ أن ضَاقَا
لوْ كانَ وَفّى المُنى، في جَمعِنا بكمُ، لَكانَ مِنْ أكْرَمِ الأيّامِ أخلاقَا
لا سَكّنَ اللَّهُ قَلْباً عَقّ ذكْرَكُمُ فلم يَطِرْ، بجَناحِ الشّوْقِ، خفّاقَا[1]
لوْ شاءَ حَمْلي نَسيمُ الريحِ حينَ هَفا وَافاكُمُ بفَتًى أضْنَاهُ ما لاقَى
كان التَّجارِي بمَحضِ الوُدّ، من زَمنٍ، مَيْدانَ أُنسٍ، جَرَيْنَا فيهِ أطْلاقَا
فَالآنَ، أحْمَدَ ما كُنّا لِعَهدِكُمُ، سَلَوْتُمُ، وَبَقِينَا نحنُ عُشّاقَا![2]

❀ ❀ ❀

رجع، ومن شعر السيد جعفر بن المطهر، رحمه الله تعالى:

عاتبتهم حين حال ودهم عند انعكاس الزمان ممتحنا
قالوا: فمن ذا تراه فلم يك يستحيل بالانعكاس؟ قلت: أنا[3]

ينبغي التثبّت في نسبة المقطوع هذا إليه، فإن في حفظي أني رأيت مثله أو أنه بعينه مما ذكره ابن حجة في شواهد البديع.

وله في ذم بغلة:

وقائل لي: بغلة إن سعت في ربوة أزرت بأجناسها
وقال من أوصافها: أنها واقعة، قلت: على راسها[4]

وأجاد وأحسن.

وأمّا مذهبه في النثر فإنه توسّط فيه وأحسن، وقد يستحسن واسطة العقد

---

(١) عق ذكركم: استخف به.
(٢) ديوان ابن زيدون ٤٦ ـ ٤٧.
(٣) نفحة الريحانة ٣/٤٠٢، ديوانه ٤٦ ـ ٤٧.
(٤) خزانة الأدب لابن حجة.

المثمن فمنه في تقريض سمط اللآلىء تأليف السيد أبي الحسن إسماعيل بن محمد[1]:

أما بعد، فإني حين طالعت روض الأدب الزاهي الزاهر، واسمت طرف الطرف نحو سعدانه الباهي الباهر، ورأيت فيه ما يسحر الألباب من لجين الكلام وتبره، ويفوق الروض جاد له السحاب من بديع نظمه ونثره، طريق البلاغة لكل مرتاد، ويفصح عن حقائق البلاغة التي ما حام حولها السلف الأمجاد، ويكشف عن وجوه البيان براقع، ويترك أرض الجهالة بمعرفة البيتان بلاقع:

كتاب فأمّا نظمه وانسجامه ... فمن دونه ماء الغمامة والخمرُ
وأما الذي قد حازه من بلاغة ... فآياتها كالشمس ما دونها سترُ
لآل رسول الله صفوة ربّهم ... من الخلق قول الحق ما شانه نكرُ
به ارتدعت قوم يظنون إنهم ... بأفق سماء النظم ليس لها بدرُ

ومنها علمت أنه لا يكون لأحد من الفضائل ما لأهل هذا البيت الطاهر، وإن نعم الله سبحانه علينا وعلى الناس لا تعد، وآلاؤه لا تنتهي إلى حدّ، وكيف ومن إحسانه ومن امتنانه وجود الذي هذا أقل فضائله مولانا ضياء الإسلام والمسلمين إسماعيل بن محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين.

وختمها بأبيات منها:

دمت للمجد رونقاً وجمالا ... وبهاءً يزهو به وجلالا
ولآل النبي ذخراً، وللإسـ ... ـلام فخراً، وللعفاة منالا
وللدين الإله غوثاً، وللفضـ ... ـل معيناً، وللكمال كمالا
ولداعي الوغى مغيثاً، وللراجيـ ... ـن عوناً، وللمؤمل مالا
فبه يفخر الزمان وأهـ ... ـلوه ويقضي المؤمل الآمالا

قلت: هذا النظم والنثر ركيك، وليس فيه إلاّ الدعاء، ولعل الله تعالى يرحمه فيجيبه. وتوفي ببلد العدين سنة ست وتسعين وألف تقريباً رحمه الله تعالى.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

[٤٢]

السيد تاج الدين، جعفر بن محمد بن زكي الدين الحسن، الشاعر المشهور المعروف بابن معيّة[(١)] الكوفي الحسني[(*)].

فاضل نهض به في النسب والأدب الجدّ، ومضى سيف قريحته-في المعاني حتى جاوز الحدّ، فنظمه بدر محفوف بالهالة، وأحسب أنه نظم الكواكب ولم تنفعل الآله.

وقال ابن عنبة في عمدة الطالب: وكان تاج الدين وجيهاً مقدّماً عند الخلفاء والسلاطين، قال: وهو خال السيد جلال الدين أبي جعفر القاسم بن الحسين بن زكي الدين محمد، وكان لسان بني حسن بالعراق، ورسائله مدوّنة وأشعاره مشهورة[(٢)].

قال: وحكي لي شيخي العلامة تاج الدين أبو عبد الله محمد بن معيّة الحسني، أنه اجتمع ذات ليلة عند الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي[(٣)] جماعة

(*) نسبه ـ كما في عمدة الطالب ـ: جعفر بن محمد بن زكي الدين الثالث الحسن بن أبي طالب الحسن الزكي الثاني بن أبي منصور الحسن الزكي الأول بن أحمد بن الحسن بن الحسين القصري بن محمد ابن الحسين الفيومي بن علي بن الحسين بن علي (ابن معيّة) بن الحسن بن الحسن ابن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ﷺ.
ترجمته في: عمدة الطالب ١٦٥ ـ ١٧٠، أعيان الشيعة، البابليات ١/ ٧٧ ـ ٧٩.

(١) وهي أم أبي القاسم علي (المدعو بابن معيّة) بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج المذكور واسمها معيّة بنت محمد بن حارثة بن معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة بن عامر بن مجمع بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس، وهي كوفية، «العمدة ١٦٣ ـ ١٦٤».

(٢) عمدة الطالب ١٦٥.

(٣) هو الوزير أبو طالب مؤيد الدين محمد بن محمد (وقيل بن أحمد) بن علي الأسدي المعروف بابن العلقمي. والعلقمي لقب جده لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي. كان فاضلاً أديباً شاعراً كاتباً فصيحاً، كريماً وقورا، محباً للأدباء، مقرباً لأهل العلم. اقتنى مكتبة عظيمة اشتملت على عشرة آلاف مجلد من أنفس الكتب، وله صنف ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، ونظم العلويات وله أيضاً صنف الصغاني كتاب العباب الزاخر في اللغة. كان عفيفاً عن أموال الديوان، وأموال الرعية. وكان خواص الخليفة جميعهم يكوهونه، ويحسدونه لتدبيره وسداد رأيه. إتهمه البعض بأنه خامر واتفق مع هولاكو، وقد نفى هذه التهمة عنه أوثق المؤرخين المعاصرين له، =

من الفضلاء فأفضت بهم المفاوضة إلى أن ذكروا قول الحريري:

سم سمة تحمد آثارها   واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأتِهِ   لتقتني السؤدد والمكرمه

وتعجّبوا من تحكّمه في قوله:

إسكبا كل نسافث   ولسنا أن يفوز بثالث

وكان في المجلس الشيخ عز الدين بن أبي الحديد، وأخوه موفق الدين، والسيد فخار بن معد، والشيخ رضي الدين الصاغاني، والسيد تاج الدين المذكور، فقال لهم الوزير: ها أنتم فرسان البلاغة وأعيان البراعة، فأتوا لهما بثالث وإلاّ فاعذروه فيما قله ولا تهجنوا أفعاله، فأحجم القوم وانتدب السيد تاج الدين فخاطب الوزير بهذا الكلام، البيان إذا تفتحت أكمام خمائله، وسمحت عزالى وابله، وماست أعطافه شرفاً وفخارا، يقبّل الأرض بين يدي مولانا صغارا، وحيث أجرى في ذكر أبيات الجناس، وترفعهما عن المماثلة والقياس، نظم العبد هذين البيتين مع فرقه بين الإنك[1] واللجين، وإن كان أبو محمد لم يلحق به ولم يسمُ إلى مماثلته سمه، ثم أنشد:

قدّمه المجد إلى أن غدا   يقول للماضي ولو قدّمه
كم كمةٍ جلّى بها نطقه   من غير ماعيٍّ ولا كمكمه

قلت أنا: ولعمري لقد زاحم أبا محمد بمنكب ضليع، وجاء بكميته خبباً مجيء المصلى السريع، ويغتفر له زيادة ما بعد غير لهذه البديهة الساحرة، الهاوية بأولئك الشيوخ الحاضرين الساخرة، وفي هذا الجناس الذي اخترعه الحريري وتبعه تاج الدين طلاوة وهو من المعاناة لغير المتمكن يسفر عن حلاوة وهو من المركب وفيه من البديع رد الصدر على العجز.

= كابن طباطبا في كتابه ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ، وابن الفوطي في الحوادث الجامعة. توفي ابن العلقمي سنة ٦٥٦هـ. كتب عنه الشيخ محمد بن الشيخ حسين الساعدي مجلداً بعنوان «مؤيد الدين بن العلقمي» طبع في النجف.

ترجمته في: الفخري في الآداب السلطانية/ ٣٣٧، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٤١، الكنى والألقاب ١/ ٣٥٦، مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢/ ١١٢ و١٣٩ و١٤٥، فوات الوفيات ٢/ ٣١٢، شذرات الذهب/ ٢٧٢، أنوار الربيع ٣/ هـ ١٤٩.

(١) كذا في الأصل.

وكان الحكيم السهروردي لما حبسه الظاهر غازي بحلب وأيقن بقتله يردد هذا البيت:

أرى قـــدمـــي أراق دمـــي   وهـــان دمـــي فـــهـــا نـــدمـــي

وهو أصنع من قول الحريري لأنه ردّده في النصف الأول والثاني..

قال ابن عنبة: وحكى شيخي تاج الدين محمد، عن السيد تاج الدين جعفر قال: لما لهجت بقول الشعر وأنا إذ ذاك صبي استحضرني والدي وقال لي: يا جعفر بلغني أنك تهذي بالشعر، فقل لي في هذه الشجرة، وكانت هناك شجرة نارنج، فقلت ارتجالاً:

ودوحة تدهش الأبصار ناضرة   تريك في كل غصن جذوة النارِ
كأنما فصّلت بالتبر في حللٍ   خضر تميس بها قامات أبكارِ

فاستدعاني وقبّل بين عيني وأمر لي بجائزة وقال لي: يا بني استكثر من هذا[1].

أذكرني النارنج قصة أبي الحسن السلامي[2] الشاعر المشهور، وذلك أنه أجاد الشعر في حداثته فارتاب به شعراء عصره كأبي بكر وأبي عثمان الخالديين، والشهاب التلعفري[3]، واجتمعوا على امتحان خاطره، وكان قد ورد إلى الموصل

(١) عمدة الطالب ١٦٥.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي القرشي، أبو الحسن السلامي: من أشعر أهل العراق في عصره. ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦هـ. وانتقل إلى الموصل، ثم إلى أصبهان، فاتصل بالصاحب ابن عباد فرفع منزلته وجعله في خاصته. ثم قصد عضد الدولة بشيراز فحظي عنده ونادمه وأقام في حضرته إلى أن مات، فضعفت أحوال السلامي بعده. ومات رقيق الحال سنة ٣٩٣هـ. وكان عضد الدولة يقول: إذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك إليّ! نسبته إلى دار السلام (بغداد) له «ديوان شعر ـ ط» ببغداد جمعه صبيح رديف.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٩ والبداية والنهاية ١١: ٣٣٣ ومرآة الجنان ٢: ٤٤٦ والإمتاع والمؤانسة ١: ١٣٤ والقاموس: مادة سلم، ونوادر المخطوطات الرسالة المصرية ١/ ٢٣، ويتيمة الدهر ٢/ ١٥٧ ـ ١٨٨، والوافي بالوفيات ٣/ ٣١٧ وتاريخ بغداد ٢/ ٣٣٥ وسماه «محمد بن عبيد الله» وكذ في سير النبلاء ـ خ ـ الطبقة ٢٢، وأخبار التراث ٢١، الاعلام ط ٤/ ٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٣) هو أبو المكارم شهاب الدين، محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري. ولد بالموصل سنة ٥٩٣هـ وبها تعلم. كان شاعراً مجيداً، مدح الملوك والأعيان. قربه الملك الأشرف موسى =

وهم بها، فأجمعهم الخالدي على أنس في منزله وكان بينهم أصناف الريحان والفاكهة، واتفق إن غيّمت السماء وجاءت بوابل عظيم وبرد وستر وجه الأرض، فألقى الخالدي من النارنج الذي بين أيديهم على البرد وقال: يا أصحابنا من يصفه، فبدرهم السلامي فقال:

لله دَرُّ الـخـالـد ... يّ الأوْحَـد الـنَّـدب الـخـطـيـرِ
أهـدى إلـيَّ الـمـز ... ن عـنـد جـمـود نـار الـسَّـعـيـرِ
حـتـى إذا صـدر الـعِـتـا ... ب إلـيـه عـن حـرّ الـصـدورِ
بـعـثـت إلـيـه هـديّـة ... عـن حـاضـري أيـدي الـسـرورِ
لا تـعـذلـوه فـإنـه ... اهـدى الـخـدود إلـى الـثـغـورِ[1]

فشهدوا بفضله، أما التلعفري فإنه بقي على ريبة، فقال فيه السلامي:

سعى التَّلَّعفري إلى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصالِهْ
ينافي خلقه خلقي وتأبى ... فعالي أن تضاف إلى فعالهْ
فصنعتي النفيسة في لساني ... وصنعته الخبيثة في نذالهْ
فإن أشعر فما هو من رجالي ... وإن يصفح فما أنا من رجالهْ[2]

قلت: والتلعفري شاعر محسن، وله البيت المليح الذي ادعى أنه وارد فيه نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي[3]:

لو أن لحية من يشيب صحيفة ... لمعاده ما اختارها بيضاءُ

وبيت أبي يعقوب:

= الأيوبي صاحب دمشق وأجزل له العطايا، ثم طرده حين علم أنه منهمك بلعب القمار فسافر إلى حلب واتصل بصاحبها الملك الناصر يوسف بن محمد الأيوبي، فأكرمه وقرر له رسوماً، فجعل يبددها بلعب القمار. ولما ضيق عليه الملك عاد أدراجه إلى دمشق وأخذ يستجدي بشعره ويقامر. وتوفي بحماة سنة ٦٧٥هـ. له ديوان شعر صغير مطبوع.

ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٥٤٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥، شذرات الذهب ٥/ ٣٤٩، هدية العارفين ٢/ ١٣٢، أنوار الربيع ١/ هـ ٣٦٩ - ٣٧٠.

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٩٦.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٢٩٦.

(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.

لو أنها يوم المعاد صحيفتي ... ما سرّ قلبي كونها بيضاءُ

❀ ❀ ❀

رجع، قال ابن عنبة عن والد السيد تاج الدين المذكور: ولقد كنّا نقصد دار الخلافة ومعنا من الهدايا الخيل والثياب وغير ذلك، ويَجيء تاج الدين بدواته وقلمه فتقضى حوائجه قبلنا ويرجع إلى الكوفة ونحن موقوفون بعده[1]:

وأورد ابن عنبة أيضاً:

قدّمت سبعين وأتبعتها ... عاماً فكم أطمع في المكثِ
وهبك عمري قد مضى ثلثه ... أليس نكث العمر في الثلثِ[2]

قال ابن عنبة: فعاش بعد ذلك سنة، ثم مات، واتبع أثره شيخنا تاج الدين ابن محمد فقال:

قدّمت سبعين وأتبعتها ... عاماً كما أتبعها خالي
فالحمد لله على حاله ... والحمد لله على حالي[3]

قال: ولم يكن خاله، وإنما كان خال والده السيد جلال الدين القاسم بن الحسين.

قلت: لو أن ابن عنبة زادنا عصيراً من شعر هذا السيد المحسن شكرناه شكر الغيث للعهاد، والله يوفقنا.

[٤٣]

أبو الفضل، جعيفران بن علي بن أصغر بن السري بن عبد الرحمن الخراساني الأصل، الأنباري، ثم السامري[*].

شاعر قال فأجاد، وسَيَّر بنات فكرته الغواني في البلاد، ولما كانت يده ببركة موسى بيضاء في النظام، قابلتها سوداء تهيج به أحياناً، والمقابلة من بديع

---

(١) عمدة الطالب ١٦٥.

(٢) البابليات ١/٧٨ نقلاً عن النسمة.

(٣) البابليات ١/٧٨ ـ ٧٩ عن أعيان الشيعة وكلاهما عن نسمة السحر.

(*) ترجمته في: الأغاني ٢٠/٢٠٢ ـ ٢١١ وفيه اسم جده «أصغر»، طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨٢، فوات الوفيات ١/٢٠٧ ـ ٢٠٩، تاريخ شعراء سامراء للسامرائي ١٠٨ ـ ١١١.

الكلام. وكان والده من الأجناد الخراسانية.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان جعيفران يتشيّع ويكثر لقاء الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام[1].

وكان أديباً شاعراً مطبوعاً ثم غلبت عليه الوداء، واختلط في أكثر أحواله، فإذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه.

ومن شعره الذي هو مختار أغاني الخلفاء:

أتهجر مَن تُحب بغير جرم أسأتَ إذاً وأنت له ظلومُ
تؤرقني الهموم وأنت خِلْوٌ لعمرك ما تؤرقك الهمومُ[2]

قال: وقد رويت لغيره.

والصحيح من شعره:

كلُّ امريءٍ يشبهه فعلُه ما يفعلُ المرء فهو أهلُه
ولا ترى أعجز من عاجزٍ سكّتنا عن ذمّة بذلُه[3]

قال: وحدثنا عثمان الكاتب قال: كنت يوماً جالساً برصافة مدينة السلام إذ جاءني جعيفران وهو مغضب فوقف عليَّ فقال [من الرجز]:

(استوجب العالم مني القتلا)

فقلت: لِمَ يا أبا الفضل، فنظر إليَّ نظرة منكرة ثم قال [من الرجز]:

لمّا شَعرت فرأوني فحلا قالوا عليَّ كَذِباً وبُطْلا
إنيَ مجنون فَقدتُ العقلا قالوا المحال كَذِباً وجهلا
أقبِحْ بهذا الفعل منهم فعلا

وذهب لينصرف فخفت أن يؤذيه الصبيان، فقلت له: إصبر فديتك حتى أقوم معك فإنك مغضب وأكره أن تخرج على هذه الحالة، فقال: أتراني أنسبهم إلى

---

(١) الأغاني ٢٠/٢٠٢.
(٢) الأغاني ٢٠/٢٠١.
(٣) ن.م.

الكذب وتتخوّف مني مكافأتهم، ثم ولّى وهو يقول [من الرجز]:

لستُ براضٍ من جَهول فعلا ... ولا مجازيه بجهل عقلا[1]

لكنْ أرى الصفح لِنفسي فضلا ... مَن يُرِد الخيرَ يجِدْه سهلا[2]

وقال سلمة النحوي: مررْت ببغداد، فرأيتُ قوماً مجتمعين فقلت: ما هذا؟ فقالوا: جعيفران المجنون، فقلت: قُل بيتاً بنصف درهم. قال: هاتهَ، فأعطيته، فقال:

لَجَّ ذا الهمُّ واعتلَج ... كلّ همّ إلى فرج[3]

ثم قال: زِدني حتى أزيدَك[4].

وقال عثمان الكاتب أيضاً: مرّ بي جعيفران والصبيان يشتدون خلفه يصيحون به: يا جعيفران يا خرّا في الدار فلما بلغ إليّ وقف، وتفرّقوا عنه فقال: يا أبا عبد الله:

رأيتُ الناس يدعوني ... بمجنون على حالي

وما بي اليومَ من جِنٍّ ... ولا وِسواسِ بَلبال[5]

ولكنْ قولُهم هذا ... لإفلاسي وإقلالي[6]

ولو كنت أخا وَفْرٍ ... رَخيّاً ناعمَ البالِ

رأوني حسن الفعل ... أحلُّ المنزل العالي

وما ذاك على خير ... ولكن هيبةُ المالِ[7]

قال أبو الفرج: وتقدم جعيفران إلى أبي يوسف القاضي الأعور في حكومة شيء كان في يده من وقف، فمنعه منه، فقال: أراني الله أيها القاضي عينيك

---

(١) في هامش الأصل: «جهلا».

(٢) الأغاني ٢٠/ ٢٠٤.

(٣) اعتلج: كثر والتطم.

(٤) الأغاني ٢٠/ ٢٠٥.

(٥) البلبال والبلابل: شدّة الهم والوسواس في الصدور وحديث النفس. قال رسول الله ﷺ: إن أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا البلابل والزلازل والفتن.

(٦) الأقلال: الفقر، المقل: الفقير.

(٧) الأغاني ٢٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

سواء، فأمسك عنه وأمر بردّه وحمله إلى منزله، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم وقال له: ما أردت أن يرد الله على ما ذهب من بصري أو غير ذلك؟ فقال جعيفران: والله لئن كنت وهبت لي الدراهم لأسخر منك إنك لأنت المجنون لا أنا، إخبرني كم أعور صار أعمى؟ قال القاضي: كثير، قال: فهل رأيت أعور صحَّ قط؟. قال: لا، قال: فكيف توّهمت عليَّ الغلط، فضحك منه وصرفه[1].

قلت: أحسب أن الشاعر أخذ منه.

ومن قول الشاعر الحسن بن سهل المشار إليه في أول الكتاب:

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

وهذا نوع من البديع يسمى إيهام المدح بالذم، ومما يعجبني منه قول الحماسي[2]:

لَوْ كنتُ مِن مازنٍ لم تستبحْ إبلي بنو اللقيطَةِ من ذهلِ بنِ شيبانا[3]
إذاً لقامَ بنصري معشرٌ خشنٌ عندَ الحفيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لاَنَا[4]
لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يندُبُهُمْ في النائباتِ على ما قالَ بُرْهَانا
لكنَّ قومي وإنَّ كانوا ذوي حَسَبٍ ليسوا من الشرِّ في شيء وإن هانا
يَجزونَ من ظلم أهلِ الظلمِ مَغْفِرَةً وَمن إساءَةِ أهلِ السوءِ إحسانا
كأنَّ ربَّكَ لم يَخلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِواهُمْ في جميعِ الناسِ إنْسَانَا
فليت لي بهم قوماً إذا ركِبوا شَنُّوا الإغارةَ فُرْسَانَا ورُكْبَانَا
قومٌ إذا الشرُّ أبدَى ناجذَيْه لهم طارُوا إليهِ زَرافاتٍ ووِحْدَانَا[5]

الزرافات: الجماعات، وظاهر يجزون وما بعده المدح وباطنه الذم بالذلّة،

(١) الأغاني ٢٠/٢٠٧.

(٢) الأبيات لرجل من بلْعنْبرْ يقال له قريط بن أنيف.

(٣) تستبح: من الاستباحة، وهي استحلال الشيء ظلماً. اللقيطة: هي أم حصن بن حذيفة، من بني فزارة.

(٤) الحفيظة: الغضب. واللوثة: الضعف مع اللين.

(٥) ابداء الشر ناجذبة: مثل يضرب لشدته وصعوبته، ديوان الحماسة لأبي تمام ٢٩ ـ ٣٠.

والعرب تقول: رهبوت خير من رحموت، وطبع الناس ظلم من لم يخافوه، والأخيار قليل، ولذا قال أبو الطيب:

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روّى رمحه غير راحمِ
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولا في الردى الجاري عليهم بآثمِ

وحلف بعض الأعراب يميناً غموساً في دين عليه لأجر ثم قال:

طمست الذي في الطرس مني بحلفة ... سيغفرها الرحمن وهو غفورُ

فسئل عن حاله مع خصومه، فأنشد:

ولو كنت الحديد لكسروني ... ولكنّي أشدّ من الحديدِ

وأما نصب خبر ليت، في ليت عينيه سواء، فإنه مذهب الإمام الفراء، لأنه أجاز رفعه كما اشتهر ونصبه، لتضمنه أتمنّى، وأنشد له شاهداً:

(ليت الشباب هو الرجيع على الفتى)

بنصب الرجيع والضمير الفاعل مؤكد على المحل، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وأجاز أبو الحسن الكسائي أيضاً بإضمار كان، كقول الشاعر:

(يا ليت أيام الصبا رواجعا)

❀ ❀ ❀

رجع، وقال الصفدي في شرح القصيدة الجهورية: قيل لجعيفران: أتشتم فاطمة صلوات الله عليها ولعن شاتمها، وتأخذ درهماً؟ قال: لا إلاّ إني أسبّ عائشة وأباها واعطوني نصفا.

وذكر أبو الفرج في الأغاني: إنه جاء يوماً إلى أبي دلف العجلي ـ الآتي ذكره[2] ـ فأنشده:

يا أكرمَ العالم موجوداً ... ويا أعزّ الناسِ مفقودا

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٦.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٣٢.

لـمـا سـألْـتُ الـنـاسَ عـن واحـدٍ أصـبـح فـي الأمـة مـحـمـودا
قـالـوا جـمـيـعـاً إنـه قـاسـمٌ أشـبـهَ آبـاءُ لـه صِـيـدا
لـو عـبـدوا شـيـئـاً سـوى ربـهـم أصـبـحْـتَ فـي الأمـة مـعـبـودا
لا زِلْـتَ فـي نُـعْـمـىٰ وفـي غِـبـطـةٍ مـكـرَّمـا فـي الـنـاس مـعـدودا

فأمر له بألف درهم وكسوة، فلما جيء له بالدراهم أخذ منها عشرة وقال: تأمر القَهْرمان[1] أن يعطي الباقي متفرقاً كلما جئت، لئلا تضيع مني، فقال للقهرمان: خُذ المال، وكلما جاءك فاعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا، فبكى جعيفران، ثم قال:

يـمـوت هـذا الـذي أراه وكـلُّ شـيء لـه نـفـادُ
لـو غـيـرَ ذي الـعـرش دام شـيء لـدام ذا الـمُـفْـضِـلُ الـجـوادُ[2]

ولقيه بعد مدة فقال [من الرجز]:

يـا مُـعـدِيَ الـجـود عـلـى الأموالِ ويـا كـريـمَ الـنـفْـس فـي الـفـعـالِ
قـد صُـنـتـنـي عـن ذِلـة الـسـؤالِ صـانـك ذو الـعـزة والـجـلالِ
[بـجُـودك الـمـوفِـي عـلـى الآمـال] مِـن غِـيـر الأيـام والـلـيـالـي[3]

ولم يزل يختلف إلى أبي دلف فيبره حتى فرق الموت بينهما.

قلت: رحمه الله أبا دلف، فلقد كان من حسنات الدهر جوداً وشجاعة وأدباً.

وذكر أيضاً: أن جعيفران اطلع يوماً على حِبٍّ[4] فيه ماء، فرأى وجهه قد تغيّر، وشعره قد عفى، فقال:

مـا جَـعـفـرٌ لأبـيـه ولا لـه بـشـبـيـه
أضـحـى لـقـوم كـثـيـر فـكـلّـهـم يـدعـيـه
فـذا يـقـول بُـنَـيّـي وذا يـخـاصـم فـيـه

---

(١) القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل والخرج والجمع قهارمة.

(٢) الأغاني ٢٠/٢٠٨.

(٣) الأغاني ٢٠/٢٠٩، وما بين المعقوفين سقط في الأصل أكملناه من الأغاني.

(٤) الحبّ: الجرّة الضخمة.

والأمُّ تـضـحـك مـنـهـم   لِـعـلـمـهـا بـأبـيـه[1]

وأسند عن محمد بن الحسن الكاتب قال: مرّ بي جعيفران مرّة فقال: أنا جائع فأي شيء عندك؟ قلت: سلق بخردل، قال: أشتّق معه بطيخاً، قلت: افعل، فادخل وبعثت جاريتي لتجني بطيخاً وقدّمت إليه السلق والخردل مع خبز، فأكل، وأبطأت الخادمة حتى ضجر، فأقبل عليّ مغضباً فقال:

سَـلَـقْـتَـنـا وخَـرْدَلَـت   ثـم وَلَّـت فَـأدْبَـرَتْ
وأراهـا بـواحـد   وافـر الأيـر قـد خَـلَـت

فخرجت والله فوجدتها في الدهليز خالية بسائس كما وصف[2].

السِلق، بكسر المهملة: بقل معروف ومزاجه معتدل، وقيل تغلب عليه الرطوبة وفيه بورقيه بها يلين ويحلل ما في الأمعاء، أو هو بارد رطب في الأولى.

واجتمع جعيفران يوماً مع محمد بن بشير الرياشي الشاعر في بستان، فانفرد ابن بشير لقضاء الحاجة وفاعرسي[3] عظيم، فابصره جعيفران فقال:

قـد قـلـت لابـن بـشـيـر   لـمـا رمـى مـن عـجـانـه
فـي الأرض تـل سـمـاء   عـلا عـلـى كـثـبـانـه
طـوبـى لـصـاحـب أرض   خـرّيـت فـي بـسـتـانـه

فجعل ابن بشير يشتمه ويقول: يا مجنون، يا ابن الزانية صيّرتني شهرة بشعرك، وجعيفران يضحك.

أذكرني ابن بشير أبياته المليحة في الفرج، وأن الرزق بغير حيلة، وأسوق لها حكاية وهي: إن المعتصم غزا الروم فأتاه بعض سراياه بخبرٍ غمّه، فركب من فوره وسار أحث سير فسمع منشداً يتمثل في عسكره بقول ابن بشير:

إنَّ الأُمُـورَ إذا انْـسَـدَّتْ مَـسَـالِـكُـهـا   فـالـصَّـبْـرُ يَـنْـتُـجُ منـهـا كـلّ مـا ارتَـتَـجا

---

(١) الأغاني ٢٠/٢٠٩.
(٢) الأغاني ٢٠/٢١٠.
(٣) كذا في الأصل.

فسُرَّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إلى من معه، فقال: لمن هذا؟ قالوا: لمحمد بن بشير قال: أمرٌ محمود، وبشير سريع إن شاء الله تعالى.

وتمام الأبيات:

ماذا يُكَلِّفُكَ الرَّوحاتِ والدُّلَجا ... البرَّ يوماً ويوماً تركب اللُّجَجا[1]

كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ في الرِّزْق خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتُهُ بِسهام الرِّزْق قَدْ فَلَجا[2]

لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ ... إذا استَعَنْتَ بِصبرٍ أنْ ترى فرجا

إنْ الأُمورَ إذا انْسَدَّت مَسالِكُها ... فالصَّبْرُ يفتح منها كُلَّ ما ارْتَتَجا[3]

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أنْ يَحْظَى بِحاجَتِهِ ... ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أنْ يَلِجا[4]

قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَها ... فَمَنْ عَلا زَلَقاً عَنْ غِرَّةٍ زَلَجا[5]

ولا يَغُرَّنْكَ صَفْواً أنتَ شارِبُهُ ... فرُبَّما كانَ بالتَّحريمِ[6] مُمْتَزِجا[7]

لا ينتج الناس إلاَّ من لقاحهم ... يبدو لقاح الفتى يوماً إذا نتجا

وكان ابن بشير منتقلاً، وهو من أهل البصرة، وفي شعره مقاصد حسنة، ومن مشهور شعره وهو حكمة أيضاً:

جهد المقل إذا أعطاك نائله ... ومكثر من غنى سيّان في الجودِ

لا يعدم السائلون الخير أفعله ... أما نوالاً وأما حسن مردود

❀ ❀ ❀

ومن شعراء المجانين: أبو دانق الموسوس البغدادي، وله حكايات ظريفة، منها: ما حكاه يعقوب بن الدقّاق المستملي من أبي نصر صاحب الأصمعي قال: كنّا يوم جمعة بقبة الشعراء في رحبة جامع المنصور نتناشد الأشعار، فكنت أعلاهم صوتاً إذ صاح بي صائح من ورائي يا منتوف، فتغافلت كأنّي لم أسمع،

---

(١) الروحات: واحدها روحة من الرواح، يكون بمعنى الغدة.
(٢) سهام الرزق: الحظوظ، والفلج: الغلب.
(٣) الفتق: الشق. وارتتج: انغلق.
(٤) أخلق: أجدر.
(٥) الزلق هنا: مكان الزلق. والعزة: الغفلة، وزلج: زلل.
(٦) التحريم: الصعوبة.
(٧) ديوان الحماسة لأبي تمام ٣٤٦.

فقال: ويلك يا أعمى لم لا تتكلم؟ فقلت: من هذا؟ فقال: أبو دانق الموسوس، فالتفتّ إليه، فقال: ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت وأشعر من قائله:

ما تنظر العين منه ناحية ... إلاّ أقامت منه على حسنِ

فقلت كالمحاجز له: لا، فقال: لا أُمَّ لك، هلاّ قلت: نعم قوله:

يزيدك وجهه حسناً ... إذا ما زدته نظرا

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبي، وأقبل علي، وقال: يا أعمىٰ، صف لي صورتك الساعة، وإلاّ أخرجتك من بزّتك، ثم أقبل على من كان حاضراً فقال: ظلمناه وهو ضرير لم يَرَ وجهه، فمن أحسن منا أن يصفه؟ قلت: صفه وكان يعقوب ضريراً وأقبح الناس وجهاً، وكان يحلق شعر رأسه ولحيته وحاجبيه ويدهن، فلم يتكلم أحد، فقال: اكتبوا صفته في رأسه وأنشد:

أشبه رأسه لولا وجار ... بعينيه ونضنضة اللسانِ
بأعظم قرعة عظمت وتمّت ... فليس لها سوى التمييز ثاني
إذا أعلت أسافلها أمالت ... دعائم رأسها نحو الليالي
لها في كل شارقة وميض ... كأن بريقها لمع الدهانِ
فلا سلمت من حذري وخوفي ... متى سلمت صفاتك من لساني

ووثب إليّ فحالت الأيدي بيني وبينه.

قلت: أحسن أبو دانق في وصف هذا الأعمى المسكين، ولا سيما تشبيه موضع عينيه بوجار الثعلب فإنه تشبيه بعيد الغور غريب، ووجار الثعلب بيته، ويسمى حجر الضبع وجارا، وأما الضب واليربوع وأمثالهما فلا يقال لبيته إلا الحجر لا غير، وتشبيه رأسه المحلوق من العجائب، والدهان الجد الأحمر القاني، وفيه إيهام بالتورية المطبوعة، والله أعلم.

حرفُ الحاء

[٤٤]

أبو فراس، الحارث بن أبي العلى [سعيد بن] حمدان بن حمدون التغلبي الشامي، الأمير الكبير، الشاعر المشهور(*).

فاضل أتعب النبلا، وألبس عطف مجده حللا، وكان تاج العصابة المحلّى، وعقد طلا ذلك الفخر الذي أظلا، فالعبسي يحجم عنه إذا لقي الكمي سافراً، وربيعة بن مكدم بات بذنوب وجلا من ذلك البحر حاذراً، فهو المُنزل الموت الأحمر ببني الأصفر، والمورد السنان الأشهب في نحر العدو الأزرق، تحت النقع الأسود في اليوم الأغبر، من فريق فارقوا البيض في حب المعالي إلاّ السيوف والعوالي، ورأوا خضرة الزرد وغصون الوشج وجداول المشرفية فأيقنوا أن الجنة تحت ظلال الحتوف، وأما شعره فما للشعراء منه ألاّ خفقاتها حسداً، وتلك الجوزاء اسقطت لخدمته وطلبت إليه طرائق قدداً، وقد وقع الثناء عليه من كل أديب.

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ١/ ٣٥ ـ ٨٨، وفيات الأعيان ٢/ ٥٨ ـ ٦٤، الوافي بالوفيات المنتظم ٧/ ٦٨، تهذيب ابن عساكر ٣/ ٤٣٩، زبدة الحلب ١/ ١٥٧، شذرات الذهب ٣/ ٢٤، كتاب الأوراق للصولي، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ٥٣، أعيان الشيعة ١٨/ ٢٩ ـ ٨٩، أدب ألطف ٢/ ٦١، الغدير ٣/ ٣٩٩ ـ ٤١٦ الكامل في التاريخ ٧/ ٢٨، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٣٨٧.

وله ديوان شعر كبير برواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه ط دار صادر ـ بيروت [دت].

قال الثعالبي، بعد الثناء الذي قدر عليه: «إن المحاسن الدالة أنه رب ملك في شعره من الجزالة، والعذوبة، والفخامة، والحلاوة، ورواء الطبع، وسمت الظرف، وعزّة الملك. لم يجتمع لأحد قبله إلاّ لعبد الله بن المعتز. وأبو فراس يعدّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام»[١].

قلت أنا: لو قيل لي أيهما أشعر؟ قلت: عبد الله بن المعتز في التشبيهات والخمريات، وأبو فراس في الحربيات.

قال الثعالبي: «وكان الصاحب يقول: بُديء الشعر بملك وختم بملك، يعني امرء القيس وأبا فراس»[٢].

قال: «وكان المتنبي يفرط في تعظيمه واستكثار شعره، وإنّما لم يمدحه ومدح سواه كأبي العشائر ونحوه هيبة لشعره لا إغفالاً، وكان سيف الدولة وهو ابن عمّه مغتبطاً بفضائله وآدابه، وكان يكرمه لأدبه ويستصحبه في غزواته لشجاعته، ويستخلفه أحياناً على أعماله لكفائته»[٣].

وذكروا أن سيف الدولة قال يوماً في مجلسه وعنده كواكب الدهر من الأدباء: من يجيز قولي منكم وليس له إلاّ سيدي أبو فراس؟ ثم قال:

لـــك قـــلـــبـــي تـــحـــلـّــه ... فـــدمـــي لـــم تـــحـــلّـــه

فبدر أبو فراس فقال:

قـــال إن كـــنـــت مـــالـــكـــاً ... فـــلـــي الأمـــر كـــلّـــه

فاستحسنه سيف الدولة وأقطعه ضيعة بأعمال منبج تغل ألفي دينار، وكانت الروم أَسَرَته وهو جرح في فخذه بسهم أصابه نصله في فخذه وأخذوه إلى خَرْشَنَة ثم إلى القسطنطينية سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وفداه سيف الدولة سنة خمس وخمسين على ما ذكر أبو الحسن علي بن الزرّاد الديلمي، وقيل: وهم، فإنه أُسِر كرتين، الأولى بمنازة[٤] الكحل في التأريخ المذكور، وما عدوا به خرشنة، وهي قلعة بأوائل الروم من جهة الشام، والفرات يجري من تحتها، وقيل أنه وثب فرسه

---

(١) يتيمة الدهر ١/٣٥ بتصرف.

(٢) ن. م.

(٣) ن. م.

(٤) في الوفيات ٢/٩٢: «بمغارة».

وهو راكبه من أعلى الحصن إلى الفرات فنجا سباحة من الأسر الآخر بمَنْبج في شوال سنة إحدى وخمسين، فحمل إلى قسطنطينية، فأقام في الأسر أربع سنين، وله في الأسر أشعار كثيرة[1]، ذكرنا منها في ترجمة أبي محمد إسحاق بن المهدي[2] طرفاً عند ذكر الحمامة.

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح الجهورية: كان ملك الروم أذن للأسرى أن يتزاوروا يوم السبت وهم بالروم بحبسه، فقال أبو فراس:

جعلوا الالتقاء في كل سبت ... فجعلناه بالكراهة عيدا
وشركنا اليهود فيه فكدنا ... رغبة أن نزيل عنه اليهودا

ومن شعره الذي دلَّ على إبانة دلالة الزئير على الرئبال، والشرار على الاشتعال:

عَلَوْنَا جَوْشَناً بِأَشَدَّ مِنْهُ، ... وَأَثْبَتَ، عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرِّماحِ
بِجَيْشٍ جَاشَ بِالفُرْسَانِ حَتى ... حَسِبْتَ البَرَّ بَحراً من سِلاحِ
وَأَلْسِنَةٍ مِنَ العَذَبَاتِ حُمْرٍ ... تُخَاطِبُنَا بِأَفْوَاهِ الجِراحِ[3]

جوشن هنا: جبل مشهور بأطراف الروم مما يلي الشام، وإنما قيّدته لأني رأيت في حواشي ريحانة شهاب الدين الخفاجي ما يقتضي أن الجوشن الترس، نعم الجوشن الترس في غير شعر أبي فراس. والسياق ظاهر.

وله في وصف سحابة:

وسارِيَةٍ لا تَمَلُّ البُكا ... جرى دمعها في خدودِ الثَّرَى
سرَتْ تقْدَحُ الصبحَ في ليلِها ... ببَرْقٍ كهِنْدِيَّةٍ تُنْتَضَى
فلما دنَتْ جَلْجَلتْ في السما ... رعْداً أجَشَّ كصوتِ الرَّحا
ضمَانٌ عليها ارتداغُ البِقا ... عِ بأنْوائِها واعْتِجارُ الرُّبَى
فما زال مَدْمَعُها باكِياً ... على التُّرْبِ حتى اكْتسى ما اكْتَسَى
فأضْحتْ سَواءً وجوهُ البلادِ ... وجُنَّ النباتُ بها والْتَقَى

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٩.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢٨.

(٣) كاملة في ديوانه ٦٩.

وكأسٍ سبقْتُ إلى شُرْبها   عَذولِي كذَوْبِ عَقِيقٍ جرَى
يُشِير بها غُصُنٌ ناعِمٌ   من البَانِ مَغْرِسُه في نَقَا
إذا شئتُ علّمني بالجفُو   ن من مُقْلةٍ كُحِّلتْ بالهوَى
له شَعَرٌ مثلُ نسْجِ الدرو   عِ وجَفْنٌ سقيمٌ إذا ما رَنَا
ويضْحك عن أُقْحوانِ الريا   ضِ يغَسِّلُه بالعَشِيِّ النَّدَى
ومِصْباحُنا قمَرٌ مشرِقٌ   كتُرْسِ اللُّجَيْنِ يشقُّ الدُّجى[1]

أقول: ما قول أبي فراس ذكر الدروع والأتراس ولا في مثل الغزل لالفة لهما.

ويعجبني قول الوزير أبي القاسم المغربي الآتي ذكره[2]:

وكأنما الشمس المنيرة إذ بدت   والبدر يجنح للغروب وما غربْ
متجاريان لذي مجنّ صاغه   من فضّة ولنا مجنّ من ذهبْ

ونقلت من ديوانه هذه القصيدة المليحة يمدح بها سيف الدولة ويعاتبه وهو بأسر الروم:

أبِيتُ كَأنّي لِلصّبَابَةِ صَاحِبُ،   وَلِلنّوْمِ، مُذْ بَانَ الخَلِيطُ، مُجانِبُ
وَمَا أدّعِي أنّ الخُطُوبَ تُخِيفُني   لَقَدْ خَبّرَتْنِي بِالفِرَاقِ النّوَاعِبُ
وَلِكنّني مَا زِلْتُ أرْجُو وَأتّقِي   وَجَدّ وَشِيكُ البَينِ وَالقَلْبُ لاعِبُ
وَمَا هَذِهِ فِي الحُبّ أوّلَ مَرّةٍ   أسَاءَتْ إلى قَلبي الظّنُونُ الكَوَاذِبُ
فَلا وَأبي العُشّاقِ، مَا أنَا لاعِبٌ   إذا هيَ لَمْ تَلْعَبْ بِصَبْرِي المَلاعِبُ
وَمِنْ مَذْهَبِي حُبّ الدّيَارِ لأهلِهَا،   وَلِلنّاسِ فِيمَا يَعْشَقُونَ مَذَاهِبُ
عَلَيّ لِرَبْعِ العَامِرِيّةِ وَقْفَةٌ   تُمِلّ عَليّ الشّوْقَ وَالدّمعُ كاتِبُ[3]
تَكَاثَرَ لُوّامِي عَلى مَا أصَابَني   كأنْ لمْ تكُنْ إلاّ لأسرِي النّوَائِبُ
يَقُولُونَ: لَمْ يَنْظُرْ عَوَاقِبَ أمرِهِ   وَمِثْلِي مَنْ تَجرِي عَلَيهِ العَوَاقِبُ

---

(١) ريحانة الألبا ٢٠/٤٩١ ـ ٤٩٢، وهي لابن المعتز «أنظر ديوانه ١/٣» وفيه: «وقد نسبت لأبي فراس ٢/٤٥٧» كما أنها توهم في الريحانة إنها لعلي بن الجهم وهي ليست كذلك.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.

(٣) العامرية: صفة لامرأة من بني عامر. تمل علي: تملي علي.

أَلَمْ يَعلَمِ الذُّلاّنُ أنّ بَني الوَغى ... كَذاكَ، سَلِيبٌ بِالرّمَاحِ وَسَالِبُ[١]

وَإنّ وَرَاءَ الحَزْمِ فِيهَا وَدُونَهُ ... مَوَاقِفَ تُنْسَى دُونَهُنّ التّجَارِبُ

أرَى مِلْءَ عَيْنَيَّ الرّدَى فَأخُوضُهُ ... إذِ المَوْتُ قُدّامي وَخَلْفي المَعَايِبُ

وَأعْلَمُ قَوْماً لَوْ تَتَعْتَعْتُ دُونَهَا ... لأجهَضَني بالذّمّ مِنهُمْ عَصَائِبُ[٢]

وَمِنْ شَرَفي أنْ لا يَزَالَ يَعِيبُني ... حَسُودٌ عَلى الأمرِ الذي هُوَ عَائِبُ

رَمَتْني عُيُونُ النّاسِ حَتى أظُنّهَا ... سَتَحسُدُني في الحاسِدينَ الكَوَاكِبُ

فَلَسْتُ أرَى إلاّ عَدُوّاً مُحَارِباً، ... وَآخَرَ خَيرٌ مِنْهُ عِنْدِي المُحارِبُ

فهُمْ يُطْفِئُونَ المَجدَ وَاللَّهُ مُوقِدٌ، ... وهُمْ يَنقُصُونَ الفَضْلَ وَاللَّهُ وَاهِبُ

وَيَرْجُونَ إدْرَاكَ العُلا بِنُفُوسِهِمْ ... وَلَمْ يَعْلَمُوا أنّ المَعَالي مَوَاهِبُ

وَهَلْ يَدْفَعُ الإنْسانُ ما هُوَ وَاقِعٌ؟ ... وَهَلْ يَعلَمُ الإنسانُ ما هوَ كاسِبُ؟

وَهَلْ لِقَضَاءِ اللَّهِ في الخلقِ غَالِبٌ؟ ... وَهَل من قَضَاء اللَّهِ في الخلقِ هارِبُ؟

عَلَيّ طلابُ المَجْدِ مِنْ مُسْتَقَرّهِ ... وَلا ذَنبَ لي إنْ حارَبَتني المَطالِبُ

وَعِندِيَ صِدْقُ الضّرْبِ في كل معرَكٍ، ... وَلَيْسَ عَليّ إنْ تَبِينَ المَضَارِبُ[٣]

إذا اللَّهُ لَمْ يَحْرُزْكَ مِمّا تَخَافُهُ، ... فَلا الدّرْعُ مَنّاعٌ وَلا السّيفُ قاضِبُ[٤]

وَلا سَابِقٌ مِمّا تَخَيّلْتَ سَابِقٌ؛ ... وَلا صَاحِبٌ مِمّا تَخَيّرْتَ صَاحِبُ

عَليّ لِسَيفِ الدّوْلَةِ القَرْمِ أنْعُمٌ ... أوَانِسُ لَمْ يَنْفِرْنَ عَني رَبَائِبُ

أأجْحَدُهُ إحْسَانَهُ فيّ، إنّني ... لَكَافِرُ نُعمَى إنْ فَعَلتُ مُوَارِبُ

لَعَلّ القَوَافي عُقْنَ عَمّا أرَدْتُهُ، ... فَلا القَوْلُ مَرْدودٌ وَلا العُذرُ نَاضِبُ

وَلا شَكّ قَلْبي سَاعَةً في اعتِقادِهِ ... وَلا شَابَ ظَني قَطّ فِيهِ الشّوَائِبُ

تُؤرّقُني ذِكْرَى لَهُ وَصَبَابَةٌ؛ ... وَتَجْذُبُني شَوْقاً إلَي الجَوَاذِبُ

وَلي أدْمُعٌ طَوْعَى إذا مَا أمَرْتُهَا، ... وَهُنّ عَوَاصٍ في هَوَاهُ غَوَالِبُ

فلا تحسبن سَيفَ الدّوْلةِ القَرْمِ أنّني ... سِوَاكَ إلى خَلْقٍ مِنَ النّاسِ رَاغبُ

فلا تُلبَسُ النّعمىَ وَغَيْرُكَ مُلبِسٌ، ... وَلا تُقبَلُ الدّنيَا وَغَيْرُكَ وَاهِبُ

وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَطاعِمِ، طَاعِمٌ ... وَلا أنَا، مِنْ كُلّ المَشَارِبِ، شَارِبُ

---

(١) الذلان: الذليل.

(٢) تتعتعت: تقلقلت. أجهضني: أبعدني، أزلقني.

(٣) المضارب، الواحد مضرب: مكان الضرب من السيف.

(٤) قاضب: قاطع.

وَلا أنَا رَاضٍ إنْ كَثُرْنَ مكاسِبي، ... إذا لمْ تكُنْ بالعِزّ تِلكَ المكَاسِبُ

وَلا السّيّدُ القَمْقَامُ عِنْدِي بِسَيّدٍ ... إذا استَنْزَلَتْهُ عَن عُلاهُ الرّغَائِبُ

أيَعْلَمُ مَا نَلْقَى؟ نَعَمْ يَعْلَمُونَهُ ... عَلى النّأيِ أحْبَابٌ لَنَا وَحَبَائِبُ

أأبْقَى أخي دَمْعاً، أذاقَ كَرًى أخي؟ ... أآبَ أخي بَعدِي مِنَه الصّبرِ آئِبُ[1]

بنَفسِي وَإنْ لمْ أرْضَ نَفسِي لَرَاكِبٌ ... يُسَائِلُ عَنّي كُلّمَا لاحَ رَاكِبُ[2]

قَرِيحُ مَجَارِي الدّمعِ مُستَلَبُ الكَرَى ... يُقَلْقِلُهُ هَمٌّ مِنَ الشّوْقِ نَاصِبُ

تَجَاوَزَتِ القُرْبَى المَوَدّةُ بَيْنَنَا، ... فَأصْبَحَ أدْنَى مَا يُعَدّ المُنَاسِبُ

أخِي لا يُذِقْني اللّهُ فِقْدَانَ مِثْلِهِ، ... وَأينَ لَهُ مِثْلٌ، وَأينَ المُقَارِبُ؟

ألا لَيْتَنِي حُمّلْتُ هَمّي وَهَمّهُ، ... وَأنّ أخي نَاءٍ عَنِ الهَمّ عَازِبُ

فَمَنْ لمْ يَجُدْ بالنّفسِ دون حبيبِهِ ... فَمَا هُوَ إلاّ مَاذِقُ الوُدّ كَاذِبُ[3]

أتَاني، مَعَ الرُّكْبَانِ، أنّكَ جَازِعٌ، ... وَغَيْرُكَ يَخْفَى عَنْهُ لِلّهِ وَاجِبُ

وَمَا كُنْتُ مِمّنْ يُسْخِطُ اللّهَ فِعلُهُ ... وَإنْ أخذَتْ مِنهُ الخُطوبُ السّوَالِبُ

وَإني لَمِجْزَاعٌ، خَلا أنّ عَزْمَةً ... تُدَافِعُ عَنّي حَسْرَةً وَتُغَالِبُ

وَرِقْبَةَ حُسّادٍ صَبَرْتُ لِوَقْعِهَا ... لهَا جَانِبٌ مِني وَلِلحَرْبِ جَانِبُ

وَكَمْ من حَزِينٍ مِثلِ حُزْني وَوَالِهٍ ... وَلَكِنّني وَحْدِي الحَزِينُ المُرَاقَبُ

وَلَستُ مَلُوماً إنْ بكَيتُكَ من دَمي ... إذا قَعَدَتْ عَني الدّمُوعُ السّوَاكِبُ

رماني زمان بالفراق جسارة ... كأن لياليه لديَّ الأقاربُ

ولكنني في ذا الزمان وأهله ... غريب وأفعالي لديه غرائبُ

وأي أخ يصفو وأصفو وإنّما ... الأقارب في هذا الزمان العقاربُ

ألا لَيتَ شِعْرِي هَلْ تبيت مغذّة ... تَنَاقَلُ بي يوماً إلَيكَ الرّكَائِبُ

لعلّ الليالي أن تعود فربّما ... تجلين إجلاء الغيوم المصائبُ

فتعتذر الأيام من طول ذنبها ... إليَّ ويأتي الدهر والدهر تائبُ[4]

هذه القصيدة طنّانة، وجميع شعره على هذه الطريقة.

وكان شديد التشيّع على مذهب سيف الدولة.

---

(١) آب: قصد.

(٢) أراد بالراكب المسائل: أخاه.

(٣) ماذق الود: أي أن وده مشوب بكدر.

(٤) ديوانه ٣٥ ـ ٣٩.

ونقل ابن خلكان عن ابن خالويه: أن سيف الدولة لما توفي عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي ابن سيف الدولة وغلام أبيه فرغويه فأرسل إليه من قاتله فأخذ وضرب ضربات فمات في الطريق، وقيل أنه قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة في المعركة على باب حمص، وأخذ رأسه وبقيت جثته في البرية إلى أن جاءه بعض الأعراب فكفنه ودفنه.

وقيل: إن أم أبي المعالي كانت أخت أبي فراس، وقلعت أمه سخينة عينها حين بلغها قتله[1].

وقيل: إن فرغويه قتله من غير أمر أبي المعالي، فلما بلغه قتله غمَّه، رحمه الله تعالى.

وحكي: إن موته تأخر عن الجراحة، فكان ينشد مخاطباً ابنته:

أَبُنَيَّتي، لا تَجزَعي!	كلُّ الأنامِ إلى ذَهابِ
نُوحِي عَليَّ بحَسْرَةٍ	مِنْ تَحتِ سِترِك والحِجابِ
قولي إذا كلَّمتِني	فعَيِيتُ عن رَدِّ الجواب:
زَيْنُ الشبابِ أبو فِرا	سٍ لم يُمَتَّعْ بالشَّباب![2]

وكانت مدينة منبج إقطاعه.

والتغلبي، بالتاء المثناة الفوقية لئلا يتصحف ببني تغلب بالمثلثة، ثم بكسر اللام، وإذا نسبت إليه فُتحت كراهة اجتماع الأحرف المكسورة المتوالية، وهو تغلب بن وائل، أخو بكر بن وائل، وهم قبائل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وربيعة أخو مضر، وإياد وإنمار، ولا ولد لنزار من غير هؤلاء.

❀ ❀ ❀

وأما ابن المعتز الذي وقعت المفاضلة بينه وبين أبي فراس، فهو أشهر من أن يذكر في الأدب والنسب، وهو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٦١.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٦٠، ديوانه ٥٥.

المعتصم[1]، الشاعر المشهور، والذي عندي أنه أشعر الناس في التشبيهات الدقيقة التي لا يهتدي لها سواه، وشعره شعر المترفين وأبناء النعم.

قال أبو بكر الصولي في كتاب الورقة: كان أسمر اللون يخضب بالحناء، مسنون الوجه وكان شاعراً مغلقاً، واسع الفكرة في النظم والنثر، من شعراء بني هاشم وعلمائهم، وكان إمام المعالم في الأدب ومعرفة كلام العرب، وكان أبو العباس المبرد يجلّه ويسعى إليه ويستفيد منه، إلاّ أنه كانت له هنات في حبّ بني هاشم وتقديمهم والغلو فيهم، وله في ذلك قصائد، ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه، وكان تغلب يقدمه ويقول: هو أشعر أهل عصره.

قلت: لما وقفت على كلام الصولي في مناقضة مذهبه تعجبت من وقوع ذلك من مثله في النباهة، ولما رأيت ديوان شعره وجدت ذلك كما ذكر الصولي، فربَّ قصيدة له غرّاء يمدح بها علياً عليه السلام حتى يقول السامع هذا من غلاة الشيعة، ورب أخرى توهّم السامع أنه من النواصب ولولا ذلك لأوردت من سحر شعره ما هو منية المتمنّي. وما ألطف قوله، فإن ترك شعره ليس يرضي الأدب [من المديد]:

عَرَفَ الدارَ فحيَّاها وَناحَا ... بعدَ ما كانَ صَحَا واستَراحا
مَن رأى بَرقاً يُضيء التياحاً ... ثَقَبَ الليلَ سناهُ فَلاحا
فَكَأنَّ البرقَ مُصحَفُ قَارٍ ... فانطباقاً مرَّةً وانفِتاحا[2]

هذا تشبيه مطرب، ومن فصوله القصار فيما يتعلّق بالحكمة: أهل الدنيا كصحيفة كلما نشر منها ورقة طويت أخرى.

ومن شعره البديع:

وَمَهْمَهٍ كَرِدَاء الْوَشِي مُشْتَبِهٍ ... قَطَعْتُهُ والدُّجَى وَالفَجْرُ خَيْطَانِ

---

(1) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/ ٧٦ ـ ٨٠، تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥ الأغاني ١٠/ ٣٢٣ ـ ٣٣٥، المنتظم ٦/ ٨٤، كتاب الأوراق/ أشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ ـ ٢٩٦، العبر للذهبي ٢/ ١٠٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٢١، معاهد التنصيص ٢/ ٣٨، فوات الوفيات ١/ ٥٠٥.

(2) كاملة في شعر ابن المعتز ١/ ٤١٧ ـ ٤٢٢، معاهد التنصيص ٢٤٨، ريحانة الألبا ٢/ ٤٧٨، أنوار الربيع ٥/ ٢١٢، أشعار أولاد الخلفاء ١٢٣ ـ ١٢٥.

والـرّيـحُ تَـجْـذِبُ أَطْـرَافَ الـرِّداءِ كَـمَـا   أَفْـضَـى الـشَّـقِـيـقُ إلى تَـنْـبِـيـهِ وَسْـنَـانِ[1]

قلت: إن هذا إلاّ سحر يؤثر، وهو أحد معجزاته.

وله يخاطب شريرة جارية شارية قينة الواثق بالله، وكان عبد الله بن المعتزّ يتعشق شريرة وأكثر غزله فيها:

وَمَـلِـيـحِ الـدَّلِّ ذي غَـنَـجٍ   لابِـسٍ لِـلْـحُـسْـنِ جِـلْـبَـابـا
أَثْـمَـرَتْ أَغْـصَـانُ راحَـتِـهِ   لِـجَـنَـاةِ الْـحُـسْـنِ عُـنَّـابـا
خَـضَـبَـتْ رَأْسِـي فَـقُـلْـتُ لَـهـا: فَـأَخْـضِـبِـي قَـلْـبِـي فَـقَـدْ شَـابـا[2]

وما ألطف قوله من أبيات في رقّة البشرة:

يكاد يجري من القميص من النعمـ   ـة لـولا الـقـمـيـص يـمـسـكـه

أخذه ابن النبيه فقصّره واستحق اللوم فقال:

لـهـا مـعـصـم لـولا الـسـرار يـرده   إذا حسـرت أكـمـامـهـا لـجـرى نـهـرا

وأنت إذا سمعت قوله في القصيدة البائية التي هجا بها الطالبيين:

وكـانـت بـنـو حـرب كـسـوكـم عـمـائـمـاً   من الضرب في الهامات حمر الذوائبِ

جرت بين هذا التشبيه والاستعارة الذي أسعرت نار العداوة حمر الذوائب.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان لعبد الله بن المعتز غلام مغنٌّ بديع الجمال اسم نشوان، فجدُرَ فحزن ابن المعتز وخاف عليه، ثم عوفي وقد نقطه الجدري فقال فيه:

لـي قـمـرٌ جُـدِّرَ لـمّـا أسـتـوى   فـزاده حُـسْـنـاً وزالـتْ هـمـومْ
أظـنُّـه غَـنَّـى لـشـمـس الـضُّـحَـى   فَـنَـقَّـطَـتْـهُ طَـرَبـاً بـالـنـجـومْ[3]

قال: وكان يوماً بمجلس وعنده ندماؤه وقينة تغنّيهم في نهاية حسن الصوت وقبح الوجه فجعل عبد الله يخمشها ويتعاشق لها، فقال بعضهم: بالله يا سيدي

(١) كاملة في أشعار أولاد الخلفاء ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٢) كاملة في أشعار أولاد الخلفاء ١٤٨.
(٣) الأغاني ١٠/ ٣٢٩.

تعشق هذه الذي ما رأيت أقبح منها، فالتفت إليه وهو يضحك، كأنه يريد أن يقول شعراً، فقال:

قلبيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ... ليس يرى شيئاً فيأباهُ
يَهيم بالحُسْنِ كما ينبغي ... ويرحَم القُبْحَ فيهواهُ[1]

ومن شعره:

أترى الجيرة الذين استقلّوا ... يوم بان الحبيب وقت الزوالِ
وهموا أنني مقيم وقلبي ... راحل قبلهم أمام الجمالِ
مثل صاع العزيز في أرحل القو ... م ولا يعلمون ما في الرحالِ

وبالجملة، فهو أشعر العباسيين، كما أن الشريف الرضي أشعر الطالبيين.

وقتل سنة ست وأربعين ومائتين، بعد أن بويع له بالخلافة، وقصّته شهيرة، وتصانيفه في الأدب مشهورة، وسترد أشياء من شعره البديع في أثناء الكتاب، إن شاء الله.

[٤٥]

السيد العلامة إمام الطريقة، أبو الحسين، الحسن بن الحسين بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد الحسني اليمني الصنعاني الدار[*].

فاضل سلك غيره المجاز وسلك وحدة الحقيقة، وتمسكوا بالهشيم من القرار، وتمسك بالطيب من الخميلة الوردية الوريقة، يُنسي عند نير معتقده مذهب ابن أدهم، وليس للسع عقارب الخطوب إلاّ درياق دعائه الهادي أن دعا أوهم، أين ابن الفارض إذا سنَّ صقيل فكرته وشعر، واليافعي إذ عاد شباب مجالس الذكر بالتوحيد وذكر، لو رآه ابن الجوزي لندى بخدّيه حب الرمان خجلا، أو

---

(١) الأغاني ١٠/ ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(*) تتمة نسبه في الترجمة رقم ١٣.

ترجمته في البدر الطالع ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨، نفحات العنبر ـ خ ـ، نشر العرف ١/ ٤٦٨ ـ ٤٧٢، نفحة الريحانة ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

النجم بن إسرائيل لترك طريقة ابن عربي، قال المحمدي: الحسن أولى بالنبلا، وهو المعلم الأول في المنطق لي، وكم طفقت أشرب وسمى معارفه وأقول هذا الولي، وكذلك علم الحساب والجبر، ولم أقصد المقابلة بل جلُّ همي البركة بتلك المعاوذة التي هي كالعسل والصبر، وببركته إذا استنشقت نسيم الفتح.

وكانت ولادته كما كتب لي بخطّه بحصن ضوران سنة أربع وأربعين وألف بالدار التي دفن المتوكل على الله إسماعيل إلى جانبها.

وارتحل إلى ذمار سنة إحدى وخمسين بعد موت والده العلامة بها، وأخذ العلم بها عن السيد الهادي الجلال، وكان متصوفاً، وعن غيره.

ثم ارتحل إلى صنعاء فاستوطنها وأخذ عنه الناس وانتفعوا به، وهو المتفرد هذا الزمان بعلم الحكمة خاصة المنطق والحساب والإلهيات على اصطلاح الأوائل، ويعرف مذهب الأشعري وقد يتهم به وليس كذلك، فإنه ألقى إلى عجره وبجره وأُنس درايته لا يميل إلى غير أقوال الصوفية وميلهما الكلي، منهم الشيخ محيي الدين بن عربي، وليس بخاف سلوكه، فأما صوفية الرسالة، فإن القشيري برهن فيها أنهم سنيّة، وله إلمام قوي بعلم الحرف والسيمياء والكيمياء مع الزهد في الدنيا، والإنقطاع عن الناس في بيته بالكلية، ومعرفة أقاويل الصوفية والسير في طريقهم، وهو مع الاعتزال لا يرضى به. وألّف الكتب النافعة كـ «المزن الهتون بقطرات الثلاثة الفنون» وهي المعاني والبيان والبديع. سمعته منه وكتبته سنة عشر ومائة وألف، وله في المنطق «جمال الجلال» وهو معروف، وله «آلة الحكمة الرسمية في شرح الأبيات الميمية» وهي أبيات له ذكر فيها قسمي التصور والتصديق ثم شرحها، وذكر: إن الإرادة بالحكمة الرسمية المكتسبة بالنظر والشيء لاستفادة العلوم والسالكون طريقها هم الحكماء المشاؤون كأرسطاطاليس وأتباعه، وتقابلها الحكمة الإشراقية وطريقهما تصفية النفس فإذا صفت انتقشت فيها العلوم، وهي طريقة أفلاطون الإلهي ومن تبعه من علماء الإسلام كالسهروردي وغيره.

ومن مؤلفاته: «شرح الورقات» للجويني في أصول الفقه، و«مقالات الصابية والحنفا» وله في علم الحرف مؤلف اشتهر بمكة، وفي النحو قصيدة هو الآن يشرحها، وشرح بعض قصائد العفيف التلمساني في الوحدة على اصطلاحهم المعروف.

وهو شاعر مجيد كثير الشعر، سريع البديهة، ومن مشهور شعره هذه القصيدة العينية في اصطلاح العارفين، عارض بها الشيخ أبا علي بن سينا[1]:

لجمال ذاتك في الوجود تطلعي ... ولنيل وصلك في الحياة تطمعي
ولوجهك الزاهي بحسن جماله ... حجي وتطوافي بذاك اليمربعِ
وإذا استلمت الركن كنت مسلماً ... قلبي المتيم للمليك الأرفعِ
وإذا سعيت فللصفا نحو الصفا ... وإذا اعتمرت فللجناب الأمنعِ
يا من تمنّع أن أراه حقيقة ... الله لي من حسنه المتمنعِ
أرخى الحجاب ولو تجلى مسفراً ... لا نُدكَّ طور القلب عند المطلعِ
ومحت وجودي ساطعات جماله ... وجه بغير النور لم يتبرقعِ
لولاه ما ظهر الأنام ووصفهم ... فوجودهم من جوده فافهم وعِ
واعلم بأن الكون معدوم إذا ... لم يرتبط بوجوده المترقعِ
إن الكريم له التفرد والبقا ... والانعدام لحادث متقشعِ
فإليك أشكو منك فاجعل بغيتي ... كشف الغطاء بغير أمر مفزعِ
فالنفس قد حبست بسجن مظلم ... ترجو من السجن الخلاص فأسرعِ
والبعد أضرم في الحشا جمر الغضى ... والعين تسقيه بفيض الأدمعِ
لله أيام اللوا اللاتي مضت ... ما كان أطيبها بوادي لعلعِ
حيث الحصى در وترب مسيله ... مسك يفوح بنشره المتضوعِ
فتبدلت تلك المسرّة ترحةً ... لما تناءى عن حماها موضعي
يا كعبة الشرف التي طافت بها ... تلك النفوس لسرّها المستودعِ
جودي على روحي بلطف إفاضة ... لتعود سامعة بما لم تسمعِ
فالنفس تطلب عطفة تحيي بها ... أبداً ولا تصغي لروع مروّعِ

هذه القصيدة يتبعها ابن سينا وإن كان الرئيس، ويبور نظم ابن لؤلؤ الذهبي في سوق جوهرها النفيس، ولقد عارضه جماعة فكانوا بوادي اللوى وهو بالعذيب، وذلك أن شيخنا المذكور وأبا علي غاصا في بحر محيط بشيء غامض، فإن الرئيس أبا علي ورّى في أبياته بذكر النفس الكليّة السارية أشّعتها في حنادس الأشباح، وشيخنا ورّى بها عن محبوبه واجب الوجود الساري في فيضه في كل

(١) نشر العرف ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١.

من قراه تحت فلك القمر ومن لا نراه فوقه الذي وجود الإطلاق غيره بالنسبة إلى أنه قام به منعدم، فلذا قالوا ليس إلاّ هو تعالى استصغاراً لما سواه، والباقون تغزّلوا في المها والظبا.

ولو كنت أورد شيئاً مما قالوه ذكرت قول أخي وشيخي ضياء الدين زيد بن يحيى[1] برّد الله رمسه فإنه قال من قصيدة:

أهلاً بزائرة المحب المولع فلقد شفت داء الفؤاد الموجعِ
أبدت سناً فرأيت صورة يوسف وبدت عشاً فذكرت آية يوشعِ

تأمل هذا الانسجام.

وقد زاد في التلميح على أبي تمّام يصف المحبوبة:

فَرَدَّت علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ بشمسٍ لهم من جانب الخدرِ تطلعُ
فواللّهِ ما أدري أأحلامُ نائمٍ أَلَمت بنا أم كان في الركب يوشعُ

ووقع في ذكر يوسف مع يوشع صراعات النظير.

ولأبي تمّام تجاهل العارف مع القاسم والاثنين، التلميح.

ومطلع أبيات الرئيس:

هَبَطَتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ وَرْقاءُ ذات تعزُّزٍ وتَمَنُّعِ[2]

وشعر الرئيس متين، وإنما وقعت المعارضة بسببه، وسأذكر أبيات الرئيس إن شاء الله تعالى. وأما من عارضه فمنهم من ناسب، ومنهم من قصّر، وللشيخ داود صاحب التذكرة أبيات ركيكة في معناها.

وقلت أنا في رثاء عقيلة من آل المنصور وكانت شمس جمال:

يا شمس اختك تحت ظل اليرمعِ فتحجبي حزناً لها لا تطلعي

وما أحسن ما جاء منها:

يا زهرة قطف الحمام نديّها لو كنت غير نفيسة لم تقطعي

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٢) القصيدة كاملة في وفيات الأعيان ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١.

وما أعجبني أخذ السيد محمد بن الحسين بن أحمد سيد ـ الآتي ذكره[1] ـ هذا المعنى عليَّ، وكنت أنشدته إيّاه، فقال بعد ذلك يرثي أخاه:

قطفت عليَّ يد الزمان شقيقي   فعلامَ تنكر زفرتي وشهيقي

وأما صفة استعمال أول بيت قصيدة الرئيس فإنه:

يا قبرها هنئت شمس ملاحةٍ   (هَبَطَتْ إليكَ مِنَ المَحلِّ الأرفعِ)

وهبوط هذه الشمس في شرف حمل المناسبة.

وكتب إليَّ شيخنا الإمام المذكور في أثناء محاورات دارت بيني وبينه: باسم القدوس استفتح أنوار سطعت من مشكاة قواس القلوب، ووجوه لمحت من وراء أستار الغيوب، فألاحت للأبصار والبصائر منهجاً غير ذي عوج، وأفاحت لمام الأرواح بنسيم الأسحار أطيب الأرج، فأنشقها النفس الرحماني سرّ ذلك النسيم فارتاحت، ولولا إمساكها بزمام تلك القيود لهامت في بيداء الإطلاق وساحت فطوبى لمن صفى عمله من رديةٍ له وإن جلَّ ولم يَرَ له على غيره في جميع الحالات مزية فضل هذب بالتواضع نفسه فأسقط حظوظها وخشع قلبه لربه فأقام له مسنون أعماله، وصحّت له المراقبة والمحاسبة بهذي الشهود، فصار لديه التخلّق خلقاً لا يفتقر إلى بذل مجهود، وانفتح له باب الذوق والشرب والري فهو في صحوة وسكرة ومحوة وفناء حتى:

ترنم حادى الشوق وهو مزمزمُ   فرعياً لحادٍ بالهوى يترنمُ
يخبرنا أن الفتوة جودهم   بأنفسهم والوقت بالحكم يحكمُ
بقبض وبسط ثم أنس وهيبة   وسر وكشف والهواجم تهجمُ
طوالعهم ثم اللوامع إن بدت   تلوح ولكن برقها لا يخيمُ
إلى أن تنال النفس علم يقينها   فيرتفع الشك الذي يتوهمُ
وإن شاهدت عين اليقين ارتقت به   إلى حضرة الحق الذي يتحكمُ
فتخرج من فرق لجمع بريها   وتذهب أوصاف النفوس وتحسمُ
فإن كان شطحاً فالحقيقة لبه   وإن كان مدحاً (فالنسيب المقدمُ[2])

---

(١) ترجمه المؤلف برقم.

(٢) نشر العرف ١/ ٤٧١.

وكتب تحته سطحاً اسم كان ضمير فيها يعود على الجمع أو على الخروج الذي دلَّ عليه مخرج، ولما كانت هذه العبارات صوفية وشملت الأبيات والسجع على اصطلاحات حققها أبو القاسم القشيري في الرسالة[1] أجبت عنها بما يشبهها محبة لبديع المشاكلة فقلت:

لقاؤكم لو تسعدوني مَغنمُ ... وسهدي وشوقي منكم وإليكمُ
أحبتنا كم تهجرون معذباً ... يراعي الثريا والخليقة نُوَّمُ
ولم يبقِ منه الشوق غير عبارة ... حقيقتها لولا البقية أنتمُ
وما البدر لولا الشمس فاض شعاعها ... على وجهه إلا كما قيل مظلمُ
سرينا بليل كالقناة وشبهه ... كما لاح في أعلى المثقف لهذمُ
فلاح لنا والليل ملق رواقه ... منانا وما في الركب إلا متيَّمُ
وفي نار موسى جنة لموفق ... بها فاز عيسى بعد ذاك ومريمُ
شربنا عليه كأس خمر أباحها ... لنا وجدنا الصافي وكانت تحرَّمُ
محونا بها ذكر السلو كما محا ... مداد الدجى الإصباح إذ يتبسَّمُ
فما الصحو بعد المحو دين متيم ... سقاه الحميا حبه المُتَحَكِّمُ
فإن كنت في القوم السرى فنحونا ... لعلك تحظى باللوامع منهم
وإن كنت حلاج المقال فسرنا ... إذا باح سيف في الرقاب مصمّمُ
فقل مثلنا بعد التذلل حطة ... وسلم كما ذل الكرام وسلّموا
ودن بالفنا عن ذي الوجود فإنه ... خيال وعين الحق ما ليس يكتمُ
وإن رمت شطحاً فاليقين اتحادنا ... ومذهبنا الإصباح إن كنت تحلمُ
وفي الحسن القطب النسيب تقدم ... إلى كل سرٌ والنسيب المقدمُ[2]

لا يخفى إن آخر هذه القطعتين وهو: (النسيب المقدم) مضمّن عن قول أبي الطيّب.

وطلبت من شيخنا المذكور قراءة حاشية اليزدي في المنطق عليه بعد إكمالي عليه شرح الشيرازي على التهذيب، فكتبت إليه:

علوم الورى الماورد قد فاح نشره ... وصاحبها بين البرية كالوردِ

---

(١) القشيرية.

(٢) نشر العرف ١/ ٤٧١ ـ ٤٧٢.

وكـل لـه صـنـف يـضـوع شـمـيـمـه		وقد خصّك الرحمن من تلك باليزدي

فكتب إليّ مراجعاً:

ووقـعـة صـفـيـن لأشـتـرنـا الـذي		يروم ارتجاع الحق بالقاضب الهندي
يـخـبـرنـا إنـا نـعـود لـحـكـم مـن		يروم ارتواء النفس من خالص الوردِ
وقـد عـبـروا ضـوع الـلـقـاح بـمـادة		لـعـلـم كـثـير يـرتـضـيـه أولوا الـقـصـدِ

وذلك أنه كان امتنع أولاً لانقباضه، فلما أخذت في القراءة سألته عن اللقاح وما جرَّ ذكرها في أبياته فقال: إنك قلت في أثناء طلب القراءة ولو فواق ناقة، فذكرت قول الأشتر يوم صفين، وأهل التعبير ذكروا أن من رأى أنه يشرب لبن ناقة فإنه يستفيد علماً نافعاً. والفواق ما بين الحلبتين من الزمان، وكان الأشتر ليلة الهرير يقول لأهل العراق وهو يجالد: إصبروا لي فواق ناقة، فقد نهكت الحرب أهل الشام وظهر فشلهم، وكانوا أشرفوا على الهزيمة وصاروا ينادون: يا أهل العراق الله الله في الحريم والذريّة والقصة أشهر من الشمس.

ولشيخنا المذكور ما كتبه على هذا المؤلف (نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر):

حمداً لمحمود بكل لسان في كل زمان وصلاته وسلامه على رسوله المصطفى من عدنان، وعلى ابن عمّه مستعرض الصفوف ببدر، ومبيد الجموع من غطفان، وعلى من اتبعهما من آلهما وأصحابهما، دائماً بتوفيق وإحسان، كتاب لو اطّلع عليه المسعودي لقال ليس لي على مثل هذا الكتاب مساعد، وأصبحت مروجه الذهبية في صبيح النهار الكاسد، ولو شاهده الذهبي لبان له خسران ميزانه، وابن خلكان لاعترف لعبارته الرائقة بانقطاع لسانه أو للأفندي لنادى: يا أولي الألباب من أين لي أن أشم مثل هذه الريحانة، أو مؤلف قلائد العقيان لعجز أن ينظم في قلائده من مثلها جمانة، للسيد الذي فاق أقرانه في فنون الأدب، وساق سوابق البلاغة والبراعة عن كثب، فكلامه هو الجوهر الشفّاف، وما سواه مخشلب، فلقد أظهر لمن حواه بأريجه أطيب ريّاً، فلا غرو أن لقب بضياء الدين يوسف بن يحيى، كتب الفقير الحقير الساعي في مجارات أهل الأدب بقدم كسير الحسن بن الحسين عفى الله عنه.

قلت: لولا إيرادي لفظه متبركاً به لقلت: الغني بفضائله، الجليل بفرائض علمه ونوافله، المدرك قاعداً ما قطع السابق العتيق، ولم يدركه بالأشواط، الجابر الأدب بعد أن نقرس الزمان قدمه. فعطبت من سوء الأخلاط، وأنا أتبرّك بألفاظه وأعدّها من الفخر لي، وإذا أحيى الوسمي الأنام فما حياتي بغير هذا الولي، وأدعو الله أن يبقيه ركناً للفضل محجوجاً ما دامت الدنيا.

وحتى يؤوب القارضان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائلِ

وأشار بقوله: «مستعرض الصفوف ببدر... الخ». إلى قول المعري في القصيدة التي هي من أدلّة تشيّعه، ويسمى هذا النوع من البديع، حلّ المنظوم، ولا ير من غير متمكن في البلاغة ولم يذكر أبيات أبي العلاء في ذكره مع جوّها، فلنذكر منها هنا طرفاً لأنها طويلة وأوّلها [من الطويل]:

عَلِّلاني فإنَّ بيضَ الأماني ... فَنِيَتْ، والظلامُ ليس بفانِ
إنْ تَنَاسَيْتُمَا وِدادَ أُناسٍ، ... فاجعلاني من بعض ما تَذْكُرانِ
رُبَّ ليلٍ كأنه الصبحُ في الحُسْـ ... ـنِ وإن كان أَسْوَدَ الطَّيْلَسَانِ
قد ركضنا فيهِ إلى اللهو لما ... وَقَفَ النجمُ وقفةَ الحَيْرانِ
كم أردنا ذاكَ الزمانَ بمدحٍ ... فَشُغِلْنا بذمِّ هذا الزمانِ
فكأني ما قلت، والبدرُ طفلٌ، ... وشبابُ الظلماءِ في عُنْفُوانِ
ليلتي هذه عروسٌ من الزَّنْـ ... ـجِ عليها قلائدُ مِن جُمانِ
هَرَب النومُ عن جُفونيَ فيها، ... هَرَب الأمنِ عن فؤادِ الجَبانِ
وكأنَّ الهلالَ يَهْوَى الثُّريا، ... فهما للوداع مُعْتَنِقانِ
قال صَحْبي، في لُجَّتَيْن من الحِنْـ ... ـدِسِ والبيدِ إذ بَدَا الفَرْقَدانِ[1]
نَحْنُ، غَرْقى، فكيف يُنْقِذُنا نجـ ... ـمانِ في حومةِ الدُّجَى غَرِقانِ؟
وسُهَيلٌ كوجنةِ الحِبِّ في اللو ... نِ، وقَلْبِ المُحِبِّ في الخفقانِ[2]
مستبداً؛ كأنّهُ الفارس المُعْـ ... ـلَمُ يبدو معارضَ الفُرسانِ
يُسْرِعُ اللَّمْحَ في احمرارٍ كما تُسْـ ... ـرِعُ في اللمح مقلةُ الغَضْبانِ

---

(١) الحندس: الليل المظلم.

(٢) الحب: الحبيب.

ضَرَّجتهُ دماً سيوفُ الأعادي، فبكت رحمة لهُ الشّعْرَيَانِ[1]
قدماهُ وراءَهُ وهو في العَجْـ ـزِ كساعٍ ليست لهُ قدَمانِ
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ـرِ، فغطّى المَشِيبَ بالزَّعفرانِ
ونضا فجْرُهُ على نَسره الوا قعِ سيفاً فَهَمَّ بالطَّيَرانِ
وبلادٌ وَرَدْتُها ذَنَبَ السر حانِ بين المهاة والسِّرْحانِ[2]
وعيون الرِّكابِ تَرْمُقُ عَيْناً حولَها مِحْجرٌ بلا آذانِ
وعلى الأُفقِ، من دماءِ الشهيديـ ـن عليٍّ ونجلهِ، شاهدانِ
فهما في أواخر الليل فجرا نِ، وفي أولَيَاتهِ شَفقانِ
ثُبِّتَا في قميصهِ ليجيئا في الحَشْرِ مُسْتَعْدِياً إلى الرَّحمنِ
يا ابنَ مُسْتَعْرِضِ الصفوفِ ببدرٍ ومُبِيد الجموعِ من غطفانِ[3]
أحَدُ الخمسةِ الذين هم الأغـ ـراض في كل مَنْطقٍ والمعاني
والشخوصُ التي خُلِقْنَ ضِياءً قبل خَلْقِ المريخ والميزانِ[4]
قَبْلَ أن تُخْلَقَ السمواتُ وتُؤْ مَرَ افلاكُهُنَّ بالدورانِ
لو تأتَّى لِنَطْحِها حَملُ الشُّهـ ـبِ تَرَدّى عن رأسهِ السَّرَطانِ[5]
أو أراد السِّماكَ طعناً لها عا دَ كَسِيرَ القناةِ قبلَ الطِّعانِ
أو رمتها قوسُ الكواكبِ زالَ العَجْـ ـسُ عنها وخانها الأبهرانِ[6]
أو عصاها حوتُ النجومِ سَقاهُ حتفَهُ صائدٌ من الحَدَثانِ[7]

---

(١) الشعريان: كوكبان نيران يقال لهما المرزمان يطلعان في شدة الحر بعد الجوزاء.

(٢) السرحان: الذئب والأسد.

(٣) بدر: موضع بين الحرمين أو اسم بئر هناك حدثت به موقعة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين وانتصر فيها المسلمون وعلت كلمة الدين. غطفان: اسم قبيلتي جزام وقيس عيلان قاتلوا النبي في وقعتي القعر والخندق. دخلوا الإسلام ثم ارتدوا فرجعهم خالد بن الوليد. قاتلوا عائشة يوم الجمل وناصروا الأمويين في وقعة الزاب.

(٤) المريخ: كوكب من السيارات وهو أقربها من الشمس. الميزان: نجم طالع قبل سهيل تظنه أباه، وهو أحد الكوكبين المحلفين.

(٥) السرطان: نجمان أو ثلاثة أنجم من الحمل ويقال لهما قرنا الحمل، وهو أول نجم الربيع.

(٦) العجس: مقبض القوس الذي يقبضه الرامي منها أو موضع السهم منها. الأبهران: ظهر القوس من الجانبين.

(٧) كاملة في ديوان سقط الزند ٤٥ ـ ٤٩.

وهذه شذرة من عقدها، وزرة من نبذها، وهذا الهلال طالما لعب بالكواكب، وروى سقط زنده منها وغيره يقع على نار الحباحب، وكتبت هذه الكلمات في شهر المحرم الخامس عشر منه سنة أربع عشرة ومائة وألف.

وكانت ولادة شيخنا المذكور ـ كما سبق ـ سنة أربع وأربعين، فقد بلغ من العمر ثمانياً وستين سنة، دام له العمر ما ازدانت به العصر[1]، آمين.

[٤٦]

القاضي شرف الدين الحسن بن القاضي جمال الدين علي بن جابر بن صلاح بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن ناجي بن أحمد بن عمر بن حنظل بن المطهّر بن علي الهبل الخولاني القضاعي السحامي الحربي، نسبة لجدّ له أعلى اسمه حرب، نقلت نسبه من خطّه، إلاّ لفظ القضاعي، والوجه أن خولان بن مالك بن عمرو بن قضاعة بن حمير الزيدي الجارودي اليمني الصنعاني المولد والوفاة، الشاعر المشهور الكاتب[*].

فاضل أُلين له نضار النظام كما أُلين الحديد لداود، وحيّر كل سابق بنسبه ونسيبه، وما منهما إلاّ لؤلؤ منضود، كأنّما عشق الأطلسي ديباجة شعره فقلّد جيد معانيها بدراريه، ورأى الجوهري صحاح سلوكه فنشر أجنحة القلق يروم لحاقه ولذا طار بناديه، لو رآه ابن دانيال لغاضه بعيونه، فحكى ذا النون أو مسلم بن الوليد لارتد حسيراً عن حلبته، وقيل ما صريع الغواني إلاّ مجنون، ولو شام خطه اليوسفي حسناً لسلا عن بثّه يعقوب، وما شعر حبيب بقياسه إلى شعره بالمحبوب، وكان والده القاضي علي حاكماً بمصر لم يخلف مثله في آداب الشريعة، ولم يكن نصف الناس عليه غضاباً كما قال بعض الحكّام لحسن خلفه وأقصى هواه، ونشأ ولده المذكور لبيباً أديباً عالماً، وكان

---

(١) في هامش ب: «موت السيد الحسن بن الحسين في ربيع الأول سنة أربع عشرة ومائة وألف، كما سيأتي ذكر ذلك في ترجمة الفقيه زيد بن صالح» برقم ٧٧.

(*) ترجمته في: مطلع البدور ـ خ/ ١٢٥، نفحات العنبر لإبراهيم الحوثي ـ خ ـ، طبقات الزيدية، خلاصة الأثر ٢/ ٣٠، البدر الطالع ١/ ١٩٩، نفحة الريحانة، ٣/ ٥٥٣ ـ ٥٦٢.

والدي رحمه الله تعالى قلّده حساباً له فكتب إليه:

يا ابنَ خيرِ الأنامِ دعوةَ عبدٍ ... عضّهُ حادث الزّمانِ بنابِ،
إنّ هولَ الحساب عرّفني لو ... نَ مشيبي في عنفوانِ شبابي؛!
كلّما قلتُ صَحَّ يصبحُ طوراً ... في ابتعادٍ، وتارة في اقتراب؛
يدّني تارة ويذهب أخرى؛ ... فلكم جيئةٍ له، وذهاب!
كيفَ أقوى على الحساب بذهنٍ ... ما خلا من تشتّتٍ واضطرابِ؟
فأقِلْني؛ يا نجلَ خيرِ البرايا، ... وأعذْني[1] من هَوْلِ يومِ الحسابِ![2]

وقد ذكر في ترجمة القاضي أبي محمد أحمد بن ناصر بن عبد الحق[3] أنه جمع ديوانه وسمّاه «قلائد الجواهر»[4]، وكان القاضي صديقه وبينهما مشاعرة تضمّنها الديوان، وكانت حرفة الأدب أدركته أول مرّة ثم تنبّه له الحظ ولكن كإيماض البرق، ونبهة المنتشي، وما لبث أن سقاه الجمام كأساً هي قصارى من دار به الصباح والعشي، فإن السيد شمس المعالي أحمد بن الحسن بن المنصور استكتبه أيام إمارته لإنشاءه فأطرب إيجازه صادح البلاغة وأنشأه فحسده كما يحسد السهى الشمس بعض الكتاب فشاب شهد إقباله من سمّ حَسَدِه بالصاب فذوى غصناً، وأسخن فقده مقلة الأدبِ الوسنى:

وجاد بالنفس إذ ضنَّ البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجودِ

وحكى لي القاضي العلامة أبو محمد، أحمد بن ناصر: إن القاضي الحسن حين سرى السمّ في جسمه سري الغرام بالوامق، والنجم في الغاسق، استدعى الحكيم الماهر محمد صالح الجيلاني نزيل اليمن فأخبره الحكيم أن السمّ قاتل وإنه يعالجه بما يدفع سريانه القوي المزعج للروح فيعيش أياماً فلم يتعالج، وشأن الكريم استحقار القليل.

فمن غرر شعره، ومن للتبعيض في هذا البيان فشعره لجياد القوافي غرر هذه

---

(١) أقاله من منصبه: رفعه منه، وأعاذه: أنقذه وحفظه.

(٢) ديوانه ٢٣٣.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٤) وتمامه «من شعر الحسن بن علي بن جابر» حققه أحمد بن محمد الشامي، ونشرته الدار اليمنية سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

القصيدة في مدح أمير المؤمنين علي وأولاده عليهم السلام:

لـو كـانَ يَـعْـلَـمُ أنّـهـا الأحـداقُ ... يـومَ النّـقـا مـا خـاطـر الـمـشـتـاقُ![1]

جَـهِـلَ الـهـوى حـتّـى غَـدا فـي أسـرِهِ ... والـحُـبّ مـا لأسـيـرِهِ إطـلاقُ

يـا صـاحـبَيَّ، وَمَـا الـرَّفِـيقُ بـصـاحـبٍ، ... إن لَـم يـكـنْ مِـن دأبـه الإشـفـاقُ!

هَـذَا «النّـقـا» حَـيـثُ النّـفـوسُ تُـبـاح والألـ ... ـبـابُ تُـسْـلَـبُ، والـدّمـاءُ تُـراقُ

حيثُ الظّباءُ لهنَّ سوقٌ في الهوى ... فيـهـا لألـبـابِ الـرّجـالِ نَـفَـاقُ![2]

فَـخُـذا يُـمـيـنـاً عـن مَـضَـارِبِـه، فَـمِـنْ ... دُونِ المضَارِبِ... تُضْرَبُ الأعناقُ[3]

وحـذارِ مِـنْ تِـلـكَ الـظـبـاءِ؛ فـمـالَـهـا ... فـي الـحِـبِّ؛ لا عَـهْـدٌ، ولا مِـيـثـاقُ

وَبِـمَـهْـجَـتـي مَـنْ شـاركـتْـنـي لُـوَّمـي ... وجـداً عـلـيـهِ؛ فَـكُـلُّـنـا عُـشّـاقُ...!

كـالـبـدْرِ؛ إلاّ أنّـه فـي تـمّـهِ، ... لا يَـخْـتَـشـي أن يَـعْـتَـرِيَـهِ مـحـاقُ

كـالـغُـصْـنِ؛ لـكـنْ حُـسْـنُـه فـي ذَاتـه؛ ... والـغُـصـنُ زانـتْ قَـدَّهُ الأوراقُ!

مَـهْـمـا شـكـوتُ لَـه الـجـفـاءَ؛ يـقـول لـي: ... مـا الـحُـبُّ إلاّ جـفـوةٌ؛ وفِـراقُ

أو أشـتـكـي سَـهَـري عـلـيـه؛ يَـقُـلْ: مَـتـى ... نَـامَـتْ لِـمَـنْ حَـمَـلَ الْـهـوى آمـاقُ؟![4]

أو قـلـتُ: قـد أشْـرَقْـتـنـي بـمـدامـعـي؛ ... قـال: الأهـلّـةُ شـأنُـهـا الإشْـراقُ![5]

مـا كُـنْـتُ أدرِي قَـبْـلَـه أنّ الْـهَـوى ... مُـهَـجٌ تَـصَـدَّعُ، أو دَمٌ مُـهْـراقُ[6]

كـنـتُ الـخَـلـيّ فَـعَـرَّضَـتْـنـي لِـلْـهَـوى ... يـومَ الـنَّـقـا الـوَجَـنـاتُ والأحـداقُ

ومِـن الـتَّـدَلّـهِ فـي الـغَـرامِ، وهـكَـذا ... سُـكْـرُ الـصَّـبـابـةِ مـالَـهُ إفـراقُ؛[7]

إنّـي أعـبّـر بـالـنّـقـا عَـن حـاجـرٍ ... وأقـول: «شـامٌ»، والـمـرادُ «عـراق»!

مـا لِـلـنَّـقـا قَـصْـدي، ولا بـمـحَـجَّـرٍ... ... وجْـدي، ولا أنـا لِـلْـحِـمَـى مُـشْـتـاقُ

بَـرِحَ الـخـفـا؛ «نـعـمـانُ» أقْـصَـى مَـطْـلَـبـي، ... لَـوْ سَـاعَـدَتْـنـي صـحْـبَـةٌ ورفـاقُ!

يـا بَـرْقَ «نـعـمـانٍ» أفِـقْ، حـتّـى مَـتـى؟ ... وإلـى مَـتَـى الإرعـادُ والإبـراقُ؟

---

(١) النّقا: القطعة من الرمل المحدود به. وهو اسم مكان يكثر دورانه في الشعر العاطفي.

(٢) نفقت الشوق نفاقاً: قامتْ وراجت تجارتها.

(٣) المضرب: جمعه مضارب: الخيمة العظيمة، وتضرب الأعناق: تقطع الرقاب.

(٤) الموق جمع أمواق: مجرى الدمع من العين.

(٥) أشرَقه: أغصّه.

(٦) مهراق: اسم مفعول من هرق، وهراق الماء: صَبّه وأراقه.

(٧) التدلّه: الدهشة وذهاب القلب من الهمّ. وأفرق: أفاق.

قُلْ لي عَن الأحباب؛ هَل عهدي على عَهْدي؟ وهل ميثاقيَ الميثاقُ؟
يا ليتَ شعري؛ إنّ ليتَ وأختَها لَسَميرُ مَنْ لَعِبَتْ بِهِ الأشواق!
أيعودُ لي بعدَ الصّدودِ تَواصلٌ؟ ويُعَادُ لي بعد البعادِ عناقُ؟
ولقد أقولُ لعُصْبَةٍ «زَيْدِيّةٍ» وخَدَتْ بهِمْ نَحو «العِراقِ» نياقُ[1]
بأبِيْ وبِيْ، وبِطَارفي وبِتَالدي، مَنْ يمّمُوهُ ومَنْ إليه سَاقُوا[2]
هَل مِنّةٌ في حَمْل جِسْم حَلّ في أرضِ «الْغَريّ» فؤادهُ الخفّاق؟
أسْمَعتُهُمْ ذكرَ «الغَريّ» وَقَد سَرت بعقولِهِمْ خَمرٌ السُّرَى فَأَفَاقوا
حُبّاً لِمَنْ يَسْقِي الأنامَ غداً، ومَنْ تُشْفى بتُرْبِ نعالِه الأحداقُ
لِمَنِ اسْتَقَامَتْ مِلّةُ الباري بهِ، وعَلَتْ وقامَتْ للعُلَى أسواقُ؛
ولمن إليهِ حديثُ كلّ فضيلةٍ من بَعْدِ خيرِ المرسلين يُساقُ
لمحطِّم الرّدْنِ الرّماح وقد غَدا لِلنّقْعِ مِن فوق الرّماح رواقُ![3]
لِفتًى، تَحِيّتُهُ لِعظْم جَلالِهِ؛ مِنْ زَائريه الصّمتُ والإطراقُ!
صِنْوُ النبيّ، وصِهرُه؛ يا حَبّذا صِنوان قَدْ وَشَجَتْهما الأعْراقُ![4]
وأبو الأُولى فَاقُوا وراقُوا، والأُلَى بمديحِهِمْ تتزيّنُ الأوراقُ.![5]
وانْظُرْ إلى غاياتِ كلّ فضيلةٍ أسواهُ كانَ جوادُها السّباقُ؟
وامدَحْهُ لا متحرّجاً في مدحه؛ إذ لا مبالغةٌ، ولا إغراقُ!
ولاه أحمدُ في «الغديرِ» ولايةً أضحتْ مطوّقةً بها الأعناقُ؛
حتّى إذا أجْرَى إليها طِرفَهُ حادُوهُ عَنْ سَنَنِ الطّريقِ وعاقوا!
ما كانَ أسرعَ ما تَناسوا عَهْدَه ظُلماً؛ وحُلّتْ تِلكُمُ الأطواقُ؟!
شَهِدوا بها يَومَ «الغَديرِ» لحيدَرٍ إذْ عمَّ من أنوارِها الإشراقُ
حقنوا الدماء بطاعة من تحتها غدر ومكر كامن وشقاقُ
حَتّى إذا قُبِضَ المُذلُّ سطاهُمُ وَغَدت عليهِ مَن الثرى أطباقُ[6]

---

(١) وخدت: أسرعت.

(٢) الطارف: المال الحديث ويقابله: التالد.

(٣) الرديني: الرمح نسبة إلى «ردينة» زعموا أنها امرأة السمهري. جمعها الشاعر على «ردن». والرواق: السقف.

(٤) وشجتهما: أي شبكتهما.

(٥) فاقوا وراقوا: تفوّقوا، وطابوا.

(٦) السطوة جـ سطا: القوة والقدرة.

نبذوا عهود الله خلف ظهورهم   وبدا هنالك للنفاق نفاق
يا لَيْتَ شعري؛ ما يكونُ جوابُهمْ   حين الخلائق لِلْحساب تُسَاقُ!
حِينَ الخصيمُ «محمّدٌ»، وشهودُه   أهْلُ السَّما؛ والحاكمُ الخلاَّقُ!؟[1]

وفيها زيادة حذفتها لغرض لي لا عِلل، فإنها وكل شعره من السحر الحلال، وما أعلم أني طويت لتورية طربي قوله:

أوَ قلت قد أشرقتني بمدامعي   قال الأهلّة شأنها الإشراقُ

وأما قوله: «أسمعتهم ذكر الغري» البيت، فإنه موضع سجدة في الشعر، كما قال الفرزدق حين سمع قول عدي بن الرقاع العاملي[2]:

وجلا السيول عن الطلول كأنّها   زبر تحدّ رسومها أقلامها

---

(١) كاملة في ديوانه الموسوم «قلائد الجواهر» وبقيّة الأبيات من القلائد هي:

قد قيّدتْ إذ ذاك ألسنهم بما   نكثوا العهود.. فمالها إطلاق.!
وتظلّ تذرف بالدما آماقهم   للكرب؛ لا رقأتْ لهمْ آماق.!
راموا شفاعة أحمدٍ منْ بعدما   سفكوا دما أبنائه، وأراقوا..!
فهناك يدعو؛ كيف كانتْ فيكم   تلك العهود وذلك الميثاق..؟
الآن؟ حين نكثتم عهْدي،وذا   ق أقاربي منْ ظلْمكمْ ما ذاقوا
و«أخي» غدتْ تسْعى له من نكثكمْ   حيّات غدْرٍ سمّهن زعاق
وأصاب «بنتي» من دفائن غدركم   وجفائِكمْ دهياء ليس تطاق
وسننْتم من ظلم أهْلي سنّةً   بكم اقْتدى في فعْلها الفسّاق
وبسعْيكم رمي «الحسين» وأهله   بكتائبٍ غصّتْ بها الآفاق.!
فغدتْ تنوشهم هناك ذوابل   سمر ومرهفة المتون رقاق
وكذاك «زيد» أحْرقتْه معاشر   ما إنْ لهمْ يوم الحساب خلاق
منْ ذلك الحطب الّذي جمعْتم   يوم الفعليّة ذلك الإحراق!
ولكمْ دم «شركْتم» في وزْره..   لبنيّ في الحرم الشريف يراق!
ولكمْ أسيرٍ منهم، وأسيرةٍ   تدعو: ألا منْ؟ ألا إعتاق؟
أجزاء نضْحي؛ أنْ ينال أقاربي   من بعْدي الإبْعاد والإزْهاق؟
فالآن.؟ جئتم تطْلبون شفاعتي   لما علا كرْب، وضاق خناق..؟
أترونَ بعد صنيعكمْ يرجى لكمْ   أبداً خلاص، أو يحلّ وثاق..؟
يا ربّ جرعهمْ بمذْلك غبّ ما   قدْ جرّعوه أقاربي، وأذاقوا..!

وفي نفحة الريحانة ٣/ ٥٥٤ بعض أبياتها.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

فسجد، فقيل: يا أبا فراس ما تصنع؟ قال: أنا أعرف سجدة الشعر كما تعرفون سجدة القرآن.

وفي اعتقادي أن اليمن لم يلد أشعر منه من أوّل الدهر إلى وقته، ومن قرأ ديوانه صدّقني إن لم يكن متعصباً، ولا أبو عبد الله الحسين بن القاسم شاعر بني الصليحي فإنما جاء بأبيات قليلة مستجادة كقوله في الداعي سبأ بن أحمد[1]:

ولما مَدَحْتُ الهَزْبَرِيَّ[2] بن أحمد ... أجازَ وكافاني على المدح بالمَدْحِ
وَعَوَّضَني شعراً بشعري وزادني ... نَوالاً فهذا رأس مالي وذا ربحي

إستجاد هذا جماعة من الأدباء، منهم ابن خلكان[3].

وأنا أقول: إنما استمدّه من أبي عبادة البحتري فإنه دخل إلى حلب وبها هاشمي كريم يعرف بسليمان بن طاهر وقد أنفذ ماله ورباعه وضياعه في المكارم، فأنفذ إليه البحتري أبياتاً يمدحه فيها، فلما قرأها باع داره وأنفذ له ثمنها مائتي دينار وكتب معها:

لو يكون الحبا حسب الذي أنـ ... ـت لدينا له محلٌ وأهلُ
لحثوت اللجين والدرَّ والياقو ... ت حثوا وكان ذاك يقلُّ
والصديق الأديب يسمح بالعذ ... ر إذا قصّر الصديق المقلُّ

فردّ البحتري الدنانير وكتب معها:

بأبي أنت للبرّ أهلٌ ... والمساعي بَعْدٌ وسعيكَ قبلُ

---

(١) سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي: من أصحاب اليمن. تولاها بعد وفاة «المكرم» وبعهد منه، سنة ٤٨٤هـ. قال الخزرجي: كان شجاعاً جواداً كريماً فصيحاً، دميم الخلق، قصيراً. استمر إلى أن مات بحصنه «أشيح» سنة ٤٩٢هـ، وفيه وفي حصنه، يقول الحسن بن قاسم الزبيدي، من أبيات:

«إن ضامك الدهر، فاستعصم بأشيح»

أو:

«... نابك الدهر، فاستمطر بنان سبا»

ترجمته في: العسجد المسبوك ـ خ. ومعجم البلدان ١: ٢٦٤، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٧، وأنظر طائفة من أخباره في تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ ـ ٦٩، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٧٦.

(٢) في الوفيات: «الهبزري».

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٧.

غـيـر أنـي رددت بـرّك إذ كـا ... ن ربـاً مـنـك والـرّبـا لا يـحـلُ
وإذا مـا أجـزت شـعـراً بـشـعـر ... قـضـي الـحـق والـدنـانـيـر فـضـلُ

فأما عمارة اليمني[1] فإنه جاد شعره بمصر لما لقي قوماً كراماً كما قال حين رآهم:

قـدمـت مـصـراً فـأولـتـنـي خـلائـقـهـا ... مـن الـمـكـارم مـا أربـا عـلـى الأمـلِ
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... تـمـامـهـا أنـهـا جـاءت ولـم أسـلِ

وأول ما قيل ذكره حين قدم مصر رسولاً من مكة المشرفة فمدح الفائز والصالح الوزير بتلك القصيدة الميمية التي هي أحسن من الزهر غب المطر، وسيأتي ذكر القصيدة وأشياء تتعلق بها وقد ذكر عمارة في تأريخ زبيد: إنه تخرج بأبي عبد الله بن القاسم المذكور وأدخله معه إلى عدن وأدخله مجلس الداعي سبا، قال: وكنت إذ ذاك في نهاية الجهل إلا أني أحبّ الأدب. فنظم لي أبو عبد الله قصيدة ونحلنيها ومدح بها الداعي وتولّى إنشادها بنفسه وأنا معه لا أتكلم فاستحسنها الداعي وأجازني عنها، فقد صحَّ بهذا أنه مصري الشعر، وأبو الحسن علي بن محمد التهامي[2] كذلك وغير هؤلاء، إنما هم وزّانون لا شعراء.

❀ ❀ ❀

رجع، ومن شعر القاضي الحسن أوّل قصيدة كاذت أن تسيل من الرقّة، وأن تبعث بالشيص من الرقة:

يـا دارَ سَـلْـمَـى بـسَـفـح ذي سـلَـم ... حـيّـاكِ، حـيّـاكِ واكـفُ الـدّيـم[3]
نِـداءُ صـبٍّ لا يُـسْـتَـجـابُ لَـهُ، ... وغـيـرُ مُـجـدِ نـداءُ ذي صَـمَـمِ!

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي، شاعر فحل، ذرب اللسان وروع عن الهجاء. ولد باليمن، وقدم الشام والعراق والجبل. ولي خطابة الرملة في فلسطين، وذهب إلى مصر مستخفياً ومعه كتب كثيرة من حسان بن مفرج إلى بني قرة، فظفروا به، وقتل في سجن القاهرة سراً في سنة ٤١٦هـ. من آثاره: ديوان شعر صغير أكثره نخب.
ترجمته في: فيات الأعيان ٣/٣٧٨ ـ ٣٨١، النجوم الزاهرة ٤/٣٦٣، شذرات الذهب ٣/٢٠٤ دمية القصر/٤٤، روضات الجنات/٤٦١، تأسيس الشيعة/٢١٥، أنوار الربيع ١/هـ ٦٢ ـ ٦٣.

(٣) الواكف: المطر المنهل، الديمة وجمعها ديم: مطر يدوم في سكون.

أيـنَ الأُولـى أقْـفَـروكِ وارْتَـحَـلـوا، وأوحـشـوا الـرَّبـع بَـعـدَ أُنْـسِـهِـم؟

بـاتـوا وشـمـلُ الْـوصـالِ مُـنْـتَـظَـمٌ، واصـبَـحـوا، وهـو غـيـر مـنـتـظـم

أنْـأتْـهُـمُ عَـنـك أيْـنُـقٌ رُسُـمٌ مـالِـي ومـا لِأيَـانـقِ الـرُّسُـمِ؟[1]

سَـرَتْ بِـمَـنْ لَـوْ بَـدَا لِـبَـدْرِ دُجًـى فـي تـمّـهِ لاسْـتَجَـنَّ فـي الـظُّـلَـمِ![2]

هذه الطريقة هي جادة ابن التعاويذي[3] وابن صردر[4] لأنها المطبوعة التي لا يخطب عاشقها التصنّع البديعي ما لم تتطفّل عليه غاداته، فأمّا مذهبه في طريق الشام الحالية ومصر الذي جاورها الهرم فصرمته وعدت بأذيالها غانية، فمما سبق فيه وكاد أن يزهد الحبيب في در فيه قوله في نقل معنى قول أبي عبادة البحتري من صفة العيس إلى وصف زينب ولميس:

وثـلاث لـمّـا بـدتْ لـيَ مـنـهـا سـلـبـتـنـي بـهـنَّ ثـوبَ اسـتـتـاري

حـاجـبـاهـا، ومـقـلـتـاهـا، ومـا تَـنْـ ـثُـر مـن درّ لـفـظِـهـا الـسـحّـارِ

كـالـقـسـيّ الـمـعـطّـفَـات بـل الأسـ ـهـمِ مَـبْـرِيّـةً بـل الأوتـارِ![5]

وما تطرب أوتار المثنى كما تطرب هذه الثلاث، ولا يخفى إجادة أبي عبادة البحتري بمراعاته النظائر، ولكنه لو علم كيف يستعملها من جاء بعده فعل ببيته سميّ جدّه وهو طيء، وأيقن أن معناه المستحسن سيزول زوال الفيء.

وله في مذهب الشاميين والمصريين في التورية:

مـشـروطـةٌ خـطـرتْ تـرنّـح قـامـة يـخـزي الـذّوابـلَ لـيـنُـهـا وشِـطَـاطُـهـا

(١) «أنأتهم عنك»: أبعدتهم، والأنيق: جمع ناقة، وأرسم الناقة: جعلها ترسم في سيرها.

(٢) إستجن: إستتر. القصيدة كاملة في ديوان الهبل ١٢٠ ـ ١٢٣.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٦٥.

(٤) هو الرئيس الجليل أبو منصور علي بن الحسن بن علي المعروف بصردر. شاعر فحل وكاتب مشهور، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى. ولد سنة ٤٠٠هـ وتوفي سنة ٤٦٥هـ. وسبب موته أنه تردى في حفرة أعدت لاقتناص الأسد، في قرية بطريق خراسان. له ديوان شعر مطبوع.

ترجمته في: أعيان الشيعة ٤١/١١١، والذريعة ٩/٦٠٦، وفيات الأعيان ٣/٣٨٥ ـ ٣٨٦، شذرات الذهب ٣/٣٢٢، النجوم الزاهرة ٥/٩٤، أنوار الربيع ١/هـ ٣٨٥ ـ ٣٨٧.

(٥) ديوان الهبل ٣٦٠.

قامتْ قيامةُ عاشقيها في الهوى مذ أسفرتْ، وبدت لهم «أشْراطُها»[1]

أذكرني القيام ما نظمته وفيه إيهام المجون:

لما نضت محبوبتي بردها ليظهر الحجل لعشاقها
تواثبوا كي يلثموا رجلها وقامت الحرب على ساقها

وله أيضاً مع زيادة الاكتفاء:

لي مقلةٌ مقروحةٌ بِفِراقكمْ ما انفكّ بحرُ دموعها متدَفِّقَا
جَفَّتْ وزالَ رقادُها مِن بعدكم بيدِ الفراقِ فعوّذُوها بالرُّقا![2]

وله أيضاً:

أهِيلَ المُنْحَنى رفقاً بصبٍّ أخذتم قلبَه وتركتموهُ
فكلٌّ مِن غرامي واصطباري غداةَ البين قد اضعتموه[3]

وله أيضاً:

ظنَنْتُ وقد نَظَرتُ إلى سناها بأنَّ النَّيِّرات لها ضرائِرْ[4]
ومذْ أبْصَرتُ لَيلَ الفَرْعِ مِنْها رأيت الفَرْقَ مثلَ الصُّبحِ ظَاهِرْ[5]

وله في إيداع عجز البيت الثاني[6] وهو من قصيدة سائرة للشاعر المحسن المعروف بابن هُتَيْمِل التهامي[7]:

---

(١) الأشراط، واحدها شرط: العلامات، وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة: «فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم» محمد ١٨، وأشراط الساعة: مقدماتها، والجارية المشروطة: التي على خدّيها علامات تشرط وينقشها «الحجام» بمشرطة تزييناً، وكان ذلك محبباً لدى بعض القدماء ولا يزال. والبيتين في ديوان الهبل ٣٥٧.

(٢) ديوان الهبل ٣٦٤.

(٣) ديوان الهبل ٣٦٧ وفيه: «قد أضعتموه». وهو أنسب للوزن.

(٤) الضرائر، واحدتها ضرّة، وضرّة المرأة إمرأة زوجها.

(٥) ديوان الهبل ٣٧٢.

(٦) في هامش ب: «والبيت هو:
إذا جهزت الغضى ولك السلامة فطارح بالتحية ريم رامة».

(٧) هو القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي: شاعر المخلاف السليماني في عصره كان كثير التنقل بين اليمن والحجاز مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين القاسمي الإمام الزيدي المقتول سنة ٦٥٦ وبعض أشراف مكة وأمراء المخلاف السليماني. وعاش ما يقرب من مئة عام. =

بـأهـل الـمـنـحـنـى عَـرِّجْ وأبْـلِـغْ   مـن الـصـبّ الـمـشـوق بِـهِـمْ سـلامَـهْ
وإيّـاكَ الـحـريـقَ بـنـار قـلـبـي   إذا جئتَ الـغـضـا ولـك الـسـلامَـه[1]

وله في المغالطة مع تسمية نوعها:

غـالَـطَـتْـنِـي بِـقَـوْلِـهـا   لـي وقـد بـرّحَ الـقِـلَى[2]
سـوف آتـيـك فـي الـكَـرى   قـلـتُ: ردّيـه أوّلا![3]

وله أيضاً:

يـا مَـنْ بـطـولِ الـتَّـجـافـي   والـهـجـرِ أمـرض صَـبَّـهْ
أنـتَ الـطـبـيـبُ، فَـمَـنْ لـي   مـن ريـقِ فـيـكَ بِـشَـرْبَـهْ!؟[4]

هذه تورية مرّشحة، إلا أن الحق يحمد، وأحد معنيي الشربة مكررة لا يليق بمخاطبة الحبيب لأنه مسهل.

وله في الانسجامات والرقائق القدح المعلّى، فمنها:

أيا شادِناً أغرَى السّهاد بِناظري   وأنحلَ جسمي حُبُّه وبراني
تعيشُ وتبقى أنتَ في نعمةٍ فما   أراك إذَا طَالَ الصّدود تَراني![5]

وله أيضاً فيها:

دَعْهُمْ يقولوا، فَبي فوقَ الذي قالوا: سقمٌ وسهدٌ ودمعٌ فيكَ هَمَّالُ

= ومات فقيراً سنة ٦٩٦هـ وفي شعره غزل رقيق. له «ديوان ـ خ» في معهد المخطوطات اختار منه محمد بن أحمد العقيلي وسمّاه «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل: دراسة وتحليل ـ ط».
ترجمته في:
ديوان القاسم بن علي، للعقيلي، المطبوع بمصر سنة ١٣٨١هـ. والعقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ١١١، ١٥٨، ١٩٥ وفيه نعت المترجم له بشاعر المخلاف السليماني، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٧٨.

(١) ديوان الهبل ٢٦٨.
(٢) القلى: البغض والكره الذي يسبب الهجر.
(٣) ديوان الهبل ٣٧٥.
(٤) ديوان الهبل ٣٧٣.
(٥) ديوان الهبل ٣٧٨.

يا من أُفَنِّدُ جهلاً في مَحَبَّتِهِ ... مالي عليك سوى الحُسّادُ عُذّالُ
ما حرّكوا بملامي منهمُ شفَةً ... إلاّ وزاد غرامي فيكَ لا زَالوا![1]

وله أيضاً فيها:

جزى الله بالحسنى عذولي، وإن يكن ... أثار لهيباً في الفؤادِ وأشعرا
وما ذاكَ إلاّ أنّه حين لامَني ... تَوَهَّم سهواً من فؤادي فذَكّرا![2]

وله في الجناس المركب وهو بديع:

لا ذقتَ حرَّ صَبَابتي ... وكُفِيتَ ما أَلْقَى بها
فالنَّارُ من أَسْمَائِها ... والموتُ مِنْ أَلْقَابِها![3]

وديوانه كله من هذا الجوهر الثمين.

وأما انشاؤه فينشي المسامع، وما فيه سوى نشره ضايع، فمنه في تقريض «سمط اللآل» تأليف السيد أبي الحسن إسماعيل بن محمد السابق ذكره[4]:

«الحمد لله الذي جعل في زماننا هذا من انتصر للأدب من بعد ظُلمِهْ، وملكه زمامه فجدّد منه ما دثر من رسمِهْ، وحكَّمه في النّظم والنثر فانقادا طائعين لِنافِذ أمره وماضي حُكمِهْ، وأرضعَهْ ثدي المعالي فهو أخو المَجد وابن أبيه وأُمِّهْ، الذي جعل كلام الملوك ملوكَ الكلام، وحكّمهمْ في رقاب القوافي فهم الملوك ومنهم الحكّام.! وصلواتُه على سيدنا محمد وآلِه، ما جَنى أديبُ ثمرات غُصن الأدب وتفيَّأ بظلاله؛ . . . فإنّي سرّحتُ نظري القاصرِ، وأدرتُ فكري الحائر، فيما نظمه في سلك هذا السِّمط مولانا ودوحَةُ الفضل الّتي أصلها ثابت وفرعُها في السّما، وسحابُ المكارم الّتي ودقُ الإفضال من خلالها هَمَى، من أدار على الأذواقِ من نثره ونظمه كؤوساً أحلا من الشُّهْدْ، وكَسَا القريضَ حُلّةً لم ينسج على منوالها ابن بُرْدْ»، وأبرز بدقيق فكرته كلّ معنى جليل، وسحر بما أظهر من

(١) أي لا زالوا يحركون شفاههم بملامي، ديوان الهبل ٣٤٩.

(٢) ديوان الهبل ٣٥٤.

(٣) اللقب وجمعها ألقاب: اسم يسمى به الإنسان سوى إسمه الأول مدحاً أو ذمّاً. ديوان الهبل ٢٧٤.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

بلاغته فكبا خلفَه كل جوادٍ أصيلْ، ربّ القلم الذي لا يقوم له قائمُهْ، والسيف الذي لا يشك أحدٌ أنّ في يد جبار السموات قائمُه، «ضياء» عين الملك الناظرة، وحديقة الأدب النّاضرة، من حاز المكارم أقصاها وأدناها، وعلا من مراتب البلاغة أعلاها وأسناها. إسماعيل بن محمد:

أسـامـيـاً لـم تـزده مـعـرفـةً وإنّـمـا لـذةً ذكـرنـاهـا

لا برح في ظلال الملك العزيز منعماً، ولا علا قدر ضدّه في أرضٍ ولا سما، ولا فَتِئ لأعباء المجد حاملاً، ولا انفكّ في سماء الملك بدراً كاملاً. فقلتُ... وما عسى أن أقول وهو الذي لا يخطر على خاطرٍ، ولا تقدر عليه قوّة ساحر، كم كرّتْ عليه جيوش الفكرِ فعادتْ تاليةً: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[1]، وكم حدّقَتْ إليه عيونُ أهل الأدب لتَقْتَبِسَ من نوره ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[2] أما أبياته فآهاً لها من أبياتٍ بل قصور، حكمت لناظمها بالكمال ولغيره بالقصور:

جـواهـر أبـكـارٍ يـغـارُ لـحـسـنـهـا إذا بـرزتْ عـقـد الـلآلـي الـمـنـظّـمُ،
يـشـيـب لـهـا فـود «الـولـيـد» لـعـجـزِهِ ويـضـحـي «زياد» عـنـدهـا وهـو «أعـجـم»

يودّ «رقيق» النظم لو دخل في «ملكِها»، ومنثور الزّهر لو انتظم في سلكها، لو سمعها «البديع» لقال: دونك هذا الأدب الذي يُشترى بحبات القلوب، وهذا النظم الذي يُغْني عن الصَّهباء وينوبْ، وهذا السّحر الذي ترك خدودَ الذَّهبْ «الأحْمَر» صُفْر، وقال: «لِلْهلالِ» لست منّي ولا قُلامة ظُفْر، وهذه الفرائد الّتي عَلاَ صَاحبها على قمّة النَّسرْ، وهذه القلائد الّتي مَنْ مدّ إلى بيت منها يدَ غاصبٍ رمتْهُ بشررٍ كالقَصرْ، ولو وعاها «أبو الحسين الجزّار» لَسَلَخَ جلدَ ديوانِه أو وعاها «الصفي الحلي» وهو حاكم هذا الفن لتكدّرت عليه شريعته و«السراجُ الورّاق» لقطع أوصالَهُ مِنْ هَوانِه، ولو حواها «ابْنُ المعتزّ»؛ لما رُدّت عليه بيعتُه، أو «ابن نُباته» لما استحلَى «قطره» النباتي، أو «الحكيم بن دَانيال، لقال هذا الدّواء الذي به محياي لا ما ركّبه «الأسعد بنُ مماتي»؛!! أو «الراجح الحليّ» لرجحتْ ما وزنَ من شعره؛ أو صاحب «حلبة الكُميْت» لأقسم أن هذا هو «البابلي» في عصره. وأمّا كَلماته فإذا رأيتها حسبتها لؤلؤاً منثوراً، أو روضاً مدبّجاً ببديع الزّهر

(١) سورة النازعات: الآية ١٢.
(٢) سورة النازعات: الآية ١٤.

ممطوراً، تفعَل في الألبابِ فعل الشّمول، وتجرّ على «ابن النّبيه» ذيول الخمول، وتترك «القاضي الفاضل» مستثقلاً منقوصاً، وتحكم لِصَاحبها بالرقّ على أهل الأرض عموماً وخصوصاً، ولو سمعها «العماد» الكاتب لخرَّ عليه السقفُ من فوقه، أو «ابن حَجَلَةْ» لعلم إن ذلك شيء لا يدخل تحت طوقِه، أو «ابن المسْتَوفي» لقال هذا لم يكن في الحساب، أو «ابن البوّاب» لقال لا طاقة لي على الدخول في هذا الباب. أو «ابن حِجَّة» لأفنى في معارضتها عُمْرَهْ، أو «الصَّفَدي» لما برح في صَفَدِ من الحسْرَهْ،! فيا حسنه من مجموع غَدا لِفرائد الآداب جامعاً، وأصبح لأئمةِ الأدب قِبْلَهْ، وجمع من المحاسن ما تفرّد به، ولم يحُزْه مجموعٌ بعدَهُ ولا قَبلَهْ، تودّ الأقمار لو أنّها في طاعتِه سواري، والكواكبُ لو أنّها له عبيدٌ، والأفلاك لو أنها في خدمتِه جواري:

فَدُونَكِ منه سَفْرٌ لا يُسامى ... يجلّ عن المشابهِ والنظير
يجرُّ على «البديع» ذيول فخرٍ ... ويحقرُ عنده وشْي «الحريرِي»

ولَقد أربَى مؤلّفه حفظه الله وأيّدهْ، وبسط بالعدل والمعروف يَدَهْ، على «سحبان وائل» وأتى وهو الأخير زمانه بما لم يستطعه الأوائِل، وفاق الأكابر حلماً على صغر سنّه وليس بعجيب. «قد يُوجد لحِلْم في الشّبان والشيب» فالله يبقيه لِعَين الملك إنساناً، ولهذا الدَّهر في جنب إساءته إحساناً، فهو الذي ما نشرَ الدَّهر لأوليائه لِواءَ عداوة إلاّ طواهْ، ولا جرح سيفُ الفقرِ قلباً إلاّ وفي قَلمِه دواهْ، والله يحرس أيامه الّتي صارتْ غُرَّةً في جبهة الدَّهر، ويديم أياديه الّتي سارت مسير الشّمس في كل بلدة وهبّتْ هبوب الريح في البرّ والبحر، ويُبقيه في سماء الملك بدر تمام، ويحفظ غرته الّتي غدتْ لمن تقدَّمه من الأكارم واسطة النِّظام:

واللّهِ ما أخّره ربّنا ... وهو لأرباب المعالي إمامْ
إلاّ لأنّ كانَ ختاماً لهم ... للّهِ ما أحسن هذا الختامْ![1]

قلت أنا: هذا المنثور العبق، مما لا يستنبه غيره ولا يتفق، فأمام هذا الثغر المحروسْ الفاضل، وهو لا يخوض في بحره بل يقف من وصف قلعة كوكب

---

(١) ديوان الهبل ٥٦٤ ـ ٥٦٦.

بالساحل، ومن تحقق معانيه لها علم فضله ونبله، بل هذه الرسالة أفضل من الكتاب المقرّض.

وكانت وفاته وقت السحر من ليلة الثلاثاء لتسع ليال خلون من صفر سنة تسع وسبعين وألف بصنعاء رحمه الله تعالى، وهو شاب، ورثاه والده وغيره.

❁ ❁ ❁

والجارودي: نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني[1]، وهم بعض أهل المقالات، فزعم أنه زياد بن المنذر بن زياد بن الجارود العبدي، وهم فرقة من الزيدية، وكان المنذر بن زياد الجارود عاملاً لعليعليه السلام على أزدشير حره ثم أنه سُعيَ إلى أمير المؤمنين أنه خان الفيء فكتب إليه رسالة ذكرها الرضي في نهج البلاغة، وأما والده زياد بن الجارود فكان من العُبّاد، ولما سارت أُم المؤمنين عائشة إلى البصرة ومعها طلحة والزبير حاربها الجارود وهو ومن معه من ربيعة مع عامل أمير المؤمنين عثمان بن حنيف الأنصاري، فقتل الجارود وأصحابه، وذلك قبل قدوم أمير المؤمنين وقبل وقعة الجمل، وحكي أن عبد الملك بن مروان قال لجلسائه يوماً: أتدرون من أشدّ الناس قلباً، وأقواهم نفساً؟ فقالوا وأكثروا، فقال عبد الملك: أشدّ الناس عبد القيس، وأشدها زياد بن الجارود، ضربت ساعة يوم البصرة فقطعت فأخذها بيمينه وقلّبها وقال:

يا ساق لن تراعي إن معي ذراعي
أحمي بها كراعي

ثم ضرب بساقه قاتله فقتله، وحبا حتى صار إليه واتكأ عليه، فقيل له: من قتلك يا زياد؟ قال وسادي، وإليه وإلى أصحابه يشير أمير المؤمنين بقولهعليه السلام:

---

(١) زياد بن المنذر الهمذاني الخراساني، أبو الجارود: رأس «الجارودية» من الزيدية. من أهل الكوفة. كان من غلاة الشيعة. افترق أصحابه فرقاً، وفيهم من كفر الصحابة بتركهم بيعة عليّ بعد وفاة النبيصلى الله عليه وسلم. له كتب، منها «التفسير» رواية عن أبي جعفر الباقر. وكان يزعم أن النبيصلى الله عليه وسلم نص على إمامة عليّ بالوصف لا بالتسمية، توفي بعد سنة ١٥٠هـ.

ترجمته في:

الفرق بين الفرق ٢٢، وفهرست الطوسي ٧٢، خطط المقريزي ٢: ٣٥٢ وهو فيه: «زياد بن المنذر العبدي، أبو الجارود، ويكنى أبا النجم»، اللباب ١: ٢٠٣، الاعلام ط ٤/٣/٥٥.

«فساروا إلى أهل كلهم في طاعتي فشقّوا كلمتهم، وقتلوا أخا ربيعة في طائفة من عبد القيس عبدوا الله حتى كانت جباههم كثفن العيس، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلاّ رجلاً واحداً مستحلين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كله، وقيل: إن الذي قطعت ساقه في تلك الحرب هو حكيم بن جبلة العبدي.

وكان أبو الجارود الهمداني ممن خرج مع الإمام زيد بن علي بالكوفة أيام هشام.

والهَبَل، بفتح الهاء والباء الموحدة ثم لام: لقب لبيت كبير من خولان.

وقلعة كوكب، التي أشرت إليها عند ذكر القاضي الفاضل: من قلاع ساحل الشام، ولما فتحها السلطان صلاح الدين بن أيوب، وكانت بيد الإفرنج كتب الفاضل رسالة إلى مصر أجاد فيها، ومنها:

«وأما قلعة كوكب فإنها عقاب في عقاب، ونجم في سحاب، وهامة لها الغمامة عمامة، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة».

وهذا من عجائب الفصاحة. والله أعلم.

[٤٧]

الوزير أبو محمد، الحسن بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صُفْرَة الأزدي المهلبي(*).

فاضل نظم ونثر، وأحيى المجد قائلاً لا وزر، وعدل في الوعيد وغيره تعاطى فعقر، وله شذرات لؤلؤية، ومطالع كوكبية، وكان جميل الدهر يجني عليه، ثم كشف اللثام وجادله بعد أوار غرامه بنمير الكرام.

وكان وزير معز الدولة ومن لم يسمع في سياسة ملكه إلاّ قوله وقصّته في خصاصته قبل الوزارة، وتمنّيه الحمام مشهورة فذكرها مما لا يرتضيه اليراع، إذ قد كفاه الشياع.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٢٤ ـ ١٢٧، يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٣ ـ ٢٤٠، المنتظم ٧/ ٩، فوات الوفيات ١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٩، معجم الأدباء ٩/ ١١٨.

وكان فاضلاً أديباً كاتباً شاعراً جواداً عالي الهمّة، يعظّم الأفاضل، ويجيد جائزة الشعر، ويقرّب الأُدباء والعلماء ويحبّهم، وكان متشيّعاً كمعز الدولة.

وجدّه المهلب أشهر من أن يُذكر بالشجاعة والنجابة والكرم ولولا هو قاوم الشراة وحمى عنهم البصرة وغيرها حين كانت تدعى بصرة المهلب لطّاحت، وكان مع النجدة والدهاء والكرم كذّاباً، وولده يزيد بن المهلب أخو قبيصة كأبيه وأكرم منه وكانوا مروانية ومن عمّال عبد الملك بن مروان والحجّاج، ولما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبدالعزيز وكان قد حبس يزيد بن المهلب المذكور بخريدة دهلك فأخرجه يزيد فسار إلى البصرة ونزع الطاعة وادّعى الخلافة فسيّر يزيد أخاه مسلمة فالتقوا بعقر بابل فكانت وقعة عظيمة وقتل مسلمة منهم كل محتلم، وقتل يزيد. لما بلغ كثيّر عزّة[1] مصابهم بكى وقال:

ما أعظم الرزية ضحى بنو حرب يوم الطف وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقرِ وبعد تلك الوقعة صاروا أعداء بني أميّة وهم أوّل من سود بالبصرة في دولة بني هاشم. وقيل إن آل المهلب مكثوا بعد العقر سبعين سنة لا تولد فيهم أنثى ولا يموت منهم غلام.

قلت: هذا مصداق قول أمير المؤمنينعليه السلام: «بقيّة السيف أنمى عدداً، وأبقى ولداً».

❁ ❁ ❁

رجع، ولما ولاّه معزّ الدولة وزارته قال [من مجزوء الكامل]:

رَقَّ الـــزمـــانُ لـــفـــاقـــتـــي	ورَثـــى لـــطـــول تـــحـــرُّقـــي[2]
فـــأنـــالـــنـــي مـــا أرتـــجـــيـــ	ـهِ وحـــادَ عـــمّـــا أتَّـــقـــي
فـــلأصـــفَـــحَـــنْ عـــمـــا أتـــا	هُ مـــن الـــذنُـــوبِ الـــسُّـــبَّـــق
حـــتـــى جـــنـــايـــتـــهُ بـــمـــا	صـــنَـــعَ الـــمـــشـــيـــبُ بـــمـــفـــرقـــي[3]

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٣٧.

(٢) الفاقة: الفقر، القلق: الاضطراب وكثرة النقلة في البلاد.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٤، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٥، فوات الوفيات ١/ ٢٥٨.

ومن شعره [من الخفيف]:

قال لي مَنْ أُحبُّ والبينُ قد جدّ وفي مُهْجتي لهيبُ الحريقِ

ما الذي في الطريق تَصْنع بعدي؟ قلت أبكي عَلَيكَ طولَ الطريقِ[1]

وقال الثعالبي في يتيمة الدهر: كان للوزير أبي محمد المهلبي جارية مغنية اسمها «تجني» قد اشتهر بحبّها اشتهارها بحسنها، وله فيها قطع الرياض من الشعر فمنها [من المنسرح]:

مررت فلم تثن طرفها تيها يحسدها الغصن في تثنّيها

تلك تجني التي جننت بها أعاذني الله من تجنّيها[2]

وله فيها [من الخفيف]:

ربَّ يوم لبست فيه التصابي وخلعت العذار في العذر عني

في محل تحلّه لذّة العيـ ـش وتجني سروره من (تجني)[3]

وله فيها أيضاً: [من الوافر]:

أراني الله وجهك كل يوم صباحاً للتيّمن والسرورِ

وأمتع ناظريَّ بصفحتيهِ لأقرا الحسن من تلك السطورِ[4]

ومن المنسوب إليه أيام إضاقته:

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البَلوَى لأعوزك المزيدُ

ولو عُرِضَتْ على المَوْتى حَياة بعَيشٍ مِثلِ عَيشي لم يُريدوا

وقيل إنهما لأبي نؤاس يخاطب بها المحبوب.

وحكى ابن خلكان عن أبي إسحاق الصابي قال: كنت يوماً عند الوزير المهلبي فأخذ الورقة وكتب فيها، فقلت بديهاً:

لهُ يَدٌ بَرَعَتْ جُوداً بنائلها ومنطقٌ دُرّه في الطِّرْسِ ينتثرُ[5]

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٢٣٨، وفيات الأعيان ٢/١٢٥، فوات الوفيات ١/٢٥٨.

(٢) يتيمة الدهر ٢/٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٢٣٦.

(٤) يتيمة الدهر ٢/٢٣٦.

(٥) الطرس: بالكسر ـ الذي يكتب فيه.

فحاتمٌ كامنٌ في بطن راحتهِ ... وفي أناملها سَحبانُ[1] مُستترُ[2]

وكان معزّ الدولة أرسل غلامه الجامدار أمير سرية لمحاربة بني حمدان وكان يهواه، وكان الوزير المهلبي أيضاً يهواه ويراه أحقّ بالمغازلة من المقاتَلَة، فقال فيه [من مجزوء الكامل]:

طفل يرقّ الماء في ... وجَناته ويرقُّ عُودُهْ
ويكاد من شبه العذا ... رى فيه أن تبدو نُهُودُه
ناطوا بمعقدِ خَصرهِ ... سيفاً ومنطقَةً تؤودُه
جعَلوهُ قائدَ عسكرٍ ... ضاعَ الرعيلُ ومن يقودُه[3]

فكان كذلك، وانكسرت السرية.

وقال غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن أبي هلال الصابي[4]، وكان كاتباً فاضلاً في كتاب «الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين». إن أبا سعيد ماهك بن بندار المجوسي، كاتب علي بن ساسان أحد قوّاد الديلم أراد الوزير المهلبي ينفذه في شيء، فقال له: لا تبرح من الدار

---

(١) حاتم: مضرب المثل في الجود، وسحبان وائل: مضرب المثل في الفصاحة.

(٢) وفيات الأعيان ٢/١٢٦، فوات الوفيات ١/٢٥٩.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٢٢٥، وفيات الأعيان ٢/١٢٦.

(٤) محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابيء، أبو الحسن: مؤرخ أديب مترسل. من أهل بغداد. كان محترماً عند الخلفاء والملوك توفي سنة ٤٨٠هـ. له «عيون التواريخ» جعله ذيلاً لتاريخ أبيه (وكتاب أبيه ذيل لتاريخ ثابت بن سنان، وهذا ذيل لتاريخ محمد بن جرير الطبري؛ وكان تاريخ الطبري قد انتهى إل سنة ٣٠٢هـ وتاريخ ثابت إلى ٣٦٠هـ وتاريخ هلال إلى ٤٤٨هـ وتاريخ غرس النعمة هذا إلى ٤٧٩هـ) وله أيضاً كتاب «الربيع» ابتدأ به، تذييلاً لنشوار المحاضرة، من سنة ٤٦٨هـ وكتاب «الهفوات النادرة ـ ط» قال ابن قاضي شهبة: وقد أنشأ داراً ببغداد ووقف فيها أربعة آلاف مجلد في فنون العلم.

ترجمته في:

النجوم الزاهرة ٥: ١٢٦ والإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ. وكشف الظنون ٢٠٤٥ قلت: قرأت في مخطوط في التراجم، مجهول المؤلف، في ترجمة «هلال بن المحسن» ما يأتي: «وكان ولده غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال، ذا فضائل جمة وتواليف نافعة، منها التاريخ الكبير، ومنها الكتاب الذي سماه الهفوات النادرة من المغفلين الملحوظين والسقطات البادرة من المغفلين المحظوظين، جمع فيه كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب»، الاعلام ط ٤/٧/١٣٢.

حتى أوافقك، قال: السمع والطاعة لأمر سيدنا الوزير، ثم خشي الوزير أن ينصرف إذا أبطأ عليه فتقدم إلى البوّاب أن لا يخرج، فجلس طويلاً ثم دعاه داعي الخلا فرأى أبوابه مقفلة والخلا الخاص غير مقفل وعليه ستر، فرفعه ليدخل فدفعه الفراش وقال: هذا خلا خاص لا يدخله غير الوزير، قال: فكيف أعمل، الأخلية مقفلة والبوّاب منعني الخروج، فأخري في ثيابي، فقال له: استأذن ليفتح لك أحدها، فكتب إلى الوزير: قد احتاج عبد سيدنا الوزير ماهك إلى بعض ما يحتاج إليه الناس ولا يحسن ذكره، والفراش منعني يقول لا تدخل، والبواب لا تخرج، وقد تحيّر العبد في الحال، والأمر في الشدّة، فإن رأى أن يفسح لعبده بعمل ما يحتاج في خلائه، والسلام.

فلم يعلم الوزير ما أراد بالرقعة فعرف فضحك ورقع في ظهرها: يخيّر أبو سعيد أعزّه الله حيث يختار.

فدفعها إلى الفراش، فقال: التوقيعات يقرؤها أبو العلاء كاتب الديوان، وأنا لا أكتب ولا أقرأ، فصاح ماهك هاتوا من يقرء في الدار صكوك الخرا فضحك فراش آخر وأخذ بيده وأدخله بعض الحجر فقضى حاجته.

ومما ذكره غرس النعمة من نوادر المغفلين: إن عبد الله بن علي بن عبد الله ابن العباس، بعث إلى ابن أخيه السفاح بمشيخة من أهل الشام يظرفه بعقولهم، فإنهم حلفوا ما علموا لرسول الله ﷺ قرابة غير بني أُمية حتى ولّيتم أنتم.

وأخبار الوزير كثيرة.

وولد بالبصرة ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين، وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في طريق واسط، وحمل إلى بغداد فوصلها ليلة الأربعاء خامس شهر رمضان، ودفن بمقابر قريش في مقبرة النوبختية، رحمه الله تعالى.

وما أحسن ما رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج ـ الآتي ذكره[1] ـ:

يا مَعشرَ الشعراءِ دَعْوَةَ مُوجَعٍ ... لا يُرْتجى فرَجُ السلوِّ لديهِ
عَزُّوا القوافِي بالوَزيرِ فإنها ... تبكي دَماً بَعدَ الدُّموعِ عليه

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٥٦.

مَـاتَ الـذي أمـسـى الـثـنـاءُ وراءه ... والـعَـفْـو عَـفْـو الله بَـيـنَ يَـدَيْـه
هَـدَمَ الـزمـانُ بـمَـوْتِـهِ الـحـصـنَ الـذي ... كُـنَّـا نـفـرّ مِـنَ الـزمـانِ إلـيـه
فَـلْـيَـعْـلَـمَـنَّ بَـنـو بُـوَيـه أنـهُ ... فُـجِـعَـت بـهِ أيـامُ آلِ بُـوَيـه[1]

[٤٨]

أبو علي، الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح، ويُكنى أيضاً بأبي نواس، لأنه من كنى ملوك اليمن، وكان يحبّهم لولائه فيهم، الشاعر المشهور[*].

فاضل خلع رسن البلاغة في الكميت، وجعل قصر لذّته فيها مع مناقضته له في كل بيت، يعجبه التفاح من الخدود، والأغصان من القدود، تحجبه معانيه من الحسن ديباجة، ولا سيما إن وصف الياقوتة السيالة في الزجاجة، ولا ينفّك الليل والنهار، عن المزج بين الجبين والعذار، ويتقنّع لكن بالحبيب المعم، ليفارق بهواه كل عيش مذمم.

وكان مولده بالبصرة وبها نشأ، ثم خرج مع والبة بن الحباب[2] الشاعر وبه

(١) وفيات الأعيان ٢/١٢٧.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٩٥ ـ ١٠٤، الأغاني ١٠/٧١ ـ ٨٤ سرح العيون ٣١٥ ـ ٣٢٤، تاريخ بغداد ٧/٤٣٦، الشعر والشعراء ٦٨٠ ـ ٧٠٦، تهذيب ابن عساكر ٤/٢٥٤، طبقات ابن المعتز ١٩٣ ـ ٢١٦، الموشح ٢٦٣، نزهة الألبا ٢٤٩، بروكلمان ٢/٢٤ من الترجمة العربية، خزانة الأدب للبغدادي ١/٣١٤، الكنى والألقاب ١/١٦٤، شذرات الذهب ١/٣٤٥، الطليعة ـ خ/ترجمه رقم ٦٦، أعيان الشيعة ٢٤/٣ ـ ٤٤٩، ولابن منظور كتاب مفرد في أخباره طبع في آخر الأغاني ـ ط دار الفكر ـ بيروت ـ يحمل الرقم ٢٥. وكذلك لأبي هفّان.

(٢) والبة بن الحباب الأسدي الكوفي، أبو أسامة: شاعر غزل، ظريف، ماجن، وصاف للشراب. من أهل الكوفة. من بني نصر بن قعين، من أسد بن خزيمة. هو أستاذ أبي نواس. رآه غلاماً في البصرة، يبري العود، فاستصحبه إلى الأهواز ثم إلى الكوفة، فشاهد معه أدباءها، فتأدب بأدبهم. وقدم والبة بغداد، في أواخر أعوامه، فهاجى بشاراً وأبا العتاهية وغلباء، فعاد إلى الكوفة كالهارب. وكان أبيض اللون أشقر الشعر. ولما مات نحو سنة ١٧٠هـ رثاه أبو نواس.
ترجمته في:
تاريخ بغداد ١٣: ٤٨٧ ـ ٤٩٠ والأغاني ١٨/١٠٥ ـ ١١٣ وأنظر فهرسته. والموشح للمرزباني ٢٧٢ وطبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق فراج ٨٧ ـ ٨٩ ولسان الميزان ٦: ٢١٦ وهو فيه ابن «حبان» من خطأ الطبع. وأنظر الشعر والشعراء ٢: ٧٧١، الاعلام ط ٤/٨/١٠٩.

تخرج، وقيل إن مولده بالأهواز، وانتقل عنها وعمره سنتان، وأمه أهوازية اسمها جُلْبان.

وكان أبوه من جند دمشق، ثم من أصحاب مروان بن محمد المنبوز بالحمار، ثم انتقل إلى البصرة فتزوّج جُلْبان وأولدها أولاداً منهم أبو نؤاس[1].

وكان فحلاً مقدّماً في المولدين، وله كل معنى مليح في كل فن خاصة خمرياته فإنها الغاية، وربّما أخذ معنى غيره فيها فاستحقه بالحظ ونسي ما قاله غيره.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني: إن أبا الشيص الخزاعي أنشد أبا نؤاس معنى له بديعاً في الخمرة فأخذه أبو نؤاس وجعله في سبك قصيدة، ثم لم يلبث الناس أن تركوا قول أبي الشيص وأولعوا بقول أبي نؤاس، فلقيه أبو نؤاس بعد ذلك، فقال له: يا أبا علي، أتظن أن يروى لك معنًى جيّداً في الخمر وأنا حيّ.

وذكر أيضاً أنه روي أن قصيدة أبي نؤاس التي أوّلها:

يا شَقيقَ النَّفسِ من حَكَمِ ... نِمْتَ عن لَيْلِي، وَلَمْ أَنَمِ[2]

ليست له وإنها من شعر والبة استاذه. وكان يتعشّق أبا نؤاس فنحله إيّاها.

وروى أبو الفرج أيضاً عن الدعلجي غلام أبي نؤاس قال: سكر أبو نؤاس ليلة فجعلت أترنم بشيء منها فقال لي: أتدري من تغنى بأوّلها؟ قلت: لا، قال: أنا المغنّيَ والشعر لوالبة بن الحباب وأنت أعلم فلم أُحدِّث به حتى مات أبو نؤاس.

قلت: لفظ حكم قرينة لأن أبا نؤاس ينتسب إلى الحكم بن سعد العشيرة، والقصيدة من مشهور شعره وجيّده، ومدح الرشيد واختص بالأمين وكان يهواه ولا يبوح خوفاً منه، ومدائحه فيه صادرة عن ودّ خالص، وقال فيه في حياة والده الرشيد فيما يتعلق بالعشق:

أَصْبَحْتُ صَبّاً ولا أقولُ بِمَنْ ... أخافُ مَنْ لا يَخافُ مِنْ أَحَدِ

(١) وفيات ٢/ ٩٥.

(٢) كاملة في ديوانه ٤١.

إذا تـفـكـرتُ فـي هـواي لَـهُ   حَسِبْتُ رَأسِي طارعنْ جَسَدِي[1]

وما أمدح قوله فيه من قصيدة:

وإذا المطيّ بنا بلغن محمداً   فظهورهن على الرجال حرامُ
قربننا من خير من وَطَأ الحصا   فلها علينا حرمة وذمامُ

وله القصيدة الرائية السائرة في الخصيب عامل مصر، وهي مشهورة مختارة ومن غايات القصيدة التي أولها:

أيها المنتاب من عُفُرِه[2]   لست من ليلي، ولا سَمَرهْ
لا أذودُ الطيرَ عن شجرٍ   قد بلوْتُ المرَّ من ثمرهْ[3]

وودت لو خطر لي تذكر هذه الأبيات فأكتبها هنا لجودتها فهي وقصيدة أبي الحسن العكوك[4] كسمط الجوزا.

وكان أبو نواس يتشيّع وقال في أبي الحسن الرضا وقد عوتب:

قيل لي أنتَ أحْسَنُ الناسِ طُرّاً   في فُنُونٍ من المقَالِ النَّبِيهِ
لَكَ من جَيِّد القَريض مديحٌ   يُثْمِرُ الدُّرَّ في يَدَيْ مُجْتَنِيهِ
فلماذا تركت مَدْح ابن مُوسى   والخِصالَ التي تَجَمَّعنَ فيهِ
قُلت لا أستَطِيع مَدْحَ إمامٍ   كان جِبْرِيلُ خادماً لأبِيهِ[5]

وله أيضاً في آل البيت:

---

(١) الأغاني ١٥٨/٢٥.

(٢) في الديوان: «عفره».

(٣) كاملة في الديوان ٤٢٧ ـ ٤٣١.

(٤) هو أبو الحسن علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الأنباري المعروف بالعكوك. خراساني الأصل، بغدادي المولد والنشأة. ولد أعمى سنة ١٦٠هـ، وقيل كف بصره بالجدري وهو ابن سبع سنين. كان أسود أبرص، وكان من فحول الشعراء. قال الجاحظ في حقه (كان أحسن خلق الله انشاداً، ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً). قتله المأمون سنة ٢١٣هـ، ولكن ابن المعتز يرجح الرواية القائلة: أن المأمون عفا عنه، وأنه مات حتف أنفه.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٣٥٠ ـ ٣٥٤، طبقات ابن المعتز/ ١٧١، تاريخ بغداد ٣٥٩/١١، مختار الأغاني ٣٢٩/٥، سمط اللآلي/ ٣٣٠، الشعر والشعراء ٧٤٢، روضات الجنات ٤٨٢، نكت الهميان ٢٠٩، شذرات الذهب ٣٠/٢، الكنى والألقاب ٤٤٠/٢، أنوار الربيع ٤/هـ ٢٤٦.

(٥) الأغاني ٢٩٣/٢٥.

مطهّرون نقيّات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخرُ

الله لما برى خلقاً فأتقنه صفاكم وبراكم أيها البشرُ

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السورُ

وقال أبو الحسن بن نوبخت: ما رأيت قط أعلم من أبي نؤاس ولا أحفظ منه، ولقد فتّشنا منزله بعد موته فلم نجد عنده من الكتب إلاّ قِمطَراً فيه جزء يشتمل على نحو وغريب لا غير[1].

وكان يناقض الكميت ويتعصّب لليمن على نزار لولائه فيهم، وعنه قال: رأيت النابغة الذبياني[2] في منامي فقال لي: بماذا حبسك الرشيد؟ قلت: لقولي:

أهجُ نزاراً وافرِ جلدتها وهتّكِ الستر عن مثالبها

فقال لي: أهل لذلك أنت يا ابن المومسة، فقد استوجبت بها من كل نزاري عقوبة مثلها بما ارتكبت منها.

قلت: بما حبسك النعمان؟ قال: ببيت قلته ستره النعمان، قلت: بقولك:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ

قال: وهذا مستور، قلت: فبقولك:

وإذا لمست لمست أجثم جاثياً متحيّراً بمكانه ملأ اليدِ

قال: اللهم غفراً، قلت: فبماذا؟ قال: بقولي:

فملكت أعلاها وأسفلها معاً وأخذتها قسراً وقلت لها اقعدي

فحدثت بهذا الحديث اليزيدي، فألحق البيت بقصيدة النابغة.

❀ ❀ ❀

قلت: قصيدة النابغة هذه وصف بها المتجرّدة امرأة النعمان وهي شهيرة وكان يتعشّق عنان جارية الناطفي وهي إحدى القيان الشواعر التي أفراد لهن أبو

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٩٦.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

الفرج كتاباً، وكانت شاعرة جميلة، ودخل عليها يوماً فقال:

ما تأمرين بصبٍّ تكفيه منك قَطيره

فقالت:

إياي تعني بهذا عليك فاجلد عُمَيره

فقال:

أريد هذا وأخشى على يدي منك غيره

فقالت: تعست وتعس من يغار عليك وعليها.

ودخل إليها مرّة فقال:

إن لي أيراً خبيثاً لونه يحكي الحميتا
لو رأى في الجوّ صدعاً لنزا حتى يموتا
أو رآه وسط بحر لغدا في البحر حوتا
أو رآه فوق سقف صار فيه عنكبوتا

فقالت له:

زوّجوا هذا بألف ما أظن الألف قوتا
بادروا ما حلّ بالمسكين خوفاً أن يفوتا
قبل أن ينعكس الداء فلا يأتي ويؤتى

وتضاحكت فغلبته وخجل.

وذكر الأصبهاني: أن الرشيد كان يجن بعنان هذه ودفع لمولاها فيها مائة ألف دينار فأبى أن يبيعها، وكانت زبيدة تغار منها، فدسّت إلى أبي نؤاس إنك إن قلت: ما يصرف قلب أمير المؤمنين عن جارية الناطفي فلك حكمك فقال:

إن عنان النطاف جارية أصبح حرها للأير ميدانا
ما يشتهيها إلاّ ابن زانية ومرطبان يكون من كانا

فكان الرشيد يقول: قبّح الله أبا نؤاس، نغّص عليّ لذّتي في عنان، ومنعني شراها بشعره.

قلت: كان للقوم أعراض يقونها، وأفهام تعي الشعر.

وعن الأصمعي قال: أرسلت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بعنان فإن صرفته عنها حكمتك، قال: كنت أترقب فرصة منه أتكلم فيها بحاجتي، إذ دخلت عليه مرّة وهو مغضب، فجلست ناحية فقال: مالك يا أصمعي؟ قلت: رأيت في وجه أمير المؤمنين غضباً فلعن الله من أغضبه، قال: هذا الناطفي والله لولا إنني لم أجرِ في حكم بين اثنين متعمداً لجعلت على كل جبل منه عضواً، ومالي في جارية إِرب غير الشعر، قلت: أجل والله ما فيها غير الشعر فهل يسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق فقال: إعزِب قبّحك الله وضحك وزال غضبه وأمر لي بجائزة، واتصل ذلك بأم جعفر فأجازتني.

وكتبت عنان إلى أبي نؤاس مع جارية لها في كفّها:

زرنـــا لـــتـــأكـــل مـــعـــنـــا ... ولا تـــخـــلـــف عـــنـــا

فأدخلها ونال منها وكتب في كفّها:

نـــكـــنـــا رســـول عـــنـــان ... والـــرأي فـــيـــمـــا فـــعـــلـــنـــا
وكـــان خـــبـــزاً بـــمـــلـــح ... قـــبـــل الـــشـــراء أكـــلـــنـــا

فكتبت إليه:

لـلـنـيـك مـعـنـىً ولـكـن ... مـا لـلـتـهـتّـك مـعـنـى
قـالـت: فـمـا تـرى فـي صـراعٍ ... فقال: إن شئت قمنا اصطرعنا
قـالـت: فـالـرهـن مـاذا عـلـيـه ... فـقـال: الـوصـل تـجـعـل رهـنـا
ثـم قـال: قـومـي كـذا بـحـيـاتـي ... قـالـت: ظـوّلـت، دعـنـا ونـكـنـا

ومن شعر أبي نؤاس وفيه عاب إبليس بما فضحه:

وَلَـيْـلَـةٍ قَـصَّـرَهـا طُـولـهـا ... بـالـكَـرْخِ إذ مُـتِـعْـتُ من خُـلْـوَتِـه
أَشْـرَبُ مِـن رِيـقَـتِـهِ مَـرَّةً ... وَمَـرَّةً أَشْـرَبُ مِـنْ خَـمْـرَتـه[1]
فـي مَـجْـلِـسٍ يَـضْـحَـكُ تُـفَّـاحُـه ... مِـنَ الـرَّيـاحِـيـنِ إلـى خُـضْـرَتـه
لَـيـسَ يُـرَى خَـلْـوَتَـنَـا ثـالِـثٌ ... إلاَّ الـذي يَـشْـرَبُ مِـنْ راحَـتِـه
حَـتَّـىٰ إذا أَلْـقَـى قِـنَـاعَ الـحَـيـا ... وَدَارَتْ الـخَـمْـرةُ فـي وَجْـنَـتِـهِ

---

(١) في الديوان: «فضلته».

مَــلَّــكَــنِــي حَــلَّ ســراويــلــهِ وَكــانَ لا يَــأْذَنُ فــي قُــبْــلَــتِــه

دَبَّ لـــهُ إبــلــيــسُ فــاقْــتَــادَهُ والـشَّــيـخُ نَـفَّـاعٌ عَـلَـى لِـعْـنـتـه[1]

تَـــاهَ عَـــلَـــى آدَم فِـــي ســـجْـــدَةٍ وَصَـــارَ قَـــوَّاداً لِـــذرِّيـــتـــه[2]

وله في هجاء إبليس:

سوءة بالعين أنت اختلست الـ ـناس غيظاً عليهم أجمعينا

عندما قلت لا أطيق سجوداً لمثال خلقته رب طينا

تهت لمّا أبيت في سالف الدهـ ـر وفارقت زمرة الساجدينا

ثم قد صرت في القيادة تسعى يا مجير الزناة واللائطينا

قال بعض السلف: ما دخل على إبليس أضرّ من أبيات أبي نؤاس هذه والأولى.

قلت: ألا لعنة الله واليأس من الرحمة.

وقال ابن المعتز في شكر إبليس متهكّماً:

تركت هجا إبليس ثم مدحته وذاك لأمرٍ عنَّ عندي سلوكه

أطالب من أهواه وصلاً فإن أبى حكاه خيالاً في الكرى فأنيكه

ويقال: إن إبليس كوسج في حنكه شعرات، وهو عريان ليس عليه إلاّ سراويل، ومن أجل ذلك كره للمصلي أن يصلي في السراويل فحسب.

وحكى لي بعض الثقات: إن المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل كان يحب أن يراه، فأتاه آتٍ في منامه فأراه شخصاً هو الآن حي وقال: إن أحببت أن ترى صورة إبليس فانظر إلى هذا، إن قيل كيف يرى إبليس وهو من الجن الروحانية أو من الملائكة أول حاله، الجواب: إنه يتشكّل كالسعالىٰ والغيلان، فأما واحد من ذريته فروي أن رسول الله ﷺ قال: لقد عرض لي البارحة شيطان فأردت ربطه إلى سارية من سواري المسجد فذكرت قول أخي سليمان: «هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»[3] فأطلقته، وذكره ﷺ بتلك الهيئة.

---

(١) اقتاده: قاده، نفّاع: مبالغة لنافع.

(٢) القوّاد: الذي يجمع الرجال والنساء للفحش، كاملة في ديوانه ٣١٤ ـ ٣١٥.

(٣) سورة ص: الآية ٣٥.

قال الثعالبي في كتاب ألفه لخوارزم شاه: إن حمالاً مرَّ بسوق بغداد، وعلى رأسه جرّة عسل فوقعت إلى الأرض فانكسرت، وأقبل الصبيان يلعقون العسل ويلعنون الشيطان، فترائىٰ لهم وقال: يا أولاد الزنا هذا جزائي إذ ألعقتكم العسل.

وقال أيضاً: إن جماعة من النخّاسين وثبوا على شيخ أعجمي فحلقوا لحيته، ونتفوا شواربه ثم سلّطوا الزنابير على وجهه فلسعته حتى تورّم وجهه حتى ضاقت عيناه، ثم باعوه على أنه غلام تركي، فترائىٰ لهم إبليس وقال: هذه الحيلة لم تكن في حسابي.

ورآه الإمام اللغوي أبو بكر بن دريد في صورة شامي طوال فسأله عن كنيته فقال: أبو ناجية، والواقعة ذكرها ابن خلكان[١].

ورآه إبراهيم الموصلي النديم في صورة شيخ أبيض اللحية بيده عكّازه ونادمه يومه وغنّى له، ولولا طول حكايته لذكرها.

وكان أبو نؤاس يهوى جِنان جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي البصري المحدّث الذي كان ابن مناذر[٢] الشاعر يحب ابنه، وله فيه أشعار، وكانت جنان حلوة جميلة أديبة، وقيل إن أبا نؤاس لم يصدق في حب امرأة غيرها، وحجّت عاماً فحجَّ معها وقال وهو أحد أصوات الأغاني:

أَلَـمْ تَـرَ أنـنـي أفـنـيـتُ عُـمـري   بـمَـطـلـبـهـا ومـطـلـبُـهـا عـسـيـرُ؟

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٣٢٧.

(٢) محمد بن مناذر اليربوعي بالولاء، أبو جعفر: شاعر كثير الأخبار والنوادر. كان من العلماء بالأدب واللغة، تفقه وروى الحديث. وتزندق، فغلب عليه اللهو والمجون. أصله من «عدن» أو من «البصرة» ومنشؤه وشهرته في الثانية. اتصل بالبرامكة ومدحهم، ورآه الرشيد بعد نكبتهم، فأمر به أن يلطم ويسحب. وأخرج من البصرة لهجائه أهلها. وذهب إلى مكة، فتنسك، ثم تهتك. ومات فيها سنة ١٩٨هـ.

ترجمته في: معجم الأدباء ١٩/٥٥ ـ ٦٠، وبغية الوعاة ١٠٧ ولسان الميزان ٥: ٣٩٠ وفيه، عن أحد معاصريه: «رأيت ابن مناذر في الحج سنة ١٦٨ فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته» وهذا التاريخ لا يتفق مع إدراكه نكبة البرامكة. وتكرر فيه اسم أبيه «منادر» تصحيف «مناذر» وفي القاموس، مادة نذر، ما يفهم منه ترجيح ضبطه بفتح الميم، جمع منذر، قال: «لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر» وهو خلاف المشهور، وفي لسان الميزان: كان إذا قيل له ابن مناذر ـ بفتح الميم ـ يغضب ويقول: إنما «مناذر» كورة من كور الأهواز. واسم أبي مناذر، بالضم. وفي معجم البلدان ٨: ١٦٠ شيء بهذا المعنى. والشعر والشعراء ٣٦٤ والموشح للمرزباني ٢٩٥ وعصر المأمون ٢: ٤٠٠، الاعلام ط ٤/٧/١١١.

فلما لم أجد شيئاً إليها يُقرِّبني وأعيتني الأمورُ
حججت وقلت قد حجَّت جِنَان فيجمعُني وإيّاها المسيرُ[1]

ورآها مرّة وهي تلطم وجهها في مأتم فقال:

يا قَمَراً أبرزه مَأتَمٌ يَندُبُ شجواً بين أترابِ
تَبكي فتُذرِي الدُّرَّ من نرجِسٍ وتَلطِم الوردَ بعُنّابِ
أبرزه المأتمُ لي كارهاً برَغْم دايات وحجّاب
لا زال دأباً مَوتُ أحبابِهِ ودأب أن أبصره دابي[2]

وكان سفيان بن عيينة إذا ذكر هذه الأبيات يقول: لقد أحسن أبو نواس هذا بفتح النون وتشديد الواو.

وغاضبة مرّة فوجه إليها رسولاً فجاويته بما يكره، فلم يخبر الرسول بما قالت، وتبيّن ذلك أبو نواس في وجهه فقال:

فديتُكِ، فيمَ عَتْبُكِ من كلام نَطَقْتِ بهِ على وجْهٍ جَميلِ؟
وقَوْلُكِ للرسُولِ عَلَيهِ غَيْرِيْ فليْسَ إلى التَّواصُلِ من سَبيلِ
فَقَدْ جَاءَ الرَّسُولُ به انكسَارٌ وَوَجْهٌ ما عَليْهِ مِنْ قَبُولِ
وَلَوْ رَدَّتْ جِنَانُ مَرَدَّ خيْرٍ تَبَيَّنَ ذَاكَ في وَجْهِ الرسُولِ[3]

وروى أبو الفرج: إن محمد بن عمير التيمي مرَّ أيام قضائه فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يكلّمها، وكانت جارية، برسالة جنان، فقال له: إتّقِ الله، قال: إنها حرمتي، قال: فضها عن هذا الموضع، فلما انصرف كتب إليه:

إنَّ الَّتي أبصَرتَني سَحَرا أكلّمُها رَسُولُ
أدَّتْ إليَّ رسالةً كادَتْ لهَا نَفْسٍ تَسيلُ
من سَاحِرِ العَيْنَيْنِ يَجْـ ـذِبُ خَصْرَها رِدْفٌ ثقيلُ
فَلَو أنَّ اذْنَك بَيْننا حتى تَسَمَّعَ ما نقُولُ
لَرَأيْتُ ما اسْتَقْبَحْتَ مِنْ أمرِي هُوَ الحَسَنُ الجَميلُ[4]

---

(١) الأغاني ٢٠/٧٠.
(٢) الأغاني ٢٠/٧٩، الأغاني ٢٥/١٣٨، ديوانه ٢٤٢.
(٣) ديوانه ٢٤٩.
(٤) وفيات الأعيان ٢/١٠١، ديوانه ٢٧٠.

ثم وجه بها فالقيت في رقاع بين يدي القاضي، فلما قرأها ضحك وقال: إن كانت رسولاً فلا بأس.

ومن شعره:

دع الأطلال تسقيها الجنوبُ ... وتبلي عهد جدّتها الخطوبُ
وخلِّ الراكب الوجناء أرضاً ... تخب بها النجيبة والنجيبُ
بلاد نبتها عشر وطلح ... وأكثر صيدها ضبع وذيّبُ
ولا تأخذ عن الأعراب ريّاً ... ولا عيشاً فعيشهم جديبُ
دع الألبان تشربها رجال ... رقيق العيش عندهم غريبُ
وإن راب الحليب فَبُل عليه ... ولا تخرج فما في ذاك حوبُ
فأطيب منه صافية شمول ... يطوف بكأسها ساق أديبُ
كأن هديرها في الدنّ يحكي ... قراة القسّ قابله الصليبُ
يمدّ بها إليك يدا غلام ... أغرّ كأنه رشأ ربيبُ
يجرّ لك العنان إذا حساها ... ويفتح عقد تكّته الدبيبُ
وإن خمّشته خلبتك منه ... طرائف تستخف بها القلوبُ
أعاذلتي اقصري عن بعض لومي ... فراجي توبتي عندي يخيبُ
تعيبين الذنوب وأي خسر ... من الفتيان ليس له ذنوبُ
غررت بتوبتي ولججت فيها ... فشقّي الآن ثوبك ما أتوبُ

ومن مليح غزله:

أَشْتَهِي السَّاقِيَيْنِ، لكنَّ قلبي ... مُسْتَهامٌ بِأَصْغَرِ السَّاقِيَيْنِ
ليس باللاَّبسِ القميص، ولكنْ ... ذو القَبَاءِ المُعَقْرَبِ الصُّدْغَيْنِ[1]
والّذِي بالفتور زَيَّنهُ الـ ... ـلَّهُ، وحُسْنِ الْجَبِينِ والحاجِبَيْنِ
وثنايا كأنّها نظم درّ ... تحت خال في موضع الشاربين
يكسر العين إن نظرت إليه ... يا بلائي من كسوة العينين

(١) القباء: نوع من الثياب يلبس فوق الثياب. الصدغ: الشعر المتدلي بين العين والأذن، والمعقرب: الذي على هيئة العقرب لأن العقرب حين تمشي ترفع ذيلها إلى أعلى وتلويه.

يلثغ اللفظ إن حَثَثْت لِشُرْبِي في انخناث، وَيَمْسَحُ العَارِضَيْنِ[1]
خَرْسوه[2] وما دَرَى ما خُراسا نُ بلُبْسِ القَبَاء والمورجين[3]

ومن شعره أيضاً:

كيفَ النُّزوعُ عن الصِّبا والكاسِ قِسْ ذا لنا يا عاذِلي بقِيَاسِ[4]
وإذا عَدَدْتُ سِنِيَّ كَمْ هِيَ لَمْ أجِدْ للشَّيْبِ عُذْراً في النزُولِ بِرَاسِي
قالوا: كَبِرْتَ، فقلتُ: ما كَبُرَتْ يَدي عن أن تحثّ إلى فَمِي بالكاسِ[5]
وكأنَّ شارِبَها لِفَرْطِ شُعاعِهَا باللَّيْلِ يَكْرَعُ في سَنا مِقْيَاسِ[6]
والرَّاحُ طَيِّبَةٌ، وليس تَمامُها إلاَّ بِطِيبِ خلائقِ الجُلاَّسِ
وإذا نَزَعْتَ عن الغَوايَةِ فلْيَكُنْ لِلَّهِ ذاك النَّزْعُ لا لِلنَّاسِ[7]

ومن قصيدة طويلة:

دع الرَّسْمَ الذي دَثَرَا يقاسي الرِّيحَ والْمَطَرَا
وَكُنَ رَجُلاً أضاعَ العِرْ ضَ[8] في اللَّذَّاتِ والخَطَرَا[9]
ألم تَرَ ما بَنَى كِسْرَى وسابُورٌ لِمَنْ غَبَرَا
مَنازِلُ بَيْنَ دِجْلَةَ والْـ فُرَاتِ أحَفَّها الشَّجَرَا
بأرضٍ باعَدَا الرَّحْمَـ نُ منها الطَّلْحَ والعُشَرَا[10]

---

(١) العارضان: صفحتا الخد أو جانبا الوجه.

(٢) وفي الديوان: «خرسنوه» أي ألبسوه الملابس الخراسانية، وكانت تلتصق بالجسم بحيث تظهر محاسنه.

(٣) ديوانه ١٣٦.

(٤) النزوع عن الشيء: الانتهاء عنه.

(٥) تحث: تسرع.

(٦) يكرع: كرع من باب منع وسمع، في الماء أو في الإناء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء.
وفي الديوان: مقباس بدل مقياس، والمقباس: القبس وهو شعلة نار تقتبس من معظم النار.

(٧) وفيات الأعيان ٢/١٠٢، ديوانه ١٠٥.

(٨) في هامش الأصل: «العمر».

(٩) الخطر: الشرف والقدر، وفي البيت إقواء.

(١٠) الطلح والعشر: من نباتات البادية.

ولـم يـجـعـل مَـصَـايـدَهَـا		يَـرَابِـيـعـاً، ولا وَحَـرا[1]
ولـكـن حُـورُ غـزْلانٍ		يُـراعـىٰ بـالْـمَـلاَ بَـقَـرَا[2]

ومنها البيت السائر:

وَإِنْ شـئـنَـا أَخَـذْنَـا الـطَّـيْـ		ـرَ مِـنْ حـافَـاتِـهـا زُمَـرَا[3]
يـزيـدك وجْـهُـه حـسْـنـاً		إذا مـا زِدْتَـهُ نَـظَـرَا[4]

ومن مجونه:

جَـاءَتْ إلـى الـمـنـزِلِ أم الـفـتـى		عـبّـاس يـا قـوم لـمـيـعـادِهـا
تَـمْـشِـي إلـيَّ الـخـيْـزلـي غُـدْوَةً		وكـفُّـهـا فـي كـفّ قَـوّادِهـا
فـقـلـت: هَـاكِ الايـر فـاسـتـدْخـلِـي		فَـأَدْخَـلَـتْ لامـي فـي صـادِهـا
تـمـسـح أيـري كـلـمـا نـكـتـهـا		كـأنـه أكْـبـرُ أَوْلادِهَـا[5]

الخيزلي: مشية للنساء فيها تكسير.

قال أبو الطيّب:

ألا كـل مـاشـيـة الـخـيـزلـي		فـدا كـل مـاشـيـة الـهـيـدلـي

وحكى الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة في «شرح العيون» عن أبي نؤاس قال: دخلت إلى دمشق فاعطيت بها غلاماً مواجراً أربعة دراهم فلما رأى متاعي استعظمه، فقلت: أما أن تذعن أو تشتم معاوية، فأذعن، فلما دفعت فيه سمعته يقول هذا قليل في رضاك يا أبا يزيد[6].

قال: وقال له غلام متى تعطيني درهماً؟ قال: إذا جرى الماء في العود.

قلت: هذه تورية مجونية، ويجري الماء في العود من أول كانون الثاني.

---

(١) اليربوع: حيوان قارض كالفأر، الوحر: دويبة سامة.
(٢) الملا: الصحراء والمتسع من الأرض.
(٣) زمرا: جماعات.
(٤) كاملة في ديوانه ٥٥٧ ـ ٥٥٩.
(٥) ديوانه ٥٦٧.
(٦) سرح العيون ٣١٧ ـ ٣١٨.

ولم يزل أبو نواس مولعاً بذم أرض العرب لقشفها، وهو كذلك والطلح والعشر من نباتها، والأول بارد يابس ينفع الإسهال الدموي وتعرفه الأطبّاء بأيام غيلان، وصمغه بارد رطب، وهو معتدل وهو يدل للكثير أو هو يعدل الأدوية الحارّة، وقد ينبت الطلح بغير أرض العرب، وأما العشر فقد قيل أنه لا ينبت بغير اليمن، وقد رأيته أنا بالحجاز، وهو يتوعى ضار مهلك إن أفرط استعماله، ولا ينفي استعماله من داخل بحال، ومزاجه حار يابس في الرابعة، يستأصل البارحين وسكّره جليل المنافع مفتح جلاً.

وتوفي أبو نواس في أوائل خلافة المأمون[١]، وكان مبعداً له لميله إلى الأمين، ورؤيت له منامات صالحة كما ذكره المؤرخون، والله واسع العفو.

❁ ❁ ❁

ولم يُسمع في أذواء اليمن من سمي ذا نواس إلاّ زرعة واسمه يوسف وهو صاحب الأخدود ويعرف بذي نواش، بفتح النون والواو المشدّدة وبعد الألف شين معجمة، وكان غلاماً جميلاً فبعث إليه ذو شناتر ملك حمير لما بلغه جماله، فلما خلا به ذو شناتر قتله ذو نواش بحديدة سترها في خفّه، وكان ذو شناتر إذا فرغ من الغلام جعل فيه سواكاً وأشرف على حرسه فإذا خرج الغلام صاحوا به أرطب أم يباس، فجعل ذو نواش مسواك الملك في فيه ثم خرج عليهم فصاحوا به فقال: ستعلم الأحراس، أست ذي نواس، أرطب أم يباس، فلما رأوه أنه قتل الملك ملّكوه، وكانت حمير لا تملّك الغلام إذا فعل به ذلك الفعل، ولم يكن ذو شناتر من بيت الملك وعلى ذي نواش خرجت الحبشة ودلّ السجع الذي قاله أنه بالسين المهملة.

وأبو نواس أعلم بأخبار أهله، نعم، إنّما لقب بذلك لأنه كان له عمامة لها طرفان ينوسان على كتفه، ويجوز أن يقال نائس وناس بمعنى واحد.

---

(١) في هامش ب: «وفاته في بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة، ومولده في سنة ست وأربعين ومائة».

[٤٩]

الشيخ المجيد، أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشَّخْباء العسقلاني الأصل، المصري الكاتب، صاحب الرسائل المشهورة[*].

فاضل كتب فكبَت، وسبقت جياد خاطره في المهارق فما كبت، يرى حظه فيها كالخدود والخيلان، قد حلّت فما بها عيب لإتيانها في العدى مناب المران.

وكان من الإسماعيلية، وهو أحد المشاهير البلغاء في الدولة الفاطمية بمصر.

وقال ابن خلكان فيه: صاحب الخطب المشهورة، والمسائل المحبرة، وكان من فرسان النثر، وله فيه اليد الطولى[١].

ولجلالة رسائله وفصاحته إدّعى بعض الناصبة إن بعض نهج البلاغة مأخوذ من كلامه، أخذه الشريف الرضي ودسّه، ذكر ذلك الصاحب العلامة ابن أبي الحديد ـ الآتي ذكره ـ في شرح النهج[٢]، وذكر الرسالة التي نسبها الناصب إليه وأبطل هذه الدعوى وأطال الجواب، ولولا طول الرسالة وطوله لذكرته.

قال ابن خلكان: ويقال إن القاضي الفاضل كان جلّ اعتماده على كلامه، وإنه كان يستحضر أكثره[٣]، وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في الخريدة وقال: «المجيد مجيد كَنَعْته، قادر على ابتداع الكلام ونَحْته، له الخطب البديعة، والملح الصنيعة»[٤].

(*) ترجمته في:
وفيات الأعيان ٢/ ٨٩ ـ ٩١، خريدة القصر ـ قسم العسقلانيين، معجم الأدباء ٩/ ١٥٢ وفيه: «الحسن بن محمد بن عبد الصمد»، الذخيرة/القسم ٤، الجزء الخاص بغير الأندلسيين، الريحان والريعان، سير النبلاء ـ خ ـ مجلد ١٥.

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٨٩.

(٤) خريدة القصر.

وذكره أبو الحسن بن بَسّام في «الذخيرة» وأورد له من قصيدة:

مـا زالَ يـخـتـار الـزمـانُ مـلـوكَـهُ ... حتى أصابَ المصطفى المتخيرا
قـل لـلأُلـى سـاسـوا الـورى وتـقـدمُوا ... قـدماً هـلـمـوا شاهِـدوا الـمـتـأخـرا
تـجـدوه أوسع في السـيـاسـة منكـمُ ... صَـدْراً وأحـمـد في العـواقـبِ مَصْدَرا
إن كـــانَ رَأيٌ شـــاوروهُ أحـــنَـــفـــاً ... أو كـــانَ بـــأس نـــازِلُـــوهُ عـــنـــتـــرا
قـد صـامَ والـحَـسـنـاتُ مِلء كـتـابـهِ ... وعـلـى مِـثـال صِـيـامِـهِ قـد أفـطَـرا
ولـقَـدْ تـخَـوّفَـكَ الـعَـدوُّ بـجَـهْـدِهِ ... لـو كـانَ يَـقـدِرُ أنْ يَـرُدَّ مُـقَـدَّرا
إنْ أنـتَ لـم تَـبْـعَـثْ إلـيـهِ ضُـمَّـراً ... جُـرْداً بَـعَـثـتَ إلـيـه كَـيـداً مُـضْـمَـرا
يَـشْـري ومـا حـمَـلـتْ رجـال أبـيـضـاً ... فـيـهِ ولا ادَّرَعَـتْ كُـمـاة أسـمَـرا
خـطـروا إلـيكَ فـخـاطـرُوا بـنـفـوسـهـم ... وأمـرتَ سـيـفَـكَ فـيـهـمُ أنْ يـخـطـرا
عَـجـبُـوا لـحـلـمـكَ أنْ تـحَـوّلَ سَـطـوَةً ... وزُلال خُـلْـقِـكَ كـيـفَ عـادَ مـكـدَّرا
لا تَـعـجَـبـوا مِـنْ رِقَّـةٍ وقَـسـاوَةٍ ... فالنار تُقدَحُ مِن قضيبٍ أخضَرا[1]

قلت: هذا شعر متين إلى الغاية، فيكون الشيخ المجيد بمن أُوتي النثر والنظم، فترك كل كاتب في النازعات لما عمّ.

وعلى ذكر حسن الكيد في القتال، فقد أجاد أبو الطيّب بقوله:

الـرأي قـبـل شـجـاعـة الـشـجـعـانِ ... هـي أوّل وهـي الـمـحـل الـثـانـي

وإنما هو معنى قول النبي ﷺ: الحرب خدعة، وإنما يخدع عدوه ذو الرأي، وإنما كان كذب المهلب من هذا النمط لأنه كان صاحب حرب، وإلاّ فأي شيء أوضع بصاحبه من الكذب، ثم هو ثلث النفاق.

وأجاد أبو عبادة البحتري[2] بقوله:

يـومَ أرسـلـتَ مِـنْ كَـتـائـبِ آرا ... ئـكَ جُـنْـداً لا يَـأخـذون عَـطـاءَ
وَتَـوَدُّ الأعـداء لـو يـضـعـفُ الـجـيـ ... ـشَ عَـلـيـهـم وتَـضـرِف الآراءَ[3]

---

(١) الذخير، وفيات الأعيان ٢/ ٩٠.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) كاملة في ديوانه ١/ ١٣ ـ ١٩.

ونقيضه قول ابن الهبّارية[1] في الوزير المنعوت بالجواد وزير عز الدولة بختيار الديلمي:

أقام على الأهواز خمسين ليلة ... يدبّر أمر الملك حتى تدمرا
فَدبّر أمراً كان أوله رَدَىً ... وأوسطه بلوى وآخره خرا

ومن شعره المجيد:

حِجَابٌ وإعجابٌ وفَرطُ تَصَلُّفٍ ... وَمَدُّ يَدٍ نحو العُلى بِتَكَلُّفِ
وَلَو كانَ هَذا مِنْ وَراءِ كِفايَةٍ ... صَبَرْنَا ولكنْ مِنْ وراءِ تَخَلُّفِ[2]

وذكر أبو الحسن ابن بسّام: إنه توفي مقتولاً بخزانة البنود بالقاهرة المعزية سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة[3]، رحمه الله تعالى.

والشَّخْباء، بفتح الشين المعجمة وإسكان الخاء المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف.

---

(١) هو الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي الهاشمي المعروف بابن الهبارية. كان شاعراً مجيداً مكثراً. اقتفى أثر ابن الحجاج في هزله وجده ومجونه وهجائه. جاء في الكنى والألقاب نقلاً عن أنساب السمعاني أن لابن الهبارية في رثاء الحسين ومدح آل الرسول ﷺ شعر كثير. وفيه أيضاً نقلاً عن تذكرة الخواص لابن الجوزي: أنه اجتاز بكربلاء فجلس يبكي على الحسين وأهله وقال بديها: ـ

أحسين والمبعوث جدك بالهدى ... قسما يكون الحق عنه مسائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في ... تنفيس كربك جهد بذل الباذل
لكنني أخرت عنك لشقوتي ... فبلا بلي بين الغري وبابل
هبني حرمت النصر من أعدائكم ... فأقل من حزن ودمع سائل

ثم نام في مكانه، فرأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: جزاك الله عني خيرا، أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين عليه السلام. توفي المترجم له بكرمان سنة ٥٠٩ وقيل ٥٠٤هـ والأول أشهر. من آثاره: ديوان شعر قيل: أنه في أربع مجلدات، وكتاب الصادح والباغم وهي منظومة على اسلوب كليلة ودمنة، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٢٩٢هـ وبيروت سنة١٨٨٦م.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٥٣ ـ ٤٥٧، خريدة القصر ـ القسم العراقي ـ ٢/٧٠، شذرات الذهب ٤/٢٤، النجوم الزاهرة ٥/٢١٠، دائرة المعارف الاسلامية ١/٢٩١، هدية العارفين ٢/٧٩، أعيان الشيعة ٤٥/٣٢٦، تأسيس الشيعة/ ٢٢٥، الكنى والألقاب ١/٤٣٩، أنوار الربيع ٢/هـ ١٧١.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٩٠.

(٣) الذخيرة.

[٥٠]

الداعي، الحسن بن إدريس بن علي بن الحسين بن إدريس بن الحسن ابن علي بن عبد الله بن علي المعروف بالأنف اليني. أحد المشاهير القائمين بالدعوة الإسماعيلية بناحية وادي ضهر وما يليه من همدان

فاضل له همّة عمل جِدِّهِ وسعيه في الأمة إذا سار أقعد عن شأوه وسبق الساعي، وإذا سار عدوه الكثير لحربه وأرعد وأبرق فتول عنهم يوم يدعوْ الداعي.

وكان فاضلاً عالماً كريماً، وذلك في الوادي الأهيف المعاطف، إنما انتقل عنه وعن سلفه لما سار إليه رب إمام الزيدية يقود من أهل الحجاز بريما، وكان أكثر الوادي ملكه فأدته الحرب بينه وبين سادة الحسنية المدعين للإمامة أن يقطع عن جيده سلكه، وبقيت منهم الآن بقيّة تحت التقيّة، وكان أول من أخرج الدعوة من مصر إلى اليمن الداعي عامر الرواحي أستاذ الأمير أبي الحسن علي بن محمد الصليحي كما سيأتي ذلك في حرف العين[١].

وكان الداعي المذكور شاعراً أديباً، وكان نشوان الحميري قد قال شعراً يفتخر به ويحاور الحدّ إلى الانحلال من الدين بما ضمنه أنه لولا اليمن لما قامت دولة النبيﷺ ولا قتل الوصي ولا عثمان، ولا قامت دولة الخلفاء ولا قتل الأمين، ويفضّل قحطان وهو حاكمه على نزار ويلزمه العموم فضلهم على نبي اللهﷺ تصريحاً وتعريضاً أقبح منه، وكان أحمق، وأبيات نشوان هي:

منا التبابعة الأول ملكوا الـ ... ـبسيطة سل بذلك تخبرِ

(١) علي بن محمد بن علي الصليحي، أبو الحسن: رأس الدولة الصليحية، وأحد من ملكوا اليمن عنوة، بالحزم والقوة. ولد في مدينة «قتر» من أعمال حراز باليمن، سنة ٤٠٣هـ. شافعي المذهب. ونشأ «عليّ» في بيت علم وسيادة، فقيهاً، تواقاً للرياسة. قتله سعيد الأحول بثأر أبيه سنة ٤٧٣هـ.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/ ٤١١ ـ ٤١٥ واللطائف السنية ـ خ. وسير النبلاء ـ خ. المجلد الخامس عشر. وبلوغ المرام ٢٤ وفيه: «الصليحي، نسبة إلى الأصلوح، من بلاد حراز باليمن». وشذرات الذهب ٣: ٣٤٦ وأعلام الإسماعيلية ٤٠٢ ـ ٤٠٧ وتاريخ اليمن لعمارة ٥ وكشف أسرار الباطنية ٤٢ والذهب المسبوك، للمقريزي ٣٥ وفيه وصف الصليحي بأنه «أحد ثوار العالم»، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٣٢٨.

من كل من هو للفتى متعصب ... بالتاج غاز بالجيوش مظفرِ
تعنو الوجوه لسيفه ولرمحه ... بعد السجود لتاجه والمغفرِ
يا رب مفتخر ولولا سعينا ... وقيامنا مع جدّه لم يفخرِ
فافخر بقحطان على كل الورى ... فالناس من صوفٍ وهم من جوهرِ
وخلافة الخلفاء نحن عمادها ... فمتى نهمُّ بعزل وال نقدرِ
مثل الأمين بن الرشيد وفتكنا ... بها ومثل ابن الزبيري والقسوري
ويكرهنا ما كان من جهّالنا ... في قتل عثمان ومصرع حيدرِ
وإذا غضبنا غضبة يمنيّة ... قطرت صوارمنا بموت أحمرِ
فغدت وهاد الأرض مشرعة دماً ... وغدت شباعاً جايعات الأنسرِ

وقد أجاد الشعر على ضلاله فيه الجواب للداعي الحسن بن إدريس المذكور:

نشوان مفتخر بقحطان على ... عدنان جهلاً بالعلا والمفخرِ
ذكر التبابعة الثمانين الأولى ... ملكوا البسيطة برهة من حميرِ
أو ليس قد ملكتهم الأحبوش في ... أيام أبرهة الشقيّ الأبترِ
لولا ملوك الفرس ما برحوا لهم ... خولا ولو اغفلت قصّة وهَزرِ
ومننت بالأنصار إذ نصروا الهدى ... والمنّ لله العليّ الأكبرِ
أترى المهيمن خاذلاً لنبيّه ... وتقول لولا نصرهم لم يظهرِ
والله مظهر دينه ونبيّه ... وعداً عليه برغم أنف المفتري
وممدّه بملائك ومهاجر ... وبحمزة أسد الإله وجعفرِ
وقضية الخلفاء لا تفخر بها ... إن كنت ذا لبٍّ وعقل فاقصرِ
أمنوا وزارتهم فخلّوا أمرهم ... لعبيدهم طمعاً وما من منكرِ
كبرت نفوسهم على ساداتهم ... من كل أروع كالهزبر غضنفرِ
وتملّكوا لبني بويه وديلم ... ولترك ياجوج وقوم البربرِ
بئس البديل بها وبئس فخر من ... يبغي الفخار وإن بذلك فالخَرِ
وزعمت أن بالكره منكم ما جرى ... من فعل جاهلكم بغير تبصّرِ
فخرجْت شرّ تهكّم بشماتة ... في أمر عثمان كأن لم تشعِرِ
إن الزبير وإن طلحة ألّبا ... ذاك الحصار وسل عليماً يخبرِ
لولا مهاجرة النبي وفتكهم ... وقيامهم في أمره لم يحصرِ

وشـركـت أشـقـاهـا بـمـصـرع حـيـدرٍ فـكـسـبـت خـزيـاً دائـمـاً فـي الـمـحـشـرِ
وكـفـى لـعـدنـان بـأحـمـد مـفـخـراً وبـأهـلـه أهـل الـتـقـى والـكـوثـرِ

وما أقصر في الردّ عليه فإنه أحمق بلغ من عصبيّته لحمير إن عرّض برسول الله ﷺ حيث قال: «يا ربّ مفتخر...» فاعتقد الأحمق أن لولا الأنصار وهم من اليمن لما أظهر الله دين نبيّه، وكان لا يفتخر عليه هذا الشريف الذي افتخر بجده فخرج عن الإسلام لهذا المعتقد، وهل أغنت الأنصار رحمهم الله تعالى يوم حنين؟ وإنّما ثبت مع رسول الله ﷺ بهاليل فهر من بني عمّه كعلي والعباس وأبي سفيان بن حرب[1]، ولا يخفى أن الأنصار وغيرهم إنما عزوا به ﷺ بعد الهوان حتى تحكموا في ملوك فارس والروم، فكيف يحل لمسلم أن يقول لولا اليمن ما ظهر دينه ولا كان ونحن إنّما عهدنا حمير باليمن رعيّة أذّل من عير الحي والوتد، والظاهر من قبل هو ما يشاهدوه أعجز الناس عن القتال، وبذلك قهرهم السودان حتى استنقذتهم عسكر الفرس وهم ثلثمائة أسير كانوا بالسجن وحمير أمم لا يحصون ثم ملكهم أولئك الثلثمائة حتى جاء الإسلام وخافوا رسل النبي ﷺ فبادروا إلى الإسلام طوعاً وخوفاً من دولة الفرس وتعزوا بالنبي العدناني، ومن العجائب أن قبائل اليمن الذين بالشام قاتلوا مع بني أمية وليسوا من الملك في العير ولا في النفير، ومع ذلك ينصرون الباطل، ولما حارب مروان بن الحكم باليمانية زفر بن الحارث الكلابي القيسي ومعه قيس عيلان في طاعة ابن الزبير كان مروان ينشد والرؤوس تتطاير كالمتعجّب من تسخيرهم لملك غيرهم:

ومـاذا لـهـم غـيـر حـيـن الـنـفـو س أي غـلامـي قـريـش غـلـب

يريد أنهم يقتلون أنفسهم لملك قريش، وذلك يوم مرج راهط.

وقا أبو العلاء المعري وهو قضاعي حميري:

لـتـذكـر قـحـطـان آثـارهـا وتـزهـو بـأمـلاكـهـا حـمـيـرُ
فـعـامـل كـسـرى عـلـى قـريـة مـن الـطـف سـيّـدهـا الـمـنـذرُ

يعني به والد النعمان بن المنذر.

---

(١) في الأصل: «ابن الحارث» وما صوبناه من المراجع الأخرى.

وقال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في «الجليس الصالح»: حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، ثنا السكن بن سعيد، ثنا يحيى بن عمارة، عن الحسن بن موسى الأنصاري، رفعه إلى القاضي زياد بن عبد الله الحارثي وكان أميراً على المدينة في أيام المنصور قال: خرجت وافداً إلى مروان بن محمد في جماعة ليس فيهم يماني غيري، فلما كنّا ببابه دفعنا إلى ابن هبيرة وهو على شرطته وما وراء بابه، فتقدم الوفد رجلاً رجلاً كلهم يخطب ويطنب في أمير المؤمنين، وابن هبيرة، فجعل يجثهم عن أنسابهم فكرهت ذلك وقلت: إن عرفني زادني ذلك عنده شرّاً، فكرهت أن أتكلم، فأطنب، فجعلت أتأخر رجاء أن يملّ كلامهم فيمسك إلى أن لم يبق غيري، ثم قدمت فتكلمت بدون كلامهم وإني لقادر على الكلام، فقال: ممّن أنت؟ فقلت: من أهل اليمن، قال: من أيّها؟ قلت: من مذحج، قال: إنك لتطمح بنفسك، اختصر، قلت: من بني الحارث بن كعب، قال: يا أخا بني الحارث إن الناس يزعمون أن أبا اليمن قرد، فما تقول في ذلك؟ قلت: وما أقول أصلحك الله الحجة في هذا غير مشكلة، فاستوى قاعداً، قال: وما حجّتك تنظر إلى القرد أبا من يكنى؟ قد كان أبا اليمن فهو أبوهم، وإن كان يكنى أبا قيس فهو أبو من كني به، فنكس ونكت بظفره في الأرض، وجعلت اليمانية تعض على شفاهها تظن أن قد هويت، والقيسية تكاد أن تزدردني ودخل بها الخاصة على أمير المؤمنين، ثم قام ابن هبيرة فدخل، ثم لم يلبث أن خرج، فقال الحارثي: فدخلت ومروان يضحك، فقال: إيه عنك رعن ابن هبيرة، فقلت، قال: كذا، فقلت: كذا، فقال: وأيم الله لقد حججته، أو ليس أمير المؤمنين الذي يقول:

تمسّك أبا قيس بفصل عنانها ... فليس عليها أن هلكت ضمانُ
فلم أرَ قرداً قبله سبقت به ... جياد أمير المؤمنين أتان

قال زياد: فخرجت، فاتبعني أبو هبيرة، فوضع يده بين منكبي ثم قال: يا أخا بني الحارث والله ما كان كلامي إيّاك إلاّ هفوة، وإن كنت لإباء بنفسي عن ذلك، ولقد سرّني إذ لقنت عليَّ الحجة ليكون ذلك أدباً فيما استقبل، وأنا لك بحيث تحب، فاجعل منزلك عليَّ، ففعلت فأكرمني وأحسن نُزلي.

قال أبو بكر بن دريد: والبيتان ليزيد بن معاوية، وذلك إنه حمل قرداً على أتان وحشيّة فسابق بينهما وبين الخيل.

ومما ظهر به ضلال نشوان في استهانته برسول الله ﷺ إنه قال من أبيات له:

مهلاً قريش فكل حيّ هالكٍ	أظننتم أن النبوة سرمدُ
منكم نبي قد مضى لسبيله	وقضى فهل منكم نبي يعبدُ

وكان قد أحدث مذهباً جوّز فيه إمامة حمير، ثم ادّعى أنه إمام مسخّر به، وقيل أنه ادّعى في حمير، وقيل كان يصوّب اليهود وله ميل فيهم، ويقوّي ذلك استهانته بسيد البشر مثلهم وفيه قيل:

نشوان شيعيٌّ إذا ستّرته	فإذا كشفت قناعه فيهودي

نعم، بلى بإشراف ليستلهم طبقته في الشعر أثاروا حفيظته حتى قال ما قال وأنحل والعياذ بالله.

وكان من محاسن اليمن في علم اللغة والنسب والشعر والأصول. وله مصنفات، وكان معدوداً من الزيدية أولاً، ثم صار خارجياً، ثم قارب الردّة وارتّد، نسأل الله حسن الخاتمة، ولولده كتاب أيضاً في اللغة، كتاب نافع مشهور أشار نشوان في قصيدته المذكورة إلى أن أهل اليمن قتلوا الخلفاء ونقلوا وأردت أن أبيّن ذلك للفائدة.

عثمان بن عفّان بن أبي العاص الأموي الخليفة، تسوّر عليه الدار عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران التجيبي فقتلاه يوم الدار.

البلوي، نسبة إلى بلى، بفتح الموحّدة وكسر اللام: حيّ من قضاعة ينزلون وادي القرى.

والتُجيبي، بضم المثناة الفوقية وكسر الجيم وإسكان المثناة التحتية وبعد الباء الموحدة ياء النسبة، وتُجيب حي من كندة وهم من قحطان.

وكان الاثنان من جند مصر.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي، غيلة.

ومراد من مذحج.

ابن الزبير: حاربه الحجّاج وتولّى قتله كلب والسكون وجذام وعسكر عبد الملك وهم جميعهم من قضاعة وغسّان والجميع يمانية.

الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتله عبد السلام السكسكي وهو كندي، وألب عليه يزيد بن خالد القسري قبائل اليمن من عسكرهم، وذلك منادي إدبار دولتهم.

الأمين بن هارون الرشيد الخليفة واسمه محمد قتله طاهر بن الحسين الخزاعي، وخزاعة من قبائل اليمن.

وللداعي الحسن أشعار، واكتفيت بما ذكرت من جوابه لنشوان وهو منسوب بصيغة اسم الفاعل إلى الدعوة الإسماعيلية وهم فرقة من الشيعة ظهر مذهبهم بعد موت الإمام جعفر الصادق، فمن تبع موسى بن جعفر فهو الإمامي، ومن قال إن النص سبق لإسماعيل بن جعفر فهو إسماعيلي.

وصفة الدعوة كما ذكر المقريزي في الخطط: إن الداعي كان يقول لمن يأخذ عليه العهد: جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمّة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذ على النبيين من عهد وميثاق إنك تسترجع ما سمعته وما تسمعه وعلمته وما تعلمه وعرفته وما تعرفه من أمري وأمر القيم بهذا البلد لصاحب الحق الإمام الذي عرفت إقراري به ونصحي لمن عقد ذمّته وأمور إخوانه ونصحائه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا ومخالفين لمن خالفه من الذكور والأناث والصغار والكبار، فلا تظهر من الأشياء قليلاً ولا كثيراً، ولا شيئاً يدلّ عليه إلاّ ما أطلقت لك أن تتكلم به وأطلقه لك صاحب الأمر المقيم بهذا البلد، فتعمل من ذلك بأمرنا ولا تتعدّاه، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة بحقّها، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله، وتوالي أولياء الله وتعادي أعداء الله، وتقول بفرائض الله وسنّته وسنن نبيّهﷺ ظاهراً وباطناً وعلانية وسرّاً وجهاراً، فإن ذلك مما يؤكد هذا ولا يبطله ويوضحه ولا يعجمه، كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيّون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين على الشرائط في هذا العهد، جعلت على نفسك الوفاء بذلك وكلما تملكه في الوقت الذي تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة، وكل امرأة تتزوّجها إلى حين وفاتك فهن طوالق ثلاثاً، وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهم عليك حرام، وكل ظهار فهو لازم لك، وأنا

المستحلف لك لإمامك وحجّتك، وأنت الحالف لهما.

قال المقريزي: ولهم وصايا كثيرة مع الإيمان، تركناها خوف التطويل[1]

ووادي ضهر: محل بينه وبين صنعاء أربعة أميال وفيه الكرم الجيّد والأشجار المليحة، وبه عين غزوة.

وهمدان: بطن من بني همدان الأكبر من بني حاشد، وهم إسماعيلية.

والأنف: بفتح الهمزة وإسكان النون بعدها فاء، والله أعلم.

[٥١]

القاضي، الحسن بن أحمد الحيمي الأصل، الشبامي، صاحب رحلة الحبشة، الكاتب الأديب(*).

فاضل أشرق بدره في الأرض الداجية، وأحاطت به الفضائل كالهالات من كل ناحية، حام في بلاد السودان بعزم سام، فما رأى شبيهه يمن ولا شام، وله شعر كالروض إذا نسم، وقريحة مطلقة تقيد الصفدي، ويخجل بحرها الغيث الذي انسجم، وكان من الأعيان بالدولة القاسمية والكتاب والنبلاء.

سافر إلى أرض الحبشة، وقال في الكتاب الذي ألّفه في عجائب تلك البلاد: إن سبب إرساله إلى الحبشة إن ملكها واسمه بلغتهم مجد فاسداس من سجد تيتنوس، قال: ومعناه، كثير السجود.

ووجه إلى الإمام المريد بالله بن المنصور سنة اثنتين وخمسين وألف رسولاً ومعه هدية تليق بحاله، وكان الرسول من مسلمي الحبشة لأنهم نصارى، والتمس في كتابه أنه يحب وصول بعض خواص الإمام ليفيض إليه سراً، ويضن به عن الوسائل، فصرف المؤيد رسوله إليه مكرّماً بأضعاف هديّته، وكان التمس من المؤيد شيئاً من الخيل العراب والأتراس، كما ذكره الشرفي، والكتاب في غاية

---

(١) الخطط المقريزية ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٣٤ باختصار.

(*) ترجمته في:

البدر الطالع ١/ ١٨٩، الاعلام ط ٤/ ٢/ ١٨٢.

اللكنة والخلوّ من الفصاحة، فغاب الرسول سنوات ثم عاد بكتاب آخر من الملك يستحث الرسول، فلما بلغ أطراف الحبشة جاءه خبر وفاة المؤيد وقيام أخيه المتوكل مقامه، فراجع السلطان، فأمره أن يدخل إلى اليمن بكتابه، فدخل وواجه المتوكل بشهارة سنة سبع وخمسين، فطمع الإمام في إسلامه، إذ سئل وصول رسول ولم يرَ أكمل من القاضي المذكورفأرسله إليه ومعه هدية، وسار من اليمن في التأريخ المذكور وسلك من المخا في البحر إلى بندر بيلو وهو من جزيرة زيلع وقاسى أهوالاً حكاها، ومنها المخافة من الطائفة القالة وهي أفتك أمم السودان، وهم كالبادية للحبشة، والحبشة منهم في بلاء وخوف، وهم ينتهبون أولادهم ويقتلونهم ولا دين لهم رأساً.

وذكر في الرحلة: أنه رأى نهراً عظمياً بالحبشة، فسأل عنه فأخبروه أنه نيل مصر، ويسمّونه النيل.

قلت: هذا مصداق من قال منبعه من جبل القمر.

ورأى خط الاستواء، وإن زيادته بما تمدّه السيول والأمطار المتوالية ببلاد الحبشة في أيام الزيادة بمصر، وهي من أول الصيف حتى تنزل الشمس السرطان.

وذكر القاضي: أنه وصل إلى مدينة ملك الحبشة يوم الحبشة سلخ صفر سنة ثمان وخمسين وألف، ووصف أرضهم بالخصب الزائد، وكثرة الحنطة والعسل والغنم والسمن، وإن فيها جبالاً فيها أمم منهم تعرف الأمة بالقلاسة، واسم الجبل سمين كتصغير سمن أولوا شوكة، إنما يؤدون الخراج إلى ملك الحبشة بالمدارة لمنعة بلادهم وشجاعتهم، وألوانهم إلى البياض، فيهم جمال، وإن هذه الجبال باردة جداً حتى أن الماء في بعضها يجمد شتاء وصيفاً، وذكر أنه في كل عام يأتيهم قسيس من البطرك المعظم الذي بكنيسة القيامة بالقدس فيأخذون عنه أحكام الدين، ويأخذ النذور التي للقيامة وغيرها، ثم ينصرف بعد العام ويأتي آخر هكذا أبداً، ورسالته هذه شاهدة بفضله وهي ممتعة.

ومن شعره مما أورده في الرسالة ونظمه في بلاد الحبشة:

من لقلب ولطرف ما هجعْ	ولصب لم يزل خلف الوجعْ
ولمحزون نأى عن داره	وعن الأحباب كيف المرتجعْ

كـل يـوم ولـه مـن هـمّـهِ مـا أطـار الـنـوم عـنـه وودعْ
وأشـاب الـرأس مـن أهـوالـه وتجافى الجنب طيب المضطجعْ
أنـكـرت عـيـنـيَّ مـا تـألـفـه فـتـحـلـى بـالـجـلا بـعـد الـضـلـعْ
ولـقـد زاد فـؤادي وَصَـبـاً مـا رأت عـيـنـاي مـن أهـل الـبـدعْ
صـرت فـي أرض قـلـيـل خـيـرهـا وكـثـيـر الـشـرّ فـيـهـا يـصـطـنـعْ
أهـلـهـا صـنـفـان إمـا فـرقـة فـنـفـت خـالـقـهـا مـع مـا صـنـعْ
جـعـلـت ربـاً نـبـيـاً مـرسـلاً جـاء بـالـصـدق وبـالـحـق صـدعْ
ثـلّـثـوه وهـو رب واحـد جـلَّ عـن ذلـك ربّـي وارتـفـعْ
لـم يـلـد كـلّا ولـم يـولـد ولا أحـد شـاركـه فـيـمـا صـنـعْ
قـهـروه وهـو ربّ قـاهـر بـطـل الـوصـف بـهـذا وانـدفـعْ
وزعـمـتـم ذاك فـيـمـا بـيـنـكـم كـيـف ربّ ظـلـمـوه مـا مـنـعْ

في آخر هذه الأبيات إشارة إلى أبيات أبي العلاء في إلزامه لعبّاد المسيح صلوات الله عليه، إلاّ أن القول بما فيه طمع لا ينبغي إطلاقه على المسيح عليه السلام وما أنزه عبارة كتاب الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1] وأمه صدّيقة، كانا يأكلان الطعام فتأمل قوله: «ابن مريم» فإنه حجة لأنه قوّة قولك حدث من امرأة بعد أن لم يكن وكل ما ذلك شأنه فهو محدث، ثم مدح أمه البتول بالصّديقة ويأكلان الطعام أما أن يكون صريحاً لأن آكل الطعام ليس بربّ لاحتياجه إليه، أو يكون كناية وهو أبلغ، يعني أنهما يحتاجان إلى ما يحتاج إليه الناس من الخلاء، فبلاغة الكتاب العزيز مما تحيّر العقول، وتصيّر كل فارس في ميدان الفصاحة صعب المرام وهو ذلول، ومن هذه القصيدة لأنه رأى ثمة مسلمين جهالاً:

ورأيـنـا فـرقـة ظـالـمـة تـركـب الـفـحـش وتـأتـي بـالـقـذعْ
تـدّعـي الإسـلام لـكـن مـادرت شـارع الإسـلام مـا كـان شـرعْ
تـنـظـر الـمـنـكـر فـي سـاحـاتـهـم وعـلـيـه الـنـاس جـمـعـاً وجـمـعْ
لا يـرى الـرحـمـن مـنـهـم طـاعـة سـيّـمـا الاثـنـيـن وايـام الـجـمـعْ

ومنها:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

يا بني المنصور أنتم عصبة	أسد حرب ليس يثنيها الجزعْ
فانصروا الداعي منكم وانظروا	يوم بدر ثم ردوه جدعْ
فالذي قام به والدكم	وحيال الكفر فيه قد صدعْ
والفتى إن يتّبع والده	فهو شيء لم يكن بالمبتدعْ
جاهدوا الكفّار في الله فقد	شمت برق النصر عن ذاك لمعْ
أنتم السادة من كل الورى	ورؤوس الناس في الحق تبعْ
أنتم كالشمس مثلاً قاله	جدكم والشيعة امثال القزعْ

وهي طويلة مطبوعة.

وأورد لنفسه غيرها في رحلته، وذكر أن المطر يقيم ببلاد الحبشة أربعة أشهر في السنة مطبقاً.

قلت: وذلك فصل الصيف جميعه، وشهر من فصل الخريف وهو أيلول، فقد بان بذلك إن زيادة النيل بأمطار الحبشة لأن الزيادة تبتدىء بأول الصيف ثم لا تزال تتناهى إلى آخر أيلول كما ذكرناه سابقاً.

قال القاضي: بأنه تواتر له أن ناراً عظيمة تقع من السماء في كل عام في أيام المطر هناك فتحرق جميع ما تنزل عليه كالقرية والبلدة الواسعة وليست بالصاعقة المعروفة ذات الصوت، وهو جدّ القاضي الأديب خطيب شبام أحمد بن محمد المذكور في الهمزة[١].

وبيلوا، بكسر الموحّدة وإسكان الياء المثناة من تحت وبعد اللام المضمومة واو: مرسىً بناحية براري السودان، وهذه البلاد مع الحبشة في الإقليم الأول.

قلت: لا يشك أحد علم جغرافيا إن دورة كرة الدنيا أربعة وعشرون ألف فرسخ، وهذا قطعي عندهم برهن عليه موسى بن شاكر في أيام المأمون، فزعم الكياني أن للسودان اثني عشر ألف فرسخ، وللروم ثمانية آلاف، ولفارس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف فرسخ، والظاهر أنه أدخل البربر والهند والسند وجزائرهما في السودان لأنهم منهم، وأدخل الأفرنج والصقالبة والروس في الروم لأن بلادهم متجاورة، وأدخل الصين والترك وياجوج ومأجوج في فارس لتجاور

---

(١) ترجمة المؤلف برقم ٢١.

البلاد، وفي دعواه نظر، فقد قسمت الأوائل المعمورة إلى سبعة أقاليم فدلت قسمتهم على إتساع فارس وما يليها. والله أعلم[1].

[٥٢]

السيد أبو أحمد، الحسن بن المطهّر بن محمد الحسني الجرموزي[*].

فاضل أدرك ما أعيا الشمس بالدوران، واشتهر اشتهارها لكن بالميزان، لم تعقد الأصابع إلاّ على علمه إذا فاض نيلاً، ولم يحل الحبا لغير جلاله عقيراً أو جليلاً، عانقته السعادة على شماسها وكادت الشمس أن تضعه على عينها، والجوزاء على رأسها، لو أدرك ابن الخيّاط سعادة شعره لما قال أين أين المشتري، والذي يلوح أن الوليد كان يتطاول إليه فلما قصر لقب بالبحتري.

قال ولده شمس الدين أحمد بن الحسن[2] فيما جمعه من فضائل أهله، في حق والده المذكور: وكان ممن برع في العلوم، ومهر في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه وقرأ الحديث والتفسير، ومشايخه: القاضي محمد بن إبراهيم السحولي الخطيب، والقاضي الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحيمي واحد عصره في علم العربية والكلام والحديث، والقاضي علي الطبري المعروف بالوحش وغيرهم من علماء صنعاء، وبعد أن اتصل بالإمام المتوكّل لم يبرح ملازمة القراءة عليه وعلى قاضي حضرته القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري[3] ثم تنقّل في الولايات كحران أولاً والمخا آخراً، وهبّت عليه ريح الإقبال.

---

(١) في هامش ب: «ووفاة الحيمي ـ صاحب الترجمة ـ في ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وألف».

(*) تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ١٢.

ترجمته في:

البدر الطالع ١/ ٢١٠، نفحات العنبر ـ خ ـ، نشر العرف ١/ ٥٠٥ ـ ٥٠٩، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٢٢٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٤.

وله مؤلفات منها: «نظم الكافل في أصول الفقه»، و«شرح نهج البلاغة خطب علي عليه السلام» ولم يتم.

وكانت ولادته بعتمه سنة أربع وأربعين وألف.

قال: وله نظم أرّق من النسيم، وأبهى من العقد النظيم، في قلائده التي تتجلى بها لبة الزمان، وخرائده التي جرت ذيول التيه على حسان ما كتبه إلى القاضي محمد بن إبراهيم السحولي:

حتام تنهلّ المحاجرْ	وإلى م اغدو الدهر ساهرْ
ويصدني ريم الفلا	ة أما لذاك الصد آخرْ
لا تعجبوا من فتنتي	بمملك في الحب جائرْ
فالجفن منه والقوا	م اللدن فنان وساحرْ
أو ما ترون خدوده	بدمي أقرت وهو ظاهرْ
وترون في الثغر الأنيـ	ـق سموط درّ بل جواهرْ
يهدين كالمصباح مهـ	ـما جرت في ظلم الدياجرْ
وتبين (أسرار البلا	غة) في البيان لكل ناظرْ
فعلمت أن (دلائل الإ	عجاز) من تلك المحاجرُ
مذ صدني جرت الدموع	على الخدود من النواظرْ
فبوجنتي غدرانها	وعلى الخدود له غدايرْ
وحكت دموعي المعصرا	ت فدمعها هام وهامرْ[1]
والجمر في كبدي وفي	وجناته زاه وزاهرْ

وهي طويلة اختصرتها وفيها رقّة، وإحاطة فإنه لازم لا يتعدى إلاّ بعن فاستعمله فيها متعدياً بنفسه.

وله قصيدة على روي فائية ابن قاضي ميله المشهورة التي مدح فيها يوسف ملك صقليه، وهذه التي للمذكور مدح فيها مخدومه المتوكل على الله وأوّلها:

لك الخير دعني أيهذا المعنّفُ	ونفسي فمنك النصح قول مزخرفُ
بسمعيَ عن العذال وقر فلم يصخ	وقلبي عصيّ عنهمُ متأنفُ

---

(١) نشر العرف ١/٥٠٧.

أإن شممتني ذا لوعة وصبابة ... ودمعي على الخدين هام يكفكفُ
حسبت بأني هائم القلب بالدما ... ثكلت وإني بالخرائد أكلفُ

ومنها في المديح:

إذا قال فالدر الثمين جنادل ... وإن صال فالشم الشواهق ترجفُ
قرا اقتربت أعداؤه فتلا لهم ... إذا جاء نصر الله والفتح مرهفُ
وكم صنعوا من إفك أسحارهم له ... وألقوه لما جمعوه وألفُوا
فألقى إليهم عزمه متوكلا ... فكان عصى موسى له تتلقفُ[1]

وهي مشهورة.

ومن شعره في الزئبق:

أنظر إلى الزئبق الأنيق وقد ... أبدع في شكله وفي نمطه
كمثل قنديل فضة غرست ... شموع تبر تضيء في وسطه

❀ ❀ ❀

وقصيدة ابن قاضي ميله من مختار الشعر، وقد وازنها جماعة.

ولي أيضاً من قصيدة عليها:

متى يسعد المشتاق هذا المهفهفُ ... ويعصي اللواحي في هواه ويسعفُ
ومن لشيخ ما راعت الأسد قلبه ... وقد صاده ظبي الجمال المشنفُ
أغنّ ثنى تيه الشباب عنانه ... عن الوصل يوماً والرقيب المزخرفُ
وهان عليه أن أبيت مسهّداً ... سميراي: شوقي نحوه والتأسفُ
أنادم فيه الفرقدين كأنني ... أخو الأزد إلاّ أنه منه أعنفُ
يعنّفني الواشي عليه وإنّما ... يشبُّ غرامي بالملام المعنِّفُ
يقول ألا ترثا لدمعك سائلاً ... وقلبك يحكي قرطه حين يرجفُ
وجسمك أمسى ناحلاً مثل خصره ... وكاد هواك الجسمّ للردف يردفُ
فقلت له: قف لي لتسمع قصتي ... وتدري بعذريّ الغرام وتعرفُ

---

(١) نشر العرف ١/٥٠٧ ـ ٥٠٨.

جلى لي زهر الوجنتين فأمطرت جفوني عليها ما ترا تتوكفُ
وما خفق القلب الجليد لذلّة وهذا سواد الشعر في الصدغ يرجفُ
ولكنني للميل نحوك لحظة وقد جئتني متنضّحاً أتخوّفُ
وأما نحولي فهو أقوى لصبوتي وأمضى سيوف الهند ما هو مرهفُ
أغالطه فيه ولولا ترقّبي لعطفته بعد الجفا كنت أتلفُ
وأبرح منه بالفؤاد حمامة على فنن يحكيه في اللين تهتفُ
أساعدها علماً بأن حنينها كمثليَ لمّا بان من هي تالفُ
بكينا جميعاً وهي ضنّت بدمعها وأما جفوني فهي تذري وتذرفُ
ولم تكسني وجداً ولكن رحمتها لعجزيَ عن حمل الهوى وهي أضعفُ
خليليَّ هل أبصرتما قط مشبهي محبّاً يواسي بالدموع فأعرفُ
وبي بث يعقوب وأرجو تخلّصي بخير ومعروف إذا شاء يوسفُ

❀ ❀ ❀

رجع إلى ذكر السيد ومدحه أيام ولايته المخا جماعة من أعيان الشعراء منهم الشيخ إبراهيم الهندي وجماعة من شعراء البحرين وعمان، وتولّى المخا سنة إحدى وثمانين وألف بعد عزل السيد زيد بن علي بن جحاف، وكان فيه مسّاك مع اتساح المجال في ذلك الزمان للعمال وعدم التقضي من الدولة.

قال ولده السيد أحمد بن الحسن في كتابه: وأرخ نزوله إلى المخا، القاضي علي بن صالح بن أبي الرجال نظماً كعادة المتأخرين، فقال من أبيات:

ورعى لسان الحال فيه مؤرخاً:

(ملأ المخا عدلاً بمولاه الحسن) ١٠٨١ هـ

وكان قبل نزوله قد أرسىٰ بساحل المخا جماعة من الأفرنج فاندفعوا بتدميره بعد الخوف من شرّهم.

وكتب إليه القاضي الشرفي الحسن بن علي بن جابر[1] الذي مرَّ ذكره الحالي مبادياً:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

يا ابن الأئمة من أبناء فاطمة ... وخير آل النبي المختار خير نبي
يا خير من رقمت طرساً أنامله ... وأكرم الناس من عجم ومن عربِ
لله من ماجد حاز العلا فعلى ... في المكرمات فجاز المجد وهو صبي
ولم يزل همّه العليا يشيدها ... وهمُّ أترابُه في اللهو واللعبِ
إن هز أقلامه قالت أنامله ... تبت غصون الربى حمالة الحطب
لا زلت تنظم أسلاكاً منضدة ... كما تجود على العافين بالذهبِ[1]

سلام تقطر الأرجا بعرفه ونشره، وتتحيّر ألسنة البلغاء في وصفه وحصره، عنهم الحضرة العالية والمقامات السامية، حضرت من هطلت بجزيل الرغائب بنانه، وأسس على المكارم والتقوى بنيانه:

شرف الهدى من فاق أرباب العلى ... كالبدر في أفق المكارم ساريا
أروى المهنّد من نحور عداته ... يوم القراع فليس يوجد ضاحيا
وروى اليراع مكارماً عن كفه ... فكلاهما بيديه أضحى راويا

ومنها: والمملوك مرتقب لجوابه قد تضاعف شوقه وتزايد الجوى به فراجعه بقوله:

أمن لآلٍ تصوغ النظم أم ذهبِ ... أم من رحيق تعالى الله أم ضَرَبِ
هل تلك روضة حسن جادها غدق ... فحف دوحاتها بالزهر والقضبِ
أم تلك جنة عدن قد أتيت بها ... تجلو النواظر أم عقد من الشهبِ
أم تلك غانية بالحسن غانية ... عن التحسن جاءت بابنة العنبِ
جاءت تبختر في حِلْي وفي حُلَلٍ ... وتخجل البدر أن تبدو من الحجبِ
أهانت الدرّ حتى ماله ثمن ... وأرخصت قيمة الأشعار والخطبِ
سقياً لها دمية لو أنها نطقت ... لبثُّ أنشدها من شدّة الطربِ
نفسي الفداء لثغر راق مبسمه ... وزانه شنب ناهيك من شنبِ
يفتر عن لؤلؤ رطبٍ وعن بردٍ ... وعن أقاحٍ وعن طلعٍ وعن حببِ
لله ناظمها، لله راقمها ... يا للعجائب كم أبدى من العجبِ[2]

---

(١) نشر العرف ٥٠٨/١، لم أعثر عليها في ديوان الهبل.

(٢) نشر العرف ٥٠٨/١ ـ ٥٠٩.

الثلاثة الأبيات التي قبل الآخر من شعر ابن الخيّاط الدمشقي[1] الشاعر المشهور، وهو مما أورده الإمام أبو محمد الحريري في المقامات، ولفظ «تعالى الله» في أوّلها حشو لا معنى له، لأن السياق جميعه في التعجّب مما ورد، ثم عقّب أبياته بهذا النثر فقال:

وما خلت أن الكواكب المضيئة تنضد في الطروس، ولا حسبت بأن زهور الربى النديّة تصوّر غرّة في وجه هذا الدهر العبوس، ولا بان مدامتها القطر بليه تثير في القلب حرب داحس والبسوس، ولا ظننت بأن الرياض الأنيقة كل وجوه المهارق، ولا بان الشموس على الحقيقة تبدو إلاّ من المشارق، ولا بان بنات الأفكار يقال لها:

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا　　　محيّاك أخفى نوره كل شارقِ

ولا بان السحر يبرز للعيون جهاراً، ولا بان الشعر يدع الناس سكارى:

حتى أتانيَ نظم حار فهميَ مِنْ　　　ما قد حواه وما قد حاز من أدبِ
درّ يلوح، بلى مسك يفوح، بلى　　　بدر يلوح[2]، ويغدو غير منتقبِ

فإنه صيّر ذلك التصوّر لدي محسوساً، واطلع بطلعته سعوداً وأفل نحوساً، وخول نعما جمّة وأذهب بوساً، صيّر الليالي بيضاً بمقاطعه السود، وأخجل بعيونه الكحيلة عيون الرود، وكتب على سطر الكتائب والجنود، وصيّر لبيداً أبلد، وخلّف طرف طرفه مسهّد، وسحب ذيول الحيا على سحبان، وترك الهندي باقلاً، فما ظنّك بحسّان:

أبدى عجائبه، أهدى غرائبه　　　رب الفضائل حادي المجد عن كثبِ
لا زال في أفق العلياء بدر هدىً　　　مسلّماً آمناً في أرضع الرتبِ

---

(١) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبي المعروف بابن الخياط الدمشقي. ولد بدمشق سنة ٤٥٠هـ. كان كاتباً، وشاعراً بلغ الذروة في النظم. أخذ الأدب عن أبي الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور. مدح الأعيان والأمراء والملوك. طاف البلاد، ورحل إلى إيران. توفي سنة ٥١٧هـ. من آثاره ديوان شعره.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ١/١٢٧، النجوم الزاهرة ٥/٢٢٦، شذرات الذهب ٤/٥٤، العبر للذهبي ٤/٣٩، كشف الظنون/٧٦٥، مقدمة ديوان ابن الخياط لخليل مردم، أنوار الربيع ٤/هـ ١٢٧.

(٢) في هامش ب: «يروح».

قلت: هذا السجع أفصح مما رأيته لأخيه ضياء الدين جعفر[1] الذي قرظ به سمط اللآلي، ولا سيما آخر هذا فإنه انسجم وتناسب إلاّ قوله: «درّ يلوح بان إلى آخره»، فلو أعفى القاضي شرف الدين عن[2] هذا البلد المردد لكان أولى له، وإلاّ قوله: «وما ظننت بأن السحر يبدو للعيون جهاراً» فلا معنى له لأن القصد بالسحر أثره وهو يبدو جهاراً كثعابين سحرة فرعون وما يلوح من ألحاظ المِلاح، والبيت وهو: «سرينا ونجم قد أضاء» مما يستشهد به النحاة في مجيء المبتدأ نكرة بعد واو الحال، وليس استشهاده به بواقع في محله، إلاّ أن هذين السيدين في اعتقاد كثير أفصح كتّاب اليمن، لأن الدولة لا عناية لهم بكتاب الإنشاء، اللهم إلاّ المؤيد بالله المنصور بالله، فكان لهما مثل القاضي أحمد بن سعد الدين وهو كاتب وليست له فصاحة ابن زيدون ولا الصابي ولا عبد الحميد وابن العميد، لكنه يشحن رسائله إلى الملوك القاصين بآيات الكتاب والسنّة.

وقُطربل، بضم القاف وإسكان الطاء المهملة وضمّ الراء وضم الموحدة المشدّدة ثم لام: بلد بسواد بغداد ينسب إليها الخمر الجيّد كعكبرا وعانة.

وأبيات القاضي الحسن مما لم يذكر في ديوان شعره.

وقال ولده شمس الدين أحمد بن الحسن: وفي أيام ولاية أبيه للمخا اجتاز به عالم المدينة الشريفة السيد محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الموسوي الحسني الرزنجي الشافعي رسولاً من أمير مكة الشريف سعيد بن بركات، أرسله إلى صاحب الهند محمد أورنق ريب بن شاه خان بسبب أن السلطان محمد أرسل صدقة لأهل الحرمين فأخذها الشريف ولم يفرّقها، فغضب السلطان، ولما بلغ الشريف أرسله لاستعطافه فلم يأذن له بالوصول إلى حضرته، فعاد خائباً وشفع له بعض الأمراء فلم ينجع، وذلك في سنة أربع وتسعين وألف، واجتمع بالسيد الحسن بن المطهّر في ذهابه وإيابه، ودارت بينهما مراسلات ومشاعرة، وألف الرزنجي برسمه رسالة سمّاها: الأهتدا في الجمع بين أحاديث الأبتدا.

قلت: ذكر الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي في فرايد الرحلة: أن الرزنجي مات عائداً من الروم سنة أربع عشرة ومائة وألف تقريباً.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤١.

(٢) في هامش الأصل: «من».

قال السيد أحمد أيضاً: وفي سنة خمس وسبعين وألف أيام نيابة والده بالمخا قدم ملك ما وراء النهر أبو الفتح عبد العزيز خان بسبب أن ابن أخيه سبحان قلي خان غلب على الملك ومالت العامة إليه وأيقن عبد العزيز أن ملكه لا يعود إلاّ بحروب شديدة، فجنح إلى السلم وكان شيخاً كبيراً وقد جاوز التسعين، وقصد أن يحجّ وخرج معه نحو عشرة آلاف ممن ثبت معه وأراد صرفهم فامتنعوا لعلّتي المحبّة والرجاء، فلما وصل إلى أول مملكة شاه سليمان الصفوي قابله بإكرام لم يسمع بمثله وفرش له ولمن معه الطريق بالديباج ليمشوا عليه حتى دخل أصفهان، ثم نصحه الشاه بأن يفرق من معه لئلا يشوّش بمن يمرّ به من ضعفه الملوك فصرفهم للضرورة وفَرَّق فيهم أموالاً جليلة وأبقى نحو الألف، ثم سافر فزار وحجّ وعزم على المجاورة، ثم بدا له الدخول إلى الهند ليستنجد بسلطانه ليد كانت له عنده وهي: أن ملك الهند غزاه فتراكمت عليهم الثلوج لأن بلاد ما وراء النهر باردة، والهند حار لا يقع به الثلج، فاستسلموا فنكل عبد العزيز عن حربهم كرماً، ولو أراد استأصلهم[1] ثم أضافهم، فكان يروم الغرم بالهندي لاسترجاع ملكه وكان وروده إلى المخا في هيئة ملكية ومعه كاتب عسكر وقاضي عسكر مفتٍ لهم، فمات بالمخا وانقطع سمط أمله فرموا حشوته وطلوه بالممسكات لأجزائه ثم حملوه في صندوق إلى المدينة المشرفة بوصيّة منه فدفنوه بها.

قلت: الهند حار كاليمن وعراق العرب والحبشة ومصر فلا ينزل عليه الثلج إلاّ بلاد قشمير فهي كبلاد الجبل، أعني عراق العجم في الثلج، وإنبات الزعفران. ومادة الثلج كما ذكر أرسطو، بخارات رطبة تتكاثف في الطبقة الزمهريرية يجمّدها فرط برد الهوا فتسقط قطعاً كالبرد في البلاد الباردة.

وكانت وفاة السيد أبي أحمد المذكور أحوج ما كان إليها عند تغيّر مزاج الدهر، يوم الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة مائة وألف بصنعاء، ودفن بخزيمة، رحمه الله تعالى.

---

(١) في هامش الأصل: «الفعل».

[٥٣]

الإمام أبو محمد، الحسن بن بدر الدين الملقب المنصور بالله، أحد أئمة الزيدية الحسني.

فاضل حلى له المجد فلازمه ملازمة الظل للشبح، وورى زنده في معجز أحمد فكلٌّ شكره وما قدح، وله شعر عذب المذاق، ويستضيء بشمعته السرّاج الورّاق، وكان نبيلاً وجليلا، ومالكاً في علم الشرع ولمعرفة الشعر خليلا، وسار في أشعة ذكاه وذكاه من حار من المتقين، لما أضاء لهم في ليل الحيرة بأنوار اليقين، وهو كتاب له شرح فيه إرجوزة نظمها في مناقب الإمام علي، فأصاب بحدّه فوزه ونعم ما نشر به مناقب الوصي، وعمّ بنشره البلاد لأنه ذكي، وكان في أيام المهدي أحمد بن الحسين صاحب المشهد المزور بذيبين، مشتهر الفضل في ذلك العصر وأحد المجيبين، وله في ذلك الإمام الجليل أمداح، هي سوى وريق الجيب والراح، فمما خالج في قلبي الشغف، وحلَّ من بروج الفصاحة في الشرف، قوله:

سقيا ورعيا لدارهم ورعا ... إذا سقى الله منزلاً ورعى
يا دار حور العيون ما صنعت ... أحبابنا باللوى وما صنعا
أرقني بعد بينهم وهنا ... برق على عقر دارهم لمعا
مثل حواشي الردا ما هجعت ... عيني له موهناً ولا هجعا
وأين صنعاء من زعافة أو ... قطابر بعد ذا وذاك معا
أيعلم البرق حال ذي ولع ... صيّر ملتف قلبه قطعا
أرَبَّة الخال ما أرى كلفي ... بكم شفى غلّة ولا نجعا
لولاك يا رملة المحجر ما ... رأيت خوطا من جوهر طلعا
ولا رأينا بحلّة قمراً ... وجنح ليل وطفلة جمعا
لي عنك شغل لو تعلمين بما ... أوجبه ربّنا وما شرعا
هذا إمام الزمان أحمد بالـ ... حق وأمر الإله قد صدعا
إن قال فالدرّ لفظ منطقه ... أوصال فالليث حيثما وقعا
الصادق السابق القاتل في الـ ... مجد كما قيل في الذي سمعا
الألمعيّ الذي يظن بك الـ ... ظن كما قد رأى وقد سمعا

طاب سماحاً وعنصراً وَزَكا ... فرعاً وأصلاً فعد ممتنعا
الواهب الجرد في أعنّتها ... والضارب الهام والطلا جمعا
في مارق لو يشق ذو الرعب الـ ... ـقشعم جنبي قناته وقعا
حيث نرى البيض وهي ساجدة ... والنقع بين الصفوف قد سطعا
يا سيّد العالمين كُلّهم ... وخير من قام داعياً وسعا
أحييت ميتاً من الهدى ولو ... لاك لم ينتعش ولا ارتفعا
وكنت كالنيّرين ما طلعا ... إلاّ وطار الظلام وانقشعا
بل كنت كالليث حول أشبله ... والسيف مهمّا هززته قطعا
بل كنت كالموت للعصاة إذا ... حل على معشر فلن يدعا
لا أكذب الله إنني رجل ... وجدت خصل الكمال فيك الله قد جمعا[1]
العلم والفضل والشجاعة والـ ... ـرأي وفيض السماح والورعا

أجاد فيها وأشبه ما قلدته الغادة جيدها وما لاح في فيها، وهي أطول مما ذكرت، وما سمعت بأشعر منه ممن قام بتلك الناحية، ويلوح من خلال شعره نسيم الظرف والرشاقة، كما يجد ذلك الأديب العارف بأشعار الناس.

ولله در ابن الهبّارية إذ قال في الصادح والباغم ما كل من قال شعر، والبيتان وهما: «الألمعي الذي يظن بك الظن» وما بعده ضمّنهما من شعر أبي عبادة البحتري من قصيدة له يمدح بها الإمام المعتز بالله.

وللإمام المذكور يهنىء الإمام [المهدي][2] أحمد بن الحسين بسلامته من الحشيشية، وكان قد وثب عليه رجلان منهم طعنه أحدهما فجرحه وسلم وقتلا، قيل دسّهما عليه الملك المجاهد يوسف بن عمر ملك اليمن [الأسفل]، وقيل ذلك بإشارة الإمام المستعصم بالله العباسي:

راموك والله رام دون ما طلبوا ... وكيف يفرق شمل أنت جامعهُ
كم قبل ذلك من فتق منيت به ... والله من حيث يخفي عنك دافعهُ
عوايد لك تجري في كفالته ... لا يجبر الله عظماً أنت صارعهُ
ضاقت جوانبه وانسدّ مخرجه ... وأنت فيه رحيب الصدر واسعهُ

(١) كذا في الأصل.
(٢) ما بين المعقوفين من ب.

رداً إليه وتسليماً لقدرته فيما تحاوله أو ما تدافعهُ

وبالجملة، فكان المنصور من الأفاضل العلماء الكبار، وبويع له بناحيته بالأمامة بعد قتل الإمام الشهيد أحمد بن الحسين ممدوحه، وكان قتل الإمام أحمد ولقبه المهدي من العجائب، وذلك أن أحد أتباعه من المعتزلة العلماء واسمه الشيخ حسن الرَصَّاص بفتح الراء والصاد المهملتين بينهما ألفَ، والأول مشدّدة، وكانت له طعمة أرض من الإمام تغلُّ له شيئاً من الشعير فقبضها المهدي فغضب وأفتى القبائل بإباحة دمه وانحلال إمامته، ثم خرج عليه في الصيد وغيرهم من قبائل همدان ومعهم أولاد الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ـ الآتي ذكره[1] ـ فقتلوه وحزّوا رأسه، وداسوا شلوه بالخيل، ثم حمله بعض أشياعه إلى ذي بين فدفن بها، ومشهده مشهور مزور، ولأهل النواحي المقاربة له فيه من الاعتقاد والنذور له ما يخرج عن الحدّ.

وكان قتل الإمام أحمد بن الحسين سنة ست وخمسين وستمائة.

ومن العجب أن التتار استباحوا بغداد وقتلوا المستعصم بن المستنصر آخر أئمة العباسيين رفساً في غِرَارَه، وضرباً بالعَمد في ذلك اليوم بعينه، وإذا ثبت أنه دسَّ عليه الحشيشية فقد شربا كأس الحمام من كرمة واحدة:

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة عن نومة بين ناب الليث والظُفُرِ

❀ ❀ ❀

ووقع في شعر الإمام الحسن قطابر، ورغافه، فالأول كمساجد بالقاف فالطاء المهملة فالألف، فالموحدة فالراء، والثاني بالراء والغين المعجمة والألف والفاء والهاء كغضارة وهما بلدان باليمن من مساكن خولان حي من قضاعة.

والحشيشية فرقة من الإسماعيلية، وهم أهل قلعة الموت، بفتح الهمزة وإسكان اللام وضم الميم وإسكان الواو وبعدها تاء مثناة من فوق وهي من بلاد العجم مجاورة لاران وبلاد الديلم، وهم قوم أفرطت شجاعتهم فمتى أراد رئيسهم أرسل واحداً منهم فتزيّا بزيّ طبيب أو منجم أو صاحب كيمياء وصار إلى من

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٩٦.

يريد اغتياله من الملوك، وإن أمكنته الفرصة قتله، فإن سلم عاد، وإن قتل سلَّم الرئيس ديّته لولده، وإن كان وسيماً باعه آخر على أنه غلام أو جارية فينفذ الإرادة، ولا يستحلُّون مخالفة الرئيس، وإن تمنّع أحدهم قتله أهله، وعظمت منهم مخافة الملوك من سنة ستمائة ببلاد العجم والعراق والشام والمغرب، وربّما استهدى بعض الملوك من صاحب قلعة الموت بعضهم متى أراد اغتيال آخر، ومن قتلاهم الأمر بأحكام الله صاحب مصر، ونظام الملك وزير ملك شاه، وخلائق من الأكابر، وكان منهم بقلاع ساحل الشام عالم.

وذكر ابن خلكان، رسالة بديعة لأبي الحسين الحسن بن سنان بن راشد أحد رؤسائهم بقلاع الشام أذكرها فهي من شرط الكتاب، ولبلاغتها نظماً ونثراً، وقال فيه: كان عارفاً بقواعد الباطن وسرّ التأويل، رئيساً مطاعاً شجاعاً، وكان بينه وبين نور الدين محمود بن زنكي المعروف بالشهيد صاحب دمشق مكاتبات ومحاورات، فكتب إليه نور الدين يتهدده بسبب اقتضى ذلك فشقّ عليه ما كتب به، فكتب جوابه أبياتاً ورسالة وهما:

يا ذا الذي بقراع السيف هَدَّدَنا	لاقام يصرع جنبي حين تصرعهُ
يا للرجال لأمرٍ هال مفضعة	ما مرّ قط على سمعي توقّعهُ
قام الحَمام إلى البّازيِّ يردعه	واستيقضتْ لأسود البرِّ أَضْبُعُهُ
أضحى يسدّ فم الأفعى بإصبعه	يكفيه ما قد تلاقي منه إصبعُهُ

وقفنا على تفاصيله وجمله وعلمنا ما هدَّدنا به من قوله وعمله، فيالله من ذبابة تطنّ في أذن فيل، وبعوضة تُعَدُّ في التماثيل، ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرناها عليهم ما كانوا يصنعون، أو للحق تدحضون، وللباطل تنصرون؟ ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وأما ما صدر من قولك من قطع رأسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أمانيّ كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض، كم بين قوي وضعيف، ودنيّ وشريف؟، وإن عدنا إلىٰ الظواهر والمحسوسات، وعد لنا عن البواطن والمعقولات، فلنا أسوة

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

برسول الله ﷺ في قوله: «ما أُوذي نبي كما أُوذيت» وقد علمتم ما جرى على عترته، وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال، والأمر ما زال، ولله الحمد في الآخرة والأولى، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون، فإذا ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[1]، وقد علمتم ظاهر حالنا، وكيفية رجالنا وما يتمنونه من الفوت، ويتقربون به إلى حياض الموت، قل: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وفي أمثال العامة السائرة: أوَ للبط تهدّد بالشط؟ فاستعد للبلا جلباباً، وتدرّع للرزايا أثواباً، فلأظهرن عليك منكَ، ولأفتنّنهم فيك عنك، فتكون كالباحث عن حَتفه بظُلفه، والجادع مارنَ أنفه بكفه، وما ذلك على الله بعزيز.

فإذا قرأت كتابنا هذا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، وأقرأ أول النحل وآخر صاد[3]، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين.

قلت: ما أظن نور الدين بعد هذه الرسالة لا يصيبه داء السكتة، ويظلم ويرى أبلغ الجواب صمته، ورب قول أنفذ من صول، والله أعلم[4].

[٥٤]

السيد الحسن بن عبد الله بن مهدي بن القاسم بن مهدي بن عبد الله الحسني ثم الحَمزي الصنعاني المولد والمنشأ، الكبسي[*].

سيّد رقى بأدبه كما رقى بنسبه، ينظم من لألىء الشعر اليتيم ما لو حكوه من

(١) سورة الاسراء: الآية ٨١.

(٢) سورة الجمعة: الآيتين ٦ ـ ٧.

(٣) وفيات الأعيان ٥/١٨٦ ـ ١٨٧.

(٤) في هامش نسخة ب: «مولد الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين سنة ست وتسعين وخمسمائة هجرية، ودعوته سنة سبع وخمسين وستمائة، ووفاته في مدينة زعافة من بلاد صعدة في شهر محرم سنة سبعين وستمائة».

(*) ينتهي نسبه إلى يحيى بن أحمد بن الحسين بن الناصر بن علي بن المعتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى بن الإمام حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ﷺ.
ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، نشر العرف ١/٤٩٠ ـ ٤٩٣، البدر الطالع ١/٢٢٠.

العلّة شبهناه بالنسيم، فلو تشبه بشعره ابن نباتة لصيّره في كل واد يهيم، ولكان حظّه منه كما قال هاء وميم، من مقاطيع وصلها بالإحسان، ومواصيل يسبح لفصاحتها سحبان، مع ذكا يشتعل قبسه ويعبق بعبير الإجادة نفسه وحفظ لما وعى من الشذرات، ينسي حفظ البلابل للنغمات على الشجرات، ووفاء للصحبة لم يشبه تغيير، ولا ينبئك مثل خبير، وله حظّ في الخط، وقدرة على صعاب الحروف الهجان بالضبط، تحيّر أهل هذا الباب، أنه لم يغلقه ابن البوّاب.

وهو من بيت كبير من السادة الحسنية باليمن، وكان والده حاكماً بصنعاء وهو أحد الصلحاء الأعيان، وتوفى صادراً عن لحج ببحر جدّة في صدر دولة المهدي أحمد بن الحسن سنة تسع وثمانين وألف، قال ولده المذكور: إن ابن عم والده السيد المهدي بن الحسين الكبسي الحاكم الآن بمدينة صنعاء روى عن المؤيد بالله محمد بن المتوكل، إن السيد عبد الله بن مهدي والده كان يسأل الله أن يتوفّاه في البحر، وذلك لما يتوقّاه من هول القبر.

وقرأ الحسن المذكور عليَّ طرفاً من كتب النحو وذلك ملحة الشيخ لأبي محمد الحريري، وأوائل الحاجبية، وقد تنقَّل بأيام يناعة الدولة في الأعمال، ولم يتعد فعله الماضي في الأعمال، وأنشدني من لفظه لنفسه في محبوب له افتصد، وأجاد:

قد قلت في فصد الحبيب ووجهه ... كالبدر يزهو سافراً بالنورِ
والدم يجري أحمراً في أبيض ... هذا العقيق يسيل من بلورِ[1]

وأنشدني له في مؤذن يعرف بالقافح عظيم الصوت وله فضول في الأدعية بعد الصلاة ومع ذلك يوصف ماء مسجده ييبس بخلاف سائر المياه:

تركت صلاتِيَ في مسجد ... وأصبح عذري به واضحا
لعدم الرطوبة في مائه ... وكون المقيم به قافحا

النكتة في القافح أنه عبارة عن اليابس في ألسنة العامة، فهذه تورية من العجائب، ومزاج الماء بارد رطب في الرابعة بحسب الطبع، إلاّ أنه بحسب ما يمازج معدنه قد يكون حارّاً يابساً في الرابعة أو الثالثة كماء البحر الكبريتي

---

(١) نشر العرف ١/٤٩١.

والملحي والنفطي والنوري وهو من البسايط فلا يحد، وهو أحد العناصر الأربعة التي بها قيام عالم الكون والفساد ويعبر عن العناصر بالأستقصّات في اللغة اليونانية.

ذكرت بالمؤذن قول بعضهم في مؤذن، واستعمل فيه إبداع قول الفرزدق[1] في زين العابدين[2] مع نقل المعنى إلى القبيح:

مؤذن عندنا لانت عريكته ... وكل قائم أير حول مسجده

وقائل قال لي: صفه، فقلت له: ... ما قال لا قط إلاّ في تشهده

وهذا النقل مع جودته ينظر إلى قول الشريف ابن الهبّارية، وسيأتي، والمقصود منه:

ما فيكم كلُّكُمُ واحد ... يعطي ولا واحدة تمنعُ

وأنشدني له في أخ له تولّى الروس من عمل صنعاء:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٨٧.

(٢) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. مولده بالمدينة سنة ٣٨هـ ووفاته فيها سنة ٩٤هـ. أحصي بعد موته عدد من كان يقوتهم سراً، فكانوا نحو مئة بيت. قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ إلا بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق. كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم. وليس للحسين «السبط» عقب إلاّ منه.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٢٦٦ ـ ٢٦٩ وابن سعد ٥: ١٥٦ واليعقوبي ٣: ٤٥ وصفة الصفوة ٢: ٥٢ وذيل المذيل ٨٨ وحلية الأولياء ٣: ١٣٣وابن الوردي ١: ١٨٠ الارشاد للمفيد، أنوار الربيع ٢/هـ ٣٣١، أعيان الشيعة ٤/ق١/١٨٩ ـ ٢١٥، ونزهة الجليس ٢: ١٥ وأنظر منهاج السنة ٢: ١١٣ و١١٤ و١٢٣ وفي أنس الزائرين ـ خ. وهو رسالة مجهولة المؤلف. ما يأتي، بنصه الغريب: «إن الفسقة لما قتلوا علياً الأكبر. ولد الحسين، طلبوا زين العابدين الذي هو علي الأصغر، ليقتلوه، فوجدوه مريضاً، فتركوه، ثم إنهم قتلوه بعد ذلك وحملوا رأسه إلى مصر، فدفن في مشهده قريباً من مجراة القلعة من نيل مصر، وعنده جسم زيد أخيه، والقاتل له عبد الملك بن مروان، وبقية جسده عند قبر الحسن بالبقيع» قلت: أوردت هذه الحكاية لتكذيبها، فإن علياً هذا لما توفي ووضع للصلاة عليه، كشف الناس نعشه وشاهدوه. كما في طبقات ابن سعد ٥: ١٦٤ وفيه: «كان أحب أهل بيته إلى مروان بن الحكم وعبد الملك ابن مروان»، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٧٧.

وأخ تـولـى الـروس رمـت نـوالـه		وزعـمـت يـجـبـر مـا مـضـىٰ مـن بـوسِ
لـمـا تـولـى تـاه مـفـتـخـراً بـهـا		وغـدا يـعـربـد شـاربـاً بـكـؤوس
لـكـنـنـي أخـشـى الـصـداع يـضـره		إن الـصـداع مـحـلـه فـي الـروسِ[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً في التضمين:

لله فـي كـف مـن أهـواه مـسْبَـحـة		مـن كـهـربِ الـروم تـنـفـي الـهـمَّ صـفـراءُ
(صـفـراء لا تـنـزل الأحـزان سـاحـتـهـا		لـو مـسـهـا حـجـر مـسـتـه سـراءُ[2])

وهذا المقطوع مع كثرة الصفرة من المفرحات الياقوتية.

وأنشدني له أيضاً في مليح يعرف بالنزاري:

أهـاب عـيـونـا لـلـنـزاري فـواتـكـاً		أصـابـت مـواضـيـه الـحـشـاشـة والـقـلـبـا
(تـهـاب سـيـوف الـهـنـد وهـي حـدائـد		فـكـيـف إذا كـانـت نـزاريـة عـربـا)[3]

والبيت الثاني مضمن من قول أبي الطيب في سيف الدولة.

وله فيمن اسمه القرش وفيه تورية، وينظر إلى مقطوع شعبان بن سليم الذي أذكره في حرف الشين[4]:

قـل لـلـسـعـيـدي لـم ذا		بـالـقـرش أصـبـح صـبّـا
الـقـرش فُـلـسـى قـدمـاً		والـيـوم قـد صـار كـلـبـا

وله في حبشي اسمه سرور طرا، وطرا معناها أنه حديث عهد بالحبشة:

وهـائـم بـالـمـلاح يـسـألـنـي		عـلـى مـن ذا الاكـتـئـاب مـنـك جـرا
فـقـلـت لا غـرو إن قـضـيـت		فـكـل ذا الـحـال مـن سـرور طـرا

يفتقر لأجل التورية منع المنصرف.

وله في السباعي الفقيه الجوني وقد نال حظاً مع السلطان، والثور السباعي يرغب فيه الفلاحة، وهو الذي طوله سبعة أشبار:

---

(١) نشر العرف ١/ ٤٩٢.
(٢) نشر العرف ١/ ٤٩٢.
(٣) نشر العرف ١/ ٤٩٢، وما بين القوسين للمتنبي، أنظر ديوانه.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

يهين الدهر كل فصيح ناس ويكرم كل عي بارتفاعِ
وإن رمت اختبار الدهر فانظر تجد أعيا من الثور السباعي

وكتب إليَّ في ذي الحجة سنة سبع عشرة ومائة وألف قصيدته أحسن فيها وجاء فيها بعد المخلص والبيت الأول أحسبه السابق إلى معناه، أولها:

علام فُتنت يا قلبي بغاني وحتّام التشبب بالمغاني

ومنها قوله:

غلائله الدروع يميس فيها على فرع الأسنة بالطعانِ
ولا بيض لديه سوى المواضي ولا سمر سوى الهيف اللدانِ
فيوسف عصره هذا فدعني فما الأخبار تصدق كالعيانِ[1]

ومنها:

ويوم السلم ينثر در لفظ كذا يمناه تنظم كاللسانِ
تفرّد في العلوم بكل فنٍ وجلّى في القريض على ابن هاني
أبان بنسمة السحر المسمّى بها التأريخ برداً في الأغاني

ولولا مذهبي في كراهة الإطراء لي مِنْ شعر مَنْ كاتبني ذكرتها جميعها لأنّها جيدة، فراجعته بقصيدة أوّلها:

أديرا لي معتّقة الدناني لعلكما بها أن تشفياني
ونصّالي شقيقاً في أقاح لها في الدنَّ ريح الزعفرانِ
يضيع العقل منها حين تسبا فيبدل شربها عقل اللبانِ

وهي مذكورة برمّتها في ديوان شعري.

وله يد بيضاء في الموشّح الملحون، كتب إليَّ وأنا إذ ذاك ببلاد شرعب عاملاً عليها سنة ستة عشرة:

خُذ لي الأمان ممن أغار القمر رشا لقلب الصبّ قامرْ
ما قطّ مثله قد خلق في البشرْ يسبي بحسنه كل ناظرْ
بالسحر عينه كحلت والحورْ أمضى من البيض البواترْ
ومبسمه يزري بسلك الدررْ ياقوت مذكّى بالجواهرْ

بيت

---

(١) نشر العرف ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣.

والقد غصن البان يهتز لينْ مسبل عليه الجعد فاحمْ
والخصر ناحل لم يجد له معينْ من ردف عابت به وظالمْ
بذي غدى قلبي المعنّى رهينْ في الأسر مفتون به وهائمْ
ما قط لي سلوان ولا مصطبرْ غيري على السلوان قادرْ

بيت

ليت الليالي الماضيه لي تعودْ وما بلى منها تَجَدَّدْ
وساقي الراح الغزال الشرودْ يديرها صهباء توقدْ
وفي المقام نسمع ونشتم عودْ وأقول ماذا كنت أعهدْ
لهفي لأيام اللقا والسمرْ أنّي لها ما عشت ذاكرْ

بيت

إذ لم يساعدني الزمان بالمنىْ والخل يرثي لي ويعطفْ
لأشكو إلى رب الحسام والقنىْ السيد الضرغام يوسفْ
أيضاً ومن يرجوه نال الغنىْ ومن صروف الدهر منصفْ
نجل العماد بن الحسين الأغرْ ذو المجد مثل الشمس ظاهرْ

❁ ❁ ❁

والكِبْسي، بكسر الكاف وإسكان الباء الموحدة وبعد السين المهملة ياء النسبة: هذه النسبة إلى الكِبْس وهي قرية بناحية تعرف باليمانية من بلاد خولان بينها وبين صنعاء ليلة.

والحَمزي: نسبة إلى حمزة بن أبي هاشم الملقب بالنفس الزكية بن الحسن ابن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم الرسّي بن إبراهيم بن إسماعيل طباطبا بن إبراهيم[1] الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وإنّما قيّدته لئلا يلتبس بالنسبة إلى بني حمزة السادة الذين باليمن لأنهم حسينية لا حسنية.

ومن الاتفاق العجيب إني لما هممت بكتب هذه الترجمة رأيت في منامي إني أنشأت صدرها كما هو هنا إلى قولي: «وحظ ابن نباته منه هاء وميم»، فلما

---

(١) في الأصل: «الحسن» وما أثبتناه من ب وهو الصواب.

استيقظت كتبت ذلك كما رددته في المنام والتلميح بقول ابن نباتة المصري مطلع قصيدة له:

صـيّـرنـي فـي كـلّ وادٍ أهـيـم   مـن خَـطِّ قـلـبـي مـنـه هـاءٌ ومـيـم[1]

وقد ذكرت ثانية في حرف الهمزة ونبّهت على مأخذه عند ذكر الإمام إبراهيم ابن عبد الله الحسني[2]، وحسبنا الله.

---

(١) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٣.

فهرس موضوعات الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق: الحسني الصنعاني	٩
أسرته الكريمة	٩
نسبه الشريف	٩
ولادته ونشأته	١٠
أساتذته	١١
مؤلفاته	١١
أقوال العلماء فيه	١٢
شعره	١٥
نثره	٢٢
وفاته	٢٢
مصادر ترجمته	٢٢
تعريف بالكتاب	٢٥
مصادر المؤلف في جمع مادّة كتابه	٢٧
تقاريظ الكتاب	٣١
النسخ المخطوطة من الكتاب	٣٢
النسخ المعتمدة في تحقيق المجلد الأول	٣٧
النسخ المعتمدة في تحقيق المجلد الثاني	٣٨
منهج التحقيق	٥٧
شكر وتقدير	٥٩

«نسمة السحر»

مقدمة المؤلف ٦٣

«حرف الهمزة»

١ ـ إبراهيم الصولي، البغدادي ٧١
٢ ـ إبراهيم بن أحمد، اليافعي الصنعاني ٨٦
٣ ـ إبراهيم بن عبد الله الحسني، الإمام ١٠٠
٤ ـ إبراهيم بن عليّ، ابن هرمة ١١٦
٥ ـ أحمد بن محمد، الصنوبري ١٢٧
٦ ـ أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمداني ١٣٤
٧ ـ أحمد بن محمد، الرقعمق ١٤٩
٨ ـ أحمد بن محمد، النامي ١٥٨
٩ ـ أحمد بن محمد بن إسماعيل، الطباطبائي الحسني ١٦٧
١٠ ـ أحمد بن منير، عين الزمان الطرابلسي ١٧٢
١١ ـ أحمد بن الحسين، المتنبي ١٨٠
١٢ ـ أحمد بن الحسين، الجرموزي ٢٠١
١٣ ـ أحمد بن الحسين، اليمني الصنعاني ٢١٣
١٤ ـ أحمد بن الحسين، الكوكباني ٢٢٢
١٥ ـ أحمد بن الحسين، الرقيحي الصنعاني ٢٣٩
١٦ ـ أحمد بن أحمد بن محمد، الحسني الأنسي ٢٤٥
١٧ ـ أحمد بن المستضيء العباسي، الناصر ٢٥٢
١٨ ـ أحمد بن الموفق العباسي، المعتضد ٢٦٢
١٩ ـ أحمد بن عبد الله، أبو العلاء المعري ٢٦٦
٢٠ ـ أحمد بن القاضي الرشيد، الزبيري الإسماعيلي الغساني ٢٨٢
٢١ ـ أحمد بن محمد، الشبامي اليمني ٢٩٠
٢٢ ـ أحمد بن محمد، الحسني الصنعاني ٢٩٨
٢٣ ـ أحمد بن ناصر، المخلافي اليمني ٣٠٢
٢٤ ـ أحمد بن سعد الدين، الشهابي الوزير ٣٠٩

٢٥ ـ أحمد بن الحسين، الهاروني المؤيد بالله ٣١٤
٢٦ ـ أحمد بن محمد، الفقيه الحجازي ٣١٧
٢٧ ـ أحمد بن محمد الحجازي ٣٢٧
٢٨ ـ إسحاق بن أحمد الحسني الصنعاني ٣٣١
٢٩ ـ إسماعيل بن عباد، الصاحب بن عباد ٣٣٩
٣٠ ـ إسماعيل بن أبي يحيى، الأديب اليمني ٣٥٧
٣١ ـ إسماعيل بن يزيد، السيد الحميري ٣٦٦
٣٢ ـ إسماعيل بن محمد، المنصور بالله الإسماعيلي ٤٠٠
٣٣ ـ أشجع بن عمرو السلمي ٤٠٤
٣٤ ـ أيمن بن حزيم بن فاتك الأسدي ٤٢٤

«حرف الباء»

٣٥ ـ بركات بن الحسن، الحسني الشريف ٤٣١
٣٦ ـ بهلول بن عمرو الضبي، أبو وهيب الكوفي ٤٣٥

«حرف التاء»

٣٧ ـ تاج الدولة بن عضد الدولة ٤٤٣
٣٨ ـ تميم بن المعزّ بن المنصور، الأمير ٤٤٧
٣٩ ـ تميم بن المعتزّ بن باديس ٤٥٤

«حرف الجيم»

٤٠ ـ أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة ٤٦٣
٤١ ـ جعفر بن المطهر الجرموزي اليمني ٤٧٥
٤٢ ـ جعفر بن محمد بن، ركن الدين الحسني الكوفي ابن معية ٤٨٢
٤٣ ـ جعيفران بن علي بن أصغر السامري ٤٨٦

«حرف الحاء»

٤٤ ـ الحارث بن سعيد، أبو فراس الحمداني ٤٩٧

٤٥ ـ الحسن بن الحسين بن القاسم الصنعاني ٥٠٦
٤٦ ـ الحسن بن علي، الكاتب الهبل ٥١٥
٤٧ ـ الحسن بن هارون المهلبي ٥٢٩
٤٨ ـ الحسن بن هاني، أبو نواس ٥٣٤
٤٩ ـ الحسن بن عبد الصمد، العسقلاني ٥٤٧
٥٠ ـ الحسن بن إدريس، الأنس الإسماعيلي ٥٥٠
٥١ ـ الحسن بن أحمد، الحيمي الكاتب ٥٥٦
٥٢ ـ الحسن بن المطهر الجرموزي ٥٦٠
٥٣ ـ الحسن بن بدر الدين، الحسني اليمني ٥٦٨
٥٤ ـ الحسن بن عبد الله، الكبسي ٥٧٢
فهرس الموضوعات ....